

تجريد الطالب
في معرفة
علي بن أبي طالب

يونس رمضان

مكتبات
مؤسسة الأمل للطبوعات
بيروت - لبنان
٧١٢٠٤٠



بغية الطالب

في معرفة

عليه السلام

علي بن أبي طالب

يونس رمضان

بغية الطالب في معرفة علي بن أبي طالب عليه السلام

رَوَى صَاحِبُ الْكَشَّافِ مِنَ الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ عَنِ الرَّبِّ الْعَلِيِّ
أَنَّهُ قَالَ: لَا دُخْلَ الْجَنَّةِ مَرَّطَاعَ عَلِيٍّ وَإِنْ عَصَانِي،
وَلَا دُخْلَ النَّارِ مَنْ عَصَاهُ وَإِنْ أَطَاعَنِي.

الهيئة العامة لمكتبة الأسد الوطنية
رقم المكتبة: 297.648
رقم التصنيف: ٢٩٤

منشورات

مؤسسة الأمل للطباعة

بيروت - لبنان

ص ب : ١٢٠

الطبعة الأولى
جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناس
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

مؤسسة الأعللي للمطبوعات:
بَيروت - سَارع المطَار - قَرب كَلِية الهَندسة - ملك الاعلي - ص.ب. ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٥٣ - تلفاكس : ٨٣٣٤٤٧ .

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم

الاهداء

أُقدِّمُ كتابي هذا إلى رُوَّاد المعرفة وطلَّاب الحقيقة الذين ينشدونها أينما وجدوها دون أن يتأثَّروا بمذهبٍ أو لون أو جنس .

أُقدِّمه إلى تلك البراعم الصَّغيرة التي لم تتفتَّح أكمَامُها بعد، لتُسقى من غدير صاحب يوم الغدير، فتنفحنا بأريج علويٍّ يعطرُ الوجود ويسكر الكون .

أُقدِّمه إلى من غرَّ ربهم وضلُّوا، وقلوبهم نقيَّة ليملئوها بحبٍّ من حُبِّه إيمان وبغضه نفاق .

أُقدِّمه إلى الذين تأثَّروا بآراء (داروين) وأفكار (فرويد) ووجودية (باستر) واشتراكية (ماركس) من الأُمَّة الإسلاميَّة والعربيَّة ليعلموا أنَّهم لو درسوا عليَّ بن أبي طالب لوجدوه غايتهم المنشودة في إصلاح المجتمع، وتحقيق العدالة الاجتماعيَّة، والوصول به إلى مجتمع مثاليٍّ منشود .

أُقدِّمه إلى البائسين والمنكوبين وضحايا الظلم الاجتماعي ليجدوا عزاءهم الوحيد في شخصيَّة الشَّرقِ الخالدة، وعظيم الإنسانيَّة وأبي الشهداء علي بن أبي طالب .

أُقدِّمه إلى الحكَّام والرؤساء والقضاة ليعلموا أنَّ أحكم الحاكمين وأقضى القضاة بعد نبيِّ هذه الأُمَّة الإسلاميَّة علي بن أبي طالب .

المقدمة

إنَّ الكتابةَ عن العظماء ضروريَّة، لأنَّ لنا في حياتهم معيناً لا ينضبُ من الخبرة والعبرة والإيمان والأمل. فهم بمثابة المنارات التي تهدينا في دياجير الحياة المظلمة. وهم الذين يبعثون الثقة في نفوسنا، ويجددونها كلما اعتراها شيء من الضعف والوهن، وهم الذين يجعلوننا نتغلبُ على مشكلات الحياة وأهوالها، مهما كانت هذه المشكلات عنيفةً وصاخبةً. وهم يلقِّنوننا دروساً قيَّمةً عن البطولات، والسُّمو بالنفوس إلى أسمى مراتب المجد والشرف. وهم الذين يجعلوننا نتغلبُ على القنوط واليأس، ونعبت بالكسل والسأم والملل، لنحذو حذوهم، وننهج نهجهم، فهم بمثابة القمم التي نتطلع إليها بشوق ولهفة.

وعلي بن أبي طالب هو أسمى عظماء البشريَّة وأنبأهم، وأقدسهم وأفضلهم، لأنَّ عليّاً جمع كلِّ الصِّفات الحميدة، والمزايا النبيلة التي تحلَّى بها عظماء الإنسانية. فمنهم مَنْ عَظُمَ في خُلُقِهِ، ومنهم من تفرَّد بعلمه، ومنهم مَنْ أُشِيرَ إليه بالبنان في حلمه، ومنهم مَنْ تَفَوَّقَ في شجاعته، ومنهم من سما بأدبه وسمو تفكيره وصفاء بصيرته، ومنهم من بزَّ الآخرين بزهده، ومنهم من تعالى بعدله، ومنهم من تسامى بطهارة وجدانه وعمق إنسانيته وحرارة إيمانه، ومنهم من اشتهر بثورته على الظلم والحرمان. ومنهم من تفرَّد بعبادته وخشوعه. وعليُّ جمع كلِّ هذه الصِّفات في شخصيته الخالدة دون أن تكون به صفة سلبية. فعليُّ هو الإنسان الكامل والرجل المثالي الذي تنشده الأجيال والعصور. فهل يُعثر على عظيمٍ كعلي؟!!

ومهما حاول الكتاب والمؤرخون ورجال الفكر أن يأتونا بصورة كاملة عن عظيم الإنسانية ومثلها الأعلى ، فهم عاجزون تمام العجز . وكيف لا؟! وهو سر الأسرار . وهو النقطة التي تحت الباء . وهو جنب الله ، ويد الله ، وأذنه السامعة ، وعينه الناظرة ، ولسانه الناطق . وهو النعيم الذي ذكره الله عز وجل بقوله : ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(١) . وهو الصراط المستقيم . وهو الهادي الذي ذكره الله سبحانه بقوله : ﴿وَإِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٢) . وهو الشاهد الذي ذكره الله عز وجل بقوله : ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ﴾^(٣) . وهو الإمام الذي عناه الله بقوله : ﴿وَكُلِّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾^(٤) . وهو الذي عنده علم الكتاب . وهو كثر أسرار النبوة . وهو المطلع على أخبار الأولين . وهو المخبر عن وقائع الآخرين . وهو أول المسلمين . وهو أول المؤمنين . وهو حبل الله المتين . وهو سيف رسول رب العالمين . وهو الصديق الأكبر ، والفاروق الأعظم . وهو حجة الله في السموات ، والأرض . وهو الراجفة . وهو الصاعقة . وهو الصيحة بالحق . وهو الساعة لمن كذب بها . وهو الطور . وهو البحر المسجور . وهو البيت المعمور . وهو خازن السموات والأرض بأمر رب العالمين . وهو الشاهد لأعمال الخلائق في المشارق والمغارب . وهو أخو رسول الله ، ووارث علمه ، ومعدن حكيمته ، وصاحب سره . وما أنزل الله حرفاً في كتاب من كتبه إلا وقد صار إليه ، وزاده علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، وهو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه ووليّه ، وأبو العترة الطاهرة المطهرة من الرّجس . وأنه خير أمته ، وآله^(٥)

(١) سورة التكاثر: آية ٨ .

(٢) سورة الرعد: آية ٨ .

(٣) سورة هود: آية ١٧ .

(٤) سورة يس: آية ١٢ .

(٥) ألفتُ نظر القراء إلى بادرة ملحوظة في كتب الكثير من إخواننا أهل السنة القديمة والحديثة عند ذكر النبي صلى الله عليه وآله . فإنهم يردفون بقولهم : صلى الله عليه وسلم ، دون أن يتعرضوا لذكر الآل في الصلاة ، مع العلم أنهم يعرفون أن هذه الصلاة بدون ذكر الآل تسمى (البتراء) وقد نهى الرسول ﷺ عنها . ففي الصواعق المحرقة =

وأفضلهم وأعلمهم وأقضاهم وأحكمهم وأشجعهم وأعدلهم وأزهدهم وأحلمهم
وأعبدتهم وأصبرهم، وأنه باب مدينة علمه، وأنه مع الحق، والحق معه، وأنه
مع القرآن، والقرآن معه، وأن حبه إيمان، وبغضه نفاق، وأنه رباني هذه
الأمّة، وأنه والعتره سفينة نجاة هذه الأمّة، وباب حطّتها، وأمانها من الغرق،
وأنهم الثقل الأصغر، والقرآن هو الثقل الأكبر، وأنه والنبي صلى الله عليه وآله
من نور واحد هو نور الله، وأن لحمه لحمه، ودمه دمه، وأنه كنفسه عليه السلام، وأن
حربه حربته، وسلّمه سلّمه، وحبه حبه، وبغضه بغضه، وأذاه أذاه وسبّه سبّه،
وطاعته طاعته، وأنه منه بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة، وأنه من ذوي قرباه
التي وجبت على المسلمين مودّتهم، وأنه من الذين لم تقبل صلاة المسلم إلا
بالصلاة عليهم، وأنه ممّن باهل بهم النبي عليه السلام وفد نجران، وأنه حجّته على
أمّته، وأنه حامل لوائه في الدنيا، وحامل لواء الحمد يوم القيامة، والذائد عن
حوضيه المنافقين، وأنه سيّد المسلمين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ
المحبّلين، وقاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين، وأنه قسيم الجنة والنار، وأنه
المؤدّي عنه عليه السلام، ولا يؤدّي عنه إلا من كان منه، وأنه نجية وصفيّه ووليّه

= ص ٨٧ قال: ويروى لا تصلّوا عليّ الصّلاة البتراء. فقالوا: وما الصّلاة البتراء؟ قال:
تقولون: اللهم صلّ على محمّد، وتمسكون. بل قولوا: اللهم صلّ على محمّد وعلى
آل محمّد. ونحن نعجب من حملة العلم وأئمة الحديث وأرباب التّأليف والتّصنيف
من أهل السّنة كيف رَووا الأخبار الدّالة على أنّ الدّعاء محجوب حتّى يُصلّى على
محمّد وعلى آل محمّد، وأنّ الصّلاة لا تُقبَل حتّى يُصلّى فيها على محمّد وآل
محمّد، وأنّ النبي عليه السلام نهى عن الصّلاة عليه بدون ذكر الآل عند التّصلية. وهذا
تعصّب ومخالفة للنّبي الذي لا ينطق عن الهوى. ولقد عبّر الشّافعي عن عدم قبول
صلاة المسلم إلا بالصّلاة عليهم بقوله:

يا آل بيت رسول الله حبّكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

وقال الرّازي في تفسيره ج ٧ ص ٣٩١ وأهل بيته صلى الله عليه وآله ساووه في
خمسة أشياء: في الصّلاة عليه وعليهم في التّشهد، وفي السّلام، والطّهارة، وفي
تحريم الصّدقة، وفي المحبة. وقال النّيسابوري في تفسيره آية القربى: كفى شرفاً لآل
رسول الله عليه السلام وفخراً ختم التّشهد بذكرهم، والصّلاة عليهم في كلّ صلاة.

ووزيره، وخير من يُترك بعده، وأنه النُّبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون، وأنه خاتم الأوصياء وأفضلهم، كما أن النبي ﷺ خاتم الأنبياء وأفضلهم، وأنه وليُّ كلِّ مؤمن، ومن لم يكن وليّه فليس بمؤمن، وأنه وابن عمه ﷺ أبوا هذه الأمة، وأنه أبو سيدي شباب أهل الجنة، وأن الله سبحانه خاطب نبيّه ﷺ بلغته، وأنه أمير البررة، وقاتل الفجرة، وأنه زوج سيِّدة نساء العالمين، وأنه صاحب الغدير الذي أكمل الله بولايته الدين، وأتمَّ النعمة، ورضي سبحانه برسالة سيّد المرسلين ﷺ (١).

هذا بعض ما ورد عن علي بن أبي طالب. فهل يستطيع كاتب أن يؤدي حقّه؟ أو ينقل لنا صورة كاملة عن هذا العظيم؟ وهل يقاس به أحد؟ فإن عشر كاتب على عظيم كعلي فمن هو؟! ونلحّ عليه أن يحدثنا عن فضائله وكراماته وشجاعته وعلمه وحلمه وعفّيته وزهده وعدله وتقواه وصفاء قلبه ونقاء وجدانه وعبادته وكرمه وقضائه وخلقه لنقارنّه بأبي تراب؟ ولكن هذا العظيم لم يولد حتّى الآن.

أما سبب إظهار هذا الكتاب إلى الوجود فيعود إلى أسباب كثيرة أهمّها ثلاثة:

أولها: التَّيْمُنُ بذكر الإمام، لأن ذكره عبادة، والتَّبرُّك بنشر فضائله التي لا تعدُّ ولا تحصى.

ثانيها: إنَّ القسم الأكبر من النِّشء الجديد الذين غزوا المدارس، وأخذوا يعبّون من مناهلها شتى العلوم لا يعرفون عن عليّ إلا النذر اليسير، وهو من هو. لذلك ركّزت انتباهي إلى هذه الناحية، وأكثرْتُ من الأحاديث والأخبار والروايات الواردة في كتب أهل السنة والشيعة على السواء. وأقللتُ من التعليق ليطلع الطالب على الحقائق من أقوال الفريقين، ويعرف عظمة الإمام التي لا يفوقها إلا عظمة الله ورسوله.

(١) إذا كان ثقل عليك أيها القارئ فراجع هذا الكتاب يتّضح لك الأمر ممّا يجلي غياهب الصدر.

ثالثها: تزويد القراء من إخواننا أهل السنة بمعلومات قيّمة جُمِعت من كتب الفريقين عن عليّ ليصحّحوا معلوماتهم المغلوطة عنه في أكثر نواحيها ومصادرها، ويعلموا عندئذٍ أنّ المقايضة بينه وبين الصحابة خاطئة جداً. فلا يقاس بآل محمد ﷺ من هذه الأمة أحد، ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً. هم أساس الدين وعماد اليقين^(١)، ويدركوا أن لا يتم إيمان عبدٍ إلّا بحبه وولايته. فكثيرٌ منهم لا يعترفون بولايته، ومن لم يعترف بها لا يشم رائحة الجنة، فكيف بنعيمها؟ ومتى تحقّقوا ذلك وتدبّروه، فإنّهم ينظرون إلى عليّ والعترة نظرة الشيعي إليهم. وعندئذٍ يقطعون الطريق على المغرضين من بعض المتعصّبين الذين يظهرون الشيعي أمام الجماهير الشعبية بمظهر الكافر الملحد، كما جرى معي في جامع (المولوية) قرب ساحة باب الفرج في حلب سنة ١٩٦٤ عندما كنتُ مدرّساً في دار المعلمين هناك.

وتفصيل الحادث :

خرجتُ من ثانوية المأمون أثناء تصحيح أوراق الشهادة الثانوية عند غروب الشمس، وذهبتُ إلى جامع (المولوية) للصلاة، وبعد الانتهاء قال شيخ الجامع للمصلّين: أريد أن أوجّه إليكم بعض المواعظ التّهذيبيّة، فجلّس المصلّون وجلّستُ معهم، فوعظ الشيخ ونصح. وكان موفّقاً في تلك العظات. فهي تهذيبية وتوجيهية وخلقية، وهي قيّمة جداً. وعند الانتهاء سأل المصلّين عما إذا كان هناك سؤال عن طلاقٍ أو حيض أو نفاس أو شيء آخر. فخرج المصلّون ولم يبقَ سِوى عشرة أشخاص وأنا معهم. فقال رجل: يا شيخ: رجلٌ طلق زوجته تطلقاً واحدة، ويريد أن يعيدها، فهل هناك داعٍ لحضور الشيخ؟ قال: لا داعي لحضوره أبداً، لأنّها تطلقه واحدة. ثمّ قال شخصٌ آخر: يا شيخ، نحن نصلي ولكنّ يؤمّننا رجل تصرفاته غير سليمة، فهل تجوز إمامته؟ قال: كلا! فهذا إمّا عنده خللٌ في عقله، أو هو شيعيٌّ يريد أن يُفسدَ عليكم صلاتكم، فلا تجوز إمامته أبداً. عندئذٍ قلتُ له: يا شيخ عرّفنا شيئاً عن

(١) نهج البلاغة، ج ١ ص ٢٥، مطبعة الاستقامة.

هذا الشيعي الذي يفسد على المسلمين صلاتهم. قال: يا بني، الشيعي لا دين له ولا كتاب ولا إيمان. يا بني أنا ذهبتُ إلى الدريكيش، فطلبتُ لحمَةً من صافيتا، ولم أكل من لحم الدريكيش. قلتُ له: ذبحة المسيحي أفضل من ذبحتهم؟ قال: نعم، لأنَّ المسيحيَّ صاحبُ كتاب. أمّا هم فلا كتاب لهم. قلتُ له: إنَّ للشيعة مذهباً يُسمَّى مذهب الإمام جعفر الصادق، فعرفنا شيئاً عن هذا المذهب؟ قال: يا بني الشيعة فرق متعدّدة، ولكن كلّهم كفر. فمن أراد أن يعرف أسرارهم فليتلغلغل بين صفوفهم. فتركتُ الشيخَ ومن معه وخرجتُ. وإذا بأذن المدرسة التي نصَّحُ فيها أوراق الشَّهادة الثَّانوية ورائي، وقال: هذا الشيخ ما تكلم طيباً أبداً. قلتُ له: هذا الشيخ لا يعرف شيئاً عن الشيعة فهو جاهل. ومن جهل شيئاً عاداه. قال: واللّه ما تكلم صحيحاً أبداً. ولكنَّ هذا الأذن قال: ولكنَّ الشيعة تتعلّق بآل البيت، فما هؤلاء وما شأنهم؟ قلتُ له: يكفي، الشيخ جاهلٌ وافترقنا.

هذا الموقف ومواقف أخرى غيرها تلقي الضوء على أنَّ هناك شيوخاً كثيرين من المتعصّبين الجهلة يظهرون محبّي علي وآل البيت بمظهر الكفرة الفجرة. وهذا أخطر شيءٍ بالنسبة إلى الأُمّة الإسلامية. فبدلاً من الدّعوة في بيوت الله إلى توحيد صفوف المسلمين، وجمع الكلمة والوقوف صفّاً واحداً للقضاء على المؤامرات الاستعمارية التي سبّبت للإسلام وللمسلمين كلّ شرٍّ وأذى، نجد بعض المتعصّبين والمغرضين يقومون بتفرقة الصّف، وتشيت شمل المسلمين والإسلام، وبهذا يحققون للاستعمار أعظم أملٍ ينشده ضدّنا، ويوفّرون عليه الملايين من الدُّولارات التي كان عليه أن يبذلها ليحقّق بعض ما حقّقه له المغرضون.

أمّا هذا الشيعي الذي يثور عليه المتعصّبون من إخواننا أهل السّنة، فكلُّ ذنبه عندهم أنّه تمسّك بالعترة الطّاهرة المطهّرة من الرّجس الذين هم سفينة نجاة الأُمّة، وباب حطّتها، وأمانها من الغرق، ومودّته لذوي قربي الرّسول التي وجبت على المسلمين مودّتهم، واعتناقه مذهبهم المسمّى بمذهب الإمام الصادق عليه السلام. هذه هي الجريمة الكبرى التي جعلته بنظر المتعصّبين كافراً

فاجراً، وهذا ما جعل الشيعي الشاعر والفيلسوف يقول:

قد بدتِ البغضاء منهم لنا كمالهم منا بدا الحب
وما لنا إلا مواليتنا لآل طه عندهم ذنب

فهل هناك مسلم منصف يرضى بموقف هؤلاء المتزمتين؟ والأمة الإسلامية - لا الشيعة وحدها - مفروض عليها مودة أهل البيت الذين هم سفن النجاة وباب حطة والأمان من الغرق.

وهناك بادرة ثانية لا يرضى عنها منصف. وهي منع استيراد بعض كتب الشيعة إلى أيدي الجماهير في سورية، كما حدث في أيام الانفصال بإصدار قرار يمنع دخول بعض الكتب القيمة التي تعبر عن فضل آل بيت رسول الله ﷺ إلى القطر العربي السوري. وتذكر بعض ما حل بهم من ويلات وكوارث على أيدي أمة محمد. بينما نرى الكتب التي تطعن بالآل، وتحط من كرامتهم غير محظورة، بل مباحة للجميع. مع أن المنطق السليم والموقف الصحيح يقتضي إما أن يترك المجال مفتوحاً لجميع كتب الفريقين، أو يغلق الباب أمامهم على السواء. غير أن فتح المجال للجميع أفضل وأنسب وأحسن، لأنّ القاريء من إخواننا أهل السنة إذا اطلع على كتب الشيعة فإنه يعرف مذهبهم وفقههم وحججهم ضدّ خصومهم. وعندئذ يفهمهم الفهم الصحيح، ويطرد من ذهنه تلك الأوهام والخرافات التي زرعها المغرضون وأعداء الإسلام. ويفتح صدره لإخوانه، ويتطلعون لتحقيق أغراض أمته السامية ديناً ودنيا.

ونحن نرى أن الخطر الذي يهدد العالم الإسلامي ليس كتب الشيعة وما تحتويه من فضائل آل بيت رسول الله ﷺ. بل الخطر يتجلى فيما وصلنا إليه من انهيار خلقي وسلوكي شاذ، فإذا نظرنا إلى واقعنا الحالي نظرة صحيحة صادقة، نظرة بعيدة عن التعصب والغرور والعظمة الزائفة، فإنها تتجلى لنا الحقيقة المرة. أين نحن الآن من تعاليم يسوع الناصري ومحمد بن عبد الله؟ فهل نطبق تعاليمهم التي ترفع الإنسان إلى مستوى الإنسانيّة الصحيحة النابضة بالحق، الدافقة بالصدق والخير والأخلاص؟

وهناك أخطار تهددنا وتغمرنا بشروورها. هذه الأخطار هي انتشار كتب (فرويد) الجنسية، والكتب الخلاعية الرخيصة، والكتب الإلحادية التي تغزو مكاتبنا، وتبت السُّموم في أفكار شبابنا، وتجعلهم يتبنون هذه الآراء، علاوة على أخطار الأفلام الخلاعية، وأثرها السيء في نفوس النشء الجديد. هذه هي الأخطار التي تهددنا بالعواقب الوخيمة، لا كتب الشيعة التي تحمل الحقيقة والخير والنور لكل قلب يتعيش بمودة أهل القربى الذين فرضت علينا مودتهم، والذين هم سفن النجاة، وثقل رسول الله ﷺ وبقية في أمته.

لذلك أهيب بالمسؤولين ورجال التربية والمعلمين ورجال الدين وكل مخلص لأمته ووطنه أن يترأصوا ويتعاونوا لإنقاذ هذه الأمة من هذه الأخطار التي لا يعرف مدى ضررها الشديد علينا وعلى أبنائنا إلا الله عز وجل.

وهناك موقف آخر ألفت انتباه القارئ إليه، وأطلب منه أن يكون منصفاً قدر المستطاع ليكون رأيه قريباً من الحقيقة والواقع.

هذا الموقف هو أن الأمة الإسلامية ملزمة بمودة آل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس، وأنهم هم سفن النجاة، وأعلام الهداية، وأمان هذه الأمة من الضلال لمن تمسك بهم، وأنهم هم الثقل الأصغر، والقرآن هو الثقل الأكبر. هذا ما أجمع عليه علماء هذه الأمة الإسلامية، فانظر أيها القارئ بتجرد ونزاهة إلى موقف هذه الأمة الإسلامية!

فئة منها نهجت نهج آل البيت، وتمسكت بهم، واعتنقت مذهبهم، وأعلنت فضائلهم رغم الإرهاب والضغط والتعذيب. وفئة أخرى اعتنقت مذاهب أظهرتها للوجود سياسة الحكام، وفرضوها على الأقطار فرضاً، وسهروا على انتشارها، وقاوموا مذهب آل البيت حرصاً على كراسي الحكم، وتم لهم ما تم. وانتشرت المذاهب الأربعة، وانقرضت المذاهب الأخرى التي لم تسير الظروف، كمذهب سفيان الثوري، ومذهب ابن عينة، ومذهب الحسن البصري، ومذهب الأوزاعي، ومذهب محمد بن جرير، ومذهب عمر بن عبدالعزيز، ومذهب الأعمش، ومذهب الشعبي، ومذهب إسحاق، ومذهب

الليث، ومذهب ابن ثور، ومذهب الظاهري. والخلاصة تجاوزت هذه المذاهب الخمسين. وكلّها انقرضت، ما عدا المذاهب الأربعة، فلماذا؟

السبب يعود إلى أنّ السلطنة خلقت منهم أبطالاً بعد أن سايروا الحكام. فهذا الشافعي يقول: إنّ مشي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافياً راجلاً أهون عليّ من المشي إلى باب مالك بن أنس، وذلك من شدة الازدحام وقوة النفوذ. هذا مالك الذي كان يسحب ويجرّ ويضرب خمسين سوطاً، ويهان في عهد بعض الولاة، وفي عهد بعض الولاة أصبح الوالي يتهيب أن يكلمه. وهذا يدلّ على أغراض السياسة مع رجال الأمة، حتّى أنّ المنصور أمره أن يضع كتاباً يحمل عليه الناس بالقهر، فوضع الموطأ. وأصبحت له مكانته. وانتشر مذهبه في الأندلس بسبب السلطنة هناك، وعدم تعيين قاضٍ إلّا على مذهب مالك^(١). قال ابن حزم: مذهبان انتشرا في مبدأ أمرهما بالرئاسة والسلطان: مذهب أبي حنيفة لما وليّ أبو يوسف القضاء، ومذهب مالك في الأندلس^(٢).

أمّا مذهب الشافعي فقد قويت شوكته في عهد الدولة الأيوبيّة، لأنهم شافعيون. والمذهب الحنبلي لم ينل قوّة وأنصاراً إلّا في نجد على يد محمّد بن عبد الوهّاب مؤسس المذهب الوهّابي الذي قضى على مذهب ابن حنبل وشهرته، بسبب شهرة الوهّابي الذي دعمه ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية.

(١) يدّعي مالك أنّه مكث في بطن أمّه ثلاث سنوات. فهل هذا صحيح؟ وقد اشتهر مالك بكثرة قول (لا أدري). سيئل عن ٤٨ مسألة. فقال في ٣٢ منها: لا أدري. وسيئل في العراق عن ٤٠ مسألة فأجاب عن ٥ فقط. وقيل: لمالك: إذا قلت أنت لا أدري، فمن يدري؟ فقال: ويحك! أعرفتني؟ ومن أنا؟ وأي شيء منزلي حتّى أدري ما لا تدرون! ومالك من تلامذة الإمام الصادق مدّة من الزمن، فالصادق من أكبر شيوخ مالك بن أنس.

(٢) مرآة الزمان: القسم الأول ج ٨ ص ٤٤.

وهكذا نرى أن السياسة الخانقة على آل البيت هي التي أوجدت المذاهب الأربعة، وحققت ما تصبو إليه بسبب القوة والأنصار. ولكن المشكلة الكبرى التي ظهرت بين صفوف المسلمين هي مشكلة التعصب الأعمى. فكل من اعتنق منهم مذهباً من هذه المذاهب الأربعة المفروضة عليهم أخذ يتعصب لمذهبه بعنف، حتى قال قائل الحنفية: «لو كان لي الأمر لأخذت الجزية من الشافعية»^(١). ويقول أبو حامد الطوسي: «لو كان لي أمر لوضعت على الحنابلة الجزية»^(٢). وهذا أبو حاتم الحنبلي يقول: «من لم يكن حنبلياً فليس بمسلم». فهو يكفر جميع المسلمين؛ بعكس أبو بكر المقرئ الواعظ، فهو يكفر الحنابلة أجمع^(٣). والحنابلة أحلوا مالاً ودم كل من كان على دين ابن تيمية، علاوة على الدماء التي أريقَت بين المذاهب الأربعة نتيجة التعصب المذهبي. فهذا التعصب كان أعظم مشكلة حلت بالمجتمع الإسلامي مما أدى إلى اختلاف الآراء وتشتت الأهواء والانحطاط الكبير. ولكن المخلصين من المسلمين تنبهوا لهذا الخطر. فأخذوا يدعون إلى وحدة الكلمة. ولكن هذه الدعوة لم تزل صرخة في وادٍ حتى اللحظة الحالية.

هذه لمحة خاطفة عن سبب ظهور المذاهب الأربعة التي اعتنقتها فئة من المسلمين، فعادوا الفئة التي اعتنقت مذهب آل البيت. وأعلن المتزمتون منهم أن هذه الفئة كافرة. فمن يا ترى أولى وأجدر بالإتباع؟ المذاهب التي أوجدتها السياسة، والتي تتناقض مع بعضها؟ أم المذهب الذي أوجده أهل العصمة؟ وإذا كان أصحاب المذاهب الأربعة لا يعترفون بالعصمة، فعلى الأقل، عليهم أن يعترفوا بهذا المذهب كمذاهبهم السالفة الذكر. وهذا ما دعاهم إليه العلامة شرف الدين الموسوي. وبهذا تتوحد الكلمة وينطلق المسلمون صفواً واجداً لإعادة أمجاد الماضي وسيادة الأجداد.

(١) مرآة الزمان: القسم الأول ج ٨ ص ٤٤.

(٢) مرآة الجنان، ج ٣ ص ٢٠٧.

(٣) شذرات الذهب، ج ٣ ص ٢٥٣.

وقد سَمِيَتْ هذا الكتاب (بغية الطالب في معرفة علي بن أبي طالب).
لأنَّ الخلافَ بين الأُمَّة الإسلامية ليس في نبيِّ هذه الأُمَّة، ولكن في وصيِّه
ووليِّه علي، لذلك يجد الطالب فيه بغيته المنشودة. وقد قسَّمته إلى أحد عشر
فَصْلاً كما يلي :

الفصل الأول : ولادة علي وإيمان أبيه .

الفصل الثاني : الجو الرَّهيب الذي تَمَّت فيه المؤامرة ضدَّ علي وأهل
بيته .

الفصل الثالث : خلافته واستخلافه .

الفصل الرابع : الأدلَّة على إمامته .

الفصل الخامس : الابتلاء والغدر . يَتَّبَعُهُمَا : حديث حذيفة بن اليمان .

الفصل السادس : شجاعته وحروبه في عهد النَّبي ﷺ وبعده .

الفصل السابع : علمه .

الفصل الثَّامن : قضاؤه .

الفصل التَّاسِع : إخباره بالأمور الغيبيَّة .

الفصل العاشر : فضائله وكراماته .

الفصل الحادي عشر : زهده وعدله .

طرطوس : يونس رمضان

الفصل الأول ولادته وإيمان أبيه

يظنّ الكثير من الناس أنّ ولادة علي بن أبي طالب أمرٌ عادي لا يستحقّ الذكر، كبقية ولادات الأطفال. ولكنّ الأمر على عكس ذلك. فولادة عليّ في بيت الله الذي هو قبلة المسلمين في جميع بقاع العالم من المزايا الكبرى التي امتاز بها هذا المولود. ولم يشاركه في هذه الميزة مولود قبله أو بعده، لأنّه هو الوحيد الذي وُلِدَ في بيت الله. هذه الولادة مكرمة جليلة خصّه الله بها دون غيره من الأنبياء والمرسلين والناس أجمعين.

فإذا اعتراك أيّها القارئ شكٌّ في ذلك، فهذه هي الأدلّة من كتب الفريقين. ففي مستدرّك الصّحّاحين جـ ٣ ص ٤٨٣ قال: تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في جوف الكعبة.

وفي نور الأبصار للشّبلنجي ص ٧٦ ط ٥ عام ١٩٥١ قال: وُلِدَ رضي الله عنه بمكّة داخل البيت الحرام - على قول - يوم الجمعة ١٣ رجب الحرام سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة. وقيل: بخمسٍ وعشرين. وقبل المبعث باثنتي عشرة سنة. وقيل: بعشر سنين. ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه قاله ابن الصّباغ:

ويقول الشاعر السّريجي الأوالي في قصيدة طويلة منها:

من كان في حرم الرحمن مولده وحاطه الله من بأسٍ وعدوان
يريد ولادة علي عليه السلام في الكعبة المعظمة، وقد انشق جدار البيت لأمه
فاطمة بنت أسد، فدخلته، ثم التأمّت الفتحة، فلم تزل في البيت العتيق حتى
ولدت مشرف البيت بذلك الهبوط الميمون، وأكلت من ثمار الجنة، ولم
يتعلق صدف الكعبة عن درّة الدّري إلّا ضياء الكون بنور محيّا الأبلج. وهذه
حقيقة أصفق علي إثباتها الفريقان^(١).

وحكى الحافظ الكنجي الشافعي في «الكفاية» عن طريق ابن النجار عن
الحكيم النيسابوري أنه قال: وُلد أمير المؤمنين علي بمكة في بيت الله الحرام
ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل. ولم
يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه، إكراماً له بذلك، وإجلالاً
لمحلّه في التعظيم^(٢).

وروى الوزير السعيد الأربلي في (كشف الغمّة) ص ١٩ عن كتاب
(بشائر المصطفى) مرفوعاً إلى يزيد بن قنعب. قال: كنتُ جالساً مع
العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه، وفريق من بني عبدالعزى بإزار بيت الله
الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليه السلام. وكانت حاملاً به
لتسعة أشهر، وقد أخذها الطلق، فقالت: يا ربّ إني مؤمنة بك وبما جاء من
عندك من رسلٍ وكتب. وإني مصدّقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل، وأنه بني
البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت، وبحق المولود الذي في بطني، إلّا
ما يسّرَت عليّ ولادتي. قال يزيد بن قنعب: فرأيت^(٣) البيت قد انشق^(٤) عن
ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصارنا، وعاد إلى حاله^(٥) فرمنا أن

(١) الغدير: للشيخ الأميني، ج ٦ ص ٢١.

(٢) الغدير: للشيخ الأميني، ج ٦ ص ٢٢.

(٣) وفي نسخة (فرأينا).

(٤) وفي نسخة (انفتح).

(٥) وفي نسخة (والتزق الحائط).

ينفتح لنا قفل البيت فلم يفتح ، فعلمنا أن ذلك أمرٌ من أمر الله تعالى^(١) ، ثم خرجت في اليوم الرابع ، وعلى يدها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثم قالت : إني فضلتُ على من تقدمني من النساء ، لأن آسية بنت مزاحم عبدت الله سرّاً في موضع لا يحبُّ الله أن يُعبد فيه إلا اضطراراً ، وأن مريم بنت عمران هتفتُ بالله الحرام فأكلتُ من ثمار الجنة وأوراقها ، فلما أردتُ أن أخرج هتف بي هاتذ : يا فاطمة ، سمّيه عليّاً فهو عليّ ، والله العليُّ الأعلى يقول : شققتُ إسمه من إسمي ، وأدبته بأدي ، وأوقفته على غامض علمي . وهو الذي يكسر الأصنام في بيتي . وهو الذي يؤذن فوق ظهر بيتي ، ويقدّسني ويمجّدني . فطوبى لمن أحبه وأطاعه . وويل لمن أبغضه وعصاه . قالت : فولدتُ عليّاً ، ولرسول الله ثلاثون سنةً ، وأحبُّه رسول الله عليه السلام حبّاً شديداً . وقال لها : اجعلي مهدّةً بقرب فراشي . وكان عليه السلام يلي أكثر تربيته . وكان يُطهر عليّاً في وقت غسله ، ويوجرهُ اللبن عند شربه ، ويحرك مهدده عند نومه ، ويناغيه في يقظته ، ويحمله على صدره ورقبته ، ويقول : هذا أخي وولي وناصري وصفي وذخري وكهفي وصهري وزوج كريمي وأميني على وصيتي وخليفتي . وكان رسول الله عليه السلام يحمله دائماً ويطوف به جبال مكة وشعابها وأوديتها وفجاجها^(٢) .

وهذا أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي في كتابه (إزالة الخفاء) يقول : تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين عليّاً في جوف الكعبة ، فإنه ولد في يوم الجمعة ثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة في الكعبة ، ولم يولد فيها أحد سواه قبله ولا بعده^(٣) .

وقال شهاب الدين الألوسي في شرح القصيدة العينية لعبد الباقي أفندي

(١) وفي نسخة (عز وجل) .

(٢) وروى هذا الحديث صاحب (إرشاد القلوب) للدّيلمي ، ج ٢ ص ٥ - ٦ ، وكتاب (كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين) للحلي ، ص ٥ .

(٣) الغدير : للأميني ، ج ٦ ص ٢٢ .

العمري عند قول الناظم :

أنت العليّ الذي فوق العلا رفعا ببطن مكّة عند البيت إذ وُضعا
وكون الإمام كرم الله وجهه وُلِدَ في البيت أمرٌ مشهور في الدنيا . وذكّر
في كُتب الفريقين السّنة والشيعة . قال عبد الباقي العمري :
وأنتَ أنتَ الذي حُطَّتْ له قدمٌ في موضعٍ يده الرّحمن قد وُضعا

وقيل : أحبُّ عليه الصّلاة والسّلام (يعني عليّاً) أن يكافىء الكعبة حيث
وُلِدَ في بطنها، بوضع الصّنم عن ظهرها . وإلى هذا المعنى أشار العلامة
السّيد رضا الهندي بقوله :

لَمَّا دعاكَ الله قِدْماً لأنْ تولدَ في البيتِ فلبّيتهُ
شكرتهُ بين قريش بأن طهرت من أصنامهم بيتهُ

ذكر الولادة في البيت واعتبرها من الفضائل «مروج الذهب» ج ١ ص ٢
للمسعودي . وتذكّرة «خواص الأمة» ص ٧ لابن الجوزي . والفصول المهمّة
ص ١٤ لابن الصّبّاغ المالكي ، والسّيرة النبوية ج ١ ص ١٥٠ . للحلي ،
وشرح الشفا ج ١ ص ١٥١ للشيخ علي القاري الحنفي ، ومطالب السّؤل
ص ١١ لأبي سالم الشّافعي ، ومحاضرة الأوائل ص ١٢٠ للشيخ علاء الدّين
السّكتواري ، ومفتاح النّجا في مناقب آل العبا للميرزا محمّد البدخشي ، وكفاية
الطالب ص ٣٧ شيخ حبيب الله الشّنقيطي ، وكتاب (الحسين) ج ١ ص ١٦
للسّيد علي جلال الدّين وغيرهم يذكرهم الحبر العلم الحجّة الشّيخ
عبد الحسين أحمد الأميني .

وممن ذكر ولادة الإمام خمسون مؤلّفاً من مؤلّفي الشيعة، عدا الشعراء
الذين ذكروا ذلك في قصائدهم . فراجع ذلك في الجزء السادس من كتاب
الغدير من ص ٢١ حتّى ٣٨ . ففيه الكفاية للمستزيد .

ونحن نذكر منهم على سبيل المثال الشّاعر الحجاج ميزرا إسماعيل
الشّيرازي من قصيدة موشحة في المولد المقدّس . منها :
هذه فاطمة بنتُ أسد أقبلتُ تحملُ لاهوتَ الأبد

فاسجدوا ذُلًّا له فيمن سجَّدْ فله الأملأك هزَّتْ سُجْدَا
 إذا تجلَّى نوره في آدَمِ
 هل درت أمَّ العلا ما وضعتْ أم درت ثدي الهدى ما أرضعتْ
 أم درت كفَّ النهى ما رفعتْ أم درى ربَّ الحجا ما ولدا
 جَلَّ معناه فلمَّا يعلم
 سيِّدُ فاق عُلاَّ كلَّ الأنام كان إذ لا كائنٌ وهو إمام
 شَرَّفَ الله به البيت الحرام حين أضحى لعلاه مولدا
 فوطا تربته بالثَّدَمِ
 إن يكن يجعل الله البنون وتعالى الله عما تصِفون
 فوليد البيتِ أحرى أن يكون لوليِّ البيتِ حقًّا ولدا
 لا عُزَيْرٌ لا ولا ابنُ مريم
 سبق الكون جميعاً في الوجود وطوى عالمَ غيبٍ وشهود
 كلَّ ما في الكون من يمناه جود إذ هو الكائن لِله يدا
 ويدُّ الله مِدْرُ الأنعمِ

ومنهم الشَّاعر علي الشَّقِي اللَّكهنوي الهندي . نذكر هنا من موشحته في
 الميلاد الشريف منها:

أم أشار البيتُ بالكفِّ ادخُلي واطمئني بالإله المفضلُ
 فهنا يولد ذو العليا علي مَنْ به يحظى حطيمي والمقامُ
 وينال الركنَ أعلى الرُّتبِ
 دخلتُ فاطمُ فارتدَّ الجدارُ مثلما كان ولم يكشف ستارُ
 إذ تجلَّى النور وأنجاب السَّرار عن سنا بدرٍ به يجلو الظلامُ
 والورى ينجو به من عطب
 عرف الله ولا أرضٌ ولا رفعت سبع طباق ظِلًّا
 فلذا خرَّ سجوداً وتلا كلَّ ما جاء إلى الرُّسل الكرامُ
 قبله من صُحفٍ أو كُتب

وقال العلامة الكبير الشيخ حسين نجف من قصيدة علوية:
 جَعَلَ الله بيته لعليٍّ مولداً ياله عُلاَّ لا يضاهي

لم يشاركه في الولادة فيه
عَلِمَ اللَّهُ شوقه لعلِّي
إذ تمنّيت لقاءه وتمنّيت
وهذا إيليا أبو ماضي ينوّه في
أمير المؤمنين قائلاً:

وإذا نبّهني عاطفة الحبّ الدفين
إنّه ميلاد مولانا أمير المؤمنين
لم يكن في كعبة الرحمن مولودٌ سواه
وتولّى ذكره في محكم الذكر الإله
أقبلت فاطمة حاملة خير جنين
وتردّى منظر اللاهوت بين العالمين
أقبلت تدعوه قد جاء بهاداء المخاض
فدعت خالقها الباري بأحشاء مراض
لست أدري غير أنّ الباب قد ردّ الجواب
دخلت فأنجاب فيه البشر عن محض اللّباب
كيف أدري؟ وهو سرّ فيه قد حار العقول
مظهرٌ لله لكن لا اتحاد لا حلول
ولّد الطهر عليّ من تسامى في علاه
ضلّ أقوام فظنّوا أنّه حقاً إله

لذلك فولادة الإمام في بيت الله فضيلةً فضله الله بها على سائر خلقه.
يؤيد ذلك ما رواه صاحب كتاب (المناقب) مسنداً إلى صعصعة بن صوحان أنّه
دخل على أمير المؤمنين عليه السلام لما ضرب فقال: يا أمير المؤمنين أنت أفضل أم
آدم أبو البشر؟ قال علي عليه السلام: تركية المرء نفسه قبيح. لكن قال الله تعالى
لآدم: ﴿يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا
تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾^(١). وأنا أكثر الأشياء أباحها لي وما

(١) سورة البقرة: آية ٣٥.

قَارَبْتُهَا. ثم قال: أَنْتَ أَفْضَلُ يا أمير المؤمنين أم نوح؟ فقال علي عليه السلام: إِنَّ نوحاً دَعَا عَلَى قَوْمِهِ، وَأَنَا ما دَعَوْتُ عَلَى ظالِمِي حَقِّي. وابن نوح كان كَافِراً، وابْناي سَيِّدا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. قال: أَنْتَ أَفْضَلُ أم موسى؟ قال عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ مُوسَى إِلَى فِرْعَوْنَ فَقَالَ: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾^(١) حَتَّى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدِيَ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٢). وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾^(٣) وَأَنَا ما خَفْتُ حِينَ أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَبْلِيغِ سُورَةِ بَرَاءَةِ أَنْ أَقْرَأَهَا عَلَى قُرَيْشٍ فِي الْمَوْسَمِ، مَعَ أَنِّي كُنْتُ قَتَلْتُ كَثِيراً مِنْ صَنَادِيدِهِمْ، فَذَهَبْتُ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَقَرَأْتُهَا عَلَيْهِمْ وَمَا خَفْتُهُمْ. ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ أَفْضَلُ أم عيسى بن مريم؟ قال: عيسى بن مريم كانت أُمُّهُ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَلَمَّا جَاءَ وَقْتُ وَلادَتِهَا سَمِعَتْ قَائِلاً يَقُولُ: أَخْرِجِي هَذَا بَيْتَ الْعِبَادَةِ لَا بَيْتَ الْوِلَادَةِ. وَأَنَا أُمِّي فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ لَمَّا قَرَّبَ وَضَعَ حَمْلَهَا كَانَتْ فِي الْحَرَمِ. فَانْشَقَّ حَائِطُ الْكَعْبَةِ، وَسَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ: ادْخُلِي. فَدَخَلْتُ فِي وَسْطِ الْبَيْتِ، وَأَنَا وَلَدْتُ بِهِ. وَلَيْسَ لِأَحَدٍ هَذِهِ الْفَضِيلَةُ لَا قَبْلِي وَلَا بَعْدِي^(٤).

وكما أَنَّ بَعْضَ الرُّهْبَانِ بَشَّرَ بِوِلَادَةِ نَبِيِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، كَذَلِكَ بَشَّرَ بَعْضُهُمْ بِوِلَادَةِ وَصِيِّهِ وَوَلِيِّهِ.

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ مِيلَادِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ خَيْرِ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي شَبِيهِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ عَلِيّاً مِنْ نُورِي، وَخَلَقَنِي مِنْ نُورِهِ، وَكَلَّانَا مِنْ نُورٍ وَاحِدٍ. ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ نَقَلَنَا مِنْ صُلْبِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَصْلَابِ طَاهِرَةٍ إِلَى أَرْحَامِ زَكِيَّةٍ، فَمَا نُقِلْتُ مِنْ صُلْبٍ إِلَّا وَنُقِلَ عَلَيَّ مَعِي. فَلَمْ نَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى اسْتَوْدَعَنِي خَيْرَ رَجِمٍ وَهِيَ آمَنَةُ، وَاسْتَوْدَعَ عَلِيّاً خَيْرَ رَجِمٍ، وَهِيَ

(١) سورة الشعراء: آية ١٤.

(٢) سورة النمل: آية ١٠.

(٣) سورة القصص: آية ٣٣.

(٤) الأنوار النعمانية: لنعمة الله الموسوي الجزائري، ج ١ باب ١ ص ٢٨ - ٢٩.

فاطمة بنت أسد. وكان في زماننا رجُلٌ زاهدٌ عابدٌ يقال له المبرم بن دُعَيْب بن الشَّقْبَان قد عبد الله تعالى مائتين وسبعين سنةً، لن يسأل الله حاجة. فبعث الله أبا طالب فلما أبصره المبرم قام إليه وقبَّلَ رأسه، وأجلسه بين يديه. ثم قال له: مَنْ أنت؟ فقال: رجلٌ من تهامة. فقال: من أيِّ تهامة؟ فقال: من بني هاشم. فوثب العابد، فقبَّلَ رأسه، ثم قال: يا هذا إنَّ العليَّ الأعلى ألهمني إلهاماً. قال أبو طالب: وما هو؟ قال: ولدٌ يولدُ من ظهرك، وهو وليُّ الله عزَّ وجلَّ. فلما كانت اللَّيلة التي وُلِدَ فيها عليٌّ أشرقَت الأرض، فخرج أبو طالب وهو يقول: أيُّها النَّاس وُلِدَ في الكعبة وليُّ الله. فلما أصبح دخل الكعبة وهو يقول:

يا ربَّ هذا الغُسقِ الدُّجِّيِّ والقمر المنبلج المضيِّ
بيِّنْ لنا من أمرك الخفيِّ ماذا ترى في اسم ذا الصُّبيِّ

قال: فسمع صوتُ هاتفٍ يقول:

يا أهل بيتِ المصطفى النَّبيِّ خُصِّصْتُم بالولد الزُّكيِّ
إنَّ اسمه من شامخِ العليِّ عليٌّ اشتقَّ من العليِّ

أخرجه الحافظ الكنجي الشافعي في «كفاية الطالب» ص ٢٦٠ وقال: تفرد به مسلم بن خالد الزنجي، وهو شيخ الشافعي. وتفرَّد به عن الزنجي عبدالعزيز بن عبد الصَّمَد، وهو معروف عندنا^(١).

أما أصل عليٍّ وحقيقته ومعدنه فمن نور ذات الباري عزَّ وجلَّ، لأنَّ أوَّل مبدعٍ أبدعه الله هو محمَّد، وإليه الإشارة بقول القائل: «الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أوَّلَ خَلْقِ اللَّهِ» كما تصادفنا كثيراً في كتب السيرة. فمحمَّد هو الواحد الَّذِي صدر عن الأحد. وهو النور الأوَّل الذي أشار إليه بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أوَّل ما خلق الله نوري، ثم فتق منه نور عليٍّ، فلمْ نزلْ نتردَّد في النور حتَّى وصلنا إلى حجاب العظمة في ثمانين ألف سنة، ثمَّ خلق الخلائق من نورنا. فنحن

(١) الغدير: للشيخ الأميني، ج ٧ ص ٤٤٧.

صنائع الله . والخلق مصنوعون لأجلنا . فمحمّد وعلي خُلِقا من جلال ذي الجلال . فهما صفة الله وكلمة الله وأمر الله ، وجميع الملائكة خلقوا من شعاع نور محمد وعلي .

وإذا كَبَّرَ عليك أيها القارئ هذا الأمر فهذا دليل على أنك لم تَسْمُ إلى الحقيقة التي هي ضالّة المؤمن . فمتى عرفتُها زال عنك الكثير ممّا كنت تستكبره على عليّ ، مثل قوله ﷺ لعليّ : «بأنّ حبّه حبّه ، وبغضه بغضه ، وأذاه أذاه ، وحرّبه حرّبه ، وسلّمه سلّمه ، وطاعته طاعته» ، وعندئذٍ تعرف الخطأ الكبير الذي وقع به الكثير في شأن عليّ ، حيث أخذ بعضهم ينظرون إلى عليّ نظرتهم إلى الآخرين . فما عليّ بنظرهم إلّا مثل أبي بكر وعمر وعثمان . وهذا هو الخطأ الكبير والجهل الفاضح في معرفتهم لعليّ ، لأنّ عليّاً نور من نور الله ، فمن قاسه بغيره فقد وضع من رفعه الله ، ورفع من وضعه الله . فعليّ بعد نبيّه لا يقاس بأحدٍ من النّاس ، فالأصل واحد والنور واحد . وهذه بعض الأدلّة من كتب الفريقين :

ففي المناقب للخوارزمي المكي الحنفي يقول : وأخبرني شهردار هذا إجازة ، أخبرني عبدوس بن عبد الله بن عبدوس الهمداني كتابة ، حدّثني أبو الحسن علي بن عبد الله ، حدّثني أبو علي محمد بن أحمد العطشي ، حدّثني أبو سعيد العدوي ، حدّثني الحسن بن علي ، حدّثني أحمد بن المقدم العجلي ، حدّثني أبو الأشعث ، حدّثني الفضيل بن عياض ، عن ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن زاذان عن سلمان قال : سمعتُ حبيبي المصطفى محمد ﷺ يقول : «كنتُ أنا وعليّ نوراً بين يدي الله عزّ وجلّ مطبقاً يسبح الله ذلك النور ويقدّسه ، قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام . فلما خلق الله آدم ركب ذلك النور في صلبه . فلم يزل في شيء واحد حتّى افترقا في صلب عبدالمطلب ، فجزء أنا وجزء علي بن أبي طالب»^(١) .

(١) كتاب (المناقب) للخوارزمي ، ص ٨٨ ط ١٩٦٥ المطبعة الحيدرية .

وأخبرني شهردار هذا إجازة، أخبرني أبو الفتح عبدوس بن عبد الله بن عبدوس الهمداني كتابةً، حدّثني الشريف أبو طالب الجعفراني. حدّثني ابن مردويه الحافظ. حدّثني إسحق بن محمّد بن علي بن خالد. حدّثني أحمد بن زكريّا. حدّثني ابن طهمان. حدّثني محمّد بن خالد الهاشمي. حدّثني الحسن بن إسماعيل بن حمّاد عن أبيه، عن زياد بن المنذر، عن محمّد بن علي بن الحسين عن أبيه، عن جدّه. قال رسول الله ﷺ: «كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله عزّ وجلّ من قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله تعالى آدم سلك ذلك النور في صلبه، فلم يزل الله تعالى ينقله من صلب إلى صلب حتى أقرّه في صلب عبدالمطلب، فقسمه قسمين: قسماً في صلب عبد الله، وقسماً في صلب أبي طالب. فعلي منّي وأنا منه. لحمه لحمي ودمه دمي. فمن أحبّه فبحبيّ أحبّه، ومن أبغضه فببغضي أبغضه» (١).

وفي المفيد عن علي بن الحسن البصري، عن أحمد بن إبراهيم، عن محمّد بن علي الأحمر، عن نصر بن علي، عن عبد الوهّاب بن عبد الحميد عن حميد، عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كنت أنا وعليّ على يمين العرش نسبح الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام. فلمّا خلق آدم جعلنا في صلبه. ثم نقلنا من صلب إلى صلب في أصلاب الطّاهرين، وأرحام المطهّرات حتى انتهينا إلى صلب عبدالمطلب. فقسمنا قسمين، فجعل في عبد الله نصفاً، وفي أبي طالب نصفاً، وجعل النبوة والرّسالة فيّ، وجعل الوصيّة والقضيّة في عليّ. ثمّ اختار لنا اسمين اشتقّهما من أسمائه. فالله محمود وأنا محمّد. والله العليّ وهذا عليّ. فأنا للنبوة والرّسالة، وعليّ للوصيّة والقضيّة» (٢).

وعن ابن الوليد عن محمّد بن خالد الهاشمي، عن الحسن بن حماد

(١) المناقب: للخوارزمي أيضاً، ص ٨٨.

(٢) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٨.

البصري عن أبيه، عن آبائه قال: قال رسول الله ﷺ: «كنتُ أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف عام، فلما خلق الله آدم سلك ذلك النور في صلبه، فلم يزل الله عز وجل ينقله من صلب إلى صلب حتى أقره في صلب عبدالمطلب، ثم أخرجه من صلب عبدالمطلب، فقسّمه قسمين، فصير قسماً في صلب عبدالله، وقسم عليّ في صلب أبي طالب، فعليّ مني وأنا من عليّ. لحمه من لحمي، ودمه من دمي. فمن أحبه فبحبي أحبه، ومن أبغضه فببغضي أبغضه»^(١).

وأخرج أبو الحسن علي بن محمد المعروف بابن المغازلي الواسطي الشافعي في كتابه «المناقب» بسنده عن سلمان الفارسي قال: سمعتُ حبيبي محمداً ﷺ يقول: «كنتُ أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل يسبح الله ذلك النور ويقدّسه، قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام. فلما خلق آدم أودع ذلك النور في صلبه. فلم نزل أنا وعلي شيئاً واحداً حتى افترقنا في صلب عبدالمطلب. ففي النبوة، وفي علي الإمامة»^(٢).

وبالإسناد إلى دارم، عن الرضا، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عليّ خُلقَ الناس من شجرٍ شتّى، وخلقْتَ أنا وأنتَ من شجرة واحدة، أنا أصلها وأنتَ فرعها، والحسن والحسين أغصانها، وشيعتنا ورقها. فمن تعلّق بغصنٍ من أغصانها أدخله الله الجنة»^(٣).

وأخرج الحموي في كتابه (فرائد السمطين) بسنده عن زياد بن المنذر، عن أبي جعفر الباقر عن أبيه، عن جدّه الحسين، عن عليّ بن أبي طالب، سلام الله عليه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «كنتُ أنا وأنتَ يا عليّ نوراً بين يدي الله تبارك وتعالى من قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف

(١) أيضاً بحار الأنوار، ج ٩ ص ٨.

(٢) ينابيع المودة: للقندوزي، ج ١ ص ١٠. وأخرجه أيضاً الديلمي في كتابه (الفردوس) عن سلمان.

(٣) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٦.

عام. فلما خلق آدم سلك ذلك النور في صلبه، فلم يزل ينقله من صلب إلى صلب حتى أقره الله في صلب عبدالمطلب، ثم قسمه قسمين، فأخرج قسماً في صلب أبي عبدالله، وقسماً في صلب عمي أبي طالب. فعلي مني وأنا منه، لحمه لحمي، ودمه دمي»^(١).

ومن ذلك ما رواه محمد بن سنان، عن ابن عباس، قال: كنا عند رسول الله ﷺ فأقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له النبي مرحباً بمن خلقه الله قبل أبيه آدم بأربعين ألف سنة. قال: فقلنا: يا رسول الله، أكان الابن قبل الأب؟ فقال: نعم. إن الله خلقني وعلياً من نور واحد قبل خلق آدم بهذه المدة. ثم قسمه نصفين، ثم خلق الأشياء من نوري ونور علي، ثم جعلنا عن يمين العرش، فسبحنا فسبحت الملائكة، وهللنا فهللوا، وكبرنا فكبروا، فكل من سبح الله وكبره فإن ذلك من تعليمي وتعليم علي»^(٢).

لذلك لا يجوز لأي كاتب أن يقارن بين علي وغيره من الناس مهما عظموا وسموا. وإلى هذا أشار الإمام علي عليه السلام بقوله: لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد. ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً. هم أساس الدين وعماد اليقين. إليهم يفى الغالي وبهم يلحق التالي. ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة^(٣).

ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: أيها الناس نحن أبواب الحكمة، ومفاتيح الرحمة، وسادة الأمة، وأمناء الكتاب، وفصل الخطاب، بنا يثيب الله، وبنا يعاقب، ومن أحبنا أهل البيت عظم إحسانه، ورجح ميزانه وقبل عمله، وغفر ذلله. ومن أبغضنا لا ينفع إسلامه، وإننا أهل بيت خصنا الله بالرحمة والحكمة والنبوة والعصمة.

(١) ينابيع المودة: للقندوزي، ج ١ ص ١٠، وأخرج هذا الحديث بلفظه موفق الخوارزمي.

(٢) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ٤٦.

(٣) نهج البلاغة، ج ١ ص ٢٥، مطبعة الاستقامة.

ومنا خاتم الأنبياء. ألا وإنا راية الحق التي من تلاها سبق، ومن تأخر عنها مرق. ألا وإنا خيرة الله اصطفانا على خلقه، وأثمتنا على وحيه. فنحن الهداة المهديون. ولقد علمت الكتاب. ولقد عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان وما يكون. وأنا أخو رسول الله، وخازن علمه، أنا الصديق الأكبر، ولا يقولها غيري إلا مفتر كذاب، وأنا الفاروق الأكبر^(١).

ومن ذلك ما روي عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ أن الله نصب علياً علماً بينه وبين خلقه. فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالاً، ومن ساواه بغيره كان مشركاً. ومن جاء بولايته كان فائزاً ودخل الجنة آمناً، ومن جاء بعداوته دخل النار صاغراً^(٢).

فكيف يساويه أحد من الناس؟ وهو النور القديم المبتدع قبل الأكوان والأزمان، المسبح لله ولا فم هناك ولا لسان. أليس كان في عالم النور قبل الأزمان والدهور؟ أليس كان في عالم الأرواح قبل خلق الأجسام. هذا هو علي بن أبي طالب. فإذا وُلِدَ في بيت الله الحرام، فهو من نور الله. وهل ينكر هذه الولادة وهذا النور إلا كل شقي؟

ولقد أبدع الشاعر المفلق عبد الباقي أفندي العمري في قوله:

يا أبا الأوصياء أنت لطفه صهره وابن عمه وأخوه
إن لله في معانيك سرّاً أكثر العالمين ما عرفوه
أنت ثاني الأبناء في منتهى الدّور وآبائه تُعدُّ بنوه
خلق الله آدماء من ترابٍ فهو ابنٌ له وأنت أبوه

أما أمه فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، تجتمع مع أبي طالب في هاشم جدّ النبي ﷺ. أسلمت وهاجرت مع النبي ﷺ. وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً. وكان الرسول الأعظم يعتبرها بمثابة أمه. لذلك

(١) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ٦٠.

(٢) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ٦١.

عند موتها كَفَّنَهَا بِقَمِيصِهِ . وأمر عليه السلام أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود، فحَفَرُوا قَبْرَهَا بِالْبَقِيعِ . فَلَمَّا بَلَغُوا لَحْدَهَا حَفَر رَسُولُ اللَّهِ عليه السلام بِيَدِهِ ، وَأَخْرَجَ تَرَابَهُ . فَلَمَّا فَرَّغَ اضْطَجَعَ فِيهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأُمِّي فَاطِمَةَ بِنْتَ أَسَدٍ ، وَلَقِّنْهَا حَجَّتَهَا ، وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مَدْخُلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ . فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتَ أَنْتَ صَنَعْتَ شَيْئاً لَمْ تَكُنْ صَنَعْتَهُ بِأَحَدٍ قَبْلَهَا . فَقَالَ عليه السلام : « أَلْبَسْتُهَا قَمِيصِي لَتَلْبَسَ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ ، وَاضْطَجَعْتُ فِي قَبْرِهَا لِيَخْفَفَ عَنْهَا مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ ، لِأَنَّهَا كَانَتْ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى صَنَعاً إِلَيَّ بَعْدَ أَبِي طَالِبٍ »^(١) .

أَمَّا أَبُوهُ فَأَبُو طَالِبٍ - وَاسْمُهُ عَبْدُ مَنْفٍ - ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - وَاسْمُهُ شَيْبَةُ الْحَمْدِ - ابْنُ هَاشِمٍ - وَاسْمُهُ عَمْرُو - ابْنُ عَبْدِ مَنْفٍ بْنِ قُصَيٍّ ، فَأَبُو طَالِبٍ كَانَ مِنَ الْمَجَاهِدِينَ فِي الطَّلِيعَةِ ، وَمِنْ رِسْلِ الْإِنْسَانِيَةِ وَهَدَاتِهَا . وَلَكِنَّ الْأَهْوَاءَ أَثَرَتْ عَلَى الْأَقْلَامِ الْمَاجُورَةِ ، فَأَلْقَتْ عَلَى الْحَقِيقَةِ سِتَاراً كَثِيفاً ، وَغَيَّرَتْ مَجْرَى التَّارِيخِ ، وَوَضَعَتْ الْأَحَادِيثَ ، وَاخْتَلَقَتْهَا ، وَإِذَا هِيَ سَلْعَةٌ رَائِجَةٌ السُّوقِ ، وَكَثُرَ الْوَضَاعُونَ^(٢) .

فَأَبُو طَالِبٍ لَوْ لَمْ يَكُنْ أَباً لَعَلِّي لَمَا نَالَهُ مِنَ الْبَلَاءِ شَيْءٌ . فَعَلِيٌّ هُوَ سَبَبُ الْبَلَاءِ لَوَالِدِهِ . وَلَقَدْ نَشَأَ أَبُو طَالِبٍ فِي بَيْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي نَشَأَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ ، فَهُوَ امْتِدَادٌ لَهُ . فَعَبْدُ الْمُطَّلِبِ هُوَ السَّخِيُّ الْجَوَادُ ، وَالرَّجُلُ الْمَهِيْبُ الَّذِي كَانَ يَطْعَمُ الْوَحْشَ وَالطَّيْرَ ، وَهُوَ مُجَابُ الدَّعْوَةِ ، وَقَدْ حَرَّمَ الْخَمْرَ عَلَى نَفْسِهِ ، وَنَكَاحَ الْمُحَارِمَ ، وَحَرَّمَ الزَّنى ، وَقَطَعَ يَدَ السَّارِقِ ، وَنَهَى عَنِ الْمَوْؤَدَةِ ، وَنَهَى عَنِ الاسْتِقْسَامِ بِالْأَزْلَامِ ، وَسَنَّ الْوَفَاءَ بِالنَّذْرِ . فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ أَقْرَ هَذِهِ السُّنَنَ . وَعَبْدُ الْمُطَّلِبِ لَمْ يَسْجُدْ لَصَنَمٍ . وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَحَنَّنَ بِنَارِ

(١) راجع كتاب (المناقب) : للخوارزمي الحنفي ، ص ١٣ ط ١٩٦٥ تجد بحثاً ضافياً عنها رحمها الله . وتذكرة سبط ابن الجوزي ، ص ١٢ و ١٣ ط ٢ ، المطبعة العلمية في النجف .

(٢) راجع كتاب (أبو طالب) مؤمن قريش : للخنيزي ، ففيه أبحاث هامة .

حراء . ولما أُصيب قريش بالجفاف والجذب وانقطاع الغيث توَّسَّلت قريش إلى عبد المطلب أن يدعوا ربَّه لإرسال الغيث، فقبلَ الله دعاءه، وجادت السَّماء عليهم بالمطر الغزير. وكان يعرف أن ولده محمّداً سيصبح نبيَّ هذا الأُمَّة. وظهرت لديه عدَّة دلالات، وقد نوَّه عن ذلك. فعبد المطلب، وهو الزَّعيم المهاب والمعظَّم في قريش، والمطاع بين العرب. يُفرَّش له حول الكعبة، فتحف حوله رؤساء قريش دون أن يستطيع واحدٌ منهم أن يطأ طرفاً من فراش عبد المطلب - بلَّة الجلوس وإياه عليه - فيجيء الطفل اليتيم محمّداً فيتخطَّى النَّاس ويجلسُ بجانب جده، فيمنعه النَّاس، فيقول لهم: دعوه إنَّ له شأنًا، وأحياناً يقول: «رُدُّوا ابني إلى مجلسي!! فإنَّه تحدَّثه نفسه بملكٍ عظيم، وسيكون له شأن».

والأدلة متوفرة منها: إنَّ سيف بن ذي يزن الحميري لما استرجع مُلكَ أبيه أخذت الوفود ترد عليه لتهنئته، وجاء وفدٌ من قريش بزعامه عبد المطلب، واستمرَّ عبد المطلب في ضيافته شهراً، فأدنى منه عبد المطلب ليلقي إليه بسرَّ خطير، فقال: «إذا وُلِدَ بتهامة، غلامٌ بين كتفيه شامة. كانت له الإمامة. ولكنَّ به الزَّعامة إلى يوم القيامة، إسمه محمّد. يموتُ أبوه وأمه. ويكفُّه جده وعمّه!! والبيتُ ذي الحجب والعلامات على النِّقب إنَّك لجدهُ يا عبد المطلب!! غير كذب. فخرَّ عبد المطلب ساجداً لربِّه. ثم قال له: «مات أبوه وأمه، وكفلته أنا وعمّه»^(١).

وفي رواية أخرى طلب عبد المطلب من ابنه عبد الله أن يرحلَ معه إلى اليمن، وتوقع خيراً قريباً بعد سماعه نبوءة كاهن حمير، وخلاصتها: نزل عبد المطلب عند بعض عظماء حمير. فدخل عليها رجلٌ غريب، وأخذ يتفرَّس في وجه سيِّد قريش، ويطيل التَّأمُّل فيه، ولمس شعرةً وملامح محيَّاه. فصاح السيِّد عبد المطلب منه، فقال صاحبه: هذا كاهن من اليمن. قرأ كُتُب الأوائِل وله عِلْمٌ. فقال له صاحب الدَّار: ماذا ترى؟ فقال: أرى ملكاً. فقال سيِّد

(١) كتاب (أبو طالب مؤمن قريش): للخنيزي.

الدار: إنه سيد قومه. فقال: وأرى نبوءة إنها في سيد قريش، أو في أحد بنيه.
فقال صاحب الدار: فأئيهم يا رجل؟ فقال: في صاحب الغرة، أو في المصهر
إلى زهرة. وكانت لعبد المطلب في رأسه شيبة. لعل الكاهن عناها بقوله:
وكان عبدالله له زوجة اسمها آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة^(١).

وللدلالة على اهتمام عبد المطلب بنبي المستقبل قوله لولده أبي طالب
عندما شارف على الموت:

أوصيك - يا عبد مناف - بعدي بموحّد - بعد أبيه - فرد
ثم أردف قائلاً: وصيت من كنيته بطالب - عبد مناف - وهو ذو تجارب
فأجابه أبو طالب:

لا توصيني بلازمٍ وواجبٍ إني سمعتُ أعجب العجائب
من كلّ حبر عالمٍ وكاتبٍ بان - بحمد الله - قول الراهب
ثم أوصى أبا طالب، وشدّد عليه، وقال له: «واعلم فإن استطعت أن
تتبعه فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك، فإنه والله يسودكم، ويملك ما لا
يملك أحدٌ من آبائي. هل قبلت؟ فأجابه قد قبلت، والله على ذلك شاهد!!

في هذا البيت الطاهر نشأ أبو طالب، وتربّى على يد الزعيم المهاب أبيه
عبد المطلب، وورث عنه صفاته الفذة، فأصبح أهلاً لتربية نبي هذه الأمة،
فنشأ الرسول تحت رعايته، وأصبح أبو طالب زعيم قريش من جهة، وكفيل
نبي هذه الأمة وراعيه وحاميه من جهة ثانية.

وكان أبو طالب يعرف أن ابن أخيه محمداً سيصبح نبي هذه الأمة قبل
أن يبعث وقد شاهد منه الكثير من الدلائل منها:

أولاً - تفجير الماء: وذلك أن النبي ﷺ كان مع عمّه أبي طالب،
فعطش العم، فأخبر ابن أخيه بعطشه. فركض صخرة برجله، وقال شيئاً: فإذا

(١) الإمام علي بن أبي طالب: لعبدالله بن عبد المقصود، ج ١ ص ٣٤ - ٣٥، مطبعة
مكتبة مصر.

الماء يتدفق، ولم ير مثله أبو طالب - كما حدث - فشرب حتى أطفأ لهبة الظمأ، وعاد فركضها لتعود سيرتها الأولى^(١).

ثانياً - مع العائف: وذلك أن رجلاً من لَهَب كان عائفاً، فإذا قدم مكة أتته رجال قريش بغلمانهم لينظر لهم ويعتاف (أي يتشاءم أو يتفائل). وكان أبو طالب وابن أخيه معهم. فنظر العائف للرسول، فشغل بالنظر إلى الرسول وقال: عليّ بالغلام. فخاف أبو طالب منه. فغيبه عن العائف، وهذا العائف يصيح: ويلكم ردوا عليّ الغلام الذي رأيت أنفاً. فوالله ليكون له شأن. وحقاً إن أبا طالب كان يعرف أن لابن أخيه شأنًا.

ثالثاً - إنه المبارك: كان أبو طالب كثير العيال ومُقلاً. وكان يأخذ القعب فيشربه واحد بمفرده، ولكنه يبدأ بابن أخيه، ومنه يمر به إلى الآخرين فينتهي القعب. فيقول أبو طالب: إنه لمبارك.

رابعاً - بحيرا الراهب: وذلك لما مرّ على الراهب بحيرا في بصرى من أرض الشام. فأطل من صومعته، ولفت نظره غمامة تظلّ واحداً من هذا الركب. ولفت نظره مرة ثانية أن الشجرة تظله، وعاد بذاكرته إلى كتابه المقدس. فنزل من صومعته وعمل طعاماً للركب. وطلب من جميع الحاضرين من قريش أن يحضروا للطعام. فانبرى له بعض المتعجبين، لأنه لم يصنع ما صنعه اليوم. وأخذ يتفرّس في الغلام. وعاد الراهب يسأل أبا طالب ما هذا الغلام منك؟ قال: ابني. قال الراهب: كلاً! لأنّ أباه يجب أن يكون ميتاً. قال: إنه ابن أخي، ومات أبوه، وأمّه حاملٌ. فقال له: صدقت، فارجع بابن أخيك إلى بلده، فيخشى عليه من اليهود، وإنّ له لشأناً عظيماً.

لقد كان أبو طالب مؤمناً بابن أخيه منذ عهد أبيه عبد المطلب، وشاهد منه الدلائل التي جعلته يخشى على ابن أخيه من الناس، ولكنه كتم إيمانه وإسلامه ليستطيع أن يؤدي رسالته تجاه ابن أخيه. وهل يعتقد منصف أن قائل

(١) أبو طالب مؤمن قريش: للخنيزي وسبط ابن الجوزي في تذكرته. يروي هذا الحديث عن ابن سعد في الطبقات.

هذه الأبيات كافر؟ عندما طلبت قريش من أبي طالب أن يسلمهم محمداً:
والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أو سد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي ولقد صدقت وكنت - ثم - أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا^(١)
واستمع أيها القاريء إلى من يسميه المغرضون والمتعصبون كافراً،
كيف يشهد الله على نفسه أنه على دين ابن أخيه وهو المهدي:
يا شاهد الله! عليّ فاشهد إني على دين النبي أحمد
من ضل في الدين فإني مهدي

ويقول أيضاً:

لقد أكرم الله النبي محمداً فأكرم خلق الله في الناس أحمد
وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد^(٢)
وهل رجل هب عليه نسيم الإنصاف يجرؤ على القول بأن قائل هذا

(١) رواها الثعلبي في تفسيره وقال: لقد اتفق على صحة نقل هذه الأبيات عن أبي طالب مقاتل، وعبدالله بن عباس، والقسم بن محضرة، وعطاء بن دينار. راجع خزانة الأدب: للبغدادي ٢٦١/١، وتاريخ ابن كثير، ج ٣ ص ٤٢، وشرح ابن أبي الحديد، ج ٣ ص ٣٢٦، وتاريخ أبي الفداء، ج ١ ص ١٢٠، وفتح الباري، ج ٧ ص ١٥٣، وص ١٥٥، والإصابة، ج ٤ ص ١١٦، والمواهب اللدنية، ج ١ ص ٦١٠، والسيرة الحلبية، ج ١ ص ٣٠٥، وديوان أبي طالب، ص ١٢، وطلبة الطالب، ص ٥، وبلوغ الأرب، ج ١ ص ٣٢٥، والسيرة النبوية: لزيني دحلان، هامش السيرة الحلبية، ج ١ ص ٩١ و ٢١١، وتذكرة سبط ابن الجوزي، ص ٩ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ، منشورات المطبعة العلمية في النجف.

(٢) أخرجه البخاري في تاريخه الصغير، وأبونعيم في دلائل النبوة، ج ١ ص ٢٧٥، وذكره له ابن أبي الحديد في شرحه، ج ٣ ص ٣١٥، وابن كثير في تاريخه، ج ١ ص ٢٦٦، وابن حجر في الإصابة، ج ٤ ص ١١٥، والقسطلاني في المواهب اللدنية، ج ١ ص ٥١٨، نقلاً عن تاريخ البخاري، والديار بكري في تاريخ الخميس، ج ١ ص ٢٥٤، راجع الغدير: للأميني، ج ٧ ص ٣٣٥.

البيت كافر؟!!

أنت الرسول رسول الله نعلمه عليك نزل من ذي العزة الكتب

ولما أتى يوم الإنذار وهو دعوة عشيرته والأقربين، دعاهم جميعاً، فوقف منه أبو لهب الموقف المعادي. فقال له عمّه أبو طالب الملقب ببيضة البلد: قم يا سيدي وتكلم بما تحب، وبلغ رسالة ربك، فأنت الصادق الصديق. ولما اتبعه علي قال أبو طالب لولده: أما إنه لا يدعوك إلا إلى خير فالزمه، لأكبر دليل على إيمانه. ولكنه استعمل التقيّة نصرة لرسوله، لأنّ في كتمان إيمانه نصراً لتحقيق النبوة، فلنلق نظرة على شعره الذي يحث به ولديه أن ينصرا ابن عمهما قائلاً:

إنّ علياً وجعفرأ ثقتي عند مُلِم الزّمان والنُّوب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما أخي لأمي - من بينهم - وأبي
والله لا أخذلُ النَّبي ولا يخذله - من بني - ذو حَسَب
ومرّة يهتف بأخيه الحمزة - أبي يعلى - ويدعوه لإظهار دين الله، فقال:

فصبراً - أبا يعلى - على دين أحمدٍ وكن مظهراً للدين - وفقت - صابراً
وحط من أتى بالحق من عند ربّه بصدق وعزم لا تكن - حمز - كافراً
فقد سرّني إذ قلت إنّك مؤمنٌ فكن لرسول الله - في الله - ناصراً
وباد قريشاً بالذي قد أتيتّه جهاراً وقل ما كان أحمد ساجراً

فالرجل الذي يوصي أخاه الحمزة بنصرة الرسول بكلّ صدق وإخلاص، وينهاه عن الكفر، هل يكون كافراً؟ هذا لا يكون أبداً! ولكن لو لم يكن أبو طالب والد علي لما ناله من البلاء شيء. فعلي هو سبب البلاء لأبيه.

لقد تأثر رجل بأقوال بني أميّة الزّائفة، ولبس عليه الحق بالباطل المفترى. فقال لعلي: يا أمير المؤمنين!! إنّك بالمكان الذي أنزلك الله عزّ

وَجَلَّ بِهِ وَأَبُوكَ يُعَذِّبُ بِالنَّارِ؟ فَيَجِيبُهُ ابْنُ بَيْضَةَ الْبَلَدِ: مَهْ فَضَّ اللَّهُ فَاكْ! وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ! لَوْ شُفِّعَ أَبِي فِي كُلِّ مَذْنَبٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لَشَفَّعَهُ اللَّهُ فِيهِمْ. أَأَبِي يُعَذِّبُ بِالنَّارِ؟ وَابْنُهُ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ؟^(١). ثُمَّ قَالَ: إِنَّ نَوْرَ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيُطْفِئَ أَنْوَارَ الْخَلَائِقِ إِلَّا خَمْسَةً أَنْوَارٍ: نَوْرَ مُحَمَّدٍ، وَنَوْرِي، وَنَوْرَ فَاطِمَةَ، وَنَوْرَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، وَمَنْ وَلَدَتْهُ مِنْ الْأُئِمَّةِ، لِأَنَّ نَوْرَهُ مِنْ نَوْرِنَا الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ آدَمَ بِالْفِي عَامٍ^(٢).

وَمَرَّةً أُخْرَى يَقُولُ: وَاللَّهِ!! مَا عَبْدُ أَبِي وَلَا جَدِّي عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، وَلَا هَاشِمٍ، وَلَا عَبْدُ مَنْأَفٍ صَنْمًا قَطُّ!! فَمَاذَا كَانُوا يَعْبُدُونَ؟ كَانُوا يَصَلُّونَ إِلَى الْبَيْتِ عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ.

هَذِهِ شَهَادَةُ ابْنِ بَيْضَةَ الْبَلَدِ الَّذِي لَا يَمِيلُ عَنِ الْحَقِّ، وَهُوَ مَعَهُ، لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ، وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ يَدُورُ مَعَهُ حَيْثُمَا دَارَ». وَهَذَا رِثَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَبِيهِ، يَدْعُو لَهُ وَيَرْجُو لَهُ رِضْوَانُ الْحَقِّ عَزَّ وَجَلَّ قَائِلًا:

أَبَا طَالِبٍ عَصْمَةَ الْمُسْتَجِيرِ وَغَيْثَ الْمَحُولِ وَنَوْرَ الظُّلَمِ
لَقَدْ هَدَّ فَقْدَكَ أَهْلَ الْحِفَاظِ فَصَلَّى عَلَيْكَ وَلِيَّ النَّعَمِ
وَلَقَّاكَ رَبُّكَ رِضْوَانَهُ فَقَدْ كُنْتَ لِلظَّهْرِ مِنْ خَيْرِ عَمٍّ^(٣)

وَهَذَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ سَأَلَهُ سَائِلٌ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ النَّاسَ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا طَالِبٍ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ! فَقَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ: كَذَبُوا!! مَا بِهِذَا نَزَلَ جِبْرِئِيلُ، إِنَّ مِثْلَ أَبِي طَالِبٍ مِثْلُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ أُسْرُوا الْإِيمَانَ وَأَظْهَرُوا

(١) رَوَى صَاحِبُ كِتَابِ (مَشَارِقُ أَنْوَارِ الْيَقِينِ): الْبَرْسِيُّ قَائِلًا: رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ جِبْرِئِيلَ يَجْلِسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَلَا يَدْخُلُهَا إِلَّا مَنْ كَانَ مَعَهُ بَرَاءَةٌ مِنْ عَلِيٍّ. لِذَلِكَ فَالْوَرَقَةُ مَضْمُونَةٌ لِأَبِي طَالِبٍ مِنْ وَلَدِهِ قَبْلَ أَنْ يَطْلُبَهُ لَوْثِبَتْ أَنَّهُ غَيْرُ مُؤْمِنٍ وَحَاشَاهُ.

(٢) كَشَفُ الْغَمَةِ: لِلْأَرْبَلِيِّ، ج ٢ ص ٤١ - ٤٢.

(٣) تَذَكُّرَةُ سَبْطِ ابْنِ الْجَوْزِيِّ، ص ١٢ ط ٢ عَام ١٣٦٩ هـ.

الشرك، فأتاهم الله أجرهم مرتين، وأن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك فأتاه الله أجره مرتين.

وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله تعالى بالجنة. ثم قال: كيف يصفونه بهذا؟ وقد نزل جبرئيل ليلة مات أبو طالب فقال: يا محمد! اخرج من مكة، فما لك بها ناصر بعد أبي طالب!!

وقد روي عن علي بن محمد الباقر عليه السلام أنه سئل عما يقوله الناس: إن أبا طالب في ضحضاح من نار، فقال: لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان، وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه. ثم قال: ألم تعلموا أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان يأمر أن يحج عن عبدالله وأبيه وأبي طالب في حياته، ثم أوصى في وصيته بالحج عنهم.

أما حديث (الضحضاح) من النار، فإنما يرويه الناس كلهم عن رجل واحد هو المغيرة بن شعبة، وبغضه لبني هاشم - وعلى الخصوص لعلي عليه السلام - مشهور ومعلوم. وقصته وفسقه غير خاف.

ومن يجرو أن يصفه بالكفر، وأبياته الشعرية تضج بالإيمان فهو يقول: ألا أبلغا عني على ذات بينها لؤياً وخصاً من لؤي بني كعب إلى قوله:

ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً نبياً كموسى خطاً في أول الكتب^(١) فلو عرضنا هذه القصائد التي نظمها أبو طالب في نبي هذه الأمة على رجل نابه، ولم يعرف قائلها. وطلبنا رأيه في قائل هذه القصائد. وهل هو مسلم أم عابد صنم؟ لاستغرب منا كيف يخطر في ذهننا أنه عابد صنم؟ فهو من أشد الناس إيماناً بابن عبدالله عليه السلام !!

(١) المراجع لهذه القصيدة سيرة ابن هشام، ج ١ ص ٣٧٣، وشرح ابن أبي الحديد، ج ٣ ص ٣٦٣، وبلوغ الأرب، ج ١ ص ٣٢٥، وخزانة الأدب: للبغدادي، ج ١ ص ٢٦١، والروض الأنف، ج ١ ص ٢٢٠، وتاريخ ابن كثير، ج ٣ ص ٨٧، وأنس المطالب، ص ٦ و ١٢، وطلبة الطالب ص ١٠.

ولكن المشكلة تتجلى للباحث بأنه والد علي . لذلك فمن سب علياً
 وولديه الحسن والحسين وزوجته فاطمة على المنابر ألف شهر، والجماهير
 تؤمن، فمن الغريب أن يقولوا بأن أبا طالب مؤمن!!
 وإذا أردت أيها القارئ مزيداً من الأدلة على إيمان أبي طالب فقد
 روي عن الحسن العسكري مرفوعاً عن آبائه الأطهار أن الله تبارك وتعالى
 أوحى إلى رسول الله ﷺ أنني قد أيدتك بشيعتين: شيعة تنصرك سراً،
 وشيعة تنصرك علانية. فأما التي تنصرك سراً فسيدهم وأفضلهم عمك أبو
 طالب. وأما التي تنصرك علانية فسيدهم وأفضلهم ابنه علي بن أبي طالب.
 ثم قال: وإن أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتُم إيمانه.
 وهذا أبو ذر يقول: واللّه الذي لا إله إلا هو! مات أبو طالب
 رضي الله عنه حتى أسلم.
 وهذه بعض القصائد التي تدلّ على عظمة إيمانه بنبي هذه الأمة
 الإسلامية ﷺ :

أعوذ برب البيت من كل طاعنٍ علينا بسوء أو يلوح بباطلٍ
 ومن فاجر يفتابنا بمغيبةٍ ومن ملحق في الدين ما لم نحاولِ

إلى قوله في مدح النبي ﷺ :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأراملِ
 يلوذ به الهلاك من آل هاشمٍ فهم عنده في نعمة وفواضِلِ
 وميزان صدقٍ لا يخيس شعيرة ووزان صدقٍ وزنه غير عائلِ
 ألم تعلموا أن ابننا لا مكذبٌ لدينا ولا يعاب قول الأباطِلِ
 لعمرى لقد كلفتُ جداً بأحمدٍ وأحببته حبّ الحبيب المواصلِ
 وجُدتُ بنفسي دونه فحميتهُ ودافعتُ عنه بالذرا والكواهِلِ
 فلا زال للدنيا جمالاً لأهلها وشيناً لمن عادى وزين للحافِلِ
 وأيده ربّ العباد بنصره وأظهر ديناً حقّه غير باطلِ^(١)

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي، ج ١٤ ص ٧٩ ط ١٩٦٢ م.

ومن شعره المنشود:

أَنْتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ قَرَّمَ أَعَزُّ مَسْوَدٌ

إلى قوله:

وَلَقَدْ عَهِدْتُكَ صَادِقاً فِي الْقَوْلِ لَا تَتَزَيَّدُ
مَا زِلْتَ تَنْطِقُ بِالصُّوَابِ وَأَنْتَ طِفْلٌ أَمْرَدٌ^(١)

ومن شعره أيضاً:

أَوْتُومِنُوا بِكِتَابٍ مَنْزِلٍ عَجَبٍ عَلَى نَبِيِّ كَمُوسَى أَوْ كَذِي النُّونِ
يَأْتِي بِأَمْرِ جَلِيٍّ غَيْرِ ذِي عَوْجٍ كَمَا تَبَيَّنَ فِي آيَاتِ يَاسِينَ^(٢)

ومن شعره الذي يدلّ على قوة إيمانه، وشدة نضاله للحفاظ على نبيّ هذه الأمة.

قوله:

يُرْجُونَ مِنَّا خِطَّةً دُونَ نِيلِهَا ضِرَابٌ وَطَعَنَ بِالْوَشِيحِ الْمَقُومِ
يُرْجُونَ أَنْ نَسْخِيَ بِقَتْلِ مُحَمَّدٍ وَلَمْ تَخْتَضِبُ سَمَرِ الْعَوَالِي مِنْ الدَّمِ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ حَتَّى تَغْلِقُوا جَمَاجِمَ تُلْقَى بِالْحَطِيمِ وَزَمَزِمِ
وَتُقَطَّعَ أَرْحَامٌ وَتَنْسَى حَلِيلَةً حَلِيلًا وَيُغَشَّى مُحْرَمٌ بَعْدَ مُحْرَمِ
عَلَى مَا مَضَى مِنْ مَقْتِكُمْ وَعَقُوقِكُمْ وَغَشِيَانِكُمْ فِي أَمْرِكُمْ كُلِّ مَأْثَمِ
وِظْلَمِ نَبِيٍّ جَاءَ يَدْعُو إِلَى الْهُدَى وَأَمْرٍ أَتَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ قِيمِ
فَلَا تَحْسِبُونَا مُسْلِمِيهِ فَمِثْلُهُ إِذَا كَانَ فِي قَوْمٍ فَلَيْسَ بِمُسْلِمِ^(٣)

وروي أنّ رجلاً من رجال الشيعة، وهو أبان بن محمود كتب إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام، جعلت فداك. إنني قد شككت في إسلام أبي طالب، فكتب إليه: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي، ج ١٤ ص ٧٧ ط ١٩٦٢ م.

(٢) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ١٤ ص ٧٧ ط ١٩٦٢ م.

(٣) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ١٤ ص ٧١.

غير سبيل المؤمنين ﴿١﴾ الآية . وبعدها إِنَّكَ إِنْ لَمْ تَقْرَ بِإِيمَانِ أَبِي طَالِبٍ كَانَ مَصِيرُكَ إِلَى النَّارِ ﴿٢﴾ .

وروي أَنَّ أبا بكر جاء بأبي قحافة إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عام الفتح ، يقوده وهو شيخ كبير أعمى . فقال رسول الله : أَلَا تَرَكْتَ الشَّيْخَ حَتَّى نَأْتِيَهُ ! فقال : أَرَدْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَأْجُرَهُ اللَّهُ !! أَمَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَنَا كُنْتُ أَشَدَّ فَرَحاً بِإِسْلَامِ عَمِّكَ أَبِي طَالِبٍ مِنِّي بِإِسْلَامِ أَبِي ، أَلَتَمِسُ بِذَلِكَ قَرَّةَ عَيْنِكَ . فقال : صدقت ﴿٣﴾ .

قالوا : وقد نقل النَّاسُ كَافَّةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : نُقِلْنَا مِنَ الْأَصْلَابِ الطَّاهِرَةِ إِلَى الْأَرْحَامِ الزُّكِّيَّةِ ، فَوَجِبَ بِهَذَا أَنْ يَكُونَ آبَاؤُهُمْ كُلُّهُمْ مِنْزُهِينَ عَنِ الشُّرْكِ ، لِأَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا عِبْدَةَ أَصْنَامٍ لَمَا كَانُوا طَاهِرِينَ ﴿٤﴾ .

قالوا : وروي بِأَسَانِيدَ كَثِيرَةٍ ، بَعْضُهَا عَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ . وَبَعْضُهَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي قَحَافَةَ ، أَنَّ أبا طَالِبٍ مَا مَاتَ حَتَّى قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ . والخبر مشهور .

وبالرَّغْمِ مِنْ كُلِّ هَذِهِ الْأَشْعَارِ وَالرَّوَايَاتِ وَالْأَخْبَارِ ، فَعِنْدَ الْمَغْرُضِينَ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ ، وَالَّذِينَ يَكْرَهُونَ عَلِيّاً وَأَبَاهُ وَأَبْنَاءَهُ فَهُمْ يَرَوْنَ أبا طَالِبٍ وَعَبْدَ اللَّهِ وَآمَنَةَ جَمْرَاتٍ مِنْ جَمْرَاتِ جَهَنَّمَ . وَلَكِنَّ الدَّافِعَ الْأَسَاسِيَّ لِهَذِهِ الْأَقْوَالِ الْبَاطِلَةِ هُوَ التَّعَصُّبُ وَالتَّحَامُلُ عَلَى أَبِي نَبِيِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَعَمَّهُ أَبِي طَالِبٍ الشَّاعِرُ الْكَبِيرُ ، شَاعِرُ الثَّوْرَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الْكُبْرَى .

(١) سورة النساء: آية ١١٤ .

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج ١٤ ص ٦٨ .

(٣) شرح النهج له ، ج ١٤ ص ٦٩ .

(٤) شرح النهج له ، ج ١٤ ص ٦٧ .

فوالله لو وُجِدَتْ قصيدة واحدة في شعر أي إنسان لا يمتُّ إلى الأسرة النبوية بصلةٍ ، لأتفق الكلّ على إسلامه . لكنّ جميع هذه القصائد التي تضحّ بالإيمان والإخلاص والحب لا تدلّ على إسلام أبي طالب ، لأنّهم هكذا يريدون . وفي هذا الافتراء على شاعر الثورة النبوية العجب العجيب .

وإذا أردتَ أيها القارئ أن تطلّع على الحجّة الدافعة ضدّ هؤلاء المغرضين فاستمع إلى ما يقوله شاعرنا الكبير:

رَوَيْتُمْ أَنَّ نَبِيَّ الْهَدْيِ قَالَ اصْطَفَى اللَّهُ بَنِي هَاشِمٍ
وَبَيْنَ الْأَخْيَارِ وَاخْتَارَنِي مِنْ خَيْرِ بَيْتٍ جَاءَ فِي الْعَالَمِ
وَبَعْدَ ذَا دَنْتُمْ بِتَكْفِيرِهِمْ لَتُظْهِرُوا سَبَّ أَبِي الْقَاسِمِ
وَذَاكَ فِي إِدْخَالِ آبَائِهِ فِي لَعْنَةِ الْكَافِرِ وَالظَّالِمِ

قال العلامة ابن شهر آشوب المازندراني في كتابه «متشابهات القرآن» عند قوله تعالى : ﴿وَلْيَنْصِرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ في سورة الحج : إِنَّ أَشْعَارَ أَبِي طَالِبٍ الدَّالَّةَ عَلَى إِيْمَانِهِ تَزِيدُ عَلَى ثَلَاثَةِ آلَافٍ بَيْتَ يَكْشِفُ فِيهَا مِنْ يَكْشِفُ النَّبِيَّ ﷺ ، وَيَصَحِّحُ نُبُوته . ثُمَّ ذَكَرَ جُمْلَةً ضَافِيَةً ، وَمِمَّا ذَكَرَ لَهُ قَوْلُهُ فِي وَصِيَّتِهِ :

أَوْصِي بَنَصْرَ نَبِيِّ الْخَيْرِ أَرْبَعَةً ابْنِي عَلِيًّا وَشَيْخَ الْقَوْمِ عَبَّاسًا
وَحَمْزَةَ الْأَسَدِ الْحَامِي حَقِيقَتَهُ وَجَعْفَرًا أَنْ تَذُودُوا دُونَهُ النَّاسَا
كُونُوا فِدَاءً لَكُمْ أُمِّي وَمَا وَلَدْتُ فِي نَصْرِ أَحْمَدَ دُونَ النَّاسِ أَتْرَاسَا

وهناك عدّة أخبار تثبت أنّ أبا طالب آمن بالدعوة المحمدية منذ اللحظة الأولى لانطلاقها، وأنّه كان هو المناضل القوي لحمايتها.

أخرج فقيه الحنابلة إبراهيم بن علي بن محمّد الدينوري في كتابه «نهاية الطلب وغاية السؤل في مناقب آل الرّسول» بإسناده عن طاووس عن ابن عباس في حديث طويل : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِلْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَنِي بِإِظْهَارِ أَمْرِي، وَقَدْ أَنْبَأَنِي وَاسْتَنْبَأَنِي فَمَا عِنْدَكَ؟ فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ: يَا بَنَ أَخِي تَعْلَمُ أَنَّ قَرِيشًا أَشَدَّ النَّاسِ حَسَدًا لَوْلَدِ أَبِيكَ. وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْخَصْلَةُ كَانَتْ الطَّامَةُ الطَّمَاءَ وَالذَّاهِيَةَ الْعَظِيمَةَ، وَرَمِينَا عَنْ قَوْسٍ وَاحِدٍ، وَانْتَسَقُونَا نَسَقًا. صِلْنَا وَلَكِنْ قَرِيبٌ إِلَى عَمِّكَ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنَّهُ كَانَ أَكْبَرَ أَعْمَامِكَ. إِنْ لَا يَنْصُرُكَ لَا يَخْذُلُكَ وَلَا يَسْلَمُكَ. فَأَتِيَاهُ فَلَمَّا رَأَاهُمَا أَبُو طَالِبٍ قَالَ: إِنَّ لَكُمَا لَظَنَّةً وَخَبْرًا. مَا جَاءَ بِكُمَا فِي هَذَا الْوَقْتِ، فَعَرَّفَهُ الْعَبَّاسُ مَا قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَمَا أَجَابَهُ الْعَبَّاسُ. فَنَظَرَ إِلَيْهِ أَبُو طَالِبٍ وَقَالَ لَهُ: أَخْرِجْ ابْنَ أَبِي! فَإِنَّكَ الرَّفِيعَ كَعْبًا، وَالْمَنِيعَ حَزْبًا، وَالْأَعْلَى أَبًا. وَاللَّهُ لَا يَسْلُقُكَ لِسَانٌ إِلَّا سَلَقَتْهُ أَلْسُنُ حَدَادٍ، وَاجْتَذَبَتْهُ سَيُوفُ حَدَادٍ. وَاللَّهُ لَتُذَلَّنَّ لَكَ الْعَرَبُ ذُلَّ الْبَهْمِ لِحَاضِنِهَا. وَلَقَدْ كَانَ أَبِي يَقْرَأُ الْكِتَابَ جَمِيعًا. وَلَقَدْ قَالَ: إِنَّ مِنْ صُلْبِي لَنَبِيًّا، لَوَدِدْتُ أَنِّي أَدْرَكْتُ ذَلِكَ الزَّمَانَ فَأَمَنْتُ بِهِ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْ وَلَدِي فَلْيُؤْمِنْ بِهِ.

قال الأُمِينِي: أَتَرَى أَنَّ أَبَا طَالِبٍ يَرُوي ذَلِكَ عَنْ أَبِيهِ مَطْمَئِنًّا بِهِ؟ فَيَنْشِطُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا التَّنْشِيطَ لِأَوَّلِ يَوْمِهِ، وَيَأْمُرُهُ بِإِشْهَارِ أَمْرِهِ، وَالْإِشَادَةَ بِذِكْرِ اللَّهِ، وَهُوَ مُخْبِتٌ بِأَنَّهُ هُوَ ذَلِكَ النَّبِيُّ الْمَوْعُودُ بِلِسَانِ أَبِيهِ، وَالْكِتَابِ السَّالِفَةِ، وَيَتَكَهَّنُ بِخُضُوعِ الْعَرَبِ لَهُ. أَتَرَاهُ - سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ - يَأْتِي بِهَذِهِ كُلِّهَا ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِهِ؟ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ^(١).

وإِلَيْكَ أَيُّهَا الْقَارِئُ مَا ذَكَرَهُ الشَّيرَازِي فِي حَضْرَةِ أَبِي طَالِبٍ وَلَدَهُ عَلِيًّا عَلَى اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ وَاعْتِنَاقِ دِينِهِ. فَفِي اتِّبَاعِهِ الْفُوزُ وَالْفَلَاحُ.

أَخْرَجَ أَبُو بَكْرٍ الشَّيرَازِي فِي تَفْسِيرِهِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ أَتَى الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَقَامَ يَصَلِّي فِيهِ. فَاجْتَاَزَ بِهِ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ ابْنُ تِسْعِ سَنِينَ. فَنَادَاهُ يَا عَلِيُّ! إِلَيَّ أَقْبِلْ. فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ مُلَبِّيًّا. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ خَاصَّةً، وَإِلَى الْخَلْقِ عَامَّةً. فَقِفْ عَنْ يَمِينِي، وَصَلِّ مَعِي». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ!! حَتَّى أَمْضِيَ وَأَسْتَأْذِنَ أَبَا طَالِبٍ وَالِدِي.

(١) الغدير: للأُمِينِي، ج ٧ ص ٣٤٨.

فقال له : اذهب ، فإنه سيأذن لك ، فانطلق إليه يستأذنه في أتباعه . فقال : يا ولدي ! تعلم أن محمداً أمين الله منذ كان . أمضِ إليه واتبعه تُرشد وتفلح . فأتى عليّ عليه السلام ، ورسول الله ﷺ قائم يصلي في المسجد . فقام عن يمينه يصلي معه . فاجتاز أبو طالب بهما ، وهما يصليان . فقال : يا محمد ما تصنع ؟ قال : «أعبدُ إلهَ السموات والأرض . ومعِي أخي عليّ يعبد ما أعبد . وأنا أدعوك إلى عبادة الواحد القهار» . فضحك أبو طالب حتى بدت نواجذه وأنشأ يقول :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينا
إلى آخر الأبيات . هذه شواهد وأدلة من كتب أهل السنة تثبت إيمان أبي طالب . وأهل البيت مجمعون على إيمان أبي طالب ، وإجماعهم حجة . ومن أراد المزيد والتوسع في الدلالة على إيمان أبي طالب فليراجع كتاب (الغدير) للشيخ أحمد الأميني . فهو يذكر أربعين حديثاً في إيمان أبي طالب من ص ٣٨٥ - ٤٠١ من الجزء السابع فليراجع . وكتاب العلامة البرزنجي الشافعي ، وتلخيصه الموسوم بأسنى المطالب لمفتي الشافعية السيد أحمد زيني دحلان .

ونختم بحثنا هذا بحديث وردّه منصف من أهل السنة لمس الحقيقة فأعلنها مدوية في سمع الزمن غير هيّاب ولا وجل من الذين ناصبوا العداة لعلي وأبيه وأسرته المطهرة . هذا المنصف هو سبط ابن الجوزي . فقد ذكر في (تذكرته) عن أبي سعيد مرفوعاً بالإسناد إلى الواقدي . قال : قال علي عليه السلام : لما توفي أبو طالب أخبرت رسول الله ﷺ ، فبكى بكاءً شديداً ، ثم قال : اذهب فغسله وكفنه وآواه غفر الله له ورحمه . فقال له العباس : يا رسول الله إنك لترجوه . فقال : إي والله لأرجوه . وجعل رسول الله ﷺ يستغفر له أياماً لا يخرج من بيته . وقال الواقدي : قال ابن عباس : عارض رسول الله صلى الله عليه وآله جنازة أبي طالب وقال : «وَصَلِّتُكَ رَحِمٌ ، وَجَزَاكَ اللهُ يَا عَمَّ خَيْراً»^(١) .

(١) التذكرة ص ١٠ ط ٢ عام ١٩٦٩ م ، منشورات المطبعة العلمية بالنجف .

وأسمعه يقول: أقول لكون أبي طالب من أهل الجنة ما لا ينبغي التأمل، وأن شواهد أكثر من أن تذكر. منها: اهتمامه بكفالة النبي المختار، ونصرته له، واهتمامه بدفع أذى الأشرار والكفار عنه، وجزع النبي ﷺ عليه عند موته، وتسمية عامه بعام الحزن لموته، وموت خديجة، وترحمه واستغفاره له، خصوصاً في طول أيامه، ولا يرتاب في استجابة دعائه ﷺ لا سيما مع الإصرار، كما في رثاء أمير المؤمنين له، خصوصاً قوله عليه السلام: «ولقاك ربك رضوانه» والرضوان أعلى من الغفران. وقوله عليه السلام: أبي يدخل في النار، وأنا قسيم الجنة والنار؟ إلى غير ذلك من الشواهد والمؤيدات.

ويقول سبط ابن الجوزي أيضاً: ولم يؤرخ أحد من أعداء ولده بأن أباك من الكفار. فهذا معاوية أعدى أعداء منازعيه. وهذا عمرو بن العاص. وهذا عبدالله بن الزبير. وهذا مروان وغيرهم مع قدحهم فيه عليه السلام وإسنادهم ورميهم إليه ما هو بريء منه، وما عابوه وما شنعوا عليه بذلك. وهو عليه السلام يذكرهم بكفر الآباء والأُمّهات وذرالة النسب. وما قابلوه بالمثل. بل هذا أقوى شاهد على إسلامه، وعلى شدة تعصب من أسند الكفر إليه من العامة. فانظر أيها المنصف إلى سوء سريرة أشباه الخفافيش في عداوتهم لشمس الإسلام ونوره، وأن أبا طالب توفي قبل البعثة. فلو فرضنا أنه لم يؤمن بالرسول ﷺ لا يجري عليه لفظ الكفر ولا حكمه، فإن الإلزام بالإسلام والتكليف من فروع البعثة... إلى آخر حديثه^(١).

والخلاصة أن إيمان أبي طالب شاعر الدعوة المحمدية لا يرتاب به منصف يقرأ أشعاره وأخباره. أما الذي يتسرّب التعصب إلى قلبه فيصمه بالكفر، ويأنه جمرة من جمرات جهنم، فإنه يضمّر الشر للإمام ويناصبه أكثر ممّا ناصبه معاوية وابن العاص وابن الزبير ومروان وغيرهم، بشهادة منصف سني. ونحن نقول بأن الإيمان لم يتسرّب إلى قلب من وصمه بالكفر، لأن

(١) التذكرة، ص ١٠ ط ٢ عام ١٩٦٩ م، منشورات المطبعة العلمية بالنجف.

حُبُّ عليٍّ إيمان . وإن كنا نحبه فعلينا أن نتخذ كلامه ثقةً ، وهو القائل : والذي بعث محمّداً بالحق لو شفع أبي في كلِّ مذهبٍ على وجه الأرض لشفّعه الله فيهم . ولكن لا جريمة لك يا أبا طالب سوى أنّك والدُ عليٍّ . لذلك لا خلاص لك من هذه المشكلة مهما ردّدتَ وغرّرتَ بإسلامك وإيمانك .

الفصل الثاني

الجو الرهيب الذي تمت فيه المؤامرة ضد علي وأهل بيته

لو أمعنا النظر في كتب التاريخ الإسلامية لوجدنا أن الحقد لم يتجسم في النفوس ضد رجلٍ مثلما تجسّم ضدّ علي بن أبي طالب، وذلك لأنّه قتل صناديد العرب ورؤساءها ليثبت دعائم الدين الإسلامي. وكان آباء من قتلهم وأبناءؤهم وإخوانهم وعشائريهم لم يزالوا موجودين. وبعضهم دخل الإسلام كرهاً وخوفاً من السيف. ومنهم من دخل عن عقيدة. ولكن لم تخفف هذه العقيدة ما في نفسه وطباعه من الغيظ. فإذا كان نبيّ هذه الأمة لم يستطع النظر إلى قاتل عمّه (حمزة)، فقال: غيب وجهك عني. وهو أكمل الخلق، فكيف بغيره؟ سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً. وتلا ذلك دولة بني أمية، وبقيت أكثر من ثمانين، وهي تظهر بغضه والبراءة منه، ولعنه والاجتهاد في كتمان فضائله، ومنع أحدٍ أن يُسمّى باسمه.

كان علي بن عبد الله بن العباس يكنى أبا الحسن، فدخل على عبد الملك، فسأله عن إسمه وكنيته. فبعد أن تسمّى له، قال له: غيّر إسمك وكنيتك، فلا صبر لي على إسمك وكنيتك، ومنعوا أحداً أن يحدث عنه. فإذا اضطرّ متحدث أن يتحدث عنه كان يقول: حدّثني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله. وأحياناً يقول: حدّثني أبو زينب، أو قال رجل من قريش. وفعل رجل من قريش، ولا يذكر إسمه ولا يتفوّه به ^{الملك}. فتقرّب

إليهم الناس ببغضه، ورواية الأحاديث في ذمه، وإخفاء فضائله. واستمر ذلك حتى الوقت الحالي، لما أسسه علماء السوء في كتبهم، فكثير من الناس لا يستطيع أن يسمع له منقبة أو فضيلة، حتى أنكروا نهج البلاغة، ونسبوه للرضي، والحافظ الذهبي نسب كلامه إلى الركة، مع أنه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق.

ولقد حاول جميع المختلفين نقض فضائله، ووجهوا الحيل والتأويلات نحوها من خارجي مارق وناصبي حق، وثابت مستبهم، وناشي معاند، ومنافق مكذب، وعثماني حسود، يعترض فيها ويطعن، ومعتزلي قد نقض في الكلام، وأبصر علم الاختلاف، وعرف الشبه ومواضع الطعن، وضروب التأويل، قد التمس الحيل في إبطال مناقبه وتأول مشهور فضائله. فمرة يتأولها بما لا يحتمل، ومرة يقصد أن يضع من قدرها بقياس منتقض، ولا يزداد مع ذلك إلا قوة ورفعة، ووضوحاً واستنارة^(١).

ثم ما لبثوا أن اختلقوا الأخبار الملفقة في حقه، وكيف لا تخلق؟ ومعاوية هو العدو الألد لعلي. لقد كتب إلى عمار، أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضائل أبي تراب وأهل بيته. فقامت الخطباء على كل منبر يلعنون علياً، ويشروون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته، حتى أن عدد المنابر التي يُلعن عليها عليّ لتربو على السبعين ألف منبر^(٢)، والعامّة للخطباء مستجبيون. فنشأ لحمهم ودمهم وعروقهم على كره علي، والبراءة منه، وسبه في كل صلاة. وكانت الكوفة أشد الناس بلاءً. فاستعمل عليهم وعلى البصرة زياد بن سمية، فقتل الشيعة تحت كل حجر ومدر. وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وشردهم فلم يبق بينهم معروف^(٣).

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ١٣ ط ١٩٦١ م، دار إحياء الكتب العربية، ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(٢) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي.

(٣) راجع كتاب سليم بن قيس الهلالي، ص ١٨٠، المطبعة الحيدرية في النجف.

ثم يعود معاوية ليكتب إلى عماله في جميع الآفاق أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، ثم يخصص لمن يروي في فضائل عثمان وشيعته عطاءً وفيراً ومنزلةً عالية. فكثرت الفضائل والمناقب لعثمان بكثرة الحلبي والهدايا والصلوات، واستمروا حيناً، ثم كتب إلى عماله أن الحديث قد كثر وفشا في كل مصر، وفي كل وجه وناحية. لذلك فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين. ولا تتركوا خبراً يرويه أحداً من المسلمين في أبي تراب إلا واتوني بمناقض له في الصحابة مفتعلاً، فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشد إليهم من مناقب عثمان وفضله. وأخذ الناس يروون في مناقب الصحابة مملاً لا حقيقة له، ثم أشادوا بذلك على المنابر، وفي مكاتب الصبيان حتى روه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، فلبثوا على ذلك ما شاء الله (١).

وأخذ الخيال يخلق فينشئ الأخبار، ويكثر، والسلطة الحاكمة تروج هذه الأخبار بغرض الربح المادي.

ثم يعود معاوية ليحقق المؤامرة كاملة ضد علي. فيكتب إلى عماله: انظروا إلى من قامت عليه البيعة أنه يحب علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه. ثم كتب إليهم كتاباً آخر قائلاً: «من اتهمتموه بموالة هؤلاء القوم فنكلوا به، وأهدموا داره. فاشتد البلاء. فكان الرجل من شيعة علي: إذا أراد أن يحدث من يثق به يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن سره. فظهرت في هذا العهد الأحاديث الموضوعة. واستمر القضاء والعلماء والولاة على ذلك، وخاصّة القراء المراءون، فكانوا يفتعلون الأحاديث ليصيبوا من الأموال والضياع، فتصل إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب فينقلونها ويروونها وهم يظنون أنها حق» (٢). ولو علموا أنها باطل لم يرووها ولم يتدينوا بها، فصار الحق في ذلك الزمان باطلاً، والباطل حقاً، والصدق

(١) راجع كتاب سليم بن قيس، ص ١٨١.

(٢) راجع كتاب سليم بن قيس بذلك.

كَذِباً، والكذب صِدْقاً. وقد قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: «لَتَشْمَلَنَّكُمْ فِتْنَةٌ يَرْبُو فِيهَا الْوَلِيدُ، وَيَنْشَأُ فِيهَا الْكَبِيرُ، يَجْرِي النَّاسُ عَلَيْهَا وَيَتَّخِذُونَهَا سُنَّةً، فَإِذَا غُيِّرَ مِنْهَا شَيْءٌ قَالُوا: أَتَى النَّاسَ مِنْكَرٌ غَيَّرَ السُّنَّةَ»^(١).

واستمرَّ معاوية على هذا الحال يشتري الضمائر، ويبيع الذمم والغاية منها محاربة علي. فهو لا يتورع أن يذيع بين أهل الشام - ممَّن لا يفرق بين الناقة والجمل - بأنَّ علياً لا يصلي، وأنَّ علياً هو الذي أهرق دم عثمان. وليس هناك دينٌ أو خلق قويم، أو إنسانية رفيعة تقف أمام هذا الرجل، لتحذ من طغيان شهوته، بل أُطْلِقَتْ لشهوته العنان. فأخذت تتفنن في المنكر، وتفاخر بالباطل، وليس من يغضب^(٢).

(١) راجع كتاب سليم، ص ١٨١ - ١٨٢.

(٢) من يستكبر على معاوية ذلك، وهو عند رجال الدين الصحيح الأبرار الصادقين شرُّ أهل زمانه. ذكر الأميني في كتابه (الغدير)، الجزء العاشر، ص ١٣٨، ثمانين رواية تثبت سوء منبت معاوية، وكرهه لآل محمَّد، واعترافه بأنَّه شرُّ أهل زمانه، وبأنَّ ماواه اللعين بن اللعين، الفاجر بن الفاجر، المنافق بن المنافق، الطليق بن الطليق، الوثن بن الوثن، الجلف المنافق، الأغلف القلب، القليل العقل، الجبان الرذل، فاسق مهتوك ستره، ابن آكلة الأكباد، الكذاب العسوف. لم يزل عدوَّ الله ورسوله وسنة القرآن والمسلمين. لم يكن في إسلامه بأبرَّ وأتقى ولا أرشد ولا أصوب منه في أيام شركه وعبادته للأصنام.

فعن علي بن الأقرم، عن عبدالله بن عمر، قال: خرج رسول الله من فجٍّ، فنظر إلى أبي سفيان وهوراكب، ومعاوية وأخوه أحدهما قائد، والآخر سائق، فلما نظر إليهم رسول الله قال: «اللَّهُمَّ العن القائد والسائق والراكب». قلنا: أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك؟ قال: نعم، وإلا فصمت أذناي، كما عميت عيناي. كتاب (صيفين لنصر بن مزاحم)، طبع مصر، ص ٢٤٧.

وفي تاريخ الطبري، ج ١١ ص ٣٥٧، قال: قد رأى رسول الله ﷺ أبا سفيان مقبلاً على حمار، ومعاوية يقود به، ويزيد ابنه يسوق به. قال: «لعن الله القائد والراكب والسائق». وإلى هذا الحديث أشار الإمام السبط فيما يخاطب به معاوية بقوله: أنشدك الله يا معاوية: أتذكر يوم جاء أبوك على جمل أحمر، وأنت تسوقه، وأخوك عتبة هذا يقوده، فراكم رسول الله ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ العن الراكب والقائد والسائق». وإليه أشار محمَّد بن أبي بكر في كتاب كتبه إلى معاوية بقوله: «وأنت =

دعا إليه سَمُرَة بن جندب فبذل معاوية له مائة ألف درهم ليروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام. وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾^(١). وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم، وهي قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾^(٢) فلم يقبل. فبذل له مائتي ألف درهم، فلم يقبل. فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقبل، وروى ذلك^(٣). وهكذا بمال الله يحارب أولياء الله، وبمال الإسلام يجهز عليه به، وبمال المسلمين تشوه قداسة مبدئهم الرفيع.

= اللعين ابن اللعين». وفي كتاب (صفين)، طبع مصر، ص ٢٤٤، ذكر عن البراء بن عازب قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم العن التابع والمتبوع. اللهم عليك بالأقييس». فقال ابن البراء لأبيه: من الأقييس؟ قال: معاوية. وفي تاريخ الطبري، الجزء ١١ ص ٣٥٧ ما يلي: إن رسول الله ﷺ قال: «يطلع من هذا الفج رجل من أمتي يحشر على غير ملتي». فطلع معاوية. وأخرج نصر بن مزاخم في كتاب (صفين) وابن عدي، والعقيلي، والخطيب، والمناوي من طريق أبي سعيد الخدري، وعبدالله بن مسعود مرفوعاً: إذا رأيت معاوية على منبري فاقتلوه.

وذكر أبو المنذر في المثالب: كان معاوية لأربعة: لعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي، ولمسافر بن عمر، ولأبي سفيان، ولرجل آخر قال: وكانت هند من المعتلمات. وكان أحب الرجال إليها السودان. وكانت إذا ولدت أسود قتلتها. وقصة يزيد وعمته مشهورة خلاصتها: إنه تعشقه، وكانت بكرأ فاستحى منها. فأراد أن يمتحنها، فأتى بها إلى بستان، وأمر أن يغزو حصان على فرس، وعمته تنظر إليهما. فلما تمت عملية النزول أمر عمته بالقيام من مكانها. فرأى إراقة المني في مكانها. فعلم بإرادتها. فلما جامعها لم يجدها بكرأ، فقال لها: أين بكارتك؟ فقالت له: إن أباك لم يترك بكرأ، فظهر أن معاوية كان مخالطاً لها، وهذا العجب العجيب.

(١) سورة البقرة: آية ٢٠٤ و ٢٠٥.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٠٧.

(٣) شرح النهج: لابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي، الجزء الرابع، ص ٧٣، طبعة

وبهذا الشكل عقد معاوية الصُّفقات الزائفة مع عددٍ كبيرٍ منهم: أبو هريرة، وعمرو بن العاص^(١)، والزَّاني المغيرة بن شعبة، وعروة بن الزُّبير فاختلقوا الأخبار القبيحة التي تحمل بين حروفها الطعن على علي، والبراءة منه، حتَّى أنَّ الزُّهري حدَّثه عروة بن الزُّبير أنَّه قال: حدَّثتني عائشةُ قالت: كُنْتُ عند رسول الله إذ أقبل العباس وعلي. فقال: يا عائشة إنَّ هذين يموتان على غير ملتي - أو قال: ديني^(٢).

وحديثُ ثانٍ عنه: أنَّ النَّبي صَلَّى الله عليه وآله قال لعائشة: «إنَّ سرَّك أن تنظري إلى رجلين من أهل النَّار، فانظري إلى هذين قد طلعا»، فنظرت، فإذا العباس وعلي بن أبي طالب^(٣).

أمَّا عمرو بن العاص، فروي عنه الحديث الَّذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما مسنداً متصلاً بعمرو بن العاص. قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنَّما وليي الله وصالح المؤمنين»^(٤).

(١) أبوه هو الأبر بنص الذكر الحكيم: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، راجع الطبقات: لابن سعد، ج ١ ص ١١٥، والمعارف: لابن قتيبة، ص ١٢٤، وتاريخ ابن عساكر، ج ٧ ص ١٣٠. وقصته مع النجاشي لطرد المهاجرين، وقتل جعفر بن أبي طالب معروفة. وأمه (النابعة) فقد ذكر الزمخشري في كتابه (ربيع الأبرار) قال: كانت النابعة أم عمرو بن العاص بغياً، ثم أعتقها عبد الله بن جدعان التيمي بمكة بعد أن اشتراها، فوقع عليها أبو لهب بن عبد المطلب، وأمّية بن خلف، وهشام بن المغيرة، وأبو سفيان بن حرب، والعاص بن وائل السهمي في طهرٍ واحد فولدت عمراً، فادَّعاه كلُّهم فحكمت أمه فيه. فقالت: هو من العاص. لأنَّه كان ينفق عليها كثيراً. قالوا: كان أشبه بأبي سفيان. وفي ذلك يقول أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب في عمرو بن العاص: (أبوكَ أبو سفيان لا شكَّ قد بدت - لنا فيك منه - بينات الشَّماثل).

(٢) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٤ ص ٣٥٨، من المجلد الأوَّل.

(٣) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٤ ص ٣٥٨، من المجلد الأوَّل.

(٤) شرح النهج، ج ٤ ص ٦٤ ط ١٩٥٩ م، دار إحياء الكتب العربيَّة.

وقال أبو جعفر الإسكافي^(١) في روايته عن الأعمش، قال: لما قَدِمَ أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة، جاء إلى مسجد الكوفة، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه، ثم ضرب صلته مراراً، وقال: يا أهل العراق، أتزعمون أنني أكذب على الله وعلى رسوله، وأحرق نفسي بالنار؟ والله لقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَرَمًا، وَإِنَّ حَرَمِي بِالْمَدِينَةِ، مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّ عَلِيًّا أَحْدَثَ فِيهَا». فلما بلغ معاوية قوله أجازته وأكرمه وولاه إمارة المدينة^(٢).

مضى هذا العصر المظلم ليعقبه عصرٌ أشدُّ ظلمةً، وأحلك رفعةً، جاء عصر أخذوا فيه لعنَ عليٍّ «سنةً». فإن سها الخطيب أو إمام الجماعة عن لعن عليٍّ مرةً واحدةً، أخذتهُ الجلبة الصاعدة إليه من كلِّ مكان تطالبه، هاتفةً: السُّنةُ السُّنةُ!! فيعرف حينذاك أيَّ خطأ ارتكب، وأية سنة ترك^(٣).

وصادف أن خطيباً من خطبائهم بمصر نسي اللعنة في الخطبة. فلما ذكرها قضاها في الطريق. فُبني في ذلك الموضع مسجد، وسموه مسجد الذكر وهم يتبركون به^(٤).

فمعاوية قد حفر في كلِّ قلب أمويٍّ هذه الكلمة التي تتصدع لهولها الجبال، وتنفطر السموات. فكانوا يختمون خطبة الجمعة بقولهم: «اللَّهُمَّ إِنَّ أبا تراب ألحد في دينك، وصدَّ عن سبيلك، فالعنه لعناً وبيلاً، وعذبه عذاباً أليماً». واستمرَّ هذا اللعن حتى خلافة عمر بن عبد العزيز^(٥).

(١) هو أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي، من متكلمي المعتزلة وأحد أئمتهم، وإليه تنسب الطائفة الإسكافية وهو بغدادى أصله من سمرقند. وكان عجيب الشأن في العلم والذكاء.

(٢) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٤ ص ٦٧، نفس المطبعة.

(٣) مؤمن آل قريش: للخنيزي.

(٤) كتاب المنتخب: للطريحي، تأليف فخر الدين الطريحي، ط ١، المطبعة العلمية في النجف.

(٥) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٢ ص ٥٦ - ٥٧.

لقد بلغ معاوية ما أُمِّل، إذ أبقي شَتَمَ عليٍّ ولعنه بدعةً، رُبِّي عليها الصَّغير، وهرم فيها الكبير. روى الواقدي أنَّ معاوية لَمَّا عاد من العراق إلى الشَّام بعد بيعة الحسن عليه السَّلام، واجتمع النَّاس إليه، خطب فقال: أيُّها النَّاس: إنَّ رسول الله ﷺ قال لي: «إِنَّكَ ستلي الخلافة من بعدي، فاختر الأرض المقدَّسة، فَإِنَّ فِيهَا الأبدال، وقد اخترتكم، فالعنوا أبا تراب»، فلعنوه، فلَمَّا كان من الغد كتب كتاباً، ثم جمعهم فقرأ عليهم وفيه: «هذا كتابُ كتبه أمير المؤمنين معاوية، صاحب وحي الله الذي بعث محمداً نبياً. وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب. فاصطفى له من أهله وزيراً كاتباً أميناً. فكان الوحي ينزل على محمد، وأنا أكتبه. وهو لا يعلم ما أكتبُ. فلم يكن بيني وبين الله أحدٌ من خلقه». فقال له الحاضرون كلُّهم: صدقت يا أمير المؤمنين (١).

وروى الزبير بن بكار في (الموفقيات) وهو من المنحرفين عن عليٍّ، ولا يعتقد اعتقاد الشيعة. قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلتُ مع أبي علي معاوية، فكان أبي يأتيه، فيتحدث معه، ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلةٍ، فأمسك عَنِ العشاء، ورأيتُه مغتماً فانتظرتُه ساعةً، وظننتُ أَنَّهُ لأمرٍ حَدَثَ فينا، فقلتُ: ما لي أراك مغتماً منذ الليلة؟ فقال: يا بني، جئتُ من عند أَكفر النَّاس وأخبثهم. فقلتُ: وما ذاك؟ قال: قلتُ له وقد خلوتُ به: إِنَّكَ قد بلغتُ سنّاً يا أمير المؤمنين. فلو أظهرتَ عدلاً، وبسطت خيراً فَإِنَّكَ قد كبرتَ، ولو نظرتَ إلى إخوانك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم. فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه. وإنَّ ذلك مِمَّا يبقى لك ذكره وثوابه. فقال: هيهات هيهات! أيّ ذكرٍ أرجو بقاءه! مَلِكٌ أخوتيم فعدَل، وفعل ما فعل. فما عدا أن هلكَ حتى هلكَ ذكره، إلَّا أن يقول قائل: أبو بكر. ثمَّ ملك أخو عدي، فاجتهدَ وشمرَ عشر سنين، فما عدا أن هلكَ حتَّى هلكَ ذكره، إلَّا أن يقول قائل: عمر. وإنَّ ابن أبي كبشة ليُصاح به كلَّ يوم خمس

(١) شرح النهج، ج ٤ ص ٧٢، نفس المطبعة.

مرّات : «أشهد أنّ محمّداً رسول الله»، فأَيُّ عمل يبقى ؟ وأيُّ ذكرٍ يدوم بعد هذا؟ لا أباً لك إلا واللّه إلا دَفَنَّا دَفْنَا^(١).

ولمعاوية نظائر وأمثال في مواقفه البغيضة. فهذا خالد بن عبد الله القسري يصعد المنبر في العراق في ملك هشام، فيلعن علياً وفاطمة والحسن والحسين. ويقول مرّة أخرى بعد أن انتهى من شتمه لعلي، حيث خطب الناس في يوم جمعة، فلم يكتف بالقربى من الله بشتم علي دون النّيل من الرّسول الأعظم، فقال: «والله إن كان رسول الله ليستعمله - يعني علياً - وأنّه ليعلم ما هو! ولكنّه كان ختنه»^(٢).

وقد نعس سعيد بن المسيّب ففتح عينيه، ثم قال: ويحكم! ما قال هذا الخبيث؟ رأيت القبر انصدع ورسول الله ﷺ يقول: «كذبت يا عدو الله».

وروى القتّاد: قال: حدّثنا أسباط بن نصر الهمداني، عن السّدي قال: بينما أنا بالمدينة عند أحجار الزّيت، إذ أقبل راكبٌ على بعير، فوقف فسبّ علياً عليه السلام. فحفّ به الناس ينظرون إليه. فبينما هو كذلك إذ أقبل سعد بن أبي وقاص، فقال: اللهم إن كان سبّ عبداً لك صالحاً، فأر المسلمين خزيه، فما لبث أن نفر به بعيره، فسقط فاندقت عنقه^(٣).

ولقد توسّط ابن عبّاس عند معاوية لرفع الشّتم عن علي عليه السلام. فهل نجحت الوساطة؟ روى العبّاس بن بكار الضّبي، قال: حدّثني أبو بكر الهذلي، عن الزّهري، قال: قال ابن عبّاس لمعاوية: ألا تكفّ عن شتم هذا الرّجل؟ قال: ما كنت لأفعل حتّى يربو عليه الصّغير، ويهرم فيه الكبير. فلمّا ولي عمر بن عبد العزيز كفّ عن شتمه. فقال الناس: ترك السّنة^(٤).

(١) شرح النّهج: لابن أبي الحديد، ج ٥ ص ١٢٩ - ١٣٠ ط ١٩٥٩ م، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) فلقد مَسَّ الرّسول حيث جعله عاطفياً يدور مع الهوى، مجاناً للحق والصّدق.

(٣) شرح النّهج: لابن أبي الحديد، ج ١٣ ص ٢٢١ - ٢٢٢.

(٤) شرح النّهج: لابن أبي الحديد، ج ١٣ ص ٢٢٢ ط ١٩٦١ م.

ولم تقتصر الوساطة على ابن عباس وحده. روى أبو عثمان أن قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين: إنك قد بلغت ما أملت. فلو كففت عن لعن هذا الرجل! فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكراً فضلاً^(١).

وكان بنو أمية وأعوانهم لا يقتصرون على اللعن من قبل أنفسهم فقط، بل يرغمون محبي علي عليه السلام على لعنه والبراءة منه. أمر المغيرة بن شعبة - وهو يومئذ أمير الكوفة من قبل معاوية - حجر بن عدي أن يقوم في الناس، فيلعن علياً عليه السلام، فأبى ذلك، فتوعده، فقام وقال: أيها الناس: إن أميركم أمرني أن ألعن علياً فالفنوه. فقال أهل الكوفة: لعنه الله! وأعاد الضمير إلى المغيرة بالنية والقصد^(٢). وهكذا فعل المغيرة بصعصعة بن صوحان، فنهج نهج حجر عليهما السلام.

وكانوا يكافئون من يساعدهم للقضاء على محبي علي. وكان بعضهم يعتبر شتم علي عليه السلام منقبة، ومحاربته منقبة، وأشياء وأشياء.

روى ابن الكلبي عن أبيه، عن عبد الرحمن بن السائب. قال: قال الحجاج يوماً لعبد الله بن هانئ، وهو رجل من بني أود، حي من قحطان، وكان شريفاً في قومه. قد شهد مع الحجاج مشاهد كلها. وكان من أنصاره وشيعته: والله ما كافأتك بعد! ثم أرسل إلى أسماء بن جارحة سيد بني فزارة، أن زوج عبد الله بن هانئ بابتك، فقال: لا والله ولا كرامة. فدعا بالسياط، فلما رأى الشر قال: نعم أزوجه. ثم بعث إلى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمانية. زوج من عبد الله بن أود. فقال: ومن أود! لا والله لا أزوجه. ولا كرامة! فقال: علي بالسيف! فقال: دعني حتى أشاور أهلي. فشاورهم، فقالوا: زوجة ولا تعرض نفسك لهذا الفاسق، فزوجه. فقال الحجاج لعبد الله:

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٤ ص ٥٧.

(٢) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٤ ص ٥٨، طبع ١٩٥٩ م.

قد زوّجتك بنت سيّد فزارة وبنت سيّد همدان، وعظيم كهلان وما أود هناك! فقال: لا تقل أصلح الله الأمير ذاك! فإنّ لنا مناقب ليست لأحدٍ من العرب. قال: وما هي؟ قال: ما سُبَّ أمير المؤمنين عبد الملك في نادٍ لنا قط، قال: منقبةٌ والله! قال: وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلاً، ما شهد منا مع أبي تراب إلّا رجل واحد. وكان والله ما علمته امرأً سوء. قال: منقبةٌ والله. قال: ومنا نسوة نذرْنَ إن قُتِلَ الحسين بن علي أن تنحر كلّ واحدةٍ عشر قلائص، ففعلن. قال: منقبةٌ والله. قال: وما منا رجلٌ عُرضَ عليه شتم أبي تراب إلّا فعل، وزاد ابنه حسناً وحُسيناً وأمهما فاطمة. قال: منقبةٌ والله. قال: وما أحدٌ من العرب له من الصّباحة والملاحاة ما لنا. فضجك الحجاج وقال: أمّا هذه يا أبا هانئ فدعها. وكان عبدالله دميماً شديداً الأومةً مجدوراً في رأسه عجر، مائل الشّدق أحول قبيح الوجه، شديد الحول^(١).

وبالرغم من الإرهاب والضّغط الشّديد من قبل السّلطة الحاكمة على الناس فإنّ الكثيرين عبّروا بأشعارهم عن هذه الجرائمِ والشّتائم. فهذا ابن سنان الخفاجي يقول في علي:

أعلى المنابر تعلنون بسبّه وبسيفه نُصِبَتْ لكم أعوادها

وإذا تصفّحنا كتب التّاريخ وجدنا من أعمال معاوية وولده يزيد وأعوانهم وبني مروان في شيعة علي وأهل بيته ما تقشّعر له الأبدان. فهذا معاوية الذي تنازل له الإمام الحسن السّبط، وعقد معه صلحاً حقناً لدماء شعبه، وعهد إليه ألاّ يسبّ أباه على منابر المسلمين، وما لبث أن خان وغدر وسبّ عليّاً، وجعل هذا السّبّ سنّةً متّبعةً في الحواضر الإسلامية كلّها.

وعهد إليه أن لا يتعرّضَ لشيعة أبيه بسوء، وقد قتلهم تقيلاً، واستقرأهم في البلاد تحت كلّ حجر ومدر. وعهد إليه أن لا يعود إلى أحدٍ بعده بالخلافة. ولكنه نكس وغدر. قال أبو إسحق السّبيعي: إنّ معاوية قال في

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد.

خطبته بالنخيلة: أَلَا إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ أُعْطِيَتْهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ لَا أَفِي بِهِ. قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: وَكَانَ وَاللَّهِ غَدَاراً^(١). وَدَسَّ إِلَيْهِ السَّمَّ النَّقِيعَ، فَلَقِيَ رَبَّهُ شَهِيداً. وَلَمَّا بَلَغَ مَعَاوِيَةُ نَبَأَ وَفَاتِهِ أَظْهَرَ فَرْحاً وَسُروراً، حَتَّى سَجَدَ وَسَجَدَ مَنْ كَانَ مَعَهُ. وَإِذَا كَانَ سَجْدَ لِمَوْتِ الْحَسَنِ السَّبْطِ فَلَقَدْ سَجَدَ لِمَوْتِ أَبِيهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَبْلَهُ. وَكَذَلِكَ اسْتَخْلَافَ يَزِيدَ وَقَتْلَهُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْرٌ مَشْهُورٌ، وَأُمُورٌ أُخْرَى يَنْدَى لَهَا جَبِينُ الْإِسْلَامِ خَجْلاً مِمَّا فَعَلَ الْمُسْلِمُونَ بِابْنِ بَنْتِ نَبِيِّهِمْ وَأَعْوَانِهِ وَمُحِبِّهِ.

وهذا سَمُرَةُ بْنُ جَنْدَبٍ وَاضِعُ الْأَحَادِيثِ الْمَفْتَعَلَةِ فِي عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ مِمَّنْ أَسْرَفُوا فِي قَتْلِ شِيعَةِ عَلِيٍّ عَلَى عِلْمٍ مِنْ مَعَاوِيَةَ، بَلْ بِأَمْرٍ مِنْهُ. أَخْرَجَ الطَّبْرِيُّ عَنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمٍ: قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ سِيرِينَ هَلْ كَانَ سَمُرَةُ قَتَلَ أَحَدًا؟ قَالَ: وَهَلْ يُحْصَى مِنْ قَتْلِ ابْنِ جَنْدَبٍ؟ اسْتَخْلَفَهُ زِيَادُ عَلَى الْبَصْرَةِ، وَأَتَى الْكُوفَةَ فَجَاءَ وَقَدْ قَتَلَ ثَمَانِيَةَ آلَافٍ مِنَ النَّاسِ. فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ: هَلْ تَخَافُ أَنْ تَكُونَ قَتَلْتَ أَحَدًا بَرِيئًا؟ قَالَ: لَوْ قَتَلْتُ إِلَيْهِمْ مِثْلَهُمْ مَا خَشِيتُ^(٢).

وأخرج الطَّبْرِيُّ عَنْ طَرِيقِ عُمَرَ بْنِ شُبَّةٍ، قَالَ: مَاتَ زِيَادٌ وَعَلَى الْبَصْرَةِ سَمُرَةُ بْنُ جَنْدَبٍ خَلِيفَةً لَهُ. فَأَقْرَأَ سَمُرَةَ عَلَى الْبَصْرَةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا. قَالَ عُمَرُ: وَبَلَغَنِي عَنْ جَعْفَرِ الضَّبِّيِّ قَالَ: أَقْرَأَ مَعَاوِيَةَ سَمُرَةَ بَعْدَ زِيَادٍ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ عَزَلَهُ. فَقَالَ سَمُرَةُ: لَعَنَ اللَّهُ مَعَاوِيَةَ وَاللَّهِ لَوْ أَطَعْتُ اللَّهَ كَمَا أَطَعْتُ مَعَاوِيَةَ مَا عَذَّبَنِي أَبَدًا.

وَجَدَّ زِيَادٌ فِي طَلَبِ أَصْحَابِ حَجَرٍ، وَهُمْ يَهْرَبُونَ مِنْهُ. وَيَأْخُذُ مَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ. فَجَاءَ قَيْسُ بْنُ عَبَّادٍ الشَّيْبَانِيُّ إِلَى زِيَادٍ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ أَمْرًا يُقَالُ لَهُ: «صَيْفِي بْنُ فَسِيلٍ» مِنْ رُؤُوسِ أَصْحَابِ حَجَرٍ، وَهُوَ أَشَدُّ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد أيضاً.

(٢) الغدير: للأميني، ج ١١ ص ٢٩ ط ١ عام ١٣٧٢ هـ.

فأتى به . فقال له زياد: يا عدو الله! ما تقول في أبي تراب؟ فقال: ما أعرف أبا تراب. قال: ما أعرفك به؟ أما تعرف علي بن أبي طالب؟ قال: بلى. قال: فذلك أبو تراب. قال: كلاً، ذاك أبو الحسن والحسين. فقال له صاحب الشرطة: أيقول لك الأمير: هو أبو تراب. وتقول: أنت لا؟ قال: فإن كذب الأمير أردت أن أكذب؟ وأشهد له بالباطل كما شهد؟ قال له زياد: وهذا أيضاً من ذنبك. علي بالعصا، فأتى بها. فقال: ما قولك في علي؟ قال: أحسن قول أنا قائله في عبد من عبيد الله أقوله في أمير المؤمنين. قال: اضربوا عاتقه بالعصا حتى يُلصق بالأرض. فضرب حتى لصق بالأرض، ثم قال: أقبلوا عنه. إيه ما قولك في علي؟ قال: والله لو شرحتني بالمواسي والمدى ما قلت إلا ما سمعته عني. قال: لتلعننه أو لأضربن عنقك. قال: إذن والله تضربها قبل ذلك، فأسعد وتشقى. قال: ادفعوا في رقبته. ثم قال: أوقروه حديداً واطرحوه في السجن. ثم قُتل مع مَنْ قُتل من حجر وأصحابه^(١).

وهل الامتناع عن لعن من حُبّه إيمان وبغضه نفاق يسوغ الضرب والحبس والقتل؟

وهذا نموذج من آلاف النماذج أقدمه ليلقي الضوء على هذا الجو الرهيب الذي لاقى به محبّو الإمام وأولاده ما لاقوه من الأذى والتعذيب والسحل والقتل، ولا ذنب لهم سوى حبهم لعلي وآل بيته.

قال ابن عساكر: كان سعد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس من شيعة علي بن أبي طالب. فلما قدم زياد الكوفة وإلياً عليها أخافه وطلبه زياد فأتى الحسن بن علي، فوثب زياد على أخيه وولديه وامراته، وأخذ ماله، وهدم داره. فكتب الحسن إلى زياد: من الحسن بن علي إلى زياد. أما بعد: فإنك عمدت إلى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم. فهدمت داره وأخذت ماله وعياله فحبستهم. فإذا أتاك كتابي هذا فابن له داره، واردد عليه عياله وماله. فإني قد أجرته ففسفني فيه. فكتب إليه زياد:

(١) الغدير: للشيخ الأميني، ج ١١ ص ٤٥ - ٤٦ ط ١ عام ١٣٧٢ هـ.

من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة، أما بعد: فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلي. وأنت طالب حاجة، وأنا سلطان، وأنت سوقة. كتبت إلي في فاسق لا يؤبه به، وشر من ذلك توليه أباك وإيّاك. وقد علمت أنك أدنيته إقامة منك على سوء الرأي. ورضي منك بذلك. وأيم الله لا تستبقني به، ولو كان بين جلدك ولحمك، وإن نلت بعضك فغير رفيق بك ولا مُرعٍ عليك. فإن أحب لحم إلي أن آكل منه اللحم الذي أنت منه، فسلمه بجريرته إلي من هو أولى به منك. فإن عفوت عنه لم أكن شفعتك فيه. وإن قتله لم أقتله إلا لحبه أباك الفاسق. والسلام^(١).

وهذه بعض أسماء الذين قتلهم معاوية وهم: عمار بن ياسر، وزيد بن صوحان، وصعصعة بن صوحان، وحنيف بن ثابت، وأويس القرني، ومالك الأشتر، ومحمد بن أبي بكر، وهاشم المرقال، وعبد الرحمن بن حسان وغيرهم. أما زياد بن سمية فقد تسلط على قتل الحسين بن علي في نيف وسبعين رجلاً. منهم تسعة من بني عقيل، وثلاثة من بني جعفر، وتسعة من بني علي عليه السلام، وأربعة من بني الحسن عليه السلام، وستة من بني الحسين عليه السلام، والباقي من أصحابه مثل حبيب بن مظاهر، ومسلم بن عوسجة، ونافع بن هلال، وأحزابهم. وكذلك موقف عبيد الله بن زياد، وقتله الشيعة، وصلبهم على جذوع النخل.

ولما استولى مروان بن الحكم قتل عبدالله بن معاوية بن جعفر بالهراة، ولما استولى عبد الملك بن مروان سلط الحجاج على الحجازيين والعراقيين، فقتل سعيد بن جبير، ويحيى ابن أم الطويل، وميثم التمار، وكميل بن زياد، وقنبر عبد علي بن أبي طالب، وأشياخهم حتى محا آثار أهل البيت عليهم السلام، وقتل زيد بن علي بن الحسين عليه السلام على يد نصر بن خزيمة الأسدي. وصلبه يوسف بن عمر في كناسة الكوفة عرياناً. فكسا من بطنه جلدة

(١) تاريخ ابن عساكر، ج ٥ ص ٤١٨، وشرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٦ ص ٧٢ من المجلد الرابع، والغدير: للأميني، ج ١١ ص ٧١.

سترت عورته، وبقي مصلوباً أربع سنوات، وكان لا يقدر أحد أن يندب عليه، وألقوا امرأة زيد بن علي عليه السلام على المزبلة بعدما دقت بالضرب، حتى ماتت. ثم تبعه الوليد بن زيد، وأنفذ إلى يحيى بن مسلم بن جون في عشرة آلاف فارس. وليس مع يحيى يومئذ إلا مائة وخمسون رجلاً فقتلوا أجمعين. وبقي يحيى يقاتل حتى قتل يوم الجمعة، ثم صلب وأحرق وذري. وهكذا فعل بأشياعهم والتابعين لهم. راجع كتاب (المنتخب) للطريحي الطبعة الأولى، المطبعة العلمية في النجف ص ٤ و ٥، وكتاب تظلم الزهراء ص ٧٨ ط ١٣١٢ هـ ففيه ما يذهل العقول.

أما الأئمة الإثنا عشر فكلهم خرجوا من الدنيا على الشهادة، قتل علي فتكاً. وسم الحسن سراً، وقتل الحسين جهراً، وسم الوليد زين العابدين. وسم إبراهيم بن الوليد الباقر. وسم أبو جعفر المنصور الصادق. وسم الرشيد الكاظم. وسم المأمون الرضا. وسم المعتصم محمد الجواد. وسم المعتز علي بن محمد الهادي. وسم المعتمد الحسن بن علي. وأما القائم فروي أنه هرب خوفاً من المتوكل، لأنه أراد قتله.

وكان أول من استفتح بالظلم من آخر علياً عن الخلافة، وغصب فاطمة ميراث أبيها، وقتل الحسن في بطن أمه، ووجا عتق سلمان، وكسر أضلاع عبدالله بن مسعود، وقتل سعد بن عباد، ومالك بن نويرة، وداس بطن عمار بن ياسر، ونفى أبا ذر إلى الربيعة، وأشخص عمار بن قيس، وغرب الأشر النخعي، وأخرج عدي بن حاتم الطائي، وسير عمر بن زراراة إلى الشام، ونفى كميل بن زياد إلى العراق، وأخاض في دم محمد بن أبي بكر، ونكب كعباً من الجبل، ونفى جارية بن قدامة، وعذب عثمان بن حنيف، وعمل ما عمل بحباب بن زهير، وشريح بن هانئ ونحو هؤلاء ممن مضى قتيلاً أو عاش في بلده ذليلاً^(١).

(١) تظلم الزهراء: للقرظيني، ص ٢٧٨ ط ١٣١٢ هـ.

هذه لمحة خاطفة عن سب الإمام وقتل أهل بيته ومحبيه . وسنذكر بعضاً من هذا في فصل الأمور الغيبية، حيث أعلن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام لبعض محبيه ما يحلّ بهم من الأذى، وكيف يقتلون؟ ومن الذي يقتلهم؟ وفي أيّ مكان؟ وذلك تحت العناوين التالية في ذلك الفصل: الحجاج ومقتل قبر، رأس عمرو بن الحمق الخزاعي المنقول، الحجاج ومقتل كميل بن زياد، زياد ومقتل جويرية بن مسهر العبدي، زياد ومقتل رشيد الهجري. مقتل زرعة مولى علي وصلبه. الأشعث وأنف قبر. قطع الأيدي وسمل العيون وابن الحمقاء. فلتراجع في ذلك الفصل.

أمّا سبب رفع السب عن الإمام علي عليه السلام في عهد عمر بن عبد العزيز فيعود إلى ما يلي :

يقول عمر بن عبد العزيز: كنتُ غلاماً أقرأ القرآن على بعض ولد عُتْبَةَ بن مسعود، فمرّ بي يوماً وأنا ألعبُ مع الصّبيان. ونحن نلعنُ عليّاً، فكَرِهَ ذلك، ودخل المسجد. فتركْتُ الصّبيان وجئتُ لأدرس عليه وردي. فلما رأيته قامَ فصلى، وأطال في الصّلاة شبهَ المعرض عني، حتّى أحسستُ منه بذلك. فلما انقُتِل من صلاته كلح في وجهي. فقلتُ له: ما بال الشيخ؟ فقال لي: يا بنيّ أنتَ اللاعنُ عليّاً منذ اليوم! قلتُ: نعم. قال: فمتى علمتَ أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم؟ فقلتُ: يا أبت، وهل كان عليٌّ من أهل بدر؟ فقال: ويحك! وهل كانت بدر كلّها إلّا له؟ فقلتُ: لا أعود. فقال: الله إنك لا تعود! قلتُ: نعم. فلم ألعنه بعدها. ثم كنتُ أحضرُ تحت منبر المدينة، وأبي يخطب يومَ الجمعة. وهو حينئذٍ أمير المدينة. فكنتُ أسمع أبي يمرّ في خطبه تهدير شقاشقه حتّى يأتي إلى لعن علي عليه السلام فيجمعهم، ويعرض له من الفهاهة والحصر ما الله عالمٌ به. فكنتُ أعجبُ من ذلك. فقلتُ له يوماً: يا أبت أنت أفصحُ الناس وأخطبهم. فما لي أراك أفصحَ خطيبٍ يوم حفلك، حتّى إذا مررتَ بلعن هذا الرّجل، صرّْتَ الكَنَ عيياً! فقال: يا بنيّ، إنّ من ترى تحتَ منبرنا من أهل الشّام وغيرهم، لو علموا من فضل هذا الرّجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد. فوقرت كلمته في صدري

مع ما كان قاله لي معلّمي أيام صِغَرِي . فأعطيتُ الله عهداً، لئن كان لي في هذا الأمر نصيبٌ لأغيّرَنَّهُ . فلَمَّا مَنَّ الله عليّ بالخلافة أسقطتُ ذلك، وجعلتُ مكانه: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١) . وكتبتُ به إلى الآفاق فصار سنةً . وقال كثير بن عبد الرحمن يمدحه في قصيدةٍ منها:

وَلَيْتَ فَلَمْ تَشْتِمَ عَلَيَّاءَ وَلَمْ تَخِفْ بريثاً ولم تقبلِ إِسَاءَةَ مُجْرِمِ
وقال الرضّي أبو الحسن رحمه الله تعالى:

يا بن عبد العزيز لو بكت العينُ	فتى من أميّة لبكيتك
غير أنني أقول إنك قد طبّت	وإن لم يطب ولم يزك بيتك
أنت نزهتنا عن السب والقذ	ف فلو أمكن الجزاء جزيتك
ولو أنني رأيت قبرك لاستحييت	من أن أرى وما حييتك
وقليل لو أن بذلت دماء البدن	صرفاً على الذرا وسقيتك
دير سمعان فيك مأوى أبي حفص	بودي لو أنني آويتك
دير سمعان لا أغبّك غيث	خير ميت من آل مروان بيتك
أنت بالذكر بين عيني وقلبي	إن تدانيت منك أو إن نأيتك
وإذا حرك الحشا خاطر منك	توهّمت أنني قد رأيتك
وعجيب أنني قلت بني مروان	طراً وأنني ما قليتك
قرب العدل منك لمانأى الجوّ	رُبهم فاجتويهم واجتبيتك
فلو أنني ملكت دفعا لمانأبك	من طارق الردى لفديتك ^(٢)

ولم يقتصر عمل عمر بن عبد العزيز على رفع المسبة فقط، بل ردّ المظالم إلى بيت المال، وعرف حق فاطمة عليها السلام في مزرعة (فدك)، فجمع العشارين وسألهم ما مقدار ربع فدك منذ سُلِبَتْ إلى يوم توليته؟ فجمعوه له، فوزّعه بين أحفاد الزهراء.

(١) سورة النحل: آية ٩٠.

(٢) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٤ ص ٥٨ حتى ٦٠ ط ١٩٥٩ م، دار إحيار الكتب العربيّة.

وإذا أردت أيها القارئ المزيد فاستمع إلى سليمان بن ربوة يحدثنا بما يلي: قال: اجتمعت أنا وعشرة من المشائخ في جامع دمشق، فيهم أبو بكر بن أحمد بن سعيد الطائي. فقرأنا فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فوثب علينا قريب من مائة يضربوننا، ويسحبوننا إلى الوالي. فقال لهم أبو بكر الطائي: يا سادة، اسمعوا لنا. إنما قرأنا اليوم فضائل عليه. وغداً نقرأ فضائل أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه. وقد حضرته أبيات. فإن رأيتم أن تسمعوها؟ فقالوا له: هات. فأنشأ بديهاً:

حبُّ عليٍّ كلّهُ ضربُ يرجفُ من خيفته القلبُ
ومذهبي حبُّ إمام الهدى يزيدُ والدين هو النصبُ
مَنْ غَيَّرَ هذا قال فهو امرؤ ليس له عقلٌ ولا لبُّ
والنَّاس من يغدو لأهوائهم يسلمُ وإلا فالقضا نهبُ

قالوا: فخلّوا عنا^(١).

وإذا تصفّحت كتاب (الكامل) للمبرّد فإنك تقرأ كثيراً من هذا النوع ومن ذلك أن خالد بن عبدالله القسري لما كان أمير العراق في خلافة هشام كان يلعن عليّاً على المنبر، فيقول: فعل الله على علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ابن عمّ رسول الله وزوج ابنته فاطمة، وأبي الحسن والحسين!! ثم يقبل على الناس فيقول: هل كنيت؟^(٢). هذا هو خالد الذي كان يسمّي بثر زمزم أم الجعلان^(٣).

قل لي برّبك أيّ مسلمٍ شريف أو وضيع لعن غيره في ثمانية عشر ألف منبر، ولم ينبس ابن أنثى بينت شفة عن الدّفاع عنه^(٤).

(١) تمام المتون للصفدي، ص ١٨٨.

(٢) الكامل: للمبرّد، ج ٢ ص ٦، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٥١ م.

(٣) ما الفوارق بين السنة والشيعة: لمحمود أحمد مهدي، ط ١ عام ١٩٦٣ م.

(٤) الغدير: للأميني، ج ٩ ص ٣٩١ - ٣٩٢.

قل لي ربّك أيّ مسلمٍ سائدٍ أو سوقة غير سيّد العترة سنّ سبّه في الجمعة والجماعة في الحواضر الإسلامية جمعاء، وتختتم بلعنه أندية الوعظ والخطابة. ومن نهى عن ذلك يُنفى من عقر داره؟

قال الجنيد بن عبد الرّحمن بن عمر^(١): أتيتُ من حوران إلى دمشق لأُخذَ عطائي، فصلّيت الجمعة، ثمّ خرجتُ من باب الدّرج، فإذا عليه شيخ يقال له أبو شيبة القاص، يقصُّ على الناس. فرعّب فرغبنا، وخوّف فبكينا. فلمّا انقضى حديثه قال: اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب. فلعنوا أبا تراب عليه السلام، فالتفتُ إلى من عن يميني. فقلتُ له: فمن أبو تراب؟ فقال: علي بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله، وزوج ابنته، وأوّل الناس إسلاماً، وأبو الحسن والحسين، إلى آخر ما في تاريخ ابن عساكر الجزء الثالث ص ٤٠. وفيه أنّ الجنيد استنكر الأمر، ولطم وجه الرّجل، فشكا إلى هشام بن عبد الملك. فنفي الجنيد إلى السّند. فلم يزل بها إلى أن مات^(٢).

قل لي ربّك أيّ عزيز تحت ظلّ النبوة غير عزيزنا المفدّى اضطهده نير المذلة، وأصبح لكلّ أحد، جرّعته يد الإحن كاسات المحن، حتّى سئم من حياته، وصبر، وفي العين قذى، وفي الحلق شجاً، يرى تراثه نهباً.

قل لي ربّك أيّ صحابي غير علي عليه السلام لا يستقيم الأمر لأمة محمّد إلا بسبّه؟ يقال لمروان: ما لكم تسبّونه على المنابر؟ فيقول بملء فيه: إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلّا بذلك^(٣).

قل لي ربّك أيّ إنسان ثقل اسمه على النّاس غير علي صلوات الله عليه؟ هذه عائشة لم تُسمّه، ولا تقدّر على أن تذكره بخير، ولا تطيبُ له

(١) في كتاب (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة): لأسد حيدر، ج ٥ ط ١، قال جنادة بن عمرو بن الجنيد إلى آخر الحديث.

(٢) الغدير: للشيخ الأميني النجفي، ج ٩ ص ٣٩١ - ٣٩٢ ط ٢ عام ١٩٧٢ هـ.

(٣) الصّواعق المحرقة: لابن حجر، ص ٣٣.

نفساً. وكان معاوية أو عبد الملك أوهما معاً يأمران ابن عباس أن يغير اسم ولده علي وكنيته.

قل لي ربك أي رجلٍ أسلم وجهه لله وهو محسن غير أول المسلمين يُرى لاعنوه وشاتموا ومعاندوه وقاتلوه وخاذلوه متأولين مجتهدين لا يستمعون مقتاً ولا أخذاً ولا هواناً ولا عتاباً؟

قل لي ربك أي ابن أنثى من أبناء الإسلام عدا وليد الكعبة ابن فاطمة استخفّت شيعته ومحّبوه وأهله وذووه في المجتمع السّب واللّعن والقتل والسّبي والإزراء والضّرب والنّكال والسّوءة والحبس في ظلم المطامير، وقعر السّجون، وضّاقت عليهم الأرض بما رحّبت^(١).

وقد اتّخذهُ رسولُ الله ﷺ له نفساً كما جاء في الذكر الحكيم، وطهره الله بآية التّطهير، وقرّن بين ولايته وولاية رسوله، وبين ولاية علي في نصّ الكتاب الكريم، وأنزله ﷺ من نفسه منزلة هارون من موسى، ولم يستثن سوى النّبوة، واتّخذهُ ﷺ أخاً لنفسه يوم المؤاخاة المتبيّنة على أساس المشاكلة في الملكات والنّفسيات. فكيف تتمّ هذه كلّها، وفي الأّمة من هو أولى منه؟

ولست أدري كيف كان علي أمير المؤمنين أحبّ الخلق إلى الله ورسوله ﷺ، وفي الأّمة من هو خير منه، وقد صحّ عنه قوله في حديث الطّير المشوي: اللهمّ آتني بأحبّ خلقك إليك ليأكل معي، فأتاه علي عليه السلام. وقوله ﷺ لعائشة: إنّ عليّاً أحبّ الرّجال إليّ، وأكرمهم عليّ، فاعرفي له حقّه، واکرمي مثواه - أحبّ النّاس إليّ من الرّجال علي - علي أحبّهم إليّ وأحبّهم إلى الله.

وكان معاوية يحضّ أصدقاءه وأنصاره على سبّ علي، فإذا تخلف

(١) الغدير: للأميني، ج ٩ ص ٣٩٣.

أحدهم عن السَّبِّ، يسأله عن السَّبِّ. روى مسلم والترمذي أن معاوية قال لسعد بن أبي وقاص: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال سعد: أما ما ذكرت، فلثلاثٍ قالهنَّ رسول الله ﷺ فلن أسبّه. ولأن تكون واحدة منهن أحبَّ إليَّ من حمر النعم. سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: وقد خلفه في بعض مغازيه فقال علي: خلفتني مع النساء والصبيان. فقال له رسول الله: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». وسمعتَه يقول ﷺ يوم خيبر: «لأعطينَّ الرأية غداً رجلاً يحبَّ الله ورسوله، ويحبُّه الله ورسوله». فتناولنا إليها. فقال ﷺ: «ادعوا لي علياً». فأتني به أرمداً فبصق في عينه فبريء، ودفع إليه الرأية. ففتح الله على يديه. ولما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾^(١) فدعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال: «اللَّهُمَّ هؤلاء أهلي»^(٢).

وإذا سُئِلَ المتجرىء على مسبّة علي عليه السلام، هل تسبُّ الله؟ يستغرب ويستنكر، وتعتريه رجفة كأنه ارتكب أعظم المآثم. وما عرف الجاهل المغفل أن مسبّة علي مرتبطة بمسبّة النبي والله. فمن سبّه فكأنما سبهما، ومن سبهما فمأواه جهنم وبئس المصير.

حكى عن عبد الله بن عباس، وكان سعيد بن جبير يقوده بعد أن كفَّ بصره. فمرَّ على ضفة زمزم، فإذا بقومٍ من أهل الشام يسبّون علياً، فسَمِعَهم عبد الله بن عباس. فقال لسعيد: ردّني إليهم. فردّه، فوقف عليهم وقال: أيكم السَّابُّ لله تعالى؟ فقالوا: سبحان الله. ما فينا أحدٌ سبَّ الله. فقال: أيكم السَّابُّ لرسوله؟ قالوا: سبحان الله: ما فينا أحدٌ سبَّ رسول الله ﷺ. قال: فأَيُّكُمْ السَّابُّ لعلي بن أبي طالب؟ فقالوا: أمّا هذا فقد كان منه شيء، فقال: أشهدُ على رسول الله ﷺ بما سمعتهُ أذناي ووعاه قلبي. سمعتهُ يقول

(١) سورة آل عمران: آية ٦١.

(٢) صحيح مسلم، ج ٣ ص ٣٢٤، أسد الغابة، ج ٤ ص ٢٦، ينابيع المودة، ج ١ ص ٥١، الإصابة، ج ٢ ص ٥٠٣.

لعلي بن أبي طالب عليه السلام : «يا عليّ مَنْ سَبَّكَ فقد سَبَّنِي ، ومن سَبَّنِي فقد سَبَّ الله ، ومن سَبَّ الله أكْبَهُ الله على منخريه في النار، وولّى عنهم . وقال : يا بنيّ ماذا رأيْتهم صنعُوا؟ قال : فقلتُ له : يا أبتِي :

نظروا إليك بأعين محمّرةٍ نظرَ التُّيوسِ إلى شفار الجازر
فقال : زدني فداك أبوك ! فقلتُ :

خزي العيون نواكس أبصارهم نظر الدُّليلِ إلى العزيزِ القاهر
فقال : زدني فداك أبوك . فقلتُ : ليس عندي مزيد . فقال : عندي المزيد :

أحيائهم عارٌّ على أمواتهم والميتون مسبّةٌ للغابر^(١)
وعلى هذا المنوال كان موقف أم سلمة ، وتوبيخها للمسلمين ضدّ السَّب ، فقد روى عثمان بن أبي شيبة ، عن عبد الله بن موسى ، عن فطر بن خليفة ، عن أبي عبد الله الجدلي . قال : دخلت أم سلمة رحمها الله ، فقالت لي : أَيْسَبُّ رسول الله ﷺ فيكم وأنتم أحياء؟ قلتُ : وأنّى يكون هذا؟ قالتُ : أَلَيْسَ يُسَبُّ علي عليه السلام ومن يحبه؟ .

ويروي الخوارزمي في مناقبه هذا الحديث مرفوعاً بالأسانيد إلى أم سلمة ، فقالت : أَيْسَبُّ رسول الله ﷺ فيكم؟ فقلتُ : معاذ الله ، أو سبحانه الله ، أو كلمة نحوها . فقالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «مَنْ سَبَّ عليّاً فقد سَبَّنِي ، ومن سَبَّنِي فقد سَبَّ الله من فوق عرشه وكفر .

وإذا كان هذا جرى في العهد الأموي ، ففي العهد العبّاسي كانت الكارثة أشدَّ وأعنف وأدهى وأمرّ .

(١) الفصول المهمّة ، ص ١١١ ط ٣ عام ١٩٦٢ م ، ونور الأبصار للشبلنجي ، ص ١١٠ ط ٥ عام ١٩٥١ م ، والخوارزمي في مناقبه ، ص ٩١ ط ١٩٦٥ م ، المطبعة الحيدرية ، النجف .

روى عبدالله البرّاز النيسابوري عن حميد بن قحطبة الطائي الطوسي أنّه حدّثه ما يلي : وهذه خلاصة ما حدّث .

طلبه الرّشيد ثلاث مرّات بالليل وهو يظنّ أنّه مقتول . وأخيراً أمر خادمه أن يناوله سيفاً ، فتناوله وقال له هارون الرّشيد : أطع ما يأمرُك به هذا الغلام . ثمّ جاء به إلى بيتٍ بابه مغلق ، ففتحه ، فإذا فيه بشر في وسطه . وثلاثة بيوت أبوابها مغلقة . ففتح باب بيتٍ منها ، فإذا فيه عشرون من كهولٍ وشبابٍ وشيوخ . وكلّهم من ولد علي وفاطمة . فأمره بضرب أعناقهم ، ففعل . ثم رمى بأجسادهم في تلك البئر . ثمّ فتح باب البيت الآخر ففعلتُ كالمرّة الأولى . ثم فتح باب البيت الثّالث ، فقطعت رأس تسعة عشر نفساً ، وبقي شيخ منهم . فقال لي : تبا لك يا ميشوم !! أيّ عذرٍ لك يوم القيامة إذا قدمت على جدنا رسول الله ﷺ ، وقد قتلت من أولاده ستين نفساً قد ولدتهم علي وفاطمة . فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي . فنظر إليّ الخادم مغضباً وزبرني . فقتلتُ الشّيوخ ورُميَ به في تلك البئر . وهكذا عمل المنصور مثل هذه الفعلة في ذرية رسول الله ﷺ (١) .

وهذه لمحة بسيطة عمّا كان يفعله المنصور معهم . لمّا بنى الأبنية في بغداد جعل يطلب العلويّة طلباً شديداً ، ويجعل من ظفر بهم في الأسطوانات المجوّفة المبنية من الجص والآجر . فظفر ذات يوم بغلامٍ متهم حسن الوجه من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السّلام ، فسلمه إلى البناء الذي كان يبني له ، وأمره بأن يضعه في أسطوانة ويبني عليه . ووكل عليه من ثقافته من يراعي ذلك . فوضعه البناء في جوف أسطوانة ، فرق قلبه له . فترك في الأسطوانة فرجة يدخل منها الرّيح ، وقال للغلام : لا بأس عليك . فسأخرجك في جوف اللّيل . فلما جنّ اللّيل جاء فأخرج العلوي من جوف الأسطوانة ، وقال : اتّق الله في دمي ودم الفعلة الذين معي . وغيب شخصك ، لأنّي خفتُ إن تركتُك في جوف الأسطوانة أن يكون جدك رسول الله ﷺ خصمي يوم

(١) عيون أخبار الرضا : للصدوق ، ج ١ ص ١٠٩ - ١١٠ .

القيامة، وأمره بالهرب، وعدم الرجوع إلى أمه. فقال له العلوي: بلغ أُمِّي أَنِّي هربتُ لثلاثاً تستمرُّ في الجزع والبكاء بعد أن عرّفه مكان أمّه وأعطاه العلامة^(١).

وذكر أبو المظفر سبط ابن الجوزي في تذكّره: جيء بعددٍ من أولاد الحسن إلى الكوفة بأسوأ حال، بعد أن قدم بعددٍ منهم أبو جعفر المنصور الكوفة على أسوأ حال.

قال الواقدي: وكانوا عشرين من أولاد الحسن عليه السلام، فحبسَهُمْ بها. وقيل: حبسَهُم بالهاشميّة مقابل الكوفة في سردابٍ تحت الأرض لا يعرفون ليلاً ولا نهاراً. وهذا السرداب عند قنطرة الكوفة، موضعه معروف يُزار. ولم يكن عندهم بئر للماء. فكانوا يبولون ويتغوطون في مواضعهم، فاشتدّت عليهم الرائحة. فكان الورم يبدو في أقدامهم. وكانوا إذا ماتَ عندهم ميت لم يدفن، بل يلقى وهم ينظرون إليه. وقيل: بل ردم عليهم الجص فماتوا. وقال الطبري: إنهم ماتوا عطاشاً، لأنهم ما كانوا يسقون ماء^(٢).

وإذا تصفّحنا كتب التاريخ نجد فيها ما تقشعرُّ منه الأبدان، ممّا حدّث بآل علي من الدّولة العباسيّة وبمحبّي علي وأهل بيته. فهذا الخطيب البغدادي يحدثنا أنّ نصر الجهمي - المتوفى سنة ٢٥٠ - حدّث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه: أخذ بيد حسن وحسين. فقال: «من أحبّ هذين وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة». فلمّا حدّث بهذا الحديث أمر المتوكّل بضربه ألف سوط. فكلّمه جعفر بن عبد الواحد، وجعل يقول للمتوكّل: هذا رجلٌ من أهل السّنة، ولم يزل به حتى تركه^(٣).

قال الخطيب البغدادي: إنّما أمر المتوكّل بضربه لأنّه ظنّه رافضياً. فلمّا علم أنّه من أهل السّنة تركه. وقتل المتوكّل يعقوب بن السّكيت الأديب.

(١) عيون أخبار الرضا: للصدوق، ج ١ ص ١١١-١١٢.

(٢) تذكرة سبط ابن الجوزي، ص ٢٣٠ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ، المطبعة العلمية في النّجف.

(٣) تاريخ بغداد، ج ٢ ص ٣٢٩ ط ١٩٣١ م.

وسبب قتله أنه كان معلماً للمعین والمؤيد ابني المتوكل إذ أقبل . فقال له : يا يعقوب : أهما أحب إليك ؟ أم الحسن والحسين ؟ فقال : والله إن قبر غلام علي خيرٌ منهما ومن أبيهما . فقال المتوكل : سلوا لسانه من قفاه . فسئلوه ، فمات رحمه الله (١) .

فأي رجلٍ يجرؤ على ذكر فضائل علي وأهل بيته ، والعيون له بالمرصاد والقتل والتعذيب والتنكيل جزاؤه . فرحمك الله يا بن عبد العزيز ، حيث دمعت عيناه لما قال له هذا الخائف . إنه مولى علي بن أبي طالب .

ذكر ابن عساكر في تاريخه (٢) قال : وفد زريق القرشي على عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين ، إني رجلٌ من أهل المدينة ، وقد حفظت القرآن والفرائض ، وليس لي ديوان . فقال له عمر : من أي الناس أنت ؟ قال زريق : أنا رجل من موالي بني هاشم . فقال عمر : مولى من (أنت) ؟ قال : رجلٌ من المسلمين . قال عمر : أسألك من أنت وتكتمني ؟ فقال زريق : أنا مولى علي بن أبي طالب . وكان بنو أمية لا يذكرُ علي بين أيديهم . فبكى عمر حتى وقعت دموعه على الأرض وقال : أنا مولى علي . حدثني سعيد بن المسيب عن سعد أن النبي ﷺ قال لعلي : «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» .

وكيف لا نرحم عمر بن عبد العزيز عندما نقرأ هذه الأرجوزة للعلامة أحمد الخفيض الشافعي منها :

وقد حكى الشيخ السيوطي أنه	قد كان فيما جعلوه سنة
سبعون ألف منبر وعشرة	من فوقهن يلعنون حيدرة
وهذه في جنبها العظام	تصغر بل توجه اللوائم
فهل ترى من سننها يعادى؟	أم لا؟ وهل يستتر أو يهادى
أو عالم يقول عنه نسكت	أجب فيأتي للجواب منصت

(١) المنتخب: للطريحي ، ط ١ ص ٧ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ، ج ٥ ص ٣٢٠ .

وليت شعري هل يقال اجتهدا كقولهم في بغية أم الحدا
أليس ذا يؤذيه أم لا؟ فاسمعن إن الذي يؤذيه يؤذي مَنْ وَمَنْ
بل جاء في حديث أم سلمة هل فيكم الله يسبُّ مَنْ لهُ
عاون أخا الجواب في الجواب وعاد من عادى أبا تراب^(١)

هذا هو موقف القوم حتى أنهم لم يقتصروا على قتل محبي علي من المسلمين، بل تجاوزوا ذلك إلى الفئات الأخرى إذا أظهروا حُبَّ علي وأهل بيته.

رُوِيَ عن زين العابدين أنه قال: لما أتى برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد كان يتخذ مجالس للشرب، ويأتي برأس الحسين عليه السلام ويضعه بين يديه، ويشرب عليه، فحضر ذات يوم في مجلسه رسول ملك الروم. وكان من أشرف الروم وعظمائهم. فقال: يا ملك العرب، هذا رأس مَنْ؟ فقال له يزيد: مالك ولهذا الرأس؟ فقال: إن رجعت إلى ملكنا يسألني عن كل شيء رأيته. فأجبت أن أخبره بقصة هذا الرأس وصاحبه حتى يشاركك في الفرح والسرور. فقال له يزيد: هذا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب. فقال الرومي: وَمَنْ أمه؟ فقال: فاطمة بنت رسول الله. فقال النصراني: أف لك ولدينك!! لي دين أحسن من دينكم. إن أبي من حوافر داود عليه السلام. فبيني وبينه آباء كثيرة، والنصارى يعظمونني ويأخذون من تراب قدمي تبركاً بأبي من حوافر داود عليه السلام. وأنتم تقتلون ابن بنت رسول الله! وما بينه وبين نبيكم إلا أم واحدة. فأني دين دينكم؟ ثم قال ليزيد: هل سمعت حديث كنيسة الحافر؟ فقال له: قل حتى أسمع. فقال: بين عمان والصين بحر مسيرة سنة ليس فيها عمران إلا بلدة واحدة في وسط الماء، طولها ثمانون فرسخاً في ثمانين. ما على وجه الأرض بلدة أكبر منها. ومنها يحمل الكافور والياقوت. أشجارها العود والعنبر. وهي في أيدي النصارى، لا ملك لأحد من الملوك فيها سواهم. وفي تلك البلدة كنائس كثيرة أعظمها

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: لأسد حيدر، ج ٥ ص ٢٠٦.

كنيسة الحافر. في محرابها حقة من ذهب معلقة فيها حافر. يقولون: إن هذا حافر حمار كان يركبه عيسى عليه السلام. وقد زينوا حول الحقة بالديباج يقصدها في كل عام عالم من النصارى، ويطوفون حولها، ويقبلونها، ويرفعون حوائجهم لله تعالى عندها. هذا شأنهم ودأبهم بحافر حمار يزعمون أنه حافر حمار كان يركبه عيسى عليه السلام نبيهم عليه السلام. وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم؟ فلا برك الله فيكم ولا في دينكم. فقال يزيد: اقتلوا هذا النصراني لئلا يفضحني في بلاده. فلما أحس النصراني بذلك قال له: أتريد أن تقتلني؟ قال: نعم. قال: اعلم أنني رأيت البارحة نبيكم في المنام يقول: يا نصراني أنت من أهل الجنة. فتعجب من كلامه. «أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله». ثم وثب إلى رأس الحسين فضمه إلى صدره، وجعل يقبله ويكي حتى قُتل^(١).

هذا هو موقف القوم. فشتان شتان بينهم وبين أهل الحقيقة الذين عرفوا الحقيقة فاعتنقوها، لأن حب علي هو المحك بلا شك. فمن تخالجه الشكوك فيه فليسأل أمه عن أبيه. فالقاعدة الأساسية لمعرفة المؤمن من الكافر هو حب علي وبغضه. فتنبه أيها الغافل وتدارك نفسك قبل فوات الأوان، ولا تنخدع بما كان عليه الجمهور في معظمه، من كره علي وأهل بيته. واعلم بأن حب الله مرتبط بحب نبيه. وحب الله ورسوله مرتبطان بحب العترة الطاهرة ورئيسها علي. فمن أحب الله ولم يحب رسوله لم يستفد من إيمانه شيئاً. وكذلك من أحب الله تعالى وأحب رسوله ولم يحب العترة، لم يستفد من هذا الحب شيئاً حتى يحب العترة. فحب العترة مرتبط بحب الله ورسوله عليه السلام. ففي الصحيح عن طريق أنس بن مالك: «فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين». وأخرج النصيبي في فوائده عن طريق أبي ليلى الأنصاري: لا يؤمن عبد لله حتى أكون أحب إليه من نفسه. وتكون عترتي أحب إليه من عترته، ويكون

(١) تظلم الزهراء: للقزويني، ص ١٦٤ - ١٦٥، طبعة ١٣١٢ هـ.

أهلي أحب إليه من أهله»^(١).

فحبُّ العترة شرط من شروط الإيمان. وهي أساس الفوز والنجاح. أنظر إلى ما يقوله نبي هذه الأمة الإسلامية ﷺ لعلِّي: «يا علي من أحبَّك فقد أحبَّني، ومن أحبَّني فقد أحبَّ الله، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله». فجعل حبَّ علي وبغضه هو الأساس الصحيح لحب الله وحبَّ رسوله وبغضهما. فحبُّ علي هو حبَّ الله ورسوله، وبغضه بغضُ الله ورسوله. وبهذا كان حبُّ علي إيماناً وبغضه نفاقاً. روي عن النبي الأعظم ﷺ قال: «لا يؤمن رجل حتى يحبَّ أهل بيتي بحبي». فقال عمر بن الخطاب: وما علامة حبِّ أهل بيتك؟ قال: حبُّ هذا، وضرب يده على علي.

هذا هو علي الذي يردُّ الحُكَّام قائلين: لا يستقيم الأمر لأمةٍ محمَّد إلا بسبِّه. قيل لمروان: ما لكم تسبُّونه على المنابر؟ فيقول بملء فيه: «إنَّه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك»^(٢).

وهذا عمر بن عبد العزيز يسأل والده قائلاً: يا أبتى أنت أفصح خطيب يوم حفلِك، حتَّى إذا مررتَ بلعن هذا الرَّجل أصبحتَ أَلَكْنَ عِيَّاً؟ فقال: يا بنيَّ إنَّ من ترى تحت منبرنا من أهلِ الشَّام وغيرهم لو علموا من فضل هذا الرَّجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد.

هذا هو علي الذي اتخذوا لعنه سنَّة حتَّى إذا سها إمام الجماعة عن سبِّه مرة واحدة أخذته الجلبة الصَّاعدة إليه من كلِّ مكانٍ تطالبه، هاتفةً!! السنَّة السنَّة! فيعرف حينذاك أيَّ خطأ ارتكب وأيَّة سنَّة ترك.

هذا موقفهم من علي الذي هو مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة. جاء عمرَ

(١) أخرجه النصيبي أيضاً في الجزء الثاني من أحاديث، والحافظ البيهقي في شعب الإيمان، وأبو الشيخ في الثواب، والديلمي في مسنده، وذكره آخرون في تأليفهم، راجع المحاضرة التي ألقاها الأمين النجفي تحت عنوان (سيرتنا وستتنا سيرة نبينا وسيرته).

(٢) الصواعق المحرقة: لابن حجر، ص ٣٣.

أعرابيان يختصمان. فقال لعلّي: اقض بينهما يا أبا الحسن، فقضى عليّ بينهما. فقال أحدهما: هذا يقضي بيننا؟! فوثب إليه عمر وأخذ بتلبّيه وقال: ويحك ما تدري من هذا؟ هذا مولاي ومولى كلّ مؤمن. ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن^(١).

أين هذا الإيمان عند هذا القوم، ومن نهج نهجهم؟ إنهم لم يستفيدوا من هذه الشريعة السّمحاء والنّعمة الإلهية إلا البعد من الله، والهلاك وبشّ المصير. فالموسويّون والمسيحيّون أفضل منهم. ولقد صدق الشاعر القائل: إنّ اليهود بحبّها لنبيّها أمّنت معرّة دهرها الخوان وذو الصّليب بحب عيسى أصبحوا يمشون زهواً في قرى نجران والمؤمنون بحب آل محمّد يرمون في الآفاق بالنيران^(٢) هذه بعض المواقف التي وقفها أعداء الدّين الإسلامي من بناء هذا الدّين العظيم، وخاصة الإمام علي الذي قال فيه رسول الله ﷺ في وقعة الخندق: برز الإيمان كله إلى الشّرك كلّ. وما تجسم الحقد في النفوس مثلاً تجسم ضد الإمام. ولما استتب الأمر لمعاوية أخذ يستغل الدّين الإسلامي لتحقيق أغراضه الدنيئة باسم الدّين. وأوحى لعلماء السّوء بواسطة الدراهم وغيرها بإصدار الأحاديث الكاذبة لتحقيق رغباتهم الشّيطانية. فذمّوا المحمود، وحمدوا المذموم باسم الدّين وكانت الضحايا خلال الحكم الأموي والعباسي ذرية علي ومحبّيه وأتباعه. فقطعوا رؤوسهم، واستلوا ألسنتهم، وألجموا محبّي الوصي، ودفن بعضهم أحياء في الأسطوانات التي تقام عليها الأبنية الفخمة. علاوة على السّب على المنابر ألف شهر. وهكذا تمّت المؤامرة ضد علي وذريته ومحبّيه، وستستمر حتّى ظهور قائم آل بيت رسول الله ﷺ. وعندها يقتصر المظلوم من الظالم وتنكشف الحقائق لكلّ مخدوع. ويتحقّق العدل الإلهي. وتشرق شمس الحق والدّين. وإنّ غداً لناظره قريب.

(١) أخرجه الدّارقطني، وابن السّمان، والمحب الطبري وآخرون غيرهم.

(٢) النصائح الكافية لمن يتولى معاوية: لابن عقيل العلوي، ص ٩٢ ط ٢ عام ١٩٤٨ م.

الفصل الثالث

خلافته واستخلافه

إنَّ خلافة علي بن أبي طالب واضحة وبيّنة لمن تجرّد عن الهوى، وتمعّن في كتاب الله عزّ وجلّ، وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، وأقوال الصّحابة. لا يماري بذلك مؤمن، ولا يتردّد بها منصف. فهو خليفة المسلمين بعد النّبي الكريم. وهو أفضل الصّحابة وأعلمهم وأقضاهم وأعدلهم وأزهدهم وأحلمهم وأعبدتهم وأكرمهم وأعفّهم وأشجعهم. فهو لا يجارى ولا يبارى. وهو الإنسان الكامل بعد نبيّه عليه السلام.

وقبل أن نناقش الخلافة علينا أن نستمع إلى هذا العثماني المرواني أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ كيف يقف من الخلافة، ويناقشها بأسلوب علمي يتحرّى به الصّدق، ويكشف عن الحقيقة. فهو يقول:

هذا كتاب من اعتزل الشك والظنّ والدّعوى والأهواء، وأخذ باليقين والثقة من طاعة الله وطاعة رسوله عليه السلام، وإجماع الأمة بعد نبيّها عليه السلام، ممّا تضمّنه الكتاب والسنة، وترك القول بالآراء. فإنّها تخطيء وتصيب، لأنّ الأمة أجمعت أنّ النّبي عليه السلام شاور أصحابه في الأسرى بيدر، واتفق رأيهم في قبول الغداء منهم. فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾^(١)

(١) سورة الأنفال: آية ١٧.

الآية. فقد بَانَ لَكَ أَنَّ الرَّأْيَ يَخْطِئُ وَيَصِيبُ، وَلَا يُعْطَى الْيَقِينُ. وَإِنَّمَا الْحُجَّةُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا أَجْمَعْتَ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهَا. وَنَحْنُ لَمْ نَدْرِكْ النَّبِيَّ وَلَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ اخْتَلَفْتَ الْأُمَّةُ فِي أَحْقَقِهِمْ فَتَعْلَمُ أَيُّهُمْ أَوْلَى، وَنَكُونُ مَعَهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١) وَنَعْلَمُ أَيُّهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ فَتَجَنَّبُهُمْ، وَكَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾^(٢) حَتَّى أَدْرَكْنَا الْعِلْمَ فَطَلَبْنَا مَعْرِفَةَ الدِّينِ وَأَهْلِهِ، وَأَهْلَ الصَّدَقِ وَالْحَقِّ، فَوَجَدْنَا النَّاسَ مُخْتَلِفِينَ يَبْرَأُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَيَجْمَعُهُمْ فِي حَالِ اخْتِلَافِهِمْ فَرِيقَانِ:

أحدهما قالوا: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَاتَ وَلَمْ يَسْتَخْلَفْ أَحَدًا. وَجَعَلَ ذَلِكَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ يَخْتَارُونَهُ. فَاخْتَارُوا أَبَا بَكْرٍ.

وَالْآخَرُونَ قَالُوا: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَخْلَفَ عَلِيًّا فَجَعَلَهُ إِمَامًا لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَهُ. وَادَّعَى كُلُّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ الْحَقَّ. فَلَمَّا رَأَيْنَا ذَلِكَ، وَقَفْنَا الْفَرِيقَيْنِ لِنَبْحَثَ وَنَعْلَمَ الْمَحْقُوقَ مِنَ الْمُبْطِلِ.

فَسَأَلْنَاهُمْ جَمِيعًا، هَلْ لِلنَّاسِ بَدٌّ مِنْ وَالٍ يَقِيمُ أَعْيَادَهُمْ وَيَجْبِي زَكَاتَهُمْ، وَيَفَرِّقُهَا عَلَى مُسْتَحْقِّيهَا، وَيَقْضِي بَيْنَهُمْ، وَيَأْخُذُ لَضَعِيفِهِمْ مِنْ قَوِيَّهِمْ، وَيَقِيمُ حَدُودَهُمْ؟ فَقَالُوا: لَا بَدٌّ مِنْ ذَلِكَ. فَقُلْنَا: هَلْ لِأَحَدٍ أَنْ يَخْتَارَ أَحَدًا فَيُؤَلِّيه بِغَيْرِ نَظَرٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ؟ فَقَالُوا: لَا يَجُوزُ ذَلِكَ إِلَّا بِالنَّظَرِ. فَسَأَلْنَاهُمْ جَمِيعًا عَنِ الْإِسْلَامِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، فَقَالُوا: إِنَّهُ الشَّهَادَتَانِ وَالْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالْحَجُّ بِشَرَطِ الْإِسْطَاعَةِ، وَالْعَمَلُ بِالْقُرْآنِ يَحِلُّ حَلَالَهُ وَيَحْرَمُ حَرَامَهُ. فَقَبَلْنَا ذَلِكَ مِنْهُمْ. ثُمَّ سَأَلْنَاهُمْ جَمِيعًا: هَلْ لِلَّهِ خَيْرَةٌ مِنْ خَلْقِهِ اصْطَفَاهُمْ وَاخْتَارَهُمْ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ. فَقُلْنَا: مَا بَرَهَانُكُمْ؟ فَقَالُوا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ

(١) سورة التوبة: آية ١٢٠.

(٢) سورة النحل: آية ٧٨.

أمرهم ﴿١﴾ . فسألناهم من الخيرة؟ فقالوا: هم المتّقون . قلنا: ما برهانكم؟ قالوا: قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ﴿٢﴾ . فقلنا: هل لله خيرة من المتّقين؟ قالوا: نعم . المجاهدون بأموالهم، بدليل قوله تعالى: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ ﴿٣﴾ . فقلنا: هل لله خيرة من المجاهدين؟ قالوا جميعاً: نعم . السّابقون من المهاجرين إلى الجهاد، بدليل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلٌ﴾ ﴿٤﴾ الآية . فقبلنا ذلك منهم، لإجماعهم عليه . وعلمنا أنّ خيرة الله من خلقه المجاهدون السّابقون إلى الجهاد . ثم قلنا: هل لله منهم خيرة؟ قالوا: نعم . قلنا: من هم؟ قالوا: أكثرهم عناداً في الجهاد، وطعنأً وضرباً وقتلاً في سبيل الله، بدليل قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٥﴾ . ﴿وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿٦﴾ . فقبلنا ذلك منهم وعلمناه . وعرفنا أنّ خيرة الخيرة أكثرهم في الجهاد عناءً، وأبذلهم لنفسه في طاعة الله، وأقتلهم لعدوّه . فسألناهم عن هذين الرجلين: علي بن أبي طالب عليه السلام وأبي بكر، أيهما كان أكثر عناءً في الحرب وأحسن بلاءً في سبيل الله؟ فأجمع الفريقان على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كان أكثر طعنأً وضرباً، وأشدّ قتالاً، وأذبّ عن دين الله ورسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم . فثبت بما ذكرناه من إجماع الفريقين ودلالة الكتاب والسنة أنّ علياً عليه السلام أفضل .

وسألناهم ثانياً عن خيرته من المتّقين . فقالوا: هم الخاشعون بدليل قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ - إلى قوله - : ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ ﴿٧﴾ . وقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ

(١) سورة القصص: آية ٦٨ .

(٢) سورة الحجرات: آية ١٣ .

(٣) سورة النساء: آية ٩٤ .

(٤) سورة الحديد: آية ١٠ .

(٥) سورة الزلزلة: آية ٧ .

(٦) سورة المزمل: آية ٢٠ .

(٧) سورة ق: آية ٣٣ .

ربهم ﴿١﴾. ثم سألناهم من الخاشعون؟ قالوا: هم العلماء لقوله تعالى : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ ﴿٢﴾. ثم سألناهم جميعاً من أعلم الناس؟ قالوا: أعلمهم بالقول وأهداهم إلى الحق وأحقهم أن يكون متبوعاً، ولا يكون تابعاً، بدليل قوله تعالى: ﴿يحكم به ذوا عدل منكم﴾ ﴿٣﴾. فجعل الحكومة إلى أهل العدل. فقبلنا ذلك منهم. ثم سألناهم عن أعلم الناس بالعدل من هو؟ قالوا: أهداهم إلى الحق وحققهم أن يكون متبوعاً، ولا يكون تابعاً، بدليل قوله تعالى: ﴿أفمن يهدي إلى الحق﴾ ﴿٤﴾ الآية. فدل كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام والإجماع أن أفضل الأمة بعد نبيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لأنه إذا كان أكثرهم جهاداً كان أتقاهم. وإذا كان أتقاهم كان أخشاهم، وإذا كان أخشاهم كان أعلمهم. وإذا كان أعلمهم كان أدل على العدل، وإذا كان أدل على العدل كان أهدى الأمة إلى الحق. وإذا كان أهدى كان أولى أن يكون متبوعاً، وأن يكون حاكماً لا تابعاً ولا محكوماً عليه.

وأجمعت الأمة بعد نبيها أنه خلف كتاب الله تعالى ذكره، وأمرهم بالرجوع إليه إذا نابهم أمر، وإلى سنة نبيه ﷺ فيتدبرونها ويستنبطون منهما ما يزول به الاشتباه، فإذا قرأ قارئهم: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ ﴿٥﴾. فيقال له: أثبتها، ثم يقرأ: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾. وفي قراءة ابن مسعود: «إن خيركم عند الله أتقاكم»، ثم يقرأ: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل أبواب حفيظ. من خشية الرحمن بالغيب﴾ ﴿٦﴾. فدلّت هذه الآية على أن المتقين هم الخاشعون. ثم يقرأ: ﴿حتى إذا بلغ﴾

(١) سورة الأنبياء: آية ٤٩.

(٢) سورة فاطر: آية ٢٨.

(٣) سورة المائدة: آية ٩٨.

(٤) سورة يونس: آية ٣٥.

(٥) سورة القصص: آية ٦٨.

(٦) سورة ق: آية ٣١ و ٣٢ و ٣٣.

إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(١) . فيقال له : اقرأ حتى ننظر هل العلماء أفضل من غيرهم أم لا ؟ حتى إذا بلغ إلى قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٢) علم أن العلماء أفضل من غيرهم ، ثم يقال : اقرأ فإذا بلغ إلى قوله تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾^(٣) . قيل : قد دلت هذه الآية على أن الله تعالى قد اختار العلماء ، وفضلهم ورفعهم درجات ، وقد أجمعت الأمة على أن العلماء من أصحاب رسول الله ﷺ الذين يؤخذ عنهم العلم كانوا أربعة : علي بن أبي طالب عليه السلام ، وعبدالله بن العباس ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم . وقالت طائفة : عمر بن الخطاب . فسألنا الأمة من أولى الناس بالتقدم إذا حضرت الصلاة ؟ فقالوا : إن النبي ﷺ قال : « يؤم بالقوم أقرؤهم » . ثم أجمعوا أن الأربعة أقرأ لكتاب الله تعالى من عمر ، فسقط عمر ثم سألنا الأمة أي هؤلاء الأربعة أقرأ لكتاب الله وأفقه لدينه ؟ فاختلفوا . فوقفناهم حتى نعلم . ثم سألناهم أيهم أولى بالإمامة ؟ فأجمعوا على أن النبي ﷺ قال : « الأئمة من قریش » فسقط ابن مسعود وزيد بن ثابت . وبقي علي بن أبي طالب وابن عباس . فسألنا أيهما أولى بالإمامة ؟ فأجمعوا على أن النبي ﷺ قال : « إذا كانا عالمين فقيهين قرشيين فأكبرهما سنّاً وأقدمهما هجرة » . فسقط عبدالله بن العباس ، وبقي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه . فيكون أحق بالإمامة ، لما أجمعت عليه الأمة ، ولدلالة الكتاب والسنة عليه^(٤) .

هذا ما كتبه عثمان بن مروان ليس من حزب علي عليه السلام . ولكنه تحرى الحقيقة فظهرت واضحة له في كتاب الله وسنة نبيه والإجماع .

(١) سورة فاطر : آية ٢٨ .

(٢) سورة الزمر : آية ٩ .

(٣) سورة المجادلة : آية ١١ .

(٤) كشف الغمّة : للأربلي ، ج ١ ص ٣٦ - ٣٩ .

وقبل أن ننتقل إلى الأحاديث النبوية الصحيحة التي ثبتت خلافة علي عليه السلام لنستمع إلى أستاذ ابن أبي الحديد أبي جعفر يحيى بن محمد نقيب البصرة. وكان منصفاً وافر العقل. فسأله تلميذه المعتزلي عن قول علي عليه السلام: كانت أثره شحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين؟ فمن يعني ذلك؟ ومن القوم الذين عناهم الأسدي بقوله: «كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟» هل المراد به يوم السقيفة أو يوم الشورى؟ فقال: يوم السقيفة. فقلت: إن نفسي لا تسامحني أن أنسب إلى الصحابة عصيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع النص. فقال: وأنا لا تسامحني أيضاً نفسي أن أنسب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى إهمال أمر الإمامة، وأن يترك الناس فوضى سدى مهملين. وقد كان لا يغيب عن المدينة إلا ويؤمر عليها أميراً، وهو حي ليس بالبعيد عنها، فكيف لا يؤمر وهو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث!!

ثم قال: ليس يشك أحد من الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاقلاً كاملاً العقل. أما المسلمون فاعتقادهم فيه معلوم. وأما اليهود والنصارى والفلاسفة فيزعمون أنه حكيم تام الحكمة، سديد الرأي، أقام ملة، وشرع شريعة، فاستجد ملكاً عظيماً بعقله وتدبيره. وهذا الرجل العاقل الكامل يعرف طباع العرب وغرائزهم وطلبهم للثارات والزحول، ولو بعد الأزمان المتطاولة. ويقتل الرجل من القبيلة رجلاً آخر من بيت آخر، فلا يزال أهل ذلك المقتول وأقاربه يتطلّبون القاتل ليقتلوه حتى يدركوا ثأرهم منه. فإن لم يظفروا به قتلوا بعض أقاربه وأهله. فإن لم يظفروا بأحدهم قتلوا واحداً أو جماعة من تلك القبيلة به، وإن لم يكونوا رهطه الأدين. والإسلام لم يحل طبائعهم، ولا غير هذه السجية المذكورة في أخلاقهم، والغرائز بحالها. فكيف يتوهم لبيب أن هذا العاقل الكامل وتر العرب، وعلى الخصوص قريشاً، وساعده على سفك الدماء وإرهاق الأنفس وتقلد الضغائن ابن عمه وصهره، وهو يعلم أنه سيموت كما يموت الناس، ويتركه بعده وعنده ابنته، وله منها ابنان يجريان عنده مجرى ابنين من ظهره حنواً عليهما، ومحبةً لهما. ويعدل عنه في الأمر بعده، ولا ينص عليه ويستخلفه فيحقق دمه ودم بنيه وأهله باستخلافه! ألا يعلم هذا

العاقل الكامل أنه إذا تركه وترك بنيه وأهله سوقة ورعية، فقد عرض دماءهم للإراقة بعده. بل يكون هو عليه السلام هو الذي قتله، وأشاط^(١) بدمائهم، لأنهم لا يعتصمون بعده بأمرٍ يحميهم، وإنما يكونون مضغةً للاكِل، وفريسةً للمفترس، يتخطفهم الناس، وتبلغ فيهم الأغراض! فأما إذا جعل السلطان فيهم، والأمر إليهم، فإنه يكون قد عصمهم وحقن دماءهم بالرياسة التي يصلون بها، ويرتدع الناس عنهم لأجلها. ومثل هذا معلوم بالتجربة. ألا ترى أن ملك بغداد أو غيرها من البلاد لو قتل الناس ووترهم، وأبقى في نفوسهم الأحقاد العظيمة عليه، ثم أهمل أمر ولده وذريته من بعده، وفسح للناس أن يقيموا ملكاً من عرضهم، وواحداً منهم، وجعل بنيه سوقة كبعض العامة، لكان بنوه بعده قليلاً بقاءهم، سريعاً هلاكهم، ولَوُثِبَ عليهم الناس ذوو الأحقاد والتراث من كل جهة، يقتلونهم ويشردونهم كل مشرد. ولو أنه عين ولداً من أولاده للملك وقام خواصه وخدمه وخوَلُه بأمره بعده، لحقنت دماء أهل بيته، ولم تطل يد أحد من الناس إليهم لناموس الملك وأبهة السلطنة، وقوة الرياسة وحرمة الإمارة!

أفترى ذهب عن رسول الله ﷺ هذا المعنى؟ أم أحب أن يستأصل أهله وذريته من بعده؟! وأين موضع الشفقة على فاطمة العزيزة عنده؟ الحبيبة على قلبه!!

أقول: إنه أحب أن يجعلها كواحدة من فقراء المدينة، تتكفف الناس، وأن يجعل علياً، المكرم عنده، الذي كانت حاله معه معلومة، كأبي هريرة الدوسي وأنس بن مالك الأنصاري، يحكم الأمراء في دمه وعرضه ونفسه وولده. فلا يستطيع الامتناع، وعلى رأسه مائة ألف سيف مسلول، تتلظى أكباد أصحابها عليه، ويودون أن يشربوا دمه بأفواههم، ويأكلوا لحمه بأسنانهم. قد

(١) أشاط بدمائهم: أهدرها أو عمل على هلاكها.

قتل أبناءهم وإخوانهم وآباءهم وأعمامهم، والعهد لم يطل، والقروح لم تتقرّف^(١)، والجروح لم تندمل^(٢)!

هذا هو التحليل الدقيق الذي أتنا به هذا الأستاذ، وكلُّ عاقلٍ يلمسُ صِحَّةَ تحليله، ويجده ينطبق على الحقيقة والواقع في كلِّ مكان وزمان.

الأدلة على استخلاف الرسول ﷺ علياً بعده .

لو تصفّحنا تاريخ ولادة علي عليه السلام لوجدنا أنّ رسول الله ﷺ استخلفه وهو طفلٌ صغير في مهده. فهذه أمّه فاطمة بنت أسد تقول: فولدتُ عليّاً ورسول الله ثلاثون سنة. وأحبّه رسول الله ﷺ حبّاً شديداً، وقال لها: اجعلي مهدةً بقرب فراشي. وكان ﷺ يلي أكثرَ تربيته. وكان يطهر عليّاً في وقت غسله، ويوجره اللبن عند شربه، ويحركُ مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويحمله على صدره ورقبته. ويقول: «هذا أخي وولّي وناصري وصفيّ وذخري وكهني وصهري وزوج كريمي وأميني على وصيّتي وخليفتي»^(٣).

ومن الأدلة التي تثبت أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام وصيه وخليفته وإمام أمته من بعده حديث (الإنذار).

روى أبو جعفر الإسكافي المعتزلي الشافعي في (نقض كتاب العثمانية للحافظ) أنّه ﷺ كلفه (أي كلف عليّاً) - في مبدأ الدعوة قبل ظهور كلمة الإسلام وانتشاره بمكة - أن يصنعَ له طعاماً، وأن يدعو له بني عبد المطلب. فصنع له الطعام ودعاهم له، فخرجوا ذلك اليوم، ولم ينذرهم ﷺ لكلمة

(١) تقرّف الجرح: طلعت فوقه قشرة أي شارب البرء.

(٢) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٩ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٣) راجع كتاب (علي وليد الكعبة): للشيخ محمد علي الغروي الاوردوبادي. وكتاب (كشف الغمّة): للأربلي، ص ١٩، نقلاً عن كتاب (بشائر المصطفى) مرفوعاً إلى يزيد بن قعنب .

قالها عمه أبو لهب. فكلفه اليوم الثاني أن يصنع مثل ذلك الطعام، وأن يدعوهم ثانية، فصنعه ودعاهم. فأكلوا، ثم كلمهم عليه السلام، فدعاهم إلى الدين، ودعاه (أي دعا علياً عليه السلام) معهم، لأنه من بني عبد المطلب ثم ضمن لمن يؤازره منهم وينصره على قوله أن يجعله أخاه في الدين، ووصيه بعد موته، وخليفته من بعده، فأمسكوا كلهم، وأجابه هو وحده (أي علي عليه السلام) وقال: أنا أنصرك على ما جئت به وأؤازرك وأبايعك. فقال لهم: - لما رأى منهم الخذلان ومنه النصر. وشاهد منهم المعصية، ومنه الطاعة، وعان منهم الإباء، ومنه الإجابة - هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي. فقاموا يسخرون ويضحكون ويقولون لأبي طالب: أطع ابنك، فقد أمره عليك^(١).

هذا الحديث يثبت لعلي عليه السلام الوصاية والخلافة من بعده بلا شك ولا ريب، ولا مجال فيه للتأويل إلا لمن يجحد الحقيقة.

وهذا ابن جرير الطبري في تاريخه الكبير الجزء الثاني ص ٢١٦ - ٢١٧ ط مصر سنة ٣٠٠ هـ الطبعة الأولى يحدثنا عن آية (الإنذار): فقد أخرج بسنده عن عبد الله بن عباس، عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢) الآية، دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: «يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضيقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنني متى أبادلهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصممت عليه حتى جاءني جبرئيل فقال: يا محمد إنك إن لا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملأ لنا عساً من لبن، ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له، وهم يومئذ أربعون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب. فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت له. فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حذية من اللحم،

(١) علي والوصية: لنجم الدين العسكري، ص ٤ - ٥.

(٢) سورة الشعراء: آية ٢١٤.

فشقّها بأسنانه، ثم ألقاها في نواحي الصّحفة، ثمّ قال: خذوا باسم الله. فأكل القوم حتّى ما لهم بشيءٍ حاجة. وما أرى إلّا موضع أيديهم. وأيم الله الذي نفس علي بيده: إنّ الرّجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمتُ لجميعهم. ثمّ قال: اسقِ القوم. فجئتُهم بذلك العس، فشربوا منه حتّى رروا منه جميعاً. وأيم الله إن كان الرّجل الواحد منهم يشرب مثله. فلمّا أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم بדרه أبولهب إلى الكلام، فقال: لقدّماً سحركم صاحبكم، فتفرّق القوم ولم يكلمهم رسول الله ﷺ. فقال: الغد يا علي، إنّ هذا الرّجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول، فتفرّق القوم قبل أن أكلمهم، فعُدّ لنا من الطّعام بمثل ما صنعت، ثم اجمعهم إليّ. فقال: ففعلت. ثم جمعتهم، ثم دعاني بالطّعام فقربته لهم. ففعل كما فعل بالأمس. فأكلوا حتّى مالهم بشيءٍ حاجة. ثم قال: اسقِهم، فجئتُهم بذلك العس فشربوا حتّى رروا منه جميعاً. ثمّ تكلم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب: إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به. إنّني قد جئتكم بخير الدّنيا والآخرة. وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيتكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّتي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت: - وإني لأحدثهم سناً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً - أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه. فأخذ يرقبني. ثم قال: إنّ هذا أخي ووصيّتي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع^(١).

وحديث (الإنذار) لم يذكره أحد من الرّواة بكماله وتمايمه. فالطّبري حذف بعد خليفتي (من بعدي). وأخرج هذا الحديث الشيخ علاء الدّين الشّافعي المعروف بالخازن في تفسيره المشهور في جـ ٣ ص ٣١، بنفس المعنى، وإن كان اختصره بلطف. ولكن حذف كلمة (بعدي) بعد قوله ﷺ (وخليفتي فيكم).

(١) راجع كتاب (علي والوصيّة): لنجم الدّين العسكري ففيه الكفاية والمطلب.

وفي السيرة الحلبية ج ١ ص ٣١١ لعللي بن برهان الالدين الحلبي الشافعي؁ أخرج الحديث بمعنى يقارب المعنى السابق. فقال لعللي بعد أن أجابه عليؑ بالمؤازرة فقال: اجلس؁ فأنت أخي ووزير ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي.

وأخرجه كذلك الحافظ محمد بن يوسف القرشي الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب) بنفس المعنى من حيث الأكل والشرب. ثم أنذرهم رسول الله ﷺ فقال: «يا بني عبد المطلب أنا النذير لكم من الله؁ والبشير لما يحبه أحدكم. جئكم بخير الدنيا والآخرة فأسلموا وأطيعوا تهتدوا. ومن يؤاخيني ويؤازرني ويكون وليي ووصيي بعدي وخليفتي في أهلي؁ ويقضي ديني». فأمسك القوم. فأعاد ذلك ثلاثاً؁ كل ذلك يسكت القوم؁ ويقول علي: أنا. فقال: أنت. فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب: أطع ابنك؁ فقد أمر علينا وعليك.

وأخرج الحديث الملاً علي المتقي الحنفي في (كنز العمال) الجزء ٦ ص ٣٩٢؁ وكذلك ابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي في شرحه على نهج البلاغة؁ وابن الأثير الشافعي في الكامل ج ٢ ص ٢٢٢؁ وإبراهيم بن محمد الحموي الشافعي في كتابه (فرائد السمطين) ج ١ باب ١٦؁ ومنهم علاء الدين المعروف بالخازن الشافعي في تفسير الخازن ج ٣ ص ٣٧١ طبع مصر. ومنهم أبو الفداء صاحب حماه في تاريخه ج ١ ص ١١٩؁ والثعالبي في تفسيره المسمى بـ (الكشف والبيان)؁ ومنهم جلال الدين السيوطي الشافعي في تفسيره المشهور بـ (الدر المنثور) ج ٥ ص ١٩٧ طبع مصر. ومنهم أبو عبد الرحمن أحمد النسائي الشافعي في كتابه المعروف بخصائص النسائي ص ١٣. ومنهم النيسابوري في مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٣٣. ومنهم أحمد بن حنبل في مسنده؁ وآخرون غيرهم؁ ولكن فيما ذكرناه كفاية. ومن الأدلة التي تثبت أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ حديث (المنزلة).

فقد أخرجه الخطيب الموفق بن أحمد الخوارزمي الحنفي في المناقب ص ٢٩ ط ١٩٦٥ - المطبعة الحيدرية - النجف. وهذا لفظه بحذف السند. (قال: حدثني) أمير المؤمنين الرّشيد عن أبيه عن جده عن عبد الله بن عباس (قال): سمعتُ عمر بن الخطّاب، وعنده جماعة، فتذكروا السابقين إلى الإسلام. فقال عمر: أمّا علي فسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ فيه: ثلاث خصال ودّدتُ لو أنّ لي واحدةً منهنّ كان أحبَّ إليّ ممّا طلعتُ عليه الشمس. كنتُ أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من الصّحابة، إذ ضرب النبي ﷺ بيده على منكب علي، فقال: يا عليّ أنت أول المؤمنين إيماناً، وأول المسلمين إسلاماً، وأنت منّي بمنزلة هارونَ من موسى. وأخرج هذا الحديث ابن عساكر في تاريخه الكبير في ورقة ١٤ مختصراً عن عمر بن الخطّاب. وكذلك أخرجه علي المتّقّي الحنفي في (كنز العمال) ج ٦ ص ٣٩٥ وفيه زيادة عمّا تقدّم بقوله: (بعد ذكر أنت منّي بمنزلة هارون من موسى)، وكذب عليّ من زعم أنّه يحبّني ويبغضك. وأخرجه الإسكافي في كتابه (نقض عثمانية الجاحظ) ص ٢١ ط مصر، وفيه زيادات نافعة.

وقد روى حديث المنزلة جمعٌ كثير من الصّحابة عن النبي ﷺ في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد عدّ بعضاً منهم الجاحظ بن عساكر: منهم عمر بن الخطّاب، وعلي، وابن عبّاس، وعبد الله بن جعفر، ومعاوية، وجابر بن عبد الله، وجابر بن سمرة، وأبو سعيد، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم، وزيد بن أبي أوفى، وثبیط بن شريط، وحبشي بن جنادة، ومالك بن الحويرث، وأنس بن مالك، وأبو الفضل، وأمّ سلمة، وأسماء بنت عميس، وفاطمة بنت حمزة. وأخرجه ابن كثير في البداية والنهاية عن سعد بن أبي وقّاص. وذكر الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب) ص ١٥١ رواية حديث (المنزلة) منهم أبو هريرة علاوة عن المتقدّم ذكره.

فحديث (المنزلة) من الأحاديث الصّحيحة عند علماء السّنة وعلماء الإمامية. فقد أخرجه البخاري في صحيحه ج ١٤ ص ٣٨٦ ط الهند سنة ١٢٧٢ هـ. وأخرجه في موردٍ آخر من صحيحه أيضاً ج ١٧ ص ٤٧٥ وخبرجه

مسلم في صحيحه جـ ٢ ص ٣٦٣ و ص ٣٢٤ ط مصر سنة ١٣٢٢ هـ،
وخرجه الحاكم النيسابوري الشافعي في المستدرک للصحيحين جـ ٣ ص ١٠٩
و ص ١٣٢ أيضاً بأسانيد عديدة. وخرجه الترمذي في جامعه المعروف
بصحيح الترمذي جـ ٢ ص ٤٦٠ ط الهند سنة ١٣١٠ هـ. وخرجه ابن ماجه
القزويني في سننه جـ ١ ص ٢٨ ط مصر سنة ١٣١٣ هـ. وخرجه النسائي في
خصائصه ص ٧ و ٨ و ص ٢٣ و ٣٢. وخرجه الذهبي في تلخيص المستدرک
للصحيحين جـ ٣ ص ١٣٤ في ذيل المستدرک للحاكم ط حيدرآباد سنة
١٣٤١ هـ. وخرجه البغوي في مصابيح السنة جـ ٢ ص ٢٠١ ط مصر سنة
١٣١٨ هـ. وخرجه أبوداود الطيالسي في مسنده جـ ١ ص ٢٩ ط حيدرآباد
سنة ١٣٢١ هـ. وخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ط مصر سنة ١٣١٣ هـ
جـ ١ ص ١٧٠ و ١٧٣ و ١٧٥ و ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٤ و ٣٣١. وفي جـ ٣
ص ٣٢ و ٣٣٨ و ٣٦٩. وفي جـ ٦ ص ٣٦٩. وفي موارد أخرى. وخرجه ابن
الأثير الجزري الشافعي في تاريخه الكبير جـ ٢ ص ١٠٦ ط مصر سنة
١٣٣٣ هـ. وخرجه علي المتقي الحنفي في (كنز العمال) جـ ٦ ص ١٥٣
وموارد أخرى. وخرجه المحب الطبري في (ذخائر العقبى) ص ٥٨ و ٦٣ وفي
(الرياض النضرة) جـ ٢ ص ١٥٧. وخرجه الخوارزمي الحنفي في (المناقب)
ص ٣٢. وخرجه ابن حجر الهيتمي في (الصواعق المحرقة) ص ٣٠ و ٧٤.
وخرجه ابن خلکان في (وفيات الأعيان) جـ ٢ ص ١٠٤. وخرجه ابن حجر
العسقلاني في (الإصابة) جـ ٢ ص ٥٠٧. وخرجه الشبلنجي الشافعي في (نور
الأبصار) ص ٦٨. وخرجه جلال الدين السيوطي الشافعي في تاريخ الخلفاء
جـ ١ ص ٦٥. وخرجه ابن عبد ربّه في (العقد الفريد) جـ ٢ ص ١٩٤ طبع
بولاق سنة ١٣٠٢ هـ. وخرجه ابن عبد البر القرطبي في (الاستيعاب) طبع
حيدرآباد سنة ١٣١٨ هـ. وخرجه الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب)
ص ١٤٨ و ١٥١ إلى ١٥٤ في حديث مفصل^(١).

(١) مقام الإمام أمير المؤمنين: لنجم الدين العسكري، ص ٣٣ - ٣٦.

وبالرغم من العداء المرير والكره الشديد الذي ظهر من معاوية ضد علي عليه السلام ، فقد روى حديث (المنزلة) . قال ابن حجر في صواعقه : أخرج أحمد أن رجلاً سأل معاوية عن مسألة ، فقال : سأل عنها علياً فهو أعلم . قال : جوابك فيها أحب إلي من جواب علي . قال : بش ما قلت ! لقد كرهت رجلاً كان رسول الله يغره بالعلم غراً . ولقد قال له : « أنت مني بمنزلة هارن من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » .

وذكر ابن عبد ربّه في (العقد الفريد) ج ٣ ص ٢٨٥ وما بعد طبع عام سنة ١٩١٣ م ، احتجاج المأمون على أربعين فقيهاً من فقهاء المسلمين في فضل علي . فانبرى له أعلمهم ، وهو إسحق بن حمّاد . وجرت المناقشة حتى توصّلوا إلى حديث المنزلة فقال المأمون :

يا إسحق أتروي حديث المنزلة : (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين قد سمعته وسمعت من صحّحه وجحدّه . قال : فهل يمكن أن يكون الرسول ﷺ مزح بهذا القول ؟ قلت : أعوذ بالله ! قال : فقال قولاً لا معنى له فلا يوقف عليه ؟ قلت : أعوذ بالله ! قال : أفما تعلم أن هارون كان أخاً موسى لأبيه وأمه ؟ قلت : بلى . قال : فعليّ أخو رسول الله لأبيه وأمه ؟ قلت : لا . قال : أو ليس هارون كان نبياً وعلي غير نبي ؟ قلت : بلى . قال : فهذان الحالان معدومان في علي . وقد كانا في هارون . فما معنى قوله : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى ؟ » قلت له : إنما أراد أن يطيب بذلك نفس علي لما قال المنافقون : إنه خلفه استثقلاً له . قال : فأراد أن يطيب نفسه بقول لا معنى له ؟ قال : فأطرقت . قال : يا إسحق له معنى في كتاب الله بَيِّن . قلت : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : قوله سبحانه عن موسى أنه قال لأخيه هارون : ﴿ اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾ ^(١) . قلت : يا أمير المؤمنين إن موسى خلف هارون في قومه وهو حي ، ومضى إلى ربّه ، وأن رسول الله ﷺ خلف علياً كذلك حين خرج إلى غزاته . قال : كلا ! ليس كما قلت : أخبرني عن موسى حين خلف هارون ، هل

(١) سورة الأعراف : آية ١٤٢ .

كان معه حين ذهب إلى ربه أحد من أصحابه أو أحد من بني إسرائيل؟ قلت: لا. قال: أو ليس استخلفه على جماعتهم؟ قلت: نعم. قال: فأخبرني عن رسول الله ﷺ حين خرج إلى غزاته هل خلف إلا الضعفاء والنساء والصبيان، فأني يكون مثل ذلك؟ وله عندي تأويل آخر من كتاب الله يدل على استخلافه إياه! لا يقدر أحد أن يحتج فيه! ولا أعلم أحداً احتج به. وأرجو أن يكون توفيقاً من الله! قلت: ما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: قوله عز وجل حين حكى عن موسى قوله: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشد به أزي وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً﴾^(١). فأنت مني يا علي بمنزلة هارون من موسى ويزيري من أهلي، وأخي شدد الله به أزي، وأشركه في أمري كي نسبح الله كثيراً ونذكره كثيراً. فهل يقدر أحد أن يدخل في هذا شيئاً غير هذا؟ ولم يكن ليطل قول النبي ﷺ وأن يكون لا معنى له؟.

وحديث (المنزلة) ورد في مناسبات عديدة علاوة عن مناسبة تبوك. فإذا أراد الباحث أن يطلع عليها فليراجع كتاب (المراجعات) لشرف الدين الموسوي. ففيه ما يروي الغليل ويشفي العليل، إذا تخلّى عن الهوى المتغلغل في اللاشعور.

وفي المأثور من دعاء النبي ﷺ: «اللهم إن أخي موسى سألَكَ فقال: ﴿رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري، وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشد به أزي وأشركه في أمري﴾»^(٢). فأوحيت إليه: سنشد عضدك بأخيك، ونجعل لكما سلطاناً. اللهم وإنني عبدك ورسولك محمد، فاشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي أخي... الحديث^(٣).

(١) سورة طه: آية ٢٩ - ٣٥.

(٢) سورة طه: آية ٢٥ حتى ٣٢.

(٣) أخرجه الإمام أبو إسحق الثعلبي عن أبي ذر الغفاري في تفسير قوله تعالى: ﴿إنما=

وخلاصة البحث أن منزلة علي عليه السلام من النبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة هارون من موسى باستثناء النبوة، ومنازل هارون من موسى هي: الشراكة في النبوة، وأخوة النسب، والتقدم عنده في الفضل والمحبة والاختصاص على جميع قومه، والخلافة له في حال غيبته على أمته، وأنه لو بقي بعده لخلفه فيهم. ولذلك يجب أن يكون أمير المؤمنين مفترض الطاعة على الأمة في حياة النبي كهارون في حياة موسى. ونحن نقول: لو فرض علينا الرسول صلى الله عليه وسلم صيام أسبوع في محرّم لكان ذلك شرعاً له. فلم هنا لم نعتبره شرعاً؟

وإن في الآية: ﴿واخلفني في قومه﴾ لأكبر دليل على صحة خلافته. والإجماع متفق على أن هارون كان خليفة لموسى، ونائباً عنه، ومطيعاً لأمره ونهيه. فإذا ثبت كون هارون عليه السلام خليفة لموسى عليه السلام على أمته في حياته، ومفترض الطاعة عليهم، وأن هذه المنزلة من جملة منازل منه. ووجدنا النبي صلى الله عليه وسلم استثنى ما لم يرد من المنازل بعده بقوله: «إلا أنه لا نبي بعدي» - دل هذا الاستثناء على أن ما لم يستثنه حاصلاً لأمر المؤمنين عليه السلام بعده. وإذا كان من جملة المنازل الخلافة في الحياة - وثبت بعده - فقد وضع وجه النص بالإمامة.

وحديث (المنزلة) ألف فيه كتب خاصة. فقد ألف السيد مير حامد حسين الهندي مجلداً ضخماً في هذا الحديث الذي ثبت هو وغيره من الأحاديث وصاية الإمام عليه السلام وخلافته من بعده.

وهناك أحاديث متعددة تُثبت استخلاف علي عليه السلام على الأمة الإسلامية منها:

الحديث الأول: فرائد السّمطين ج ٢ باب ٨: أخرج بسنده عن

سعيد بن جبیر، عن ابن عباس، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً ذات يوم إذ أقبل الحسن عليه السلام. فلمّا رآه بكى. ثم قال: إني إليّ يا بني، فما زال يديه حتى أجلسه على فخذه الأيمن، ثم أقبل الحسين عليه السلام فلمّا رآه بكى،

= وليكم الله ورسوله والذين آمنوا في سورة المائدة من تفسيره الكبير. ونقل نحوه المتبّع البلخي في مسند الإمام أحمد. راجع كتاب (المراجعات)، ص ١٧٢ للموسوي.

ثم قال: إِلَيَّ إِلَيَّ يَا بُنَيَّ، فما زال يَدنيه حتى أَجْلَسَهُ على فخذِهِ الْإِيسَرِ. ثم أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام، فلمَّا رَأَاهَا بَكَى. ثم قال: إِلَيَّ إِلَيَّ يَا بُنَيَّةُ! فَأَجْلَسَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ. ثم أَقْبَلَ عَلَيَّ عليه السلام، فلمَّا رَأَاهُ بَكَى. ثم قال: إِلَيَّ إِلَيَّ يَا أَخِي، فما زال يَدنيه حتى أَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ. فقال لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَرَى وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ إِلَّا بَكَيتَ. أَوْ مَا فِيهِمْ مِنْ تُسْرٍ بِرُؤْيَيْهِ؟ فقال عليه السلام: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالنَّبُوءَةِ وَاصْطَفَانِي عَلَى جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ! إِنِّي وَإِيَّاهُمْ لِأَكْرَمِ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ نَسَمَةٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُمْ. أَمَّا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَإِنَّهُ أَخِي وَشَقِيقِي، وَصَاحِبُ الْأَمْرِ بَعْدِي، وَصَاحِبُ لَوَائِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصَاحِبُ حَوْضِي وَشَفَاعَتِي. وَهُوَ مَوْلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِمَامُ كُلِّ مُؤْمِنٍ. وَقَائِدُ كُلِّ تَقِيٍّ. وَهُوَ وَصِيِّي، وَخَلِيفَتِي عَلَى أَهْلِي وَأُمَّتِي فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ مَوْتِي، وَمُحِبُّهُ مُحِبِّي، وَمُبْغِضُهُ مُبْغِضِي، وَبَوْلَايَتُهُ صَارَتْ أُمَّتِي مَرْحُومَةً، وَبَعْدَاوَتُهُ صَارَتْ الْمَخَالَفَةَ لَهُ مَلْعُونَةً. وَإِنِّي بَكَيتُ (لَمَّا رَأَيْتُهُ) لِأَنِّي ذَكَرْتُ غَدْرَ الْأُمَّةِ بِهِ بَعْدِي، حَتَّى أَنَّهُ يُزَالُ عَنْ مَقْعِدِي، وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ بَعْدِي، ثُمَّ لَا يُزَالُ الْأَمْرُ بِهِ حَتَّى يُضْرَبَ عَلَى قَرْنِهِ ضَرْبَةٌ تَخْضِبُ مِنْهَا لَحِيَّتُهُ فِي أَفْضَلِ الشُّهُورِ شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ. وَأَمَّا ابْنَتِي فَاطِمَةُ فَإِنَّهَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ. وَهِيَ بَعْضَةُ مِنِّي، وَهِيَ نُورُ عَيْنِي، وَهِيَ ثَمَرَةُ فَوَادِي، وَهِيَ رُوحِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبِي، وَهِيَ الْحَوْرَاءُ الْأَنْسِيَّةُ، مَتَى قَامَتْ فِي مَحْرَابِهَا بَيْنَ يَدَي رَبِّهَا جَلَّ جَلَالُهُ. زَهَرَ نُورُهَا لِمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ، كَمَا يَزْهَرُ نُورُ الْكَوَاكِبِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ. وَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ: يَا مَلَائِكَتِي انظُرُوا إِلَى أُمَّتِي فَاطِمَةَ سَيِّدَةِ إِمَائِي قَسَائِمَةً بَيْنَ يَدَي تَرَعْدُ (تَرْتَعْدُ خ ل) فَرَائِصُهَا مِنْ خِيفَتِي، وَقَدْ أَقْبَلْتُ إِلَيَّ بِقَلْبِهَا عَلَى عِبَادَتِي. أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ آمَنْتُ شِيعَتَهَا مِنَ النَّارِ. وَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُهَا ذَكَرْتُ (مَا يَصْنَعُ بِهَا بَعْدِي، وَكَأَنِّي بِهَا وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهَا الذَّلُّ فِي بَيْتِهَا، وَانْتَهَكَتْ حَرَمَتَهَا، وَغُصِبَتْ حَقُّهَا، وَمُنِعَتْ إِرْثُهَا، وَكُسِرَ جَنْبُهَا، وَسَقَطَ جَنْبُهَا) ^(١). وَهِيَ تَنَادِي: يَا مُحَمَّدَاهُ، فَلَا تُجَابِ، وَتَسْتَغِيثُ فَلَا تَغَاثُ. فَلَا تَزَالُ بَعْدِي مَحْزُونَةٌ مَكْرُوبَةٌ بَاكِئَةٌ. فَتَتَذَكَّرُ انْقِطَاعَ الْوَحْيِ مِنْ بَيْتِهَا

(١) الْجَمَلُ الْمَوْضَعَةُ بَيْنَ () قَوْسَيْنِ مِنْ كِتَابِ الْفَضَائِلِ لِشَاذَانَ الْقَمِي .

مرةً، وتذكر فراقِي أُخرى، وتستوحش إذا جَنَّها اللَّيْلُ لفقد صوتي الذي كانت تستمع إليه إذا تهجَّدت بالقرآن، ثم ترى نفسها ذليلةً، بعد أن كانت في أيام أبيها عزيزة. وعند ذلك يؤنسها الله تعالى فيناديها بما نادى به مريم بنت عمران . فيقول لفاطمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ يا فاطمة: ﴿اقْنَبِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(١). ثم يشتدُّ بها الوجع فتمرض، فيبعث الله عزَّ وجلَّ إليها مريم بنت عمران تمرَّضها وتؤنسها في علَّتها، فتقول عند ذلك: يا ربِّ إِنِّي سئِمتُ من الحياة، وتبرَّمتُ بأهلِ الدُّنيا، فألحقني بأبي. فيلحقها الله عزَّ وجلَّ بي، فتكون أول من يلحقني من أهل بيتي. فتقدم عليَّ محزونةً مكروبةً مغمومةً [معصوبة مقتولة، فأقول عند ذلك: اللهم العن ظالمها، وعاقب من غصبها حقَّها، وأذلَّ من ذلَّها، وخلد في النار من ضربها على جنبها حتَّى ألقَتْ ولدها. فتقول الملائكة عند ذلك: آمين]^(٢).

وأما الحسن فإنه منِّي وولدي وقرة عيني، وضياء قلبي، وثمره فؤادي. وهو سيّد شباب أهل الجنة، وحجّة الله على الأُمّة. أمره أمري، وقوله قولي، مَنْ تبعه فإنه منِّي، ومن عصاه فإنه ليس منِّي. وإِنِّي إذا نظرتُ إليه تذكَّرتُ ما يجري عليه من الدّلِّ بعدي، ولا يزال الأمرُ به حتَّى يُقتل بالسَّمِّ ظلماً وعدواناً، فعند ذلك تبكي عليه الملائكة والسَّبع الشَّداد لموته، ويبكيه كلّ شيءٍ حتَّى الطَّير في جَوِّ السَّماء، والحيتان في جوف الماء. فمن بكاه لم تعم عينه يومَ بقعته ثبَّتْ قدمه على الصَّراط يوم تزلّ فيه الأقدام.

وأما الحسين فإنه منِّي. وهو ابني وولدي وخير الخلق بعد أخيه، وهو إمام المسلمين، وخليفة ربِّ العالمين، وغيّاث المستغيثين، وكهف المستجيرين، ورحمة الله على خلقه أجمعين. وهو سيّد شباب أهل الجنة،

(١) سورة آل عمران: آية ٤٢ - ٤٣.

(٢) الجمل الموضوعة بين قوسين [من كتاب الفضائل لشاذان القمي.

وباب نجاة الأمة، أمره أمري، وطاعته طاعتي. مَنْ تَبَعَهُ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَاهُ فَلَيْسَ مِنِّي. وإني لما رأيته تذكّرتُ ما يُصْنَعُ به بعدي، كأني به وقد استجار بحرمي وقبري، فلا يجار، فأضّمّه في منامه إلى صدري، وأمره بأن يرتحل عن دار هجرتي، وأبشّره بالشّهادة فيرتحل عنها إلى أرض مقتله، وموضع مصرعه، أرض كرب وقتل وفناء، تنصره عصابة من المسلمين. أولئك سادة شهداء أمتي يوم القيامة، كأني أنظر إليه، وقد رمى بسهم، فخر عن فرسه صريعاً. ثم يذبح كما يذبح الكبش مظلوماً. ثم بكى رسول الله ﷺ، وبكى من حوله، وارتفعت أصواتهم بالضّجيج. ثم قام رسول الله ﷺ وقال: اللهم إني أشكو إليك ما يلقي أهل بيتي بعدي، ثم دخل منزله»^(١).

الحديث الثاني: مناقب الخوارزمي ص ٢٤٠. أخرج بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه، عن جدّه، قال: قال علي عليه السلام: قال النبي ﷺ: «لما أسرى بي إلى السماء، ثم من السماء إلى سدرة المنتهى، وقفت بين يدي ربّي عزّ وجلّ. فقال لي: يا محمد، قلتُ: لبيك وسعديك. قال: قد بلوت خلقي، فأيهم رأيت أطوع لك؟ قال: قلت: يا ربّ عليّاً. قال: صدقت يا محمد. فهل اتخذت لنفسك خليفة يؤدّي عنك، يعلم عبادي من كتاب الله ما لا يعلمون؟ قال: قلت: يا ربّ اختر لي، فإن خيرتك خيرتي. قال: اخترت لك عليّاً، فاتخذهُ لنفسك خليفةً ووصياً، ونحلتَه علمي وحلمي، وهو أمير المؤمنين حقّاً لم ينلها أحدٌ قبلها، وليست لأحد بعده. يا محمد: عليّ راية الهدى، وإمام من أطاعني، ونور أوليائي. وهو الكلمة التي ألزمتها المتّقين. من أحبّه فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني. فبشّره يا محمد بذلك. فقال النبي ﷺ: قلتُ: ربّي بشّرتُه به. فقال: أنا عبد الله وفي قبضته. إن يعاقبني فبذنوبي لم يظلمني شيئاً وإن تمّم عليّ وعدي فإنه

(١) أخرج السيد هاشم البحراني الحديث في غاية المرام، ص ٤٨، عن ابن بابويه القمي، ولفظه ولفظ الحموي متقارباً. راجع علي والشيعه لنجم الدين العسكري، وراجع علي والوصية للعسكري، والفضائل لشاذان القمي، ص ٨ و ٩ و ١٠ و ١١، منشورات مكتبة العرفان.

مولاي . قال : أجل . قال : قلت : يا ربَّ أَجَلُ قلبه ، واجعل ربيعه الإيمان . قال : قد فعلتُ ذلكَ به يا محمد . غير أنني مختصُّه بشيءٍ من البلاء ثم أخصُّ به أحداً من أوليائي . قال : قلتُ : يا ربَّ أخي وصاحبي ، قال : قد سبق في علمي أنه مبتلى ، ولولا عليٌّ لم يعرف حزبي ولا أوليائي ولا أولياء رسلي . في حلية الأولياء ١٩/١ نحوه مع اختلاف يسير^(١) .

الحديث الثالث : أخرج الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي في كتابه (إكمال الدين وإتمام النعمة) بالإسناد إلى عبد الرحمن بن سمرة من حديث عن رسول الله ﷺ جاء فيه : «يا بن سمرة إذا اختلفت الأهواء وتفرقت الآراء ، فعليك بعلي بن أبي طالب ، فإنه إمام أمّتي وخليفتي عليهم من بعدي» .

الحديث الرابع : أخرج الصدوق في (الإكمال) أيضاً بسنده إلى الإمام الرضا عن آبائه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ ، قال : «من أحبَّ أن يتمسكَ بديني ، ويركب سفينة النجاة بعدي فليقتد بعلي بن أبي طالب ، فإنه وصيي وخليفتي على أمّتي في حياتي وبعد مماتي» .

الحديث الخامس : أخرج الصدوق في (الإكمال) بالإسناد إلى الإمام الحسن العسكري عن أبيه عن آبائه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ من حديث قال فيه : «يا بن مسعود : علي بن أبي طالب إمامكم بعدي ، وخليفتي عليكم» .

الحديث السادس : أخرج الصدوق في (أماليه) عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «يا علي أنت خليفتي على أمّتي وأنت مني كشيث من آدم» .

الحديث السابع : أخرج الصدوق في (أماليه) عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : قال رسول الله ﷺ : «علي بن أبي طالب أقدمهم سلماً ،

(١) المناقب : للخوارزمي ، ص ٢١٥ ط ١٩٦٥ م ، المطبعة الحيدرية بالنجف .

وأكثرهم علماً . . . إلى أن قال: وهو الإمام والخليفة بعدي».

الحديث الثامن: أخرج الصدوق في (أماله) أيضاً بسنده إلى أمير المؤمنين، قال: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «أيها الناس إنه قد أقبل شهر الله . . . ثم ساق الحديث في فضل شهر رمضان. قال علي: فقلت، يا رسول الله: ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ قال: الورع عن محارم الله. ثم بكى. فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: يا علي، أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر، إلى أن قال: يا علي، أنت وصيي وأبو ولدي وخليفتي على أمتي في حياتي وبعد موتي. أمرك أمري، ونهيك نهيي». الحديث.

الحديث التاسع: أخرج الصدوق في (أماله) أيضاً عن ابن عباس أيضاً من حديث قال فيه رسول الله ﷺ: «يا علي أنت إمام أمتي، وخليفتي عليها بعدي». الحديث.

الحديث العاشر: أخرج الصدوق في كتاب (النصوص على الأئمة) أيضاً بسنده إلى عمران بن حصين. قال: سمعت النبي ﷺ يقول لعلي: «وأنت الإمام والخليفة بعدي».

الحديث الحادي عشر: من كتاب (المناقب) عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، أنه سمع نبي الله ﷺ يقول: «إن أخي ووزير وخير من خلفه من بعدي علي بن أبي طالب»^(١).

الحديث الثاني عشر: روى الشيخ الطوسي قدس الله روحه، بإسناده إلى ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أعطاني الله تبارك وتعالى خمساً، وأعطى علياً خمساً. أعطاني جوامع الكلم، وأعطى علياً جوامع العلم. وجعلني نبياً، وجعله وصياً. وأعطاني الكوثر، وأعطاه السلسيل، وأعطاني الوحي، وأعطاه الإلهام. وأُسِرِي به إليه، وفتح له أبواب

(١) كشف الغمّة، ج ١ ص ١٥٣.

السَّماء والحجب حتَّى نظر إليّ ونظرتُ إليه . قال : ثم بكى رسول الله ﷺ فقلتُ له : ما يبكيك فذاك أبي وأمي ؟! فقال : يابن عباس إنَّ أوَّل ما كلَّمَنِي به أن قال : يا محمَّد أنظر تحثَّكَ ، فنظرتُ إلى الحجب قد انخرقتُ ، وإلى أبواب السَّماء قد فُتحتُ ، ونظرتُ إلى عليٍّ عليه السلام وهو رافع رأسه إليّ ، فكلَّمَنِي وكَلَّمَتُهُ ، وكلَّمَنِي رَبِّي عزَّ وجلَّ . فقلتُ : يا رسول الله بِمَ كلَّمَك ؟ قال : قال لي : يا محمَّد إنِّي جعلتُ عليّاً وصيِّكَ ووزيرَكَ وخليفَتَكَ من بعديكَ ، فعلمه فيها ، هو يسمع كلامَكَ ، فأعلمته وأنا بين يدي رَبِّي عزَّ وجلَّ . فقال لي : قد قبلتُ وأطعتُ . فأمر الله الملائكة أن تسلِّم عليه ، ففعلت . فردَّ عليهم السَّلام . ورأيتُ الملائكة يتباشرون به ، وما مررتُ بملائكةٍ من ملائكة السَّماء إلَّا هتَّؤوني وقالوا : يا محمَّد ، والذي بعثَكَ بالحقِّ نبياً لقد دخل السُّرور على جميع الملائكة باستخلافِ الله عزَّ وجلَّ لك ابن عمِكَ ، ورأيتُ حملة العرش قد نكسوا رؤوسهم إلى الأرض . فقلتُ : يا جبرئيل لِمَ نكس حملة العرش رؤوسهم إلى الأرض ؟ فقال : يا محمَّد ما من ملك من الملائكة إلَّا وقد نظر إلى وجه علي بن أبي طالب استبشاراً به ما خلا حملة العرش ، فإنَّهم استأذنوا الله عزَّ وجلَّ في هذه السَّاعة ، فأذنَ لهم أن ينظروا إلى علي بن أبي طالب . فنظروا إليه ، فلمَّا هبطت جعلتُ أخبرُهُ بذلك وهو يخبرني به ، فعلمتُ أنِّي لم أظأ موطئاً إلَّا وقد كُشِفَ لعلِّي عنه حتَّى نَظَرَ إليه .

الحديث الثالث عشر : في التَّاريخ الكبير لابن عساكر ، أخرج بسنِّده عن ابن عباس قال : ستكون فتنةٌ . فإن أدركها أحد منكم فعليه بخصلتين : كتاب الله وعلي بن أبي طالب . فإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « وهو آخذٌ بيد علي : هذا أوَّل من آمنَ بي ، وأوَّل من يضافحني يوم القيامة . وهو فاروق هذه الأُمَّة يفرِّق بين الحقِّ والباطل . وهو يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب الكافرين . وهو الصديق الأكبر . وهو بأبي الذي أُوتِيَ منه . وهو خليفتي من بعدي » .

الحديث الرَّابع عشر : أخرَجَ العلامة إبراهيم بن محمَّد الحموي الشَّافعي في فرائد السَّمطين (ج ١ الباب ٥) مرفوعاً بالأسانيد إلى علي بن

موسى الرضا، عن أبيه عن آبائه عليهم السلام. قال: قال رسول الله ﷺ «من أحب أن يتمسك بديني ويركب سفينة النجاة بعدي، فليقتد بعلي بن أبي طالب، وليعاد عدوه، وليوال وليه، فإنه وصي وخليفتي على أمتي في حياتي وبعد وفاتي. وهو إمام كل مسلم، وأمير كل مؤمن بعدي. قوله قولي، وأمره أمري، ونهيّه نهبي، وتابعه تابعي، وناصره ناصري، وخاذله خاذلي. (ثم قال عليه السلام): من فارق علياً بعدي لم يرني ولم أراه يوم القيامة. ومن خالف علياً حرم الله عليه الجنة، وجعل مأواه النار. ومن خذل علياً خذله الله يوم يُعرض عليه، ومن نصر علياً نصره الله يوم يلقاه، ولقنه حجته عند المسألة. (ثم قال عليه السلام): والحسن والحسين إماما أمتي بعد أبيهما، وسيدا شباب أهل الجنة، أمهما سيّدة نساء العالمين، وأبوهما سيّد الوصيين، ومن ولد الحسين تسعة أئمة تاسعهم القائم من ولدي. طاعتهم طاعتي، ومعصيتهم معصيتي. إلى الله أشكو المنكرين لفضلهم، والمُضيعين لحرمتهم بعدي. وكفى بالله ولياً وناصراً لعترتي وأئمة أمتي، ومنتقماً من الجاحدين حقهم، ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾.

أخرج هذا الحديث العلامة الحجة السيّد هاشم البحراني في (غاية المرام) ص ٣٥ من فرائد السّمطين مسنداً، ولفظه يساوي ما أخرجناه من الكتاب المذكور^(١).

الحديث الخامس عشر: (في فرائد السّمطين) للحموي الشافعي أخرج بسنده قال: حدّثنا محمد بن موسى بن المتوكّل قال: نبأنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، قال: نبأنا محمد بن إسماعيل عن علي بن عثمان، عن محمد بن الغراب، عن ثابت بن دينار، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن علي بن أبي طالب إمام أمتي، وخليفتي عليها بعدي، ومن ولده القائم المنتظر الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً، إن الثابتين على القول بإمامته

(١) راجع (علي والوصية): لمؤلفه العسكري، ص ٢٣ - ٢٤.

في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر. فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري فقال: يا رسول الله، وللقائم من ولدك غيبة؟ قال: إي وربّي ليمحص الله الذين آمنوا ويمحص الكافرون. يا جابر إنّ هذا الأمر من أمر الله، وسرّ من سرّ الله، علّته مطوية من عباده. فإياك والشك، فإنّ الشكّ في أمر الله كفر».

وأخرج هذا الحديث القندوزي في ينابيعه ص ٤٤٨ عن ابن عباس مع تغيير في ألفاظه وإسقاط كثير منها^(١).

الحديث السادس عشر: من المناقب للخوارزمي يقول: وأخبرني شهردار إجازة أخبرني عبدوس بن عبد الله هذا كتابة، حدّثني أبو منصور، حدّثني علي بن القاسم، حدّثني إبراهيم، حدّثني الحكيم بن سليمان الحلبي، أخبرنا أبو محمد، حدّثنا علي بن هاشم عن مطير بن ميمون، أنّه سمع أنس بن مالك يقول: حدّثني سلمان الفارسي أنّه سمع النبي ﷺ يقول: «إنّ أخي ووزيري وخير من أخلفه بعدي علي بن أبي طالب عليه السلام». مناقب الخوارزمي ص ٦٢ ط ١٩٦٥ المطبعة الحيدرية - النجف.

هذا غيظ من فيض وهذه الأحاديث التي تدلّ على استخلاف علي على الناس تحتاج إلى مجلّد ضخم لتحويلها بكاملها.

ومن الأدلة التي تثبت أنّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام وصيه وخليفته على خلقه أحاديث الوصية. وهي كثيرة نقتصر على بعض منها:

الحديث الأوّل: أخرج العلامة سليمان القندوزي الحنفي في (ينابيعه) ص ٢٥١ بسنده عن عمر بن الخطّاب. قال: (قال) رسول الله ﷺ - لما عقد المؤاخاة بين أصحابه - قال: «هذا علي أخي في الدنيا والآخرة، وخليفتي في أهلي، ووصيي في أمّتي، ووارث علمي، وقاضي ديني، ماله مني مالي منه. نفعه نفعي، وضرّه ضرّي، من أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني».

(١) راجع (علي والوصية): لنجم الدين العسكري، ص ٢٩.

الحديث الثاني: (الرياض النضرة جـ ٢ ص ١٧٨ للمحب الطبري)
 قال: (ذكر اختصاصه عليه السلام بالولاية والإرث) ثم قال: عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبي وصي ووارث، وأن علياً وصي ووارثي». (وفيه أيضاً) عن أنس قال: قلنا لسلمان: سل النبي ﷺ من وصيه؟ فقال سلمان: يا رسول الله من وصيكَ؟ (قال): «ياسلمان: من كان وصي موسى؟ قال: يوشع بن نون. (قال): فإن وصي ووارثي يقضي ديني وينجز مواعيدي علي بن أبي طالب».

الحديث الثالث: أخرج القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة) ص ١٢٣ من المناقب بسنده عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، (قال) قال رسول الله ﷺ: «إن الله قد فرض عليكم طاعتي، ونهاكم عن معصيتي، وفرض عليكم طاعة علي بعدي، ونهاكم عن معصيته. وهو وصي ووارثي. وهو مني، وأنا منه. حبه إيمان، وبغضه كفر. محبه محبي، وبغضه مبغضي. وهو مولى من أنا مولاه، وأنا مولى كل مسلم ومسلمة. وأنا هو أبوا هذه الأمة».

وفي (ينابيعه) أيضاً ص ١٢٣ من المناقب بسنده عن الأعمش، عن جعفر الصادق، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام: (قال) قال رسول الله ﷺ: «يا علي أنت أخي ووارثي ووصي. محبك محبي، ومبغضك مبغضي. يا علي أنا وأنت والأئمة من ولدك سادات الدنيا وملوك الآخرة. من عرفنا فقد عرف الله. ومن أنكرنا فقد أنكر الله عز وجل».

وأخرج أيضاً في (ينابيعه) ص ٢٦٨ نقلاً عن مودة القرني بسنده عن علي رفعه إلى النبي ﷺ أنه قال: «إن الله جعل لكل نبي وصياً: جعل شيث وصي آدم عليه السلام، ويوشع وصي موسى عليه السلام، وشمعون وصي عيسى عليه السلام، وعلياً وصي، ووصي خير الأوصياء في البداء، وأنا الداعي وهو المضيء».

الحديث الرابع: أخرج السيد البحراني في (غاية المرام) ص ٦٣٤ عدة

أحاديث عن «البساط» من كتب السنة والإمامية . ونحن ننقل من أحاديثه حديثاً مصدره كتب السنة . وحديثاً مصدره كتب الإمامية . فمن حديث السنة (قال): حدث معمر عن الزهري، عن قتادة، عن أنس . قال: كنا جلوساً في المسجد عند النبي ﷺ ، وقد أهدى إليه بساط، فقال: أدع علي بن أبي طالب . فدعوته ثم أمرني أن أدعو أبا بكر وعمر وجمعاً من الصحابة فدعوتهم كما أمرني نبي الله ، وأمرني أن أبسط البساط فبسطته، ثم أقبل على علي وأمره بالجلوس على البساط وأمر أبا بكر وعمر وعثمان بالجلوس مع أمير المؤمنين . وجلست مع من جلس . فلما استقر بنا المجلس أقبل النبي ﷺ على علي وقال: «يا أبا الحسن قل: يا ريح الصبا احمليني . والله خليفتي عليك . وهو حسبنا ونعم الوكيل» . قال أنس: فنادى أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب عليه السلام): كما أمره النبي ﷺ ، فوالذي بعث محمداً بالحق نبياً، ما كان إلا هنيهة حتى صرنا في الهواء . ثم نادى يا ريح الصبا ضعيني . فإذا نحن في الأرض . فأقبل علينا وقال: يا معاشر الناس: أتدرون أين أنتم؟ وبمن قد حللتم؟ فقلنا: لا . (فقال أمير المؤمنين علي): أنتم عند أصحاب الكهف والرقيم الذين كانوا من آياتنا عجباً . فمن أحب أن يسلم على القوم فليقم . فأول من قام أبو بكر فسلم على القوم، فلم يردوا عليه الجواب . ثم قام عمر، فسلم عليهم فلم يردوا عليه الجواب . فلم يزل القوم يقوم واحد بعد واحد، ويسلمون فلم يردوا عليهم الجواب، إلى أن قام أمير المؤمنين . فنادى: السلام عليكم أيها الفتية فتية أهل الكهف والرقيم الذين كانوا من آياتنا عجباً . فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . أيها الإمام وأخو سيد الأنام محمد ﷺ . فلما سمع القوم كلامهم لأمر المؤمنين، قالوا: يا أبا الحسن بحق ابن عمك محمد ﷺ إسأل القوم ما بالهم سلمنا عليهم فلم يردوا علينا السلام؟ (فقال): أيها الفتية ما بالكم لم تردوا على أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا أبا الحسن، قد أمرنا ألا نسلم إلا على نبي أو وصي نبي . وأنت خير الوصيين وابن عم خير النبيين . وأنت أبو الأئمة المهديين، وزوج فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وقائد الغر المحجلين إلى جنات

النَّعِيمِ . فَلَمَّا اسْتَتَمَ الْقَوْمُ كَلَامَهُمْ أَمَرْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام بِالْجُلُوسِ عَلَى الْبَسَاطِ . ثُمَّ نَادَى : يَا رِيحَ الصَّبَا احْمِلِينِي . فَإِذَا نَحْنُ فِي الْهَوَاءِ مَا شَاءَ اللَّهُ . (ثُمَّ قَالَ) : يَا رِيحَ ضَعِينِي ، فَإِذَا نَحْنُ فِي الْأَرْضِ . فَرَكَزَ الْأَرْضَ بِرِجْلِهِ ، فَإِذَا نَحْنُ بِعَيْنِ مَاءٍ . (فَقَالَ) : مَعَاشِرَ النَّاسِ : تَوَضُّؤُوا لِلصَّلَاةِ فَإِنَّكُمْ تَدْرِكُونَ الصَّلَاةَ مَعَ النَّبِيِّ عليه السلام . (قَالَ) : فَتَوَضَّأْنَا ، ثُمَّ أَمَرْنَا بِالْجُلُوسِ عَلَى الْبَسَاطِ ، فَجَلَسْنَا . (ثُمَّ قَالَ) : يَا رِيحَ الصَّبَا احْمِلِينِي ، فَإِذَا نَحْنُ فِي الْهَوَاءِ . (ثُمَّ قَالَ) : يَا رِيحَ الصَّبَا ضَعِينِي . فَإِذَا نَحْنُ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام وَقَدْ صَلَّيْتُ رَكْعَةً وَاحِدَةً . فَصَلَّيْنَا مَعَهُ مَا بَقِيَ مِنَ الصَّلَاةِ وَمَا فَاتَ بَعْدَهُ ، وَسَلَّمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ، فَأَقْبَلَ بَوَجهَهُ عَلَيْنَا وَقَالَ : يَا أَنَسُ أَتَحَدِّثُنِي أَمْ أَحَدِّثُكَ ؟ فَقُلْتُ : الْحَدِيثُ مِنْكَ أَحْسَنُ . فَحَدَّثَنِي كَأَنَّهُ (كَانَ) مَعَنَا^(١) .

وهذه رواية من كتب الإمامية في قضية البساط لا تزيد على الأحاديث المروية من كتب أهل السنة في المعنى ، وإن زادت في اللفظ ، ففي (غاية المرام) ص ٦٣٧ نقلاً عن ابن شهر آشوب في المناقب ، عن سالم بن أبي جعدة (قال) : حضرت مجلس أنس بن مالك بالبصرة ، وهو يحدث . فقام إليه رجل من القوم وقال : يا صاحب رسول الله ما هذه الشيمة التي أراها بك؟ فإنه حدثني أبي عن رسول الله أنه قال : «البرص والجذام لا يبلي الله بهما مؤمناً» . (قال) : فعند ذلك أطرق أنس بن مالك (برأسه) إلى الأرض ، وعيناه ترزفان بالدموع . ثم رفع رأسه وقال : دعوة العبد الصالح علي بن أبي طالب نفذت في . (قال) : فعند ذلك قام الناس من حوالبه وقصدوه وقالوا : يا أنس حدثنا ما كان السبب؟ (قال لهم) : ألهوا عن هذا . قالوا له : لا بد لك أن تخبرنا بذلك .

(١) رواية حديث (البساط) في كتب السنة والإمامية هم أمير المؤمنين عليه السلام ، وابن عباس ، وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، ومن أهل البيت الإمام الصادق عليه السلام . وأما العشرة الذين أمر أنس بإحضارهم فهم حسب أحاديث الفريقين : أمير المؤمنين علي ، وسلمان ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وسعيد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان . راجع كتاب (علي والوصية) للعسكري ففيه الكفاية لمن أراد المزيد .

(فقال): اقعدوا على مواضعكم، واسمعوا مني حديثاً كان هو السبب عن علي عليه السلام. اعلموا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أُهْدِيَ له بساط شعر من قرية كذا وكذا من المشرق يقال لها خندف (هندف خ ل). فأرسلني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبي بكر وعمر وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف الزهري، فأتيته بهم وعنده ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام. فقال لي: يا أنس اجلس حتى تخبرني بما يكون منهم. (ثم قال علي): قل: يا ريح احملينا. فقال الإمام علي عليه السلام: يا ريح احملينا. فإذا نحن في الهواء. فقال: سيروا على بركة الله. (قال): فسرنا ما شاء الله. (ثم قال): يا ريح ضعينا، فوضعنا. (فقال): أتدرون أين أنتم؟ قلنا: الله ورسوله وعلي أعلم. قال: هؤلاء أصحاب الكهف والرقيم الذين كانوا من آياتنا عجباً. قوموا يا أصحاب رسول الله حتى تسلموا عليهم. فعند ذلك قام أبو بكر وعمر فقالا: السلام عليكم يا أصحاب الكهف والرقيم. (قال): فلم يجبهما أحد. (قال): فقام طلحة والزبير فقالا: السلام عليكم يا أصحاب الكهف والرقيم. فلم يجبهما أحد. (قال أنس): فقمْتُ أنا وعبد الرحمن بن عوف، فقلتُ: أنا أنس خادم رسول الله: السلام عليكم يا أصحاب الكهف والرقيم. فلم يجاوبني أحد. (قال): فعند ذلك قام الإمام (علي بن أبي طالب) وقال: السلام عليكم يا أصحاب الكهف والرقيم الذين كانوا من آياتنا عجباً. فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا وصي رسول الله. فقال: يا أصحاب (الكهف): لم لا رددتم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقالوا: يا خليفة رسول الله إنا فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدى. وليس معنا إذن أن نرد السلام إلا على نبي أو وصي نبي. وأنت وصي خاتم النبيين، وأنت سيد الوصيين. (ثم قال): أسمعتم يا أصحاب رسول الله؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين. (قال): فخذوا مواضعكم وقوموا في مجالسكم. (قال): فقعدنا في مجالسنا. ثم قال عليه السلام: يا ريح احملينا. فحلمتنا وسرنا ما شاء الله (إلى) أن غربت الشمس. (ثم قال): يا ريح ضعينا، فإذا نحن في أرض كالزعفران ليس فيها حشيش ولا أنيس، نباتها الشَّيْحُ، وليس بها ماء. فقلنا له: يا أمير المؤمنين وقت الصلاة،

وليس بها لنا ماء نتوضأ به . ثم قام وجاء إلى موضعٍ من تلك الأرض ، فرفس برجله ، فانبعثت عين ماء عذب . فقال : دونكم وما طلبتم ، ولولا طلبتكم لجاءنا جبرئيل بماءٍ من الجنة . (قال) : فتوضأنا وصلينا ، ووقف يصلي إلى أن انتصف الليل . (ثم قال) : خذوا مواضعكم . ستدركون الصلاة مع رسول الله أو بعضها . (ثم قال) : يا ريح احملينا ، فإذا نحن في الهواء ، ثم سرنا ما شاء الله ، فإذا بمسجد رسول الله ﷺ ، وقد صلى من صلاة الغداة ركعة واحدة . فقضينا ما كان سبقنا بها رسول الله ﷺ . ثم التفت إلينا فقال لي : يا أنس ، تحدّثني أم أحدّثك ؟ قلت : بل من فيك أحلى يا رسول الله . (قال) : فابتدأ بالحديث من أوله إلى آخره كأنه معنا . قال : يا أنس ، تشهد لابن عمي بها إذا استشهدك ؟ فقلت : نعم يا رسول الله . (قال) : فلما ولي أبو بكر الخلافة أتى إلي علي - وكنت حاضراً عند أبي بكر ، والناس حوله - فقال : يا أنس ألسنت تشهد بفضيلة البساط ، ويوم عين الماء ، ويوم الجب ؟ فقلت : قد نسيت يا علي لكبري . فعندها قال لي : يا أنس إذا كنت كتمتها مداهنة بعد وصية رسول الله بك ، رماك الله بياضٍ في وجهك ، ولظى في جوفك ، وعمى في عينك ؟ فما قمت من مقامي حتى برصت وعميت . وأنا لا أقدر على الصيام في شهر رمضان ولا غيره . لأن الزاد لا يبقى في جوفي . ولم يزل على ذلك حتى مات بالبصرة .

الحديث الخامس : أيضاً الخطيب الموفق بن أحمد الخوارزمي في كتابه مقتل الحسين عليه السلام : ج ١ ص ٣٨ بسنده . قال : (أخبرني) سيد الحفاظ هذا (شهردار) ، أخبرني أبو الفتح كتاباً . (أخبرني) أبو طاهر . (أخبرني) أبو الفرج ، (حدّثني) الحسن بن علي ، (حدّثني) صهيب بن عباد ، (حدّثني) أبي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام . (قال) قال رسول الله ﷺ : «أتاني جبرائيل وقد نشر جناحيه ، فإذا فيهما مكتوبٌ على أحدهما ، لا إله إلا الله ، محمد النبي ، وعلى الآخر ، لا إله إلا الله علي الوصي»^(١) .

(١) وكذلك برواية الخوارزمي في مناقبه ، ص ٩٠ ظ ١٩٦٥ م ، المطبعة الحيدرية

الحديث السادس: أخرج الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب) ص ١٣١، قال: (أخبرنا) أسعد بن المسلم بن مكي بن علان القسي، (أخبرنا) الحافظ علي بن الحسن بن عساكر، (أخبرنا) أبو غالب بن البناء، (أخبرنا) أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسين بن الحكم الأسدي المعروف بأخي حماد. (حدثنا) علي بن محمد الخليل بن هارون البصري، (حدثنا) محمد بن الخليل الجهنني، (حدثنا) هيثم عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، (قال): كنتُ جالساً مع فتية من بني هاشم عن النبي ﷺ، إذ انقضَّ كوكبٌ، فقال رسول الله ﷺ: «من انقضَّ هذا النجم في منزله. فهو الوصي من بعدي». فقام فتية من بني هاشم فنظروا فإذا النجم قد انقضَّ في منزل علي بن أبي طالب. فقالوا: يا رسول الله قد غويت في حب علي. فأنزل الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٢).

وفي التاريخ الكبير لابن عساكر (الورقة ١٠١). أخرج بسنده عن أبي غالب بن البناء، عن ابن عباس، نفس الحديث.

ولقد ذكر الوصية الإمام في النهج قائلاً: «لا يقاس بآل محمد ﷺ من هذه الأمة أحد. ولا يُسَوَّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً. هم أساس الدين، وعماد اليقين. إليهم يفيء الغالي، وبهم يُلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة، الآن إذ رجع الحق إلى أهله، ونُقِلَ إلى منتقله».

وفي خطبة له يعجب فيها من مخالفه، قائلاً: «فيا عجب! وما لي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها، لا يقتضون أثر نبي، ولا يقتدون بعمل وصي...» إلى آخره. فأَيَّ وصي هذا الذي يعنيه؟ أليس هو بذاته؟

وخطب الإمام الحسن السبط سيّد شباب أهل الجنة، حين قُتِلَ أمير

(٢) سورة النجم: آية ١، ٢، ٣.

المؤمنين، خطبته الغراء، فقال فيها: وأنا ابن النبي، وأنا ابن الوصي.

والوصي - كما ذكر صاحب تاج العروس في مادة الوصي - لقب علي

عليه السلام.

الحديث السابع: (أخرج) شيخ الإسلام القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة) ص ٨٠ وقال: في المناقب عن الحسن بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عن آبائه أن أمير المؤمنين عليه السلام كتب إلى أهل مصر - كما بعث محمد بن أبي بكر إليهم - كتاباً، فقال فيه: «وإياكم دعوة ابن هند الكذاب. واعلموا أنه لا سواء إمام الهدى وإمام الهوى. ووصي النبي وعدو النبي»^(١).

الحديث الثامن في أنه سيّد الأوصياء وخاتمهم: (في أرجح المطالب ص ٦٨٠) قال: أخرج ابن مردويه في (المناقب) بسنده عن ابن عمير أن أمير المؤمنين عليه السلام قال على المنبر: أنا عبد الله وأخو رسول الله ﷺ، ورثت نبي الرحمة، ونكحت سيّدة (نساء) أهل الجنة. وأنا سيّد الوصيين وآخر الأوصياء، لا يدعي ذلك غيري إلاّ أصابه سوء. فقال رجل من عبس: من لا يحسن أن يقول هذا؟ أنا عبد الله وأخو رسول الله ﷺ. فلم يبرح من مكانه حتى تخبطه الشيطان. فجرّ برجله إلى باب المسجد. (قال): فسألنا قومه، هل يعرفون به عرضاً قبل هذا؟ قالوا: اللهم لا.

الحديث التاسع في أنه خاتم الأوصياء: (أخرج) المناوي عبد الرؤوف ابن تاج العارفين في كتابه (كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق) المطبوع بمصر سنة ١٣٢١ هـ بهامش الجامع الصغير للسيوطي الشافعي في ج ١ ص ٧١، حديثاً أخرجه الديلمي في كتابه (فردوس الأخبار) في حرف الألف بسنده عن أبي ذر عليه الرحمة. (قال): قال رسول الله ﷺ - وهو يخاطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - «أنا خاتم الأنبياء وأنت يا علي خاتم الأوصياء».

(١) راجع كتاب (علي والوصية): لنجم الدين العسكري. ففيه المزيد للمريد.

الحديث العاشر في أن للنبي ﷺ النبوة ولعلي عليه السلام الوصية
أخرج الشيخ القندوزي في (ينابيعه) ص ٢٥٦ في المودة الثامنة
من المودة القريب عن علي عليه السلام . (قال) : قال رسول الله ﷺ : يا علي
خلقني الله وخلقك من نوره فلما خلق آدم عليه السلام أودع ذلك النور في
صلبه، فلم نزل أنا وأنت شيئاً واحداً، ثم افترقنا في صلب عبد المطلب، ففي
النبوة والرسالة، وفيك الوصية والإمامة.

الحديث الحادي عشر في أنه وصي رسول الله ﷺ : ففي ينابيع المودة ص ١٢٢
من (المناقب) أخرج بسنده عن سماك بن حرب، عن سعيد بن جبيرة . (قال) :
قلت لابن عباس رضي الله عنه : أسألك عن اختلاف الناس في علي عليه السلام ،
قال : يابن جبيرة تسألني عن رجل كان له ثلاثة آلاف منقبة (بل ثلاثة آلاف
وثلاث مناقب) في ليلة واحدة . وهي ليلة القربة في قليب بدر، سلم عليه
ثلاثة آلاف من الملائكة . (بل ثلاثة آلاف وثلاثة من الملائكة وجبرئيل
وميكائيل وإسرافيل معهم) من عند ربهم . وتسألني عن وصي رسول الله ﷺ
وصاحب حوضه، وصاحب لوائه في المحشر . (بل في الدنيا والمحشر)
والذي نفس عبد الله بن عباس بيده، لو كانت بحار الدنيا مداداً وأشجارها
أقلاماً، وأهلها كتاباً فكتبوا مناقب علي بن أبي طالب وفضائله ما أحصوها .

وفي (كفاية الطالب) للكنجي ص ١٢٤ بسنده عن عيسى بن عبد الله عن
أبيه، عن جده . (قال) : قال رجل لابن عباس : سبحان الله ما أكثر مناقب
علي بن أبي طالب وفضائله . إني لأحسبها ثلاثة آلاف (فقال) ابن عباس
رضي الله عنه : أو لا تقول : إنها إلى ثلاثين ألف أقرب؟ خرج هذا الأثر
جماعة من الحفاظ في كتبهم (ومنهم الخوارزمي في المناقب) ص ١٩ . فإنه
خرج حديث ابن عباس وحديث الأمير عليه السلام .

الحديث الثاني عشر في أنه وصيه ووارثه : أخرج محب الدين الطبري
الشافعي في (ذخائر العقبى) ص ١٧ ، وفي (الرياض النضرة) ج ٢ ص ١٧٨
بمعناه . وهذا لفظ الطبري في الذخائر . (قال) : روى أنس أن النبي ﷺ

قال: «وصيّ ووارثي يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب عليه السلام». أخرجه أحمد في (المناقب). وخرجه ابن السراج. (وأخرج) قبل هذا الحديث بريدة. (قال): قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لكل نبي وصي ووارث. وإن علياً وصيّ ووارثي». أخرجه الحافظ أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة. وفي (كنز العمال) ج ٦ ص ١٥٤ عن أبي سعيد وعن سلمان رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن وصيّ وموضح سرّي وخير من أترك بعدي، وينجز عدتي، ويقضي ديني علي بن أبي طالب. (أخرجه الطبراني في المعجم الكبير)، ومن المسلم به عند أرباب الحديث، أن جميع ما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير أحاديث صحيحة لا ريب فيها.

الحديث الثالث عشر في أن علياً وصيه ووارثه أيضاً: أخرج العلامة السيد محمد صالح الترموذي الحنفي في كتابه (الكوكب الدري) ص ١٠٥ نقلاً عن فردوس الأخبار للديلمي عن بريدة (قال): قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لكل نبي وصي ووارث، وأن علياً وصيّ ووارثي».

ومن أراد المزيد في أن علياً خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصيه ووارثه ووليّه: فليراجع كتاب (علي والوصية) لنجم الدين الشريف العسكري. فقد ذكر مائة وواحداً وسبعين حديثاً في ذلك من كتب السنة، واستدركه بأحد عشر حديثاً آخر. ففي هذا الكتاب ما يشفي العليل ويروي الغليل في هذا الموضوع.

أما ما جاء من ذكر الوصية في الشعر، فلا يمكن أن يحصى في هذا الموضوع. وإنما نذكر بعضاً منها. قال عبدالله بن عباس بن عبد المطلب: وصيّ رسول الله من دون أهله وفارسه إن قيل: هل من منازل^(١)

(١) يذكر نصر بن مزاحم في كتابه (وقعة صفين) هذا البيت للفضل بن عباس من قصيدة مطلعها:

«ألا يابن هندٍ إني غيرُ غافلٍ وأنتك ما تسعى له غير نائل»
راجع وقعة صفين: لنصر، ج ٦ ص ٤١٦ ط ١٣٨٢ هـ.

وقال المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب من أبياتٍ يحرض فيها أهل العراق على حرب معاوية بصفين:

هذا وصي رسول الله قائدكم وصهره وكتاب الله قد نشر^(١)

وقال عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب:
ومنا عليّ ذاك صاحب خيبر وصاحب بدر يوم سألت كتابه
وصي النبي المصطفى وابن عمه فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه
وقال أبو الهيثم مالك بن التيهان: وكان بدرياً، من أبيات أنشأها يوم الجمل:

إن الوصي إمامنا وليّنا برح الخفاء وباحت الأسرار
وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وهو بدري، من أبيات أنشأها يوم الجمل أيضاً:

يا وصي النبي قد أجلت الحرب الأعداي وسارت الأظعان
وقال رضي الله عنه:

أعائش خلي عن عليّ وعيبه بما ليس فيه إنما أنت والسدة
وصي رسول الله من دون أهله وأنت على ما كان من ذاك شاهدة
وحسبك فيه بعض ما تعلمينه ويكفيك لو لم تعلمي غير واجدة

وقال عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي يوم الجمل. وهو من أبطال الصحابة وقد استشهد في صفين هو وأخوه عبد الرحمن.

يا قوم للخطة العظمى التي حدثت حرب الوصي وما للحرب من آسي

ومن شعر أمير المؤمنين في صفين:

ما كان يرضى أحمد لو أخبرا أن يقرنوا وصيه والأبترا

(١) وفي وقعة صفين: لنصر بن مزاحم، ج ٦ ص ٣٨٥، نفس المطبعة والعام يذكر البيت كما يلي:

«وفيكُم وصي رسول الله قائدكم وأهله وكتاب الله قد نشر»

وقال جرير بن عبدالله البجلي الصّحابي من أبياتٍ له في محمّد بن الحنفية:

سميُّ النَّبي وشبه الوصي ورايتُهُ لونها العندمُ

وقال عبد الرحمن بن جعيل، إذ بايع النَّاس عليّاً بعد عثمان:
لعمري لقد بايعتُم ذا حفيظةٍ على الدّين معروف العفافِ موقفاً
عليّاً وصي المصطفى وابن عمِّه وأوّل من صلّى أخا الدّين والتّقى

وقال رَجُلٌ من الأزد يوم الجمل:
هذا عليّ وهو الوصيّ أخاه يوم النّجوة النَّبي
وقال هذا بعديّ الوليّ وعاه واعٍ ونسيّ الشّقّيّ

وخرج يوم الجمل شابٌّ من بني ضبة معلّم من عسكر عائشة، وهو يقول:

نحن بنو ضبّة أعداء عليّ ذاك الذي يعرف قذماً بالوصي
وفارس الخيل على عهد النَّبي ما أنا من فضل عليّ بالعمي
لكِنّني أنعى ابن عفان التّقي إنّ الوليّ طالبُ ثأر الولي

وقال سعيد بن قيس الهمداني يوم الجمل، وكان مع علي:
آية حرب أضرمت نيرانها وكسرت يوم الوغى مُرائنها
قل للوصيّ أقبلت قحطانها فادعُ بها تكفيكها همدانها
هم بنوها وهم إخوانها

وقال زياد بن لييد الأنصاري يوم الجمل. وكان من أصحاب علي:
كيف ترى الأنصار في يوم الكلب إنّنا أناسٌ لا نبالي من عطبٍ
ولا نبالي في الوصيّ من غضبٍ وإنّما الأنصار جدُّ لا لعبٍ
هذا عليّ وابن عبد المطلب نصرته اليوم على من قد كذب
من يكسبُ البغي فبئس ما اكتسبُ

وقال حجر بن عدي الكندي في ذلك اليوم:
يا ربّنا سلّم لنا عليّاً سلّم لنا المبارك المضيّاً

المؤمن الموحد التُّقيا لا خَطَلَ الرأي ولا غَوِيًّا
بل هاديًّا موفِّقاً مهديًّا واحفَظْهُ رَبِّي واحفَظْ البنيًّا
فيه فقد كان له وليًّا ثم ارتضاهُ بعده وصيًّا

وفي نسخة في كتاب (وقعة صفين) لنصر بن مزاحم جـ ٦ ص ٣٨١
تختلف هذه الأبيات اختلافاً واضحاً. وهذه هي الأبيات:

يا ربُّنا سلِّم لنا عليًّا سلِّم لنا المهذب النقيًّا
المؤمن المسترشد المرضيا واجعله هادي أُمّة مهديًّا
لا خَطَلَ الرأي ولا غبيًّا واحفَظْهُ رَبِّي حفظك البنيّا
فإنّه كان له وليًّا ثم ارتضاهُ بعده وصيًّا

وقال عمر بن أحجية يوم الجمل في خطبة الحسن بعد خطبة ابن
الزُبَيْر:

حسن الخير يا شبيهه أبيه قمتَ فينا مقام خير خطيب
قمتَ بالخطبة التي صنعَ الله بها عن أبيك أهل العيوب
لستَ كابن الزُبَيْر لجلجَ في القولِ وطاطا عنانَ فُسلٍ مريب
وأبى الله أن يقومَ بما قامَ به ابن الوصيِّ وابن النّجيب
إنَّ شخصاً بين النبي - لك الخير - وبين الوصي غير مشوب

وقال زجر بن قيس الجعفي يوم الجمل أيضاً:
أضربكم حتّى تقرّوا لعلي خير قریشٍ كلّها بعد النبي
من زانه الله وسمّاه الوصي

وقال الأشعث بن قيس الكندي:
أتانا الرُّسول رسول الإمام فسُرَّ بمقدمه المسلمونا
رسول الوصيِّ وصيِّ النبي له السُّبق والفضل في المؤمنينا

وقال النعمان بن العجلان الزُّرقي الأنصاري في صفين:
كيف التفرّق والوصيِّ إمامنا لا كيف إلّا حيرةً وتخاذلاً

فذرّوا معاوية الغويّ وتابعوا دين الوصي لتحمده آجلاً
وقال عبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي من أبيات يهدّد فيها معاوية بجنود
العراق:

يقودهم الوصيّ إليك حتّى يردك عن ضلالٍ وارتياب^(١)

ويقول عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:
إنّ وليّ الأمر بعد محمّد عليّ وفي كلّ المواطن صاحبُه
وصيّ رسول الله حقّاً وصنوه وأوّل من صلّى ومن لان جانبُه

وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين:

وصيّ رسول الله من دون أهله وفارسه مذ كان في سالف الزّمن
وأوّل من صلّى من النّاس كلّهم سوى خيرة النّسوان والله ذو منن

وقال زفر بن حذيفة الأسدي:

فحوطوا عليّاً وانصروه فإنّه وصيّ وفي الإسلام أوّل أوّل

وقال أبو الأسود الدؤلي:

أحبّ محمّداً حبّاً شديداً وعباساً وحمزة والوصيّ^(٢)

وقال كثير عزة:

وصي النبيّ المصطفى وابن عمّه وفكّك أعناقٍ وقاضي مغرم^(٣)

وقال أبو تمام الطائي من قصيدته الرّائية:

ومن قبله أحلفتم لوصيّيه بداهية دهياء ليس لها قدر
فجئتم بها بكرّاً عواناً ولم يكن لها قبلها مثلاً عوان ولا بكر
أخوه إذا عُدّ الفخار وصهره فلا مثله أخ ولا مثل صهر
وشدّ به أزر النبيّ محمّد كما شدّ من موسى بها دون الأزر

(١) في (وقعة صفين): لنصر، «يردّك عن عوائك وارتياب». فالعواء مشتق من اسم معاوية، فإنّ المعاوية الكلبة تعاوي الكلاب.

(٢) راجع الكامل: للمبرد، ج ٢ ص ١٣٠، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٥١ م.

(٣) نفس المرجع والصفحة.

وقال دعبل بن علي الخزاعي في رثاء سيّد الشهداء:
رأس ابن بنت محمّدٍ ووصيه يا للرجال على قناةٍ يرفعُ
وقال أبو الطيب المتنبي - إذا عوتبَ على تركه مديح أهل البيت كما
في ديوانه:

وتركتُ مدحي للوصيّ تعمّداً إذا كان نوراً مستطيلاً شاملاً
وإذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا
وقال المتنبي يمدحُ أبا القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي:
هو ابن رسول الله وابن وصيّهِ وشبههما شَبّهت بعد التجارب
وقال حسان بن ثابت يمدحُ عليّاً بلسان الأنصار كافة:

حفظت رسول الله فينا وعهده إليك ومن أولى به منك ومن ومن
ألست أخاه في الهدى ووصيّهِ وأعلم منهم بالكتاب وبالسنن
وقال الفضل بن عباس من أبيات له:

ألا إن خير الناس بعد نبيّهم وصيّ النبي المصطفى عند ذي الذكر
وأول من صلّى وصنّو نبيّهِ وأول من أردى الغواة لدى بدر

كلّ هذه الأبيات ذكرها ابن أبي الحديد في شرح النهج. وذكرها
شرف الدين الموسوي في المراجعات. وإذا رجعنا إلى ديوان ابن الفارض
عثرنا في قصيدته الثائية على هذا البيت الذي ينوّه بأنّ الإمام كان يوضح
الغامض بالتأويل بواسطة الوصية التي هي سببُ علمه الشهير. فقال:
وأوضح بالتأويل ما كان مشكلاً عليّ بعلم ناله بالوصية

وهذا جرير بن عبد الله يكتبُ قصيدةً إلى شرحبيل مطلقها:
شرحبيل يا ابن السمط لا تتبع الهوى فمالك في الدنيا من الدين من بدل
وقل لابن حرب مالك اليوم حرمة تروم بها ما رُمّت، فاقطع له الأمل
وصيّ رسول الله من دون أهليه وفارسه الأولى به يضرب المثل^(١)

(١) من كتاب (وقعة صفين): لنصر بن مزاحم، ج ١ ص ٤٩.

وهذا علي بن أبي طالب يقول:

يا عجباً لقد سمعتُ منكراً
يسترقُّ السَّمْعُ ويغشي البصراً
أن يقرنوا وصيَّه والأبترا
كذباً على الله يشيب الشُّعرا
ما كان يرضى أحمدٌ لو خيراً
شاني الرُّسول واللُّعين الأخررا^(١)

وقال الأشعث بن قيس الكندي:

أتانا الرُّسول رسول الوصي
رسول الوصيِّ وصيِّ الرُّسول
وزير النَّبي وذو صهره
عليَّ المهذب من هاشم
وخير البريَّة من قائم
وخير البريَّة في العالم^(٢)

وقال جرير البجلي من قصيدة مطلعها:

أتى كتابُ عليٍّ فلم نردُّ الكتابَ بأرضِ العَجَمِ
... إلى قوله:

عليّاً عنيتُ وصيَّ النَّبي
له الفضل والسُّبق والمكرمات
نجالد عنه غداةَ الأمم
وبيت النبوة لا يهتَضَمُ

وقال بديع الزَّمان الهمداني في أمير المؤمنين عليه السلام :

يقولون لي: لا تحبَّ الوصي
أحبُّ النَّبيِّ وآل النَّبيِّ
وأعطي الصُّحابة حقَّ الولاء
وإن كان رفضاً ولأئ الوصيِّ
وإن كان نصباً ولأئ الجميع
ولو كنتم من ولأئ الوصيِّ
يرى الله سرِّي إذا لم ترُ
فقلتُ: الثَّرى بفم الكاذب
وأختصُّ آل أبي طالبٍ
وأجري على السَّنَنِ الواجبِ
فلا ترض بالرفُض من جانبي
فلأني كما زعموا ناصبي
على العجز كنتُ على الغاربِ
وه فكم تحكمون على غائب^(٣)

(١) كتاب (صفين): لنصر بن مزاحم، ج ١ ص ٤٩ ط ٢ عام ١٣٨٢ هـ.

(٢) نفس المصدر، ج ١ ص ٢٤، نفس الطبعة.

(٣) مناقب الخوارزمي، ص ٣٨ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية، النجف.

هذه لمحة بسيطة عن الخلافة والوصية عَرَضْنَاهَا للقراء، ليُطْلِعُوا عليها، وليدركوا أَنَّ الحَقْدَ لم يتجسَّم في النَّفوسِ ضِدَّ رجلٍ مثل تجسُّمِهِ ضِدَّ علي، وليعرفوا أَنَّ عليًّا صاحب الحقِّ السَّليب. ولكنَّه صبر على الظُّلم، وطبَّق الوصية الَّتِي أوصاها لولده الحسن عليهما السَّلام بقوله: «يا بُنَيَّ لا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظَلَمٌ مِنْ ظَلَمَكَ، لِأَنَّهُ يَسْعَى فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ. وليس جزاء من سَرَّكَ أَنْ تَسُوَّهُ».

هذا القول أكبر عزاءٍ للمظلوم، وأَعْتَفُ طَعْنَةٍ في صميم الظَّالِم. وعلي بن أبي طالب هو عزاءُ المظلومين.

الفصل الرابع ولاية علي بن أبي طالب (عليه السلام)

رَجِمَ اللَّهُ الْكَمِيتَ الْقَاتِلَ :

وَيَوْمَ الدُّوْحِ يَوْمَ غَدِيرِ خَمٍّ أَبَانَ لَهُ الْوَلَايَةَ لَوْ أُطِيعَا
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ ذَاكَ الْيَوْمِ يَوْمًا وَلَمْ أَرْ مِثْلَهُ حَقًّا أَضِيعَا
وَلَكِنَّ الرِّجَالَ تَبَايَعُوهَا فَلَمْ أَرْ مِثْلَهَا خَطَرًا مَبِيعَا
فَلَمْ أَبْلُغْ بِهَا لَعْنًا وَلَكِنْ أَسَاءَ بِذَاكَ أَوْلَهُمْ صَنِيعَا
فَصَارَ بِذَاكَ أَقْرَبَهُمْ لِعَدْلِ إِلَى جَوْرِ وَأَحْفَظَهُمْ وَضِيعَا
أَضَاعُوا أَمْرَ قَائِدِهِمْ فَضَلُّوا وَأَقْوَمَهُمْ لَدَى الْحَدَثَانِ رِيعَا

عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ : «لَمَّا أُسْرِيَ بِي فِي لَيْلَةِ
الْمِعْرَاجِ، فَاجْتَمَعَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ فِي السَّمَاءِ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى : سَلُّهُمْ يَا
مُحَمَّدُ، بِمَاذَا بُعِثْتُمْ؟ قَالُوا: بُعِثْنَا عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، وَعَلَى
الْإِقْرَاءِ بِنَبِيِّتِكَ، وَالْوَلَايَةِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»^(١).

يَا لَهَا مِنْ حَقِيقَةٍ مَا أَقْسَاهَا عَلَى قُلُوبِ الْكَثِيرِ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَالَمِ
الْإِسْلَامِيِّ. حَقِيقَةٌ مَهْمَا تَجَاهَلَهَا الْمَرْءُ فَهُوَ مَسْئُولٌ. لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ:

(١) رواه الحافظ أبو نعيم. راجع (ينابيع المودة): للقندوزي، ج ٢ ص ٦٢، مؤسسة
الأعلمي - بيروت .

﴿وقفوههم إنهم مسؤولون﴾^(١) . هذه الحقيقة هي ولاية علي كرم الله وجهه . فولايته شرط أساسي من شروط الإسلام . ومن شروط الدخول في الجنة . لذلك فكل مسلم لا يعترف له بالولاية لم يستفد من إسلامه شيئاً . وما أكثر هؤلاء بين الصفوف . هؤلاء لن يستنشقوا أريج الجنة ، ولن يظفروا بنعيمها . هذا ما أعلنه أبو المؤيد الخوارزمي في كتابه (المناقب) يروي عن علي ، عن رسول الله ﷺ قال : «يا علي لو أن عبداً عبد الله عز وجل مثلاً ما قام نوح في قومه ، وكان له مثل أحد ذهباً ، فأنفقه في سبيل الله ، ومُدَّ في عمره حتى حَجَّ ألف عام على قدميه ، ثم قُتِلَ بين الصفا والمروة مظلوماً ، ثم لم يوالِكَ يا علي لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها» .

إنها لن تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور . وأكبر دليل على ولاية علي ، وعلى أنه إمام العالمين بعد رسول رب العالمين ، حديث الغدير . وما أدراك ما حديث الغدير؟ فهو حديث الدعوة الإلهية ، حديث الولاية الكبرى ، حديث إكمال الدين ، وإتمام النعمة ، ورضى الله على ما نزل به الكتاب المبين .

وهذه واقعة الغدير ، كما كتبها العلامة الحبر العلم المجاهد الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي في كتابه (الغدير) الجزء الأول ص ٩ ما يلي :

أَجْمَعَ رسول الله ﷺ الخروج إلى الحج في سنة عشر من مهاجرته ، وأذن في الناس بذلك . فقدم المدينة خلق كثير يأتون به في حجته تلك التي يقال لها حجة الوداع ، وحجة الإسلام ، وحجة البلاغ ، وحجة الكمال ، وحجة التمام . ولم يحج غيرها منذ هاجر إلى أن توفاه الله ، فخرج ﷺ من المدينة مغتسلاً متدهناً مترجلاً متجرداً في ثوبين صحاريين إزار ورداء ، وذلك يوم السبت لخمس ليالٍ أو ست بقين من ذي القعدة ، وأخرج معه نساءه كلهن في الهودج ، وسار معه أهل بيته ، وعامة المهاجرين

(١) سورة الصافات : آية ٢٤ .

والأنصار، ومن شاء الله من قبائل العرب، وأفناء الناس^(١).

وعند خروجه عليه السلام أصاب الناس بالمدينة جُدري أو حصبة منعَتْ كثيراً من الناس من الحجِّ معه عليه السلام. ومع ذلك كان معه جموع لا يعلمها إلا الله تعالى. وقد يقال: خرج معه تسعون ألفاً، وقيل: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً. ويقال: أكثر من ذلك. وهذه عدَّة من خرج معه. وأمَّا الذين حجَّوا معه فأكثر من ذلك كالمقيمين بمكة، والذين أتوا من اليمن مع علي أمير المؤمنين، وأبي موسى^(٢).

أَصْبَحَ عليه السلام يوم الأحد بيلملم، ثم راح فتعشى بشرف السيالة، وصلى هناك المغرب والعشاء. ثم صلى الصبح بعرق الظبية، ثم نزل الرُّوحاء، ثم سار من الرُّوحاء فصلَّى العصر بالمنصرف، وصلى المغرب والعشاء بالمتعشى، وتعشى به، وصلى الصبح بالأثابة. وأصبح يوم الثلاثاء بالعرج. واحتجَم بلحي جمل، وهو عقبة الجحفة. ونزل (السقياء) يوم الأربعاء. وأصبح بالإيواء، وصلى هناك، ثم راح مع الأبواء، ونزل يوم الجمعة الجحفة، ومنها إلى قديد، وسبَّت فيه. وكان يوم الأحد بعسفان. ثم سار فلما كان بالغميم اعترض المشاة، فصُفِّوا صفوفاً، فشكوا إليه المشي. فقال: استعينوا بالنَّسلان (مشي سريع دون العدو) فوجدوا لذلك راحةً. وكان يوم الاثنين بمرَّ الظهران، فلم يبرح حتى أمسى، وغربت له الشمس بسرف، فلم يُصلِّ المغرب حتى دخل مكة. ولما انتهى إلى الثنيتين باتَ بينهما فدخل مكة نهار الثلاثاء^(٣).

(١) الطبقات: لابن سعد، جـ ٣ ص ٢٢٥، إمتاع المقرئ، ص ٥١٠، إرشاد الساري، جـ ٦ ص ٤٢٩.

(٢) السيرة الحلبية، جـ ٣ ص ٢٨٣، سيرة أحمد زيني دحلان، جـ ٣ ص ٣، وتاريخ الخلفاء: لابن الجوزي، ج ٤، وتذكرة خواص الأمة، ص ١٨، ودائرة المعارف لفريد وجدي، جـ ٣ ص ٤٢.

(٣) الإمتاع للمقرئ، ص ٥١٣-٥١٧.

فلما قضى مناسكه وانصرف راجعاً إلى المدينة، ومعه مَنْ كَانَ
الجموع المذكورات، ووصل إلى غدير خُم من الجحفة التي تتشعب فيها
طُرُقُ المدنيّين والمصريّين والعراقيّين. وذلك يوم الخميس^(١) الثامن عشر من
ذي الحجة نزل إليه جبرئيل الأمين عن الله بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا
أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٢) الآية. وأمره أن يقيم علياً علماً للناس وَيَبْلِّغَهُمْ مَا
نزل فيه من الولاية، وفرض الطاعة على كلّ أحد. وكان أوائل القوم قريباً
من الجحفة. فأمر رسول الله أن يردّ من تقدّم منهم ويحبس من تأخر عنهم
في ذلك المكان. ونهى عن سمرات خمس متقاربات دوحات عظام أن لا
ينزل تحتهنّ أحد حتّى إذا أخذ القوم منازلهم، فقمّ ما تحتهنّ حتّى إذا نودي
بالصلاة صلاة الظهر، عمد إليهنّ فصلّى بالناس تحتهنّ. وكان يوماً هاجراً،
يضع الرجل بعض رداءه على رأسه، وبعضه تحت قدميه من شدة الرّمضاء.
وظلّ لرسول الله بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فلما انصرف عليه السلام
من صلاته قام خطيباً وسط^(٣) القوم على أكتاف الإبل^(٤)، وأسمع
الجميع، رافعاً عقيرته فقال:

«الحمد لله نستعينه، ونؤمن به، ونتوكّل عليه، ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا الَّذِي لا هاديَ لِمَنْ أَضَلَّ، ولا مُضِلٌّ لِمَنْ
هَدَى. وأشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله. أمّا بعد: أيّها
الناس قد نبأني اللّطيف الخبير أنّه لم يعمّر نبيّاً إلاّ مثل نصف عمر الَّذِي
قبله. وإنّي أوشك أن أدعى فأجيب. وإنّي مسؤول وأنتم مسؤولون. فماذا
أنتم قائلون؟». قالوا: نشهد أنّك قد بلغت ونصحت وجاهدت فجزاك الله
خيراً. قال: «أستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله،
وأنّ جنته حقّ، وناره حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريبَ فيها،

(١) هو المنصوص عليه في لفظ البراء بن عازب، وبعض آخر من رواة حديث الغدير.

(٢) جاء في لفظ الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد، ص ١٥٦ وغيره.

(٣) جاء في لفظ الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٩ ص ١٥٦ وغيره.

(٤) ثمار القلوب، ص ٥١١، ومصادر أخرى كما مرّت معنا.

وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ؟». قالوا: بلى. نشهد بذلك. قال: «اللهم اشهد». ثم قال: «أيها الناس ألا تسمعون؟». قالوا: نعم، قال: «فإني فرط على الحوض. وأنتم واردون عليّ الحوض، وأنّ عرضه ما بين صنعاء وبصرى^(١). فيه أقداح عدد النجوم من فضة. فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين». فنادى مُنادٍ: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: «الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عزّ وجلّ، وطرفٌ بأيديكم، فتمسّكوا به لا تضلّوا، والآخر الأصغر عترتي. وأنّ اللطيف الخبير نبأني أنّهما لن يترفقا حتّى يردا عليّ الحوض. فسألت لهما ربّي. فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا». ثم أخذ بيد عليّ فرفعها حتّى روي بياض آباطهما، وعرفه القوم أجمعون. فقال: «أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنتُ مولاه فعليّ مولاه، يقولها: ثلاث مرّات». وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة أربع مرّات. ثم قال: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار. ألا فليبلغ الشاهد الغائب». ثم لم يفرقوا حتّى نزل أمين وحي الله بقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ الآية. فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر على إكمال الدّين، وإتمام النّعمة، ورَضِيَ الرَّبُّ بِرِسَالَتِي، والولاية لعليّ من بعدي». ثم طفق القوم يهتفون أمير المؤمنين صلوات الله عليه. وممنّ هنّاه في تقدّم الصحابة الشيخان: أبو بكر وعمر. كلُّ يقول: بخٍ بخٍ لك يا بن أبي طالب، أصبحتَ وأمستَ مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة. وقال ابن عباس: وجبتُ والله في أعناق القوم. فقال حسان: ائذن لي يا رسول الله أن أقول في عليّ أبياتاً تسمعهنّ. فقال: «قل على بركة الله». فقام حسان فقال: يا معشر مشيخة قريش أتبعها قولي بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية. ثم قال:

(١) صنعاء: عاصمة اليمن اليوم. وبصرى: قصبة كورة حوران من أعمال دمشق.

يناديهم يوم الغدير نبيهم
فخص بها دون البرية كلها
يقول: فمن مولاكم ووليكم؟
إلهك مولانا وأنت ولينا
فقال له: قم يا علي فإني
هناك تلا: اللهم وال وليه
بخم فأسمع بالرسول مناديا
علياً سمي يوم الغدير مواخيا
فقالوا: ولم يبدوا هناك التعاميا
ولم ترقنا في الولاية عاصيا
رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
وكن للذي عادى علياً معاديا

هذا مجمل القول في واقعة الغدير . وحديث الغدير لم يزل غصاً طرياً
لا يبلية الهوان ما دام الذكر الحكيم يرتل : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك
من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس﴾^(١) .

إنه موقف عظيم . فبعد جهاد دام ثلاثة وعشرين عاماً ، وبعد نضالٍ
كبير بذله النبي الكريم ، فهذا الجهاد وهذا النضال لا يجديان شيئاً إذا لم يبلغ
ما أنزل إليه في علي ، ولم يؤد رسالته ! فما هو هذا النبأ العظيم ؟ وما هو هذا
الحدث الإسلامي الجليل ؟ وما هو هذا الوحي الإلهي الخطير ؟ إنه ولاية أمير
المؤمنين من قبل رب العالمين على الناس أجمعين . والنبي الكريم يلمس
الكراهية والبغضاء والحقد الذي يلهب الصدور ضد علي . فضمن الله له
العصمة من الناس ، فبلغ ما بلغ ، وأقام علياً علماً للناس . فنزلت الآية
الكريمة ، ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الإسلام ديناً﴾ . فقد أكمل الله الدين بولاية علي بن أبي طالب .

والإمامية جميعهم أصفقوا على نزول هذه الآية الكريمة حول نص
الغدير بعد إصهار النبي ﷺ بولاية مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، وصافق
الإمامية على ذلك كثيرون علماء التفسير وأئمة الحديث وحفظة الآثار من
أهل السنة . فهذا السيوطي في (الدّر المنثور) ج ٢ ص ٢٥٩ / يقول :
أخرج ابن مردويه وابن عساكر بسندٍ ضعيف عن أبي سعيد الخدري ، قال :

(١) سورة المائدة: آية ٧٠ .

لَمَّا نَصَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيًّا يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ ، فَنَادَى لَهُ بِالْوَلَايَةِ هَبْطَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْآيَةُ : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ . وَذَكَرَ الْبَدَخَشِيُّ فِي (مِفْتَاحِ النَّجَا) مَرْفُوعاً بِالْأَسَانِيدِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مَا مَرَّ سَابِقاً . وَذَكَرَ الْحَافِظُ أَبُو نَعِيمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي كِتَابِهِ «مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي عَلِيٍّ» . وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ حَدِيثَ الْغَدِيرِ قَالَ : ثُمَّ لَمْ يَتَفَرَّقُوا حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الْآيَةُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى إِكْمَالِ الدِّينِ ، وَإِتْمَامِ النِّعْمَةِ ، وَرِضَى الرَّبِّ بِرِسَالَتِي ، وَالْوَلَايَةِ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَعْدِي . . . إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ .

وكَذَلِكَ رَوَى آيَةَ الْإِكْمَالِ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي تَارِيخِهِ ج ٢ ص ٢٩٠ وَأَبُو سَعِيدٍ السُّجِسْتَانِيُّ فِي كِتَابِ (الْوَلَايَةِ) ، وَأَبُو الْحَسَنِ بْنِ الْمَغَازَلِيِّ الشَّافِعِيُّ ، وَالْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَكَانِيُّ ، وَابْنُ عَسَاكِرِ الشَّافِعِيِّ الدُّمَشْقِيُّ ، وَالْخَوَارِزْمِيُّ فِي (الْمَنَاقِبِ) كَمَا يَلِي :

وَأَخْبَرَنِي سَيِّدُ الْحَفَظِ أَبُو مَنْصُورٍ شَهْرْدَارُ بْنُ شَيْرُوهِ بْنِ شَهْرْدَارِ الدَّيْلَمِيُّ فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ مِنْ هَمْدَانٍ ، أَخْبَرَنِي أَبُو الْفَتْحِ عَبْدُوسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِوسِ الْهَمْدَانِيُّ كِتَابَةً ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْحَاقَ الْبَصْرِيُّ ، حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيلِ الْغَنَوِيِّ ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزَّرَّاعُ ، حَدَّثَنِي قَيْسُ بْنُ حَفْصٍ ، حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، حَدَّثَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْعَبْدِيُّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ الْعَبْدِيِّ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ دَعَا النَّاسَ إِلَى غَدِيرِ خُمٍّ أَمَرَ مَا كَانَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ مِنَ الشَّوْكِ فَقُمَّ ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، ثُمَّ دَعَا النَّاسَ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخَذَ بِضَبْعِهِ فَرَفَعَهَا حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَى بَيَاضِ إِبْطِيهِ . ثُمَّ لَمْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى إِكْمَالِ الدِّينِ وَإِتْمَامِ النِّعْمَةِ ، وَرِضَى الرَّبِّ بِرِسَالَتِي ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ ، وَانصِرْ مَنْ نَصَرَهُ ، وَأَخْذَلْ مَنْ خَذَلَهُ . فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَقُولَ أَيْبَاتًا ؟ فَقَالَ :

قل ببركة الله تعالى . فقال حسان بن ثابت : يا معشر مشيخة قريش اسمعوا
شهادة رسول الله ﷺ . ثم قال :

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيُّهُمْ	بَنَحْمُ وَأَسْمِعْ بِالرُّسُولِ مَنَادِيَا
بَأَنِّي مَوْلَاكُمْ نَعَمْ وَوَلِيِّكُمْ	فَقَالُوا وَلَمْ يَبْدُوا هُنَاكَ التَّعَامِيَا
إِلَهَكَ مَوْلَانَا وَأَنْتَ وَلِينَا	وَلَا تَجِدُنْ فِي الْخَلْقِ لِلْأَمْرِ عَاصِيَا
فَقَالَ لَهُ : قُمْ يَا عَلِيُّ فَإِنِّي	رَضِيْتُكَ مِنْ بَعْدِي إِمَامًا وَهَادِيَا
فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ	فَكُونُوا لَهُ أَنْصَارَ صَدَقِ مَوَالِيَا
هَنَّاكَ دَعَا اللَّهُمَّ وَالِ وَلِيُّهُ	وَكُنْ لِلَّذِي عَادَى عَلِيًّا مَعَادِيَا ^(١)

وكذلك روى آية الإكمال أبو الفتح النطنزي الحنفي البغدادي في كتابه
«الخصائص العلوية» وأبو حامد سعد الدين الصالحاني ، وابن الجوزي
الحنفي البغدادي ذكرها في (تذكرته) ص / ١٨ / ، والحموي الحنفي في
(فرائد السمطين) في الباب الثاني عشر ، والسيوطي في الدرر المشور جـ ٢
ص / ٢٥٩ / وآخرون غيرهم . ومن أراد الإطلاع على حديث الغدير ورواته
وَمَنْ أَلَّفَ فِيهِ وَنَظَّمَ بِهِ شِعْرًا فليطالع كتاب (الغدير) للشيخ أحمد الإميني .
وقد أصدر منه حتى الآن أحد عشر جزءاً ، فهو خير مرجع لأحاديث الغدير .

ومن الآيات النازلة بعد نص الغدير قوله تعالى : ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ
وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ .

وقد أذعنت به الشيعة ، وجاء مثبتاً في كتب التفسير والحديث لمن لا
يستهان بهم من علماء أهل السنة . فهذا أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري قال
في تفسيره : «الكشف والبيان» : إِنَّ سَفْيَانَ ابْنَ عُيَيْنَةَ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ :
﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ . فِيمَنْ نَزَلَتْ ؟ فَقَالَ لِلْسَّائِلِ^(٢) ؛ سَأَلْتَنِي عَنْ

(١) (المناقب) للخوارزمي ، طبعة ١٩٦٥ م ، المطبعة الحيدرية ، النجف .

(٢) في رواية فرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره والكراچكي في كنز الفوائد أن السائل
هو الحسين بن محمد الخارقي .

مسألة ما سألني أحدٌ قبلك . حدّثني أبي عن جعفر بن محمد عن آبائه صلوات الله عليهم قال : لما كان رسول الله بغدير خُمّ نادى الناس فاجتمعوا ، فأخذ بيد علي فقال : مَنْ كُنْتُ مولاهُ فعليّ مولاه . فشاع ذلك وطار في البلاد . فبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري . فأتى رسول الله ﷺ على ناقه له حتّى أتى الأبطح فنزل عن ناقته فأناخها فقال : يا محمد ، أمرتُنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله فقبلناه . وأمرتُنا أن نصليّ خمساً فقبلناه منك ، وأمرتُنا بالزكاة فقبلنا ، وأمرتُنا أن نصوم شهراً فقبلنا ، وأمرتُنا بالحجّ فقبلنا ، ثمّ لم ترض بهذا حتّى رفعت بضبعي ابن عمك ففضّلته علينا وقلت : من كنت مولاه فعليّ مولاه . فهذا شيءٌ منك أم من الله عزّ وجلّ ؟ فقال : والذي لا إله إلا هو إنّ هذا من الله ، فولّى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول : اللّهُمَّ إنّ كان ما يقول محمد حقّاً فأمطر علينا حجارة من السّماء أو اثبتنا بعذاب أليم . فما وصل إليها حتّى رماه الله تعالى بحجر فسقط على هامته ، وخرج من دبره وقتلّه ، وأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ الآيات .

ذكر ذلك الحافظ أبو عبيد الهروي في تفسيره غريب القرآن ، ولكن السّائل جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدي بدلاً من الحرث بن النعمان . ويوجد اختلاف في اللفظ مع اتفاق في المعنى . وكذلك أبو بكر النقاش الحسكاني في كتاب «دعاة الهداة إلى أداء حق الموالاة» . وأبو بكر القرطبي في تفسيره في سورة المعارج . وسبط ابن الجوزي في تذكرته ص/ ٣٥ / ط ٢ عام ١٣٦٩ المطبعة العلمية - النجف ، وابن الجوزي الحنفي رواه في (تذكرته) ص / ١٩ / . وكذلك الشّيخ إبراهيم بن عبد الله اليمني الوهابي الشّافعي في كتابه «الاكتفاء في فضل الأربعة الخلفاء» . وكذلك شيخ الإسلام الحموي في «فرائد السّمطين» في الباب الثالث عشر . وكذلك السيّد جمال الدّين الشيرازي في كتابه «الأربعين في مناقب أمير المؤمنين» والشّيخ زين الدّين المنافي الشّافعي في كتابه «فيض القدير في شرح الجامع

الصَّغِيرِ» . وعدد آخرون ذكرهم الشيخ الأميني في (غديره) بلغ عددهم ثلاثين مؤلفاً ومفسراً ومحدثاً .

وهكذا تتجلى لنا عظمة يوم الغدير حيث اتُّخذَ عيداً في الإسلام يحتفل به وبليته بالعبادة والخشوع ، وإدراك وجوه البر ، وصلة الضعفاء ، واتخاذ الزينة والملابس القشبية ، ولا يقتصر هذا العيد على الشيعة فحسب ، بل اشترك معهم في التقيد به غيرهم من فرق المسلمين . فقد عدّه البيروني في الآثار الباقية في القرون الخالية ص / ٣٣٤ / ممّا استعمله أهل الإسلام من الأعياد . وفي مطالب السُّؤل لابن طلحة الشافعي ص / ٥٣ / يوم غدير خُم ذكره (أمير المؤمنين) في شعره ، وصار ذلك اليوم عيداً وموسماً لكونه كان وقتاً خصّه رسول الله ﷺ بهذه المنزلة العلية ، وشرفه بها دون الناس كلّهم . وقال في (ص ٥٦) : وكلّ معنى أمكن إثباته ممّا دلّ عليه لفظ المولى لرسول الله ﷺ فقد جعله لعلّي ، وهي مرتبة سامية ، ومنزلة سامية ، ودرجة عليّة ، ومكانة رفيعة ، خصّصه بها دون غيره . فلهذا صار ذلك اليوم يوم عيد وموسم سرور لأوليائه . آه .

وقد نوّه به رسول الله فيما رواه فرات بن إبراهيم الكوفي في القرن الثالث عن محمّد بن ظهير عن عبد الله بن الفضل الهاشمي عن الإمام الصادق عن أبيه ، عن آبائه ، قال : قال رسول الله ﷺ يوم غدير خُم أفضل أعياد أمّتي . وهو اليوم الذي أمرني الله بنصب أخي علي بن أبي طالب علماً لأمتي يهتدون به من بعدي . وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدّين ، وأتمّ على أمّتي فيه النعمة ، ورَضِيَ لهم الإسلام ديناً .

واقْتَفَى أثر النبي الأعظم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ نفسه ، فاتَّخذه عيداً . وعرفه أئمة العترة الطاهرة صلوات الله عليهم فسمّوه عيداً ، وأمروا بذلك عامّة المسلمين ، ونشروا فضل اليوم ومثوبة من عمل البر فيه . ففي الكافي لثقة الإسلام الكليني ج ١ ص / ٣٠٣ / عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن القاسم بن يحيى عن جدّه الحسن بن راشد ، عن أبي عبد الله ﷺ قال : جُعِلَتْ فداك للمسلمين عيدٌ غير العيدين ؟ قال : نعم يا حسن

أعظمهما وأشرفهما . قلتُ : وأيَّ يوم هو ؟ قال : يوم نُصب أمير المؤمنين ﷺ علماً للناس : قلتُ - جُعِلْتُ فداك - وما ينبغي لنا أن نصنع به ؟ قال : تصوم يا حسن ، وتكثر الصلاة على محمد وآله ، وتبرأ إلى الله ممن ظلمهم . فإنَّ الأنبياء صلوات الله عليهم كانت تأمر الأوصياء اليوم الذي كان يُقام فيه الوصي أن يتخذ عيداً ، قال : قلتُ : فما لمن صامه ؟ قال : صيام ستين شهراً .

وفي (الخصال) لشيخنا الصدوق بإسناده عن المفضل بن عمرو قال : قلتُ لأبي عبد الله ﷺ : كم للمسلمين من عيد ؟ فقال : أربعة أعياد . قال : قلت : قد عرفتُ العيدين والجمعة . فقال لي : أعظمها وأشرفها يوم الثامن عشر من ذي الحجة . وهو اليوم الذي أقام فيه رسول الله ﷺ أمير المؤمنين ﷺ ونصبه للناس علماً . قال : قلت : ما يجب علينا في ذلك اليوم ؟ قال : يجب عليكم صيامه شكراً لله وحمداً له ، مع أنه أهل أن يشكر كل ساعة . كذلك أمرت الأنبياء أوصياءها أن يصوموا اليوم الذي يُقام فيه الوصي ، ويتخذونه عيداً . الحديث .

وقد صنّف علماء السنة في يوم الغدير كتباً متعدّدة . فممن صنّف فيه أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني الحافظ المعروف بابن عقدة ، وهو ثقة عند أرباب المذاهب الأربعة ، وجعل ذلك كتاباً مجرداً سماه (حديث الولاية) . وذكر الأخبار عن النبي ﷺ بذلك ، وأسماه الرواة من الصحابة . وقد صنّف أبو سعيد مسعود بن ناصر السجستاني في كتاب «دراية حديث الولاية» وهو سبعة عشر جزءاً ، وهو من أوثق رجال المذاهب الأربعة ، وقد كشف عن يوم الغدير ، ونصّ النبي ﷺ على علي بالخلافة بعده . ورواه عن مائة وعشرين نفساً من الصحابة ، منهم ست نساء ، وعدّد أسانيد هذا الكتاب ، على ما قال صاحب الطرائق ، ألف وثلاثمائة وخمسة وثلاثون سنداً . وقد روى حديث يوم الغدير محمد بن جرير الطبري من خمس وسبعين طريقاً ، وأفرد له كتاباً سماه «كتاب الولاية» .

وكذلك صنّف في حديث يوم الغدير (الحسكاني) كتاباً سمّاه كتاب
(دعاة الهداة إلى أداء حق الموالاتة). وذكر محمد بن الحسن الطوسي في
كتاب (الاقتصاد) وغيره أنّه قد روى خبر يوم الغدير من مائة وخمسة وعشرين
طريقاً . ورواه أحمد بن حنبل في مسنده من خمسة عشر طريقاً^(١) .

أمّا رواية حديث الغدير من الصحابة - كما ذكر الأميني في كتابه
(الغدير) - فهم مائة وعشر رواية . ومن التابعين أربعة وثمانون راوياً .
والخلاصة حديث الغدير ، حديث الولاية ، وإكمال الدين ، أشهر من نارٍ على
علم . ولكن المغرضين لا يجدون لذلك أي أهمية ، ويحاولون إقناع أنفسهم
بأنهم لم يرتكبوا جريمة تذكر ، ولم يضيّعوا بهذا حقاً . ورحم الله الكميت
القائل :

ويوم الدّوح دوح غدير خُم	أبان له الولاية لو أطيعا
ولم أر مثل ذاك اليوم يوماً	ولم أر مثله حقاً أضيعا
ولكن الرّجال تباعوها	فلم أر مثلها خطراً مبيعاً
فلم أبلغ بها لعناً ولكن	أساء بذاك أولهم صنيعاً
فصار بذاك أقربهم لعدل	إلى جور وأحفظهم مضيعاً
أضاعوا أمركائه فضلوا	وأقوامهم لدى الحدثان ريعاً

وتقدّر القصيدة بـ / ٥٣٨ / بيتاً . قال الشيخ أبو الفتوح في تفسيره جـ ٢
ص / ١٩٣ / : روي عن الكميت قال : رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في المنام
فقال : أنشدني قصيدتك العينية . فأنشدته حتى انتهيت إلى قولي فيها : ويوم
الدّوح - فقال عليه السلام : صدقت . ثم أنشد :

ولم أر مثل ذاك اليوم يوماً ولم أر مثله حقاً أضيعا

ومن روايات الفقيه الشافعي ابن المغازلي في كتاب المناقب بإسناده
إلى جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى : وإني

(١) ذكر الشيخ الأميني في (غديره) ، جـ ١ ، ستة وعشرين مؤلفاً في حديث الغدير فليراجع
هناك .

لأدناهم إليه في حجة الوداع حين قال : لا ألفينكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفني في الكتيبة التي تضاربكم ، ثم التفت إلى خلفه فقال : أو عليّ أو علي ثلاثاً . فرأينا أن جبرائيل عليه السلام غمزّه ، وأنزل الله على أثر ذلك ﴿ فَاِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَاِذَا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴾ بعلي بن أبي طالب ﴿ اَوْ تُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ مَقْتَدِرُونَ ﴾ . ثم نزلت ﴿ قُلْ رَبِّ اِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوْعَدُونَ . رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ثم نزلت : ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي اُوْحِيَ اِلَيْكَ ﴾ في أمر علي . ﴿ اِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ وَاِنَّ عَلِيًّا لَعَلِمَ السَّاعَةَ ﴿ وَاِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَلَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ عن علي بن أبي طالب (١) .

وجملة القول إنّ ولاية علي بن أبي طالب مفروضة على كلّ مسلم . لأنّ ولاية الرّسول مقرونة بولاية ابن عمه علي . فمن اعترف بولاية الرّسول ولم يعترف بولاية علي فقد خالف الرّسول الأعظم ، وخالف كتابه الكريم الذي هدد نبيّ الرّحمة إن لم يعلن هذه الولاية للنّاس . فأعلن وصرّح قائلاً : « من كنت مولاه فعليّ مولاه » . فعليّ وليّ السلمين ، شاؤوا أم أبوا . وعلاوة على الولاية فهو والعتره أمان من الضّلال بعد كتاب الله . فمن تمسك بالقرآن ، وانحرف عن العتره لم يسلم من الضّلال . وكيف لا يكون ذلك ؟ ونداء الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم يرنّ في الآذان : « يا أيّها النّاس إنّني تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا ، كتاب الله عزّ وجلّ ، وعترتي أهل بيتي » (٢) .

يا أيّها النّاس إنّ الفضل والشّرف والمنزلة والولاية لرسول الله وذريته ، فلا تذهبن بكم الأباطيل (٣) . وهل هذا النّداء سوى صرخة في واد . وحتى الآن ، فهل يتجرأ المسلم السّني أن يعلنها مدويّة في آذان المسلمين كما

(١) بحار الأنوار: للمجلسي ، ج ٩ ص ٢١٩ .

(٢) أخرجه الترمذي والنسائي بسند .

(٣) أخرجه أبو الشيخ في حديث طويل كخطبة كما نص عليه ابن حجر في آخر المقصد الرابع من مقاصد آية المودة في القربى من صواعقه .

يعلنها المسلم الشيعي قائلاً : أشهد أن علياً وليّ الله .

وقال عليه السلام : إني تركتُ فيكم ما إن تمسّكتُم به لن تضلُّوا بعدي : كتاب الله عزَّ وجلَّ جبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما^(١) . إذن يحقّ للمسلم أن ينظر كيف حلّ بالعترة ، فعليّ اغتُصِبَ حقُّه ، وفاطمة مُنِعَت من إرثها ، والحسن مات مسوماً ، والحسين ذبح من قفاه ومُثِّلَ به .

وقال عليه السلام : إني تاركٌ فيكم خليفتين : كتاب الله جبلٌ ممدود ما بين السماء والأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وأنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض^(٢) . وقال عليه السلام : إني تاركٌ فيكم الثقلين : كتاب الله وأهل بيتي ، وإنهما لم يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض^(٣) . وقال عليه السلام : إني أوشكُ أن أدعى فأجيب ، وإني تاركٌ فيكم الثقلين : كتاب الله عزَّ وجلَّ ، وعترتي . كتاب الله جبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، وأن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما^(٤) . زاد الطبراني : فلا تقدموها فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم . وكذلك في خطبة يوم الغدير ممّا هو مشهور ومعروف . فما معنى الحضّ عليّ التمسك بالقرآن والعترة اللتين هما أمان من الضلال ؟ وهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض . والعترة

(١) أخرجه الترمذي عن زيد بن أرقم مرفوعاً .

(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث زيد بن ثابت بطريقين صحيحين ، وأخرجه الطبراني أيضاً في الكبير من حديث زيد بن ثابت .

(٣) أخرجه الحاكم في ص ١٤٨ من الجزء الخامس من صحيحه المستدرک . ثم قال : صحيح الإسناد على شرط الشيخين . وأورده الذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته على شرط الشيخين .

(٤) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري من طريقين : أحدهما في آخر ص ١٧ ، والثاني في آخر ص ٢٦ من الجزء الثالث من مسنده ، وأخرجه غير واحد من أهل المسانيد .

أعدال الكتاب . وهل مسلمٌ يرتضي بكتاب الله بدلاً؟ فكيف يتغي عن أعداله جِولاً ؟ هذا هو الانحراف نحو الضلال ، فساءت العاقبة والمآل .

أخرج الحاكم^(١) بالإسناد إلى حنش الكناني قال : سمعتُ أبا ذرٍّ يقول : وهو آخذٌ بباب الكعبة . من عرفني فأنا من عرفني ، ومن أنكرني فأنا أبو ذرٍّ سمعتُ النبي ﷺ يقول : ألا إنَّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق .

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق . وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له^(٢) .

وأخرج الحاكم^(٣) بسنده إلى ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : النجوم أمانٌ لأهل الأرض من الغرق ، وأهل بيتي أمانٌ لأمتي من الاختلاف (يعني في الدين) . فإذا خالفتم قبيلةً من العرب اختلفت فصارت حزب إبليس .

إذن ما معنى هذه الأحاديث الثلاثة ؟ وما وجه الشبهة بسفينة نوح وبباب حطة ؟ إذا لم نلجأ إلى أئمتهم في الدين أصوله وفروعه ، وفرائضه وسننه لننجو من عذاب النار . فإذا لم نلجأ إليهم بذلك ، فهل هناك عاصمٌ من أمر الله ؟ كلا ! ليس أمامنا إلا الغرق . ولو نظرنا إلى الواقع لهالنا ما نرى ! فالكثير من الأمة الإسلامية لم يأخذوا بهديهم في شيءٍ من فروع الدين وعقائده ، ولا في شيءٍ من أصول الفقه وقواعده . ولا في شيءٍ من علوم السنة والكتاب ، ولا في

(١) في ص ١٥١ من الجزء الثالث من صحيحه المستدرک .

(٢) وهذا هو الحديث الثامن عشر من الأربعين للنبهاني ، ص ٢١٦ منه .

(٣) في ص ١٤٩ من ج ٣ من المستدرک ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

شيء من علم الأخلاق والسلوك والآداب . لذلك إذا عبثوا بالولاية ولم يقيموا لها وزناً ، فليست إلا على هذا المنوال . لأن صاحب هذه الولاية هو الذي جاهد العرب عامّة ، وقريش خاصّة في سبيل الله ، وقهرها في إعلاء كلمة الله ، ونصر الله ورسوله حتى جاء الحق وزهق الباطل . فكل دم أريق في عهد النبوة ألصق به حقاً أو باطلاً ، ثم تربصوا به الدوائر ، وأضروا له ولذريته كل سوء ، فحدث ما طبقت فجائعه وفضائعه الأرض والسّماء .

فهذه ابنة سيّد البشر تعلنها في خطبة لها عليها السلام : وما الذي نقموا من أبي الحسن ؟ نقموا والله نكير سيفه ، وشدة وطئته ، ونكال وقعته ، وتنمر في ذات الله (١) .

وكيف يعترفون له بالولاية والخوف قد ملأ قلوبهم من عدله وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، ومساواته بين أفراد البرية، والحسد ملأ جوانبهم على علمه وعمله وقربته من المشرّع الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وجهاده وحسن بلائه، وعظم تضحيته في سبيل هذه الشريعة الإسلامية ممّا جعل المتنافسين على الزّعامة وكبار القوم يتناسون كل خصومة، ويجتمعون على نقض عهده مهما كانت النتيجة، ومهما ساءت العاقبة؟

وكيف يعترفون له بالولاية؟ وقريش خاصّة والعرب عامّة ما كانوا ليصبروا على حصر الخلافة في بني هاشم، وخاصّةً والعرب عامّة ما كانوا ليصبروا على حصر الخلافة في بني هاشم، وخاصّةً إذا تقلّدها علي ، وهم لم يخضعوا للنبوة الهاشمية إلا بعد أن تهشّموا وتلاشت قوتهم . فكيف يرضون في اجتماع النبوة والخلافة في بني هاشم، وقد أعلنها عمر لابن عباس بكل صراحة قائلاً:

(١) راجع فلسفة الميثاق والولاية: لعبد الحسين شرف الدين، ص ١٨، مطبعة العرفان صيدا ١٩٥٢ م.

إِنَّ قَرِيشًا كَرِهَتْ أَنْ تَجْتَمَعَ فِيكُمْ النُّبُوَّةُ وَالْخُلَافَةُ فَتَجْحَفُونَ عَلَى النَّاسِ^(١).

لذلك فإعلان الغدير الصادر عن أمرٍ من الله - بعد أن ضَمِنَ العصمةَ لنبِيِّه من أذى النَّاسِ - لم ينقذ عليّاً من التآمر عليه وعلى أهل بيته. بل زاد القلوب حقداً وحسداً ضد الإمام. ولكنهم أَجَلُّوا المؤامرة حتَّى يموتَ من أعلن يوم الغدير، وأطلع الله نبِيَه ﷺ على ما يضمرون وما يبيِّتون. فأمر عليّاً أن يتذرّع بالصَّبْر والأناة عند استئثارهم بحَقِّه، وأن يتلقَّى المحنة بكظم الغيظ والاحتساب، احتياطاً على الإسلام وإيثاراً للصَّالح العام، وضناً بربح المسلمين. فوقف الإمام بينَ كارثتين: كارثة حَقِّه السَّليب الَّذي يستصرخه ويستفزه، والفتن الطَّاغية من جهةٍ أخرى تنذرُهُ بانتقاص الجزيرة، وانقلاب العرب، واجتياح الإسلام، وتهدده بالمنافقين من أهل المدينة، وبالطلاق من أهل مكَّة الَّذين يضمرون العداوة والبغضاء، وبالرُّومان والأكاسرة وغيرهما من ملوك الأرض الَّذين كانوا للمسلمين بالمرصاد، وقد فُقدَ راعي هذه الأمة، فحانت الفرصة للانقضاض على الإسلام والمسلمين. فوقف أمير المؤمنين بين هذينِ الخطرين، فضحَّى بحَقِّه قرباناً لدين الإسلام، وإيثاراً للصَّالح. لذلك قعد في بيته (فلم يبايع حتَّى أخرجوه كرهاً) احتفاظاً بحَقِّه واحتجاجاً على المستأثرين به وعلى أوليائهم، فكانت تضحية الإمام أكبر تضحية وأعظم سخاء في سبيل الله. لذلك محض أمير المؤمنين كلاً من الخلفاء الثلاثة نصحه، واجتهد لهم في المشورة ولم يقاوم لأجلِ منصبٍ زائلٍ، فوَدَّعَ وسالَمَ.

ومن الغريب أنَّ نصوص الإمامة وعهدُ الوصيَّة قد ملأت صحاحهم ومساندهم، وهم يعلنون بكلِّ جرأة وصفاقة أنَّ النَّبي ما عهد إلى أحد، وما أوصى بشيء. فلماذا يعلنونها قبل أن يطهروا صحاحهم منها؟ فلو تدبَّروا بسننهم لوجدوها دامغة ضدَّهم أمام الأجيال والعصور.

(١) راجع فلسفة الميثاق والولاية: لعبد الحسين شرف الدين، ص ٢٠، مطبعة العرفان صيدا ١٩٥٢ م.

الأحاديث الواردة في ولاية الإمام علي عليه السلام

الحديث الأول:

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(١). يعني عَنْ ولاية علي عليه السلام. هذا ما قاله الكنجي. وتابعه أبو العلاء الهمداني، وذلك ما ذكره الخوارزمي يقول: وروى أبو الأحوص عن أبي إسحق في قوله تعالى: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾. قال: يعني ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام. إنه لا يجوز أحد الصراط إلا وبيده براءة بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ص ١٩٥ ط ١٩٦٥ - المطبعة الحيدرية - النجف.

وذكر سبط ابن الجوزي في (تذكرته) عن هذه الآية: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾. قال مجاهد: عن حبّ علي عليه السلام ص ٢١ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ - المطبعة العلمية في النجف. وقال الألوسي في تفسيره ٢٣ ص ٧٤ في قوله تعالى: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ بعد عدّ الأقوال فيها. وأولى هذه الأقوال أن السؤال عن العقائد والأعمال ورأس ذلك لا إله إلا الله، ومن أجله ولاية علي كرم الله وجهه.

وذكر الأستاذ نجم الدين العسكري في كتابه (علي والشيعة) تعليقاً على تفسير هذه الآية؛ ظهر بعد التحقيق أن ما أخرجه الطبري في تفسيره هو نفس الحديث الذي أخرجه الكنجي في (كفاية الطالب) والذي أخرجه الخوارزمي في (المناقب) ولكن أسقط منه أول الحديث وآخره وبقي جملة واحدة منها هي: «أنت يا علي وشيعتك». وصاحب الفردوس يقول: يسألون عن الإقرار بولاية علي^(٢).

الحديث الثاني:

ينابيع المودة ص ٥٥ أخرج بسنده عن مناقب ابن المغازلي الشافعي

(١) سورة الصافات: آية ٢٤.

(٢) ينابيع المودة: للقندوزي، ج ٢ ص ٦٢.

(مخطوط) وقد نقل منه السيد هاشم في (غاية المرام) وغيره من مؤلفاته، وقد أخرج فيه بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما (أنه) قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ فِي عَلِيٍّ خِصَالًا لَوْ كَانَتْ وَاحِدَةً مِنْهَا فِي رَجُلٍ اِكْتَفَى بِهَا فَضْلًا وَشَرَفًا»، قوله ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ». وقوله: «عَلِيٌّ مَنِّي كَنَفْسِي، طَاعَتُهُ طَاعَتِي، وَمَعْصِيَتُهُ مَعْصِيَتِي». وقوله: «حَرْبُ عَلِيٍّ حَرْبُ اللَّهِ، وَسَلَامُ عَلِيٍّ سَلَامُ اللَّهِ». وقوله: «وَلِيٌّ عَلِيٍّ وَلِيٌّ لِلَّهِ، وَعَدُوُّ عَلِيٍّ عَدُوُّ اللَّهِ». وقوله: «عَلِيٌّ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ». وقوله: «حُبُّ عَلِيٍّ إِيْمَانٌ وَبَغْضُهُ كُفْرٌ». وقوله: «حِزْبُ عَلِيٍّ حِزْبُ اللَّهِ، وَحِزْبُ أَعْدَائِهِ حِزْبُ الشَّيْطَانِ». وقوله: «عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَهُ لَا يَفْتَرِقَانِ». وقوله: «عَلِيٌّ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ». وقوله: «مَنْ فَارَقَ عَلِيًّا فَقَدْ فَارَقَنِي، وَمَنْ فَارَقَنِي فَقَدْ فَارَقَ اللَّهَ». وقوله ﷺ: «شِيعَةُ عَلِيٍّ هُمُ الْفَائِزُونَ».

هذه ثلاثة عشر حديثاً أخرجهما القندوزي الشافعي .

الحديث الثالث:

كفاية الطالب ص ٢٣ أخرج بسنده عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: «أَوْصِي مَنْ آمَنَ وَصَدَّقَنِي بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، مَنْ تَوَلَّاهُ فَقَدْ تَوَلَّانِي، وَمَنْ تَوَلَّانِي فَقَدْ تَوَلَّى اللَّهَ عِزَّ وَجَلَّ».

هذا وقد وردت أحاديث كثيرة بمعناها ، (منها) ما في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٥ - ١٦٦ فراجعهما تجد أحاديث عديدة تثبت المطلوب .

الحديث الرابع:

مر معنا في أحاديث الاستخلاف نكتطف منها بغيتنا (وهذا من الحديث الأول): وهو مولى كل مسلم، وإمام كل مؤمن، وقائد كل تقي، وهو وصي، وخليفتي على أهلي وأمتي في حياتي وبعد موتي، ومحبه محبي، ومبغضه مبغضي، وبولايته صارت أمتي مرحومة، وبعداوته صارت المخالفة له ملعونة. الحديث.

الحديث الخامس :

في مناقب الخوارزمي في الفصل ص ١٤ أخرج بسنده عن يعقوب بن إسحق بن إسرائيل قال: نازع عمر بن الخطاب رجلاً في مسألة، فقال له عمر: بيني وبينك هذا الجالس، وأوماً بيده إلى علي عليه السلام. فقال الرجل: مَنْ هذا الهن؟ فنهض عمر في مجلسه فأخذ بأذنيه حتى أشالهُ من الأرض، وقال له: ويلك! أتدري مَنْ صَغُرْتُ؟ هذا علي بن أبي طالب مولاي ومولى كل مسلم^(١).

الحديث السادس :

(ذخائر العقبى) قال: قال بريدة: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تَقَعْ في علي فإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي».

الحديث السابع :

(الرياض النضرة): ١٦٥/٢ - ١٦٦ قال: (ذكر اختصاصه) بأن من آذاه فقد آذى النبي، ومن أبغضه فقد أبغضه، ومن سبه فقد سبه، ومن أحبه فقد أحبه، ومن تولاه فقد تولاه، ومن عاداه فقد عاداه، ومن أطاعه فقد أطاعه، ومن عصاه فقد عصاه.

الحديث الثامن :

(فرائد السمطين) ج ٢ باب ٨: أخرج بسنده عن زيد بن تبيع قال: سمعتُ أبا بكر بن أبي قحافة يقول: رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم خيمَ خيمةً وهو يتكىء على قوس عربيّة، وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. فقال: معاشر الناس، أنا سلمٌ لمن سالمَ أهلَ الخيمة، وحربٌ لمن حاربهم، ووليٌّ لمن والاهم، لا يحبهم إلا سعيد الجد، طيب المولد. ولا يبغضهم إلا شقي الجد، رديء المولد. فقال الرجل: يا زيد أنت سمعتَ منه؟

(١) المناقب، ص ٩٨ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية، النجف.

فقال: إي ورب الكعبة. وقد أخرج الحديث عبيد الله الحنفي في كتابه (أرجح المطالب) ص ٣٠٩. وقال: أخرجه المحب الطبري الشافعي في الرياض النضرة. وأخرجه الخوارزمي في (مناقبه) ص ٢١١ ط ١٩٦٥ - المطبعة الحيدرية - النجف.

الحديث التاسع:

ذكره محب الدين الطبري الشافعي في (ذخائر العقبى) ص ١٨. قال: وعن عمر، وقد جاء أعرابيان يختصمان. فقال عمر لعلي: اقض بينهما يا أبا الحسن. فقضى علي بينهما. فقال أحدهما: هذا يقضي بيننا؟ فوثب عمر وأخذ بتليبيه وقال: ويحك! ما تدري من هذا؟ هذا مولاي ومولى كل مؤمن. ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن. أخرجه ابن السمان في كتاب (الموافقة). هذا وقد أخرج الموفق بن أحمد الحنفي الحديث في (المناقب)^(١)، وحديث الولاية أخرجه الترمذي في صحيحه ج ٢ ص ٤٦٠ طبع الهند سنة ١٣١٠ هـ.

الحديث العاشر:

ذكره ابن كثير الحنبلي في كتابه (البداية والنهاية) ج ٨ ص ٣٤٩. قال: روى جماعة من الصحابة حديث الغدير فعُدَّ أسماءهم. قال: ومن جملتهم عمر بن الخطاب. وهذا لفظه: عن البراء قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى نزلنا غدير خم بعث منادٍ ينادي، فلما اجتمعنا (قال): «أَلَسْتُ أُولَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟». قلنا: بلى يا رسول الله. (قال): «أَلَسْتُ أُولَى بِكُمْ مِنْ آبَائِكُمْ؟». قلنا: بلى يا رسول الله. (قال): «أَلَسْتُ أَلَسْتُ أَلَسْتُ؟». قلنا: بلى يا رسول الله. (قال): «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه». (قال): فقال عمر بن الخطاب: هنيئاً لك يا بن أبي طالب، أصبحتَ اليوم وليَّ كل مؤمن. (قال): وكذا رواه ابن ماجه القزويني في سننه،

(١) ص ٩٨ ط ١٩٦٥ م، نفس المطبعة، النجف.

من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد وأبي هارون العبدى عن عدي بن ثابت عن البراء به. وكذلك الخوارزمي في (مناقبه) ص ٩٤ ط ١٩٦٥ - المطبعة الحيدرية - النجف.

الحديث الحادي عشر:

(كنز العمال) لعلي المتقي الحنفي ج ٦ ص ١٥٤. قال: نقلًا عن المعجم الكبير للطبراني والتاريخ الكبير لابن عساكر عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر عن أبيه عن جدّه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أوصي من آمن بي وصدّقني بولاية علي بن أبي طالب. فمن تولّاه تولّاني، ومن تولّاني فقد تولّى الله، ومن أحبّه فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله. ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله عزّ وجلّ»^(١).

الحديث الثاني عشر:

(الصواعق المحرقة) لابن حجر الهيتمي الشافعي ص ١٠٩. قال: أخرج ابن عبد البرّ في (الاستيعاب) عن ابن المسيّب قال: قال عمر: تحبّوا إلى الأشراف وتودّدوا، اتّقوا على أعراضكم من السفلة، واعلموا أنّه لا يتمّ شرف إلّا بولاية علي.

الحديث الثالث عشر:

(ينابيع المودة) ص ٢٥٣ عن السيّد علي الهمداني الشافعي في مودّة القربى أخرج بسنّده عن أبي عمر قال: كنّا نصلّي مع النبي ﷺ فالتفت فقال: «أيّها النّاس هذا وليّكم بعدي في الدّنيا والآخرة فاحفظوه - يعني عليّاً -».

الحديث الرابع عشر:

(البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٤٤ لابن كثير). فقد أخرج بسنّده عن

(١) علي والوصيّة: للعسكري، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١.

عمران بن حصين أنه قال: شكوا علياً عند النبي ﷺ ، فأقبل رسول الله ﷺ إليهم ، وقد تغير وجهه من الغضب ، فقال : « دعوا علياً ، دعوا علياً ، دعوا علياً . إن علياً مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن بعدي » . ورواه أبو عبد الله أحمد في (المسند) غير مرة ورواه في كتاب (فضائل علي) ، ورواه أكثر المحدثين^(١) .

الحديث الخامس عشر:

أخرج علي المتقي الحنفي في (كنز العمال ج ٦ ص ١١٧) حديثاً عن ابن عباس وفيه زيادات مهمة نقلاً عن المعجم الكبير للطبراني ، قال ؛ قال رسول الله ﷺ : « من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ، ويسكن جنة عدن غرسها ربي ، فليوال علياً من بعدي ، وليوال وليه ، وليقتد بأهل بيتي من بعدي ، فإنهم عترتي خلقتهم من طينتي ، ورزقوا فهمي وعلمي ، فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي ، القاطعين فيهم صلاتي ، لا أنا لهم الله شفاعتي » . ذكره صاحب الحلية أيضاً ص ١٧٠^(٢) . وذكره الخوارزمي في المناقب ص ٣٤ ط ١٩٦٥ المطبعة الحيدرية - النجف .

الحديث السادس عشر:

من كتاب (ابن خالويه) عن عبد الله بن مسعود ، قال : خرج رسول الله ﷺ من بيت زينب بنت جحش ، حتى أتى بيت (أم سلمة) فجاء داق فصدق الباب ، فقال : يا أم سلمة قومي فافتحي له . قالت : ومن هذا يا رسول الله ؟ الذي بلغ خطره أن أفتح له الباب ، وأتلقاه بمعاصمي وقد نزلت في بالأمس آيات من كتاب الله . فقال : يا أم سلمة ، إن طاعة الرسول طاعة الله ، وإن معصية الرسول معصية الله عز وجل ، وإن بالباب لرجلاً ليس بنزق^(٣) ولا خرق ، وما

(١) شرح النهج : لابن أبي الحديد ، ج ٩ ص ١٧٠ - ١٧١ ط دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٦٠ م ذكره بهذا المعنى وبتفصيل أوسع .

(٢) شرح النهج بنفس الجزء والصفحة ١٧٠ . وعلي الوصية .

(٣) الخفيف الطائش .

كان ليدخل منزلاً حتّى لا يسمع حسّاً، وهو يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله. قالت: ففتحتُ الباب، فأخذ بعضادتي الباب، ثم جثت حتّى دخلت الخدر، فلمّا أن لم يسمع وطء دخل ثم سلّم على رسول الله ﷺ ثم قال: يا أمّ سلمة، وأنا من وراء الخدر، أتعرفين هذا؟ قلتُ: نعم، هذا علي بن أبي طالب. قال: «هو أخي، سجيّته سجيّتي، ولحمه لحمي، ودمه من دمي. يا أمّ سلمة هذا قاضي عداتي من بعدي، فاسمعي واشهدي يا أمّ سلمة. هذا وليّ من بعدي، فاسمعي واشهدي يا أمّ سلمة لو أنّ رجلاً عبد الله ألف سنة بين الركن والمقام، ولقي الله مبغضاً لهذا أكبّة الله عزّ وجلّ على وجهه في نار جهنّم»^(١).

الحديث السابع عشر:

(أخرج) الشيخ سليمان الحنفي في (ينابيع المودة) ص ٢٥٨ من مودة القربى - المودة العاشرة - بسنده عن علي بن أبي طالب عليه السلام رفعه إلى النبي ﷺ أنّه قال: «من أحبّ أن يركب سفينة النّجاة، ويتمسّك بالعروة الوثقى، ويعتصم بحبل الله المتين فليوال عليّاً بعدي، وليعاد عدوّه، وليأتمّ بالأئمة الهداة من ولده، فإنهم خلفائي وأوصيائي، وحجج الله على خلقه بعدي، وسادات أمّتي، وقادات الأتقياء إلى الجنّة، حزبهم حزبي وحزبي حزب الله، وحزب أعدائهم حزب الشيطان»^(٢).

الحديث الثامن عشر:

أخرج القندوزي في (ينابيعه) أيضاً ص ١٢٣ من المناقب، بسنده عن علي بن الحسين، عن أبيه عن جدّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله قد فرض عليكم طاعتي، ونهاكم عن معصيتي، وفرض عليكم طاعة عليّ بعدي، ونهاكم عن معصيته، وهو وصيّ

(١) كشف الغمّة، ص ٩١ - ٩٢ من الجزء الأول.

(٢) علي والوصيّة: للعسكري، ص ٢٧٣.

ووارثي، وهو مني وأنا منه، حبه إيمان وبغضه كفر، محبه محبي، ومبغضه مبغضي، وهو مولى من أنا مولاه، وأنا مولى كل مسلم ومسلمة، وأنا وهو أبوا هذه الأمة». وفي (المناقب) للخوارزمي الحنفي ص ٢٢١ بسنده عن الأصمغ، قال: سُئِلَ سلمان الفارسي عن علي بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة، فقال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وآله وسلم يقول: «عليكم بعلي بن أبي طالب، فإنه مولاكم فأحبوه، وكبيركم فاتبعوه، وعالمكم فأكرموه، وقائدكم إلى الجنة فعززوه، وإذا دعاكم فأجيبوه، وإذا أمركم فأطيعوه، وأحبوه كحبي، وأكرموه بكرامتي. ما قلتُ لكم في عليٍّ إلَّا ما أمرني به رَبِّي جلَّتْ عظمتُهُ»^(١).

الحديث التاسع عشر:

(أخرج) الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتاب الولاية في طريق حديث الغدير بسنده عن زيد بن أرقم. قال: لما نزل النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم بغدير خم في رجوعه من حجة الوداع، وكان في وقت الضحى وحر شديد، أمر بالدُّوحات فُقِّمَتْ (كُنُسَتْ)، ونادى الصلاة جامعة، الصلاة جامعة، فاجتمعنا، فخطب خطبة بالغة، ثم قال: «إِنَّ الله تعالى أنزل إليَّ: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾». وقد أمرني جبرئيل عن ربي أن أقول في هذا المشهد، وأعلم كل أبيض وأسود: إن علي بن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي والإمام بعدي. فسألت جبرئيل أن يستعفي لي ربي، لعلمي بقلَّة المتقين وكثرة المؤذنين لي واللائمين، لكثرة ملازمتي لعلي، وشدة إقبالي عليه حتى يسموني أذنًا، فقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ: هُوَ أَذُنٌ قُلْ هُوَ أَذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(١) ولو شئت أن أسميهم وأدلَّ عليهم لفعلت، ولكني بسترهم قد تكرمت، فلم يرض الله إلَّا بتبليغي فيه فاعلموا.

معاشر الناس، ذلك فإن الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً، وفرض طاعته

(١) علي والوصية: للعسكري، ص ٢٧٤.

(٢) سورة التوبة: آية ٦١.

على كلِّ أحد، ماضٍ حكمه، جائز قوله، ملعون من خالفه، مرحومٌ من صدَّقه، اسمعوا وأطيعوا، فإنَّ الله مولاكم، وعليَّ إمامكم، ثم الإمامة في ولدي من صلبه إلى يوم القيامة. لا حلال إلَّا ما أحلَّه الله ورسوله، ولا حرام إلَّا ما حرَّم الله ورسوله وهم. فما من علمٍ إلَّا وقد أحصاه الله فيَّ ونقلته إليه فلا تضلُّوا عنه ولا تستنكفوا منه، فهو الَّذي يهدي إلى الحقِّ ويعمل به. لن يتوب الله على أحدٍ أنكره، ولن يغفر له، حتماً على الله إن يفعل ذلك أن يعذِّبه عذاباً نكراً أبداً الأبدين. فهو أفضل النَّاس بعدي ما نزل الرِّزق وبقي الخلق، ملعونٌ من خالفه، قولي عن جبرئيل عن الله، فلتنظر نفسٌ ما قدَّمت للغد.

إفهموا محكم القرآن، ولا تتبعوا متشابهه، ولن يفسِّر ذلك لكم إلَّا من أنا آخذ بيده وشايل بعضديه ومعلمكم. إنَّ مَنْ كُنْتُ مولاه فعليُّ مولا، ومولاته من الله عزَّ وجلَّ أنزلها عليَّ. ألا وقد أدَّيتُ. ألا وقد بلَّغتُ. ألا وقد أسمعتُ. ألا وقد أوضحتُ، لا تحلُّ أمة المؤمنين بعدي لأحدٍ غيره. ثم رفعه إلى السَّماء حتَّى صارتُ رجله مع ركة النبي ﷺ قال:

معاشر النَّاس: هذا أخي ووصيِّي وواعي علمي وخليفتي على من آمَن بي، وعلى تفسير كتاب ربِّي. (وفي رواية): «اللهمَّ وال من والآء، وعاد من عاداه، والعن من أنكره، واغضب على من جحد حقه. اللهمَّ إنَّكَ أنزلتَ عند تبين ذلك في علي: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ بإمامته، فمن لم يأتمْ به وبمن كان من ولدي من صلبه إلى يوم القيامة، فأولئك حبَّطت أعمالهم وفي النار هم فيها خالدون». إن إبليس أخرج آدم ﷺ من الجنَّة - مع كونه صفواً لله - بالحسد، فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم وتذلَّ أقدامكم. في عليَّ نزلت سورة ﴿والعصر إنَّ الإنسان لفي خسر﴾^(١).

«معاشر النَّاس، آمنوا بالله ورسوله والنَّور الَّذي أنزلَ معه مِنْ قبل أن

(١) في الدر المنثور، ج ٦ ص ٢٩٢ من طريق ابن مردويه عن ابن عباس إن قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ نزل في علي وسلمان.

نطمس وجوهاً فنردّها على أدبارهم، أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السَّبْت. النور من الله فيّ ثمّ في علي، ثمّ في النسل منه إلى القائم المهدي. معاشر الناس، سيكون من بعدي أئمة ﴿يدعون إلى النار ويوم القيامة لا يُنصرون﴾ وأن الله وأنا بريئان منهم، إنهم وأنصارهم وأتباعهم في الدَّرَك الأسفل من النار، وسيجعلونها ملكاً اغتصاباً». فعندها يفرغ: ﴿لكم أيّها الثقلان ويرسل عليكما شواظ من نارٍ ونحاسٍ فلا تتصران». الحديث (ضياء العالمين). وذكره العلامة الحجة الأميني في كتاب (الغدير) ج ١ ص ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ ط ٢ (١).

الحديث العشرون:

من بحار الأنوار للمجلسي ج ٩ ص ٤٢٧ روى ابن إدريس عن أبيه عن ابن هاشم، عن محمد بن سنان، عن أبي الجارود، عن ابن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ولاية الله، وحبّه عبادة الله، واتباعه فريضة الله، وأوليائه أولياء الله، وأعداؤه أعداء الله، وحربه حرب الله، وسلمه سلم الله».

الحديث الواحد والعشرون:

من بحار الأنوار أيضاً ج ٩ ص ٤٠١. روى الحفّار عن عبدالله بن محمد بن عثمان، عن محمد بن علي بن معمر، عن أحمد بن المعافا، عن علي بن موسى الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن النبي ﷺ عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل، عن اللوح، عن القلم، عن الله تعالى قال: «ولاية علي حصني، من دخله أمن ناري».

الحديث الثاني والعشرون:

من كتاب (المناقب) لأبي المؤيد الخوارزمي، عن علي، عن النبي ﷺ قال: «يا عليّ لو أنّ عبداً عبد الله عزّ وجلّ مثل ما قام نوح في قومه،

(١) علي والوصيّة: لنجم الدّين العسكري، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١.

وكان له مثل أُحَدِ ذهباً، فأنفقه في سبيل الله، ومدّ في عمره حتى حجّ ألف عام على قدميه، ثم قُتِلَ بين الصّفا والمروة مظلوماً، ثمّ لم يوالِكَ يا عليّ لم يشمّ رائحة الجنّة ولم يدخلها^(١).

الحديث الثالث والعشرون:

ومن مناقب الخوارزمي عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ دَعَا هُنَّ فَأَجَبْنَهُ، فَعَرَضَ عَلَيْهِنَّ نَبُوتِي، وَوَلَايَةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَبِلْنَهُنَّ، ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، وَفَوَّضَ إِلَيْنَا أَمْرَ الدِّينِ. فَالسَّعِيدُ مَنْ سَعِدَ بِنَا، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ بِنَا. نَحْنُ الْمَحَلُّونَ لِحَلَالِهِ، وَالْمَحْرَمُونَ لِحَرَامِهِ»^(٢).

الحديث الرابع والعشرون:

وعن ابن هارون العبدي قال: كنتُ أرى رأي الخسارح لا رأي لي غيره، حتّى جلستُ إلى أبي سعيد الخدري فسمعتُهُ يقول: أَمَرَ النَّاسَ بِخَمْسَةٍ، فَعَمَلُوا بِأَرْبَعَةٍ وَتَرَكُوا وَاحِدَةً. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا سَعِيدَ، مَا هَذِهِ الْأَرْبَعَةُ الَّتِي عَمَلُوا بِهَا؟ قَالَ: الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالْحَجُّ وَالصَّوْمُ. قَالَ: فَمَا الْوَاحِدَةُ الَّتِي تَرَكُوهَا؟ قَالَ: وَلَايَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. قَالَ: وَإِنَّهَا مُفْتَرَضَةٌ مَعَهُنَّ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَقَدْ كَفَرَ النَّاسُ؟ قَالَ: فَمَا ذَنْبِي؟^(٣).

الحديث الخامس والعشرون:

ومن (أمالِي الطُّوسِي) عن ابن عَبَّاسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَعْطَانِي اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَمْسًا، وَأَعْطَى عَلِيًّا خَمْسًا...» إِلَى قَوْلِهِ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي. فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِمُوَالَاةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

(١) كشف الغمّة: للأربلي، ج ١ ص ١٠٢، والمناقب، ص ٢٨ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية، النجف.

(٢) كشف الغمّة أيضاً، ص ٢٩٢، والمناقب، ص ٨٠، المطبعة الحيدرية، النجف.

(٣) كشف الغمّة، ج ١ ص ٣١٩.

والَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنْ عَبْدٍ حَسَنَةً حَتَّى يَسْأَلَهُ عَنْ حَبِّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَهُوَ تَعَالَى أَعْلَمُ. فَإِنْ جَاءَهُ بَوْلَايَتُهُ قَبْلَ عَمَلِهِ عَلَى مَا كَانَ فِيهِ. وَإِنْ لَمْ يَأْتِهِ بَوْلَايَتُهُ لَمْ يَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ، وَأَمَرَ بِهِ إِلَى النَّارِ. يَا بَنَ عَبَّاسُ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا إِنَّ النَّارَ لِأَشَدُّ بَغْضًا عَلَى مَبْغُضٍ عَلَيَّ مِنْهَا عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ لِلَّهِ وَلَدًا.

يَا بَنَ عَبَّاسُ لَوْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ وَالْأَنْبِيَاءَ الْمُرْسَلِينَ اجْتَمَعُوا عَلَى بَغْضِهِ وَلَنْ يَفْعَلُوا، لَعَذَّبَهُمُ اللَّهُ بِالنَّارِ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ يَبْغُضُهُ أَحَدٌ؟ فَقَالَ: «يَا بَنَ عَبَّاسُ، نَعَمْ، يَبْغُضُهُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ مِنْ أُمَّتِي، لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ نَصِيبًا.

يَا بَنَ عَبَّاسُ: إِنَّ مِنْ عِلَامَةِ بَغْضِهِمْ لَهُ، تَفْضِيلَ مَنْ هُوَ دُونَهُ عَلَيْهِ. وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا مَا خَلَقَ اللَّهُ نَبِيًّا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنِّي. وَلَا وَصِيًّا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ وَصِيِّ عَلِيٍّ». قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَمْ أَزَلْ لَهُ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَوَصَّانِي بِمُودَّتِهِ، وَأَنَّهُ لِأَكْبَرِ عَمَلِي عِنْدِي.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ثُمَّ مَضَى مِنَ الزَّمَانِ مَا مَضَى، وَحَضَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْوَفَاةُ، وَحَضَرَتْهُ، فَقُلْتُ لَهُ: فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ دَنَا أَجْلُكَ فَمَا تَأْمُرَنِي؟ فَقَالَ: «يَا بَنَ عَبَّاسُ، خَالِفْ مَنْ خَالَفَ عَلِيًّا، وَلَا تَكُونَنَّ لَهُمْ ظَهِيرًا وَلَا وَلِيًّا!» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَلَمْ لَا تَأْمُرُ النَّاسَ بِتَرْكِ مَخَالَفَتِهِ؟ قَالَ: فَبَكَى حَتَّى أَغْمِيَ عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: «يَا بَنَ عَبَّاسُ، سَبَقَ الْكِتَابُ فِيهِمْ وَعِلْمُ رَبِّي. وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِمَّنْ خَالَفَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَأَنْكَرَ حَقَّهُ، حَتَّى يَغَيِّرَ اللَّهُ مَا بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ. يَا بَنَ عَبَّاسُ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ وَهُوَ عِنْدَكَ رَاضٍ فَاسْلُكْ طَرِيقَةَ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَمِلَّ مَعَهُ حَيْثُ مَالٌ، وَارْضَ بِهِ إِمَامًا، وَعَادِ مِنْ عَادَاهُ، وَوَالِدٍ مِنْ وَالِدِهِ. يَا بَنَ عَبَّاسُ احْذَرِ أَنْ يَدْخُلَكَ شَكٌّ فِيهِ. فَإِنَّ الشُّكَّ فِي عَلِيٍّ كُفْرٌ بِاللَّهِ»^(١).

(١) كشف الغمّة: للأربلي، ج ٢ ص ٦ و ٧.

الحديث السادس والعشرون :

عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بال أقوام إذا ذكر عندهم آل إبراهيم عليه السلام فرحوا واستشبهوا . وإذا ذكر عندهم آل محمد اشمازت قلوبهم . والذي نفس محمد بيده ، لو أن عبداً جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبياً ما قبل الله ذلك منه حتى يلقاه بولائي وبولاية أهل بيتي »^(١) .

الحديث السابع والعشرون : حديث آية الولاية في علي .

عن أنس بن مالك أن سائلاً أتى إلى المسجد وهو يقول : من يقرض الملي الوفي ؟ وعلي راعٍ يشير بيده خلفه للسائل أي اخلع الخاتم من يدي . قال رسول الله : « يا عُمَرُ ، وَجِبْتُ ؟ » قال : وجبت له الجنة والله . وما خلعه من يده حتى خلعه الله من كل ذنبٍ ومن كل خطيئة . قال : « فما خرج أحدٌ من المسجد حتى نزل جبرئيل بقوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ »^(٢) .

وأهل العلم يستدلون بهذه الآية أن الفعل القليل لا يبطل الصلاة ، وأن صدقة التطوع تُسمى زكاة . وهذه أسماء جميع ممن أخرج الحديث وهم : الواقدي في ذخائر العقبى ١٠٢ . والحافظ الصنعاني في تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٧ ، وابن أبي شيبه الكوفي في تفسيره . وأبو جعفر الإسكافي المعتزلي في رسالته التي ردّها على الجاحظ . والحافظ عبد بن حميد الكشي في تفسيره كما في (الدرّ المشور) . وأبو سعيد الأشج الكوفي في تفسيره . والنسائي صاحب السنن في صحيحه . والطبري في تفسيره ج ٦ ص ١٨٦ بعدة طرق . والرازي كما في تفسير ابن كثير ، والدرّ المشور ، وأسباب النزول للسيوطي . وأبو القاسم الطبراني في معجمه الأوسط . والحافظ أبو بكر

(١) نفس المصدر، ج ٢ ص ١٠ ، ومشارق أنوار اليقين : للشيخ رجب البرسي ، ص ٥٩ .

(٢) سورة المائدة : آية ٥٥ .

الجصاص الرّازي في أحكام القرآن جـ ٢ ص ٥٤٢ . وأبو الحسن علي بن عيسى الرّماني في تفسيره . والنيسابوري في معرفة (أصول الحديث) ص ١٠٢ . والثعلبي النّيسابوري في تفسيره ج ٢ ص ٥٢ . وأبو الحسن الواحدي النيسابوري في أسباب النزول ص ١٤٨ . وابن المغازلي الشّافعي في (المناقب) من خمس طرق . وشيخ المعتزلة عبد السّلام بن محمّد القزويني في تفسيره الكبير . والبغوي الشّافعي في تفسيره (معالم التنزيل) هامش الخازن ٢ ص ٥٥ . والزّمخشري الحنفي في الكشف جـ ١ ص ٤٢٢ . والخوارزمي في (المناقب) ص ١٨٦ - ١٨٧ بطريقتين ط ١٩٦٥ المطبعة الحيدرية - النّجف . وابن عساكر في تاريخ الشّام بعدة طرق . وابن الجوزي الحنبلي في (الرياض) جـ ٢ ص ٢٢٣ . وذخائر العقبى ص ١٠٢ . ومن أراد المزيد فليراجع الغدير جـ ٣ من ص ١٥٦ - ١٦٢ فهو يذكر ٦٦ رجلاً أخرجوا الحديث، ففيه الغاية المنشودة للباحث .

الحديث الثامن والعشرون :

أخرج أبو المؤيد موفق بن أحمد الخوارزمي بسنده عن أبي سليمان راعي رسول رسول الله . قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «ليلة أُسري بي إلى السّماء قال لي الجليل جل جلاله : ﴿آمن الرّسول بما أنزل إليه من ربّه﴾» . فقلتُ : والمؤمنون . قال : «صدقْتُ» . قال : «يا محمّد إني أطلعتُ إلى أهل الأرض اطلّاعةً فاخترتُك منهم ، فشقتُ لك إسماً من أسمائي . فلا أذكرُ في موضع إلاّ ذُكرتُ معي . فأنا المحمود وأنت محمّد . ثمّ أطلعتُ الثّانية فاخترتُ منهم عليّاً فسَمّيته بإسمي . يا محمّد خلقتُك وخلقتُ عليّاً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين من نوري ، وعرضتُ ولايتكم على أهل السّموات والأرض . فمن قبلها كان عندي من المؤمنين ، ومن جحدّها كان عندي من الكافرين . يا محمّد لو أنّ عبداً من عبيدي عبدني حتّى ينقطع أو يصير كالشّنّ البالي ، ثمّ جاءني جاحداً لولايتكم ما غفرتُ له . يا محمّد تحبّ أن تراهم ؟ قلتُ : نعم يا ربّ . قال لي : أنظر إلى يمين العرش . فنظرتُ فإذا علي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ، ومحمّد بن جعفر ،

وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، ومحمد المهدي بن الحسن كأنه كوكب دري بينهم. وقال: يا محمد، هؤلاء حججي على عبادي. وهم أوصياؤك، والمهدي منهم الناصر على من قاتل عترتك. وعزتي وجلالي إنه المنتقم من أعدائي والممد لأوليائي أيضاً». أخرجه الحموي (١).

الحديث التاسع والعشرون:

عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا أُسْرِي بِي فِي لَيْلَةِ الْمِعْرَاجِ، فَاجْتَمَعَ عَلَيَّ الْأَنْبِيَاءُ فِي السَّمَاءِ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيَّ: سَلِّمْ يَا مُحَمَّدُ بِمَاذَا بُعِثْتُمْ؟ فَقَالُوا: بُعِثْنَا عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، وَعَلَى الْإِقْرَارِ بِنَبِيِّتِكَ، وَالْوَلَايَةِ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ». رواه الحافظ أبو نعيم (٢). وفي (المناقب) للخوارزمي بهذا المعنى مرفوعاً إلى عبدالله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ أَتَانِي مَلَكٌ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ سَلْ مِنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا عَلَى مَاذَا بُعِثُوا؟ قَالَ: قُلْتُ: عَلَى مَا بُعِثُوا؟ قَالَ: عَلَى وَلايَتِكَ وَوَلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ». ص ٢٢١ ط ١٩٦٥ - المطبعة الحيدرية - النجف.

الحديث الثلاثون:

روي عن عبدالله بن مسعود قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ فقلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرْنِي الْحَقَّ لأُصِلَ إِلَيْهِ، قَالَ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ أَلَجَّ الْمَخْدَعُ (الْبَيْتُ الصَّغِيرُ)». فولجتُ المخدع وعلي بن أبي طالب عليه السلام يصلي ويقول في ركوعه وسجوده: «اللَّهُمَّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ اغْفِرْ لِلْخَاطِئِينَ مِنْ شِيعَتِي». فخرجتُ حتَّى أَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فسمعتَه يقول: «اللَّهُمَّ بِحَقِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَبْدِكَ إِلَّا مَا غَفَرْتَ لِلْخَاطِئِينَ مِنْ أُمَّتِي». قال: فَأَخَذَنِي مِنْ ذَلِكَ

(١) ينابيع المودة: للشيخ القندوزي، ج ٣ ص ١٦١، الطبعة الثانية.

(٢) ينابيع المودة: للشيخ القندوزي، ج ٣ ص ١٦١، الطبعة الثانية.

الهلح العظيم، فأوجز النبي ﷺ في صلاته وقال: «يا بن مسعود، أكفر بعد إيمان؟». فقلت: حاشا وكلاً يا رسول الله. ولكن رأيت علياً يسأل الله بك، ورأيتك تسأل الله به. ولا أعلم أيكما أفضل عند الله تعالى؟ فقال: «اجلس يا بن مسعود»، فجلست بين يديه. فقال: «اعلم إن الله خلقني وعلياً من نور عظمته، قبل أن يخلق الله الخلق بألفي عام، إذ لا تسبيح ولا تقديس ولا تهليل. ففتق نوري، فخلق منه السموات والأرض. وأنا والله أجل من السموات والأرض. وفتق نور علي بن أبي طالب، فخلق منه العرش والكرسي. وعليّ والله أجل من العرش والكرسي. وفتق نور الحسن عليه السلام فخلق منه اللوح والقلم. والحسن والله أجل من اللوح والقلم. وفتق نور الحسين عليه السلام. وخلق منه الجنان والحدود العين. والحسين عليه السلام والله أجل من الجنان والحدود العين. ثم أظلمت المشارق والمغارب، فشكت الملائكة إلى الله تعالى أن يكشف عنهم تلك الظلمة. فتكلم الله جلّ جلاله بكلمة فخلق منها روحاً، ثم تكلم بكلمة فخلق من تلك الكلمة الأخرى نوراً، فأضاف النور إلى تلك الروح، وأقامها أمام العرش، فأزهرت المشارق والمغارب. فهي فاطمة الزهراء عليها السلام. فلذلك سميت بالزهراء. يا بن مسعود إذا كان يوم القيامة يقول الله جلّ جلاله لي وعلي: ادخلا الجنة من شئتما وادخلا النار من شئتما. وذلك قوله تعالى: ﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾^(١). فالكافر من جحد نبوتي، والعنيد من جحد ولاية علي بن أبي طالب^(٢).

الحديث الواحد والثلاثون:

روى صاحب كتاب (القدسيات) - وهو من أعظم محققي الجمهور - عن النبي ﷺ أنه قال لعلي: «يا عليّ إن الله تعالى قال لي: يا محمد بعثت علياً مع الأنبياء باطناً ومعك ظاهراً». ثم قال صاحب ذلك الكتاب، وصرح بهذا

(١) سورة ق: آية ٢٤.

(٢) الأنوار النعمانية: لنعمة الله الموسوي الجزائري، ج ١ باب ١ ص ١٧ - ١٨.

المعنى في قوله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ليعلموا أن باب النبوة قد خُتِمَ وباب الولاية قد فتح».

وإشارة بعث علي عليه السلام مع الأنبياء باطنياً إلى سرّ الولاية التي ظهرت بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليكون علماء أئمة الذين هم الأولياء وأعين الناس في سوادية دائرة الولاية، وبياضها إلى الحق.

أقول: هذا الذي رواه من بعثه عليه السلام باطنياً قد روى مضمونه في أخبار أهل البيت عليهم السلام عن علي بن أبي طالب عليه السلام . وهو إشارة إلى سرّ إلهي في الغاية القصوى من التحقيق . وهو أنه قد روي عنه عليه السلام أنه قال في جواب من سأله عن فضله وفضل من تقدّمه من الأنبياء، مع أنهم جازوا غاية الإعجاز. أما إبراهيم فقد نجّاه الله سبحانه من نار النمرود، وجعلها عليه برداً وسلاماً. ونوح عليه السلام قد نجّاه الله من الغرق. وموسى عليه السلام نجّاه من فرعون، وأتاه التوراة وعلمه إياها. وعيسى عليه السلام أتاه النبوة في المهد، وأنطقه بالحكمة والنبوة. وسليمان عليه السلام الذي سخر له الرياح والجن والإنس وجميع المخلوقات. فقال عليه السلام: «والله قد كنتُ مع إبراهيم في النار، وأنا الذي جعلتها برداً وسلاماً. وكنتُ مع موسى فعلمته التوراة، وأنطقت عيسى في المهد، وعلمته الإنجيل. وكنتُ مع يوسف في الحبّ، فأنجيته من كيد إخوته. وكنتُ مع سليمان على البساط وسخرت له الرياح»^(١).

الحديث الثاني والثلاثون:

قال إبراهيم في كتاب (صفين): وحَدَّثنا يحيى بن سليمان، قال: حَدَّثنا ابن فضيل، قال: حَدَّثنا الحسن بن الحكم النخعي عن رباح بن الحارث النخعي، قال: كنتُ جالساً عند علي عليه السلام ، إذ قَدِمَ عليه قوم متلثمون . فقالوا: السّلام عليك يا مولانا . فقال لهم: أو لستم قوماً عرباً! قالوا: بلى . ولكنّا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يوم غدير خمّ: «من كنتُ مولاه فعليٌّ

(١) الأنوار النعمانية: لنعمة الله الموسوي، ج ١ باب ١ ص ٣٠ - ٣١.

مولاه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله. قال: فلقد رأيتُ علياً عليه السلام ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: اشهدوا^(١).

الحديث الثالث والثلاثون:

من كتاب (الروضة) التي فيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذُّ الأعين، مرفوعاً بالأسانيد إلى جعفر بن محمد قال: أوحى الله تعالى إلى نبيه: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢). قال: ولاية علي هي الصراط المستقيم.

الحديث الرابع والثلاثون:

من كتاب (الروضة) أيضاً يرفعه إلى عمار بن ياسر، قال: كنتُ عند أمير المؤمنين عليه السلام وقد خرج من الكوفة، وعبر من الضيعة التي يقال لها النخلة على فرسخين من الكوفة. فخرج منها خمسون رجلاً يهودياً. فقالوا: أنت علي بن أبي طالب؟ قال: نعم، فقالوا: لنا صخرة مذكورة في كتبنا عليها اسم ستة من الأنبياء، ولنا مدة نطلبها فلم نجدها. فإن كنت إماماً ووصياً فأظهر لنا الصخرة. قال: اتبعوني. قال عمار بن ياسر: فسرنا وراءه إلى أن استبطن بنا البر، وإذا بجبل من الرمل عظيم على طول البر، فوقف عليه ثم قال: بحق اسم الله الأعظم الذي قاله سليمان. أيتها الريح انسفي الرمل عن الصخرة. فما كان إلا ساعة حتى نسفت الرمل عن الصخرة، وظهرت بإذن الله تعالى. فقال عليه السلام: هذه صخرتكم. فقالوا: إنَّ عليها اسم ستة من الأنبياء كما هو عندنا، وما نرى عليها شيئاً. قال: هو على وجهها الذي هو على الأرض. فأقلبوها تجدوها تحتها. قال: فاعصو صبَّ عليها ألف رجل حضروا في

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٣ ص ٢٠٨ ط ١٩٥٩ م، دار إحياء الكتاب العربية.

(٢) سورة الزخرف: آية ٤٣.

المكان، فلم يقدرُوا على تحريكها. فقال عليه السلام : إليكم عنها. ثمَّ مدَّ يده إليها وهو راكِبٌ، فأقلبها. فوجدوا فيها أسماء الأنبياء السّنة وهم: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليه السلام . فعند ذلك قال النّفر الذين من اليهود: مدَّ يدك. فنحنُ نشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمّداً رسول الله، وأنك خليفته وليّ الله ووصيّه من بعده. من عرفك سعد ونجا، ومن تخلف عنك ضلّ وغوى، وإلى الجحيم هوى.

الحديث الخامس والثلاثون:

من كتاب (الإمامة والسياسة) للإمام الفقيه ابن قتيبة الدّينوري ج ١ ط ٣ عام ١٩٦٣ ص ١٠٩. قال: وذكرُوا أنَّ رجلاً من همذان يقال له برد، قدِمَ على معاوية، فسمعَ عمرًا يقع في علي. فقال له: يا عمرو، إنَّ أشياخنا سمعوا رسول الله عليه السلام يقول: «من كنتُ مولاه فعليّ مولاه. فحقُّ ذلك أم باطل؟». فقال عمرو: حقّ، وأنا أزيدُك أنّه ليس أحدٌ من صحابة رسول الله له مناقب مثل مناقب علي. ففزع الفتى... إلى آخر الحديث.

الحديث السادس والثلاثون:

أخرج الخطيب الموفق محمّد بن أحمد الخوارزمي الحنفي في المناقب ص ١٢٤ قال: وروي أنَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أرسل إلى معاوية رسله، وهم الطّرماح وجريّر بن عبد الله البجلي وغيرهما - قبل مسيره إلى صفّين - وكتبَ إليه مرّةً بعد أُخرى يحتجّ عليه ببيعة أهل الحرّمين له، وسوابقه في الإسلام، لئلا يكون بين أهل العراق وأهل الشّام محاربة، ومعاوية يعتلُّ بدم عثمان، ويستغوي بذلك جهّال الشّام وأجلاف العرب. ويستميل إليه طلبة الدُّنيا الدّنيّة بالأموال والولايات. وكان يشاور في أثناء ذلك أهل مودّته وعشيرته في قتال علي عليه السلام. فقال له أخوه عتبة: هذا أمر عظيم لا يتمُّ إلّا بعمر بن العاص، فإنّه قريع زمانه في الدّهاء والمكر، يخذع ولا يُخذع، وقلوب أهل الشّام مائلة إليه. فقال له معاوية: صدقت والله. ولكنّه يحبّ

عليّاً. فأخاف أن لا يجيبي، قال: أخدعه بالأموال والولايات فكتب إليه معاوية:

من معاوية بن أبي سفيان خليفة عثمان بن عفان - إمام المسلمين ذي النورين، ختن المصطفى علي ابنته، وصاحب جيش العسرة، وبئر دومة، المعدوم الناصر، الكثير الخاذل، المحصور في منزله، المقتول عطشاً وظلماً في محرابه، المعذب بأسيايف الفسقة - إلى عمرو بن العاص، صاحب رسول الله ﷺ وثقته، وأمر عسكره بذات السلاسل المعظم رأيه، المفخم تدبيره. (أما بعد): فلن يخفى عليك احتراق قلوب المؤمنين، وما أصيبوا به من الفجيعة بدم عثمان، وما ارتكب به جاره حسداً وبغياً بامتناعه من نصرته، وخذلانه إياه، وأشيأ به العامة عليه حتى قتلوه في محرابه. فيا لها من مصيبة عمّت جميع المسلمين، وفرضت عليهم طلب دمه من قتلته. وأنا أدعوك إلى الحظّ الأجل من الثواب، والنصيب الأوفر من حسن المآب بقتال من آوى قتله عثمان.

(فكتب إليه عمرو): من عمرو بن العاص صاحب رسول الله ﷺ إلى معاوية بن أبي سفيان: (أما بعد): فقد وصل إليّ كتابك فقرأته وفهمته. فأما ما دعوتني إليه من خلع ربة الإسلام من عنقي، والتهوّر في الضلالة معك، وإعانتني إياك على الباطل، واختراط السيف في وجه علي عليه السلام، وهو أخو رسول الله ﷺ ووصيه ووارثه وقاضي دينه، ومنجز وعده، وزوج ابنته سيّدة نساء أهل الجنة، وأبو السبطين الحسن والحسين سيّدَي شباب أهل الجنة. فهذا أمر قد قبّح الله فاعله فلن يكون. وأما ما قلت: إنك خليفة عثمان فقد صدقت. نلكن تبين اليوم عزلك عن خلافته، وقد بويع لغيره. فزالت خلافتك. وأما ما عظمتني به ونسبتني إليه من صحبة رسول الله ﷺ، وأني صاحب جيشه، فلا أغترّ بالتزكية، ولا أميلُ بها عن الملة. وأما ما نسبت أبا الحسن أخا رسول الله ﷺ ووصيه إلى البغي والحسد على عثمان. وسميت الصحابة فسقة، وزعمت أنه أشلاهم على قتله. فهذا كذبٌ وغواية. ويحك يا معاوية! أما علمت أن أبا الحسن بذل نفسه بين يدي رسول الله، ويات على

فراشه، وهو صاحب السبق إلى الإسلام والهجرة. وقد قال فيه رسول الله ﷺ: «هو منِّي وأنا منه. وهو منِّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». (وقال) فيه يوم غدير خم: «ألا مَنْ كُنْتُ مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله». وهو الذي (قال فيه) يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله». (وقال فيه) يوم الطير: «آتني بأحب خلقك إليك وإليّ» فلما دخل عليه قال: «إليّ إليّ (أي ادن مني)». (وقد قال فيه) يوم بني النضر: «عليّ قاتل الفجرة، وإمام البررة، منصور من نصره، مخزول من خزله». (وقد قال فيه): «عليّ إمامكم بعدي». وأكد القول عليّ وعليك وعلى جميع المسلمين. (وقال فيه): «إنني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي». (وقال فيه): «أنا مدينة العلم وعليّ بابها. وقد علمت يا معاوية ما أنزل الله تعالى في كتابه من الآيات المتلوات في فضائله التي لا يشاركه فيها أحد»، كقوله تعالى: ﴿يوفون بالنذر﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾^(٣). وقوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾^(٤). وقد قال رسول الله ﷺ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى. سلّمك سلمي، وحربك حربي. وتكون أخي ووليّ في الدنيا والآخرة. يا أبا الحسن من أحببك فقد أحببني، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن أحببك أدخله الله الجنة، ومن أبغضك أدخله الله النار». (ثم كتب): «وكتابتك هذا جوابه ليس ممّا ينخدع به من له عقل ودين والسلام».

ثم كتب إليه معاوية يعرض عليه الأموال والولايات، وطول الكلام.

(١) سورة الدهر: آية ٧.

(٢) سورة المائدة: آية ٥٨.

(٣) سورة هود: آية ١٧.

(٤) سورة الأحزاب: آية ٢٣.

ولكنه انخدع بولاية مصر، فقدم الدنيا على الآخرة، والعاجل على الآجل. والفضل ما شهدت به الأعداء. ولعمرو بن العاص قصيدة تتكوّن من ٤٧ بيتاً تُسمّى بالجلجلة ذكرها صاحب كتاب الغدير في الجزء الثاني من ص ١١٤ - ١١٨. ومنها هذه الأبيات:

وفي يوم خمّ رقى منبراً فأمنحه إمرة المؤمنين وفي كفّه كفّه معلناً وقال: فمن كنتُ مولىً له	وبلّغ والصّحب لم ترحل من الله مستخلف المنحل ينادي بأمر العزيز العلي عليّ له اليوم نعم الولي
ومنها:	

وإن يكن بينكما نسبة وأين الثريّا وأين الثرى	فأين الحسام من المنجل وأين معاوية من علي
ومنها:	

نصرناك من جهلنا يابن هند وحيث رفعناك فوق الرؤوس وكم قد سمعنا من المصطفى وإنّا وما كان من فعلنا فما عذرنا يوم كشف الغطاء	على النّبأ الأعظم الأفضّل نزلنا إلى أسفل الأسفل وصايا مخصّصة في علي لفي النّار في الدّرك الأسفل لك الويلّ منه غداً ثمّ لي
---	---

الحديث السابع والثلاثون: حديث المناشدة:

قال أبو الطفيل عامر بن واثلة^(١): كنت على الباب يوم الشورى مع علي عليه السلام في البيت، وسمعتة يقول لهم: «لأحتجّن عليكم بما لا يستطيع عربيتكم ولا عجميتكم تغيير ذلك».

أنشدكم الله - أيها النّفر جميعاً - أفياكم أحد وحّد الله قبلي؟ قالوا: لا.

(١) وفي بعض الكتب واثلة.

(قال): فأنشدكم الله، هل فيكم أحد له أخ مثل جعفر الطيار في الجنة مع الملائكة؟ قالوا: اللهم، لا. (قال): فأنشدكم الله: هل فيكم أحد له عم كعمي حمزة - أسد الله وأسد رسوله سيد الشهداء - غيري؟ قالوا: اللهم، لا.

(قال): فأنشدكم الله: هل فيكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت محمد سيدة نساء أهل الجنة غيري؟ قالوا: اللهم، لا. (قال): فأنشدكم الله: هل فيكم أحد له سبطان مثل سبطي الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة غيري؟ قالوا: اللهم، لا. (قال): فأنشدكم الله: هل فيكم أحد ناجى رسول الله ﷺ قدم بين يدي نجواه صدقة قبلي غيري؟ قالوا: اللهم، لا.

(قال): فأنشدكم الله: هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، ولبى الشاهد الغائب غيري؟ قالوا: اللهم، لا. قال: فأنشدكم الله: هل فيكم أحد. قال له رسول الله ﷺ: «اللهم آتني بأحب خلقك إليك وإليّ، وأشدّهم لك حباً، ولي حباً يأكل معي من هذا الطير». فاتاه وأكل معه غيري؟ قالوا: اللهم، لا. (قال): فأنشدكم الله: هل فيكم أحد؟ قال له رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح الله على يديه - إذرجع غيري منهزماً - غيري؟». قالوا: اللهم، لا.

قال: فأنشدكم الله: هل رجع فيكم أحد قال فيه رسول الله ﷺ: لو فدني وليعة: «لتؤمنن أو لأبعثن إليكم رجلاً نفسه كنفي، وطاعته كطاعتي، ومعصيته كمعصيتي، يقتلكم بالسيف غيري؟». قالوا: اللهم، لا. (قال): فأنشدكم الله: هل فيكم أحد قال فيه رسول الله ﷺ: «كذب من زعم أنه يحبني ويبغض هذا، غيري؟». قالوا: اللهم، لا. (قال): فأنشدكم الله: هل فيكم أحد سلم عليه في ساعة واحدة ثلاثة آلاف ملك من الملائكة منهم: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، حيث جئت بالماء إلى رسول الله من القليب، غيري؟ قالوا: لا.

(قال): فأنشدكم الله: هل فيكم أحد قال له جبرئيل: هذه هي المواساة. فقال له رسول الله ﷺ: «إنه مني وأنا منه». وقال جبرئيل: وأنا منكما، غيري؟ قالوا: اللهم، لا. (قال): فأنشدكم الله: هل فيكم أحد نودي من السماء: لا

سيف إلا ذوالفقار ولا فتى إلا عليّ ، غيري؟ قالوا : اللهم ، لا . (قال) :
فأنشدكم الله : هل فيكم أحدٌ قال له رسول الله ﷺ : تقَاتِلُ النَّاكِثِينَ
والقَاسِطِينَ والمَارِقِينَ على لسان النبي ، غيري؟ قالوا : اللهم ، لا . (قال) :
فأنشدكم الله ، هل فيكم أحدٌ قال له رسول الله ﷺ : إني قَاتَلْتُ على تنزيل
القرآن ، وتقاتِلُ على تأويل القرآن ، غيري؟ قالوا : اللهم ، لا . (قال) :
فأنشدكم الله : هل فيكم أحدٌ رُدَّتْ عليه الشمس حتى صَلَّى العصر في وقتها
غيري؟ قالوا : اللهم ، لا . (قال) : فأنشدكم الله : هل فيكم أحدٌ أمره
رسول الله ﷺ أن يأخذ براءة من أبي بكر ، فقال أبو بكر : يا رسول الله :
أَنْزَلَ فِيَّ شَيْءٌ؟ فقال : إِنَّهُ لَا يُوَدِّي عَنِّي إِلَّا علي ، غيري؟ قالوا : اللهم ، لا .
(قال) : فأنشدكم الله : هل فيكم أحدٌ قال له رسول الله ﷺ : لَا يَحِبُّكَ إِلَّا
مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَبْغُضُكَ إِلَّا كَافِرٌ ، غيري؟ قالوا : اللهم ، لا . (قال) :
فأنشدكم الله : أتعلمون أنه تعالى أمر بسدِّ أبوابكم ، وفتح بابي ، فقلتُم في
ذلك . فقال رسول الله ﷺ : « ما أنا سدَدْتُ أبوابكم ، وَلَا فَتَحْتُ بابَه .
بل الله سدَّ أبوابكم وفتح بابَه » . قالوا : اللهم ، نعم . (قال) : فأنشدكم الله :
أتعلمون أنه ﷺ نَاجَانِي يَوْمَ الطَّائِفِ دُونَ النَّاسِ ، فَأَطَالَ ذَلِكَ ، فقلتُم :
نَاجَاهُ دُونَنَا . فقال : ما أنا أَنتَجِيهِ ، بل الله أَنتَجَاهُ . فقالوا : اللهم ، نَعَمْ . قال :
فأنشدكم الله : أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « الحق مع علي ، وعلي مع
الحق يدور الحق مع علي كيفما دار؟ » . قالوا : اللهم ، نعم . (قال) :
فأنشدكم الله : أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال : « إني تارك فيكم الثقلين :
كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، لن تضلُّوا ما إن تمسَّكتُم بها ، ولن يفترقا حتى
يردا عليّ الحوض » ؟ قالوا : اللهم ، نعم . (قال) : فأنشدكم الله : هل فيكم
أحد قال له رسول الله ﷺ حين هرب من المشركين : من يَفْدِينِي بنفسه؟
فَفَدَاهُ بنفسه واضطجع في مضجعه ، غيري؟ قالوا : اللهم ، لا . (قال) :
فأنشدكم الله : هل فيكم أحد بارز عمرو بن عبد ودّ العامري - حيث دعاكم إلى
البراز - غيري؟ قالوا : اللهم ، لا . (قال) : فأنشدكم الله : هل فيكم أحد
أنزل الله فيه آية التَّطْهِير حيث قال : ﴿ إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ

البيت ويظهركم تطهيراً»، غيري؟ قالوا: اللهم، لا. (قال): فأنشدكم الله: هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: أنت سيد المؤمنين - سيد العرب - غيري؟ قالوا: اللهم، لا. (قال): فأنشدكم الله: هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: ما سألتُ الله شيئاً إلا سألْتُ لك مثله، غيري؟ قالوا: اللهم، لا.

وهذا الحديث يُسمى: «حديث المناشدة» انطلق به الإمام علي عليه السلام في مجلس الشورى، حينما أحسَّ بنفاق المؤتمر المشوّه ضده، ويرويه بألفاظه هذه، أو باختلاف بسيط في بعض فقراته - الحموي في فرائد السمطين - ج ١ باب ٥٨. والخوارزمي في (المناقب) من ص ٢٢١ - ٢٢٤، والقندوزي في ينابيع المودة ص ١١٤. وابن حجر الهيثمي في (الصواعق) ص ٧٥ كما أخرجه الحافظ الكبير ابن عقدة.

والحافظ العقيلي. ولقد خرّج جميع فقراته - واحدة واحدة - عن كتب العامة، الشيخ نجم الدين العسكري في كتابه (علي والوصية).

الحديث الثامن والثلاثون :

وبالإسناد يرفعه إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال: كنّا عند رسول الله ﷺ، إذ دخل علينا أعرابي، فوقف علينا وسلّم، فردّدنا عليه السّلام. فقال: أيكم البدر التّمام ومصباح الظلام محمد رسول الله الملك العلّام؟ أهو هذا صبيح الوجه؟ قلنا: نعم. قال النبي ﷺ: «يا أخا العرب اجلس». فقال: يا محمّد آمنتُ بك قبل أن أراك. وصدّقتُ بك قبل أن ألقاك. غير أنّه بلغني عنك أمرٌ. قال: «وأيّ شيء بلغكم عني؟». قال: دعوتنا إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأنك محمّد رسول الله. فأجبناك، ثم دعوتنا إلى الصّلاة والزّكاة والصّوم والحج، فأجبناك. ثم لم ترّض عنا حتّى دعوتنا إلى موالاة ابن عمّك علي بن أبي طالب ومحبيّه. أنت فرضته؟ أم الله فرضه على أهل السّموات والأرض. فلمّا سمع الأعرابي قال: سمعاً لله وطاعة لما أمرتنا به يا رسول الله، فإنّه الحق من عند ربّنا. قال النبي ﷺ: «يا أخا العرب:

أُعْطِيتُ فِي عَلِيٍّ خَمْسَ خِصَالٍ : الْوَاحِدَةُ مِنْهُمْ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا . أَلَا أَنْبُتُكَ بِهَا يَا أَخَا الْعَرَبِ ؟ . قَالَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا يَوْمَ بَدْرٍ ، وَقَدْ انْفَضَّتْ عَنَّا الْغَزَاةُ ، فَهَبَطَ جِبْرِئِيلُ عليه السلام وَقَالَ : اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقْرُوكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ : يَا مُحَمَّدُ آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي ، وَأَقْسَمْتُ عَلَى أَنِّي لَا أَلْهُمُ حَبَّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام إِلَّا مِنْ أَحِبَّتِهِ . فَمَنْ أَحَبَّتُهُ أَنَا أَلْهُمَّتُهُ حَبَّ عَلِيٍّ عليه السلام . وَمَنْ أَبْغَضَّتُهُ أَلْهُمَّتُهُ بُغْضَ عَلِيٍّ . يَا أَخَا الْعَرَبِ ، أَلَا أَنْبُتُكَ بِالثَّانِيَةِ ؟ قَالَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا بَعْدَمَا فَرَعْتُ مِنْ جِهَازِ عَمِّي حَمْزَةَ ، إِذْ هَبَطَ عَلِيٌّ جِبْرِئِيلُ وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، اللَّهُ يَقْرُوكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكَ : قَدْ فَرَضْتُ الصَّلَاةَ وَوَضَعْتُهَا عَنِ الْمَعْتَلِّ وَالْمَجْنُونِ وَالصَّبِيِّ ، وَفَرَضْتُ الصَّوْمَ وَوَضَعْتُهِ عَنِ الْمَسَافِرِ ، وَفَرَضْتُ الْحَجَّ ، وَوَضَعْتُهُ عَنِ الْمَقْلُ . وَفَرَضْتُ الزَّكَاةَ ، وَوَضَعْتُهَا عَنِ الْمَعْدَمِ . وَفَرَضْتُ حَبَّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَفَرَضْتُ مُحَبَّتَهُ عَلَى أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، فَلَمْ أُعْطِ أَحَدًا رَخْصَةً . يَا أَعْرَابِي أَلَا أَنْبُتُكَ بِالثَّلَاثَةِ ؟ قَالَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : مَا خَلَقَ اللَّهُ شَيْئًا إِلَّا جَعَلَ لَهُ سَيِّدًا . فَالنَّسْرُ سَيِّدُ الطَّيُورِ ، وَالثَّوْرُ سَيِّدُ الْبَهَائِمِ ، وَالْأَسَدُ سَيِّدُ الْوَحُوشِ ، وَالْجُمُعَةُ سَيِّدُ الْأَيَّامِ ، وَرَمَضَانُ سَيِّدُ الشُّهُورِ ، وَإِسْرَافِيلُ سَيِّدُ الْمَلَائِكَةِ ، وَآدَمُ سَيِّدُ الْبَشَرِ ، وَأَنَا سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَعَلِيٌّ سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ . يَا أَخَا الْعَرَبِ ، أَلَا أَنْبُتُكَ عَنِ الرَّابِعَةِ ؟ قَالَ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : حَبَّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ شَجَرَةٌ ، أَصْلُهَا فِي الْجَنَّةِ ، وَأَغْصَانُهَا فِي الدُّنْيَا . فَمَنْ تَعَلَّقَ مِنْ أُمَّتِي بِغَصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا أَوْقَعْتُهُ فِي الْجَنَّةِ . وَبِغَضِّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ شَجَرَةٌ أَصْلُهَا فِي النَّارِ ، وَأَغْصَانُهَا فِي الدُّنْيَا ، فَمَنْ تَعَلَّقَ بِغَصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا أَدْخَلْتُهُ النَّارَ . يَا أَعْرَابِي أَلَا أَنْبُتُكَ بِالخَامِسَةِ ؟ قُلْتُ : بَلَى ، يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْصَبُ لِي مِنْبَرٌ مِنْ يَمِينِ الْعَرْشِ ، ثُمَّ يَنْصَبُ لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام مِنْبَرٌ مُحَازِي مِنْبَرِي عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ ، ثُمَّ يُؤْتَى بِكُرْسِيٍّ عَالٍ مُشْرِفٍ زَاهِرٍ يُعْرَفُ بِكُرْسِيِّ الْكَرَامَةِ . فَيَنْصَبُ لِعَلِيٍّ بَيْنَ مِنْبَرِي وَمِنْبَرِ إِبْرَاهِيمَ ، فَمَا رَأَتْ عَيْنَايَ أَحْسَنَ مِنْ حَبِيبٍ بَيْنَ خَلِيلَيْنِ . يَا أَعْرَابِي حَبَّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَقٌّ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحُبُّ مَنْ يَحِبُّهُ ، وَهُوَ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَا وَإِيَّاهُ فِي قَسَمٍ وَاحِدٍ . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ : سَمِعًا وَطَاعَةً لِلَّهِ

ولرسوله ولا بن عمك علي بن أبي طالب»^(١).

الحديث التاسع والثلاثون :

عن جعفر بن محمد الأحمسي، عن مخول، عن أبي مريم، قال: سمعتُ أبا بن تغلب يسأل جعفرًا عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾^(٢) قال: استقاموا بولاية علي بن أبي طالب.

الحديث الأربعون :

ذكره الخوارزمي في (مناقبه) مرفوعاً إلى عمران بن حصين، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سريةً، واستعملَ عليهم علي بن أبي طالب عليه السلام. فمضى علي عليه السلام في السرية، فأصابَ جارية، فأنكروا ذلك عليه. فتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه بما صنعَ علي عليه السلام. قال عمر: فكان المسلمون إذا قدموا من سفرٍ بدؤوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فنظروا إليه، وسلّموا عليه، ثم ينصرفون إلى رحالهم. فلما قدمت السرية سلموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام أحد الأربعة، فقال: يا رسول الله، ألم ترَ علياً صنعَ كذا وكذا. فأعرض عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قام الثاني، فقال مثل ذلك، فأعرض عنه. ثم قام الثالث فقال مثل ذلك، فأعرض عنه. ثم قام الرابع فقال: يا رسول الله، ألم ترَ علياً صنعَ كذا وكذا؟ فأقبل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والغضب في وجهه، فقال: «ما تريدون من علي؟ إنَّ علياً مني وأنا منه. وهو وليُّ كلِّ مؤمن ومؤمنة»^(٣).

الحديث الواحد والأربعون :

روى صاحب كتاب الفضائل خبراً عن جابر الجعفي عن أبي جعفر

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٤٣٧.

(٢) سورة الأحقاف: آية ١٣.

(٣) المناقب: للخوارزمي، ص ٩٢ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية، النجف.

مُحَمَّد بن علي الباقر عليه السلام . عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه
 قال: قال رسول الله عليه السلام : «إِنَّ جِبْرِئِيلَ عليه السلام ترك علي وقال: يا مُحَمَّد
 إِنَّ الله تعالى يَأْمُرُكَ أَنْ تقومَ بتفضيل علي بن أبي طالب خطيباً على المنبر
 ليبلغوا من بعدهم ذلك عنك، ويَأْمُرُ جميع الملائكة أَنْ يسمعوا ما تذكره. والله
 يوحى إليك يا مُحَمَّد أَنَّ من خالفَكَ في أَمْرِكَ فله النار، ومن أطاعَكَ فله
 الجنة». فَأَمَرَ النَّبِيُّ عليه السلام منادياً نادى بالصلاة جامعة. فاجتمع الناس، وخرج
 النبي عليه السلام وركب المنبر، وكان أول ما تكلم به: أَعُوذُ بالله من الشيطان
 الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. ثم قال عليه السلام : «أيها الناس أنا البشير، أنا
 النذير، أنا النبي الأمي. وأنا مبلغكم عن الله عز وجل في رجل لحمه لحمي،
 ودمه دمي. وهو عيبة علمي. وهو الذي انتجبه الله تعالى من هذه الأمة،
 واصطفاه وهذبه وتولاه. وخلقني وإياه من نور واحد، وفضلني بالرسالة،
 وفضله بالإمامة والتبليغ عني، وجعلني مدينة العلم، وجعله الباب خازن العلم
 والمفتش عنه الأحكام، وخصه بالوصية، وأبان أمره، وخوف من عداوته،
 وأزلف لمن والاه، وغفر لشيعته، وأمر الناس جميعاً بطاعته، وأنه عز وجل
 يقول: من عاداه عاداني، ومن والاه والاني، ومن آذاه آذاني، ومن ناصبه
 ناصبني، ومن خالفه خالفني ومن أبغضه أبغضني، ومن أحبه أحبني، ومن
 أرادني أرادني، ومن كاده كادني، ومن نصره نصرني. أيها الناس اسمعوا لما
 أأمركم به، وأطيعوه. فإنا أخوفكم عقاب الله تعالى يوم تجد كل نفس ما
 عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً.
 ويحذركم الله نفسه». ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقال: معاشر
 الناس، هذا مولى المؤمنين، وحجة الله على الخلق أجمعين. اللهم إني قد
 بلغت، وها هم عبادك. وأنت القادر على صلاحهم. فأصلحهم برحمتك يا
 أرحم الراحمين، وأستغفر الله لي ولكم. ثم نزل عن المنبر، فأتاه جبرئيل
عليه السلام ، فقال: يا مُحَمَّد إِنَّ الله تعالى يقرؤك السلام ويقول لك: جزاك الله
 تعالى عن تبليغك خيراً، فقد بلغت رسالات ربك، ونصحت لأمتك، وأرضيت
 المؤمنين، وأرغمت الكافرين. يا مُحَمَّد ابن عمك مبتلى به. يا مُحَمَّد قل في

كُلِّ أَوْقَاتِكَ : الحمد لله ربِّ العالمين : ﴿وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون﴾^(١) .

الخلاصة : إنَّ ولاية علي بن أبي طالب ملزمةٌ على أهلِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ . فمن كان متردداً بها قبل يوم الغدير ففي هذا اليوم أصبح ملزماً . فمن شكَّ بها أو أنكرها - وكثيرٌ ما هُم - فقد تقرَّر مصيره ، وأصبح من أهلِ الشُّمَالِ الذين وصفهُمُ اللهُ عزَّ وجلَّ في كتابه بقوله : ﴿وَأَمَّا الْكَافِرُونَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ فالله مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة . والرَّسُولُ مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة . وعلي مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة . فمن أنكر ولاية الله أو الرَّسُولِ أو علي كان من أهلِ الجحيم ، وانحرف عن الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّتِي هِيَ ولاية علي . فتمسَّكُ أيُّهَا الطَّالِبُ بهذه الولاية فإنَّ بها نجاتك ، وإياك . وإياك أن يعتريك الشُّكُّ بها نظراً لما تَقْرؤه من آراءِ المنحرفين عن هذه الولاية . فالله عزَّ وجلَّ هدَّدَ نبيَّه المرسل - بعد جهادٍ دام ثلاثاً وعشرين سنة - بعدمِ التبليغِ إذا لم يبلغْ حديثِ الولاية ، فبلغ فأكمل اللهُ الدِّينَ ، وأتمَّ النِّعْمَةَ بولاية علي بن أبي طالب .

(١) سورة الشعراء : آية ٢٢٧ .

الفصل الخامس الابتلاء والغدر

لقد ثبت لدى الباحثين المدققين الذين تحلّوا بالإنصاف، وتجرّدوا عن التعصّب الأعمى أنّ عليّاً عليه السلام هو خليفة رسول الله ﷺ على أمّته، وأنّه وصيّته ووليّه، وأبو العترة الطاهرة المطهّرة من الرّجس، وأنّه خير أمته وأفضلهم وأعلمهم وأقضاهم وأحكمهم وأشجعهم وأعدلهم وأزهدهم، وأنّه باب مدينة علمه ووارثه، وأنّه مع الحقّ والحقّ معه، وأنّه مع القرآن، والقرآن معه، وأنّ حبّه إيمان، وبغضه نفاق، وأنّه ربّاني هذه الأمّة، وأنّه والعترة سفينة نجاة هذه الأمّة، وباب حظّها، وأمانها من الغرق، وأنّهم الثقل الأصغر، والقرآن هو الثقل الأكبر، وأنّه عليه السلام خُلِقَ والنبيّ الكريم ﷺ من نورٍ واحد، وأنّ لحمه لحمه، ودمه دمه وأنّه كنفسه عليه السلام، وأنّ حربته حربته وسلّمته سلّمته، وحبّه حبّه، وبغضه بغضه، وطاعته طاعته، وأنّه أوّل المسلمين إسلاماً، وأوّل المؤمنين إيماناً، وأنّه منه بمنزلة هارون من موسى، وأنّه من ذوي قرباه التي وجبت على المسلمين مودّتهم، وأنّه من الذين لم تقبل صلاة المسلم إلّا بالصلاة عليهم، وأنّه ممّن باهل بهم النبيّ ﷺ وفد نجران، وأنّه حجّته على أمّته، وأنّه حامل لوائه في الدنيا، وحامل لواء الحمد يوم القيامة، والذائد عن حوضه المنافقين، وأنّه سيّد المسلمين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المحجّلين، وقاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين، وأنّه قسيم الجنة والنار، وأنّه

المؤدي عنه عليه السلام ، ولا يؤدي عنه إلا من كان منه ، وأنه نجية ووصية وصفيّة
 ووليّه ووزيره ، وخير من يترك بعده ، وأنه النّبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون ،
 وأنه الإمام الذي ذكره الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز بقوله : ﴿وكل شيء
 أحصيناه في إمام مبين﴾ ، وأنه هو الذي عنده علم الكتاب ، وأنه خاتم
 الأوصياء وأفضلهم ، كما أن النبي عليه السلام خاتم الأنبياء وأفضلهم ، وأنه وليّ كلّ
 مؤمن ، ومن لم يكن وليّه فليس بمؤمن ، وأنه وابن عمّه عليه السلام أبوا هذه الأمة ،
 وأنه أب سيدي شباب أهل الجنة ، وأن الله سبحانه خاطب نبيّه عليه السلام بلغته
عليه السلام ، وأنه جنب الله ، وأنه هو الهادي الذي ذكره الله عزّ وجلّ بقوله : ﴿إنما
 أنت منذر ولكلّ قوم هاد﴾ وأنه هو الشاهد الذي ذكره الله عزّ وجلّ بقوله :
 ﴿أفمن كان على بينة ويتلوه شاهدا﴾ ، وأنه هو الصراط المستقيم ، وأنه هو
 النعم الذي ذكره الله عزّ وجلّ بقوله : ﴿ثمّ لتسألنّ يومئذ عن النعم﴾ وأنه أمير
 البررة ، وقاتل الفجرة ، وأنه فاروق هذه الأمة ، وأنه أخوه عليه السلام ، وزوج ابنته
 فاطمة سيّدة نساء العالمين ، وأنه الصّدّيق الأكبر ، وقاتل عمرو بن عبد ودّ ،
 وداحي باب خيبر ، وأنه صاحب الغدير الذي أكمل الله بولايته الدّين وأتمّ
 النعمة ورضي برسالة سيّد المرسلين عليه السلام .

هذا هو خليفة المسلمين . فهل له نظير أو مثيل بعد رسول ربّ
 العالمين؟ وبالرّغم من كلّ هذا وذاك ، فقد عبثوا بتلك الأحاديث ، وضربوا بها
 عرض الحائط ، واعتبروا بيعة السقيفة هي المنطلق الصّحيح للمسلمين . ومن
 يشذّ عن هذا فالسيف يقومه ، والنيران ترغمه . نبيّ فارق الحياة ، فتركوه ولم
 يراعوا حرمة الفقيد ، ولم يواروه التراب . واهتمّوا بالمنصب البراق ، كأنّهم لم
 يعرفوا نبيّهم ، وكأنّهم لا صلة لهم به .

يا له من خطب ما أعظمه ، وكارثة ما أمرها . نبيّ المسلمين وأوّل
 رسل الله وخاتمهم وأفضلهم لم تراع حرمة عند وفاته ، ولم تقبل وصيّته
 وأحاديثه الصّادرة عن الله ، لا شيء إلا لأجل منصب زائل ، وكرسي خادع ،
 فاستلم أبو بكر منصب الإمام علي أمير المؤمنين ، وأصبح خليفة رسول الله عليه السلام ،

وخليفة الله . سَمَّه ما شئتَ منهما . فهذا أبو قحافة يعطيك رأيه في ذلك ، وهو أنه لما وُلِّي ابنه أبو بكر الخلافة كان أبوه بالطائف ، فكتبَ لوالده كتاباً ، عنوانه : من خليفة رسول الله ﷺ إلى أبيه أبي قحافة . أما بعد : فإنَّ الناس قد تراضوا بي ، فإني اليوم خليفة الله . فلو قَدِمْتَ علينا كان أحسنَ بك . فلَمَّا قرأ أبو قحافة الكتاب ، قال للرسول : ما منعكم من علي ؟ قال : هو حدث السن ، وقد أكثر القتل في قريش وغيرها ، وأبو بكر أسنُّ منه . قال أبو قحافة : إن كان الأمر في ذلك بالسن فأنَا أحقُّ من أبي بكر . لقد ظلموا علياً حقّه ، وقد بايع له النبي ﷺ ، وأمرنا ببيعته ، ثم كتب :

من أبي قحافة إلى أبي بكر ، أما بعد : فقد أتاني كتابُك ، فوجدته كتابَ أحق ينقض بعضه بعضاً . مرّة تقول : خليفة رسول الله . ومرّة تقول ؛ خليفة الله . ومرّة تقول : تراضى بي الناس . وهو أمر مُلتبس ، فلا تدخلن في أمر يصعبُ عليك الخروج منه غداً ، وتكون عقباك منه إلى الندامة ، وملامة النفس اللّوامة لدى الحساب يوم القيامة . فإنَّ للأمور مداخل ومخارج ، وأنتَ تعرف من هو أولى منك ، فراقب الله كأنك تراه ولا تدعن صاحبها . فإنَّ تركها اليومَ أحقُّ عليك وأسلم لك^(١) .

أما عليّ المرزوء بفقد أخيه وابن عمّه رسول الله ﷺ ، والمغتصب حقّه في وقتٍ لا مجال للتّفكير فيه ، ومحمّد بن عبد الله سيّد البشر ، وأفضل الثّقلين ، ملقى على أعواد الموت ، ينتظر من أمّته أن يشيعوه ما يليق بالنبوة وبما يشرفهم . فتنگروا له ، ولم يبق بجانبه سوى من واساه وفداه بنفسه في حياته ، وسوى أهل بيته والزّهّاد من أصحابه . والملائكة معهم يصلّون حتّى واروه في ضريحه . هذا هو موقف القوم من نبيهم . فلنستمع إلى علي المرزوء بفقد نبيّه ، والمرزوء باغتصاب حقّه كيف يصوّر لنا الموقف قائلاً :

«ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد ﷺ ، أني لم أرد

(١) الأنوار النعمانية : لنعمة الله الموسوي الجزائري ، ج ١ الباب الأوّل ص ٦١ .

على الله ولا على رسوله ساعة قط، ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها أبطال، وتتأخر فيها الأقدام، نجدة أكرمني الله بها.

ولقد قبض رسول الله ﷺ، وأن رأسه لعلّى صدري، ولقد سالت نفسه في كفي، فأمررتها على وجهي. ولقد وليت غسله ﷺ، والملائكة أعواني، فضجت الدار والأفنية، ملأ يهبط وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هيمنة منهم، يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه. فمن ذا أحق به مني حياً وميتاً؟ فأنفذوا على بصائرهم، ولتصدق نياتكم في جهاد عدوكم. فوالذي لا إله إلا هو إني لعلّى جادة الحق، وإنهم لعلّى مزلّة الباطل، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم»^(١).

ومما قاله وهو يلي غسل رسول الله ﷺ وتجهيزه: بأبي أنت وأمي (يا رسول الله)، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأبناء وأخبار السماء. خصصت حتى صرت مسلماً عمن سواك، وعممت حتى صار الناس فيك سواء.

ولولا أنك أمرت بالصبر، ونهيت عن الجزع، لأنفذنا عليك ماء الشئون، ولكان الداء مماتلاً، والكمند محالفاً، وقلاً لك ولكته ما لا يملك رده ولا استطاع دفعه. بأبي أنت وأمي، اذكرنا عند ربك، واجعلنا من بالك^(٢).

إن يوم السقيفة يوم الانحراف عن المخطط المرسوم للأمة الإسلامية. إنه لأعظم انقلاب شاهده العالم الإسلامي حتى اليوم. وكل انقلاب بعده فهو ذيول وامتداد له، فاستلام الأمر واغتصاب الولاية والاستئثار بالحكم بعد ظهور صاحب الشريعة الإسلامية ﷺ بدأ في يوم السقيفة. وما تولّى ابن آكلة الأكباد الملك، واستخلافه يزيد إلا نتيجة يوم السقيفة. لأنه إذا اغتصب الحق

(١) نهج البلاغة، ج ٢ ص ١٩٧ من الخطبة ذات الرقم ١٩٢، شرح محمد عبده.

(٢) نهج البلاغة، ج ٢ ص ١٩٧ من الخطبة ذات الرقم ١٩٢، شرح محمد عبده.

من أهله مؤمن، فقد أفسح المجال للكافر أن يغتصبه قدوة بالأول، وهذا ما حدث بالفعل.

استمع إلى خلاصة ما يقوله الدكتور طه حسين في الجزء الثاني من كتابه (الفتنة الكبرى عثمان). وهذا موجز ما يقوله في هذه الفتنة.

ولما توفي النبي طلب منه العباس أن يبايعه. ولكن علياً أبي مخافة الفتنة. وكذلك أبو سفيان الذي أدخله العباس على النبي، فأسلم كرهاً لا طوعاً. واعترف بأن لا إله إلا الله. ولكن حينما طلب إليه أن يشهد أن محمداً رسول الله قال: «أما هذه فإن في نفسي منها شيئاً». والخلاصة أسلم خوفاً من القتل. قال لعلي: أمدد يدك أبايعك. ولو قبل علي منهما لأثار بين المسلمين فتنة لم يكونوا في حاجة إليها. فكان علي موقفاً وناصباً للإسلام كل النصيح، حين امتنع على هذين الشيخين، ولم ينازعها أبا بكر. وإنما بايعه، وصبر نفسه على ما كانت تكره. وكان عمر أبي بكر جاوز الستين، وعلي لم يتجاوز الثلاثين. لذلك رأى أن حقه هذا سيرد إليه بعد وفاة هذا الشيخ. ولما استلمها عمر بايعه علي كراهية الفتنة، وإشارة للعافية ونصباً للمسلمين، وصبر نفسه على مكروهاها، ونصح لعمر كما نصح للأول. وكذلك بايع علي عثمان، وهو مغلوب على أمره. وبعد مقتل عثمان لم يقبل الخلافة، ولم ينصب نفسه للبيعة إلا حين استكره على ذلك استكراهاً. ولما قبل البيعة لم يكره أحداً على البيعة من أصحاب النبي إلا طلحة والزبير. والدكتور طه يقول: بأنهما لم يستكرها، ولكنهما أقبلا على البيعة راضين. فلما رأيا علياً لم يبلغهما أمانيهما انعكس الأمر، وقاما ضده^(١).

إن يوم السقيفة يوم فتنة ومحنة وابتلاء سلم منها الأقلون وهلك بها الأكثرون. فلو قاوم الإمام وأعلن سيفه لحاربوه وقضي على الدين الإسلامي بسبب منصب زائل وكروسي براق. فتنازل الإمام عليه السلام عن حقه حرصاً على

(١) الفتنة الكبرى عثمان وعلي وبنوه للدكتور طه حسين.

الإسلام والمسلمين، وترك القوم يفعلون ما يشاؤون، والتزم بيته، ولكنهم ما تركوه، فأبى أن يبايع أبا بكر، فهدّده.

فهذا ابن قتيبة في كتابه (الإمامة والسياسة) يقول: وإنّ أبا بكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليّ كرّم الله وجهه، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار عليّ، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده: لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها. فقبل له: يا أبا حفص، إنّ فيها فاطمة! فقال: وإنّ^(١). فخرجوا فبايعوا إلّا عليّاً، فإنّه زعم أنّه قال: حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتّى أجمع القرآن. فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم. تركتم رسول الله ﷺ جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم. لم تستأمرونا، ولم تردّوا لنا حقّنا. فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقنّفد وهو مولى له: اذهب فادع لي عليّاً. قال: فذهب إلى عليّ فقال له: ما حاجتك؟ فقال: يدعوك خليفة رسول الله. فقال عليّ: لسريع ما كذبتهم على رسول الله. فرجع فأبلغ الرسالة. قال: فبكى أبو بكر طويلاً. فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر لقنّفد: عدّ إليه، فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنّفد، فأدى ما أمر به، فرفع عليّ صوته فقال: سبحان الله! لقد

(١) قضية الحرق مذكورة بكثرة في كتب أهل السّنة مثل تاريخ الطبري، ج ٣ ص ١٩٨، والعقد الفريد، ج ٢ ص ٢٥٧، وتاريخ أبي الفداء، ج ١ ص ١٦٥، وتاريخ ابن شحنة في حوادث ١١، وشرح ابن أبي الحديد، ج ٢ ص ٢١ ط ١٩٥٩ م، دار إحياء الكتب العربية، والقصيدة العمرية لحافظ إبراهيم القائل بها وقوله قالها للمرتضى عمر:

أكرم بقائلها أكرم بملقيها حرقت دارك لا أبقي عليك بها
إن لم تبايع وبنّت المصطفى فيها من كان غير أبي حفص بقائلها
أمام فارس عدنان وحامياها
عبد الفتاح عبد المقصود في كتابه علي بن أبي طالب، ج ١.

ادّعى ما ليس له. فرجع قنفذ، فأبلغ الرسالة، فبكى أبو بكر طويلاً، ثم قام عمر، فمشى معه جماعة حتى أتوا باب فاطمة، فدقّوا الباب، فلما سمعت أصواتهم نادَتْ بأعلى صوتها: يا أبت يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب وابن أبي قحافة. فلما سمع القوم صوتها وبكاءها، انصرفوا باكين، وكادَتْ قلوبهم تتصدّع، وأكبّادهم تتفطر. وبقي عمر ومعه قوم فأخرجوا عليّاً فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: إن أنا لم أفعل فَمَه؟ قالوا: إذن والله الذي لا إله إلا هو نضرب عنقك. قال: إذا تقتلون عبد الله وأخا رسوله، قال عمر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسوله فلا، وأبو بكر ساكت لا يتكلّم. فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه. فلحق علي بقبر رسول الله ﷺ يصيح ويبكي وينادي: يا بن أمّ إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني. فقال عمر لأبي بكر: انطلق بنا إلى فاطمة، فإننا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، واستأذنا على فاطمة، فلم تأذن لهما، فأتيا عليّاً فكلّماه، فأدخلهما عليها، فلما قعدا عندها حولّت وجهها إلى الحائط، فسَلّما عليها، فلم تردّ عليهما السّلام. فتكلّم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، واللّه إن قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي، وإنك لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي، ولوددتُ يوم مات أبوك أني ميّت ولا أبقى بعده. أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله؟ إلا أني سمعتُ أباك رسول الله ﷺ يقول: «لا نورث، ما تركناه فهو صدقة». فقالت: أرايتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ تعرفانه وتفعلان به؟ قالوا: نعم. فقالت: نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: «رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي. فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني. ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟». قالوا: نعم. سمعناه من رسول الله ﷺ. قالت: فإنني أشهد الله وملائكته أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني. ولئن لقيت النبي لأشكوّنكما إليه. فقال أبو بكر: أنا عائد بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة. ثم انتخب أبو بكر يكي، حتى كادت نفسه أن تزهق وهي تقول: واللّه لأدعون الله عليك في كل صلاة.

أُصْلِيهَا. ثم خرج باكِياً. فاجتمع إليه النَّاسُ، فقال لهم: يَبِيتُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَعَانِقاً حَلِيلَتَهُ، مَسْرُوراً بِأَهْلِهِ، وَتَرْكُتُمُونِي وَمَا أَنَا فِيهِ. لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِكُمْ. أَقِيلُونِي بِيَعْتِي. قالوا: يَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَسْتَقِيمُ. وَأَنْتَ أَعْلَمُنَا بِذَلِكَ. إِنَّهُ إِنْ كَانَ هَذَا لَمْ يَقُمْ لِلَّهِ دِينٌ. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْلَا ذَلِكَ وَمَا أَخَافُهُ مِنْ رِخَاوَةِ هَذِهِ الْعُرْوَةِ مَا بَتُّ لَيْلَةً وَلِي فِي عُنُقِ مُسْلِمٍ بَيْعَةً، بَعْدَمَا سَمِعْتُ وَرَأَيْتُ مِنْ فَاطِمَةَ. قَالَ: فَلَمْ يَبَايِعْ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ حَتَّى مَاتَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(١).

لَقَدْ ظَلَّ الْإِمَامُ مَدَّةً وَهُوَ ثَابِتٌ عَلَى حَقِّهِ، مَتَمَسِّكٌ بِهِ، لَا يُسَلِّمُ. وَلَمَّا قَالَ لَهُ عُمَرُ: قَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ مِنَّا وَمِنْكُمْ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ غَاظِباً عَلَيَّ وَقَالَ: نَحْنُ أَوْلَى بِرَسُولِ اللَّهِ حَيًّا وَمَيِّتًا. يَا عُمَرُ، إِنَّا آلُهُ، وَمَوْضِعُ سِرِّهِ. وَلَجَأُ أَمْرِهِ، وَعِيبَةُ عِلْمِهِ، وَمَوْثِلُ حُكْمِهِ، وَكُهُوفُ كِتَابِهِ، وَجِبَالُ دِينِهِ. . . إِلَى أَنْ قَالَ: لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ، وَلَا يَسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا. هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وَعِمَادُ الْيَقِينِ.

وَإِذَا تَمَعَّنَّا فِي خُطْبَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ بِالشَّقِيقِيَّةِ وَجَدْنَا أَنَّهُ مَا زَالَ غَيْرَ رَاضٍ عَمَّنْ سَلَبُهُ تَرَاثَهُ طِيلَةُ حُكْمِ الْخُلَفَاءِ الثَّلَاثَةِ، وَلَكِنَّهُ صَبَرَ وَتَحَمَّلَ حَرَصاً لِلدِّينِ، وَحَفَظَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ التَّفْرِقَةِ وَالْانْقِسَامِ وَالْإِرْتِدَادِ. اسْمَعُهُ يَقُولُ:

أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فَلَانَ وَأَنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مُحَلِّيَّ مِنْهَا مُحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرُّوحِ. يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً. وَطَفَقْتُ أُرَتَايَ بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدِ جَزَاءٍ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءٍ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْذَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ. فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى. فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذَى، وَفِي الْحَلْقِ شَجَا. أَرَى تَرَاثِي نَهْباً، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ، فَأَدَلَى بِهَا إِلَى فَلَانَ

(١) الإمامة والسياسة: لابن قتيبة، الجزء الأول ص ١٢ و ١٣ و ١٤ ط ٣ عام ١٩٦٣ م.

بعده . (ثم تمثل بقول الأعشى) :

شَتَّانَ مَا يَوْمِي إِلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِر
فيا عجباً!! بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما
تشطر أضرعيها، فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلامها، ويخشن مسها، ويكثر
العتار فيها، والاعتذار منها. فصاحبها كراكب الصعبة إن أشق لها خرم، وإن
أسلس لها تقحم. فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلؤن واعتراض،
فصبرت على طول المدة، وشدة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله جعلها في
جماعة زعم أنني أحدهم. فيا لله وللشورى متى اعترض الرئب في مع الأول
منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر؟ لكنني أسففت إذ أسفوا وطرت إذا
طاروا. فصغى رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره مع هن وهن إلى أن قام
ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله
خضمة الإبل نبتة الربيع... إلى آخر الخطبة^(١).

واستمع إلى هذا القسم من الإمام الذي ما فارق الحق وما فارقه قط .
اسمعه يقول : فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي مستأثراً علي منذ قبض الله نبيه
عليه السلام حتى يوم الناس هذا^(٢) .

وإذا أردت المزيد من كلامه عليه السلام ، فاسمع إليه يقول : فلما مضى عليه السلام
تنازع المسلمون الأمر من بعده . فوالله ما كان يلقي في روعي ولا يخطر ببالي
أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده عليه السلام عن أهل بيته، ولا أنهم نحوه عني
من بعده! فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي حتى
رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محق دين محمد عليه السلام
فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هذماً تكون المصيبة
به علي أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما
كان كما يزول السراب أو كما يتقشع السحاب . فنهضت في تلك الأحداث

(١) شرح النهج : لمحمد عبده، ج ١ ص ٣٥ من الخطبة رقم ٣ .

(٢) شرح النهج أيضاً، ج ١ ص ٣٧ من الخطبة رقم ٥ .

حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهه^(١).

وأيّ تعبيرٍ أبلغ من هذا التعبير الذي يفيض بالأسى ويفضح القوم بأفعالهم الرديئة. اسمعه يقول: اللهم إني أستعديك على قريش (ومن أعانهم). فإنهم قد قطعوا رحمي، وأكفأوا إفائي، وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري. وقالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تُمنعه، فاصبر مغموماً أو مُت متأسفاً. فنظرت فإذا ليس لي رافد، ولا ذاب، ولا مساعد إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن المنية، فأغضيت على القذى، وجرعت رقي على الشجى، وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم، وآلم للقلب من حز الشفار^(٢).

وينفس اللهجة يعبر عن الظلم المرير، وقطع الرحم التي أمرهم الله أن يوصلوها. اسمعه يقول: فدع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال وتجوالم في الشقاق، وجماعهم في التيه، فإنهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله ﷺ قبلي، فجزت قريشاً عني الجوازي. فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن أُمي^(٣).

وإذا كنت منزعجاً من كلام الإمام عليه السلام، ومن إظهاره للملك ما حل به ونزل على أيدي القوم، فإن معاوية بإشارة عمرو بن العاص كتب كتاباً للإمام عليه السلام يستفزه ليطعن في الشيخين. فمن بعض ما كتب له معاوية:

لقد حسدت أبا بكر والتويت عليه، ورمت إفساد أمره، وقعدت في بيتك، واستغويت عصابة من الناس حتى تأخروا عن بيعته، ثم كرهت خلافة عمر وحسدته، واستطلت مدته، وسررت بقتله، وأظهرت الشماتة بمصابه، حتى أنك حاولت قتل ولده، لأنه قتل قاتل أبيه، ثم لم تكن أشد منك حسداً

(١) نهج البلاغة: شرح محمد عبده، ج ٣ ص ١٣٠ - ١٣١.

(٢) نهج البلاغة: شرح محمد عبده، ج ٢ ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

(٣) نفس المصدر: شرح محمد عبده، ج ٣ ص ٦٨.

لابن عمك عثمان إلى آخر الكتاب^(١).

فأجابه الإمام بكتاب مطولٍ منه: «وزعمت أني لكلّ الخلفاء حسدٌ، وعلى كلّهم بغيتُ! فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك.

وتلك شكاة ظاهرٌ عنك عارها

وقلت: إنني أقادُ كما يُقاد الجمل المحشوش حتى أبايع. ولعمرُ الله لقد أردت أن تدمّ فمدحت، وأن تفضح فافتضحت! وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه ولا مرتاباً بيقينه. وهذه حجّتي إلى غيرك قصدُها، ولكنني أطلّقت لك منها بقدر ما سَنَح من ذكرها. . . . إلى آخر الخطبة^(٢).

وسأله عليه السلام بعض أصحابه قائلاً: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقُّ به؟ فقال: منها: «أما الاستبداد علينا بهذا المقام - ونحن الأعلون نسباً، والأشدُّون برسول الله صلى الله عليه وسلم نوطاً - فإنها كانت أثرة شحّت عليها نفوس قوم، وسخّت عنها نفوس آخرين، والحكمُ الله، والمعودُ إليه يوم القيامة. ودع عنك نهياً صيحاً في حجراته، وهلمّ الخطب في ابن أبي سفيان، فلقد أضحكني الدهر بعد إيكائه. . . إلى آخر الخطبة^(٣).

وكم نصح وبيّن لو وجد آذاناً صاغيةً وقلوباً واعية. اسمعه يقول: فأين تذهبون؟ وأنّى تؤفكون؟ والأعلام قائمة! والآيات واضحة! والمنار منصوبة! فأين يتأه بكم، بل كيف تعمهون؟ وبينكم عترة نبيكم، وهم أزمّة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم العطاش.

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ١٥ ص ١٨٦ ط ١٩٦٢ م، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) شرح نهج البلاغة: لمحمد عبده، ج ٣ ص ٣٧ - ٣٨.

(٣) نهج البلاغة: شرح محمد عبده، ج ٣ ص ٣٧ - ٣٨.

أيها الناس: خذوها من خاتم النبيين ﷺ: «إنه يموت من مات منا وليس بميت، ويلى من يلي من يلي منا وليس ببال». فلا تقولوا بما لا تعرفون. فإن أكثر الحق فيما تنكرون، وأعدروا من لا حجة لكم عليه، وأنا هو، ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر، وأترك فيكم الثقل الأصغر، وركزت فيكم راية الإيمان، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام، وألبستكم العافية من عدلي، وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي، وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي. فلا تستعملوا الرأي فيما لا يذكرك قعره البصر، ولا تتغلغل إليه الفكر^(١).

وكثيراً ما كان بعض الناس ممن لبس عليهم الأمر، يستغربون من علي كيف قعد عن حقه، وسلم بالأمر الواقع، فأخذتهم الظنون كل مأخذ، فسألوا علياً، فاستمع إلى إجابته كما ذكرها صاحب كتاب (كشف الغمة في معرفة الأئمة) للأربلي حيث يقول:

ونقلت من أمالي الطوسي أن عبد الرحمن بن أبي ليلى قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: يا أمير المؤمنين إنجي سائلك لأخذ عنك، ولقد انتظرنا أن تقول من أمرك شيئاً، فلم تقله. ألا تحدثنا عن أمرك هذا كان بعهد من رسول الله ﷺ أو شيء رأيت أنت؟ فإننا قد أكثرنا فيك الأقاويل، وأوثقناه عندنا ما نقلناه عنك وسمعناه من فيك. إننا كنا نقول: لو رجعت بعد رسول الله ﷺ لم ينزعكم فيها أحد. والله ما أدري إذا سئلت ما أقول، أزعم أن القوم كانوا أولى بما كانوا فيه منك. فإن قلت ذلك فعلام نصبك رسول الله ﷺ بعد حجة الوداع؟ فقال: «أيها الناس: من كنت مولاه فعلي مولاه، وإن تك أولى منهم بما كانوا فيه فعلام نتولاهم؟».

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: يا عبدالله، إن الله تعالى قبض نبيه ﷺ وأنا يوم قبضه أولى بالناس مني بقميصي هذا. وقد كان من نبي الله عهد لو خزمتهموني^(٢) بأنني لأقرر سمعاً لله وطاعة، وأن أول ما انتقصنا بعده إبطال

(١) نهج البلاغة: شرح محمد عبده، ج ٢ ص ٧٩ - ٨٠.

(٢) خزم أنف فلان أي أذله وسخره، واللفظ كناية.

حَقَّنَا فِي الْخَمْسِ . فَلَمَّا رَقَّ أَمَرْنَا طَمَعَتْ رِيعَانُ^(١) مِنْ قَرِيشٍ فِينَا . وَقَدْ كَانَ بِي عَلَى النَّاسِ حَقٌّ لَوْرَدُوهُ إِلَيَّ عَفْوًا قَبْلَتُهُ ، وَقَمْتُ فِيهِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ . وَكُنْتُ كَرَجَلٍ لَهُ عَلَى النَّاسِ حَقٌّ إِلَى أَجَلٍ ، فَإِنْ عَجَّلُوا لَهُ مَالَهُ أَخَذَهُمْ وَحَمَدُهُمْ عَلَيْهِ ، وَإِنْ أَخْرَوْهُ أَخَذَهُ غَيْرَ مَحْمُودِينَ . وَكُنْتُ كَرَجَلٍ يَأْخُذُ السَّهْوَةَ ، وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مُحْزَنٌ^(٢) ، وَإِنَّمَا يُعْرِفُ الْهَدْيَ بِقَلَّةٍ مِنْ يَأْخُذُهُ مِنَ النَّاسِ ، وَإِذَا سَكَتُ فَاعْفُونِي ، فَإِنَّهُ لَوْ جَاءَ أَمْرٌ تَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى الْجَوَابِ أَجَبْتُكُمْ . فَكَفُّوا عَنِّي مَا كَفَفْتُ عَنْكُمْ . فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَنْتَ لِعَمْرِي كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

لِعَمْرِي لَقَدْ أَيْقَظْتَ مَنْ كَانَ نَائِمًا وَأَسْمَعْتَ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ^(٣)

وَهَنَّاكَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَسْئَلَةِ وَرَدَّتْ لِلْإِمَامِ حَوْلَ قَعُودِهِ عَنِ الْمَطَالَبَةِ بِحَقِّهِ ، فَأَوْضَحَ لَهُمُ عَنِ السَّبَبِ ، وَهَذِهِ بَعْضُ الْأَدَلَّةِ ، مِنْهَا :

مَا رَوَاهُ الصَّدُوقُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : اجْتَمَعَ النَّاسُ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ فَقَالُوا : مَا بَالُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لَمْ يَنَازِعِ الثَّلَاثَةَ كَمَا نَازَعَ طَلْحَةَ وَالزَّبِيرَ وَعَائِشَةَ وَمَعَاوِيَةَ ؟ فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا عليه السلام ، فَأَمَرَ أَنْ يَنَادِيَ الصَّلَاةَ جَامِعَةً . فَلَمَّا اجْتَمَعُوا صَعِدَ الْمَنْبَرَ فَحَمْدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ : مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكُمْ كَذَا وَكَذَا . قَالُوا : صَدَقَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ قَلْنَا ذَلِكَ . قَالَ : فَإِنْ لِي بَسْتَةٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أُسْوَةٌ فِيمَا فَعَلْتُ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٤) . قَالُوا : وَمَنْ هُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : أَوَّلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام . إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ : ﴿وَاغْتَرِزْ لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(٥) ، فَإِنْ قُلْتُمْ : إِنَّ إِبْرَاهِيمَ اعْتَزَلَ قَوْمَهُ لَغَيْرِ مَكْرُوهٍ أَصَابَهُ مِنْهُمْ فَقَدْ كَفَرْتُمْ ، وَإِنْ

(١) رِيعَانُ كُلُّ شَيْءٍ أَوَّلِهِ .

(٢) أَيِ أَخَذَ الْحُزْنَ وَهِيَ الْأَرْضُ الْغَلِيظَةُ .

(٣) كَشَفَ الْغَمَّةَ : لِلْأَرِبِيِّ ، ج ٢ ص ٣ - ٤ .

(٤) سُورَةُ الْأَحْزَابِ : آيَةُ ٢١ .

(٥) سُورَةُ مَرْيَمَ : آيَةُ ٤٨ .

قلتم: اعتزلهم لمكروهٍ رأه منهم، فالوصي أعذر. ولي بابن خالته (لوط) أسوة، إذ قال لقومه: ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾^(١). فإن قلتم: إن لوطاً كانت له بهم قوة فقد كفرتم، وإن قلتم: لم يكن له بهم قوة فالوصي أعذر. ولي يوسف عليه السلام أسوة إذ قال: ﴿رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه﴾^(٢). فإن قلتم: إنه أراد بذلك لئلا يسخط ربه عليه، فاختر السجن فالوصي أعذر. ولي موسى عليه السلام أسوة إذ قال: ﴿ففررت منكم لما خفتكم﴾^(٣). فإن قلتم: إن موسى عليه السلام فر من قومه بلا خوفٍ كان له منهم فقد كفرتم، وإن قلتم: إن موسى خاف فالوصي أعذر. ولي بأخيه هارون عليه السلام أسوة حسنة إذ قال لأخيه: ﴿يا بن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾^(٤). فإن قلتم: لم يستضعفوه ولم يشرفوا على قتله فقد كفرتم. وإن قلتم: استضعفوه وأشرفوا على قتله، فلذلك سكت عنهم، فالوصي أعذر. ولي بمحمد عليه السلام أسوة حسنة حين فر من قومه، ولحق بالغار من خوفهم، وأنا مني على فراشه. فإن قلتم: فر من قومه لغير خوفٍ منهم، فقد كفرتم، وإن قلتم: خافهم وأنا مني على فراشه، ولحق هو بالغار من خوفهم، فالوصي أعذر^(٥).

ومنها ما رواه ابن قيس، قال: يابن أبي طالب، ما منعك حين بويع أخو بني تيم، وأخو عدي، وأخو بني أمية أن تقاتل وتضرب بسيفك؟ فإنك لم تخطبنا خطبة ما قدمت العراق إلا قلت فيها: والله إنني أولى الناس بالناس، وما زلت مظلوماً منذ قبض رسول الله عليه السلام، فما منعك أن تضرب بسيفك دون من ظلمك؟؟ قال: قد قلت؛ فاسمع الجواب. لم يمنعني من ذلك الجبن ولا كراهة المغازي، ولا أن أكون لا أعلم بأن ما عند الله خير لي من الدنيا بما

(١) سورة هود: آية ٨٠.

(٢) سورة يوسف: آية ٣٣.

(٣) سورة الشعراء: آية ٢١.

(٤) سورة الأعراف: آية ١٤٩.

(٥) الأنوار النعمانية: لنعمة الله، ج ١ الباب الأول ص ١٠٣ - ١٠٤.

فيها . ولكن منعني من ذلك أمر رسول الله ﷺ ، وعهده إليّ ، أخبرني بما أحدث الأمة بعده . فلم أكن بما صنعوا حين عاينته بأعلم به مني ، ولا أشد يقيناً به مني قبل ذلك ، بل أنا بقول رسول الله ﷺ أشد يقيناً بما عاينت وشاهدت . فقلت لرسول الله ﷺ : فما تعهد إليّ إذا كان ذلك؟ قال : فإني وجدت أعواناً فانبذ إليهم وجاهدهم ، وإن لم تجد أعواناً فكف يدك واحقن دمك حتى تجد على إقامة كتاب الله وسنتي أعواناً . وأخبرني أن الأمة ستخذلني وتتبع غيري . وأخبرني أنني منه بمنزلة هارون من موسى . وأن الأمة سيصيرون بعده بمنزلة هارون ومن تبعه ، وبمنزلة العجل ومن تبعه . فقال موسى : يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني؟ أف عصيت أمري؟ قال : يابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ، وقال : يابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي . إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي^(١) . وإنما يعني أن موسى أمر هارون حين استخلفهم عليهم إن ضلوا ثم وجد أعواناً أن يجاهدهم ، وإن لم يجد أعواناً أن يكف يده ويحقن دمه ، ولا يفرق بينهم ، وإني خشيت أن يقول ذلك أخي رسول الله ﷺ ، فرقت بين الأمة ، ولم ترقب قولي ، وقد عهدت إليك إن لم تجد أعواناً فكف يدك ، واحقن دمك ودم أهل بيتك وشيعتك إلى آخر الحديث^(٢) .

أما الرّماني فقد سأل الرضا عليه السلام قائلاً : يابن رسول الله ، أخبرني عن علي بن أبي طالب لم لم يجاهد أعداءه خمسا وعشرين سنة بعد رسول الله عليه السلام ثم جاهد في أيام ولأيته؟ فقال : لأنه اقتدى برسول الله عليه السلام في تركه جهاد المشركين بمكة ثلاث عشرة سنة بعد النبوة ، وبالمدينة تسعة عشر شهراً . وذلك لقلّة أعوانه عليهم . فلما لم تبطل نبوة رسول الله عليه السلام مع تركه الجهاد لم تبطل ولاية علي عليه السلام بتركه الجهاد خمسا وعشرين سنة ، إذ كانت العلة المانعة لهما من الجهاد واحدة . وسئل أبو عبد الله عليه السلام : ما بال أمير

(١) سورة طه : آية ٩٤ .

(٢) الأنوار النعمانية : للجزائري ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

المؤمنين ﷺ لم يقاتلهم؟ قال: للذي سَبَقَ في علم الله أن يكون؟ وما كان له أن يقاتلهم وليس معه إلا ثلاثة رهطٍ من المؤمنين^(١).

والخلاصة: كانت قريشُ تتربُّبُ الفرص لتخرج هذا الحقَّ من آل هاشم، وقتلهم الحسد لآلِ علي وآل الرسول، وأبَتْ قريشُ أن تجمع لدار هاشم شرفين: شرف النبوة وشرف الخدمة. ولكنَّ علياً حرصاً منه على وحدة الصِّفِّ، وعدم تفرُّق المسلمين لم يقاوم أو يؤلِّب، وانطوى على نفسه، ولم يوافق الكثيرين الذين أخذوا يلحون عليه كثيراً ليقوم بمطالبة حقِّه، فلم يلَبِّ النداء حرصاً على وحدة الإسلام.

وهل كَتَبَ غير الحقيقة عبد الفتاح في كتابه (علي بن أبي طالب)؟ وهذا موجز ما يقول:

ما أشدَّ ما نال علياً من عسف قريش. إنها لترى فيه هاشماً، وترى فيه عبد المطلب، وترى محمداً قبل أن يقهرها على اعتناق دين الله، وتجسد هذا الحسد في علي. حسدوه لعلمه وفضله وشجاعته وفصاحته، ولخذلانه بعد اعتزاله الأمر، لأنهم أبوا أن تمرُّ عليه العاصفة، فيتجنبها لتمرَّ بسلام، وهم لا يرضون له بالسلام^(٢).

وإذا أردتَ أيها القارئ أن تطلِّع بتوسُّع عمَّا فعله القوم مع الإمام عندما رُزِيََ بفقد رسول الله ﷺ فتمعنَّ فيما نقلناه عن العلامة الشيخ الأميني من كتابه (الغدير) الجزء السابع مدعوماً بالمصادر الكثيرة من كتب السنة. فهو يقول:

بعدما تشازرت الأمة وتلاكمت وتكالمت، وقام الشَّيْخَان يعرضُ كلَّ منهما البيعة لصاحبه، قبل أخذ الرأي عن أيِّ أحد، كأنَّ الأمر دُبِّرَ بليل. فيقول هذا لصاحبه: ابسط يدك فلا بايعَكَ. ويقول آخر: بَلْ أَنْتَ. وكلُّ منهما يريد

(١) الأنوار النعمانية: للجزائري ج ١ الباب الأول ص ١٠٣.

(٢) كتاب الإمام علي بن أبي طالب لعبد الفتاح عبد المقصود، ج ١ ط ٢ عام ١٩٤٧ م.

أن يفتح يد صاحبه ويباعه. ومعهما أبو عبيدة بن الجراح حفار القبور بالمدينة، يدعو الناس إليهما^(١). والوصي الأقدس والعتر الطاهرة وبنو هاشم الهاشم النبي الأعظم وهو مسجى بين يديهم، وقد أغلق دونه الباب أهله^(٢). وخلق أصحابه عليه السلام بينه وبين أهله، فولوا جثمانه^(٣). ومكث ثلاثة أيام لا يُدفن^(٤)، أو من يوم الاثنين إلى يوم الأربعاء أو ليلته^(٥) فدفنه أهله ولم يله إلا أقاربه^(٦). دفنوه في الليل أو في آخره^(٧). ولم يعلم به القوم إلا بعد سماع صريف المساحي وهم في بيوتهم من جوف الليل^(٨). ولم يشهد الشيخان دفنه^(٩).

بعدهما رأى الرجل عمر بن الخطاب محتجراً يهرول بين يدي أبي بكر وقد نبر حتى أزيد شدقه^(١٠)، بعدما قرعت سمعه عقيرة صحابي بدري عظيم - الحباب بن المنذر - وقد انتضى سيفه على أبي بكر ويقول: والله لا يرد علي

-
- (١) تاريخ الطبري، ج ٣، الطبعة المصرية الأولى ص ١٩٩ .
(٢) سيرة ابن هشام، ج ٤ ص ٣٣٦، الرياض النضرة، ج ١ ص ١٤٣ .
(٣) طبقات ابن سعد، ص ٨٢١ ط ليدن ج ٢ من القسم الثاني ص ٧٦ .
(٤) تاريخ ابن كثير، ج ٥ ص ٢٧١، تاريخ أبي الفداء، ج ١ ص ١٥٢ .
(٥) طبقات ابن سعد، ط ليدن ج ٢ ص ٥٨ و ٧٩، وسيرة ابن هشام، ج ٤ ص ٣٤٣ - ٣٤٤، مسند أحمد، ج ٤ ص ٢٧٤، سنن ابن ماجه، ج ١ ص ٤٩٩، سيرة ابن سيد الناس، ج ٢ ص ٣٤٠، تاريخ أبي الفداء، ج ١ ص ١٥٢، تاريخ ابن كثير، ج ٥ ص ١٧١ .
(٦) طبقات ابن سعد، ص ٨٢٤ ط ليدن ج ٢ من القسم الثاني ص ٧٨ .
(٧) سنن ابن ماجه، ج ١ ص ٤٩٩، مسند أحمد، ج ٦ ص ٢٧٤ .
(٨) الطبقات: لابن سعد، ص ٨٢٤ ط ليدن ج ٢ من القسم الثاني ص ٧٨، مسند أحمد، ج ٦ ص ٢٧٤، سيرة ابن هشام، ج ٤ ص ٣٤٤، تاريخ ابن كثير، ج ٥ ص ٢٧٠ .
(٩) أخرجه ابن أبي شيبة كما في كنز العمال، ج ٣ ص ١٤٠ .
(١٠) طبقات ابن سعد، ص ٧٨٧ ط ليدن ج ٢ من القسم الثاني ص ٥٣، شرح ابن أبي الحديد، ج ١ ص ١٣٣ .

أحد ما أقول إلا حطمت أنفه بالسيف. أنا جُذِّلُها المحكك، وعُذِّيتُها المرَّحَّب. أنا أبوشبل في عرينة الأسد يعزى إلى الأسد، فيقال له: إذن يقتلك الله. فيقول: بل إِيَّاكَ يقتل، أو أراك تقتل، فأخَذَ ووُطِئَ في بطنه، ودُسَّ في فيه التراب^(١).

بعدها شاهد ثالثاً يخالف البيعة لأبي بكر وينادي: أما والله أرميكم بكل سهم في كنانتي من نبل، وأخضب منكم سناني ورمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، وأقاتلكم مع من معي من أهل وعشيرتي^(٢).

بعدها رأى رابعاً يتذمَّر على البيعة، ويشبُّ نار الحرب بقوله: إني لأرى عِجاجةً لا يطفئها إلا دم. بعدما نظر إلى مثل سعد بن عبادَة أمير الخزرج، وقد وقع في ورطة الهون يُنزى عليه، وينادي عليه بغضب: اقتلوا سعداً قتله الله! إنه منافق. أو صاحب فتنة، وقد قام الرجل على رأسه وهو يقول: لقد هممتُ أن أطأكَ حتى تندر عضوك. أو تندر عيونك^(٣).

بعدها شاهد قيس بن سعد قد أخذ بلحيته عمر قائلاً: والله لو حصَّصت

(١) صحيح البخاري، ج ١ ص ٤٥، مسند أحمد، ج ١ ص ٥٦، البيان والتبيين، ج ٣ ص ١٨١، سيرة ابن هشام، ج ٤ ص ٣٣٩، العقد الفريد، ج ٢ ص ٢٤٨، الإمامة والسياسة، ج ١ ص ٩، تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٢٠٩ - ٢١٠، تاريخ ابن الأثير، ج ٢ ص ١٣٦، ١٣٧، الرِّياض النُّصرة، ج ١ ص ١٦٢، ١٦٤، تاريخ ابن الأثير، ج ٥ ص ٢٤٦، وج ٧ ص ١٤٢، والصَّفوة، ج ١ ص ٩٧، تيسير الوصول، ج ٢ ص ٤٥، شرح ابن أبي الحديد، ج ١ ص ١٢٨ وج ٢ ص ٤، السَّيرة الحلبية، ج ٣ ص ٣٨٧، أبو بكر الصَّدِّيق: للأستاذ محمد رضا المصري، ص ٢٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد، ج ١ ص ١٣٨، الإمامة والسياسة، ج ١ ص ١١، تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٢١٠، تاريخ ابن الأثير، ج ٢ ص ١٣٧، السَّيرة الحلبية، ج ٣ ص ٣٨٧.

(٣) مسند أحمد، ص ٥٦، العقد الفريد، ج ٢ ص ٢٤٩، تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٢١٠، سيرة ابن هشام، ج ٤ ص ٣٣٩، الرِّياض النُّصرة، ج ١ ص ١٦٢ و ١٦٤، السَّيرة الحلبية، ج ٣ ص ٣٨٧.

منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة. أو لو خفضت من شعرة ما رجعت وفيك جارحة^(١).

بعدهما عاين الزبير وقد اخترط سيفه ويقول: لا أغمده حتى يبايع علي. فيقول عمر: عليكم الكلب، فيؤخذ سيفه من يده ويضرب به الحجر، ويكسر^(٢).

بعدهما بصر مقداداً ذلك الرجل العظيم وهو يدافع في صدره، أو نظراً إلى الحباب بن المنذر وهو يحطم أنفه، وتضرب يده. أو إلى اللأثنيين بدار النبوة، مأمّن الأمة، وبيت شرفها، بيت فاطمة وعلي - سلام الله عليهما - وقد لحقهم الإرهاب والترعيد^(٣)، وبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب وقال لهم: إن أبوا فقاتلهم. فأقبل عمر بقبس من نار علي أن يضرم عليه الدار، فلقيته فاطمة، فقالت: يا بن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخل فيه الأمة^(٤).

بعدهما رأى هجوم رجال الحزب السياسي دار أهل الوحي وكشف بيت فاطمة^(٥) وقد علت عقيرة قائدهم بعدهما عاد بالخطب: والله لتحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة. أو لتخرجن إلى البيعة أو لأحرقنّها على من فيها. فيقال للرجل: إن فيها فاطمة. فيقول: وإن^(٦).

-
- (١) تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٢١٠، السيرة الحلبية، ج ٣ ص ٣٨٧.
- (٢) الإمامة والسياسة، ج ١ ص ١١، تاريخ الطبري، ج ٣ ص ١٩٩، الرياض النضرة، ج ١ ص ١٦٧، شرح ابن أبي الحديد، ج ١ ص ٥٨ و ١٣٢، ج ٢ ص ٥ و ١٩.
- (٣) تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٢١٠، شرح ابن أبي الحديد، ج ١ ص ٥٨.
- (٤) العقد الفريد، ص ٢٥٠، تاريخ أبي الفداء، ج ١ ص ١٥٦، أعلام النساء، ج ٣ ص ١٢٠٧.
- (٥) الأحوال: لأبي عبيد، ص ١٣١، الإمامة والسياسة: لابن قتيبة، ج ١ ص ١٨، تاريخ الطبري، ج ٤ ص ٥٢، مروج الذهب، ج ١ ص ٤٦٤، العقد الفريد، ج ٢ ص ٢٥٤، تاريخ يعقوبي، ج ٢ ص ١٠٥.
- (٦) تاريخ الطبري، ج ٣ ص ١٩٨، الإمامة والسياسة، ج ١ ص ١٣، شرح ابن أبي الحديد، ج ١ ص ١٣٤، ج ٢ ص ١٩، أعلام النساء، ج ٣ ص ١٢٠٥.

بعد قول ابن شحنة: إنّ عمر جاء إلى بيت علي ليحرقه على مَنْ فيه،
فلقيته فاطمة فقال: ادخلوا فيما دخلت فيه الأمة^(١).

بعدها سمع أنه وحنة من حزينه كئيبة - بضعة المصطفى - وقد خرجت
عن خدرها وهي تبكي وتنادي بأعلى صوتها: يا أبت رسول الله! ماذا لقينا
بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة^(٢).

بعدها رآها وهي تصرخ وتولول ومعها نسوة من الهاشميات تنادي: يا أبا
بكر ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله. والله لا أكلم عمر حتى
ألقي الله^(٣).

بعدها شاهد هيكल القداسة والعظمة - أمير المؤمنين - يقاد إلى البيعة كما
يقاد الجمل المخشوش^(٤) ويدفع ويساق سوقاً عنيفاً، واجتمع الناس ينظرون،
ويقال له: بايع. فيقول: إن أنا لم أفعل فمه؟ فيقال: إذن والله الذي لا إله إلا
هو نضرب عنقك، فيقول: إذن تقتلون عبدالله وأخا رسوله^(٥).

بعدها رأى صنو المصطفى علياً لاذ بقبر رسول الله ﷺ، وهو يصيح
ويبكي، ويقول: يا بن أمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني^(٦)

بعد نداء أبي عبيدة الجراح لعلي عليه السلام يوم سيق إلى البيعة: يا بن عمّ

-
- (١) راجع تاريخ ابن شحنة هامش الكامل، ج ٧ ص ١٦٤.
(٢) الإمامة والسياسة، ج ١ ص ١٣، أعلام النساء، ج ٣ ص ١٢٠٦، الإمام علي:
لعبد الفتاح عبد المقصود، ج ١ ص ١٢٥.
(٣) شرح ابن أبي الحديد، ج ١ ص ١٣٤، ج ٢ ص ١٩.
(٤) العقد الفريد، ج ٢ ص ٢٨٥، صبح الأعشى، ج ١ ص ٢٢٨، شرح ابن أبي
الحديد، ج ٣ ص ٤٠٧.
(٥) الإمامة والسياسة، ج ١ ص ١٣، شرح ابن أبي الحديد، ج ٢ ص ٨ و ١٩، أعلام
النساء، ج ٣ ص ١٢٠٦.
(٦) الإمامة والسياسة، ج ١ ص ١٤.

إِنَّكَ حَدِيثُ السَّنِّ، وهؤلاء مشيخة قومِكَ ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور. ولا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك، وأشدَّ احتمالاً، فسَلِّمْ لأبي بكر هذا الأمر، فإنَّكَ إنْ تعش ويطل بك بقاء، فأنتَ لهذا الأمر خَلِيقٌ وحقيق في فضلكَ ودينك وعلمك وفهمك، وَ سَابِقَتِكَ ونسبك وصهرك^(١).

بعد رفع الأنصار عقيرتهم في ذلك اليوم العصبصب بقولهم: لا نبايع إلاَّ عليّاً. وبعد صياح بذرِّيهم: منّا أمير ومنكم أمير، وقول عمر له: إذا كان ذلك فمُتْ إن استطعتَ^(٢).

بعد قول أبي بكر للأنصار: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، وهذا الأمر بيننا وبينكم نصفان كشق الأبلمة - يعني الخوصة^(٣).

حُدِّثَ لها الأوس كَفّاً كي تناولها فمَدَّت الخُزرج الأيدي تباريها وظنَّ كلُّ فريق أنَّ صاحبه أولى بها وأتى الشَّحناء آتيها^(٤)

بعد قول أمّ مسطح بن أثانَةَ واقفَةً عند قبر النَّبي ﷺ وهي تنادي يا رسول الله!

(١) الإمامة والسياسة، ج ١ ص ١٣، شرح ابن أبي الحديد، ص ٥.
(٢) صحيح البخاري في مناقب أبي بكر وفي باب رجم الحبلى، ج ١٠ ص ٤٥، طبقات ابن سعد، ج ٢ ص ٥٥، وج ٣ ص ١٢٩، البيان والتبيين: للجاحظ، ج ٣ ص ١٨١، سيرة ابن هشام، ج ٤ ص ٣٣٩، التمهيد للباقلاني، ص ١٩٧، تاريخ الطبري، ج ٣ ص ٢٠٦ و ٢٠٩، مستدرک الحاكم، ج ٣ ص ٦٧، الرِّياض النَّضيرة، ج ٢ ص ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤، وتاريخ ابن كثير، ج ٥ ص ١٤٦، وتيسير الوصول، ج ٢ ص ٤١ و ٤٥.

(٣) صحيح البخاري في مناقب أبي بكر، البيان والتبيين، ج ١ ص ١٨١، عيون الأخبار لابن قتيبة، ج ٢ ص ٣٤، طبقات ابن سعد، ج ٢ ص ٥٥، ج ٣ ص ١٢٩، العقد الفريد، ج ٢ ص ١٥٨، تيسير الوصول، ج ٢ ص ٤٥٢، والسَّيرة الحليَّة، ج ٣ ص ٣٨٦، نهاية ابن الأثير، ج ١ ص ١٣ فيه كشف الأبلمة. تاج العروس، ج ٨ ص ٢٠٥.

(٤) قصيدة لحافظ إبراهيم.

قد كان بعدك أنباء وهبشة لو كنت شاهدا لم تكثر الخطب
إننا فقدناك فقد الأرض وابلها واختل قومك فاشهدهم ولا تغب^(١)

هذه كلها كانت تهدد السواد، وتروّع عامة الناس، وما كان لأحد في
إصلاح القوم مطمع، ولا لأي من الأمة بعدما شاهد الحال يوم ذاك حسابان
حرمة، ولا كرامة. لنفسه يقوم بها تجاه ذلك التيار المتدفق. وكانت هناك
أمة تراها سكارى - وما هي بسكارى - من حراجة الموقف تسارها هواجسها
بالتربص إلى حين، حتى تضع الغائلة أوزارها، ويتضح مأل أمر دبر بليل،
ويتبين الرشد من الغي، وهواجس تجعل جماعة كالنزع تجهش وتحن
وتقرع سن الأسف، وكم حنون لا يجديه حنينه!

وما عساني أقول؟ بعدما رآها أبو بكر وعمر بن الخطاب فلتة كفلته
الجاهلية وقى الله شرها^(٢)، بعدما حكم بقتل من عاد إلى مثل تلك
البيعة^(٣).

بعد قوله يوم السقيفة: من بايع أميراً عن غير مشورة المسلمين فلا
بيعة ولا بيعة للذي بايعه تغرة أن يقتلا^(٤).

بعد قوله لابن عباس: لقد كان عليّ فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن
أبي بكر. بعد قوله لابن عباس: إنا والله ما فعلناه عن عداوة، ولكن
استصغرناه، وحسبنا أن لا يجتمع عليه العرب وقريش لما قد وترها.

بعد قول ابن عباس له في جوابه: كان رسول الله ﷺ يبعثه، فينطح

(١) طبقات ابن سعد، ص ٨٥٣، شرح ابن أبي الحديد، ج ٢ ص ١٧ وج ١
ص ١٣٢. وقد يُعزى البيتان مع أبيات أخرى إلى الصديقة فاطمة عليها السلام.

(٢) التمهيد: للباقلاني، ص ١٩٦، شرح ابن أبي الحديد، ج ٢ ص ١٩، والغدير،
ج ٥ ص ٣٧٠.

(٣) التمهيد، ص ١٩٦، شرح ابن أبي الحديد، ج ١ ص ١٢٣ و ١٢٤، والصواعق
لابن حجر، ص ٢١.

(٤) شرح ابن أبي الحديد، ج ١ ص ١٣٤، ج ٢ ص ٢٠، والغدير، ج ١ ص ٣٨٩.

كبشها فلم يستصغره، أفستصغره أنت وصاحبك؟

بعد قول عمر لابن عباس: يا بن عباس، ما أظنّ صاحبك إلّا مظلوماً.
وقول ابن عباس له: والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر.

بعد قول أبي السّبطين أمير المؤمنين: أنا عبد الله وأخو رسول الله، أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي. فيقول عمر: لست متروكاً حتى تبائع. فيقول عليّ: أحلب يا عمر حلباً لك شطره.

بعد قوله: الله الله يا معشر المهاجرين! ألاّ تخرجوا سلطان محمّد في العرب من داره، وقعر بيته إلى دوركم، وتدفعون أهله عن مقامه في الناس وحقّه، فوالله يا معشر المهاجرين فنحن أحقّ الناس به، لأنّا أهل البيت، ونحن أحقّ بهذا الأمر منكم، ما كان فينا القارىء لكتاب الله، العالم بسنن الله، المتطلّع لأمر الرّعية! الدّافع عنهم الأمور السيّئة، القاسم بينهم بالسّوية. والله إنّّه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله، فتزدادوا من الحقّ بعداً^(١).

بعد قوله عليه السلام: «لما مضى المصطفى لسبيله - تنازع المسلمون الأمر بعده، فوالله ما كان يُلقَى في روعي، ولا يخطر على بالي أنّ العرب تعدل هذا الأمر بعد محمّد عن أهل بيته، ولا أنّهم منحّوه عني من بعده، فما راعني إلّا انثيال الناس على أبي بكر، وإجفالهم إليه ليبايعوه، فأمسكتُ يدي، ورأيت أنّي أحقّ بمقام محمّد في الناس ممّن تولّى الأمر من بعده»^(٢).

بعدما خرج عليّ كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله ﷺ على دابةٍ ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النّصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله! قد مضت بيعتنا لهذا الرّجل، ولو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا

(١) الإمامة والسياسة، ج ١ ص ١٢، شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٢ ص ٥.

(٢) الإمامة والسياسة، ج ١ ص ١٢.

قبل أبي بكر ما عدلنا عنه . فيقول عليّ كرم الله وجهه : أفكنت أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه ، وأخرج أنازع سلطانه؟! فقالت فاطمة : ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له . ولقد صنعوا ما الله حسبهم وطالبهم^(١) .

بعد قوله عليه السلام : أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة ، وإنه ليعلم أنّ محلي منها محلّ القطب من الرّحى . . . إلى آخر الخطبة .

ثم ما عساني أن أقول بعدما يعربد شاعر النيل - حافظ إبراهيم - اليوم ، ويؤجج النيران الخامدة ، ويجدد تلکم الجنایات المنسيّة - لاها الله لا تنسى إلى الأبد - ويعدها ثناءً على السلف ، ويرفع عقيرته بعد مضي قرون على تلکم المعرّات ، ويتبجّع ويتبجّع بقوله في القصيدة العمرية تحت عنوان عمر وعلي :

وقولة لعليّ قالها عمّر أكرم بسامعها أعظم بملقيها
حرقت دارك لا أبقي عليك بها إن لم تباع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص يفوه بها أمام فارس عدنان وحاميهما

ماذا أقول بعدما تحتفل الأمة المصرية في حفلة جامعة في أوائل سنة ١٩١٨ بإنشاد هذه القصيدة العمرية التي تتضمّن ما ذكّر من الأبيات وتنشرها الجرائد في أرجاء العالم؟

هذا موقف القوم من الإمام عليه السلام . لقد عبثوا بالأحاديث النبوية وأعرضوا عنها وانحرفوا عن العترة ، وعن باب حطة وسفينة النجاة ، وتقدّموا عليهم ليحققوا أغراضهم الدنيوية الزائلة . وكلّ ما حدث في علي والعترة عليهم السلام كان معروفاً عند النبي ﷺ . ولقد صرح كثيراً ، وعبر في أحاديثه عمّا ينزل بعلي وأهل بيته من ظلم القوم ، وكثيراً ما بكى وتألّم .

روى يونس بن جناب ، عن أنس بن مالك ، قال : كنّا مع رسول الله ﷺ ، وعلي بن أبي طالب معنا ، فمرّنا بحديقة ، فقال علي : يا

(١) الإمامة والسياسة ، ج ١ ص ١٢ ، شرح النهج : لابن أبي الحديد ، ج ١ ص ١٣١ ، وج ٢ ص ٥ .

رسول الله، ألا ترى ما أحسن هذه الحديقة! فقال: إن حديقتك في الجنة أحسن منها، حتى مررنا بسبع حدائق، يقول علي ما قال: ويجيبه رسول الله ﷺ بما أجابه. ثم إن رسول الله ﷺ وقف، فوقفنا، فوضع رأسه على رأس علي وبكى. فقال علي: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: «ضغائن في صدور قوم لا يريدونها لك حتى يفقدوني». فقال: يا رسول الله، أفلا أضع سيفي على عاتقي فأبىد خضراءهم؟! قال: «بل تصبر»، قال: فإن صبرت، قال: «تلاقي جهداً». قال: أفي سلامة من ديني؟ قال: «نعم»، قال: فإذا لا أبالي^(١).

وكثيراً ما كان النبي ﷺ ينوّه عن حدوث فتنة بعده ويلجّ عندها على اتباع علي عليه السلام، لأنه راية الهدى، ومنار الإيمان وإمام الأولياء.

وذكر الخوارزمي في مناقبه مرفوعاً بالأسانيد إلى أبي ليلى قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب، فإنه الفارق بين الحق والباطل». ويروي حديثاً آخر مرفوعاً إلى مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ فَارَقَ عَلِيّاً فَارَقَنِي، وَمَنْ فَارَقَنِي فَارَقَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ»^(٢).

واستمع أيها القارئ الذي أرهف أذنيه لسماع الحقيقة من علي في بعض خطبه:

روى عثمان بن سعيد عن عبد الله بن الغنوي، أن علياً عليه السلام خطب

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٤ ص ١٠٧ - ١٠٨ ط ١٩٥٩ م، دار إحياء الكتب العربية، ونور الأبصار للشبلنجي، ص ٧٩ ط ٥، وذكره الخوارزمي في مناقبه بسنده عن علي مع اختلاف في بعض العبارات، ص ٢٦ ط ١٩٥٩ م، المطبعة الحيدرية، النجف. وكذلك كتاب سليم بن قيس، ص ٦٤ - ٦٥، المطبعة الحيدرية، النجف.

(٢) ص ٥٧ منه ط ١٩٦٥ م، نفس المطبعة.

بالرحبة فقال: أيها الناس، إنكم قد أبيتم إلا أن أقولها! ورب السماء والأرض، إن من عهد النبي الأمي إليّ: «إن الأمة ستغدر بك بعدي»^(١).

ووعده النبي ﷺ بالسهر الطويل وبالجفوة الشديدة لأهل بيته من أجله. روى أبو جعفر الإسكافي أن النبي ﷺ دخل على فاطمة عليها السلام، فوجد علياً نائماً، فذهبت تنبهه، فقال: دعيه، فرب سهر له بعدي طويل، ورب جفوة لأهل بيتي من أجله شديدة. فبكت، فقال: «لا تبكي، فإنكما معي، وفي موقف الكرامة عندي»^(٢).

قال أبو بكر: وحدّثنا علي بن جرير الطائي، قال: حدّثنا ابن فضل، عن الأجلح، عن حبيب بن ثعلبة بن يزيد، قال: سمعت علياً يقول: أما ورب الأرض والسماء، ثلاثاً، إنه لعهد النبي الأمي إليّ: «لتغدرن بك الأمة من بعدي»^(٣).

وإذا أردت المزيد فاستمع إلى هذه الأحاديث التي تدفع كل من انحرف، وتبين أن علياً هو الهادي إلى الصراط المستقيم لو اتبع.

أخرج أحمد في مسنده جـ ١ ص ١٠٩، عن زيد بن شيع، عن علي عن النبي ﷺ في حديث: «وإن تؤمروا علياً رضي الله عنه - ولا أراكم فاعلين - تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم».

وروى الخطيب البغدادي في تاريخه جـ ١ ص ٤٧ بإسناده عن حذيفة في حديث: «حرف صدره وزيد عليه» عن النبي ﷺ: «وليتموها (الخلافة) علياً وجدتموه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم - وفي رواية أبي داود - إن تستخلفوا علياً ولن تفعلوا ذلك يسلك بكم الطريق

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٤ ص ١٠٧ ط ١٩٥٩ م، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٤ ص ١٠٧، نفس الطبعة.

(٣) شرح النهج: لابن أبي الحديد، جـ ٦ ص ٤٥ ط ١٩٦٠ م.

وتجدوه هادياً مهدياً». وفي حديث أبي نعيم في الحلية جـ ١ ص ٦٤، عن حذيفة قال: قالوا: يا رسول الله: ألا تستخلف علياً؟ قال: «إن تولّوا علياً تجدوه هادياً مهدياً يسلك بكم الطريق المستقيم». وفي لفظ آخر: «وإن تؤمّروا علياً ولا أراكم فاعلين تجدوه هادياً مهدياً يأخذ بكم الطريق المستقيم». وفي كنز العمال جـ ٦ ص ٦٠، عن فضائل الصحابة لأبي نعيم، وفي حليته جـ ١ ص ٦٤، «إن تستخلفوا علياً وما أراكم فاعلين، تجدون هادياً مهدياً يحملكم على المحجة البيضاء». وأخرجه الحافظ الكنجي الشافعي في الكفاية ص ٦٧، بهذا اللفظ وبلفظ أبي نعيم الأول. وفي الكنز جـ ٦ ص ١٦٠ عن الطبراني، وفي المستدرک للحاكم: «إن وليتموها علياً فهادٍ مهديٌ يقيمكم على صراطٍ مستقيم». وروى الخطيب الخوارزمي في المناقب ص ٦٤ ط ١٩٦٥ مسنداً عن عبدالله بن مسعود، قال: كنت مع رسول الله ﷺ وقد أصحّر فتنفّس الصّعداء، فقلت: يا رسول الله، ما لك تتنفّس؟ قال: «يا بن مسعود، نُعيْتُ إلى نفسي»، فقلت: يا رسول الله استخلف، قال: «مَنْ؟» قلت: أبا بكر، فسكت، ثمّ تنفّس. فقلت: مالي أراك تتنفّس؟ قال: «نُعيْتُ إلى نفسي»، فقلت: استخلف يا رسول الله، قال: «مَنْ؟» قلت: عمر بن الخطّاب. فسكت، ثمّ تنفّس. قال: قلت: ما شأنك يا رسول الله؟ قال: «نُعيْتُ إلى نفسي»، فقلت: يا رسول الله استخلف. قال: «مَنْ؟» قلت: علي بن أبي طالب. قال: «أوه ولن تفعلوا إذن أبداً، والله لئن فعلتموه ليدخلنكم الجنة، ولئن خالفتموه ليحبطن أعمالكم». ورواه ابن كثير في البداية جـ ٧ ص ٣٦٠ عن الحاكم عن... عن عبدالله بن مسعود.

لقد آمن القوم بمحمد بن عبدالله ﷺ، ولم يؤمنوا بعلي ﷺ، ومن آمن بالله وبالنبي ولم يؤمن بعلي، لم يستفد من إيمانه شيئاً. ومن أحب الله ورسوله ولم يحبّ علياً، لم يستفد من حبه شيئاً. ومن والى الله ورسوله، ولم يوالِ علياً لم يستفد من هذه الولاية شيئاً. فتبصّر أيها القارئ المنصف بما تقدّم لترى خطورة هذا الموقف على الأكثرية من هذا العالم

الإسلامي .

لذلك ابْتُلِيَ القوم بعلي ، لأنهم سيدخلون النار بسببه ، وابتُلِيَ هُوبِهِمْ حيث حرموه حقّه ، ونصبوا له العدا ، واستمروا على ذلك ، ونهجوا هذا النهج مع ذريته وأهل بيته ، ومع محبيه وشيعته ، وتوارثوا ذلك صاغراً عن كابر حتّى اللحظة الحالية . فاستمع إلى هذا الابتلاء :

في كفاية الطالب للكنجي الشافعي مرفوعاً بالأسانيد إلى أبي بردة قال : قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ عَهْدٌ إِلَيَّ عَهْدًا فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ» . فقلتُ : بيّنه لي . قال : «اسْمَعْ» ، فقلتُ : سمعتُ ، فقال : «إِنَّ عَلِيًّا رَايَةَ الْهُدَى ، وَمَنَارَ الْإِيمَانِ ، وَإِمَامَ الْأَوْلِيَاءِ ، وَنُورَ مَنْ أَطَاعَنِي ، وَهُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي أَلْزَمْتُهَا الْمُتَّقِينَ . مَنْ أَحَبَّهُ أَحْبَبَنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَهُ أَبْغَضَنِي ، فَبَشِّرُهُ بِذَلِكَ» . فجاء علي ، فبشّره ، فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَفِي قَبْضَتِهِ ، فَإِنْ يَعْذِبُنِي فَبِذُنُوبِي . وَإِنْ يَتِمُّ لِي الَّذِي بَشَّرَنِي بِهِ ، فَاللَّهُ أَوْلَى بِي . قال : فقلتُ : «اللَّهُمَّ أَجَلُ قَلْبِهِ ، وَاجْعَلْهُ رِبِيعَهُ الْإِيمَانِ . فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : قَدْ فَعَلْتُ بِهِ ذَلِكَ . ثُمَّ إِنَّهُ رَفَعَ إِلَيَّ أَنَّهُ سَيَخْصُهُ مِنَ الْبَلَاءِ بِشَيْءٍ لَمْ يَخْصُ بِهِ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي . فَقُلْتُ : يَا رَبِّ أَخِي وَصَاحِبِي ! فَقَالَ : إِنَّ هَذَا شَيْءٌ قَدْ سَبَقَ أَنَّهُ مَبْتَلَى وَمَبْتَلَى بِهِ» . أَخْرَجَهُ الْحَافِظُ فِي حَلِيتِهِ ، وَذَكَرَهُ صَاحِبُ كَشْفِ الْغَمَّةِ فِي ج ١ ص ١٠٨ (١) .

وفي البحار ، روى محمد بن أحمد بن شاذان ، عن قاضي القضاة الحسين بن مروان ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن محمد ، عن أبيه ، عن جده علي بن موسى ، عن أبيه ، عن جده جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي بن الحسين ، عن أبيه عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : «سَتَكُونُ بَعْدِي فِتْنَةٌ مَظْلَمَةٌ ، النَّاجِي فِيهَا مَنْ تَمَسَّكَ بِعُرْوَةِ اللَّهِ الْوُثْقَى . فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَنْ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى ؟ قَالَ : «وَلَايَةُ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ ؟» قِيلَ : يَا

(١) شرح النهج : لابن أبي الحديد ، ج ٩ ص ١٦٧ ط ١٩٦٠ م . ذكر نفس الحديث مع اختلاف طفيف في اللفظ فراجعه هناك .

رسول الله، ومن سيد الوصيين؟ قال: «أمير المؤمنين». قيل: ومن أمير المؤمنين؟ قال: «مولى المسلمين وإمامهم بعدي». قيل: ومن مولى المسلمين؟ قال: «أخي علي بن أبي طالب»^(١).

مناقب الخوارزمي ص ٢١٥ أخرج بسنده عن أبي جعفر محمد بن علي، عن أبيه، عن جده، قال: قال علي عليه السلام: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لما أُسْرِيَ بي إلى السماء، ثم من السماء إلى سدره المنتهى، وقفت بين يدي ربي عز وجل، فقال لي: يا محمد، قلت: لبيك وسعديك. قال: قد بلوت خلقي، فأيتهم رأيت أطوع لك؟ قال: قلت: يا ربي علياً، قال: صدقت يا محمد، فهل اتخذت لنفسك خليفة يؤدي عنك، يعلم عبادي من كتاب الله ما لا يعلمون. قال: قلت: يا رب اختر لي. فإن خيرتك خيرتي. قال: اخترت لك علياً فاتخذته لنفسك خليفة ووصياً، ونحلته علمي وحلمي، وهو أمير المؤمنين حقاً لم ينلها أحد قبله، وليست لأحد بعده. يا محمد، علي راية الهدى، وإمام من أطاعني، ونور أوليائي، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين. من أحبه فقد أحبني، ومن أبغضه فقد أبغضني فبشره يا محمد بذلك». فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «قلت: ربي بشرته به، فقال: أنا عبد الله وفي قبضتي، إن يعاقبني فبذنوبي لم يظلمني شيئاً، وإن تمم علي وعدي، فإنه مولاي». قال: أجل (فقلت: أجل، واجعل ربيعه الإيمان خ ل). قال: قلت: يا رب، فاجعل قلبه ربيع الإيمان. قال: قد فعلت ذلك به يا محمد، غير أنني مختص له (مختصه بشيء من البلاء خ ل) بشيء من البلاء لم أخص به أحداً من أوليائي. قال: «قلت: يا رب، أخي وصاحبي». قال: «قد سبق في علمي أنه مبتلى. ولولا علي لم يُعرف حزبي ولا أوليائي ولا أولياء رسلي»^(٢).

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٢٥٠.

(٢) في حلية الأولياء، ج ١ ص ١٩ نحوه مع اختلاف يسير. راجع كتاب (علي والشيعة): للعسكري، ص ٩٦-٩٧، والمناقب: للخوارزمي، ص ٢١٥، المطبعة الحيدرية، النجف ط ١٩٦٥ م.

فأي صراحةٍ أصرَّحُ من هذه الأحاديث؟ مع لفت النظرِ إلى الجملة التالية وهي: «وهو أميرُ المؤمنين حقّاً لم ينلها أحدٌ قبله، وليست لأحدٍ بعده». فكل من ادَّعى إمرةَ المؤمنين غير علي عليه السلام فقد ادَّعى ما ليس له. ولكنَّ السَّقيفةَ أباحتِ المحظور، وفتحتِ المجالَ للطَّامِعِينَ، فاستولوا على مقاليد الأمور، وارتكبوا المآثمَ وقول الزُّور.

فإمَّرةُ المؤمنين هي الأمانة التي ذكرها الله عزَّ وجلَّ بكتابه العزيز بقوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا فَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (١).

وللدلالة على أنَّ النبي ﷺ سَمَّى علياً عليه السلام بإمارة المؤمنين في حياته، ما ذكره المفيد في (إرشاده) قائلاً: أخبرني أبو الجيش المظفر بن محمد البلخي، قال: أخبرني أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي الثلج، قال: أخبرني الحسين بن أيوب، عن محمد بن غالب، عن علي بن الحسين، عن الحسن بن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي إسحق السبيعي، عن بشير الغفاري، عن أنس بن مالك، قال: كنتُ خادماً رسولَ الله ﷺ. فلما كانت ليلة أم حبيبة بنت أبي سفيان، أتيتُ رسولَ الله ﷺ بوضوء، فقال: «يا أنس يدخل عليك الساعة من هذا الباب أمير المؤمنين، وخير الوصيين، أقدم الناس سلماً، وأكثرهم علماً، وأرجحهم حلماً». فقلت: اللهم اجعله من قومي. قال: فلم ألبث أن دخل علي بن أبي طالب عليه السلام من الباب، ورسول الله ﷺ يتوضأ. فردَّ رسول الله ﷺ على وجه أمير المؤمنين عليه السلام حتى امتلأت عيناه منه. فقال علي: يا رسول الله! أحدث فيَّ حدثٌ؟ فقال له النبي ﷺ: «ما حدث فيك إلا خير. أنت مني وأنا منك، تؤدِّي عني، وتفي بدمتي، وتغسلني وتواريني في لحدي، وتسمع الناس عني، وتبين لهم من بعدي». فقال علي: يا رسول الله، أو ما بلغت؟ قال: «بلى،

(١) سورة الأحزاب: آية ٧٢.

ولكن تبين لهم ما يختلفون فيه من بعدي»^(١).

أخبرني أبو الجيش المظفر مرفوعاً بالأسانيد إلى عباية الأسدي عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال لأُم سلمة رضي الله عنها: «اسمعي واشهدي، هذا علي أمير المؤمنين وسيد الوصيين»^(٢).

وروى التميمي بإسناده عن الرضا، عن آبائه عن الحسين بن علي عليهم السلام قال: قال لي بريدة: أمرنا رسول الله ﷺ أن نسلّم على أبيك بإمرة المؤمنين^(٣).

وروى الفحام عن المنصوري عن عمّ أبيه، عن أبي الحسن الثالث، عن آبائه، عن علي عليهم السلام قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لَمَّا أُسري بي إلى السماء، كنتُ من ربّي كقاب قوسين أو أدنى، ثمّ قال: اقرأ عن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، فما سميتُ به أحداً قبله، ولا أُسمي بهذا أحداً بعده»^(٤).

وروى أحمد بن مردويه في كتاب (المناقب)، عن عبد الله بن محمد بن يزيد، عن محمد بن أبي يعلى، عن إسحق بن إبراهيم، عن زكريّا بن يحيى، عن مندل بن علي، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان رسول الله في صحن الدار، فإذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي، فدخل علي عليه السلام فقال: كيف أصبح رسول الله؟ فقال: بخير. قال له دحية: إنّي لأحبُّك، وإنّ لك مدحةً أزفّها إليك، أنتَ أمير المؤمنين، وقائد الغر المحجلين، أنتَ سيّد ولد آدم، ما خلا النّبيين والمرسلين. لواء الحمد بيدك يوم القيامة، تُرَفُّ أنتَ وشيعتُك مع محمد ﷺ وحزبه إلى الجنان زفاً زفاً. قد أفلح من تولّاك، وخسر من تخلاّك. محبُّو محمد محبوبوك، ومبغضو محمد

(١) إرشاد المفيد، ص ٢٠، وحلية الأولياء.

(٢) ينابيع المودة، ص ٨١، وإرشاد المفيد، ص ٢٠.

(٣) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٢٤٦.

(٤) بحار الأنوار أيضاً، ج ٩ ص ٢٤٦.

مبغضوك، لن تنالهم شفاعة محمد ﷺ . ادن مني يا صفوة الله . فأخذ رأس النبي ﷺ فوضعه في حجره، فقال: ما هذه الهمهمة؟ فأخبره الحديث . قال: لم يكن دحية الكلبي . كان جبرئيل سماًك باسم سماءك الله به، وهو الذي ألقى محبتك في صدور المؤمنين، ورهبتك في صدور الكافرين^(١) .

ومن كتاب عبدالله بن أحمد بن يعقوب الأنباري، عن علي بن العباس، عن علي بن منذر الطريفي، عن سكين الرجال، عن فضيل الرسان، عن أبي داود الهمداني، عن أبي برزة قال: اسمع، قلت: اللهم قد سمعت، قال: أخبر علياً أنه أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين، وأولى الناس بالناس، والكلمة التي ألزمها المتّقين^(٢) .

وروى محمد بن جرير الطبري، عن الحسين بن عبدالله البزاز، عن أبي الحسن علي بن محمد بن لؤلؤ البزاز، عن أحمد بن عبدالله بن زياد، عن عيسى بن إسحق، عن إبراهيم بن هراشة، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفي، قال: قال أبو جعفر محمد بن علي: لو علم الناس متى سمي علي أمير المؤمنين؟ قال: كان ربك عز وجل حيث أخذ من بني آدم من ظهورهم زريتهم، وأشهدهم على أنفسهم ألسن برّبكم، ومحمد رسولي وعلي أمير المؤمنين^(٣) .

ومن مصنفات بعض علماء المخالفين روي عن أحمد بن محمد الطبري عن محمد بن الحسن وعلي بن العباس وعلي بن أحمد بن الحكم وجعفر بن محمد بن مالك وعلي بن أحمد بن الحسين والحسين بن السكن جميعاً عن عبّاد بن يعقوب، عن السري بن عبدالله، عن علي بن حزور، قال: دخلت أنا والعلاء بن هلال عن أبي إسحق السبيعي، حيث قدم من خراسان،

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٢٤٦ .

(٢) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٢٥٠ .

(٣) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٢٥٠ .

حدّثني أخوك أبو داود عن بريدة بن خصيب الأسلمي ، قال : كنتُ عند رسول الله ، فدخل علينا أبو بكر ، فقال له رسول الله ﷺ : يا أبا بكر ، قم فسلّم عليّ بإمرة المؤمنين . فقال أبو بكر : أمّن الله أم من رسوله ؟ فقال صلى الله عليه وآله : من الله ومن رسوله ؟ ثم جاء عمر ، فقال له رسول الله ﷺ : «سلّم عليّ بإمرة المؤمنين» . فقال عمر ، من الله أم من رسوله ؟ فقال ﷺ : «من الله ومن رسوله» . ثم جاء سلمان رضي الله عنه فسلّم . فقال له رسول الله : «سلّم عليّ بإمرة المؤمنين» . فسلّم . ثم جاء عمار ، فسلّم ، ثم جلس . ثم قال له رسول الله ﷺ : «قم يا عمار ، فسلّم عليّ بإمرة المؤمنين» ، فسلّم ، ثم دنا فجلس ، فأقبل رسول الله يوجّهه فقال : إني قد أخذتُ ميثاقكم على ذلك ، كما أخذ الله ميثاق بني آدم ، فقال لهم : ألسنُ بربكم ؟ قالوا : بلى . وسألتُموني أنتم ، أمّن الله أو من رسوله ؟ فقلتُ : بلى . أما والله لئن نقضتموه لتكفرنَّ ، فخرجوا من عند رسول الله ، ورجل من القوم يضرب بإحدى يديه على الأخرى ، ثم قال : «كلّا وربّ الكعبة ! فقلتُ : من ذلك الرجل ؟ قال : «لا تتحمّله» ، وجابر من خلفي يغمزني أن أسأله ، فالححْتُ عليه ، فقال الأعرابي يعني عمر بن الخطاب» (١) .

وخبر بريدة بن خصيب الأسلمي ، وهو مشهور ، معروف بين العلماء بأسانيدٍ يطول شرحها قال : إنّ رسولَ الله ﷺ أمرني وأنا سابع سبعةٍ فيهم أبو بكر وعمر وطلحة والزبير . فقال : سلّموا عليّ بإمرة المؤمنين ، فسلّمنا عليه بذلك ، ورسول الله ﷺ حيٌّ بين أظهرنا .

وسيمرُّ معك أيّها القارئ حديث بريدة عندما تقرأ خبر حذيفة بن اليمان الذي سيأتي قريباً في آخر هذا البحث كختمٍ لهذا الموضوع .

فإمرة علي من الله ورسوله ، وإمرة الآخرين من أنفسهم ومن أعوانهم ، ففرضوها على الناس فحقّقوا ما أمّلوا . وأحياناً كانوا يعترفون بأنّ هذا الحق

(١) بحار الأنوار : للمجلسي ، ج ٩ ص ٢٥٤ .

لعلي عليه السلام دون غيره من الناس، ولكنهم خافوه، فاغصبوه حقّه.

قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز في كتاب (السقيفة): وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدّثنا محمد بن حاتم، عن رجاله، عن ابن عباس، قال: مرّ عمر بعلي، وأنا معه بفناء داره، فسلم عليه، فقال له علي: أين تريد؟ قال: البقيع. قال: أفلا تصل صاحبك، ويقوم معك؟ قال: بلى. فقال لي علي: قم معه. فمشيت إلى جانبه، فشبك أصابعه في أصابعي، ومشينا قليلاً، حتى إذا خلفنا البقيع قال لي: يا ابن عباس، أمّا والله إن صاحبك هذا لأولى الناس بالأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلّا أنا خفناه على اثنين، قال ابن عباس: فجاء بكلام لم أجد بداً من مسألته عنه. فقلت: ما هما يا أمير المؤمنين؟ قال: خفناه على حدّاثه سنّه وحبّه بني عبد المطلب.

وكيف لا يعرف أنّه أولى الناس بالأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي منعه صلى الله عليه وسلم أن يصرّح باسم علي عندما طلب دواة وكتاباً ليكتب كتاباً لن يضلّوا بعده.

أمّا حديث الكتاب والدواة فقد ذكره أبو بكر أحمد بن عبد العزيز قال: وحدّثنا الحسن بن الربيع، عن عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن علي بن عبدالله بن العباس، عن أبيه، قال: لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاة، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اثنوني بدواة وصحيفة، أكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعدي». فقال عمر كلمة^(١) معناها أنّ الوجد قد غلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثمّ قال: عندنا القرآن حسبنا كتاب الله. فاختلف من في البيت واختصموا، فمن قائل يقول: القول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن قائل يقول: القول ما قال عمر. فلمّا أكثروا اللّغظ واللّغو والاختلاف، غضب رسول الله. فقال: «قوموا، إنّه لا ينبغي لنبي

(١) في صحيح البخاري، ج ٦ ص ٩ ط ١٣١٤ هـ: «ما شأنه - أي النبي - أهجر؟». راجع (فجر الإسلام) لأحمد أمين (يوم الإسلام)، ص ٤١ ط ١٩٥٨ م.

أن يُخْتَلَفَ عنده هكذا». فقاموا، فمات رسولُ الله ﷺ في ذلك اليوم . فكان ابن عباس يقول: إِنَّ الرِّزْيَةَ كُلَّ الرِّزْيَةِ ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ﷺ - يعني الاختلاف واللُّغَط.

قلتُ: هذا الحديث قد خرَّجَهُ الشَّيْخَانِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ الْقَشِيرِيُّ فِي صَحِيحَيْهِمَا. وَاتَّفَقَ الْمُحَدِّثُونَ كَافَّةً عَلَى رَوَايَتِهِ (١).

هذا هو الحديث مع اختلافِ الرواة في لفظة عمر، فالبعضُ صرَّحَ بها، والبعضُ أخفاها كما تقدَّم معنا. أمَّا منع عمر للنبي ﷺ من ذكر عليٍّ بهذا الحديث فقد روى صاحب كتاب (كشف الغمة) حديثاً نقلاً عن ابن أبي الحديد في تفسيره النُّهْج، قال: نقلتُ من كتاب تاريخ بغداد لأحمد بن أبي طاهر بسنِّده عن ابن عباس، قال: دخلتُ على عمر في أوَّل خلافتِهِ، وقد أُلْقِيَ له صاعٌ من تمرٍ على خَصْفَةٍ (٢) فدعاني إلى الأكل، فأكلتُ ثمرةً واحدةً، وأقبل يأكل حتى أتى عليه، ثم شربَ من جُرٍّ (٣) كان عنده، واستلقى على مرفقة له، وطفقَ يحمد الله، يكرِّر ذلك. ثمَّ قال: من أين جئتَ يا عبدالله؟ قلتُ: من المسجد. قال: كيف خلَّفتَ ابنَ عمِّك؟ فظننتُهُ يعني عبدالله بن

(١) وأي: منصفٍ يقارن ويناقش الأحداث إلّا ويندهش لما يقوله الشاعر الإمامي: «أوصى النبيُّ فقال قائلهم قد ظلَّ يهجر سيّد البشر، وأرى أبا بكرٍ أصاب ولم يهجر وقد أوصى إلي عمر» اه. ابن أبي الحديد في شرحه للنُّهْج، ج ٦ ص ٥١ ط ١٩٦٠ م. ويقول الشيخ محمد رضا المظفر في كتاب (السقيفة)، ص ٦٦ وما بعدها ط ١٩٥٣ م قال: ما بال عمر بن الخطّاب لم يعتقد بهجر أبي بكر حين أوصى له بالخلافة من بعده، مع أن أبا بكر كان مريضاً حين الوصية حتّى أغمي عليه من شدّة الوجع، وأثناء تحرير الاستخلاف الذي كان يتولاه عثمان بن عفّان، فأتى عثمان النصّ على عمر دون أن يعلم أبو بكر خشية أن يدركه الموت قبل الوصية. وحين استفاق أمضى ما كتب عثمان.

(٢) الحلبة تعمل من الخوص للتمر.

(٣) آنية من خزف.

جعفر، قلت: خَلَفْتُهُ يَمْتَحُ^(١) بِالْغَرْبِ عَلَى نَخِيلَاتٍ مِنْ فُلَانٍ، وَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ. قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، عَلَيْكَ دِمَاءُ الْبُذْنِ إِنْ كَتَمْتَنِيهَا! هَلْ بَقِيَ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الْخِلَافَةِ؟ قلتُ: نعم، قال: أَيْزَعُمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ نَصَّ عَلَيْهِ؟ قلتُ: نعم، وَأَزِيدُكَ، سَأَلْتُ أَبِي عَمَّا يَدْعِيهِ، فَقَالَ: صَدَقَ. فَقَالَ عُمَرُ: لَقَدْ كَانَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَمْرِهِ ذَرْوًا^(٢) مِنْ قَوْلٍ لَا يَثْبُتُ حُجَّةٌ، وَلَا يَقْطَعُ عَذْرًا. وَلَقَدْ كَانَ يَرْبَعُ فِي أَمْرِهِ وَقْتًا مَا. وَلَقَدْ أَرَادَ فِي مَرَضِهِ أَنْ يَصْرَحَ بِاسْمِهِ فَمَنَعْتُ مِنْ ذَلِكَ إِشْفَاقًا وَحِيظَةً عَلَى الْإِسْلَامِ، لَا وَرَبَّ هَذِهِ الْبَيِّنَةِ لَا تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ قَرِيشٌ أَبَدًا، وَلَوْ وَلَّيَهَا لَانْتَفَضَتْ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنْ أَقْطَارِهَا. فَعَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنِّي عَلِمْتُ مَا فِي نَفْسِهِ، فَأَمْسَكَ، وَأَبَى اللَّهُ إِلَّا إِمْضَاءَ مَا حَتَمَ^(٣).

وحديث القرطاس والدَّوَاةِ ذكره عَدَدٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ، فَهَذَا ابْنُ الْأَثِيرِ فِي كِتَابِهِ (الكَامِلُ فِي التَّارِيخِ) ج ٢ ص ٢١٧ يَقُولُ: اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَرَضُهُ وَوَجَعُهُ فَقَالَ: «اَتُونِي بِدَوَاةٍ وَبِضَاءٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّونَ بَعْدِي أَبَدًا»، فَتَنَازَعُوا - وَلَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيِّ تَنَازَعٍ - فَقَالُوا: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَهْجُرُ. فَجَعَلُوا يَعِيدُونَ عَلَيْهِ. فَقَالَ: «دَعُونِي، فَمَا أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ». فَأَوْصَى بِثَلَاثٍ: «أَنْ يَخْرُجَ الْمُشْرِكُونَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَنْ يُجَازِيَ الْوَفْدُ بِنَحْوِ مِمَّا كَانَ يُجِيزُهُمْ»، وَسَكَتَ عَنِ الثَّالِثَةِ عَمْدًا، وَقَالَ: «نَسِيتُهَا».

وذكر ابن سعد في (الطبقات الكبرى) ج ٤ ص ٦٠ - ٦١: أَنَّ الرَّسُولَ عِنْدَمَا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، وَكَانَ مَعَهُ فِي الْبَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: «هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ». فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ غَلِبَهُ

(١) الدلو.

(٢) طرف.

(٣) شرح النهج، ج ١٢ ص ٢٠ و ٢١ ط ١٩٦١ م، وبحار الأنوار، ج ٩ ص ٢٩٧. وقال: ذكر هذا الحديث أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب (تاريخ بغداد) في كتابه مسنداً.

الوجع ، وعندكم القرآن . حسبنا كتاب الله . فاختلف أهل البيت واختصموا .
فلما كثر اللُّغَط والاختلاف ، قال النَّبي : « قوموا عني » .

وهذا ابن خلدون في كتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر) ج ٢ ص ٢٦٧
يقول : ثم قال النَّبي : « ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلُّوا
بعده » . فتنازعوا . وقال بعضهم : أهجر؟ ثم ذهبوا يعيدون عليه : فقال :
« دعوني ، فما أنا فيه خير ممَّا تدعونني إليه » .

وإذا ارتاع قلبك لما أحدثه الخليفة الثاني عمر بن الخطَّاب ، فهناك وثيقة
خطية تكشف لك عن المخطط السري الذي وضع نتيجة بيعة يوم الغدير ،
ليحولوا بين علي وبين المنصب الذي اختاره الله له ورسوله ﷺ .

عن حذيفة اليماني عن أسماء بنت عميس الخثعمية :

اجتمع - بعد خطبة النَّبي ﷺ في حجة الوداع - أربعة عشر رجلاً :
تسعة من قريش هم أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف
وسعد بن أبي وقاص ، وأبو عبيدة بن الجراح ، ومعاوية وعمرو بن العاص ،
 وخمسة من غيرهم هم : أبو موسى الأشعري ، والمغيرة بن شعبة ، وأوس بن
الحدثان ، وأبو هريرة ، وأبو طلحة الأنصاري . ووافقهم - بعد أن أطلع علي
مؤامرتهم - سالم مولى حذيفة . وساروا حتى دخلوا المدينة ، وكتبوا صحيفةً
بينهم تشتمل على إزالة الأمر عن علي عليه السلام ، وإعطائه إلى أبي بكر وعمر
وأبي عبيدة وسالم . وشهد بذلك أربعة وثلاثون رجلاً - وهم أصحاب العقبة -
وعشرون آخرون .

قال حذيفة : حدَّثني أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر أن القوم اجتمعوا
في منزل أبي بكر ، فتأمروا في ذلك - وأسماء تسمعون وتسمع جميع ما
يدبرونه - حتى اجتمع رأيهم على ذلك ، فأمروا سعد بن العاص الأموي فكتبَ
لهم الصحيفة باتفاق منهم ، وكانت نسخة الصحيفة :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اتفق عليه الملاء من أصحاب محمد رسول الله ﷺ من

المهاجرين والأنصار الذين مدحهم الله في كتابه على لسان نبيّه، اتَّفَقُوا جميعاً، بعد أن اجتهدوا في رأيهم، وتشاوروا في أمورهم، وكتبوا هذه الصَّحِيفَةَ، نظراً منهم إلى الإسلام وأهله على غابر الأيام وباقي الدُّهور، ليقتدي بهم من يأتي من المسلمين بعدهم.

أما بعد: فإنَّ الله - بَمَنِّه وَكِرَمِهِ - بعث محمداً رسولاً إلى النَّاسِ كافَّةً بدينه الذي ارتضاه لعباده، فأَدَّى من ذلك وبلغ ما أمره الله به، وأوجب علينا القيام بجمعه، حتَّى إذا أكمل الدِّينَ وفرض الفرائض، وأحكم السُّننَ، واختار الله له ما عنده فقبضهُ مكرماً محبوراً من غير أن يستخلف أحداً بعده. وجعل الاختيار إلى المسلمين يختارون لأنفسهم من وثقوا برأيه ونصحه. وإنَّ للمسلمين في رسول الله أسوةً حسنةً. قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾^(١).

وإنَّ رسولَ اللَّهِ لم يستخلف أحداً لثلاً يجري ذلك في أهل بيتٍ واحد، فيكون إرثاً دون سائر المسلمين. ولثلاً يكون دولةً بين الأغنياء منهم، ولثلاً يقول المستخلف: إنَّ هذا الأمر باقٍ في عقبه من والدٍ إلى ولدٍ إلى يوم القيامة.

والذي يجب على المسلمين - عِنْدَ مَضِيِّ خَلِيفَةٍ من الخلفاء - أن يجتمع ذوو الرَّأْيِ والصَّلَاحِ، فيتشاورُوا في أمورهم، فمن رآوه مستحقاً لها ولُؤُوهُ أمورهم، وجعلوه القَيِّمَ عليها، فإنه لا يخفى على أهل كلِّ زمانٍ من يصلح منهم للخلافة، فإن ادَّعى مُدَّعٍ من النَّاسِ جميعاً أنَّ رسولَ الله استخلف رجلاً بعينه، نصبه للنَّاسِ ونصَّ عليه باسمه ونسبه، فقد أبطل في قوله، وأتى بخلاف ما يعرفه أصحاب رسول الله إرث، وإنَّ رسولَ الله يورث، فقد أحال في قوله، لأنَّ رسولَ اللَّهِ قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة». وإن ادَّعى مُدَّعٍ أنَّ الخلافة لا تصلح إلا لِرَجُلٍ واحد من بين النَّاسِ

(١) سورة الأحزاب: آية ٢١.

وأنها مقصورة فيه، ولا تبتغي لغيره، لأنها تتلو النبوة فقد كذب، لأن النبي قال: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم». وإن ادعى مدّع أنه مستحق الخلافة والإمامة لقربه من رسول الله، ثم هي مقصورة عليه وعلى عقبه يرثها الولد منهم عن والده، ثم هي كذلك في كل عصر وزمان لا تصلح لغيرهم، ولا ينبغي أن يكون لأحد سواهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فليس له ولا لولده - وإن دنا من النبي نسبه - لأن الله يقول - وقوله القاضي على كل أحد - «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ». وقال رسول الله: «إِنَّ ذِمَّةَ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، وَكُلُّهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ».

فمن آمن بكتاب الله وأقر بسنة رسول الله فقد استقام وأناب وأخذ بالصواب. ومن كره ذلك من فعالهم فقد خالف الحق والكتاب، وفارق جماعة المسلمين فاقتلوه، فإن في قتله صلاحاً للأمة. وقد قال رسول الله: «من جاء إلى أمّتي - وهم جميع - ففرّقهم فاقتلوه واقتلوا الفرد كائناً من كان من الناس. فإن الاجتماع رحمة، والفرقة عذاب، ولا تجتمع أمّتي على الضلال أبداً، وإن المسلمين يد واحدة على من سواهم، وأنه لا يخرج من جماعة المسلمين إلا مفارق ومعانيد لهم ومظاهير عليهم أعداءهم، فقد أباح الله ورسوله دمه، وأحل قتله».

وكتب سعيد بن العاص باتفاق ممّن أثبت اسمه، وشهادته آخر هذه الصحيفة في المحرم سنة عشر من الهجرة. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

ثم دُفِعت الصحيفة إلى أبي عبيدة الجراح وتوجّه بها إلى مكة، فلم تزل الصحيفة في الكعبة مدفونة إلى أن ولي عمر بن الخطاب فاستخرجها من موضعها.

هذه هي الصحيفة التي وضعها القوم كرد فعل ضد بيعة الغدير التي أتم بها الله نعمته على المسلمين، وأكمل بها دينهم. هذه البيعة التي كانت بأمر من الله ورسوله لعلي. وهذه الصحيفة كانت بأمر منهم ومن أنفسهم. وفعلًا

نَفَّذُوا مَا أَرَادُوا، وَأَحَالُوا بَيْنَ عَلِيٍّ وَبَيْنَ مَنْصِبِهِ الْمَخْتَارَ لَهُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

ﷺ .
وَاللَّهُ وَاسِعٌ

وهناك وثيقة أخطر بكثير من الصحيفة، وثيقة لا يتجرعها إلا من دَرَسَ التاريخ الإسلامي دراسةً دقيقةً، وهضم ما كتبه المؤرخون في الدعوة الإسلامية، واستخرج الغث من الثمين. أمّا مَنْ لُبَسَ عليه، ونظر للأمور نظرة سطحية، ووقف عند هذا الحدّ فإنه يعتريه الشك، ويقول: هذا تدجيلٌ على عمر بن الخطاب. ولكن من رمى النبي ﷺ بالهجر، ومنعه من كتابة الكتاب لئلا يضلّوا، ومن مَزَّقَ الكتاب الذي كتبه أبو بكر لفاطمة بفدك^(١)، بعدما حرّمها من إرثها بحديثه الموضوع، ومن قرّر إحراق دار علي وفيها فاطمة والحسن والحسين، ومن تخلف عن جيش أسامة، ومن أمره الرسول ﷺ بقتل ذي الخويصرة، وهو رأس المارقين، فيمتنع عن قتله احتراماً لصلاته، ثم يستلّ اليوم سيفه لقتل من يصلي من أهل الإيمان تحت الشجرة، شجرة الرضوان، ومن أنشأ الشورى بين رجالها الستة الذين أنشأ بينهم من التنافس والفتن ما قد فرّق جماعة المسلمين، من قام بذلك وأشياء كثيرة غيرها، لا يستكبر عليه هذه الوثيقة الخطرة التي ذكرها البلاذري - وهو من الجمهور في تاريخه - قال: لَمَّا قُتِلَ الحسين بن علي عليه السلام، كَتَبَ عبدالله بن عمر إلى

(١) «فَدَك» قرية في الحجاز، وهي أرض يهودية كان يسكنها طائفة من اليهود حتى السنة السابعة، حيث قذف الله بالرعب في قلوب أهلها فصالحوا رسول الله ﷺ على النصف من فدك، وقيل: إنه صالحهم عليها كلها، فصارت ملكاً لرسول الله ﷺ خاصة، لأنها لم يُوجَفْ عليها بخيل ولا ركاب، ثم قدّمها لابنته الزهراء عليها السلام، وكانت بيدها في عهد أبيها وبعد وفاته ﷺ. وكانت وضعت عليها وكيلاً عنها، فانتزعها منها الخليفة الأول، وطرد وكيلها. فجاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر وقالت: لِمَ تَمْنَعُنِي ميراثي من رسول الله ﷺ، وقد جعلها لي رسول الله ﷺ بأمر الله تعالى؟ فطلب أبو بكر منها شهوداً، فشهدت أم أيمن، وشهد علي عليه السلام. فأعطاهما كتاباً، فدخل عمر، فلما عرف بذلك، أخذ الكتاب من فاطمة، فتفل فيه، ومزقه. فخرجت فاطمة تبكي... إلى آخر الحديث. راجع الاحتجاج: للطبرسي، ج ١ ص ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ وغيره من الكتب الكثيرة.

يزيد بن معاوية، أمّا بعد: فلقد عظمت الرزية وجلّت المصيبة، وحدث في الإسلام حدث عظيم، ولا يوم كيوم الحسين! فكتب إليه يزيد، يا أحمق! إنا جئنا إلى بيوت منجدة، وفرش ممهدة، ووسائد منضدة، فقاتلنا عنها، فإن يكن الحق لنا فعن حقنا دافعنا، وإن يكن لغيرنا، فأبوك أول من سنّ هذا، وابتزّه، واستأثر بالحق على أهله. فبعث إلى عبدالله بن عمر عهداً كتبه أبوه إلى معاوية:

هذا عهد من عمر بن الخطاب إلى معاوية بن أبي سفيان، اعلم يا معاوية أن محمداً قد جاء بالإفك والسحر، ومنعنا من اللات والعزى، وحول وجوهنا إلى الكعبة التي يزعم أنها القبلة الإسلامية، فكان هذا من غاية غلوّه وعلوّه ومهارته في السحر الذي بهر به على موسى وعيسى وكافة بني إسرائيل. ونحن على الذي كنّا قبل ذلك، وما تركنا اللات والعزى والهبل. ولما توفي محمد تواطأنا مع أربعين رجلاً من أهل نحلتنا، وشهدنا أنه قال: «الأئمة من قريش» وعزلنا علياً عن الخلافة التي فوضها إليه، وجعلها مخصصة له. ثمّ كتنّاه وأخرجناه من بيته، وجئنا به إلى أبي بكر، وأمرنا الناس ببيعته، وكنا نظاهر بسنة محمد، لئلا يهرب الناس عنا، ولكنّا في باطن الأمر على الذي كنّا قبل ذلك. انتقمنا من أولاده وذرائه على حسب طاقتنا وقدرتنا. وأمّا أنت يا معاوية، فأوصيك ألاّ تسمح فيها، واقتل من أولاده وأحفاده ما تصل إليه يدك وقدرتك. ولو لم تقدر على استئصال طائفته خوفاً من تنفر الناس وتباعدهم عنك، وخروجهم عليك، فكن في باطن الأمر على دفعهم وإزالتهم عن مقامهم، وانحطاط من مراتبهم، ولا تخرج محبة اللات والعزى من قلبك، فإنّها طريقنا وطريق آبائنا، وإنّا على آثارهم مقتدون^(١).

وقد أورد الوصيّة صاحب كتاب (تظلم الزهراء) بشكل مطوّل، حيث عرض بها كثيراً من المخازي والمظالم. نعرضها حرفياً ليطلع القارئ على

(١) الأنوار النعمانية: لنعة الله الموسوي الجزائري، ج ١ الباب الأول ص ٥٤.

التأمر ليس على عليّ فقط، بل حتى لصاحب الشريعة الغراء كما يبدو من قراءة هذه الوصية.

روى الفاضل في المجلد الثامن من البحار مخرجاً من كتاب (دلائل الإمامة) بإسناده عن سعيد بن المسيّب، قال: لما قُتِلَ الحسين بن علي عليه السلام وورد نعيه إلى المدينة، ووردت الأخبار بجزّ رأسه وحمله إلى يزيد بن معاوية، وقتل ثمانية عشر من أهل بيته، وثلاثة وخمسين رجلاً من شيعته، وقتل ابنه علي بين يديه، وهو طفل، بنشابة وسبي ذراريه، أقيمت المآتم عند أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في منزل أم سلمة رضي الله عنها، وفي دور المهاجرين والأنصار. قال: فخرج عبدالله بن عمر بن الخطاب صارخاً من داره، لا طمأ وجهه، شاقاً جيبه يقول: يا معشر بني هاشم وقريش والمهاجرين والأنصار!! يستحل هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أهله وذريته وأنتم أحياء ترزقون، لا قرار دون يزيد. فخرج من المدينة تحت ليله، لا يرد مدينة إلا خرج فيها، واستفز أهلها على يزيد، وأخباره يكتب بها إلى يزيد. فلم يمرّ بملاً من الناس إلا لعنه وسمع كلامه، وقالوا: هذا عبدالله بن عمر خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ينكر فعل يزيد بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويستفز الناس على يزيد، وإن من لم يجبه لا دين له ولا إسلام. واضطرب الشام بمن فيه، وورد دمشق، وأتى باب اللعين يزيد في خلقي من الناس يتلونه. فدخل آذن يزيد إليه، فأخبره بوروده، ويده على أم رأسه، والناس يهرعون إليه قدّامه ووراءه. فقال يزيد: فورة من فورات أبي محمد، وعن قليل يفيق منها. فأذن له وحده، فدخل صارخاً يقول: لا أدخل يا أمير المؤمنين وقد فعلت بأهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما لو تمكنت الترك والروم ما استحلوا ما استحلت، ولا فعلوا ما فعلت. قم عن هذا البساط حتى يختار المسلمون من هو أحقّ به منك. فرحب به يزيد وتناول له وضمه إليه وقال له: أبا محمد، اسكن من فورتك، واعقل، وانظر بعينك، واسمع بأذنك! ما تقول في عمر بن الخطاب؟ أكان هادياً مهدياً خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وناصره ومصاهره بأختك حفصة، والذي قال لرسول الله: اللات والعزى يعيدان علانية، ويعبد الله سرّاً؟ فقال عبدالله: هو كما وضعت.

فأي شيء تقول فيه؟ قال: أبوك قلد أبي أمر الشام، أم أبي قلد أباك خلافة رسول الله ﷺ؟ فقال: أبي قلد أباك الشام. قال: يا أبا محمد افترضى به وبعده إلى أبي؟ أو ما ترضاه؟ قال: بل أرضى. قال: افترضى بأبيك؟ قال: نعم. قال: فضرب يزيد بيده على يد عبدالله بن عمر، وقال له: قم يا أبا محمد حتى تقرأه، فقام معه حتى ورد خزائنه من خزائنه، فدخلها، ودعا بصندوق ففتحه، واستخرج منه تابوتاً مقفلاً مختوماً، فاستخرج منه طوماراً لطيفاً في خرقة حرير سوداء، فأخذ الطومار بيده ونشره، ثم قال: يا أبا محمد هذا خط أهلك؟ إي والله! فأخذه من يده فقبله، فقال له: اقرأ! فقرأ ابن عمر، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الذي أكرهنا بالسيف على الإقرار فأقررنا والصدور وعرة، والأنفس واجفة النيات، والبصائر شائكة ممّا كانت عليه من جحدنا ما دعانا إليه وأطعناه فيه دفعاً لسيوفه عنا، وتكأثره بالحيّ علينا من اليمن، وتعاضد من سمع به ممن ترك دينه وما كان عليه آباؤه في قريش. فبهل أقسم والأوثان واللات والعزى ما جحدنا عمر مذ عبدها، ولا عبد للكعبة ربّاً، ولا صدق لمحمد قولاً، ولا ألقى السلام إلاّ للحيلة عليه، وإيقاع البطش به، فإنه قد أتانا بسحر عظيم، وزاد في سحره على سحر بني إسرائيل مع موسى وفرعون وهارون وداود وسليمان وابن الأمة عيسى. ولقد أتانا بكلّ ما أتوا به من السحر، وزاد عليهم ما لو أنهم شهدوه لأقروا له بأنه سيّد السحرة. فخذ يا بن أبي سفيان سنّة قومك وأتباع ملّتك والوفاء بما كان عليه سلفك من جحد هذه البيّة التي يقولون: إنّ لها ربّاً أمرهم بإتيانها والسعي حولها وجعلها لهم قبلة، فأقروا بالصلاة والحجّ الذي جعلوه ركناً، وزعموا أنّه لله اختلفوا. فكان ممّا أعان محمداً منهم هذا الفارسي الطمطماني روزبة، وقالوا: ﴿إنّه أوحى إليه أن أوّل بيت وُضع للناس للذي ببكة مباركاً وهديّ للعالمين﴾^(١)، وقولهم ﴿وقد نرى

(١) سورة آل عمران: آية ٩٦.

تقلّب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فَوَلِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره^(١). وجعلوا صلاتهم للحجارة، فما الذي أنكره علينا لولا سحره من عبادتنا للأصنام والأوثان واللات والعزى، وهي من الحجارة والخشب والنحاس والفضة والذهب، لا واللات والعزى ما وجدنا سبباً للخروج عما عندنا، وإن سحرنا وموّهوا. فانظر بعين مبصرة، واسمع بأذن واعية، وتأمل بقلبك وعقلك ما هم فيه، واشكّر اللات والعزى، واستخلاف السيّد الرشيد عتيق بن عبد العزى على أمة محمّد، وتحكّمه في أموالهم ودمائهم وشريعتهم وأنفسهم وحلالهم وحرامهم، وجنایات الحقوق التي زعموا أنهم يجيئونها لربّهم، ليقموا بها أنصارهم وأعوانهم. فعاش سديداً رشيداً يخضع جهراً، ويشتدّ سراً، ولا يجد حيلة غير معاشرّة القوم، ولقد وثبت على شهاب بني هاشم الثاقب، وقرنها الزاهر وعلمها الناصر، وعُدّتها وعددها المسلمي بحيدرة المصاهر لمحمّد على المرأة التي جعلوها سيّدة نساء العالمين يسمّونها «فاطمة» حتّى أتيت دار علي وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين، وابنتيهما زينب وأم كلثوم، والأمة المدعّوة بـ (فضّة)، ومعني خالد بن الوليد وقنفذ مولى أبي بكر وصحب من خواصّنا، فقرعت الباب عليهم قرعاً شديداً. فأجابني الأمة، فقلت لها: قولي لعليّ: دع الأباطيل ولا تلج نفسك إلى طمع الخلافة فليس الأمر لك. الأمر لمن اختاره المسلمون واجتمعوا عليه. وربّ اللات والعزى والرأي لأبي بكر لفشل عن الوصول إلى ما وصل إليه من خلافة ابن أبي كبشة^(٢)، لكنني أبديت لها صفحتي، وأظهرت لها بصري، وقلت للحيين نزار وقحطان بعد أن قلت لهم: ليس الخلافة إلّا في قريش، فأطيعوهم ما أطاعوا الله. وإنّما قلت ذلك: لِمَا سبق من ابن أبي

(١) سورة البقرة: آية ١٥٠.

(٢) كان المشركون يقولون للنبي ﷺ ابن أبي كبشة حيث شبهوه بابن أبي كبشة رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان. أو هي كنية وهب بن عبد مناف جدّه ﷺ من قبل أمّه لأنّه كان نزاعاً إليه في الشّبه، أو كنية زوج حليلة السّعدية.

طالب من وثوبه واستثثاره بالدماء التي سفكها في غزوات محمد وقضاء ديونه، وهي ثمانون ألف درهم، وإنجاز عِدَاتِهِ، وجمع القرآن فقضاها على تليده وطارفه، وقول المهاجرين والأنصار لما قلتُ: إِنَّ الإمامةَ في قريش. قالوا: هو الأصيلع البطين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي أخذ رسول الله ﷺ البيعة له على أهل ملته، وسلمنا له بإمرة المؤمنين في أربعة مواطن، فإن كنتم نسيتموها معشر قريش فما نسيناها أو ليست البيعة والإمامة والخلافة والوصية حقاً مفروضاً وأمرأً صحيحاً لا تبرعاً ولا ادعاءً، فكذبناهم، وأقمت أربعين رجلاً شهدوا على محمد أن الإمامة بالاختيار، فعند ذلك قال الأنصار: نحن أحق من قريش، لأننا آويناه ونصرناه وهاجر الناس إلينا. فإذا كان دُفِعَ مَنْ كان الأمر له، فَلَيْسَ هذا الأمر لكم دوننا. وقال قوم: مينا أمير ومنكم أمير. قلنا لهم: قد شهد أربعون رجلاً أن الأئمة من قريش، فقبل قوم، وأنكر آخرون، وتنازعوا، فقلت: والجمع يسمعون. ألا تختارون أكبرنا سنّاً وأكثرنا ليناً. قالوا: فمن تقولون؟ قلت: أبو بكر الذي قدّمه رسول الله في الصلاة، وجلس معه في العريش يوم بدر يشاوره ويأخذ برأيه، وكان صاحبه في الغار، وزوج ابنته عائشة التي سمّاها أم المؤمنين، فأقبل بنو هاشم يتميزون غيظاً، وعاضدهم الزبير، وسيفه مشهور، وقال: لا أبايع إلا وأنا لا أملك رقبة قائمة سيفي هذا. فقلت: يا زبير: صرّختك سكن من بني هاشم أمك صفية بنت عبد المطلب. فقال: ذلك والله الشرف البازخ العالي والفخر الفاخر، يابن حنتمة ويابن صهاك أسكت لا أم لك. فقال قولاً: فوثب أربعون رجلاً ممن حضر سقيفة بني ساعدة على الزبير. فوالله ما قدرنا على أخذ سيفه من يده حتى وسدناه الأرض، ولم نر له علينا ناصراً، فوثبت إلى أبي بكر فصافحته وعاقدته البيعة، وتلاني عثمان بن عفان وسائر من حضر، غير الزبير، وقلنا له: بايع أو نقتلك! ثم كففت عنه الناس فقلت له: أمهلوه، فما غضب إلا نخوة لبني هاشم. فأخذت أبا بكر بيده، فأقمتُه وهو يرعد، قد اختلط عقله، فأزعجته إلى منبر محمد ازعاجاً، فقال لي: يا أبا حفص، أخاف وثبة علي. فقلت: إِنَّ علياً عنك مشغول، وأعاني على ذلك أبو عبيدة بن الجراح كان يمدّ يده إلى المنبر، وأنا أزعجه من ورائه كالتيس على شفار الجازر

مبهوتاً. فقام عليه مدهوشاً. فقلتُ له: اخْطُبْ، فأغلقَ عليه وتشبَّث، فدهش وتلجلج، فغمض، فعضضتُ على كَفِّي غيظاً. فقلتُ: قُلْ ما سَنَحَ لَكَ. فلم يأتِ خيراً ولا معروفاً. فأردتُ أن أحطه عَنِ المنبر وأقومَ مقامَهُ. فكرهتُ تكذيبَ النَّاسِ لي بما قلتُ فيه، وقد سألتُ الجمهورَ منهم كيف قلتُ من فضيلِهِ ما قلتُ؟ ما الَّذِي سمعْتُهُ من رسولِ اللَّهِ ﷺ في أبي بكر؟ فقلتُ لهم: قد سمعتُ من فضيلِهِ على لسانِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ما لوددتُ أني أكون شعرة في صدره، ولي حكاية. فقلتُ: قل: وإلاَّ فانزِلْ، فتبينها واللَّهُ في وجهي، وعُلِمَ أَنَّهُ لو نزل لرقيتُ وقلتُ ما لا يهتدي إلى قوله. فقال بصوتٍ ضعيفٍ عليل: وَلَيْتُكُمْ وَلَسْتُ بخيركم وعليَّ فيكم. واعلموا أن لي شيطاناً يعتريني، وما أراد به سواي. فإذا ذللتُ فقروموني، لا أقع في شعوركُم وأبشاركم، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم، ونزل. فأخذتُ بيده، وأعين النَّاسِ ترمقه، وغمزتُ يده غمزاً، ثم أجلسْتُهُ، وقَدَّمْتُ النَّاسَ إلى بيعتِهِ وصحبَتِهِ، لا رهبةً، وكلٌّ من ينكر بيعته ويقول: ما فعل علي بن أبي طالب؟ فأقول: خلعها من عنقه، وجعلها طاعة المسلمين قلةً خلافٍ عليهم في اختيارهم، فصار جليس بيته. فبايعوا وهم كارهون. فلَمَّا فَشَتْ بيعته عَلِمْنَا أَنَّ عَلِيًّا يحملُ فاطمة والحسن والحسين إلى دور المهاجرين والأنصار يذكِّرهم بيعته علينا في أربعة مواطن، ويستفزهم فيعدونه النصرَ ليلاً، ويقعدون عنه نهاراً. فأتيتُ داره مستثيراً لإخراجه منها، فقامتِ الأُمّةُ فضّةً، وقد قلتُ لها: قولي لِعَلِيٍّ يخرج إلى بيعة أبي بكر، فقد اجتمعَ عليه المسلمون، فقالت: إنَّ أميرَ المؤمنين عليّاً مشغول. فقلتُ: خلّي عنك هذا وقولي: يخرج وإلاَّ دخلنا عليه وأخرجناه كرهاً. فخرجت فاطمة فوقفت من وراء الباب، فقالت: أيها الضَّالون المكذَّبون! ماذا تقولون؟ وأي شيء تريدون؟ فقلتُ: يا فاطمة! فقالت فاطمة: ما تشاء يا عمر؟ فقلتُ: ما بال ابنِ عمِّك قد أوردك للجواب وجلس من وراء الحجاب؟ فقالت لي: طغيانك يا شقي أخرجني وألزمك الحجّة وكلَّ ضالٍّ قوي. فقلتُ: دعي عنك الأباطيل وأساطير السماء وقولي لعلي: يخرج. فقالت: لا حبّاً ولا كرامةً، أبحزب الشَّيطان تخوِّفني يا عمر؟ وكان حزبُ

الشيطان ضعيفاً. فقلت: إن لم يخرج جئت بالحطب الجزل وضربت بها ناراً على أهل هذا البيت، وأحرق مَنْ فيه، أو يقاد عليّ إلى البيعة. فضربت وأخذت سوط قنفذ، وقلت لخالد بن الوليد: أنت ورجالنا هلموا في جمع الحطب. فقلت: إنني مضرمها. فقالت: يا عدو الله وعدو رسوله وعدو أمير المؤمنين! فضربت فاطمة يدها من الباب تمنعني من فتحه فرمته فتصعب عليّ. فضربت كفيها بالسوط فألمها. فسمعت لها زفيراً وبكاءً، فكدت أن ألين وأنقلب عن الباب. فذكرت أحقاد عليّ وولوغه في دماء صناديد العرب وكيد محمد وسحره، فركلت الباب وقد ألصقت أحشاءها بالباب تترسه، وقد صرخت صرخة حسبتها قد جعلت أعلى المدينة أسفلها. وقالت: يا أبتاه! يا رسول الله! هكذا كان يفعل بحبيبتك وابتك!؟ آه يا فضة إليك فخذيني. والله قتل ما في أحشائي من حمل، وسمعتها تمخض، وهي مستندة إلى الجدار، فدفعت الباب ودخلت. وأقبلت إليّ بوجه أغشى بصري. فصفقت صفقة على خديها من ظاهر الخمار فانقطع قرطها وتناثر إلى الأرض، وخرج عليّ، فلما أحسست به أسرعته إلى خارج الدار، وقلت لخالد وقنفذ ومن معهما: نجوت من أمر عظيم (وفي رواية أخرى): قد جنيت جناية عظيمة لا آمن على نفسي. وهذا علي قد برز من البيت، وما لي ولكم جميعاً به طاقة. فخرج عليّ وقد ضربت يديها على ناصيتها لتكشف عنها، وتستغيث بالله ما نزل بها. فأسبل عليّ عليها ملائعتها وقال لها: يا بنت رسول الله، إن الله بعث أباك رحمة للعالمين. وأيم الله لئن كشفت عن ناصيتك سائلة إلى ربك ليهلك هذا الخلق لأجابتك حتى لا يبقى على الأرض منهم بشر إلا أنك وأباك أعظم عند الله من نوح الذي غرق من أجله بالطوفان جميع من على وجه الأرض وتحت السماء إلا من كان في السفينة، وأهلك قوم هود بتكذيبهم، وأهلك عاداً بريح صرصر. وأنت وأبوك أعظم قدراً من هود. وعذب ثمود وهي اثنا عشر ألفاً بعقر الناقة والفصيل. فكوني يا سيّدة النساء رحمة على هذا الخلق المنكوس، ولا تكوني عذاباً، واشتدّ بها المخاض ودخلت البيت، فأسقطت سقطاً سمّاه عليّ محسناً، وجمعت جمعاً كثيراً، لا مكاثرة لعلي، ولكن ليشتد

بهم قلبي ، وجئت وهو محاصر فاستخرجته من داره مكرهاً مغصوباً ، وسقته إلى البيعة سوقاً ، وإنّي لأعلم علماً يقيناً لا شكّ فيه لو اجتهدتُ أنا وجميع من على الأرض جميعاً على قهره ما قهرناه ، ولكن لهناتٍ كانت في نفسها أعلمها ولا أقولها . فلمّا انتهيتُ إلى سقيفة بني ساعدة قام أبو بكر ومن بحضرته يستهزئون بعلي . فقال علي : يا عمر أتحبُّ أن أعجل لك ما أخرته سوءاً عنك؟ فقلتُ : لا ، يا أمير المؤمنين . فسمعني والله خالد بن الوليد ، فأسرَّ إلى أبي بكر . فقال له أبو بكر : ما لي ولعمر ثلاثاً؟ والناس يسمعون . ولمّا دخل السقيفة جثا أبو بكر إليه ، فقلتُ له : قد بايعتُ يا أبا الحسن وانصرف . فأشهد ما بايعه ولا مدّ يدهُ إليه ، وكرهتُ أن أطالبه بالبيعة ليعجل لي ما أخره عني . وودّ أبو بكر أنه لم ير عليّاً في ذلك المكان جزعاً وخوفاً منه . ورجع عليٌّ من السقيفة وسألنا عنه ، فقالوا : مضى إلى قبر محمد ، فجلسَ إليه ، فقمّتُ أنا وأبو بكر إليه ، وجثنا نسعى . وأبو بكر يقول : ويلك يا عمر! ما صنعت بفاطمة هذا والله الخسرانُ المبين . فقلتُ : إنّ أعظمَ ما عليك أنه ما بايعنا ، ولا أثقُ بثاقل المسلمين عنه . فقال : فما تصنع؟ فقلت : تظهر أنه قد بايعك عند قبر محمد فأتيناه ، وقد جعل القبر مسنداً كفّه على تربته ، وحوله سلمان وأبو ذرّ والمقداد وعمّار وحذيفة اليماني . فجلسنا بإزائه ، وأوعزتُ إلى أبي بكر أن يضع يده على مثل ما وضع عليٌّ يده ، ويقربها من يده ، ففعل ذلك ، وأخذتُ بيد أبي بكر لأمسحها على يده وأقول : قد بايع . فقبضَ عليٌّ يده . فقمّتُ وأبو بكر مؤلّ وأنا أقول : جزى الله عليّاً خيراً ، فإنه لم يمنعك البيعة لمّا حضرت قبر رسول الله . فوثبَ من دون الجماعة أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري ويقول : والله يا عدو الله ما بايع عليٌّ عتيقاً . ولم يزل كلّما لقينا قومٌ وأقبلنا على قوم نخبرهم ببيعته ، وأبو ذر يكذبنا . والله ما بايعنا في خلافة أبي بكر ولا في خلافتي ، ولا يبايع لمن بعدي ، ولا بايعنا من أصحابه إثنا عشر رجلاً ، لا لأبي بكر ولا لي . فمن فعل يا معاوية فعلي ؟ واستشار أحقاده السّالفة غيري؟ وأمّا أنت وأبوك أبو سفيان وأخوك عتبة فأعرف ما كان منكم في تكذيب محمد وكيدته وإدارة الدّوائر بمكّة ، وطلبتَه في جبل حرّى

لقتله وتآلف الأحزاب وجمعهم عليه، وركوب أبيك الجمل، وقد قاد الأحزاب، وقول محمد: لعن الله الراكب والقائد والسائق. ولم أنس أمك هنداً، وقد بذلت لوحشي ما بذلت حتى تكمن نفسه لحمزة الذي دعوه أسد الرحمن في أرضه، وطعنه بالحربة ففلق فؤاده وشق عنه، وأخذ كبده، فحملة إلى أمك فزعم محمد بسحره أنه أدخلته فاهها لتأكله فصار جلموداً، فلفظته من فيها، فسماها محمد وأصحابه آكلة الأكباد، وقولها في شعرها لأعداء محمد ومقاتليه:

«نحن بنات طارق شعر، نمشي على النمارق، كالدر في المخالق، والمسك في المفارق، إن تقبلوا نعانق، أو تدبروا نفارق، فراق غير وامق». ونسوتها في الثياب الصفر المرسية، مبيدات وجوههن ومعاصمهن ورؤوسهن يحرضن على قتال محمد، إنكم لم تسلموا طوعاً، وإنما أسلمتم كرهاً يوم فتح مكة، فجعلكم طلقاء، وجعل زيدا وعقيلاً أخا علي بن أبي طالب والعباس عمهم مثلهم. وكان من أبيك في نفسه مقال، والله يا بني أبي كبشة لأملأنها عليك خيلاً ورجلاً وأحول بينك وبين هذه الأعداء! فقال محمد: يؤذن للناس أنه علم ما في نفسه أو يكفي الله شركاً يا أبا سفيان وهو يرى الناس أن لا يعلوها أحدٌ غيري ومن يليه من أهل بيته، فبطل سحره وخاب سعيه. وعلاها أبو بكر، وعلوتها بعده، وأرجو أن تكونوا معاشر بني أمية عيدان أطنا بها. فمن ذلك قد وليتكم وقلدتكم إباحة ملكها وعرفتكم فيها، وخالفت قوله فيكم. وما أبالي من تأليف شعره ونثره أنه قال: يُوحى إليّ منزلاً من ربي في قوله: «والشجرة الملعونة في القرآن» فزعم أنها أنتم يا بني أمية، فبين عداوته حيث ملك كما لم يزل هاشم وبنوه أعداء بني عبد شمس، وأنا مع تذكيري يا معاوية وشرحي لك ما قد شرحتة ناصح لك، ومشفق عليك من ضيق عطفك، وخرج صدرك، وقلة حلمك أن تعجل فيما وصيتك به، ومكنتك منه شريعة محمد وأُمَّته أن تبدي لهم مطالبة بطعن أو شماتة بموت، ورداً عليه فيما أتى به، أو استصغاراً لما أتى به فتكون من الهالكين، فتخفض ما رفعت، وتهدم ما بنيت. واحذر كل الحذر حيث دخلت على محمد مسجده

ومنبره، فصَدَّقَ مُحَمَّدًا في كُلِّ ما أَتى به وأورده ظاهراً، وأظهر التحرُّزَ والواقعة في رعيَّتِكَ، وأوسعهم حلماً، وأعمَّهُم بروائح العطايا، وعليك بإقامة الحدود فيهم، ولا تُرهِم أَنَّكَ تدع لِلَّهِ حقاً، ولا تنقُصُ فَرَضاً ولا تغيِّرَ لمحمد سنَّةً فتفسد علينا الأُمَّة، بل خذهم من مَأْمَنِهِم، واقتلهم بأيديهم، وأبذهم بسيوفهم، وتطاوَلهم وتناجزهم، ولِنْ لَهُم، ولا تبخس عليهم، وافسَحْ لهم في مجلسِكَ، وشرفهم في مقعدِكَ، وتوصِّلْ إلى قتلِهِم برئيسهم، وأظهر البشرَ والبشاشة، بل أكظم غيظَكَ واعفُ عنهم يحبُّوكَ ويطيعوكَ. فما آمَنَ علينا وعليكَ ثورةٌ عليَّ وشبليَّةُ الحسن والحسين، فإن أمكنكَ في عدَّةٍ من الأُمَّة فبادر ولا تقنَّع بصغائر الأمور، واقصد بعظمها واحفظن وصيَّتي إليك، وعهدي وأخفه ولا تبدِّه، وامثل أمري ونهبي، وانهض بطاعتي، وإيَّاكَ والخلافَ عَلَيَّ، واسلُكْ طريق أسلافِكَ، بشاركَ، واقتفِ آثارهم، فقد أخرجتُ إليك بسرِّي وجهري، وشفَعْتُ هذا بقولي:

<p>معاويَ إِنَّ القومَ جَلَّتْ أمورهم صبوتُ إلى دينٍ لهم فأرابني وإن أنسى لا أنسى الوليد وشيبة وتحت شغافِ القلبِ لدَغُ لفقدِهِم أولئِكَ فاطلبْ يا معاويَ ثارَهُم وَصِلْ برجالِ الشَّامِ في معشرِ بهم توصِّلْ إلى التَّخْلِيطِ في المَلَّةِ الَّتِي وطالبُ بأحقادِ لكَ مظهرًا فلستَ تنالُ الشَّارَ إلا بدينهم لهذا فقد وَلَّيْتُكَ الشَّامَ راجياً</p>	<p>بدعوةٍ مَنْ عَمَّ البريَّةَ بالوتر فأبعدُ بدينٍ قد قصمتُ به ظهري وعتبه والعاصِ الصَّريعِ لدى بدر أبو حَكَمِ الضَّئِيلِ من الفقر^(١) بنصلِ سيوفِ الهند والأسلِ السُّمْرِ هم الأسدُ والباقون في أكمِ الوعر أتانا به الماضي المموه بالسَّحْرِ لعلَّةَ دينٍ عَمَّ كلَّ بني النَّضْرِ فقتلُ بسيفِ الحقِّ جيدَ بني عمر^(٢) وأنتَ جديرٌ أن تؤولَ إلى صَخْرِ</p>
---	---

(١) هكذا وَجَدَ في الأصل.

(٢) لعل المراد بنو عمران، وهم بنو أبي طالب.

قال: فلما قرأ عبدالله بن عمر هذا العهد قام إلى يزيد فقبل رأسه وقال: الحمد لله يا أمير المؤمنين على قتلِكَ الشَّاري بن الشَّاري. واللَّهِ ما أَخْرَجَ أبي إليَّ ما أَخْرَجَ إلى أبيكَ. واللَّهِ لا رَأْيِي أَحَدٌ من رهط مُحَمَّدٍ بحيثُ يحبُّ ويرضى. فأَحْسَنَ جائزَتَهُ، وبرَّهُ وردَّهُ مكرُماً. فخرج عبدالله بن عمر من عنده ضاحِكاً، فقال له النَّاسُ: ما قالَ لك؟ قال قولاً صادقاً لوددتُ أَنِّي كنتُ مشارِكُهُ فيه وسارَ راجعاً إلى المدينة. وكان جوابه لمن يلقاهُ هذا الجواب.

ويروى أَنَّهُ أَخْرَجَ يزيد لعنه الله إلى عبدالله بن عمر كتاباً فيه عهد عثمان بن عفَّان. فيه أغلظُ من هذا وأدهى وأعظم من العهد الَّذي كتبه عمر لمعاوية. فلما قرأ عبدالله العهد الآخر قام فقبلَ رأسَ يزيد لعنهما الله. وقال: الحمد لله على قتلِكَ الشَّاري بن الشَّاري. واعلَمْ أَنَّ والدي عمر أَخْرَجَ إليَّ من سرِّه بمثل هذا الَّذي أَخْرَجَهُ إلى أبيك معاوية. ولا أرى أَحَدًا من رهطِ مُحَمَّدٍ وأهله وشيعته بعد يومي هذا غير منطوٍ لهم على خيرٍ أبداً. فقال يزيد: فيه شرح الخفايا يابن عمر. والحمد لله ربَّ العالمين وصلى الله على مُحَمَّدٍ وآله^(١).

ونختم هذا الفصلُ بحديث حذيفة بن اليمان، لأنَّه يدعم هذا الفصل، ويؤيِّد انحرافَ بعضِ الصُّحابة، وتأمُّرهم على علي عليه السلام، ويدعم فَضْلَ الولاية، وتأمُّرهم على بيعة يوم الغدير. وقد نقلناه من كتاب (الأنوار النعمانية) للسَّيِّد نعمة الله الجزائري، وقد نقله عن العلامة الزَّكي مُحَمَّد باقر بن البهي مُحَمَّد تقي المجلسي. وقد استخرجه من كتاب (إرشاد القلوب) تأليف الشيخ الحسن بن أبي الحسن الدَّيْلَمي، ممَّا رواه مرفوعاً. قال: لما استُخْلِفَ عثمان بن عفَّان آوى إليه عمُّه الحكم بن العاص. وولَّده مروان، والحارث بن الحكم. ووجهُ عمَّاله في أمصار يمن. وكان فيمن وجهُ

(١) كتاب تظلم الزُّهراء من إهراق دماء أهل العباء: للقرظيني من ص ٢٦٢ حتى ٢٦٨: ط ١٣١٢ هـ.

عمر بن سفيان بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية إلى «مشكان»،
والحارث بن الحكم إلى «المدائن» فأقام بها مدةً يتعسف أهلها، ويسيء
معاملتهم. فوفد منهم إلى عثمان وفد شكوه إليه، وأعلموه بسوء ما يعاملهم
به، وأغلظوا عليه في القول. فولى حذيفة بن اليمان عليهم. وذلك في آخر
أيامه، فلم ينصرف حذيفة بن اليمان عن المدائن إلى أن قُتل عثمان،
واستُخلف علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه. فأقام حذيفة عليها،
وكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله علي أمير المؤمنين عليه السلام إلى حذيفة بن اليمان، سلام
عليك.

أما بعد: فلإني قد وليتكَ ما كنت تليه لمن كان قبلي من حرف
المدائن، وقد جعلت إليك أعمال الخراج والرستاق وجباية أهل الدّمة،
فاجمع إليك ثقاتك، ومن أحببت ممن ترضى دينه وأمانته، واستعن بهم على
أعمالك، فإن ذلك أعز لك ولوليك، وأكبت لعدوك. وإني أمرُك بتقوى الله
وطاعته في السر والعلانية، وأحذرك عقابه في المغيب وفي المشهد، وأتقدم
إليك بالإحسان إلى المحسن، والشدة على المعاند، وأمرُك بالرفق في
أمورك، واللين والعدل على رعيتك، فإنك مسؤول عن ذلك، وإنصاف
المظلوم، والعفو عن الناس، وحسن السيرة ما استطعت. فالله يجزي
المحسنين. وأمرُك أن تجبي خراج الأرضين على الحق والنصفة، ولا تتجاوز
ما تقدّمت به إليك، ولا تدع منه شيئاً، ولا تبتدع فيه أمراً، ثم أقسمه بين
أهله بالسوية والعدل، واخفض جناحك لرعيتك، وواس بينهم في
مجلسك. وليكن القريب والبعيد عندك في الحق سواء. واحكم بين الناس
بالحق، وأقم فيهم بالقسط، ولا تتبع الهوى، ولا تخف في الله لومة لائم.
فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. وقد وجهت إليك كتاباً لتقرأه
على أهل مملكتك، ليعلموا رأينا فيهم وفي جميع المسلمين، فأحضرهم

واقراه عليهم ، وخذ البيعة لنا على الصغير والكبير منهم إن شاء الله تعالى .

قال : فلما وصل عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى حذيفة جمع الناس فصلى بهم ، ثم أمرهم بالكتاب ، فقرأ عليهم ، وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله علي أمير المؤمنين عليه السلام إلى من بلغه كتابي هذا من المسلمين ، سلام عليكم ، فإني أحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلا الله ، وأسأله أن يصلي على محمد وآل محمد .

أما بعد : فإن الله تعالى اختار الإسلام ديناً لنفسه وملائكته ورسله إحكاماً لصنعه وحسن تدبيره ، ونظراً منه لعباده ، واختص به من أحب من خلقه ، فبعث إليهم محمداً عليه السلام ، فعلمهم الكتاب والحكمة إكراماً وتفضلاً لهذه الأمة ، وأدبهم لكي يهتدوا ، وجمعهم لئلا يتفرقوا ، ووفقهم لئلا يجوروا . فلما قضى ما كان عليه من ذلك مضى إلى رحمة ربه حميداً محموداً ، ثم أن بعض المسلمين أقاموا بعده رجلين رضوا بهديهما وسيرتهما ، فأقاما ما شاء الله ، ثم توفاهما الله عز وجل ، ثم ولوا بعدهما الثالث ، فأحدث أحداً ، ووجدت الأمة عليه فعلاً ، فاتفقوا عليه ، ثم نقموا منه فغيروا ، ثم جاؤوني كتابع الخيل فبايعوني . فأنا أستهدي الله بهداه ، وأستعينه على التقوى . ألا وإن لكم علينا العمل بكتاب الله وسنة نبيه عليه السلام والقيام عليكم بحقه ، وإحياء سنته ، والنصح لكم بالمغيب والمشهد ، وبالله نستعين على ذلك . وهو حسبنا ونعم الوكيل . وقد وليت أموركم حذيفة بن اليمان ، وهو ممن أرتضي بهداه ، وأرجو صلاحه ، وقد أمرته بالإحسان إلى محسنكم ، والشدة على مريبكم ، والرفق بجميعكم . أسأل الله لنا ولكم حسن الخيرة والإحسان ورحمته الواسعة في الدنيا والآخرة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قال : ثم إن حذيفة صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على محمد وآل محمد ، ثم قال : الحمد لله الذي أحيا الحق وأمات الباطل ،

وجاء بالعدل، وأدحض بالجور، وكبت الظالمين. أيها الناس: إنما وليكم الله ورسوله وأمير المؤمنين حقاً حقاً، وخير من نعلمه بعد نبينا رسول الله ﷺ، وأولى الناس بالناس، وأحقهم بالأمر، وأقربهم إلى الصدق، وأرشدهم إلى العدل، وأهداهم سبيلاً، وأدناهم إلى الله وسيلة، وأمسهم برسول الله ﷺ رجماً، أنبيوا إلى طاعة أول الناس سلماً، وأكثرهم علماً، وأصدقهم طريقاً، وأسبقهم إيماناً، وأحسنهم يقيناً، وأكثرهم معروفاً، وأقدمهم جهاداً، وأعزهم مقاماً، أخي رسول الله وابن عمه، وأبي الحسن والحسين وزوج الزهراء البتول سيّدة نساء العالمين. فقوموا أيها الناس، فبايعوا على كتاب الله وسنة نبيه، فإن الله في ذلك رضا، ولكم مقنع وصلاح والسلام.

فقام الناس بأجمعهم، وبايعوا أمير المؤمنين عليه السلام أحسن بيعة وأجمعها. فلما استتمت البيعة قام إليه فتى من أبناء العجم وولاة الأنصار لمحمد بن عمار بن تيهان أخي أبي الهيثم بن تيهان يقال له مسلم، متقلداً سيفاً. فناداه من أقصى الناس: أيها الأمير: إنا سمعناك تقول في أول كلامك: «إنما وليكم الله ورسوله وأمير المؤمنين حقاً، فعرفنا ذلك أيها الأمير - رَحِمَكَ الله - ولا تكتمنا، فإنك ممن شهد وغبنا. ونحن مقلدون ذلك في أعناقكم. والله شاهد عليكم فيما تأتون به من النصيحة لأمتكم، وصدق الخبر عن نبيكم ﷺ. فقال حذيفة: أيها الرجل: أما إذا سألت وفحصت هكذا فاسمع وافهم ما أخبرك به.

أما من تقدّم من الخلفاء قبل علي بن أبي طالب عليه السلام ممن تسمّى بأمير المؤمنين فإنهم تسمّوا بذلك وسمّاهم الناس به. وأما علي بن أبي طالب عليه السلام فإن جبرئيل عليه السلام سمّاه بهذا الاسم عن الله تعالى، وشهد له رسول الله ﷺ عن سلام جبرئيل بإمرة المؤمنين. وكان أصحاب رسول الله ﷺ يدعونه في حياة رسول الله بإمرة المؤمنين. قال الفتى: أخبرني كيف كان ذلك يرحمك الله؟ قال حذيفة: إن الناس كانوا يدخلون على رسول الله ﷺ قبل الحجاب إذا شأوا، فنهاهم رسول الله ﷺ أن يدخل أحد

إليه، وعنده دحية بن خليفة الكلبي. فكان رسول الله ﷺ يرأسل قيصرًا ملك الروم وبني حنيفة وملوك بني غسان على يده. وكان جبرئيل يهبط عليه في صورته. ولذلك نهى رسول الله ﷺ أن يدخل المسلمون عليه إذا كان عنده دحية.

قال حذيفة: وإنني أقبلت يوماً لبعض أموري إلى رسول الله ﷺ مهجراً رجاء أن ألقاه خالياً، فلما صرتُ بالباب نظرتُ فإذا أنا بشملةٍ قد سُدِلَتْ على الباب، فرفعتها وهممتُ بالدُّخول. وكذلك كنّا نصنعُ، فإذا بدحية قاعد، والنبي ﷺ نائم، ورأسه في حجر دحية. فلما رأيته انصرفتُ فلقيني علي بن أبي طالب عليه السلام في بعض الطريق. فقال: يا بن اليماني من أين أقبلت؟ من عند رسول الله ﷺ. قال: وماذا صنعتَ عنده؟ قلتُ: أردتُ الدُّخولَ عليه في كذا وكذا. وذكرتُ الأمر الذي جئتُ له، فلم يتهيأ لي ذلك. قال: ولم؟ قلتُ: كان عنده دحية الكلبي، وسألتُ علياً عليه السلام معونتي على رسول الله ﷺ في ذلك؟ قال: فأرجعْ معي. فرجعتُ معه، فلما صرنا إلى باب الدار جلستُ بالباب، ورفَع عليُّ الشِّملةَ ودخلَ، فسَلِّمَ. فسمِعتُ دحية يقول: وعليكَ السَّلامُ يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. ثم قال له: اجلس، فخذُ رأسَ أخيك وابنَ عمِّكَ من حجري، فأنت أولى النَّاس به. فجلس علي عليه السلام وأخذ رأسَ رسول الله ﷺ فجعله في حجره، وخرج دحية من البيت. فقال علي عليه السلام: ادخلْ يا حذيفة. فدخلتُ وجلستُ، فما كانَ بأسرع أن انتبَه رسول الله ﷺ فضحك في وجه علي عليه السلام، ثم قال: يا أبا الحسن، من حجرٍ من أخذتَ رأسي؟ قال: من حجر دحية الكلبي. فقال رسول الله ﷺ: ذلك جبرئيل عليه السلام. فما قلتُ حين دخلتُ؟ وما قالَ لك؟ قال: دخلتُ فسَلِّمْتُ، فقال لي: وعليكَ السَّلامُ يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال رسول الله ﷺ: «يا علي سلِّمْتُ عليك ملائكة الله وسكان سمواته بإمرة المؤمنين من قبل أن يسَلِّمَ عليك أهلُ الأرض. يا عليُّ إن جبرئيل فعلَ ذلكَ عن أمرِ الله عزَّ وجلَّ، وقد أوحى إليَّ عن ربِّي تبارك وتعالى من قبل دخولك أن أفرض ذلكَ على

الناس، وأنا فاعِلُ ذلك إن شاء الله تعالى». فلما كان من الغد بعثني رسول الله ﷺ إلى ناحية (فدك) في حاجة، فلبثت أياماً، ثم قدمت، فوجدت الناس يتحدثون أن رسول الله ﷺ أمر الناس أن يُسلموا على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين، وأن جبرئيل عليه السلام أتاه بذلك عن الله عز وجل. فقلت: صدق رسول الله ﷺ. وأنا قد سمعتُ جبرئيل سلم على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين، وحدثتهم الحديث، فسمعتُ عمر بن الخطاب وأنا أحدثُ الناس في المسجد، فقال لي: أنت رأيتَ جبرئيل وسمعتَه؟ اتقِ القول، فقد قلتَ قولاً عظيماً، وقد خولطَ بك. فقلتُ: نعم، أنا رأيتُ ذلك وسمعتُهُ، فأرغمَ الله أنت من أرغم. فقال: يا أبا عبد الله، لقد رأيتَ وسمعتَ عجباً.

قال حذيفة: فسمعتُ بريدة بن الخصيب الأسلمي، وأنا أحدثُ ببعض ما رأيتُ وسمعتُ. فقال لي: والله يا ابن اليمان، لقد أمرهم رسول الله ﷺ بالسَّلام على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين، فاستجابت له طائفة يسيرة من الناس، وردَّ عليه ذلك وأباه كثير من الناس، فقلتُ: يا بريدة أكنتَ شاهداً ذلك اليوم؟ فقال: نعم، من أوله إلى آخره. فقلتُ له: حدثني به رحمك الله، فإني كنتُ عن ذلك اليوم غائباً. فقال بريدة: كنتُ أنا وعمار أخي عند رسول الله ﷺ في نخل بني النجار، فدخل علينا علي ابن أبي طالب عليه السلام، فسَلَّم فرَدَّ عليه رسول الله ﷺ ورددنا. ثم قال له: يا علي اجلس هناك، فجلس ودخل رجال، فأمرهم رسول الله ﷺ بالسَّلام على علي عليه السلام بإمرة المؤمنين فسَلَّموا وما كادوا، ثم دخل أبو بكر وعمر فسَلَّما. فقال لهما رسول الله: سَلِّما على علي بإمرة المؤمنين. فقالا: الإمرة من الله ورسوله؟ فقال: نعم، ثم دخل طلحة وسعد بن مالك فسَلَّما. فقال لهما النبي: سَلِّما على علي بإمرة المؤمنين، فقالا: عن الله ورسوله؟ فقال: نعم. فقالا: سمعنا وأطعنا. ثم دخل سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري رضي الله عنه فسَلَّما، فرَدَّ عليهما السَّلام. ثم قال: سَلِّما على علي بإمرة المؤمنين. فسَلَّما، ولم يقلوا شيئاً، ثم دخل خزيمة بن ثابت وأبو الهيثم بن التيهان، فسَلَّما، فرَدَّ عليهما السَّلام. ثم قال: سَلِّما على علي

بإمرة المؤمنين. فسَلِّمًا ولم يقولوا شيئاً. ثُمَّ دَخَلَ عَمَّارُ وَالْمَقْدَادُ فَسَلِّمًا، فَرَدَّ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ وَقَالَ: سَلِّمًا عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ، ففَعَلَا، وَلَمْ يَقُولَا شَيْئاً. ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ، فَسَلِّمًا فَرَدَّ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ وَقَالَ: سَلِّمًا عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَا: عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ دَخَلَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَعَدَّ جَمَاعَةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ. كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سَلِّمُوا عَلَى عَلِيٍّ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ، فَبَعْضُ يُسَلِّمُ وَلَا يَقُولُ شَيْئاً، وَبَعْضُ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَعَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؟ فيقول: نَعَمْ، حَتَّى غَضَّ الْمَجْلِسَ بِأَهْلِهِ، وَامْتَلَأَتِ الْحَجْرَةُ، وَجَلَسَ بَعْضُ عَلَى الْبَابِ وَفِي الطَّرِيقِ، وَكَانُوا يَدْخُلُونَ فَيُسَلِّمُونَ وَيُخْرَجُونَ. ثُمَّ قَالَ لِي وَلِأَخِي: قُمْ يَا بَرِيدَةُ أَنْتَ وَأَخُوكَ فَسَلِّمَا عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ. فقمنا وسَلِّمنا، ثُمَّ عَدْنَا إِلَى مَوَاضِعِنَا، فَجَلَسْنَا. قَالُوا: ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ جَمِيعاً. فَقَالَ: اسْمَعُوا وَعَوُّوا. إِنِّي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تَسَلِّمُوا عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رِجَالاً سَأَلُونِي، أَذَلِكَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ؟ مَا كَانَ لِمُحَمَّدٍ أَنْ يَأْتِيَ أَمراً مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ، بَلْ بُوْحِي رَبِّهِ وَأَمْرُهُ، أَفَرَأَيْتُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ أَبَيْتُمْ وَنَقَضْتُمُوهُ لَتَكْفُرُونَ وَلَتَفَارِقُونَ مَا بَعَثَنِي بِهِ رَبِّي. فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ.

قال بريدة: فلما خرجنا سمعتُ بعض أولئك الذين أمروا بالسَّلام على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بإمرة المؤمنين يقول لصاحبه: وقد التفتُ بهما طائفة من الجفافة البغاة (البطاة) عن الإسلام من قريش، أما رأيت ما صنعَ مُحَمَّدٌ بَابْنِ عَمَّةٍ مِنْ عُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ وَالْمَكَانَةِ، وَلَوْ يَسْتَطِيعُ وَاللَّهِ لَجَعَلَهُ نَبِيًّا مِنْ بَعْدِهِ. فقال له صاحبه: أَمْسِكْ وَلَا يَكْبِرَنَّ عَلَيْكَ هَذَا، فَإِنَّا لَوْ فَقَدْنَا مُحَمَّدًا لَكَانَ فَعْلُهُ هَذَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا.

قال حذيفة: ثُمَّ خَرَجَ وَمَضَى بِرِيدَةَ إِلَى بَعْضِ طَرِيقِ الشَّامِ، وَرَجَعَ، وَقَدْ قَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَايَعَ النَّاسُ أَبَا بَكْرٍ، فَأَقْبَلَ بِرِيدَةَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ وَأَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمَنْبَرِ، وَعَمَرَ دُونَهُ بِمِرْقَاةٍ، فَنَادَاهُمَا مِنْ نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ: يَا أَبَا بَكْرٍ وَيَا عَمْرُ، فَقَالَا: مَالِكَ يَا بَرِيدَةُ جَنَّتْ؟ فَقَالَ لَهَا:

والله ما جنتُ، ولكن أين سلامكما بالأمس على عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين؟ فقال له أبو بكر: يا بريدة، الأمر يحدث بعده الأمر فإنك غبت وشهدنا. والشاهد يرى ما لا يرى الغائب. فقال لهما: رأيتما ما لم يره الله ولا رسوله. ولكن هذا وفاء صاحبك بقوله: لو فقدنا محمداً لكان قوله هذا تحت أقدامنا. ألا إن المدينة حرامٌ عليّ أن أسكنها أبداً حتى أموت. فخرج بريدة بأهله وولده، فنزل بين قومه بني أسلم. فكان يطلع في الوقت دون الوقت. فلما قُضي الأمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام سار إليه، وكان معه حتى قدم العراق فلما أُصيب أمير المؤمنين عليه السلام سار إلى خراسان فنزلها إلى أن مات.

قال حذيفة: فهذه أنباء ما سألتني عنه. فقال الفتى: لا جزى الله الذين شهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعوه يقول هذا القول في علي خيراً، فقد خانوا الله ورسوله، وأزالوا الأمر عن رضيه الله ورسوله، وأقروه فيمن لم يره الله ولا رسوله لذلك أهلاً، لا جرم والله لن يفلحوا بعدها أبداً. فنزل حذيفة عن منبره فقال: يا أبا الأنصار إن الأمر كان أعظم مما تظن. إنه عذب والله الصبر، وذهب اليقين، وكثر المخالف، وقل الناصر لأهل الحق. فقال له الفتى: فهلاً انتضيت أسياfkم وضعتموها على رقابكم، وضربتم بها الزائلين عن الحق قدماً قدماً حتى تموتوا أو تدركوا الأمر الذي تحبونه من طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله؟ فقال له: أيها الفتى، إنهم أخذوا والله بأسماعنا وأبصارنا وكرهنا الموت، وزينت عندنا الحياة الدنيا، وسبق علم الله بإمرة الظالمين، ونحن نسأل الله التغمّد لذنوبنا، والعصمة فيما بقي من آجالنا، فإنه مالك رحيم.

ثم انصرف حذيفة إلى منزله، وتفرق الناس. قال عبد الله بن سلمة: فبينما أنا ذات يوم عند حذيفة أعوده في مرضه الذي مات فيه، وقد كان يوم قدمت فيه من الكوفة، وذلك من قبل قدوم علي عليه السلام إلى العراق. فبينما أنا عنده إذ جاء الفتى الأنصاري فدخل على حذيفة فرحب به وأدناه وقرب مجلسه، وخرج من كان عند حذيفة من عواده. وأقبل عليه الفتى وقال: يا أبا

عبدالله : سمعتك يوماً تحدثت عن بريدة بن الحصيبي الأسلمي أنه سمع بعض القوم الذين أمرهم رسول الله ﷺ أن يسلموا على علي بن أبي طالب بإمرة المؤمنين يقول لصاحبه : أما رأيت اليوم ما صنع محمد بابن عمه من التشريف وعلو المنزلة حتى لو قدر أن يجعله نبياً لفعل . فأجابه صاحبه فقال : لا يكبرن عليك ، فلو فقدنا محمداً لكان قوله تحت أقدامنا . وقد ظننت نداء بريدة لهما وهما على المنبر أنهما صاحبا القول . قال حذيفة : أجل . القائل عمر والمجيب أبو بكر . فقال الفتى : إنا لله وإنا إليه راجعون . هلك والله القوم ، وبطلت أعمالهم . قال حذيفة : ولم يزل القوم على ذلك الارتداد ، وما يعلم الله منهم أكثر .

قال الفتى : كنت أحب أن أتعرف هذا الأمر من فعلهم ، ولكنني أجذك مريضاً ، وأنا أكره أن أملك بحديثي ومسألتي . وقام لينصرف . قال حذيفة : لا ، اجلس يا ابن أخي وتلق مني حديثهم ، وإن كربني ذلك ، فلا أحسبني إلا مفارقهم . إني لا أحب أن تغتر بمنزلتهما في الناس ، فهذا ما أقدر عليه من النصيحة لك ، ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب من الطاعة له ولرسوله ﷺ وذكر منزلته . فقال : يا أبا عبدالله ، حدثني بما عندك من أمورهم لأكون على بصيرة من ذلك . فقال حذيفة : إذن والله لأخبرنك بخير سمعته ورأيت . ولقد والله دلنا على ذلك من فعلهم على أنهم والله ما آمنوا بالله ولا برسوله طرفة عين .

وأخبرك أن الله تعالى أمر رسوله ﷺ في سنة عشر من مهاجرته من مكة إلى المدينة أن يحج هو ويحج الناس معه ، فأوحى إليه بذلك : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾^(١) . فأمر رسول الله ﷺ المؤذنين ، فأذنوا في أهل السافلة والعالية ألا إن رسول الله ﷺ قد عزم على الحج في عامه هذا ليفهم الناس حجهم ، ويعلمهم مناسكهم ، فيكون سنة لهم إلى آخر الدهر . قال : فلم يبق أحد ممن

(١) سورة الحج : آية ٢٧ .

دخل في الإسلام إلا حجّ مع رسول الله ﷺ سنة عشرٍ ليشهد منافع لهم، ويعلمهم حجّهم، ويعرفهم مناسكهم. وخرج رسول الله ﷺ بالناس، وعرف الناس جميع ما احتاجوا إليه، وأعلمهم أنه قد أقام لهم ملة إبراهيم عليه السلام، وقد أزال عنهم جميع ما أحدثه المشركون بعده، وردّ الحج إلى حالته الأولى، ودخل مكة، فأقام بها يوماً واحداً، فهبط جبرئيل عليه السلام بأول سورة العنكبوت. فقال: يا محمد، اقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿الْم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ. وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ. أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (١).

فقال رسول الله ﷺ: يا جبرئيل، وما هذه الفتنة؟ فقال: يا محمد، إنّ الله يقرئك السلام، ويقول لك: إني ما أرسلت نبياً قبلك إلا أمرته عند انقضاء أجله أن يستخلف على أمته من بعده من يقوم مقامه، ويحيى لهم سنته وأحكامه. فالمطيعون لله فيما يأمرهم به رسوله هم الصادقون. والمخالفون على أمره هم الكاذبون. وقد دنا يا محمد مصيرك إلى ربك وجنته، وهو يأمرك أن تنصب لأمتك من بعدك علي بن أبي طالب عليه السلام، وتعهد عليه. فهو الخليفة القائم برعيتك وأمتك، إن أطاعوه أسلموا، وإن عصوه كفروا، وسيفعلون ذلك. وهي الفتنة التي تلوت الآي فيها. وإنّ الله عز وجل يأمرك أن تعلم جميع ما علمك، وتستحفظه جميع ما حفظك واستودعك. فإنّه الأمين المؤتمن. يا محمد، إني اخترتك من عبادي نبياً، واخترتك لك وصياً.

قال: فدعا رسول الله ﷺ علياً يوماً، فخلابه يومه ذلك وليته، واستودعه العلم والحكمة التي أتاه الله إياها، وعرفه ما قال جبرئيل عليه السلام، وكان ذلك في يوم عائشة بنت أبي بكر. فقالت: يا رسول الله، لقد طال استخلاؤك بعلي منذ اليوم؟ قال: فأعرض عنها رسول الله ﷺ. فقالت: لم

(١) سورة العنكبوت: آية ١ و ٢ و ٣ و ٤.

تعرض عني يا رسول الله بأمرٍ لعله يكون لي صلاحاً؟ فقال: صدقت. أيم الله، إنه لأمرٌ صلاحٍ لمن أسعده الله بقبوله والإيمان به، وقد أمرتُ بدعاء الناس جميعاً إليه، وستعلمين ذلك، إذا أنا قمتُ به في الناس. قالت: يا رسول الله، ولم لا تخبرني به الآن لأتقدم بالعمل به، والأخذ بما فيه صلاح؟ قال: سأخبرك به. فاحفظيه إلى أن أومر بالقيام به في الناس جميعاً. فإنك إن حفظته حفظك الله تعالى في العاجلة والآجلة جميعاً. وكان لك الفضيلة بالسبق والمسارة إلى الإيمان بالله ورسوله. وإن أضعتِه وتركتِ رعاية ما أُلقي إليك منه كفرت بربك وحبط أجرُك، وبرأت منك ذمّة الله وذمّة رسوله، وكنت من الخاسرين، ولم يضر الله ذلك ولا رسوله. فضمنتُ له حفظه والإيمان به ورعايته. فقال: إن الله تعالى أوحى إليّ أن عمري قد انقضى، وأمرني أن أنصب عليّاً للناس علماً، واجعله منهم إماماً، وأستخلفه كما استخلف الأنبياء من قبلي أوصياءها. وأنا صائر إلى أمر ربي، وأخذ فيه بأمره. فليكن هذا الأمرُ منك تحت سويداء قلبك إلى أن يأذن الله بالقيام به. فضمنتُ له ذلك، وقد أطلع الله نبيه على ما يكون منها فيه وصاحبته حفصة وأبويهما.

فلم تلبث أن أخبرت حفصة، وأخبرت كل واحدةٍ منهما أباهما. فاجتمعتا، فأرسلا إلى جماعة الطلقاء والمنافقين، فخبّراهم بالأمر، فأقبل بعضهم على بعض، وقالوا: إن محمداً يريد أن يجعل هذا الأمر في أهل بيته كسنة كسرى وقيصر إلى آخر الدهر. لا والله ما لكم في الحياة من حظٍّ إن أفضى هذا الأمر إلى علي بن أبي طالب، وأن محمداً عاملكم على ظاهركم، وأن علياً عاملكم على ما يجد في نفسه منكم، فأحسِنُوا النّظر لأنفسكم في ذلك، وقدموا رأيكم فيه، ودار الكلام فيما بينهم، وأعادوا الخطاب، وأجالوا الرأي، فاتفقوا على أن ينفروا بالنبي عليه السلام ناقتَه على عقبة (الهرشي)، وقد كانوا صنعوا مثل ذلك في غزوة تبوك، فصرف الله الشر عن نبيه عليه السلام، واجتمعوا في أمر رسول الله عليه السلام من القتل والاغتيال، وإسقاء السم على غير وجه، وقد كان اجتمع أعداء رسول الله عليه السلام من الطلقاء من قريش، والمنافقين من الأنصار، ومن كان في قلبه الارتداد من العرب في المدينة وما

حولها، فتعاقدوا وتحالفوا أن ينفروا به ناقتة، وكانوا أربعة عشر رجلاً. وكان من عزم رسول الله ﷺ أن يقيم علياً، وينصبه للناس بالمدينة إذا قدم، فسار رسول الله ﷺ يومين وليلتين. فلما كان في اليوم الثالث أتاه جبرئيل عليه السلام بآخر سورة الحجر، فقال: ﴿فَورِّبْكَ لِنِسَائِهِمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (١).

قال: ورحل رسول الله ﷺ، وأخذ السير مسرعاً على دخول المدينة، لينصب علياً عليه السلام. فلما كانت الليلة الرابعة هبط جبرائيل عليه السلام في آخر الليل، فقرأ عليه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢)، وهم الذين هموا برسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «أما تراني يا جبرئيل أغد (أي أسرع) السير، مُجِدِّداً فيه لأدخل المدينة، فأعرض ولايته على الشاهد والغائب». فقال له جبرئيل عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْرِضَ وَلَايَتَهُ غَدًا إِذَا نَزَلْتَ مِنْ ذَلِكَ. فقال رسول الله ﷺ: «نعم، يا جبرئيل غداً أفعل ذلك إن شاء الله تعالى. وأمر رسول الله ﷺ بالرحيل من وقته، وسار الناس معه حتى نزل بغدير خم، وصلى بالناس، وأمرهم أن يجتمعوا إليه، ودعا علياً عليه السلام، ورفع رسول الله ﷺ يده على اليسرى بيده اليمنى، ورفع صوته بالولاء لعلي عليه السلام على الناس أجمعين. وفرض طاعته عليهم، وأمرهم ألا يختلفوا عليه بعده، وخبرهم أن ذلك عن الله عز وجل. وقال لهم: أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ فقالوا: بلى، يا رسول الله. قال: «فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ. اللَّهُمَّ وَالِ مِنَ الْوَالِهِ، وَعَادِ مِنْ عَادَاهُ، وَانصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ». ثُمَّ أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَبَايَعُوهُ. فبايعه الناس جميعاً، ولم يتكلم منهم أحد. وقد كان أبو بكر وعمر تقدما إلى الجحفة، فَبَعَثَ وَرَدَهُمَا. ثُمَّ قَالَ لِهَما النَّبِيُّ ﷺ: مُتَّجِهًا، يابن أبي قحافة

(١) سورة الحجر: آية ٩٤ - ٩٥.

(٢) سورة المائدة: آية ٦٧.

ويا عمر بايعا علياً بالولاية من بعدي . فقالا : أمرٌ من الله ومن رسوله ﷺ ؟
فقال : وهل يكون مثل هذا من غير أمر الله ؟ نعم ، من أمر الله ومن رسوله ﷺ
فبايعا ، وانصرفا .

وسار رسول الله ﷺ باقي يومه وليلته ، حتى إذا أدنوا من عقبة
«هرشي» تقدّمه القوم ، فتواروا في ثنية العقبة ، وقد حملوا معهم دباباً ،
وطرحوا فيها الحصى . فقال حذيفة : فدعاني رسول الله ﷺ ودعا عمار بن
ياسر ، وأمره أن يسوقها ، وأنا أقودها ، حتى إذا صرنا في رأس العقبة ، سار
القوم من ورائنا ، ودحربوا الدباب بين قوائم الناقة ، فذعرت ، وكادت تنفر
برسول الله ﷺ . فصاح بها النبي ﷺ أن اسكّتي ، فليس عليك بأس .
فأنطقها الله بقول عربي فصيح فقالت : والله يا رسول الله ، لا أزلت يداً عن
مستقرّ يد ، ولا رجلاً عن موضع رجل ، وأنت على ظهري ! فتقدّم القوم إلى
الناقة ليدفعوها ، فأقبلت أنا وعمار نضرب وجوههم بأسفاننا ، وكانت ليلة
مظلمة ، فزالوا عنا وآيسوا ممّا ظنوا ودبروا . فقلت : يا رسول الله ، من هؤلاء
القوم الذين يريدون ما ترى ؟ فقال : يا حذيفة ، هؤلاء المنافقون في الدنيا
والآخرة . فقلت : ألا تبعث إليهم يا رسول الله رهطاً فيأتوا برؤوسهم ؟ فقال :
إن الله أمرني أن أعرض عنهم ، وأكره أن يقول الناس : إنه دعا ناساً من قومه
وأصحابه إلى دينه فاستجابوا له ، فقاتل بهم حتى إذا ظهر على عدوه أقبل
إليهم فقتلهم . ولكن دعهم يا حذيفة ، فإن الله لهم بالمرصاد ، وسيمهلهم قليلاً
حتى يضطرهم إلى عذاب غليظ . فقلت : من هؤلاء القوم المنافقون يا
رسول الله ؟ أمن المهاجرين أم من الأنصار ؟ فسماهم لي رجلاً رجلاً حتى فرغ
منهم . وقد كان فيهم أناس كنت كارهاً أن يكونوا فيهم . فأمسكت عند ذلك .
فقال رسول الله ﷺ : «يا حذيفة كأنك شاك في بعض من سميت لك ؟
ارفع رأسك إليهم» . فرفعت طرفي إلى القوم ، وهم وقوف على الثنية ، فبرقت
برقاً وأضاءت جميع ما حولها ، وثبت البرقة حتى خلّتها شمساً طالعة ، فنظرت
والله إلى القوم ، فعرفتهم رجلاً رجلاً ، فإذا هم كما قال رسول الله ﷺ :
«عدد القوم أربعة عشر رجلاً ، تسعة من قریش ، وخمسة من سائر الناس» .

فقال له الفتى : سَمِّهِمْ ، يرحمك الله . قال حذيفة : هم والله أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمر بن العاص . هؤلاء من قريش . وأما الخمسة الآخر فأبو موسى الأشعري، والمغيرة بن شعبة الثقفي، وأوس بن الحدثان البصري، وأبو هريرة، وأبو طلحة الأنصاري . قال حذيفة : ثم انحدرنا من العقبة، وقد طلع الفجر، فنزل رسول الله ﷺ فتوضأ وانتظر أصحابه من العقبة واجتمعوا . فرأيتُ القوم بأجمعهم، وقد دخلوا مع الناس وصلُّوا خلف رسول الله ﷺ .

فلما انصرف من صلاته التفت، فنظر إلى أبي بكر وعمر وأبي عبيدة يتناجون . فأمر منادياً فنادى في الناس : « لا يجتمع ثلاثة نفر من الناس يتناجون فيما بينهم بسرّ »، وارتحل رسول الله ﷺ بالناس من منزل العقبة . فلما نزل المنزل الآخر رأى سالم مولى أبي حذيفة وأبا بكر وعمر وأبا عبيدة يسار بعضهم بعضاً، فوقف عليهم وقال : أليس قد أمر رسول الله ﷺ ألا يجتمع ثلاثة نفر من الناس على سرّ واحد؟ والله لتخبروني فيما أنتم، وإلا أتيت رسول الله ﷺ حتى أخبره بذلك منكم . فقال أبو بكر : يا سالم، أعليك عهد الله وميثاقه لئن نحن أخبرناك بالذي نحن فيه، وبما اجتمعنا له إن أحببت أن تدخل معنا فيه دخلت . وكنت رجلاً منّا . وإن كرهت ذلك كتمته علينا؟ فقال سالم : لكم ذلك . وأعطاهم بذلك عهداً وميثاقاً . وكان سالم شديد البغض والعداوة لعلي بن أبي طالب عليه السلام ، وعرفوا ذلك منه، فقالوا له : إنا قد اجتمعنا على أن نتحالف ونتعاقد على أن لا نطيع محمداً ﷺ فيما فرض علينا من ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام بعده . فقال لهم سالم : عليكم عهد الله وميثاقه، إن كنتم في هذا الأمر تخوضون وتتناجون! قالوا : أجل ، علينا عهد الله وميثاقه أنا إنما كنّا في هذا الأمر لا في شيءٍ سواه . قال سالم : وأنا والله أول من يعاقدكم على هذا الأمر، ولا يخالفكم عليه . والله ما طلعت الشمس على أهل بيت أبغض إليّ من بني هاشم! ولا من بني هاشم أبغض إليّ ولا أمقت من علي بن أبي طالب عليه السلام . فاصنعوا في هذا الأمر ما

بدا لكم، فإني واحد منكم. فتعاقدوا من وقتهم على هذا الأمر، ثم تفرقوا. فلما أراد رسول الله ﷺ المسير أتوه، فقال لهم: فيما كنتم تتناجون في يومكم هذا وقد نهيتكم عن النجوى؟ فقالوا: يا رسول الله ما التقينا غير وقتنا هذا. فنظر إليهم النبي ﷺ ملياً، ثم قال لهم: أنتم أعلم أم الله؟ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنْ اللَّهِ. وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١).

ثم سار حتى دخل المدينة، واجتمع القوم جميعاً، وكتبوا صحيفة بينهم على ذكر ما تعاهدوا عليه في هذا الأمر. وكان أول ما في الصحيفة النكت لولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، وأن الأمر لأبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسالم معهم ليس بخارج عنهم. وشهد بذلك أربعة وثلاثون رجلاً، هؤلاء أصحاب العقبة، وعشرون رجلاً آخر، واستودعوا الصحيفة أبا عبيدة بن الجراح، وجعلوه أمينهم عليها.

قال: فقال له الفتى: يا أبا عبد الله، يرحمك الله. هبنا نقل: إن هؤلاء القوم رضوا بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة، لأنهم عن مشيخة قريش، فما بالهم رضوا بسالم؟ وليس هو من قريش، ولا من المهاجرين، ولا من الأنصار. إنما هو لامرأة من الأنصار؟ قال حذيفة: يا فتى، إن القوم أجمع تعاقدوا على إزالة هذا الأمر عن علي بن أبي طالب عليه السلام حسداً منهم له وكراهةً لإمرته، واجتمع لهم مع ذلك ما كان في قلوب قريش عليه من سفك الدماء، وكان خاصة رسول الله ﷺ. وكانوا يطلبون الثأر الذي أوقعه رسول الله ﷺ بهم من عند علي عليه السلام من بني هاشم، فإنما كان العقد على إزالة هذا الأمر عن علي عليه السلام من هؤلاء الأربعة عشر، وكانوا يريدون أن سألماً رجلاً منهم.

فقال الفتى: فخبّرني - يرحمك الله - عما كتب جميعهم في الصحيفة لأعرفه. فقال: حدثتني بذلك أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة أبي بكر، أن القوم اجتمعوا في منزل أبي بكر، فتأمروا في ذلك، وأسماء تسمعهم وتسمع

(١) سورة البقرة: آية ١٤٠.

جميع ما يدبرونه في ذلك، حتى اجتمع رأيهم على ذلك، فأمرُوا سعد بن العاص الأموي فكتب لهم الصَّحيفة باتِّفاقٍ منهم، وكانت نسخة الصَّحيفة:

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

هذا ما اتَّفَق عليه المَلَأ من أصحاب مُحَمَّد رسول الله ﷺ المهاجرين والأنصار الَّذِينَ مدَّحهم الله في كتابه على لسان نبيِّه ﷺ، اتَّفَقوا جميعاً بعد أن أجهَدوا في رأيهم، وتشاوروا في أمورهم، وكتبوا هذه الصَّحيفة نظراً منهم إلى الإسلام وأهله، على غابر الأيام، وباقي الدُّهور، ليقتدي بهم من يأتي بعدهم من المسلمين.

أمَّا بعد: فَإِنَّ الله بَمَنِّه وكرمه بعث مُحَمَّدًا رسولاً إلى النَّاس كافَّةً بدينه الَّذي ارتضاه لعباده، فأدَّى ذلك، وبلغ ما أمره الله به، وأوجب علينا القيام بجميعه حتى إذا أكمل الدِّين وفرض الفرائض، وأحكم السُّنن، فاختر الله له ما عنده، فقَبَضَهُ إليه مَكْرَمًا محبوراً من غير أن يستخلف أحداً من بعده، وجعل الاختيارَ إلى المسلمين يختارون لأنفسِهِمْ مَنْ وثقوا برأيه ونصحه، وإنَّ للمسلمين في رسول الله أُسْوَةٌ حسنة. قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾^(١). وإن رسول الله لم يستخلف أحداً لثلاً يجري ذلك في أهل بيتٍ واحد، فيكون إرثاً دون سائر المسلمين، ولثلاً يكون دولة بين الأغنياء منكم، ولأن لا يقول المستخلف: إنَّ هذا الأمرَ باقٍ في عقبه من والدٍ إلى ولد، إلى يوم القيامة. والذي يجب على المسلمين عند مضيِّ خليفة من الخلفاء أن يجتمع ذوو الرَّأي والصَّلاح منهم ليشاوروا في أمورهم. فمن رأوه مستحقاً لها ولَّوه أمورهم، وجعلوه القيمَ عليهم، فإنَّه لا يخفى على أهلِ كلِّ زمان من يصلح منهم للخلافة.

فإن ادَّعى مُدَّعٍ من النَّاس جميعاً أنَّ رسول الله ﷺ استخلف رجلاً بعينه، نصبه للنَّاس، ونصَّ عليه باسمه ونسبه، فقد أبطل في قوله، وأتى

(١) سورة الأحزاب: آية ٢١.

بخلاف ما يعرفه أصحاب رسول الله ﷺ ، وخالف على جماعة من المسلمين، وإن ادعى مدّع أن خلافة رسول الله ﷺ إرث، وأن رسول الله ﷺ يورث، فقد أحال في قوله، لأن رسول الله ﷺ قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة».

وإن ادعى مدّع أن الخلافة لا تصلح إلا لرجل واحد من بين الناس جميعاً، وأنها مقصورة فيه، ولا ينبغي لغيره، لأنها تتلو النبوة فقد كذب، لأن النبي ﷺ قال: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم». وإن ادعى مدّع أنه مستحق الخلافة والإمامة لقربا من رسول الله ﷺ، ثم هي مقصورة عليه وعلى عقبه يرثها الولد منهم عن والده، ثم هي كذلك في كل عصر وزمان لا تصلح لغيرهم، ولا ينبغي أن يكون لأحد سواهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فليس له ولا لولده، وإن دنا من النبي ﷺ نسبه، لأن الله يقول: وقوله القاضي على كل أحد، «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ». وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ ذِمَّةَ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، وَكُلُّهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ». فمن آمن بكتاب الله وأقر بسنة رسول الله ﷺ فقد استقام وأتاب، وأخذ بالصواب، ومن كره ذلك من فعالهم فقد خالف الحق والكتاب، وفارق جماعة المسلمين، فاقتلوه، فإن في قتله صلاحاً للأمة، فقد قال رسول الله ﷺ: «من جاء إلى أمّتي وهم جميع ففرّق بينهم فاقتلوه، واقتلوا الفرد كائناً من كان من الناس، فإن الاجتماع رحمة، والفرقة عذاب، ولا تجتمع أمّتي على الضلال أبداً، وإن المسلمين يدٌ واحدة على من سواهم، وإنه لا يخرج من جماعة المسلمين إلا مفارق معانداً لهم، ومظاهر عليهم أعداءهم، فقد أباح الله ورسوله دمه وأحل قتله».

وكتب سعد بن العاص باتفاق من أثبت إسمه وشهادته آخر هذه الصحيفة في المحرم الحرام سنة عشر من الهجرة. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم. ثم دفعت الصحيفة إلى أبي عبيدة بن الجراح، فوجه بها إلى مكة. فلم تزل الصحيفة في الكعبة مدفونة

إلى أن ولي عمر بن الخطاب، فاستخرجها من موضعها، وهي الصحيفة التي يتمني أمير المؤمنين عليه السلام لما توفي عمر فوقف به وهو مسجى بثوبه فقال: «ما أحب أن ألقى الله بصحيفة هذا المسجى».

ثم انصرفوا، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر. ثم جلس في مجلسه يذكر الله عز وجل حتى طلعت الشمس، فالتفت إلى أبي عبيدة بن الجراح، فقال له: بخ بخ من مثلك! لقد أصبحت أمين هذه الأمة، ثم تلا: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾^(١).

لقد أشبه هؤلاء رجالاً في هذه الأمة يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول. وكان الله بما يعملون محيطاً. ثم قال: لقد أصبح في هذه الأمة في يومي هذا قوم ضاهوهم في صحيفتهم التي كتبوها علينا في الجاهلية، وعلقوها في الكعبة، وإن الله تعالى يعذبهم عذاباً ليليلهم، ويبتلي من يأتي بعدهم تفرقة بين الخبيث والطيب، ولولا أنه سبحانه أمرني بالإعراض عنهم للأمر الذي هو بالغه، لقدمتهم فضربت أعناقهم.

قال حذيفة: فوالله لقد رأينا هؤلاء النفر عند قول رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المقالة، وقد أخذتهم الرعدة، فما يملك أحد منهم من نفسه شيئاً، ولم يخف على أحد ممن حضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم أن رسول الله إياهم عنى بقوله، ولهم ضرب تلك الأمثال بما تلا من القرآن.

قال: ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك، نزل بمنزل أم سلمة زوجته. فأقام شهراً لا ينزل منزلاً سواه من منازل أزواجه، كما كان يفعل قبل ذلك. قال: فشكت عائشة وحفصة ذلك إلى أبيهما، فقالا لهما: إنا لنعلم لم صنع ذلك ولأي شيء هو. إمضيا إليه، فلاطفاه في الكلام، وخادعاه عن

(١) سورة البقرة: آية ٧٩.

نفسه، فإنكما تجدانه حياً كريماً، فلعلكما تسألان ما في قلبه، وتستخرجان سخيته. قال: فمضت عائشة وحدها إليه، وأصابته في منزل أم سلمة، وعنده علي بن أبي طالب عليه السلام. فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «ما جاء بك يا حميرا؟» قالت: يا رسول الله، أنكرتُ تخلفك عن منزلك هذه المدة. وأنا أعوذ بالله من سخطك يا رسول الله. فقال: «لو كان الأمر كما تقولين لما أظهرتِ بسرَّ وصيتك بكتمانه. لقد هلكتِ وأهلكتِ أمةً من الناس».

قال: ثم أمر خادمةً لأم سلمة فقال: اجمعي لي هؤلاء يعني نساءً فجمعتهن له في منزل أم سلمة. فقال لهن: «اسمعن ما أقول». لكن: وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام. فقال لهن: «هذا أخي ووصيي ووارثي والقائم فيكن وفي الأمة من بعدي، فأطعنه فيما يأمرُكن به، ولا تعصينه فتهلكن بمعصيته». ثم قال: «يا علي أوصيك بهن، فأمسكهن ما أطعن الله وأطعنك، وأنفق عليهن من مالك، ومُرهن بأمرِك، وأنهنَّ عما يريئك، وخل سبلهنَّ إن عصينك». فقال علي عليه السلام: يا رسول الله، إنهنَّ نساء، وفيهنَّ الوهنُ وضعفُ الرأي! فقال: «ارفق بهنَّ، ما كان الرِّفق أمثلَ بهنَّ، فمن عصاك منهنَّ فطلقها طلاقاً يبرأ الله ورسوله منها». فقال: وكلَّ نساء النبي صلى الله عليه وسلم قد صمتن، فما يقلن شيئاً. فتكلّمت عائشة، فقالت: يا رسول الله، ما كنا لتأمرنا بشيء فنخالفه إلى ما سواه. فقال لها: «بلى، يا حميراء، لقد خالفتِ أمري أشدَّ خلاف. وأيم الله لتخالفين قولي هذا، ولتعصينه بعدي، ولتخرجين من البيت الذي أخلفك فيه متبرجةً قد حفَّ بك فئام^(١) من الناس، فتخالفينه ظالمةً له، عاصيةً لربك، ولتبحنك في طريقك كلاب الحوَّاب. ألا إن ذلك كائن». ثم قال: قمن، فانصرفن إلى منازلكن. قال: «فقمن وانصرفن».

قال: ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع أولئك النفر ومن والاهم على علي، وطابقهم على عداوته، ومن كان من الطلقاء والمنافقين. وكانوا زهاء من أربعة

(١) الفئام: الجماعة من الناس.

آلاف رجل، فجعلهم تحت يدي أسامة بن زيد مولاة، وأمّره عليهم، وأمّره بالخروج إلى ناحية من الشام، فقالوا: يا رسول الله إنا قدّمنا من سفرنا الذي كنّا فيه معك. ونحن نسألك أن تأذن لنا المقام لنصلح من شأننا ما يصلحنا في سفرنا. قال: فأمرهم أن يكونوا في المدينة ريث إصلاح ما يحتاجون إليه. وأمر أسامة بن زيد يعسكرهم، فعسكر بهم على أميال من المدينة، فأقام بمكانه الذي حدّ له رسول الله ﷺ منتظراً للقوم أن يوافوه إذا فرغوا من أمورهم، وقضوا حوائجهم. وإنّما أراد رسول الله ﷺ بما صنع من ذلك أن تخلوا المدينة منهم، ولا يبقى بها أحد من المنافقين.

قال: فهّم على ذلك من شأنهم، ورسول الله ﷺ دائب يحثهم، ويأمرهم بالخروج والتّجّيل إلى الوجه الذي ندبهم إليه، إذ مرّض رسول الله ﷺ مرضه الذي توفي فيه، فلمّا رأوا ذلك تباطؤوا عما أمرهم رسول الله ﷺ من الخروج فأمر قيس بن سعد بن عبادة، وكان سيّاف رسول الله، والحبّاب بن المنذر في جماعة من الأنصار أن يرحلوا بهم إلى عسكرهم، فأخرجهم قيس بن سعد والحبّاب بن المنذر حتّى ألحقاهم بمعسكرهم، وقال لأسامة: إنّ رسول الله ﷺ لم يرخص لك في التخلّف، فسرّ من وقتك هذا ليعلم رسول الله ﷺ ذلك. فارتحل بهم أسامة، وانصرف قيس والحبّاب إلى رسول الله ﷺ. فأعلماه برحلة القوم. فقال لهما: «إنّ القوم غير سائرين من مكانهم».

قال: دخل أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بأسامة وجماعة من أصحابه، فقالوا: إلى أين تنطلق وتخلي المدينة، ونحن أحوج ما كنّا إليها وإلى المقام بها؟ فقال لهم: وما ذلك؟ قالوا: إنّ رسول الله ﷺ قد نزل به الموت. والله لئن خلينا المدينة ليحدثنّ بها أمور لا يمكن إصلاحها. ننظر ما يكون من أمر رسول الله ﷺ، ثمّ المصير بين أيدينا. قال: فرجع القوم إلى المعسكر الأوّل، فأقاموا به، وبعثوا رسولاّ يتعرّف لهم أمر رسول الله ﷺ، فأتى الرسول إلى عائشة، فسألها عن ذلك سرّاً، فقالت: امض إلى أبي بكر وعمر ومن معهما، وقلّ لهما: إنّ رسول الله ﷺ قد ثقل، فلا يبرحن أحد منكم،

وأنا أعلمكم الخبر وقتاً بعد وقتٍ، واشتدَّت علة رَسولِ الله ﷺ . فدَعَتْ عائِشةُ صُهييًّا، فقَالَتْ: امْضِ إِلَى أَبِي وَأَعْلَمْهُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ فِي حَالٍ لَا يُرْجَى . فَهَلُمَّ إِلَيْنَا أَنْتَ وَعَمْرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَمَنْ رَأَيْتُمْ أَنْ يَدْخُلَ مَعَكُمْ . وَلِيَكُنْ دُخُولُكُمْ فِي اللَّيْلِ سِرًّا . قَالَ: فَاتَاهُمُ الْخَبْرُ، فَأَخَذُوا بِيَدِ صُهَيْبٍ فَأَدْخَلُوهُ إِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، فَأَخْبَرُوهُ الْخَبْرَ . وَقَالُوا لَهُ: كَيْفَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَخَلَّفَ عَنْ مُشَاهَدَةِ رَسولِ الله ﷺ ؟ وَاسْتَأْذِنُوهُ فِي الدُّخُولِ، فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَعْلَمَ بِدُخُولِهِمْ أَحَدٌ . وَإِنْ عَوْفِي رَسولُ الله ﷺ رَجَعْتُمْ إِلَى عَسْكَرِكُمْ، وَإِنْ حَدَثَ حَدَثُ الْمَوْتِ عَرَّفُونَا ذَلِكَ، لَنَكُونَ فِي جَمَاعَةِ النَّاسِ .

فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ لَيْلًا الْمَدِينَةَ، وَرَسولُ الله ﷺ قَدْ ثَقُلَ . فَأَفَاقَ بَعْضُ الْإِفَاقَةِ . فَقَالَ: «لَقَدْ طَرَقَ لَيْلَتُنَا هَذِهِ الْمَدِينَةُ شَرٌّ عَظِيمٌ» . فَقِيلَ: وَمَا هُوَ يَا رَسولَ الله ؟ قَالَ: «إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا فِي جَيْشِ أُسَامَةَ قَدْ رَجَعَ نَفَرٌ مِنْهُمْ يَخَالِفُونَ أَمْرِي . أَلَا إِنِّي إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَيَحْكُمُ نَفْسُوكُمْ جَيْشُ أُسَامَةَ» . فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ، حَتَّى قَالَهَا مَرَّاتٍ كَثِيرَةً . قَالَ: وَكَانَ بِلَالٌ مُؤَذِّنُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ فِي كُلِّ وَقْتٍ صَلَاةً، فَإِنْ قَدَّرَ عَلَى الْخُرُوجِ تَحَامَلَ وَخَرَجَ، وَصَلَّى بِالنَّاسِ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ لَا يَزَايِلَانِي فِي مَرْضِيهِ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسولُ الله ﷺ مِنْ لَيْلَتِهِ تِلْكَ الَّتِي قَدِمَ فِيهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ يَدِ أُسَامَةَ أُذُنَ بِلَالٍ، ثُمَّ أَتَاهُ يَخْبِرُهُ كَعَادَتِهِ، فَوَجَدَهُ قَدْ ثَقُلَ . فَمَنَعَ مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ . فَأَمَرَتْ عَائِشَةُ صُهَيْبًا أَنْ يَمْضِيَ إِلَى أَبِيهَا فَيَعْلَمَهُ أَنَّ رَسولَ الله ﷺ قَدْ ثَقُلَ فِي مَرْضَاهُ، وَلَيْسَ يَطِيقُ النَّهْوضَ إِلَى الْمَسْجِدِ . وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَدْ شُغِلَ بِهِ، وَبِمُشَاهَدَتِهِ عَنِ الصَّلَاةِ بِالنَّاسِ . فَاخْرُجْ أَنْتَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَصَلِّ بِالنَّاسِ، فَإِنَّهَا حَالَةٌ تَهْنِئُكَ، وَحُجَّةٌ لَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ .

قَالَ: فَلَمْ يَشْعُرِ النَّاسُ، وَهُمْ فِي الْمَسْجِدِ، يَنْتَظِرُونَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ أَوْ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَصَلِّي بِهِمْ كَعَادَتِهِ الَّتِي عَرَفُوهَا فِي مَرْضَاهُ، إِذْ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الْمَسْجِدَ وَقَالَ: إِنَّ رَسولَ الله ﷺ ثَقُلَ، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَصَلِّيَ بِالنَّاسِ . فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسولِ الله ﷺ: وَأَنْتَ لَكَ ذَلِكَ؟ وَأَنْتَ فِي جَيْشٍ

أسامة، لا والله لا أعلم أحداً بعث إليك، ولا أمرك بالصلاة. ثم نادى الناس بلالاً، فقال: على رسلكم - رحمكم الله - لأستأذن رسول الله ﷺ في ذلك.

ثم أسرع حتى أتى الباب، فدقّه شديداً، فسمعه رسول الله ﷺ فقال: «ما هذا الدق العنيف؟» فانظروا ما هو؟ قال: فخرج الفضل بن العباس، ففتح الباب، فإذا بلال. فقال: ما وراءك يا بلال؟ فقال: إن أبا بكر قد دخل المسجد، وتقدم حتى وقف في مقام رسول الله ﷺ، وزعم أن رسول الله ﷺ أمره بذلك. فقال: أوليس أبو بكر مع أسامة في الجيش؟ هذا والله هو الشر العظيم الذي طرق البارحة المدينة. لقد خبرنا رسول الله ﷺ بذلك، ودخل الفضل وأدخل بلالاً معه. فقال: ما وراءك يا بلال؟ فأخبر رسول الله ﷺ الخبر. فقال: «أقيموني، أخرجوني إلى المسجد. والذي نفسي بيده قد نزلت بالإسلام نازلة، وفتنة عظيمة من الفتن». ثم خرج معصوب الرأس يتهادى بين علي والفضل بن العباس، ورجلاه يجران في الأرض، حتى دخل المسجد، وأبو بكر قائم في مقام رسول الله ﷺ، وقد أطاف به عمر وأبو عبيدة وسالم وصهيب، والنفر الذين دخلوا، وأكثر الناس قد وقفوا عن الصلاة ينتظرون ما يأتي به بلال.

فلما رأى الناس رسول الله ﷺ قد دخل المسجد، وهو بتلك الحالة العظيمة من المرض، أعظموا ذلك، وتقدم رسول الله ﷺ، وجذب أبا بكر من رداءه فنحاه عن المحراب، وأقبل أبو بكر والنفر الذين كانوا معه، فتواروا خلف رسول الله ﷺ، وأقبل الناس فصلّوا خلف رسول الله ﷺ وهو جالس. وبلال يسمع الناس التكبير حتى قضى صلاته. ثم التفت فلم ير أبا بكر. فقال: «أيها الناس، ألا تعجبون من ابن أبي قحافة وأصحابه الذين أنفذتهم، وجعلتهم تحت يدي أسامة، وأمرتهم بالمسير إلى الوجه الذي وجهوا إليه، فخالفوا ذلك، ورجعوا إلى المدينة ابتغاء الفتنة. ألا وإن الله قد أركسهم فيها. أخرجوا بي إلى المنبر». فقام وهو مربوط حتى قعد على أدنى مرقاة، فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال: «أيها الناس، قد جاءني من أمر ربي ما الناس

إليه صائرون. وإني قد تركتكم على المحجة الواضحة، ليلتها كنهارها. فلا تختلفوا من بعدي، كما اختلف من كان قبلكم من بني إسرائيل. أيها الناس إنه لا أجل لكم إلا ما أحل القرآن، ولا أحرّم عليكم إلا ما حرّمه القرآن. وإني مخلف فيكم الثقلين. ألا ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا ولن تزلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي. هما الخليفةتان فيكم، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. فأسألكم بماذا خلّفتُموني فيهما، وليذاذنّ يومئذ رجال عن حوضي كما تُذاذ الغريبة من الإبل. فيقول رجال: أنا فلان وأنا فلان. فأقول: أما الأسماء فقد عرفت، ولكنكم ارتدّيتُم من بعدي. فسُحِقاً لكم سحقاً. ثم نزل عن المنبر، وعاد إلى حجرته، ولم يظهر أبو بكر ولا أصحابه حتى قبض رسول الله ﷺ. وكان من الأنصار وسعد في السقيفة ما كان. فمنعوا أهل بيت نبيهم حقوقهم التي جعلها الله عزّ وجلّ لهم. وأما كتاب الله فمزقوه كلّ ممزق. وفيما أخبرتك يا أبا الأنصار من خطب معتبر لمن أحبّ الله هدايته.

قال الفتى: سمّ لي القوم الآخرين الذين حضروا السقيفة وشهدوا فيها. فقال حذيفة: أبو سفيان، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية بن خلف، وسعيد بن العاص، وخالد بن الوليد، وعياش بن أبي ربيعة، وبشر بن سعد، وسهيل بن عمرو، وحكيم بن حزام، وصهيب بن سنان، وأبو الأعور السلمي، ومطيع بن الأسود المدري، وجماعة من هؤلاء ممّن سقط عني إحصاء عددهم. فقال الفتى: يا أبا عبد الله ما هؤلاء في أصحاب رسول الله ﷺ حتّى انقلب الناس أجمعون بسببهم؟ فقال حذيفة: إنّ هؤلاء رؤوس القبائل وأشرفها. وما من رجلٍ من هؤلاء إلاّ ومعه من الناس خلق عظيم يسمعون له ويطيعون، وأشربوا في قلوبهم من أبي بكر، كما أشرب في قلوب بني إسرائيل من حبّ العجل والسّامري حتّى تركوا هارون ليستضعفوه.

قال الفتى: فإني أقسم بالله حقاً أنّي لا أزال لهم مبغضاً، وإلى الله منهم ومن أفعالهم متبرئاً، ولا زلتُ لأمر المؤمنين بالله موالياً، ولألحقنّ به. وإني لأمل أن أرزق الشهادة معه وشيكاً إن شاء الله تعالى. ثم ودّع حذيفة

وقال: هذا وجهي إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فخرج إلى المدينة، واستقبله، وقد شخص من المدينة يريد العراق، فسار معه إلى البصرة، فلما التقى أمير المؤمنين عليه السلام مع أصحاب الجمل كان ذلك أول من قُتل من أصحاب أمير المؤمنين .

فحديثٌ حذيفة يفضح القومَ، ويكشف النقاب عن تآمرهم لاغتصاب علي حقه، شاء المخلصون لهذه العقيدة أم أبوا. ولقد حققوا ما أرادوه بواسطة التهديد والتعاون على الباطل، ولم يراعوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حرمةً، وهو على فراش الموت. فكيف يراعون حرمة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ؟ ولقد وقف كثير من الصحابة ضدهم، وخاصةً ضدّ أبي بكر عندما نصب نفسه خليفة المسلمين بعد رسول رب العالمين. ولكن المنصب برّاق وخادع، والإصرار على إحباط مخطط الرسول الذي رسمه لعلي بأمر رب العالمين جعله يعث بأوامر الرسول، ولا يقبل نصائح المخلصين من الصحابة. تلك النصائح التي يعلنها الشيخ محمد حسن القبيسي في كتابه «الأحاديث الصافية عن العترة الطاهرة» فهو يقول:

فأول من تكلم خالد بن سعيد بن العاص، وقال: اتق الله يا أبا بكر، فقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ونحن محتوشوه يوم بني قريظة حين فتح الله له باب النصر، وقد قتل علي بن أبي طالب عليه السلام يومئذ عدّة من صناديد رجالهم، وأولي البأس والنجدة منهم:

يا معشر المهاجرين والأنصار إنني موصيكم بوصية فاحفظوها، ومودعكم أمراً فاحفظوه. ألا إن علي بن أبي طالب أميركم بعدي، وخليفتي فيكم، بذلك أوصاني ربي. ألا وإنكم إن لم تحفظوا فيه وصيتي، وتؤازروه وتنصروه اختلفتم في أحكامكم واضطرب عليكم أمر دينكم ودنياكم، ووليكم أشراركم.

ألا وإن أهل بيتي هم الوارثون لأمري، والعالمون لأمر أمّتي من بعدي. اللهم من أطاعهم من أمّتي، وحفظ فيهم وصيتي فاحشرهم في زمرتي، واجعل لهم نصيباً من مرافقتي. يدركون به نور الآخرة. اللهم ومن أساء

خلافتي في أهل بيتي فأحرمه الجنة التي عرضها كعرض السموات والأرض.

فقال عمر بن الخطاب: اسكُت يا خالد، فلست من أهل المشورة ولا ممن يقتدى برأيه. فقال له خالد: بل اسكُت يابن الخطاب. فإنك تنطق على لسان غيرك. وأيم الله لقد عَلِمْتُ قريش أنك من ألوها حسباً، وأدناها منصباً، وأخسها قدراً، وأخملها ذكراً، وأقلهم عناءً عن الله ورسوله. وإنك لجبان في القتال، بخيل بالمال، لئيم العنصر، مالك في قريش من فخر، ولا في الحروب من ذكر. وإنك في هذا الأمر بمنزلة الشيطان: ﴿إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾. فكان عاقبتهم أنهما في النار خالد بن سعيده. أميراً عليهما وعلى سائر المنافقين في الوقت الذي أنفذه رسول الله ﷺ في غزاة السلاس. وإن عمراً قلدكم حرس عسكره. فأين الحرس إلى الخلافة؟

ثم قام سلمان الفارسي وقال: (كرديد ونكرديد) أي فعلتم ولم تفعلوا. وقد كان امتنع من البيعة قبل ذلك حتى وُجِىءَ عنقه.

فقال: يا أبا بكر، إلى من تسندُ أمرك إذا نزل بك ما لا تعرفه؟ وإلى من تفرع إذا سُئِلْتَ عما لا تعلمه؟ وما عذرُك في تقدّمك على من هو أعلم منك وأقرب إلى الرسول؟ وأعلم بتأويل كتاب الله عز وجل وسنة نبيه؟ ومن قدّمه النبي ﷺ في حياته، وأوصاكم به عند مماته، فنبذتم قوله، وتناسيتهم وصيته، وأخلفتم الوعد، ونقضتم العهد، وحلّلتهم العقد الذي كان عقده عليكم من النفوذ تحت راية أسامة بن زيد حذراً من مثل ما أتيتموه، وتنبهاً للأمة على عظيم ما اجترتموه من مخالفة أمره، فعن قليل يصفو لك الأمر، وقد أثقلك الوزر، ونقلت إلى قبرك، وحملت (معك ما كسبت يداك).

فلو راجعت الحق من قريب، وتلافيت نفسك، وتبت إلى الله من عظيم

(١) سورة الحشر: آية ١٦ و ١٧.

ما اجتريحت، كان ذلك أقرب إلى نجاتك يوم تُفرد في حفرتك، ويسلمك ذوو نصرتك، فقد سمعت كما سمعنا، ورأيت كما رأينا. فلم يردعك ذلك عما أنت متشبّث به من هذا الأمر الذي لا عذر لك في تقلّده، ولا حظّ للدين ولا للمسلمين في قيامك به. فاللّهُ اللّهُ في نفسك. فقد أعذر من أنذر. ولا تكن كمن أدبر واستكبر.

ثم قام أبو ذر الغفاري فقال: يا معشر قريش: أصبتم قباحة وتركتم قرابة. واللّهُ لترتدّ جماعة العرب، ولتشكّن في هذا الدين. ولو جعلتم الأمر في أهل بيت نبيكم ما اختلف عليكم سيفان. واللّهُ لقد صارت لمن غلب، ولتطمحن إليها عين من ليس من أهلها. وليسفكن في طلبها دماء كثيرة. ثم قال: لقد علمتم وعلم خياركم أنّ رسول اللّهِ ﷺ قال: «الأمر بعدي لعلي ثم لابنيه الحسن والحسين ثم للطاهرين من ذريتي».

فأطرحتم قول نبيكم، وتناسيتم ما عهد به إليكم. فاطعتم الدّنيا الفانية، ونسيتم الآخرة الباقية التي لا يهرم شابها ولا يزول نعيمها ولا يحزن أهلها ولا يموت سكّانها. بالحقيرة الثّافه الفاني الزّائل. فكذلك الأمم من قبلكم كفرت بعد أنبيائها، ونكصت على أعقابها، وغيّرت وبدلت واختلفت، فساويتهم حذوا النّعل بالنّعل والقذّة بالقذّة. وعمّا قليل تذوقون وبال أمركم، وتجزون بما قدّمت أيديكم، وما الله بظلامٍ للعبيد.

ثم قام المقداد بن الأسود فقال: يا أبا بكر ارجع عن ظلمك، وتب إلى ربك، والزم بيتك، وابك خطيئتك. وسلّم الأمر لصاحبه الذي هو أولى به منك. فقد علمت ما عقده رسول الله ﷺ في عنقك من بيعته، والزمك من النّفوذ تحت راية أسامة بن زيد وهو مولاه ونبة على بطلان وجواز هذا الأمر لك ولمن عضدك عليه بضمه لكما إلى علم النّفاق ومعدن الشّنان والشّقاق. عمرو بن العاص الذي أنزل اللّهُ فيه على نبيه ﷺ، «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ»، فلا اختلاف بين أهل العلم أنّها نزلت في عمرو بن العاص وهو كان أميراً عليكما وعلى سائر المنافقين في الوقت الذي أنفذه رسول الله ﷺ في

غزاة السلاسل . وإنَّ عمرًا قلَّدكُمَا حرس عسكره . فأين الحرسُ إلى
الخلافة ؟ .

اتَّقِ اللَّهَ وبادِرْ بالاستقالة قبل فواتها . فإنَّ ذلكَ أسلمُ لك في حياتك
وبعد مماتك . ولا تركز إلى دنياك ، ولا تغرَّنك قریش وغيرها . فعن قليلٍ
تضمحلُّ عنك دنياك ، ثمَّ تصير إلى ربِّك فيجزيك بعملك . وقد علمتَ وتيقَّنتَ
أنَّ علي بن أبي طالب عليه السلام هو صاحب الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلمه
إليه بما جعله الله له ، فإنه أتمَّ لسترك وأخفَّ لوزرك . فقد والله نصحتُ لك إن
قبلتَ نصيحتي ، وإلى الله ترجع الأمور .

ثمَّ قام إليه بريدة الأسلمي فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون . ماذا لقيَ
الحقُّ من الباطل ؟ يا أبا بكر أنسيَت أم تناسيتَ ، وخدعتَ أم خدعتك نفسك ؟
أم سوَّلتَ لك الأباطيل ؟ أولم تذكر ما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من تسمية
علي بن أبي طالب عليه السلام أمير المؤمنين وقاتِلِ القاسِطينَ ؟ اتَّقِ الله وتداركُ
نفسك قبل أن لا تردكها ، وأنقذها ممَّا يهلكها ، واردد الأمر إلى من هو أحقُّ به
منك . ولا تتماذ في اغتصابه . وارجع وأنت تستطيع أن ترجع . فقد محضتُك
النصح ، ودلتك على طريق النجاة . فلا تكوننَّ ظهيراً للمجرمين .

ثمَّ قامَ عمار بن ياسر فقال : يا معاشرَ قریش ويا معاشرَ المسلمين إن
كنتم علمتم ، وإلا فاعلموا أنَّ أهلَ بيت نبيكم أولى به ، وأحقُّ بإرثه ، وأقومُ
بأُمور المسلمين ، وحفظ الدين ، وآمن على المؤمنين ، وأحفظ لملته ، وأنصح
لأمته ، فمروا صاحبكم فليردَّ الحقَّ إلى أهله قبل أن يضطرب حبلكم ويضعف
أمركم ، ويظهر شتاتكم ، وتعظم الفتنة بكم ، وتختلفون فيما بينكم ، ويطمع
فيكم عدوكم . فقد علمتم أنَّ بني هاشم أولى بهذا الأمر منكم . وعلي عليه السلام
أقربُ منكم إلى نبيكم ، وهو من بينكم وليكم بعهدِ الله ورسوله . وفرق ظاهرُ
قد عرفتموه في حالٍ بعد حال عند سدِّ النبي صلى الله عليه وسلم أبوابكم التي كانت إلى
المسجد كلها غير بابه . وإيثاره إياه بكريمته فاطمة دون سائر من خطبها إليه
منكم ، وقوله صلى الله عليه وسلم : «أنا مدينةُ العلم وعلي بابها ، فمن أراد الحكمة فليأتها
من بابها» . وأنكم جميعاً مضطرونَّ فيما أشكل عليكم من أمور دينكم إليه ، وهو

مُسْتَعْنٍ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ مِنْكُمْ إِلَى مَالِهِ مِنَ السَّوَابِقِ الَّتِي لَيْسَتْ لِأَفْضَلِكُمْ عِنْدَ نَفْسِهِ . فَمَا بِالْكُمْ تَحِيدُونَ عَنْهُ ، وَتَبْتَزُّونَ عَلَيْهِ حَقَّهُ ، وَتَوَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ . بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا . أَعْطَوْهُ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ ، وَلَا تَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ، وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ .

ثُمَّ قَامَ أَبِي بَنْ كَعْبِ الْأَنْصَارِيِّ فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَجْهَدُ حَقًّا جَعَلَهُ اللَّهُ لَغَيْرِكَ . وَلَا تُكُنْ أَوَّلَ مَنْ عَصَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي وَصِيَّهِ وَصَفِيَّهِ وَصَرَفَ عَنْ أَمْرِهِ . أَرُدِّدِ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ تَسْلَمَ ، وَلَا تَتَمَادَ فِي غَيْبِكَ فَتَنْدَمَ ، وَبَادِرِ الْإِنَابَةَ يَخْفَ وَزَنَكَ ، وَلَا تَخْصَصْ بِهَذَا الْأَمْرِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْهُ اللَّهُ لَكَ نَفْسَكَ فَتَلْقَى وَبَالَ أَمْرِكَ ، فَعَنْ قَلِيلٍ تَفَارِقَ مَا أَنْتَ فِيهِ ، وَتَصِيرَ إِلَى رَبِّكَ فَيَسْأَلُكَ عَمَّا جَنَيْتَ . ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ .

ثُمَّ قَامَ خَزِيمَةُ بْنُ ثَابِتٍ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ شَهَادَتِي وَحْدِي ، وَلَمْ يَرِدْ مَعِيَ غَيْرِي . قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : فَاشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «أَهْلُ بَيْتِي يَفْرَقُونَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَهُمْ الْأَثَمَةُ الَّذِينَ يَقْتَدِي بِهِمْ . وَقَدْ قُلْتُ مَا عَلِمْتُ . وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» .

ثُمَّ قَامَ الْهَيْثَمُ بْنُ التَّيْهَانِ فَقَالَ : وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى نَبِيِّنَا ﷺ أَنَّهُ أَقَامَ عَلِيًّا - يَوْمَ غَدِيرِ خَمٍ - فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ فِيهِ أَقْوَالًا . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «عَلَيَّ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدِي ، وَأَنْصَحُ النَّاسَ لِأُمِّي . وَقَدْ شَهِدْتُ بِمَا حَضَرَنِي . فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ، إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا» .

ثُمَّ قَامَ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، أَشْهَدُوا عَلَيَّ أَنِّي أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ رَأَيْتَهُ - فِي هَذَا الْمَكَانِ - يَعْنِي الرُّوْضَةَ وَقَدْ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَهُوَ يَقُولُ : «أَيُّهَا النَّاسُ : هَذَا عَلِيٌّ إِمَامُكُمْ مِنْ بَعْدِي وَوَصِيِّي فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ وَفَاتِي ، وَقَاضِي دِينِي وَمَنْجِزُ وَعْدِي ، وَأَوَّلُ مَنْ يَصَافِحُنِي عَلَى حَوْضِي ، فَطُوبَى لِمَنْ تَبِعَهُ وَنَصَرَهُ ، وَالْوَيْلُ لِمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ وَخَذَلَهُ» .

وقام بعده أخوه عثمان بن حنيف، وقال: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «أهل بيتي نجوم الأرض فلا تتقدموهم، وقدموهم، فهم الولاة من بعدي». فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله وأي أهل بيتك؟ فقال: علي والطاهرين من ولده، وقد بين ﷺ فلا تكن يا أبا بكر أول كافر به ولا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون.

ثم قام أبو أيوب الأنصاري، فقال: «اتقوا الله عباد الله في أهل بيت نبيكم، وارددوا إليهم حقهم الذي جعله الله لهم. فقد سمعتم مثل ما سمعتم مثل ما سمع إخواننا في مقام بعد مقام لنبينا ﷺ ومجلس بعد مجلس يقول:

«أهل بيتي أثمتكم بعدي ويومئ إلى علي ويقول: هذا أمير البررة وقاتل الكفرة، مخدول من خذله، منصور من نصره». فتوبوا إلى الله من ظلمكم إياه. إن الله ثواب رحيم، ولا تتولوا عنه مدبرين، ولا تتولوا عنه معرضين.

هذا موقف كبار الصحابة من خلافة أبي بكر. ولكن كل هذه العظات لن تجدي شيئاً، ولن تغير شيئاً من مخططهم المرسوم للغدر بعلي واغتصابه حقه. فأساؤوا إلى أنفسهم، وإلى أتباعهم وأنصارهم، ولم تنفعهم عظات النبي ﷺ، ولم تخف عنه ﷺ هذه الأعمال الباطلة حتى عبر لعلي بعدة مناسبات عن هذا الغدر، وعبر لهم الإمام أيضاً مثل قوله عليه السلام عندما خطب بالرحبة فقال: «أيها الناس: إنكم قد أبيتم ألا أن أقولها! ورب السماء والأرض: إن من عهد النبي الأمي إلي: إن الأمة ستغدر بك بعدي». لذلك ابتلي القوم بعلي، لأنهم سيدخلون النار بسببه، وابتلي هو بهم حيث حرّمه حقه، ونصبوا له العداء، واستمروا على ذلك، ونهجوا هذا النهج مع ذريته وأهل بيته ومع محبيه وشيعته حتى أصبحت هذه العداوة والكراهية موروثاً في اللاشعور.

الفصل السادس شجاعته وحروبه عليه السلام

إنَّ الحديثَ عن شجاعة علي أمير المؤمنينَ تماماً كالحديثِ عن نور الشمسِ نافلة وفضول. وأيَّ كاتبٍ يستطيعُ أن يصفَ شجاعةَ مَنْ قال فيه الرّوح الأمينُ وسيّد المرسلين: «لا سيفَ إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي». وقال هو عن نفسه: «لو تظاهرتِ العربُ على قتالي ما وليتُ مدبراً». وقال: «إنَّ أكرمَ الموتِ هو القتلُ. والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألفُ ضربةٍ بالسيفِ في سبيلِ الله أهونُ من ميتةٍ على فراش». والكلُّ يعلمُ أنَّ أقوال علي تعبيرٌ وتطبيقٌ لأقواله.

وما كَتَبَ أو تحدّث أحدٌ عن شجاعةِ عليّ إلّا قال بالحرف الواحد: ما فرّ من حرب، ولا خاف من جيش، ولا بارز أحداً إلّا قتله أو أسره أو منّ عليه بعد أن تمكّن منه. ولا ضربَ ضربةً فاحتاج إلى ثانية. فكلُّ ضرباته بالوتر لا بالشفع، وبالفرد لا بالزوج. وإذا علاقده، وإذا اعترض قطاً. وما سمعنا أنّه عليه السلام دعا إلى مبارزة قطّ، وإنّما كان يُدعى هو بعينه، أو يدعو من يبارز، فيخرج إليه فيقتله. وكثيراً ما كان يقول: لا أبالي سقط الموتُ عليّ أو سقطتُ على الموت. وأيَّ تطبيقٍ عمليٍّ أقوى من مبيته على فراش رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ليلة الهجرة؟ مشركون أزمعوا على قتل النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في هذه الليلة، فغدها

بنفسه، ونامَ على فراشه غير هَيَّابٍ ولا وَجِلٍ. فأَيُّ فداء أعظم من هذا الفداء؟
والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

وفي المبيت فضائل منها:

١ - أنه ﷺ موضع ثقة الرسول ﷺ .

٢ - أنه ضابط للسر.

٣ - علاوة عن الثقة وضبط السر فقد كان شجاعاً.

٤ - وعلاوة عن الثقة والضبط والشجاعة فقد كان صابراً. لأنَّ الشجاع غير مأمون أن يذهب صبره عن العقوبة الواقعة، والعذاب النازل بساحته حتى يسوخَ بما عنده. فلهذا قال علماء المسلمين: إنَّ فضيلة علي عليه السلام تلك الليلة، لا نعلم أحداً من البشر نال مثلها، إلا ما كان من إسحق وإبراهيم عند استسلامه للذبح. ولولا أن الأنبياء لا يفضلهم غيرهم لقُلْنَا: إنَّ محنة علي أعظم. لأنَّه قد رُوِيَ أنَّ إسحق تَلَكَّأَ لما أمره أن يضطجع، وبكى على نفسه. وقد كان أبوه يعلم أنَّ عنده في ذلك وقفة. ولذلك قال: ﴿فانظر ماذا ترى﴾ - الصافات -. وحال علي عليه السلام بخلاف ذلك، لأنَّه ما تَلَكَّأَ ولا تَعَتَّعَ، ولا تغيَّرَ لونه، ولا اضطربت أعضاؤه^(١).

افتخرت عائشة يوماً بأبيها، لأنَّه ثاني اثنين في الغار، فقال لها أحد الأصحاب: شتان بين من قيل له: ﴿لا تحزن إنَّ الله معنا﴾. ومن بات على فراش الرسول، وهو يرى أنه يُقتل. وأنزل الله فيه: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾. أو ردَّ الإمام حجة الإسلام أبو حامد «محمد بن الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين» أنَّ ليلة بات علي بن أبي طالب على فراش رسول الله ﷺ أوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل أني آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأَيُّكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة وأحبَّاهما. فأوحى الله تعالى إليهما: أفلا كنتما

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ١٣ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ط ١٩٦١ م.

مثل علي بن أبي طالب حين آخيتُ بينه وبين محمد، فبات على فراشه يفديه بنفسه، ويؤثره بالحياة. اهبطا إلى الأرض، فاحفظاه من عدوّه. وكان جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجله، ويقول: بخ بخ من مثلك يا بن أبي طالب! باهى الله بك الملائكة. فأنزل الله عز وجل^(١): ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(٢).

ومما جاء في شجاعته، وهو طفل، أن أمه فاطمة بنت أسد كانت إذا شدته بالقمط شقه، فجعلته قمطين فشققهما، فجعلته ثلاثة من جلد وحرير فلم تجد شيئاً، فاضطرت إلى تركه بدون قمط. وكان أبوه أبو طالب يجمع له أولاده وأولاد إخوته ويأمرهم بمصارعته، فكان علي يحسر عن ذراعيه، ويصارع الكبير منهم والصغير فيصرعه. وفي ذات يوم كان يسير مع طفل أكبر منه بسنة فما شعر إلا والطفل يهوي في البئر على رأسه، فأسرع علي، وأخذ برجليه وأنقذه وكان عليه السلام يأخذ من رأس الجبل حجراً ويحمله بفرد يده، ثم يضعه بين يدي الناس، فلا يقدر الرجل والرجلان والثلاثة على تحريكه حتى قال: أبو جهل فيه شعراً:

يا أهل مكة إن الذبح عندكم	هذا علي الذي قد حل في النظر
ما إن له مشبه في الناس قاطبة	كأنه النار ترمي الخلق بالشرر
كونوا على حذر منه فإن له	يوماً سيظهره في البدو والحضر

وأنه لم يمك بذراع رجل قط إلا مسك بنفسه، فلم يستطع أن يتنفس.

والخلاصة: إنه منقطع النظير في شجاعته وجراته وثقته بنفسه. ونحن في هذا الفصل نقتصر على ذكر لمحة عن غزواته وحروبه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم نظراً لكثرة تكرارها في كتب السيرة وغيرها. وكذلك حروبه بعد النبي

(١) من الفصول المهمة: لابن الصباغ المالكي، ص ٣١ ط ٣ عام ١٩٦٢ م.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٠٧.

الكريم في وقعة الجمل وصفين والنهروان. ولنبدأ بموقعة بدر:

أما موقفه في بدر، فقد قتل من المشركين النصف، والمسلمون جميعاً قتلوا النصف. وكان عمره يومذاك خمساً وعشرين سنة، وهي أول مرة يحارب فيها الإمام.

قال الواقدي في كتاب (المغازي): جميع من يحصى قتله من المشركين تسع وأربعون رجلاً، منهم من قتله علي، شرك في قتل اثنين وعشرين رجلاً. شرك في أربعة، وقتل بانفراده ثمانية عشر.

ومعركة بدر أول حروب النبي ﷺ. وكان في جملة من قتل حنظلة بن أبي سفيان، أخو معاوية، والعاص بن سعيد العاص الأموي، وعقبة بن أبي معيط الأموي، والوليد بن عتبة أخو هند وخال معاوية، وأبو قيس بن الوليد أخو خالد بن الوليد. واشترك في قتل عقبة جد معاوية. ومن كلام الإمام لمعاوية: وعندي السيف الذي أعضضت به أخاك وخالك وجدك يوم بدر^(١).

وروي عن الزهري أنه لما عرف رسول الله ﷺ حضور نوفل بن خويلد بدرأ قال: اللهم اكفني نوفلاً. فلما انكشفت قريش رآه علي عليه السلام وقد تحير لا يدري ما يصنع؟ فصمد له، ثم ضربه بالسيف، فنشب في بيضته، فانتزعه، ثم ضرب به ساقه، وكانت درعه مشمرة فقطعها، ثم أجهز عليه فقتله. فلما عاد إلى النبي ﷺ سمعه يقول: «من له علم بنوفل؟» قال: أنا قتلته يا رسول الله. فكبر النبي ﷺ وقال: «الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه»^(٢).

أما يوم أُحد: فقتل ثمانية عشر رجلاً، وجيش النبي بكامله قتل عشرة. وكان أبو سفيان يقود جيش المشركين. وزوجته هند أم معاوية تقود النساء

(١) فضائل الإمام علي بن أبي طالب: لمغنية، ص ٩٨.

(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة: للأربلي، ج ١ ص ١٨٧.

ضد الرسول ليحرّض الرجال على القتال. وكان خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وزوجته ربيعة مع المشركين. وكان لواء المشركين مع طلحة بن أبي طلحة، فأعطى النبي اللواء لمصعب بن عمر، ولما قتل مصعب دفعه النبي إلى علي، وبرز طلحة وصاح من يبارز؟ فبرز إليه علي، فقال له: مَنْ أَنْتَ؟ قال: علي بن أبي طالب. فقال: لقد علمتُ أنه لا يجسر عليّ أحدٌ غيرك. وضربه الإمام على فخذه فقطعهما، فسقط على الأرض. ولما همَّ الإمام أن يجتزأ رأسه ناشدَهُ الله والرحم، وقيل: بل كَشَفَ عن عورته، فانصرف عنه الإمام. ولكنه لم يلبث بعد الضربة إلّا قليلاً.

وروى الطبري في تاريخه: حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيب قَالَ: حَدَّثَنَا عَثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَبَّانُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: لَمَّا قَتَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَصْحَابَ الْأُلُويَةِ أَبْصَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَمَاعَةً مِنْ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، فَقَالَ: أَحْمِلْ عَلَيْهِمْ، فَحَمَلْ عَلَيْهِمْ، فَفَرَّقَ جَمَاعَتَهُمْ، وَقَتَلَ شَيْبَةَ بْنَ مَالِكٍ أَحَدَ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤْيٍ. فَقَالَ جَبْرِيلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لِلْمَوَاسَاةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ». فَقَالَ جَبْرِئِيلُ: وَأَنَا مِنْكُمْ. قَالَ: فَسَمِعُوا صَوْتًا:

لَا سَيْفَ إِلَّا ذَوَالْفَقَارِ وَلَا فَتًى إِلَّا عَلِيٌّ^(١)

وفي إرشاد المفيد أنَّ أصحاب اللواء كانوا تسعة، قتلهم علي بن أبي طالب عن آخرهم، وانهزم القوم. وقال الواقدي: «ما ظفر الله نبيّه في موطنٍ قط ما ظفّره وأصحابه يوم أحد».

ولكنّ الرّماة عصوا الرسول، فحلّ ما حلّ بالنبي ﷺ والمسلمين. ففروا ولم يبقَ معه إلّا نفرٌ قليل على رأسهم علي. ولكنّ عليّاً لم يترك لأعدائه مجالاً معه، فكانوا إمّا أن يُضْرَعُوا في سيفه، أو يرفعوا سوءاتهم منه.

(١) تاريخ الطبري، ج ٣ ص ١٧ ط ١ بالمطبعة الحسينية المصرية.

ومهما اختلف المفسرون وأهل السير في عدد الذين ثبتوا مع النبي ﷺ يوم أحد فإنهم متفقون جميعاً على أن علياً كان مع الرسول جنباً إلى جنب يذب عنه، ويلقى بنفسه في المهالك من أجله. فلا أحد إذن أولى من علي بمحبة الله وكرامته وإعزازه وتعظيمه.

وفي الحقيقة لولا مخالفة الرماة نبيهم ﷺ لما حل ما حل، ولما انتقمت هند وزوجها أبو سفيان من أسد الله الحمزة عم النبي ﷺ، وكان فرح هند عظيماً حيث شفت غليلها من الأشلاء والدماء، وكان هدفها علياً وحمزة ومحمد. فاعتقدت أن علياً ومحمد قد قُتلا، ورأت أسد الله، فتآمر عليه المشركون وهند، فقتل، فاستلّت سكينها فصلمت أذنيه، وجدعت أنفه، وقوّرت عينيه، وأخذت تمزق في وجهه، وبقرت بطنه، وأخذت كبده، ولاكتها في فمها ولفظتها.

مثل هذا لا يعدله شر سوى قلب زوجها الذي امتلأ بغضاً لبني هاشم. فلما رأى حمزة مشوهاً نادى: يا أبا عمارة دار الدهر وحال الأمر، واشتفت منكم نفسي، ثم هزّ رمحه وضرب شدق الجثة وهو يردد: «ذُق عَقَق!! ذُق عَقَق!!» وكأنما ورث الحفداء، مع الحفناء، صناعة الأجداد، فبعد نصف قرنٍ عمل يزيد قضيبه في شدق الحسين الذبيح»^(١).

واعتبر أبو سفيان يوم أحد بيوم بدر. استمع إلى الطبري في تاريخه يقول: وحدّثنا ابن وكيع قال: حدّثني أبي عن إسرائيل، قال: حدّثنا أبو إسحاق عن البراء: قال: ثم إن أبا سفيان أشرف علينا فقال: أفي القوم محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا تجيبوه مرتين». ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاثاً. فقال رسول الله ﷺ: «لا تجيبوه». ثم قال: أفي القوم عمر بن الخطّاب؟ ثلاثاً. فقال رسول الله ﷺ: «لا تجيبوه». ثم التفت

(١) عبد الفتاح عبد المقصود في كتابه (علي بن أبي طالب).

إلى أصحابه فقال: «أما هؤلاء فقد قُتِلوا، لو كانوا في الأحياء لأجابوا». فلم يَمْلُكْ عمر بن الخطاب نفسه أن قال: كذبت يا عدو الله. قد أبقي الله لك ما يخزيك. فقال: اعلُ هبل اعلُ هبل. فقال رسول الله ﷺ: «أجيبوه». قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: «اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلٌّ». قال أبو سفيان: ألا لنا العزى، ولا عزى لكم. فقال رسول الله ﷺ: «أجيبوه». قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: «الله مولانا، ولا مولى لكم». قال أبو سفيان: يومٌ بيوم بدر، والحربُ سجال^(١).

ولم تكن أحد آخر المعارك التي برزت فيها بطولة علي. فما من أزمة وقعت فيها الدعوة الإسلامية، أو تعرض لها رجالها المخلصون إلا كان علي مفرجها، وكان دائماً في الطليعة يبت الرعب والهيبة في قلوب الأعداء. وما نبأ حصار المدينة إلا مثال على ذلك.

الأحزاب أو الخندق:

كان عدد المشركين عشرة آلاف بقيادة أبي سفيان والد معاوية، وجدّ يزيد، فحفر المسلمون الخندق بمعرفة سلمان. وقد وصف الله سبحانه خوف المسلمين من الأحزاب، فقال: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَا﴾^(٢).

وقال المنافقون: كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط.

ولما اقتحم من مكان ضيق خمسة فوارس من قريش وهم عمرو بن عبد ود، وعكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبدالله بن المغيرة، وهبيرة بن أبي لهب. وأخذ عمرو يجول ويرتجز ويطلب البراز ويهزأ بالمسلمين

(١) الطبري في تاريخه، ج ٣ ص ٢٤ ط ١ بالمطبعة الحسينية المصرية.

(٢) سورة الأحزاب: آية ١٠.

وبجنتهم التي من قُتِلَ منهم يدخلها. وعلي يقول للرَّسول: أنا له. ولكن لم يسمح له، والمسلمون واجمون كأنَّ على رؤوسهم الطَّير، والخوف أخذ مأخذُه في قلوبهم، حتَّى أنَّهم عجزوا جميعاً عن تلبية رغبة الرَّسول، ويلج عليه في الرَّجاء ليسمح له بمبارزته. وأخيراً سَمَحَ له، وعندما برز علي لعمره، قال النَّبيُّ ﷺ: «برز الإيمان كلُّه إلى الشُّرك كلُّه».

الموقف رهيب، فقضية علي هي قضية المسلمين قاطبة، وعَمُرُوا اعتبر قضية قريش قضيته هو، لأنَّه فارسها وبطلها. فهو بمقام ألف من الأبطال. فقال عمر ولعلي: مَنْ أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. قال: إنَّ أباك كان لي صديقاً ونديماً، وإنِّي أكره أن أقتلك^(١). قال علي: ولكن والله ما أكره أن أقتلك. ثم قال له علي: يا عمرو إنَّك كنت تقول: لا يدعوني أحدٌ إلى واحدةٍ من ثلاثٍ إلَّا قبلتها. قال: أجل. قال: أدعوك أن تشهد أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله. قال: نَحَّ هذه عني. هات الثانية، قال: ترجع إلى بلادك، فإنَّك محمداً صادقاً كنت أسعد النَّاسَ به، وإنَّك كاذباً كان الذي تريد. قال: إذن تتحدَّث عني نساء قريش أني جئتُ وخذلتُ قوماً رأسوني عليهم. ثم قال: هات الثالثة. قال: البراز، قال: هذه خصلة ما كنتُ أظنُّ أنَّ أحداً من العرب يروعي بها. فقال علي: كيف أقاتلك وأنت فارس، وأنا راجل فاقتحم عن فرسه، وعقره، وسلَّ سيفه كأنَّه شعلة نار، وبدأ الإمام بضربةٍ فاتَّقاها بالدُّرقة، فقدَّها السَّيف، وشجَّ رأس الإمام، فضربَ عليُّ على ساقيه فقطعهما جميعاً، فسقط على الأرض، فأخذ عليُّ بلحيته وذبحه، وأخذ رأسه بيده هديَّةً إلى الرَّسول، وأقبل والدِّماء تسيل على وجهه من ضربة عمرو، ورأس عمرو بيده، وكان وجه علي يتهلَّل فرحاً. فطرب المسلمون لهذا النصر والظفر الرَّائع، وصفقت له قلوبهم، بعد أن بلغت القلوب الحناجر من الخوف، وعادته السَّكينة إلى نفوسهم بعد أن شكَّوا بالله والرَّسول، وظنُّوا به الظَّنُّون. ولَمَّا وصلَ علي إلى النَّبيِّ ﷺ

(١) شرح النَّهج: لابن أبي الحديد.

ألقى رأس عمرو بين يديه . فقام أبو بكر وعمر وقبلاً رأس علي . وقال له عمر: هلاً سلبته درعه؟ فإنه ليس في العرب مثلها!! فقال: إني استحييت أن أكشف عورته .

وجزع الأعداء لمقتل سيدهم، وأصابهم من الخوف ما أصاب المسلمين في بدء الأمر، وبذلوا لرسول الله ﷺ عشرة آلاف درهم ليعطيهم جثة عمرو، فقال: هي لكم، ولا نأكل ثمن الموتى^(١).

لقد قلبت ضربة علي عليه يوم الخندق الوضع رأساً على عقب، فجعلت القوي ضعيفاً، والضعيف قوياً. ومن هنا قال النبي ﷺ: «لضربة علي يوم الخندق أفضل من عمل الثقلين، أو أفضل من عمل أمي إلى يوم القيامة». (كما يرويه الخوارزمي في مناقبه ص ٥٢ ط ١٩٦٥ المطبعة الحيدرية - النجف).

وفي (دلائل الصدق) أن السيوطي قال في الدر المنثور: إن ابن مسعود كان يقرأ: «وكفى الله المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب».

أما ابن أبي الحديد فيقول: فأما الخرجة التي خرجها يوم الخندق إلى عمرو بن عبد ود فإنها أجل من أن يقال جليلة، وأعظم من أن يقال عظيمة. وما هي إلا كما قال شيخنا أبو الهزيل وقد سأل سائلاً: أيما أعظم منزلة عند الله: علي أم أبو بكر؟ فقال: يا بن أخي والله لمبارزة علي عمراً يوم الخندق تعدل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلها وتربي عليها، فضلاً عن أبي بكر وحده. وقد روى عن حذيفة بن اليمان ما يناسب هذا، بل ما هو أبلغ منه. روى قيس بن الربيع عن أبي هارون العبدى، عن ربيعة بن مالك السعدي قال: أتيت حذيفة بن اليمان فقلت: يا أبا عبد الله إن الناس يتحدثون عن علي بن أبي طالب ومناقبه، فيقول لهم أهل البصرة: إنكم لتفرطون في تقريظ هذا الرجل. فهل أنت محدثي بحديث عنه أذكره للناس؟ فقال: يا

(١) فضائل علي بن أبي طالب لمغنية .

ربيعة، وما الذي تسألني عن علي؟ وما الذي أحدثك عنه؟ والذي نفس حذيفة بيده لو وُضِعَ جميع أعمال أمة محمد ﷺ في كفة الميزان منذ بعث الله تعالى محمداً إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل واحد من أعمال علي في الكفة الأخرى لرجح على أعمالهم كلها. فقال ربيعة: هذا المدح الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل. إن لأظنه إسرافاً يا أبا عبدالله! فقال حذيفة: يا لكع، وكيف لا يحمل! وأين كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه فملكهم الهلع والجزع، ودعا إلى المبارزة فأحجموا عنه حتى برز إليه علي فقتله! والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمال أمة محمد ﷺ إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم القيامة.

وقال أبو بكر بن عياش: لقد ضرب علي بن أبي طالب ﷺ ضربة ما كان في الإسلام أيمَنَ منها، ضربته عمراً يوم الخندق. ولقد ضرب علي ضربة ما كان في الإسلام أشأمَ منها - يعني ضربة ابن ملجم -.

وقال جابر بن عبدالله الأنصاري: واللّه ما شبّهت يوم الأحزاب، قتل عليّ عمراً! وتخاذل المشركون بعده، إلّا بما قصّه الله تعالى من قصّة طالوت وجالوت في قوله: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾^(١) سورة البقرة: الآية ٢٥١.

ويروي الخوارزمي في مناقبه، مرفوعاً بالأسانيد إلى يحيى بن آدم يقول: ما شبّهت قتل علي ﷺ إلّا بقول الله عزّ وجلّ: وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ^(٢).

خيبر:

بعث الرسول ﷺ أبا بكر إلى خيبر ليفتح منها حصن (ناعم) ففشل،

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ١٩ ص ٦١ - ٦٢ ط ١٩٦٣ م، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) مناقب الخوارزمي، ص ١٠٦ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية، النجف.

فأرسل عمر بن الخطاب، وحارب اليوم كله ففشل، فأرسل علياً وقابلوه بالطعن والقتال، وخرجت فرقة منهم، فسدت على المسلمين مسالكهم إلى الحصن، وهمها الفارس البارز أمام الصفوف يتقدمهم، فتكاثروا عليه، زاعمين أنهم حققوا النصر، واستطاعوا أن يسقطوا من يده ترسه، وهجموا وهو مكشوف الصدر. فاستطاع في لمحة بصر أن يلوذ بجانب من الحصن، وخلع باباً من جدار وجعله ترساً، وكرّ عليهم حتى صرعهم جميعاً تحت قدميه، وأتخذ من الترس العجيبة بعد هذا قنطرة إلى داخل الحصن، تبعه عليها أصحابه ثم تمّ الفتح.

ومن العجيب أن بضعة عشر رجلاً من أصحابه حاولوا أن يفتحوا الباب الذي كان ترسه فناؤوا به. وذكر سبط ابن الجوزي في (تذكرته) وقال جابر بن عبد الله: حمل علي عليه السلام باب خير وحده، فدحاه، ثم جاء بعده أناس يحملونه، فلم يحمله إلا أربعون رجلاً^(١).

ويروي الطبري أن علياً عندما فرغ من الترس ألقاه من يده، وقد اجتهد ثمانية نفر على أن يقلبوا ذلك الباب فلم يقلبه. وقال ابن هشام في (السيرة): وألقى عليّ الباب وراء ظهره ثمانين شبراً، وفي رواية أن علياً لما انتهى إلى باب الحصن اجتذبه فألقاه بالأرض، فاجتمع عليه بعده سبعون رجلاً، حتى أعادوه إلى مكانه.

والخلاصة: مُنح الإمام لقب (قالع الباب) حتى قال به ابن أبي الحديد المعتزلي:

يا قالع الباب الذي عن هزّه عجزت أكف أربعون وأربع ومهما يكن، فإن دلت هذه الحكايات على شيء، فإنما تدلّ على شجاعة الإمام في نفسه، وقدرته العجيبة الخارقة في بدنه^(٢).
ومن غرائب أنه كان يستطيع أن يخطف بذراع واحدة فارساً عن فرسه،

(١) تذكرة سبط ابن الجوزي، ص ٣١ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ.

(٢) راجع كتاب عبد الفتاح (علي بن أبي طالب).

وإن كان دارعاً بالحديد، فيجلد به الأرض، ثم يقذف به كالكرة أينما شاء^(١).

وروى العلامة الحلبي في كتاب (نهج الحق) جاء في مُسْنَد أحمد من عدة طرق، وصحيح مسلم والبخاري من طرق متعددة، وفي الجمع بين الصحاح الستة أيضاً عن عبدالله بن بريدة قال: سمعتُ أبي يقول: حاصرنا خيبر، وأخذ اللّواء أبو بكر، فانصرف ولم يُفْتَحْ له. ثم أخذهُ عمر من الغد. فرجع ولم يُفْتَحْ له، وأصاب الناس يومئذٍ شدةً وجهد، فقال رسول الله ﷺ: «إنني دافع الرّاية غداً إلى رَجُلٍ يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، كَرَّار غير فرّار، ولا يرجع حتّى يفتح الله له».

فبات النَّاسُ يتداولون ليلتهم، أيّهم يعطاها؟ فلما أصبح النَّاسُ غدوا إلى رسول الله ﷺ، كلّهم يرجو أن يعطاها. فقال النَّبي: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: إنه أرمَد العين، فأرسل إليه، فأتى، فبصق رسولُ الله ﷺ في عينه، ودعا له، فبرئ. فأعطاه الرّاية ومضى علي فلم يرجع حتّى فتح الله على يديه^(٢).

وقال المفضّل بن روزبهان - وهو من أعلم علماء السّنة - معقّباً على قول العلامة الحلبي: «حديث خيبر صحيح» وهذا من العلّة لأمر المؤمنين.

حُنين:

ذكر صاحب كتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربّه في احتجاج المأمون على الفقهاء. قال المأمون: يا إسحقُ حدّثني عن قوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣). أتعلّم من المؤمنين هنا؟ قلت: لا أدري. قال: النَّاسُ جميعاً انهزموا يومَ حُنين، فلم يبقَ مع الرّسول ﷺ إلا سبعة نفر من بني هاشم،

(١) راجع نفس الكتاب لعبد الفتاح.

(٢) راجع الفصول المهمّة: لابن الصّبّاغ المالكي، ص ٢٠ ط ٢ عام ١٩٦٢ م.

(٣) سورة التوبة: آية ٢٦.

علي يضربُ بسيفه بين يدي الرسول ﷺ ، والعبّاس آخذٌ بلجام بغلة الرسول ﷺ ، والخمسة محدقون به خوفاً من أن يناله من جراح القوم شيءٌ حتى أعطى الله لرسوله الظفر. فالؤمنون هنا عليّ خاصّةً، ثمّ من حضيرة من بني هاشم. قال: فمن أفضل؟ من كان مع الرسول في ذلك الوقت؟ أم من انهزم عنه؟ ولم يره الله موضعاً لينزلها عليه؟ قلتُ: بل من أنزلت عليه السكينة.

وذكر الأستاذ محمّد جواد مغنية في كتابه (فضائل علي بن أبي طالب) أن عدد المشركين الذين تجمّعوا لحربه ثلاثون ألف مقاتل. وتهيأ الرسول للقائهم باثني عشر ألف رجلٍ، عشرة آلاف من أصحابه الذين فتح بهم مكّة، وألفان ممّن أسلم بعد الفتح. ومنهم الطلقاء أمثال أبي سفيان وابنه معاوية.

وعندما مرّ النبي ﷺ بوادي حنين، وكان أجوفٌ منحديراً، وكان جيش العدو قد سبقهم إلى احتلال مضايقه، وكَمَنَ فيها، وعند وصول المسلمين إلى الوادي رموهم بسهامهم الغزيرة، فانهزم الناس، وتفرّقوا عن النبي. وكان أول المنهزمين أبا سفيان، ومن لفّ لفّه، وشمّت وفرح وقال: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر.

وثبت مع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب شاهراً سيفه بين يدي الرسول، والعبّاس بن عبد المطلب، وكان آخذاً بلجام بغلة الرسول، والفضل بن العبّاس عن يمين النبي، والمغيرة بن الحارث بن عبد المطلب عن شماله، ولما انهزم المسلمون خرج المشركون من مضايقتهم، واتّجهوا بسيوفهم نحو النبي. فقال النبي لعنه العبّاس: نادِ القوم، وذكرهم بالعهد. فلما سمع الأنصار نداء العبّاس عطفوا وكسروا جفون سيوفهم، وهم يقولون: لبيك لبيك. فاستقبل بهم النبي الأعداء واقتتل الفريقان اقتتالاً شديداً.

وكان حامل راية المشركين وطيّعتهم رجلاً يدعى أبا جروول، وكان يكرّ على المسلمين وينال منهم. فبرز له علي وقتلّه، وقتل معه تسعة وثلاثين

فارساً. وبذلك تمّ النصر للنبي بسيف عليّ من جهة، والملائكة من جهة ثانية.

سرية ذات السلاسل:

ذكر أصحاب السير أنّ أعرابياً قال له: إنّ قوماً من الأعراب عملوا على أن يبيتوك فخطب الناس وأخبرهم، وقال: مَنْ للوادي؟ فقام رجل من المهاجرين وقال: أنا له. فناوله اللواء، وخرج في سبعمائة رجل، فوافاهم ضحوة، ودعاهم إلى الإسلام أو القتال. فقالوا له: ارجع إلى صاحبك، فإنّا في جمع لا نقوم له، فرجع. فقال عليه السلام: «مَنْ للوادي؟» فقام رجل وفعل فعله السابق، ورجع. فقال عليه السلام: «أين علي؟» فقال: ها أناذا. قال: «امض إلى الوادي». قال: نعم، وخرج باللواء حتّى وافاهم سحراً، وقال للعدو: يا هؤلاء أنا رسول رسول الله عليه السلام إليكم أن تقولوا: لا إله إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله. وإلا لأضربنكم بالسيف. قالوا: ارجع كما رجع صاحبك. فحصل قتال بينهم، فقتل ستة أو سبعة، وانهزم المشركون، وظفر المسلمون وحازوا الغنائم. ونزل جبرئيل وأخبر النبي عليه السلام بذلك، فأمر الناس أن يستقبلوا عليّاً، فاصطفوا صفين مع الرسول عليه السلام. فلما رأى النبي عليه السلام ترجّل عن فرسه، وأهوى إلى قدميه يقبلهما. فقال له: اركب. فإن الله تعالى ورسوله راضيان. فبكى علي وانصرف إلى منزله، ثم قال عليه السلام: «لولا أنّي أشفق أن تقول فيك طوائف ما قالت النصارى في عيسى لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرّ على ملأ منهم إلا أخذوا التراب من تحت قدميك تبركاً»^(١).

أي قول مثل هذا القول؟ وأي فخر مثل هذا الفخر؟ والله ورسوله

(١) راجع المناقب للخوارزمي مرفوعاً بالأسانيد إلى أبي رافع قال: قال رسول الله عليه السلام: «يا علي لولا أن تقول طوائف من أمّتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرّ بأحد من المسلمين إلا أخذوا التراب من أثر قدميك يطلبون البركة»، ص ١٩٦٥، المطبعة الحيدرية، النجف.

راضيان، والنصر حليفه، والتوفيق رائده. فله دُرْك يا أبا الحسن ما أشجعك وأسماك.

أما حروب الإمام بعد النبي ﷺ فثلاثة: الجمل وصفين والنهروان. هذه الحروب الثلاثة كانت ضد الناكثين والقاسطين والمارقين. ولكن قبل أن نكتب لمحة موجزة عن هذه الحروب الثلاثة علينا أن نوضح للطالب أن هذه الحروب الثلاثة كانت بأمر من الله ورسوله. وقد نوه النبي الكريم بذلك أحياناً وأحياناً حث على نصرته علي والقتال معه. فقد قال ﷺ: «سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً على الله جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه، ومن لم يستطع بلسانه فبقلمه، وليس وراء ذلك شيء»^(١).

وقيل لحذيفة اليماني: حدثنا ما سمعت عن رسول الله ﷺ. قال: لو فعلت لرجتموني. قلنا: سبحان الله، قال: لو حدثتكم أن بعض أمهاتكم تغزوكم في كتيبة تضربكم بالسيف ما صدقتموني. قالوا: سبحان الله! ومن يصدقك بهذا؟ قال: أتتكم الحميراء في كتيبة تسوق بها أعلاجها^(٢).

وأخرج الطبراني في الجزء الخامس ص ١٧٨ وتاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٧٣ لما سمعت عائشة نباح الكلاب، فقالت: أي ماء هذا؟ فقالوا:

(١) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد، ج ٩ ص ١٣٤، وكنز العمال، ج ٦ ص ١٥٥، وفي ج ٧ ص ٣٠٥، نقلاً عن الطبراني وابن مردويه وأبي نعيم والغدير، ج ٣ ص ١٩٠.

(٢) أخرجه البزار وأبو نعيم وابن أبي شيبة والماوردي في الأعلام، ص ٨٢، الزمخشري في الفائق، ص ١٩٠، وابن الأثير في النهاية، ج ٢ ص ١٠، والفيروزآبادي في القاموس، ج ١ ص ٦٥، والكنجي في الكفاية، ص ٧١، والقسطلاني في المواهب اللدنية، ج ٢ ص ١٩٥ وكثير غيرهم. راجع الغدير، ج ٣ ص ١٨٩ ط ٢، وشرح الزرقاني، ج ٧ ص ٢١٦، والهيتمي في مجمع الزوائد، ج ٧ ص ٢٣٤. وقال: رواه البزار ورجاله ثقات، والسُّيوطي في جمع الجوامع كما في الكنز، ج ٦ ص ٨٣، والحلي في سيرته، ج ٣ ص ٢١٣، وزيني دحلان في سيرته، ج ٣ ص ١٩٣ هامش الحلبية، الصّبان في الإسعاف، ص ٦٧.

الحوءب . فقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون . إني لهية . لقد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : «وعنده نساؤه ، لیت شعري أیتكن تنبُحها كلاب الحوءب؟» فأرادت الرجوع ، فأتاها عبدالله بن الزبير ، فزعم أنه قال : كذب من قال أن هذا الحوءب ولم تزل حتى مضت .

وكثيراً ما ورد عن النبي ﷺ ذلك مثل قوله : أیتكن صاحبةُ الجمل الأدب (كثير الشعر) تخرج فينبحها كلاب الحوءب يقتل حولها قتلى كثير ، وتنجو بعدما كادت تقتل؟^(١) .

وقوله ﷺ لهُنَّ : «كيف بإحداكن إذا نبح عليها كلاب الحوءب» ، وقوله ﷺ لهُنَّ : أیتكن تنبُحها كلاب الحوءب؟^(٢) . وقوله ﷺ لهُنَّ : لیت شعري أیتكن تنبُحها كلاب الحوءب سائرةً إلى الشرق في كتيبة^(٣) . وقوله ﷺ لها : يا حميراء كأي بك تنبُحك كلاب الحوءب ، تقاتلين علياً وأنت له ظالمة^(٤) .

وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ قوله للزبير : إنك تقاتل علياً وأنت ظالم له . وبهذا احتجَّ أمير المؤمنين عليه السلام على الزبير يوم الجمل ، وقال : أتذكر لما قال لك رسول الله ﷺ «إنك تقاتلني وأنت ظالم لي؟» فقال : اللهم نعم^(٥) .

وهذه كلمات الصحابة مبثوثة في طيات الكتب والمعاجم ، وهي تعرب عن أن رسول الله ﷺ كان يحث أصحابه إلى نصرة أمير المؤمنين في تلك

(١) مستدرک الحاكم ، ج ٤ ص ٤٧ ، والخصائص ، ج ٢ ص ١٣٧ .

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ، ج ٦ ص ٥٢ ، وابن أبي شيبة ، ونعيم بن حماد في الفتن ، وعن الأخيرين : السيوطي في جمع الجوامع ، كما في الكنز ، ج ٦ ص ٨٤ .

(٣) معجم البلدان ، ج ٣ ص ٣٥٦ .

(٤) العقد الفريد : لابن عبد ربّه ، ج ٢ ص ٢٨٣ ، الغدير ، ج ٣ ص ١٨٩ .

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرک ، ج ٣ ص ٣٦٦ ، وصححه هو والذهبي . والبيهقي في الدلائل وأبويعلی . وأبو نعيم والطبري في تاريخه ، ج ٥ ص ٢٠٠ و ٢٠٤ ، وأبو الفرج في الأغاني ، ج ١٦ ص ١٣١ - ١٣٢ ، وابن عبدربه في العقد الفريد . ومن أراد التوسع والإطلاع على كثر المصادر فليراجع الغدير ، ج ٣ ص ١٩١ .

الحروب، ويدعوهم إلى القتال معه، ويأمر عيون أصحابه بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين منهم:

أبو أيوب الأنصاري:

ذلك الصَّحابي العظيم. قال أبو صادق: قدم أبو أيوب العراق، فأهدت له الأزد جزراً فبعثوا بها معي، فدخلتُ فسَلَّمْتُ عليه، وقلتُ له: قد أكرمَكَ الله بصحبة نبيِّه ونزوله عليك، فما لي أراك تستقبلُ الناسَ تقاتِلُهُمْ؟ تستقبل هؤلاء مرة، وهؤلاء مَرَّةً. فقال: إنَّ رسولَ الله ﷺ عهدَ إلينا أن نقاتِلَ مع علي الناكثين فقد قاتلناهم، وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين، فهذا وجهنا إليهم يعني معاوية وأصحابه، وعهد إلينا أن نقاتل مع علي المارقين، فلم أرهم بعد^(١).

وفي (المناقب) للخوارزمي مرفوعاً بالأسانيد إلى ثعلبة قال: حَدَّثَنِي أَبُو أَيُوبِ الْأَنْصَارِيِّ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقِتَالِ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ^(٢).

أبو سعيد الخدري:

قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقِتَالِ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ. قلنا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَرْتَنَا بِقِتَالِ هَؤُلَاءِ، فَمَعَ مَنْ؟ قال: مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ^(٣).

(١) تاريخ ابن عساکر، ج ٥ ص ٤١، أربعين الحاكم ولفظه يقرب من هذا، تاريخ ابن كثير، ج ٧ ص ٣٠٦، كنز العمال، ج ٦ ص ٨٨.

(٢) المناقب: للخوارزمي، ص ١٢٢ ط ١٩٦٥، المطبعة الحيدرية، النجف.

(٣) أخرجه الحاكم في أربعينه، كما ذكره السيوطي، والحافظ الكنجي في الكفاية، ص ٧٢، وابن كثير في تاريخه، ج ٧ ص ٣٠٥، والخوارزمي في المناقب، ص ١٢٢ ط ١٩٦٥، المطبعة الحيدرية، النجف. ويزيد عليه: (ومعه يقتل عمار بن ياسر).

أبو اليقظان عمّار بن ياسر :

قال : قال رسول الله ﷺ : «ستقاتلك الفئة الباغية وأنت على الحق .
فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني»^(١) .

خليد العصري :

قال : سمعت أمير المؤمنين علياً عليه السلام يقول يوم النهروان : أمرني
رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين^(٢) .

علي بن ربيعة الوالبي :

قال : سمعت علياً يقول : عهد إلي النبي ﷺ أن أقاتل بعده القاسطين
والناكثين والمارقين^(٣) .

وقال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٢٤٥ :

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ، والسيوطي في (جمع الجوامع) كما في ترتيبه، ج ٦
ص ١٥٥ ، وحكاه الزرقاني عن ابن عساكر في شرح المواهب، ج ٣ ص ٣١٧ ، وفي
شرح النهج : لابن أبي الحديد، ج ٦ ص ٢٢ قال : حدّثني موسى بن عبد الرحمن
السلمي ، قال : سمعت عمّار بن ياسر بصفين وهو يقول لعمر بن العاص : لقد قاتلت
صاحب هذه الرؤية ثلاثاً مع رسول الله ﷺ ، وهذه الرابعة ما هي بأبر ولا أتقى ،
ج ٦ ص ٢٢ ط ١٩٦٠ م . وفي المناقب : للخوارزمي يرفع أسانيده إلى عبدالله بن
مسلم ، يقول : رأيت عمّار بن ياسر يوم صفين شيخاً أدماً طويلاً أخذاً الحربه بيده ،
ويده ترعد ، قال : والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه الرؤية مع رسول الله ﷺ ثلاث
مرات ، وهذه الرابعة ، فوالذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعات حجر
لعلمنا أن شيخنا عليه السلام على الحق ، وأنهم على الضلالة ، ص ١٢٦ ط ١٩٦٥ م ،
المطبعة الحيدرية ، النجف .

(٢) أخرجه البزاز والطبراني في الأوسط ، والحافظ الهيثمي في المجمع ، ج ٧ ص ٢٣٨ ،
وأخرجه أبو يعلى كما في تاريخ ابن كثير ، ج ٧ ص ٣٠٤ ، وشرح المواهب
للزرقاني ، ج ٣ ص ٢١٧ ، وقال : سند جيد .

(٣) الخطيب في تاريخه ، ج ٨ ص ٣٤٠ ، وابن كثير في تاريخه ، ص ٣٠٥ .

قد ثبتَ عن النَّبي ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام : «تقاتِل بعدي النَّاكثين والقاسطين والمارقين»^(١).

أم سلمة :

ففي يَنابيع المودَّة ج ١ ص ٧٩ ، أخرج بسنده عن المناقب ، بسنده عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده عن علي بن الحسين عليه السلام ، قال : بَلَغَ أم سلمة رضي الله عنها أَنَّ مولى لها يَتَقِصُّ عَلَيْهَا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ فَأَتَى إِلَيْهَا . وَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ أَحَدِّثْكَ بِحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ . قَالَ ﷺ : «يَا أم سلمة اسمعي واشهدي ، هذا علي أخِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَحَامِلٌ لَوَائِي فِي الدُّنْيَا ، وَحَامِلٌ لَوَاءِ الْحَمْدِ غَدًا فِي الْقِيَامَةِ . هَذَا عَلِيٌّ وَصِيٌّ وَقَاضِي عَدَّتِي ، وَالذَّائِدُ عَنْ حَوْضِي الْمَنَاقِبِينَ . يَا أم سلمة هَذَا عَلِيٌّ سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ ، وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ ، وَقَاتِلُ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ» . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَنْ النَّاكِثُونَ ؟ (قال) : «الَّذِي يَبَايَعُونَهُ بِالْمَدِينَةِ وَيَنْكُثُونَ بِالْبَصْرَةِ» . قُلْتُ : مَنْ الْقَاسِطُونَ ؟ (قال) : «ابن أبي سفيان وأصحابه من أهل الشام» . قُلْتُ : مَنْ الْمَارِقُونَ ؟ (قال) : «أصحاب النُّهْرَوَانَ» . فَقَالَ مَوْلَاهَا : فَجَزَاكَ اللهُ عَنِّي لَا أَسْبُؤُهُ أَبَدًا»^(٢).

وذكر الخوارزمي في (مناقبه) مرفوعاً إلى عبدالله قال : خرج رسولُ اللهِ ﷺ ، فَأَتَى مَنْزِلَ أم سلمة فجاء علي عليه السلام فقال رسولُ اللهِ ﷺ : «هَذَا وَاللَّهِ قَاتِلُ الْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ وَالنَّاكِثِينَ بَعْدِي»^(٣).

وعن علقمة بن قيس والأسود بن بريدة ، قالا : أتينا أبا أيوب الأنصاري ، قلنا : يَا أَبُو أَيُوبَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَكْرَمَكَ نَبِيَّكَ إِذْ أَوْحَى إِلَى رَاحِلَتِهِ تَبْرُكَ إِلَى

(١) الغدير: للشيخ الأميني ، ج ٣ ص ١٩٤ - ١٩٥ .

(٢) يَنابيع المودَّة: للقندوزي الحنفي ، ج ١ ص ٧٩ ط ٢ مكتبة الوفاء صيدا . وكشف الغمَّة: للأربلي ، ج ١ ص ٩٢ . وكذلك (علي والوصية) لنجم الدين العسكري .

(٣) المناقب: للخوارزمي ، ص ١٢٢ ط ١٩٦٥ م ، المطبعة الحيدرية ، النجف .

بابك. فكان رسول الله ﷺ صنع لك فضيلةً فضلك بها، أخبرنا بمخرجك مع علي عليه السلام تقاتل أهل لا إله إلا الله. فقال أبو أيوب: فإنني أقسم لكما بالله تعالى، لقد كان والنيبي ﷺ معي في هذا البيت الذي أنتم فيه معي وما في البيت غير رسول الله ﷺ، وعلي جالس عن يمينه، وأنس قائم بين يديه، إذ حرك الباب، فقال رسول الله ﷺ: «أنظر إلى الباب من الباب؟» فقال: يا رسول الله، هذا عمار. فقال رسول الله ﷺ: «افتح لعمار الطيب المطيب». ففتح أنس الباب، فدخل عمار على رسول الله ﷺ، قال: «يا عمار، ستكون في أممي هنات حتى يختلف السيف، فيحكم بينهم حتى يقتل بعضهم بعضاً. فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني، يعني علي بن أبي طالب. إن سلك الناس كلهم وادياً وسلك علي وادياً، فاسلك وادي علي، وخلّ عن الناس. يا عمار: علي لا يردك عن هدي، ولا يدلك علي ردى. يا عمار، طاعة علي طاعتي، وطاعتي طاعة الله»^(١).

وكثيراً ما ردّد النبي الكريم بأنه يقاتل على تنزيل القرآن، وعلي يقاتل على تأويله، والمقاتلة على التأويل كنفس المقاتلة على التّزيل. فحرب علي على تأويله كحرب الرسول على تنزيله، ومن يطعن في حرب علي كمن يطعن في حرب الرسول ﷺ. ومن حارب النبي كافر، إلا إذا أسلم. وكذلك من حارب علياً فهو كافر، إلا إذا تاب. وهذه بعض الأحاديث الواردة في قتال علي على تأويل القرآن.

أخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «إنك تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»^(٢).

عن وهب بن صفي البصري قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أقاتلُ

(١) ينابيع المودة: للقندوزي، ج ٢ ص ٧٤ ط ٢، مكتبة العرفان صيدا.

(٢) ينابيع المودة: للقندوزي، ج ٢ ص ١٠٧ ط ٢، مكتبة العرفان صيدا.

على تنزيل القرآن، وعلي يقَاتِل على تأويل القرآن»، رواه صاحب الفردوس^(١).

وعن أبي سعيد مرفوعاً أنَّ منكم من يقَاتِل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله. قال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا». قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا». قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «لا». ولكن خاصف النعل، وأعطى علياً نعله يخصفها». أخرجه أبو حاتم وأبو يعلى الموصلي^(٢).

ومن المناقب عن أبي ذر قال: كنتُ مع رسول الله ﷺ وهو بقيق الغرقد، فقال: «والذي نفسي بيده إنَّ فيكم رجلاً يقَاتِلُ النَّاسَ بعدي على تأويل القرآن كما قاتلتُ المشركين على تنزيله، وهم يشهدون ألاَّ إله إلاَّ الله، فيكبر قتلهم على النَّاسِ حتى يطعنوا على وليِّ الله، ويسخطوا عمله كما سخط موسى أمر السَّفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار لله رِضًى، وسخط ذلك موسى. أراد بالرجل علي بن أبي طالب»^(٣).

وروى إبراهيم بن ديزل مرفوعاً إلى أبي سعيد الخدري، قال: كنَّا مع رسول الله ﷺ، فانقطع شسع نعله، فألقاها إلى علي يصلحها، ثم قال: «إنَّ منكم من يقَاتِلُ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله». فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ فقال: «لا». فقال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ فقال: «لا». ولكنَّه ذاكم خاصف النعل، ويدُّ علي على نعل النبي الكريم يصلحها»^(٤).

وروى كثير من المحدثين هذا الحديث. راجع شرح النهج لابن أبي

(١) ينابيع المودة: للقندوزي، ج ٢ ص ٥٧ - ٥٨.

(٢) ينابيع المودة أيضاً، ج ٢ ص ٣٤.

(٣) كشف الغمة: للأربلي، ج ١ ص ١١٥.

(٤) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٣ ص ٢٠٧ ط ١٩٥٩ م.

الحديد الشافعي المعتزلي الجزء الثاني ، وكذلك كتاب الإمام علي بن أبي طالب لعبد الفتاح عبد المقصود يذكر هذا الحديث في عدة مناسبات . وكذلك أحاديث الناكثين والقاسطين والمارقين ردّدت كثيراً كأحاديث التأويل .

وعن الإصبع بن نباتة قال : جاء رَجُلٌ إلى علي عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء القوم الذين نقاتلهم . الدّعوة واحدة ، والرّسول واحد ، والصّلاة واحدة ، والحجّ واحد ، فبِمَ نسّمِيهم ؟ قال : سَمَهم بما سَمّاهم الله تعالى في كتابه ، فقال : ما كلّ ما في الكتاب أعلمه . قال : أما سمعت الله في كتابه يقول : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمُ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ﴾ (١) . فلمّا وقع الاختلاف كنّا نحن أولى بالله عزّ وجلّ وبالنّبي ﷺ وبالكتاب وبالحقّ ، فنحن الذين آمنوا وهم الذين كفروا وشاء الله قتالهم بمشيئته وإرادته (٢) .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نَذَهَبَ بِكَ فَأَنَا مِنْهُمْ مُنتَقِمُونَ ﴾ نزلت في علي بن أبي طالب ، إنّهُ ينتقم من الناكثين والمارقين والقاسطين بعدي . رواه صاحب الفردوس (٣) .

ويذكر الخوارزمي في (مناقبه) مرفوعاً بأسانيدِهِ إلى أبي سعيد التميمي عن علي عليه السلام قال : عهد إليّ رسول الله ﷺ أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ، فقليل له : يا أمير المؤمنين من الناكثون ؟ قال : الناكثون أهل الجمل ، والمارقون الخوارج ، والقاسطون أهل الشام (٤) .

(١) سورة البقرة : آية ٢٥٣ .

(٢) ينابيع المودة : للقندوزي ، ج ٢ ص ٥٩ ، منشورات مكتبة العرفان .

(٣) نفس المصدر السابق ونفس الصّفحة .

(٤) مناقب الخوارزمي ، ص ١١٠ ط ١٩٦٥ م ، المطبعة الحيدرية ، النجف .

وذكر الطالقاني عن الهمداني، عن المنذر بن محمد، عن جعفر بن سليمان، عن عبدالله بن الفضل، عن سعد بن طريف، عن الإصمغيني بن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه: أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه عني، فإنَّ الفراق رهيب. أنا إمام البرية، وخير الخليقة، وزوج سيِّدة نساء هذه الأمة، وأبو العترة الطاهرة والأئمة الهادية. أنا أخو رسول الله ووصيه ووليّه ووزيره وصاحبه وصفيّه وحبيبه وخليله. أنا أمير المؤمنين، وقائد الغر المحجلين، وسيّد الوصيّين. حربي حرب الله، وسلمي سلّم الله، وطاعتي طاعة الله، وولايتي ولاية الله، وشيعتي أولياء الله، وأنصاري أنصار الله، والذي خلقتني ولم آل شيئاً، لقد علم المستحفظون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الناكثين والقاسطين والمارقين ملعونون على لسان النبي الأمي، وقد خاب من افتري^(١).

ويروي الخوارزمي في (مناقبه) مرفوعاً بالأسانيد إلى سعد بن عبادة عن علي عليه السلام، قال: أُمِرْتُ بقتال ثلاثة: الناكثين والقاسطين والمارقين. أمّا القاسطون فأهل الشّام، وأمّا النّاكثون فأهل الجمل، وأمّا المارقون فأهل النّهر وان - يعني الحرورية^(٢).

وفي شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي في الجزء السادس يقول: أمّا الخوارج فقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي: «إِنَّكَ مَقَاتِلُهُمْ وَقَاتِلُهُمْ، وَإِنَّ الْمَخْدَجَ ذَا الثَّدْيَةِ مِنْهُمْ، وَإِنَّكَ سَتَقَاتِلُ بَعْدِي النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ، فَجْعَلَهُمْ أَصْنَاماً ثَلَاثَةً». وهذا من معجزات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإخباره عن الغيوب المفصّلة.

ومن كلام الإمام في النهج: «أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالنَّكَثِ وَالْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ. أَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٤٢٢.

(٢) مناقب الخوارزمي، ص ١٢٥ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية، النجف.

جاهدتُ، وأمّا المارقة فقد دُوِّخْتُ، وأمّا شيطان الردّة فقد كَفَيْتُهُ بصعقَةٍ
سَمِعْتُ لها وجبة قلبه ورجّة صدره».

يقول ابن أبي الحديد: فقد ثَبَتَ عن النَّبي ﷺ أنه قال: «ستقاتِلُ
بعدي النّاكِثين (أصحاب الجمل)، والقاسطين (أهل الشام بصفين)،
والمارقين (الخوارج في النهروان)». وفي الفرق الثلاث قال الله تعالى: ﴿ومن
ينكث فإنّما على نفسه﴾^(١). «وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطباً». وقال
النّبي ﷺ: «يُخرجُ مِنْ ضِئْضِئِي هذا قَوْمٌ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ
السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ، ينظر أحدكم في النّصل فلا يجد شيئاً، فينظر في الفوق فلا
يجد شيئاً سبق الفرث والدم. أمّا شيطان الردّة فهو ذو الشّدية صاحب
النّهروان»^(٣).

وأحاديث كثيرة ثَبَتَتْ أَنَّ حربَ علي حربُ الرّسول، وحربُ الرّسول
حربُ الله، لا يماري في ذلك ولا يجادل إلّا كلّ دعيّ ناكب عن الصّراط.
وكثيراً ما ردّد الرّسول ﷺ: «يا عليّ حربُك حربي وسلّمك سلمي. وأنا
سِلْمٌ لمن سالّم أهل الخيمة»^(٤)، وحربٌ لمن حاربهم، ووليٌّ لمن وآلهم،
وعدوّ لمن عاداهم، لا يحبُّهم إلّا سعيد الجدّ، طيّب المولد، ولا يبغضهم إلّا
شقي الجدّ، رديء المولد»^(٥). ورواه ابن ماجّة في صحيحه، ص ١٤، ورواه
الحاكم في مستدرک الصّحّاحين ج ٣ ص ٣١٩^(٦).

(١) سورة الفتح: آية ١٠.

(٢) سورة الجن: آية ١٥.

(٣) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ١٣ ص ١٨٣ ط ١٩٦١.

(٤) أهل الخيمة هم علي وفاطمة والحسنان.

(٥) راجع مناقب الخوارزمي، ص ٢٠٦، وأرجح المطالب: لعبدالله الحنفي، ص ٣٠٩،

والرياض النضرة: للطبري الشافعي، ج ٢ ص ١٩٩.

(٦) ورواه ابن الأثير الجوزي في أسد الغابة، ج ٥ ص ٥٢٣، وذكره المتقي في كنز
العمّال، ج ٦ ص ٢١٦، ومسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٢ ص ٤٤٢، روى بسنّيه =

ولكن أين هذه التعاليم والنصح والتحذير الذي أعلنه صاحب الرسالة السماوية لقد دفنت في مهدها وتنكروا لهذه التعاليم وأصبح الإمام هو الهدف الأساسي للقضاء عليه نهائياً، لأن الشريعة تجسّمت به حيث ضحى بكل غالٍ ورخيص للمحافظة عليها، وشاء الله أن يستمر بعد وفاة الرسول الأعظم مدّة من الزمن ليدافع عن المثل العليا لهذه العقيدة، ويردّ عنها من أرادوا استغلالها لطمع مادي أو عرض دنيوي، والجهد هنا لا يقلّ خطراً ولا جرأة عن الجهاد أيام نشر الدّعوة في عهد صاحب الدّعوة الإلهية، لأنّه جهادٌ يصون الدّعوة، ويبقى عليها صريخةً مجلوبةً، بعيدة عن الأطماع.

من هذا الإيمان المندفع، ومن هذه النفس المندفعة العتيدة تجمّعت الأسباب التي جعلت عليّاً يجد نفسه غريباً في مجتمعٍ بدأ يحتال على الدّين، ويقوّض مثله العليا من أجل المصالح الذاتية، فثار على الاستغلال والطمع والرياء، وأراد أن يردّ الناس إلى الطّريق الذي يجده صالحاً، به أمنهم، وبه منجّاتهم، وسلاحه نفسه التي قمعها بالزهد، وروّضها بالصّلاح، وجردّها من كلّ زينة، لعلّ الناس يأتّمون به، ويعرضون عن الحياة الدّنيا اتباعاً له. ولكنّ الناس هم الناس، لم تستطع أي تعاليم أن تهذب طباعهم، أو تقصّر من مطامعهم، وقد رأوا الغنى بعد فقر، والتّرف بعد شظف، وانصبّت عليهم جداول من النّعماء لم تحلم بها الصّحراء، فغلب الهوى على التعاليم، وضعف الوازع الدّيني أمام هوى النّفس.

إنّه شعله غريبة أحاط بها ظلام كثيف، كلّما أرادت أن تمتدّ ألسنتها

= عن أبي هريرة قال: نظر النبي ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: «أنا حربٌ لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم». رواه الحاكم في مستدرک الصّحاحين، ص ١٤٩، ورواه الخطيب البغدادي في تاريخه، ج ٧ ص ١٣٦، والمتقي في كنز العمال، ج ٦ ص ٢١٦ نقلاً عن الطبري. ورواه ابن الأثير أسد الغابة، ج ٣ ص ١١ بهذا المعنى وإن اختلف اللفظ أحياناً، وكذلك في الفصول المهمّة: لابن الصّبّاغ المالكي، ص ٩ ط ٣ عام ١٩٦٢ م.

وترتفع، جأرت حولها رياح الأهواء لإطفائها. ونفسٌ نبيلة تعهّدتها تربية نقيّة، لم تدنّسها وثنيةٌ سالفة، ولا طبعها طبعٌ جاهلي. بل جاءت نقيّة، وظلّت طفولتها اعتقاداً قوياً، ولذلك فهَمَ الإسلامُ بمعناه الصّحيح الواضح، ونشأ في رعاية صاحب الدّعوة، يهذبُه، ويعلمُه، فما فاتَه من مكارم الدّين والأخلاق شيءٌ. ومَن نشأ على هذه المكارم يصعب عليه أن يبدّلها، أو يتساهل فيها، لأنها أصبحت في كيانه من كيانه، ولو شاء لخالف بذلك طبيعته، وعدّ معتدياً على الطّبيعة. فكان غريباً في سربه، مجفوفاً في شجرته وعشيرته، لأنهم كانوا يأخذون بالإسلام، ويؤيّدون بجانب مصالحهم الدّنيوية. لذلك كان لا بدّ من الاصطدام الواقعي بين المثالية السّامية، والواقعية المتنفعة، شأن المبادئ السّامية في كلّ زمانٍ ومكان. لقد أراد علي أن يجري النّاس على سنّته، وأراد أن يحاسبهم على الصّغيرة والكبيرة فيما يعتقدون، وأراد أن يحملهم على الإسلام الذي يفهمه هو تجرّداً من كلّ هوى ومادّة. فكان هنالك كفاح مريرٌ بين المثالية والواقعيّة. ولا يزال يقوم في كلّ عصرٍ وفي كلّ جيل. ولا تزال فيه الغلبة لمعاوية على علي، وللواقعيّة على المثاليّة، لأنّ قوى الخير لا تستطيع أن تسلك إلاّ سبيلاً صريحاً واحداً، لا تختلف عنه، بينما قوى الشرّ تصطنع سبلاً كثيرة، والكذب والمكر واستهواء النّاس بما يلائم مطامعهم، ممّا يحسنه أهل المكر والرّياء، ولا يحسنه أهل الصّدق والصّفاء. فنلقِ نظرةً سريعةً على هذا الصّراع الذي دار بين علي ومحاربيه. ولنبدأ بوقعة الجمل.

الجمل:

روى الواقدي والمسعودي أنّ الوقعة كانت يوم الخميس لعشرٍ خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٦ هجرية. وسمّيت هذه الحروب بوقعة الجمل، لأنّ قائدة الجيش عائشة فضّلت ركوب الجمل على البغال والحمير. ولهذا الجمل قصّة يرويها الطبري في تاريخه، يقول: حدّثني إسماعيل بن موسى الفزاري، قال: أخبرنا علي بن عابس الأزرق قال: حدّثنا أبو الخطّاب الهجري عن صفوان بن قبيصة الأحمسي، قال: حدّثني العرنبي صاحب الجمل قال: بينما

أنا أسيرُ على جملٍ ، إذ عرض لي راكبٌ فقال : يا صاحبَ الجملِ تبيعُ جملَكَ؟ قلتُ : نعم . قال : بكم؟ قلتُ : بألف درهم . قال : مجنونٌ أنت؟ جملٌ يباع بألف درهم؟ قال : قلتُ : نعم . جملي هذا ، قال : وممَّ ذلك؟ قلتُ : ما طلبتُ عليه أحداً قطَّ إلا أدركته . ولا طلبني وأنا عليه أحدٌ قطَّ إلا فُتِّه . قال : لو تعلم لمن يزيده لأحسنتَ بيعنا . قال : قلتُ : ولمن تريده؟ قال : لأُمِّك ! قلتُ : لقد تركتُ أُمِّي في بيتها قاعدةً ما تريد براحاً . قال : إنما أريده لأم المؤمنين عائشة . قلتُ : فهو لك . فخفه بلا ثمن . قال : لا ، ولكن ارجع معنا إلى الرَّحْلِ فلنعطِكَ ناقةً مهريةً ، ونزيدُك دراهم . قال : فرجعتُ ، فأعطوني ناقةً لها مهريةً ، وزاودني أربعمئة أو ستمئة درهماً . فقال لي : يا أخا عرينة هل لك دلالة بالطريق؟ قال : قلتُ : نعم . أنا من أدرك الناس . قال : فسيرُ معنا . فسيرتُ معهم ، فلا أمرٌ على وادٍ إلا سألوني عنه حتى طرقتنا ماء الحبوب ، فنبحتنا كلابها . قالوا : أي ماء هذا؟ قلتُ : ماء الحبوب . قال : فصرختُ عائشة بأعلى صوتها ، ثم ضربتُ عضدَ بغيرها فأناخته ، ثم قالت : أنا والله صاحبة كلاب الحبوب طروقاً ، ردوني . تقول ذلك ثلاثاً . فأناختُ وأناخوا حولها . وهم على ذلك وهي تأتي حتى كانت الساعة التي أناخوا فيها من الغد . قال : فجاءها ابن الزبير ، فقال : النجاء النجاء ، فقد أدرككم والله علي بن أبي طالب . قال : فارتحلوا وشموني ، فانصرفتُ ، فما سرتُ قليلاً وإذا أنا بعلي إلى آخره (١) .

إنَّ عائشة ما كان يدور في خلدِها أن علياً هو الذي سيُملاً هذا الفراغ بعد عثمان . لذلك ركزت جهدها للقضاء على عثمان وسمته نعثلاً . وكثيراً ما قالت : اقتلوا نعثلاً ! قتل الله نعثلاً فقد كفر . وكثيراً ما كانت تخرج قميص رسول الله ﷺ فتشره في بيتها وتقول لمن يمر بها : « هذا قميصُ رسولِ الله لم يبيل وقد أبلى عثمانُ سنته » (٢) . وأخذتُ تعملُ لهدم سلطانه ، وقصدها أن

(١) تاريخ الطبري ، ج ٥ ص ١٧٠ - ١٧١ ط ١ المطبعة الحسينية المصرية .

(٢) ابن الأثير ، ج ٣ ص ١٠٩ ، حوادث سنة ٢٦ ، وأعيان الشيعة نقلاً عن الطبري .

تملاً مقعده الإمارة الإسلامية بمن تريده. ولما حوَصِر عثمان عبَّرت عن حقدِها فقالت: «والذي نفسي بيده لوددتُ أنه الآن في غرارةٍ من غرائري مخيط عليه فألقينه في البحر الأخضر»^(١). ولما قُتِلَ وبلغها نبأ بيعة علي صرخت: قُتِلَ عثمان مظلوماً، وأخذتُ تنتقلُ من بلدٍ إلى آخر تخطب وتكتب إلى الآفاق لتشعل نار الحرب وتفرق كلمة المسلمين إلى شيع وأحزاب يقتل بعضهم بعضاً.

أخى النبي بين المسلمين، وألف بين قلوبهم، وعائشة ألقتِ العداوة والبغضاء بين الأصحاب، وأتباع الرسول، وأمر الله والرسول أن تقر النساء في البيوت. ووقفت عائشة علماً للجيش، ولم تُراع للنبي سترًا ولا حرمةً.

قالت لها أم سلمة: أقسم بالله لو سرتُ سيرك هذا، ثم قيل لي: ادخلي الفردوس لاستحييتُ أن ألقى محمداً هاتكة حجاباً قد ضربته علي.

وقال الإمام: والله إن رابكة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ولا تحلُّ عقدة إلا في معصية الله وسخطه، حتى تورِد نفسها ومن معها موارد الهلكة.

وقال لها جارية بن قدامة السَّعدي: يا أم المؤمنين والله لقتلُ عثمان أهونُ من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون، عرضةً للسلاح. إنه قد كان لك من رسول الله سترٌ وحرمة، فهتكتِ سترَك، وأبحتِ حرمتك، إنه من رأى قتالك يرى قتلك^(٢).

ومثل هذا القول قاله ابن صوحان لها: (قال الطبري) فيما رواه: كتبتُ عائشة لما قدمتِ البصرة إلى زيد بن صوحان بالكوفة. من عائشة أم المؤمنين حبيبة رسول الله ﷺ إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان، أما بعد: فإذا أتاك كتابي هذا فأقدم فانصرنا على أمرنا هذا، فإن لم تفعل فخذل الناس عن علي. فكتب. من زيد بن صوحان إلى عائشة، أما بعد: فأنا ابنك الخالص

(١) الإمام علي بن أبي طالب لعبد الفتاح عبد المقصود.

(٢) ابن الأثير، ج ٣ ص ١٠٩ حوادث سنة ٢٦، وأعيان الشيعة نقلاً عن الطبري.

إن اعتزلت هذا الأمر، ورجعت إلى بيتك. وإلا فأنا أول من أنابذك. قال زيد بن صوحان: رحم الله أم المؤمنين أمّرت أن تلزم بيتها، وأمرنا أن نقاتل، فتركنا ما أمّرت به وأمرتنا به، وصنعت ما أمرنا به ونهتتنا عنه^(١).

وكل من درس التاريخ يعرف من قتل عثمان، وإذا كانت تطالب بدميه، فكيف تتعاون مع طلحة؟ طلحة الذي قاد الثورة ضد عثمان. ولما قتل مروان طلحة شفى غليله وقال: «والله لا طالبت بثار عثمان بعد اليوم». وقال لبعض ولد عثمان: «لقد كفيتك ثار أبيك من طلحة». هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن عائشة ليست ولية الدم حتى تطلب به، ولا هي خليفة المسلمين حتى تقيم الحدود. ومتى قام عامود الدين بالنساء؟! وهي - كما يعرف المسلمون - حافظة الأحاديث حتى قيل عنها:

حفظت أربعين ألف حديث ومن الذكر آية تنساها

فهل نسيت أخوة النبي لعلني؟ وقوله: سلّمك سلّمي، وحربك حربي. وقوله: علي مع الحق، والحق مع علي يدور معه أنى دار، وقوله: علي مني وأنا من علي، وقوله: لا يبغض علياً إلا من خرج من الإيمان^(٢).

وأرسل الإمام عائشة إلى بيتها الذي أمرها الله أن تقر فيه، وكانت أشد المغلوبين حسرة، وأعظمهم ندماً. وكانت تتلو: «وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية»^(٣) الآية، ثم تبكي حتى يبتل خمارها. وكانت تقول: «وددت لو أنني مت قبل هذا اليوم بعشرين عاماً». وكانت تقول بعد رجوعها من الحجاز: «والله إن قعودي عن يوم الجمل لأحب إليّ لو أتيح لي من أن يكون لي عشرة بنين من رسول الله ﷺ»^(٤).

(١) كتاب حرب الجمل وحرب صفين: للسيد محسن الأمين، ط ١٩٦٩ م، دار الفكر.

(٢) فضائل الإمام علي: لمحمد جواد مغنية، ص ١٣٠ - ١٣١.

(٣) سورة الأحزاب: آية ٢٣.

(٤) الفتنة الكبرى: لطف حسين.

ويذكر الخوارزمي في مناقبه مرفوعاً بالأسانيد إلى هشام بن عروة عن أبيه، قال: ما ذكرت عائشة مسيرها يوم الجمل إلا بكّت حتّى تبلّ خمارها بالبكاء، وتقول: يا فضيحتاه، ليتني كنت نسياً منسياً^(١).

وكيف لا تتألم ولا تبكي؟! والنبي الكريم يقول لأزواجه: أيتكنّ صاحبة الجمل الأدب يقتل حولها قتلى كثير، وتنجو بعدما كادت؟!!

وكيف لا تذرف الدمع؟ وصوت أم سلمة يرنّ في أذنها حيث قالت لها: بالأمس كنت تحرضين على عثمان، وتقولين أخبث القول، وما كان اسمه عندك إلا نعثلاً، وأنت لتعرفين منزلة علي عند الرسول. أفأذكرك؟ قالت: نعم. قالت: أتذكرين يوم خلا الرسول بعلي! فقررت الهجوم، فنهيتك، فعصيتني، فهجمت عليهما، فرجعت باكية، فسألتك عن السبب، فقلت: لما هجمت قلت لعلي: ليس لي من رسول الله ﷺ إلا يوم من تسعة أيام. أفما تدعيني يا بن أبي طالب ويومي؟! فأقبل الرسول علي وهو غضبان، فقال: «ارجعي وراءك. والله لا يغيضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلا وهو خارج من الإيمان»، فرجعت نادمة ساقطة. قالت عائشة: نعم، أذكر ذلك!

قالت: وأذكرك أيضاً، كنت أنا وأنت مع الرسول ﷺ وأنت تغسلين رأسه، وأنا أحيس له حيساً (تمر مخلوط بسمن ويُعجن) فرفع رأسه وقال: يا ليت شعري! أيتكنّ صاحبة الجمل الأدب، تنبّحها كلاب الحوَّب، فتكون ناكبة عن الصراط، فرجعت يدي من الحيس، فقلت: أعوذ بالله وبرسوله من ذلك، ثم ضرب على ظهرك وقال: «إياك أن تكونيها». ثم قال: «يا بنت بني أمية إياك أن تكونيها يا حميراء! أما أنا فقد أندرُتك». قالت عائشة: نعم أذكر ذلك.

قالت: وأذكرك أيضاً؟ كنت أنا وأنت مع الرسول ﷺ في سفرٍ له.

(١) مناقب الخوارزمي، ص ١١٥ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية - النجف.

وكان علي يخصف نعل الرسول، وجاء أبوك ومعه عمر. فاستأذنا عليه، فقمنا إلى الحجاب، ثم قالوا له: يا رسول الله إننا لا ندري قدر ما تصحبنا، فلو أعلمتنا من تستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعا؟ فقال لهما: أما أني فقد أرى مكانه، ولو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران. فسكتا، ثم خرجا. فلما خرجنا إلى الرسول ﷺ قلت له: من كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم؟ فقال: «خاصف النعل». فنظرنا فلم نر إلا علياً. فقلت: يا رسول الله! ما أرى إلا علياً. فقال: «هو ذاك». فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك. فقالت: فأني خروج تخرجين بعد هذا؟ قالت: إنما أخرج للإصلاح بين الناس، وأرجو فيه الأجر، فقالت لها: افعلي وشأنك^(١).

وكيف لا تندب حظها العاثر؟! ولم تحقق الظفر الذي كانت تنشده لأعوانها الذين كانوا يأخذون بعرجملها عسكر، فيشمونه ويقولون: «بعر جمل أمنا ريحه ريح المسك». وهنا نترك المجال لصاحب كتاب (النص والاجتهاد) يتساءل قائلاً: فهل يا ترى كانت أم المؤمنين في هذا الخروج وما إليه تريد الله ورسوله والدار الآخرة، وأنها من المحسنات؟ تبتغي بذلك الأجر والثواب الذي وعد الله به نساء نبيه إذ يقول: ﴿وإن كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكم أجراً عظيماً﴾^(٢).

أم كانت ترى أن بينها وبين الله هوادة، يُبيح لها ما قد حرّمه الله على العالمين؟ فارتكبت بخروجها - على الإمام - ما ارتكبت آمناً من وعيده إذ يقول: ﴿يأينساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً﴾^(٣).

أم أنها يا ترى رأت خروجها ذلك الخروج، عبادة لله وقنوتاً منها له

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد.

(٢) سورة الأحزاب: آية ٢٩.

(٣) سورة الأحزاب: آية ٣٠.

ولرسوله وعملاً صالحاً، فاستأثرت به، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لَهِ رِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(١).

أم أنها أرادت أن تمثل التقوى والورع بخروجها دون صواحبها من نساء النبي ﷺ لتستأثر من بينهن بالعمل بقوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ اتَّقَيْتُنَّ﴾^(٢).

وهل رأت بيت ابن ضبة بيتها الذي أمرها الله أن تقر فيه؟ ورأت قيادتها لتلك الجيوش سرادقاً ضربه طلحة والزبير عليها يصونها عن تبرج الجاهلية الأولى؟ ويفرغها للصلاة والزكاة وطاعة الله ورسوله؟

ورأت أنها تكون بذلك كله نصب أمر الله ونهيه إذ يقول عز وجل: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٣).

وماذا تقول؟ أو يقول أولياؤها؟ في خطاب الله لها ولصاحبتها بقوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ، وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيراً ، عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ﴾^(٤).

وحسبهما من الله تعالى حجة عليهما مثله العظيم الذي ضربه لهما في سورة التحريم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ . وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ

(١) سورة الأحزاب: آية ٣١.

(٢) سورة الأحزاب: آية ٣٢.

(٣) سورة الأحزاب: آية ٣٣.

(٤) سورة التحريم: آية ٥.

رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^(١) .

وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ مِنْ أَبْطَالِ أَهْلِ الْبَيْتِ عِلْمًا وَعَمَلًا:

عَائِشُ مَا نَقُولُ فِي قِتَالِكَ سَلَكْتُ فِي مَسَالِكَ الْمَهَالِكِ
وَحَسْبُكَ مَا أَخْرَجَ الْبَخَارِي مِنَ الصَّحِيحِ مُؤْمِنًا لِلدَّارِ^(٢)
قَدْ قِيلَ ثُبَّتْ وَعَلِيٌّ غَمُضًا فَلَمْ سَجَدْتَ الشُّكْرَ لِمَا قُبِضَا
وَلَمْ رَكِبْتَ الْبَغْلَ فِي يَوْمِ الْحَسَنِ تَوَجَّجِينَ نَارَ هَاتِيكَ الْفِتَنِ^(٣)
وبالرغم من كل ذلك فإنها تعلم أن علياً أحب الناس كان إلى رسول الله ﷺ . ولكنها كانت تعلل خروجها بأنه قضاء وقدر.

حَدَّثَ الْعَوَامُ بْنُ حَوْشَبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَمِيٍّ مَجْمَعٌ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ، فَسَأَلْتُهَا عَنْ مَسِيرِهَا يَوْمَ الْجَمَلِ؟ فَقَالَتْ: كَانَ قَدْرًا مِنْ اللَّهِ. فَسَأَلْتُهَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام. فَقَالَتْ: تَسْأَلُنِي عَنْ أَحَبِّ النَّاسِ كَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَزَوْجِهِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. لَقَدْ رَأَيْتُ عَلِيًّا وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا وَجَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ ثَوْبَهُ،

(١) سورة التحريم : الآيتان ١٠ و ١١ .

(٢) يشير إلى ما أخرجه البخاري في باب ما جاء في بيوت أزواج النبي من كتاب الجهاد والسير، ص ١٢٥ من الجزء الثاني من صحيحه عن عبدالله قال: قام النبي ﷺ فأشار إلى مسكن عائشة فقال: هاهنا الفتنة، هاهنا الفتنة حيث يطلع قرن الشيطان، ولفظه عند مسلم: خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فقال: «رأس الكفر من هاهنا حيث يطلع قرن الشيطان». راجعه في كتاب الفتن وأشراف الساعة، ص ٥٠٣ من الجزء الثاني من صحيحه.

(٣) كان الحسن أنذر الهاشميين قبل وفاته بفتنة يخشاها من بني أمية إذا أراد الهاشميون دفنه عند جده عليه السلام، وعهد إلى أخيه الحسين أن يتدراك الشر إذا هبت عواصفه، بدفنه في البقيع عند جدته فاطمة بنت أسد، فلما قضى نحبه أراد الهاشميون أن يدفنه عند جده فنارت نائرة الأمويين وعلى رأسهم مروان وسعيد بن العاص، وجاؤوا بعائشة وهي على بغل، تذودهم عن بيتها قائلة: لا تدخلوا بيتي. وروى الأصفهاني في (مقاتل الطالبيين): لما أرادوا دفن الحسن ركبت عائشة بغلاً واستعونت بني أمية =

فقال: «اللَّهُمَّ هؤلاء أهل بيتي اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». فقلت: يا رسول الله أنا من أهلك؟ فقال: «تَنَحِّي، وإِنَّكَ على خير»^(١).

وكثيراً ما طلب منها الرسول ﷺ أن تعرف حق علي عليه السلام، فعرفتُه في وقعة الجمل. فعن حارثة بن أبي الرجال، عن عمرة، قالت معاذة الغفارية: كنت أنيساً لرسول الله ﷺ في بيت عائشة، وعلي خارج الباب. فقال لها: هذا أحب الرجال إلي وأكرمهم علي، فاعرفي له حقه، وأكرمي مثواه، والنظر إلى علي عبادة^(٢).

ولما عرفت أن حق الخلافة عاد إلى علي، وكانت ذاهبة إلى المدينة قالت: ردوني ردوني. وقالت: ليت السماء انطبقت على الأرض إن تم الأمر لعلي بن أبي طالب. وأخذت تطالب بدم عثمان بدلاً من التحريض لقتله. ومن العجيب لقد بقيت عائشة حوالي خمسة وعشرين عاماً بعد وفاة

= مروان ومن كان هناك منهم ومن حشمهم، وهو قول القائل: يوماً على بغلٍ ويوماً على جمل.

وذكر المسعودي ركوب عائشة البغلة الشهباء، ليومها الثاني من أهل البيت، قال: فأتاها القاسم بن محمد بن أبي بكر فقال: يا عمّة ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر أترين أن يُقال: يوم البغلة الشهباء. قال الشاعر:

تَجَمَّلْتَ تَبَغَّلْتَ ولو عشتِ تَفِيَّلْتَ
لَكَ التَّسْعُ مِنَ الثَّمَنِ وفي الكَلِّ تَصَرَّفْتَ

لكن من أين أتاها هذا الملك؟ تملكك بيت الرسول تدخل به من تشاء وتذود عنه من لا تحب. فهل ملكها رسول الله بيته ببيع أو هبة؟ كلا. نعم أسكنها في حجرة من حجرات داره شأنها شأن نساء الأخريات. على أنه لو سلمنا أن يد عائشة علي حجرتها إماراة تملكها، فلم تكن يد الزهراء على فذك إماراة على تملكها؟ ولعل الخليفة ملكها بنت رسول الله بعد وفاته ﷺ بولايته العامة. وهذا ليس ببعيد، لكننا كنا نأمل، أن يعامل بنت رسول الله فيما كان في يدها معاملة بنته. ولو فعل ذلك لكان أقرب إلى اجتماع الكلمة، ولم شعث الأمة ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) كشف الغمة: للأربلي، ج ١ ص ٤٧.

(٢) ينابيع المودة: للقندوزي الحنفي، ج ١ ص ٨٠، منشورات مكتبة العرفان.

زوجها، وهي رهينة دارها، لا تُساهم في الحياة العامة بأي نصيب. وطيلة هذه المدة كان أثرها مجهولاً عن صحائف التاريخ، حتى بايعوا علياً، فأبدت نشاطاً سياسياً لم يسبق له مثيل. ففتنتها كانت سلاحاً حاداً في أيدي الأهواء والمطامع تلقتته بنو أمية والوصوليون بكل شوق، تحت ستار دم عثمان، فكان هذا أرهف سلاح قدمته معاوية لتحطيم الحكم العلوي بمساعدة طلحة والزبير اللذين هما من قتلة عثمان.

تقدم سعيد بن العاص إلى عائشة وقال لها: إلى أين يا أم المؤمنين؟ فقالت: إلى البصرة. قال: وماذا تصنعين بها؟ قالت: أطلب بدم عثمان. فاستضحك ساخراً وقال: فهؤلاء قتلة عثمان معك يا أم المؤمنين^(١).

والخلاصة: إن فتنة الجمل كان لها خطرُها الأكبر على الأمة الإسلامية، لأنه لولا حرب الجمل لما كانت حرب صفين والنهروان، ولا مذبحة كربلاء، ووقعة الحراء، ولا رميت الكعبة المكرمة بالمنجنيق أكثر من مرة، ولا كانت الحرب بين الزبيريين والأمويين والعباسيين ولا افترق المسلمون إلى سنة وشيعة، ولما وجد بينهم جواسيس وعملاء يعملون على التفريق والشقاق، ولما صارت الخلافة الإسلامية ملكاً يتوارثها الصبيان، ويتلاعب بها الخدم والنسوان^(٢).

صفين:

إن معاوية لم يطمع بالخلافة، ولم يحدث بها نفسه قبل فتنة الجمل، لأنه الطليق ابن الطليق، وخاصةً سمع معاوية من عمر بن الخطاب يقول: الخلافة محرمة على الطلقاء. لذلك استعمل معاوية عثمان، فلم يناصره، لأنه سياسي محترف، وقدمت وقعة الجمل له الحلول، فتذرع بدم عثمان، وأخذ يطالب كما طالب أصحاب الجمل، وأن الإمام هو المدبر

(١) الإمام علي بن أبي طالب: لعبد الفتاح عبد المقصود.

(٢) فضائل الإمام: لمحمد جواد مغنية.

قتله. لذلك قال ابن سيرين: ما علمت أن علياً أتهم بدم عثمان حتى بويع، فلما بويع أتهمه الناس. وكان مع الإمام تسعون ألفاً، ومع معاوية خمس وثمانون ألفاً^(١). وبعد أن يئس علي من السلم دارت الحرب رحاها، وقُتل عمار بن ياسر، وكان من قوم علي. وقد قال فيه النبي ﷺ: «تقتلك الفئة الباغية»^(٢)، ولما أشرف جيش علي على النصر طلب معاوية من عمرو بن العاص أن ينقذه بحيلته، فأمر جيوشه برفع المصاحف. وكانت المأساة التي يعرفها الجميع من انشقاق عسكر الإمام ومهزلة التحكيم. قال المسعودي:

(١) المسعودي، ج ٢ من مروج الذهب.

(٢) روى نصر بن مزاحم قال: حدثني يحيى بن يعلى، قال: حدثني صباح المزني عن الحارث بن حصين، عن زيد بن أبي رضاء، عن أسماء بن حكيم الفزاري، قال: كنا بصفين مع علي تحت راية عمار بن ياسر، ارتفاع الضحى، وقد استظللنا برداء أحمر، إذ أقبل رجل يستقري الصف، حتى انتهى إلينا. فقال: أيكم عمار بن ياسر؟ فقال عمار: أنا عمار، قال: أبو اليقظان؟ قال: نعم. قال: إن لي إليك حاجة، أفأنتق بها سرّاً أو علانية؟ قال: اختر لنفسك أيهما شئت؟ قال: لا، بل علانية، قال: فأنطق قال: إني خرجت من أهلي مستبصراً في الحق الذي نحن عليه، لا أشك في ضلالة هؤلاء القوم، وأنهم على الباطل، فلم أزل على ذلك مستبصراً حتى ليلتي هذه، فإن رأيت في منامي منادياً تقدّم، فأذن، وشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، ونادى بالصلاة، ونادى مناديهم مثل ذلك، ثم أقيمت الصلاة، فصلينا صلاة، وتلونا كتاباً واحداً، ودعونا دعوة واحدة، فأدركني الشك في ليلتي هذه، فبت بلبلة لا أعلمها إلا الله تعالى، حتى أصبحت، فأتيت أمير المؤمنين، فذكرت له ذلك. فقال: هل لقيت عمار بن ياسر؟ قلت: لا، قال: فآلقه، فانظر ماذا يقول لك عمار، فأتبعه، فجئت لذلك. فقال عمار: تعرف صاحب الرؤية السوداء المقابلة لي؟ فإنها راية عمرو بن العاص. قاتلتها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرّات، وهذه الرابعة، فما هي بخيرهن، ولا أبرهن، بل هي شرهن وأفجرهن! أشهدت بدرّاً وأحداً ويوم حنين؟ أو شهدتها أب لك فيخبرك عنها؟ قال: لا. قال: فإن مراكزنا اليوم على مراكز رايات رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم أحد، ويوم حنين. وإن مراكز رايات هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب. فهل ترى هذا العسكر ومن فيه؟ والله لو ددّت أن جميع من فيه ممن أقبل مع معاوية يريد قتالنا، مفارقاً للذي نحن فيه، كانوا خلقاً واحداً، فقطعته وذبحته. والله ليدأوهم جميعاً أحلّ من دم عصفور. أفترى دم عصفور =

كان عدد القتلى بصفين من أهل الشام خمسة وأربعين ألفاً، ومن أهل العراق خمسة وعشرين ألفاً.

وقعة النهروان:

ثم حصلت وقعة النهروان. وهؤلاء الذين انشقوا عن علي، وقالوا: لا حكم إلا لله، وأمروا عليهم رجلاً يُلقَّبُ بذي الثدية. وبَعَدَ أن حاول الإمام إقناعهم، فلم يرضوا بغير القتال، وأخذوا يرمون قومَ علي بالسَّهام. فقال: الله أكبر! حُلِّ قتالهم. وقال: دونكم القوم، فإنه لا يفلت منهم عشرة، ولا يُقتل منكم عشرة. فحملوا عليهم حملة رجل واحد. وما هي إلا ساعات حتى انتهت المعركة. وكان الأمر كما قال الإمام: هرب من الخوارج تسعة، وقُتِل من أصحابه تسعة. وكان ذو الثدية فيمن قُتِل.

قال المسعودي وغيره: إن بعض أصحاب الإمام قال: قطع الله دابرهم إلى آخر الدهر. فقال الإمام: كلا! والذي نفسي بيده: إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء^(١).

هذا مجمل حروب الإمام مع النبي ﷺ ظاهرة تستلقت النظر، وهي أن أصحاب الجمل وصفين عملوا جاهدين على قتل عثمان، أو خذله

= حراماً؟ قال: لا، بل حلال. قال: فإنهم حلال كذلك. أتراني بيئت لك؟ قال: قد بيئت لي. قال: فاختر أي ذلك أحببت!!

فانصرف الرجل، فدعاه عمار ثم قال: أما إنهم سيضربونكم بأسيا فكم حتى يرتاب المبطلون منكم، فيقولوا: لو لم يكونوا على حق ما أظهروا علينا. والله ما هم من الحق على ما يقضي عين ذباب. والله لو ضربونا بأسيا فيهم، حتى يبلغونا سعفات هجر، لعلمنا أننا على حق، وأنهم على باطل. (شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٥ ص ٢٥٦ - ٢٥٨). (انتهى).

(١) يوجد الآن منهم آلاف في طرابلس الغرب، وفي زنجبار، ووطنهم الأصلي عمان الذي تقوم فيه الثورة الآن بينهم وبين الإنكليز. ولهم كتب في الفقه والحديث (فضائل الإمام: لمحمد جواد مغنية).

ولم يناصروه على الأقل، ثم رموا الإمام بدميه، وهم يعلمون أنه بريء منه براءة الشمس من الدنس، وحاربوه على فعلتهم وجريمتهم، وكذا الخوارج أصرُّوا على التحكيم، ثم خرجوا على الإمام يقاتلونه من أجله.

والسر في ذلك أن حروب الإمام ليست بظاهرها كحروب النبي ضدَّ الشُّرك والمُشركين. وإنما هي حربٌ ضدَّ اللُّصوص وقطاع الطُّرق كحرب أهل الجمل وصفين، أو ضدَّ الجهلة الذين يحرمون قتل الخنزير، ويستبيحون ذبح الأتقياء والأبرار، وبقر بطون النساء الحبالى.

والخلاصة أنه ما عُرف عن بطل في العالم إلا كان مغلوباً حيناً، وغالباً حيناً إلا علي، فهو الغالب أبداً ودائماً، وهذا من خصائصه، ومنها أيضاً أن العرب يفخرون بأن قريبتهم قُتل بسيف علي، ويجعلون من هذا دليلاً على أن صاحبهم بارز علياً، وهو الموت الذي لا بُدَّ منه.

وبهذه المناسبة يسرُّنا أن ننقل ما ذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج عن أبي جعفر نقيب البصرة يقول:

إن من تأمل حال الرجلين (محمد وعلي) وجدَّهما متشابهين في جميع أمورهما أو في أكثرها. وذلك لأنَّ حرب الرسول ﷺ مع المشركين كانت سجالاً، انتصر يوم بدر، وانتصروا عليه يوم أُحد، وكان يوم الخندق كفافاً. خرج هو وهم سواء لا عليه ولا له، لأنَّهم قتلوا رئيس الأوس سعد بن معاذ، وقُتل منهم فارسهم (ابن ود)، ثم حارب بعدها قريشاً يوم الفتح، فكان الظفر له، وهكذا كانت حروب علي، انتصر يوم الجمل، وخرج الأمر بينه وبين معاوية على سواء ثم حارب بعد صفين أهل النهروان، فكان الظفر له. قال: ومن العجب أن أول حروب رسول الله ﷺ كانت بداراً، وكان المنصور فيها. وأول حروب علي كان الجمل، وكان هو المنصور فيها. ثم كان من صحيفة الصلح والحكومة يوم صفين نظير ما كان من صحيفة الصلح والهدنة يوم الحديبية. ثم دعا معاوية في آخر أيام علي إلى نفسه وتسمى بالخلافة، كما أن مسيلمة والأسود العنسي دعوا إلى أنفسهما في آخر أيام

رسول الله ﷺ ، وتسمياً بالنبوة، واشتدَّ على عليّ ذلك، كما اشتدَّ على رسول الله ﷺ أمر الأسود ومسيلمة، وأبطل الله أمرهما بعد وفاة النبي ﷺ وكذلك أمر معاوية وبني أمية بعد وفاة عليّ، ولم يحارب رسول الله ﷺ أحد من العرب إلا قريش، ما عدا يوم حُنين. ولم يحارب عليّاً من العرب أحد إلا قريش ما عدا يوم النهروان. ومات عليّ شهيداً بالسيف، ومات رسول الله ﷺ شهيداً بالسّم. وهذا لم يتزوج على فاطمة أم أشرف أولاده حتى ماتت، ومات رسول الله ﷺ عن ثلاث وستين سنة، ومات عليّ عن مثلها. وكان يقول: انظروا إلى أخلاقهما وخصائصهما، هذا شجاع وهذا شجاع، وهذا فصيح وهذا فصيح، وهذا سخيّ جواد وهذا سخيّ جواد، وهذا عالم بالشرائع والأمور الإلهية، وهذا عالم بالفقه والشريعة والأمور الإلهية الدقيقة الغامضة. وهذا زاهد في الدنيا غير نهم عليها، ولا مستكثِر منها، وهذا زاهد في الدنيا تارك لها، غير متمتع بلذاتها. وهذا مُدبِّب نفسه في الصلوة والعبادة، وهذا مثله. وهذا غير محبِّب إليه من الأمور العاجلة إلا النساء، وهذا مثله. وهذا ابن عبد المطلب بن هاشم، وهذا في تعدُّده، وأبواهما أخوان لأبٍ واحد دون غيرهما من بني عبد المطلب. ورُبي محمد ﷺ في حجر والد هذا، وهذا أبو طالب، فكان جارياً عنده مجرى أولاده. ثم لما شبَّ ﷺ وكَبُر، استخلصه من بني أبي طالب، وهو غلام، فربّاه في حجره مكافأة لصنيع أبي طالب به، فامتزج الخلقان، وتمثلت السجّتان. وإذا كان القرين مقتدياً بالقرين، فما ظنك بالتربية والتثقيف الدَّهر الطويل؟ فواجب أن تكون أخلاق محمد ﷺ كأخلاق أبي طالب، وأن تكون أخلاق عليّ كأخلاق أبي طالب أبيه ومحمد ﷺ مربّيه، وأن يكون الكلُّ شيمَةً واحدة وسوساً واحداً وطينة مشتركة ونفساً غير منقسمة ولا متجزئة، وألا يكون بين بعض هؤلاء وبعض فرق ولا فضل، لولا أن الله تعالى اختصَّ محمداً ﷺ برساليته، واصطفاه لوحيه، فامتاز رسول الله ﷺ بذلك عمّا سواه، وبقي - ما عدا الرسالة - على أمر الاتحاد. وإلى هذا المعنى أشار ﷺ بقوله: «أخصمكم بالنبوة، فلا نبوة بعدي، وتخصم الناس بسبع». وقال له أيضاً: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي». فأبان نفسه منه

بالنبوة، وأثبت له ما عداهما من الفضائل والخصائص مشتركاً بينهما.

وكان النقيب أبو جعفر عالماً عاقلاً منصفاً في الجدل، غير متعصب للمذهب، فإنه كان علوياً، وكان يعترف بفضائل الصحابة، ويشني على الشيخين، ويقول: إنهما مهّدا دين الإسلام، وأرسيا قواعده بما تيسر للعرب من الفتوح والغنائم في دولتهما. ويرى أن حكمهما حكم مسلم مؤمن عصى في بعض الأفعال، وخالف الأمر، فحكمه إلى الله إن شاء أخذه، وإن شاء غفر له، وهو يرى أنهما من أهل الجنة.

أما معاوية فيرى أنه من أهل النار، لا لمخالفته علياً، ولا لمحاربته إياه، ولكن عقيدته لم تكن صحيحة، وإيمانه لم يكن حقاً. وكان من رؤوس المنافقين هو وأبوه، ولم يسلم قلبه قط، وإنما أسلم لسانه، وحاشا لله أن يثبت معاوية في جريدة الشيخين الفاضلين. والله ما هما إلا كالذهب الإبريز، ولا معاوية إلا كالدرهم الزائف.

الفصل السابع

علمه عليه السلام

إنَّ الكتابة عن علم الإمام تختلف عن الكتابة عن علم الآخرين، لأنَّ الله سبحانه علَّم نبيّه محمّداً بن عبد الله ﷺ جميع ما علَّمه لأنبيائه ورسله. ومحمّداً بن عبد الله ﷺ علَّم عليّاً جميع ما تعلَّمه عن الله تعالى، فأصبح هو البحر المحيط. وكيف لا يكون ذلك؟ وهو باب مدينة العلم، وهو الإمام المبين الذي عبّر الله عنه بقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾. وهو صاحبُ الأذن الواعية، لأنَّ الرُّسول الأعظم ﷺ دعا له عندما نزلت هذه الآية (١)، فقال: سألتُ الله أن تكون أذنك يا علي. فقال ﷺ: ما نسيْتُ شيئاً بعد، وما كان لي أن أنسى. وإذا كان علي تلقى عن ابن عمِّه ﷺ جميع ما تعلَّمه عن الله تعالى فلا نستغرب من الإمام قوله: سلوني قبل أن تفقدوني - سلوا من عنده علم الأولين والآخرين - سلوني عن كتاب الله آية - سلوني عن طرق السموات - سلوني عمّا كان وعمّا يكون إلى يوم القيامة، إلى آخر الخطب والعبارات التي صدرت عنه معبراً عمّا يحويه صدره من علم غزير لو أصاب له حملة كقولهِ: اندمجتُ على مكنونِ علمٍ لو بُحْتُ به لاضطربتُم اضطرابَ الأرشية في الطويّ البعيد (٢). هذا هو الإمام الذي هدى

(١) ﴿وتعيها أذن واعية﴾ سورة الحاقة : آية ١٢ .

(٢) بحار الأنوار: للمجلسي، جـ ٩ ص ٣.

بعلمه كثيراً من أحبار اليهود وعلماء النصارى ورجال الدين والزنادقة - كما سيأتي في هذا الفصل - عندما كانوا يوجهون أسئلتهم إلى الخلفاء بعد وفاة الرسول ﷺ فلم يعثروا على الإجابة الصحيحة والإقناع السديد إلا عند علي بن أبي طالب، مما حفز الكثير منهم إلى اعتناق الدين الإسلامي بدلاً من الكيد له. وهذا ما دعا الخليفة الثاني عمر بن الخطاب إلى القول في عدة مناسبات: لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن - مشكلة ولا أبا الحسن - إلى ما هنالك من أقوال متعددة لا داعي لذكرها.

وهذه بعض الأدلة التي تثبت أن الإمام لا يجارى في علمه ولا يبارى. أخرج أبو نعيم في (الحلية) عن ابن مسعود: قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلا وله ظهر وبطن، وإن علي بن أبي طالب عنده من الظاهر والباطن. وفي (الاستيعاب) بسنده عن ابن عباس أنه قال: واللّه لقد أعطي علي تسعة أعشار العلم. وأيم الله لقد شارككم أو شاركهم في العشر العاشر. وكفى فخراً لعلي عليه السلام ما قاله الرسول ﷺ له: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب، أو فمن أراد العلم فليأت الباب، أو فليأته من بابه، أو من أراد بابها فليأت علياً، أو لا تؤتى البيوت إلا من أبوابها، أو كذب من زعم أنه يصل إلى المدينة إلا من الباب...» إلى كثير من هذه التعابير المختلفة. فحصر أخذ العلم بعده في علي وعترته عليه السلام. لأن علمهم عن النبي عن الله عز وجل، وهم سفينة النجاة وباب حطة، وأحد الثقلين، وباب مدينة العلم. فهذا أخطب خوارزم الموفق ابن أحمد الخوارزمي الحنفي في كتابه المعروف بالمناقب ص ٤٩ ط إيران، عن سلمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أعلم أمتي بالسنة والقضاء من بعدي علي بن أبي طالب».

وفي (كنز العمال) ج ٦ ص ١٥٦: قال عليه السلام: «علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي». (وفيه أيضاً قال عليه السلام: «علي وعاء علمي ووصيي وبابي الذي أوتي منه»). وفي (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد الشافعي: قال عليه السلام: «علي عيبة علمي». وفي (ينابيع المودة)

ص ٦٩ قال رسول الله ﷺ : «لَمَّا صرْتُ بين يدي رَبِّي (أي في المعراج) كَلَّمَنِي وَنَاجَانِي ، فَمَا عَلِمْتُ شَيْئاً إِلَّا عَلَّمْتُهُ عَلِيّاً ، فَهُوَ بَابُ عِلْمِي». وفي (المناقب) للخطيب الخوارزمي الحنفي ص ٤٠ ط ١٩٦٥ المطبعة الحيدرية، النَّجَف . قال رسول الله ﷺ : «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى آدَمَ فِي عِلْمِهِ ، وَإِلَى نُوحٍ فِي فَهْمِهِ ، وَإِلَى يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا فِي زَهْدِهِ ، وَإِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ فِي بَطْشِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ». وفي (المناقب) أيضاً مرفوعاً بالأسانيد إلى الحرث الأعور صاحب راية علي بن أبي طالب عليه السلام قال : بَلَّغْنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي جَمْعٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : «أَرَيْكُمْ آدَمَ فِي عِلْمِهِ ، وَنُوحاً فِي فَهْمِهِ . وَإِبْرَاهِيمَ فِي حِكْمَتِهِ» ، فَلَمْ يَكُنْ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ طَلَعَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقْسَتْ رَجُلًا بِثَلَاثَةِ مِنَ الرُّسُلِ بَخٍ بَخٍ لِهَذَا الرَّجُلِ ، مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَوْ لَا تَعْرِفُهُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟» قَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : «هُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ» . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : بَخٍ بَخٍ لَكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ ، وَأَيْنَ مِثْلُكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ؟»^(١).

وفي (المناقب) أيضاً للخوارزمي الحنفي ص ٧٩ ، وكذلك (ينابيع المودة) للقندوزي ، عن مُحَمَّدِ بْنِ كُثَيْبٍ قَالَ : رَأَى أَبُو طَالِبٍ النَّبِيَّ ﷺ يُدْخِلُ لَعَابَ فَمِهِ فِي فَمِ عَلِيٍّ ، فَقَالَ : مَا هَذَا يَا بَنَ أَخِي؟ فَقَالَ : «إِيمَانٌ وَحِكْمَةٌ» . فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ لِعَلِيٍّ : انْصُرْ ابْنَ عَمِّكَ وَآزِرْهُ.

وقد أخرج أبو حامد الغزالي في كتابه (اللّذني) في وصف مولانا علي بن أبي طالب، (قال): قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَدْخَلَ لِسَانَهُ فِي فَمِي ، فَانْفَتَحَ فِي قَلْبِي أَلْفُ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ يَفْتَحُ مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفُ بَابٍ .

وكذلك أخرج القندوزي في (ينابيع المودة) ص ٧٣ حديثاً بمعناه. وفي (مناقب ابن المغازلي الشافعي) أخرج في ضمن حديثٍ مَفْصَّلٍ أَنَّهُ عليه السلام قال :

(١) المناقب، ص ٤٥ ط ١٩٦٥ م المطبعة الحيدرية - النجف.

عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ، فَاَنْفَتَحَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا أَلْفَ بَابٍ. وَفِي (كَنْزِ الْعَمَالِ) لِعَلِيِّ الْمَتْقِيِّ الْحَنْفِيِّ أَخْرَجَ مِنْ حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ، كُلُّ بَابٍ يَفْتَحُ أَلْفَ بَابٍ.

وَفِي (الْمَنَاقِبِ) لِلخَوَارِزْمِيِّ الْحَنْفِيِّ عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ عَلِيًّا صَعَدَ الْمَنْبِرَ بِالْكَوْفَةِ، وَعَلَيْهِ مَدْرَعَةٌ كَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُتَقَلِّدًا سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مُتَعَمِّمًا بِعِمَامَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِي إصْبَعِهِ خَاتَمَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَعَدَ عَلَى الْمَنْبِرِ، وَكَشَفَ عَنْ بَطْنِهِ فَقَالَ: سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَإِنَّمَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنِّي عِلْمٌ جَمٌّ. هَذَا سَفْطُ الْعِلْمِ، هَذَا لِعَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. هَذَا مَا زُقْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَقًّا، مِنْ غَيْرِ وَحْيٍ أَوْحَى إِلَيَّ، فَوَاللَّهِ لَوْ تُنِيَّتْ لِي وَسَادَةٌ فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا، لَأُفْتِيْتُ لِأَهْلِ التَّوْرَةِ بِتَوْرَاتِهِمْ، وَلِأَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ، حَتَّى يَنْطِقَ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ، فَيَقُولَا: صَدَقَ عَلِيٌّ، قَدْ أَفْتَاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ فِيْنَا وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟ وَأَخْرَجَ هَذَا الْحَدِيثَ أَوْ مَا بِمَعْنَاهُ فِي ذَخَائِرِ الْعَقَبِيِّ ص ٨٣، وَفِي (كَنْزِ الْعَمَالِ) ج ٦ ص ٤٠٥، وَ(الاسْتِيعَابِ) ج ٢ ص ٤٧٥.

وَأَخْرَجَ أَيْضًا الشَّيْخُ سَلِيمَانُ الْقَنْدُوزِيُّ الْحَنْفِيُّ فِي يَنْابِيعِهِ ج ١ ص ١٣٠ ط ٢ مَكْتَبَةُ الْعُرْفَانِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَلِيُّ أَنَا مَدِينَةُ الْحِكْمَةِ وَأَنْتَ بَابُهَا، وَلَنْ تَوْتِيَ الْمَدِينَةَ إِلَّا مِنْ قَبْلِ الْبَابِ، وَكَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَحْبُبُنِي وَيُبْغِضُكَ، لِأَنَّكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ، لَحْمُكَ مِنْ لَحْمِي، وَدُمُّكَ مِنْ دَمِي، وَرُوحُكَ مِنْ رُوحِي، وَسَرِيرَتُكَ مِنْ سَرِيرَتِي، وَعِلَانِيَّتُكَ مِنْ عِلَانِيَّتِي، وَأَنْتَ إِمَامُ أُمَّتِي، وَوَصِيِّي، سَعْدٌ مِنْ أَطَاعِكَ، وَشَقِيٌّ مِنْ عَصَاكَ، وَرِيحٌ مِنْ تَوَلَّاهُ، وَخَسِرَ مِنْ عَادَاكَ وَفَازَ مِنْ لَزَمَكَ، وَهَلَكَ مِنْ فَارَقَكَ، وَمِثْلُكَ وَمِثْلُ الْأَثْمَةِ مِنْ وَلَدِكَ مِثْلُ سَفِينَةِ نُوحٍ مِنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ، وَمِثْلُكُمْ مِثْلُ النُّجُومِ، كُلَّمَا غَابَ نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وهكذا تتجلى لنا عظمة الإمام، فمحبة مرتبطة بمحبة نبيه ﷺ، وبغضه مرتبط ببغضه، وطاعته مرتبطة بطاعته، والفوز والنجاح في طاعتها، والهلاك والخسران في مخالفتها، ومن أطاع الرسول ﷺ وخالف علياً عليه السلام فإنه لم يستفد شيئاً من تلك الطاعة، ومن أحب الرسول ﷺ وأبغض علياً عليه السلام فهو إلى النار وبش القرار، وكثير ما هم، لأن الكثيرين من الأمة الإسلامية لا يعترفون بولاية علي ووصيته وخلافته وإمامته. وعلي هو المحك بلا شك، فمن تخالطه الظنون فليسأل أمه عن أبيه.

وكيف لا يكون علي أعلم الناس؟ وقد أُعطي تسعة أعشار العلم، وهو باب مدينة العلم. روي عن ابن عباس، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: إن من وراء قاف عالماً لا يصل إليه أحد غيري، وأنا المحيط بما وراءه، والعلم به كعلمي بدنياكم هذه، وأنا الحفيظ الشهيد عليها. ولو أردت أن أجوب الدنيا بأسرها والسَّموات السَّبع والأرضين في أقل من طرفة عين لفعلت لما عندي من الاسم، وأنا الآية العظمى والمعجز الباهر^(١).

وكيف لا يكون علي عليه السلام أعلم الناس؟ وقد عرف النبي ﷺ أصحابه أن جميع ما علمه الله، علمه لابن عمه وزوج ابنته، ووصيه أمير المؤمنين عليه السلام.

أخرج الشيخ سليمان القندوزي في ينابيعه ص ٢٥٤ من كتاب (مودة القُربى) للسيد علي الهمداني الشافعي عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «علي باب علمي، ومبين لأمتي ما أُرسلت به من بعدي. حبه إيمان وبغضه نفاق، والنظر إليه رافة عبادة». (ثم قال): رواه أبو نعيم وأخرجه أيضاً في ص ٢٣٥ عن أبي الدرداء. وقال: قال رسول الله ﷺ: «علي باب علمي، ومبين لأمتي ما أُرسلت به من بعدي. حبه إيمان وبغضه نفاق، والنظر إليه رافة ومودته عبادة». (ثم قال): رواه الديلمي في فردوس الأخبار. (وأخرج)

(١) مشارق أنوار اليقين: للبرسي.

الحموي الشافعي إبراهيم بن محمد الحديث في فرائد السمطين .

فمن يجاري أبا الحسن وهو وعاء علم الرسول ﷺ . أخرج البيهقي في المحاسن والمساويء ج ١ ص ٣١ ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « هذا علي بن أبي طالب لحمه من لحمي ودمه من دمي ، وهو مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي . يا أم سلمة هذا أمير المؤمنين وسيد المرسلين ، ووعاء علمي ووصي ، وبابي الذي أوتي منه ، أخي في الدنيا والآخرة ، ومعي في المقام الأعلى ، علي يقتل القاسطين والناكثين والمارقين » .

وكيف لا يكون علي أعلم البرية وهو العترة أمان من الضلال لمن تمسك بهما ، واعتصم بحبلهما . ففي الصواعق المحرقة لابن حجر قال : في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي (إلى آخره) . وقال : ثم أحق من يتمسك به منهم إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وذكر ابن حجر في الصواعق قبل هذا الكلام وقال : في رواية صحيحة (أنه ﷺ) قال : «إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن تبعتموهما ، وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي» . (قال وزاد الطبراني) في الحديث أنه ﷺ قال : «إني سألت ذلك لهما (أي سألت الله أن لا يضل من اتبعهما) فلا تقدموهما فتهلكوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم» . ثم قال ابن حجر : إن لحديث التمسك بالكتاب وأهل البيت طرقاً كثيرة ، وردت عن نيف وعشرين صحابياً .

ومن مثل علي عليه السلام ؟ ومن حاز شرفه ؟ وما من آية في القرآن إلا وعلي أميرها وشريفها^(١) . ولقد عاتب الله أصحاب محمد في أماكن كثيرة . وما ذكر علياً إلا بخير . ففي (المناقب) للخوارزمي مرفوعاً بالأسانيد إلى ابن عباس

(١) الصواعق المحرقة : لابن حجر عن ابن عباس . في القرآن ، ص ٧٦ . ونور الأبصار : للشبلنجي ، ص ٧٨ ونظم (درر السمطين . . .) إلخ .

قال: ما أنزل الله عز وجل في القرآن آية يقول فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا كان علي بن أبي طالب شريفها وأميرها^(١).

ويروي أيضاً مرفوعاً بالأسانيد إلى علي عليه السلام قال: واللّه ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما أنزلت وأين نزلت، وإن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤالاً^(٢).

وهناك حديث ثانٍ بنفس اللفظ مع زيادة (بعد وأين نزلت وعلى من أنزلت) إن ربي وهب لي لساناً طلقاً وقلباً عقولاً. ويروي أيضاً: مرفوعاً إلى ابن الطفيل قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: سلوني عن كتاب الله عز وجل، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت أبليل أنزلت أم بنهار؟ أم في سهل أم في جبل؟

أخرج الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في ينابيهه ص ٧٩، ما أخرجه ابن حجر الهيثمي في الصواعق في الفصل الثاني، وهو أربعون حديثاً في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. فقال بعد نقله الحديث الأربعين ص ٢٨٥. ما هذا نصه. وفي رواية أنه عليه السلام قال في مرض موته: «أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم. ألا إنني مخلف فيكم كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي». ثم أخذ بيد علي فقال: «هذا علي مع القرآن، والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض، فاسألوهما ما اختلفتم فيهما».

وهذا حديث أخرجه جمع كثير من علماء السنة والإمامية^(٣).

(١) المناقب، ص ١٩٨ ط ١٩٦٥، المطبعة الحيدرية - النجف.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) أما الذين رووا هذا الحديث من علماء السنة (الحموي الشافعي في فرائد السمطين)، ج ١ باب ٣٧، والزّمحشري في ربيع الأبرار، أخرج حديث الحموي مسنداً عن شهر بن حوشب مع اختلاف ونصّه كما ذكر أعلاه.

وهذا نصُّه: قال: حدَّثني شهر بن حوشب، قال: كنتُ عند أم سلمة فسلم رجلٌ فقيل: من أنت؟ قال: أنا أبو ثابت مولى أبي ذرٍّ، قالت: مرحباً بأبي ثابت. ادخل، فدخل ورحبت به، وقالت: أين طار قلبك حين طارتِ القلوب مطائرَها؟ قال: مع علي بن أبي طالب. قالت: وفقت. والذي نفس أم سلمة بيده إنَّك مع الحق، لقد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «علي مع القرآن، والقرآنُ مع علي لن يفترقا حتَّى يَرِدَا عليَّ الحوض». ولقد بعثتُ ابني عمر وابن أخي عبد الله بن أبي أمية، وأمرتهما أن يقاتلَا مع علي من قاتله، ولولا أنَّ رسولَ الله ﷺ أمرنا أن نقرَّ في حجالنا وبيوتنا لخرجتُ حتَّى أقفَ في صفِّ علي»^(١).

إنَّ نفي العلم عن الإمام يستلزمُ أحدَ أمرين: إمَّا نفي العلم عن القرآن وعن محمَّد، وإمَّا أن يكون الإمام جاهلاً بعلوم القرآن وسنَّة محمَّد، ولم يجرؤ عاقلٌ على القول بواحدٍ منهما.

وقد يتساءلُ: ما العلاقة بين القرآن ومحمَّد من جهة، وعلي من جهة ثانية حتَّى جزمْتَ وحكمتَ بأنَّ نفي العلم عن علي يستلزم نفي العلم عنهما؟

والجواب: أنَّ القريب والبعيد يعلمان علم اليقين أنَّ علياً ترجمان القرآن، ولسانه الناطق، وأنَّ السبيل الواضح إلى علم الرسول، وأعلمُ الناس بسنَّته كما قالت عائشة. وإذا كان علي جاهلاً بالقرآن والسنة، فمن هو العالم

(١) روى هذا الحديث الخوارزمي في مناقبه، ص ١٦٠ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية - النجف. وأخرج الحاكم في المستدرك: للصَّحَّاحين، ج ٣ ص ١٢٤ حديث شهر بن حوشب بسندٍ آخر، وأخرجه الذهبي في التلخيص للمستدرك عن هاشم بن البريد، وأخرج علي المتقي الحنفي في ج ٦ ص ١٥٣ من كنز العمال ما أخرجه الحاكم، وكذلك جلال الدين السيوطي الشافعي في تاريخ الخلفاء، ج ١ ص ٦٧ طبع مصر. وأخرجه الشيخ محمد الصَّبَّان الشافعي في إسعاف الرَّاغِبِينَ، ص ١٤٧ المطبوع بهامش نور الأبصار ط مصر سنة ١٣٣٢ هـ، وفي نور الأبصار، ص ٧٢ أخرج حديث أم سلمة أيضاً.

من الأصحاب؟ وهذه العلوم الإسلامية التي أُقيمت وتقام لها الجامعات، ووُضعت فيها آلاف المجلدات، كيف انتشرت في أقطار المعمورة؟ أو من أين وصلت إلى المسلمين ما دام علم الكتاب والسنة محجوباً عن علي أخصّ الناس بالرسول، وأخلصهم لله، وأسبقهم إلى الإسلام؟!

ففي ذخائر العقبى في منافع القربى ص ٦٤، قال الرسول الأعظم: «علي منّي بمنزلة رأسي من جسدي». وعن أبي بكر أنه سمع الرسول يقول: «علي منّي بمنزلة من ربّي» (نفس المصدر). وفي ذخائر العقبى كذلك قال النبي: «ليهنك العلم يا أبا الحسن، لقد شربت العلم شرباً، ونهلتُه نهلاً». وقال عمر بن الخطاب: كان النبي يغزّ علياً بالعلم غزاً، ومعنى الغز الغزارة والكثرة. وقال سعيد بن المسيّب: لم يكن من أصحاب الرسول أحد يقول: سلوني إلا علياً. وقال: لو شئت أوقرت سبعين بعيراً من سورة الفاتحة^(١).

وكذلك اسمع مغنية يقول: أما أسرار القرآن العلميّة ومعجزاته الغيبيّة، أما علومه وفنونه وإحاطته بكلّ شيء، وسرّ ملاءمته ومناسبته لكلّ زمانٍ، فلا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم، وهم محمّد وأهل بيته، أما غيرهم فلا يعرف شيئاً، أو تنحصر خبرته في أهل زمانه، كالعلم بأنساب الخيل والقبائل والخرافات والعيافة والقيافة، وتأويل الأحلام وحده الإبل، وكى المرضى بالنار والحديد. وإذا كان لأحد الصّحابة معرفة تجدي نفعاً فمصدرها محمّد وآل محمّد. وإليك بعض الأمثلة على ذلك.

كان عمر بن الخطاب يدخل ابن عبّاس مع الكبار من شيوخ بدر، فاحتجّوا على عمر وقالوا له: كيف تدخل معنا هذا الفتى؟! فدعاهم عمر ذات يوم، ودعا ابن عبّاس، وسألهم عن تفسير بعض الآيات، فسكت بعضهم، وقال آخرون: لا ندري. فأوضح لهم ابن عباس الحقيقة. فقال عمر: إنه من

(١) ذخائر العقبى في منافع القربى، ص ٧٩، وكتاب (حياة علي بن أبي طالب): للشيخ الشنقيطي، ص ٤٦ وبعدها ط ١٩٣٦ م. من كتاب علي والقرآن: للشيخ محمد جواد مغنية، ص ٢٣ وما بعدها.

قد علمتم^(١) . وإذا أفحم تلميذ أبي الحسن كبار الصحابة وشيوخ بدر فكيف بالمعلم الأكبر؟

وعن سعيد بن المسيب قال: سمعت رجلاً سأل عبد الله بن عباس، عن علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال له ابن عباس: إنَّ علياً صلَّى القبلتين، وبايع البيعتين، ولم يعبد صنماً ولا وثناً، ولم يضرب على رأسه بزلْم ولا قدح. ولَدَّ على الفطرة، ولم يشرك بالله طرفة عين. فقال الرجل: إني لم أسألك عن هذا، وإنما أسألك عن حمله سيفه على عاتقه يخال به حتى أتى البصرة، فقتل بها أربعين ألفاً، ثم سار إلى الشام، فلقي حوارج العرب وضرب بعضهم ببعض حتى قتلهم، ثم أتى النهروان وهم مسلمون فقتلهم عن آخرهم؟ فقال له ابن عباس: أعليُّ أعلمُ عندك أم أنا؟ فقال: لو كان عليُّ أعلمَ عندي منك ما سألتك. قال: فغضب ابنُ عباس حتى اشتدَّ غضبه. ثم قال: ثكلتك أمك! عليُّ علمني وكان علمه من رسول الله عليه السلام ، ورسول الله علمه من الله من فوق عرشه. فعلم النبي من الله، وعلم علي من النبي، وعلمي من علم علي، وعلم أصحاب محمد كلهم في علم علي كالقطرة الواحدة في سبعة أبحر^(٢).

قيل لابن عباس: أين علمك من علم ابن عمك علي؟ فقال: نقطة من بحر. وهذه النقطة من بحر علي هي البحر المحيط. فلقد كان المسلمون يُسمون ابن عباس البحر، ويسمونه الحبر. وعن ابن صالح قال: رأيتُ الناس اجتمعوا على باب ابن عباس حتى ضاق بهم الطريق كلهم طالب علم. وحجَّ ابن عباس مع معاوية فكان لمعاوية موكب، وله موكب من طلاب العلم. وروى البغدادي عن عطاء: ما رأيتُ مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس، كان أصحاب القرآن عنده يسألونه، وأصحاب النحو عنده يسألونه، وأصحاب

(١) ذخائر العقبى: للحافظ الطبري، ص ٢٢٨ ط ١٣٥٦.

(٢) كشف الغمة، الجزء الثاني: لأبي الحسن الأربلي.

الشعر عنده يسألونه، وأصحاب الفقه عنده يسألونه، كلهم يصدر عن وادٍ واسعٍ.

وكل هذه العلوم التي أفاضها ابن عباس إن هي إلا نقطة صغيرة من بحر أبي الحسن الذي لا يُدرك مداه، ولا ينتهي إلى حدٍّ. ولم يكن ابن عباس التلميذ الوحيد للإمام، فقد كان أستاذاً لكل بعد النبي دون استثناء يستمدون العلم من معينه، ويحتججون بأقواله، كما يحتجون بالقرآن. فقد صحَّح عن الرسول: «علي فتح القرآن، والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»^(١).

يقول (مغنية): ونستنتج من الحديث الحقائق التالية:

١ - إن قول الله ومحمد وعلي واحد من حيث الحجة ووجوب الاتباع، بدليل قوله تعالى في سورة الحشر: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾. دلَّت على أن حديث الرسول بمنزلة القرآن. ودلَّ حديث: «علي مع القرآن» على أن قول علي بمنزلة القرآن أيضاً، والنتيجة الطبيعية لذلك أن علياً هو الوسيلة إلى الله، وحجته على الخلق، وأن الرأى عليه رادُّ على القرآن بالذات.

٢ - إن علياً عالمٌ بحقائق القرآن ودقائقه، وإن عنده علوم القرآن بكاملها، إذ لو كان جاهلاً بها أو بشيءٍ منها لم يكن أحدهما مع الآخر.

٣ - إن علياً كالقرآن لا يخطئ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

٤ - إنه خالدٌ بخلود القرآن، وإن هذا الخلود مستمرٌّ إلى يوم يُبعثون.

٥ - إن القرآن مفتقرٌ إلى علي، كما أن علياً في حاجةٍ إلى القرآن، لأنَّ

(١) النص والاجتهاد، ص ٧٨ ط ١٩٥٦ نقلاً عن كتاب معرفة الصحابة، ص ١٢٤ من المستدرک، ج ٣.

معنى التلازم بين شيئين هو افتقار كلٍّ إلى آخر. فعليُّ يرجع إلى القرآن كمصدرٍ للعلم، والقرآن يفتقر إلى علي للبيان والتفسير، لذا قال الإمام: ذاك القرآن الصّامت، وأنا القرآن النّاطق.

٦ - إنه الفارق بين الحقّ والباطل، ومن أجل هذا قال له النبي: «لا يبغضُكَ مؤمن، ولا يحبُّكَ منافق». ومن أجل هذا أيضاً كان قسيم الجنة والنار، أي بحبه يعرف المؤمنون الذين خُلِقَتْ لهم الجنة، وببغضه يُعرَفُ أهل النار من المنافقين.

فالحديث الشريف يدلّ دلالة واضحة أنّ عليّاً والقرآن سواء بسواء، وأنّ كلّ ما للكتاب من فضل وعظمة فهو لعلّي، لمكان التلازم والعلاقة بين الاثنين.

ثمّ إذا صرّفنا النّظر عن حديث: «علي مع القرآن» ورجعنا إلى سيرة الإمام منذ ولادته إلى حين وفاته رأينا أنّ عليّاً قد وقف حياته كلّها من أجل القرآن، تعلّمه صغيراً من النبي، وقاتل معه المجاهدين على تنزيله، وحين خلافته قاتل النّاكثين والقاسطين والمارقين على تأويله، وبذل أقصى ما لديه من جهد، لبثّ تعاليمه في عهد الخلفاء الثلاثة. إذن فالحديث يعبر عن شيءٍ واقع وثابت في نفسه، وينطق عمّا أعطاه الإمام من ذات نفسه للقرآن صغيراً وشاباً وكهلاً.

وهذه حقيقة ناصعة لا يتعمّى عنها إلّا من عاند الحق، وإلّا من شدّ عن المألوف، وأنكر ما رآته الأعين ولمسته الأيدي. فلنلتمس الأحاديث التي تثبت أنّ عليّاً لا نظير له ولا مثيل في العلم بعد الرّسول ﷺ.

روى ابن عبد البرّ في (أسد الغابة) ج ٤ ص ٢٢، بسننٍ عن الملك بن سليمان قال: قلتُ لعطاء: أكان في أصحاب محمّد ﷺ أعلم من علي؟ قال: «لا والله، لا أعلمه». وفي ذخائر العقبى ص ٧٨ أخرج نحوه.

وروى الخطيب موفّق بن أحمد الخوارزمي الحنفي في كتابه (المناقب)

ص ٤٠ من الفصل السابع عن سلمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال :
«أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب»^(١).

وعن أبي الدرداء (قال) : العلماء ثلاثة : رجل بالشام يعني نفسه ، ورجل بالكوفة يعني عبدالله بن مسعود ، ورجل بالمدينة يعني علياً . فالذي بالشام يسأل الذي بالكوفة ، والذي بالكوفة يسأل الذي بالمدينة ، والذي بالمدينة لا يسأل أحداً . ولكن هل يُسمّى أبو الدرداء عالماً إذا ذُكر علم علي ؟ فهذا عبدالله بن العباس كان يبيّن الناس علم ابن عمه علي بن أبي طالب بعبارات مختلفة ، منها قوله : كان يشرح لنا علي رضي الله عنه نقطة الباء من بسم الله الرحمن الرحيم ليلة فانفلق عمود الصبح ، وهو بعد لم يفرغ ، فرأيت نفسي في جنبه كالقوّارة في جنب بحر^(٢).

وفي كتاب (الدّرّ النظيم) لابن طلحة الشافعي كما في (ينابيع المودة) ص ٦٩ قال : أعلم أنّ جميع أسرار الكتب السماوية في القرآن ، وجميع ما في القرآن في الفاتحة ، وجميع ما في الفاتحة في البسملة ، وجميع ما في البسملة في باء البسملة ، وجميع ما في باء البسملة في النقطة التي هي تحت الباء . قال الإمام علي كرم الله وجهه : أنا النقطة التي تحت الباء ، وقد نظم ذلك عبد الباقي العمري في قصيدته التي مدح بها الإمام علياً عليه السلام واصيفاً قبته المطهرة فقال :

هي باء مقلوبة فوق تلك النقطة المستحيلة التأويل

وفي ينابيع المودة ص ٦٥ ذُكر لمحمد بن طلحة الشافعي بيان آخر في علم علي عليه السلام وهو استدلاله بالأبيات المنسوبة إليه عليه السلام . قال : قال عليه السلام :

لقد حزت علم الأولين وإنني ضنين بعلم الآخرين كتوم

(١) المناقب : للخوارزمي ، ص ٤٠ ط ١٩٦٥ م ، المطبعة الحيدرية - النجف .

(٢) علي والخلفاء لمؤلفه نجم الدين الشريف العسكري ، ص ٥ .

وكاشف أسرار الغيوب بأسرها وعندي حديث حادّ وقديم
ولائي لقيوم على كل قيم محيط بكل العالمين عليهم

وعندما أخذ الإمام يصف الأتراك في نهجه قائلاً: «كأنّي أراهم قوماً كأنّ وجوههم الميجان المطرقة، يلبسون السراق والذبياج، ويعتقبون الخيل العتاق، ويكون هناك استحرار قتل حتّى يمشي المجروح على المقتول، ويكون المفلت أقلّ من المأسور».

فقال له بعض: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب! فضحك عليه السلام
وقال للرجل - وكان كلبياً -:

يا أخا كلب، ليس هو بعلم غيب، وإنّما هو تعلّم من ذي علم، وإنّما علم الغيب علم الساعة، وما عدّه الله سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ الآية. فيعلم الله سبحانه ما في الأرحام، من ذكرٍ أو أنثى، وقبيحٍ أو جميل، وسخيٍّ أو بخيل، وشقيٍّ أو سعيد، ومن يكون في النار حطباً أو في الجنان للنبيين مرافقاً، فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحداً إلا الله، وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه عليه السلام فعلمنيه، ودعا لي بأن يعيّه صدري، وتضطّم عليه جوانحي.

روى صاحبُ بستانِ الكرامة أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان جالساً، وعنده جبرئيل عليه السلام، فدخل علي عليه السلام، فقام له جبرئيل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أتقوم لهذا الفتى؟» فقال له: نعم، إنّ له عليّ حقّ التّعلم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كيف ذلك التّعليم يا جبرئيل؟» فقال: لما خلّقتني الله تعالى سألني من أنت؟ وما اسمك؟ وما أنا؟ وما اسمي؟ فتحيّرت في الجواب، وبقيت ساكناً. ثمّ حضر هذا الشابّ في عالم الأنوار، وعلمني الجواب. فقال: قل: أنت ربي الجليل، واسمك الجليل، وأنا العبد الدّليل، واسمي جبرئيل. ولهذا قمت له وعظّمته. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «كم عمرك يا جبرئيل؟» فقال: يا رسول الله يطلّع نجم من العرش في كلّ ثلاثين ألف سنة مرة، وقد شاهدته طالِعاً ثلاثين ألف مرة».

وإلى هذا الحديث نَظَرَ محي الدين بن عربي حيثُ قال في أوّل خطبة فتوحاته: الحمد لله الذي جعل الإنسان الكامل معلّم الملك، وأدار بانقصاره طبقات الفلك. وأهل بيته صلواتُ الله عليهم قد شاركوا الملائكة في أفضل صفاتهم التي هي النورية الخاصة، وزادَ عليهم في الصفات العالية التي لا تكاد تحصى^(١).

وإذا كان عليٌّ عليه السلام علّمَ جبرئيل عليه السلام في عالم الأنوار، فهناك دلائلُ تثبتُ أنّه كان عالِمًا بما لم يعلمه أحدٌ سوى النبي ﷺ.

ففي ينابيع المودة للقندوزي ص ٧ قال: سُئِلَ عليٌّ كرمَ الله وجهه أنّ عيسى بن مريم كان يحيي الموتى، وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، فهل لكم هذه المنزلة؟ قال: إنّ سليمان بن داود عليه السلام غضب على الهدهد لفقدِهِ، لأنّه يعرف الماء ويدلّ على الماء، ولا يعرف سليمان الماء تحت الهواء، مع أنّ الرّيح والإنس والجنّ والشیاطين المردة كانوا له طائعين، وأنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ﴾^(٢). ويقول تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَبِينٍ﴾^(٣). ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾^(٤). فنحن أورثنا هذا القرآن الذي فيه ما يسيرُ به الجبال، وتقطع به البلدان، ويحيى به الموتى فعرف به الماء، وأورثنا هذا الكتاب الذي فيه تبيان كل شيء^(٥).

وإذا كان سليمانُ يعلم منطق الطير، فعلي يعلم هذا المنطق، بل له الفضل في هذا المنطق على سليمان. فهذا عمّار بن ياسر رضي الله عنه

(١) الأنوار النعمانية: لنعمة الله الموسوي، ج ١ باب ١ ص ١٥.

(٢) سورة الرعد: آية ٣١.

(٣) سورة النمل: آية ٧٥.

(٤) سورة فاطر: آية ٣٢.

(٥) علي والخلفاء لمؤلفه نجم الدّين العسكري، ص ٢٠.

يقول: كنتُ عند أمير المؤمنين جالساً بمسجد الكوفة، ولم يكنْ سوايَ أحدٌ فيه، وإذا هو يقول: صَدَّقِيهِ صَدَّقِيهِ، فالتفتُ يميناً وشمالاً، فلم أرَ أحداً، فبقيتُ متعجباً، فقال لي: يا عَمَّار، كَأَنِّي بكَ تقول: لمن يكَلِّم عليٌّ؟ فقلتُ: هو كذلك يا أمير المؤمنين، فقال: ارفَع رَأْسَكَ، فرفعتُ رأسي، وإذا أنا بحمامتين تتجاوبان، فقال لي: يا عَمَّار، أتدري ما تقول إحداهما للأخرى؟ فقلتُ: لا وعيشِك يا أمير المؤمنين، قال: تقول الأنثى للذكر: أَنْتَ استبدلتَ بي غيري، وهجرتني، وأخذتَ سوايَ، وهو يحلفُ لها ويقول: ما فعلتُ ذلكَ وهي تقول: ما أَصَدَّقَكَ، فقال لها: وحقُّ هذا القاعد في هذا الجامع ما استبدلتُ بكِ سواكِ، ولا أخذتُ غيركِ، فهَمَّتْ أن تكذِّبه، فقلتُ لها: صَدَّقِيهِ صَدَّقِيهِ. قال عَمَّار: يا أمير المؤمنين ما علمتُ أحداً يعلم منطق الطير إلا سليمان بن داود عليه السلام. فقال له: يا عَمَّار، واللَّهِ إنَّ سليمانَ بن داود سأل الله تعالى بنا أهل الطير حتى عُلِمَ منطق الطير^(١).

ولنستمع إلى الكنجي الشافعي كيف يحلّل علم علي إجمالاً وتفصيلاً في كتابه (كفاية الطالب) ص ١٠٣ باب ٥٩ في علمه.

كَانَ عِنْدَهُ عليه السلام لِكُلِّ مَعْضَلَةٍ عِتَادٌ، وَرِزْقُ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِهَذَا كَانَ أَعْلَمَ الصَّحَابَةِ، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَعْلَمَ الصَّحَابَةِ بِالْإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ. أَمَّا الْإِجْمَالُ فَهُوَ أَنَّ عَلِيًّا عليه السلام كَانَ فِي أَصْلِ الْخَلْقَةِ فِي غَايَةِ الذِّكَاءِ وَالْفُطْنَةِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْعِلْمِ، وَكَانَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله وسلم أَفْضَلَ الْفُضَلَاءِ، وَخَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ، وَكَانَ عَلِيٌّ عليه السلام فِي غَايَةِ الْحِرْصِ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ. وَكَانَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله وسلم فِي غَايَةِ الْحِرْصِ عَلَى تَرْبِيَّتِهِ وَإِرْشَادِهِ إِلَى اكْتِسَابِ الْفَضَائِلِ، ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا عليه السلام بَقِيَ فِي أَوَّلِ عَمْرِهِ فِي حَجَرِ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم، وَفِي كِبَرِهِ صَارَ خَتَنًا لَهُ، وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ. وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ التَّلْمِيزَ إِذَا كَانَ فِي غَايَةِ الْحِرْصِ وَالذِّكَاءِ فِي التَّعَلُّمِ، وَكَانَ الْأَسْتَاذُ فِي غَايَةِ الْفَضْلِ وَالْحِرْصِ عَلَى التَّعْلِيمِ، ثُمَّ اتَّفَقَ لِهَذَا التَّلْمِيزُ أَنْ اتَّصَلَ بِخِدْمَةِ مِثْلِ هَذَا الْأَسْتَاذِ مِنْ زَمَنِ الصَّغَرِ، وَكَانَ

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٦١١.

ذلك للاتصال بخدمة حاصلاً في كل الأوقات، فإنه يبلغ ذلك التلميذ في العلم مبلغاً عظيماً، ويحصل له ما لا يحصل لغيره. هذا بيان إجمالي على ذلك. لأن العلم في الصغر كالنقش في الحجر، والعلم في الكبر كالنقش في المدر.

وأما التفصيل فيدل على وجوه: الأول قوله عليه السلام : «أقضاكم علي، والقاضي محتاج إلى جميع أنواع العلوم»، فلما رجحه عليه السلام على الكل في القضاء لزم ترجيحه عليهم في جميع العلوم. أما سائر الصحابة فقد رجح كل واحد منهم على غيره في علم واحد، كقوله عليه السلام : «أقرضكم زيد، وأقرأكم أبي، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأبو ذر أصدقكم لهجة». وكان عليه السلام قد أوتي جوامع الكلم وخواتمه. فلما ذكر لكل واحد فضيلة، وأراد أن يجمعها لابن عمه بلفظ واحد، كما ذكر لأولئك ذكر بلفظ يتضمن جميع ما ذكره في حقهم، وإنما قلنا ذلك، لأن الفقيه لا يصلح لمرتبة القضاء حتى يكون عالماً بفرائض الكتاب والسنة والكتابة والحلال والحرام، يكون مع ذلك صادقاً للهجة. فلو قال: قاضيكم علي، كان متضمناً لجميع ما ذكره في حقهم، فما ظنك بصيغة أفعل التفضيل؟ وهذه الصفة تتطلب من صاحبها كمال العقل، وصحة التمييز، والبعد عن الغفلة والنسيان، مع معرفة الكتاب والسنة، والاتفاق والاختلاف، والقياس ولغة العرب، علاوة عن العدل والمروءة ومجانبة الدنيا والعفة. فهذه أمور لا يصح اتصاف الإنسان بعلم القضاء ما لم يحط بمعرفتها. ومتى فقد علمه بها لا يصلح للقضاء، ولا يصح اتصافه بها، لذلك نرى أن علياً اتصف بذلك كله، وعلم علي من الرسول بلا وساطة، وعلم الرسول من الله. والنبي عليه السلام بين لأمتيه أنه علم جميع علومه لعلي. فلذلك علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، لا يحتاج إلى خبر متواتر، فإن أهل البيت لا يقاس بنا أحد. وقد نص رسول الله عليه السلام في حق علي عليه السلام بأنه يختص بخصال لا يشاركه فيها أحد.

ففي ذخائر العقبى ص ٨٣، والصواعق المحرقة لابن حجر ص ٧٨، وينايع المودة ص ٢١١، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٢، واللفظ لصاحب

الحلية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «وَضَرَبَ بَيْنَ كَتْفَيْهِ - يَا عَلِيُّ لَكَ سَبْعُ خِصَالٍ لَا يَحَاجُّكَ فِيهِنَّ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَنْتَ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا، وَأَوْفَاهُمْ بَعْدَ اللَّهِ، وَأَقْوَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَأَرَأْفَهُمْ بِالرَّعِيَّةِ، وَأَقْسَمُهُمْ بِالسُّوِّيَّةِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْقَضِيَّةِ، وَأَعْظَمُهُمْ مَزِيَّةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وفي كنز العمال ج ٦ ص ١٥٣ و ١٥٦ و ٣٩٨، وهو بمعناه ونحوه أيضاً.

وقد تقدّم أن النبي ﷺ شبه علياً بالأنبياء، فكما أن الأنبياء لا يحتاجون إلى القياس والاستحسان لفتح باب العلم لهم. فكذلك ابن عم النبي ﷺ لا يحتاج إلى العمل بالقياس والاستحسان، ولا إلى ذلك من الأدلة، لأن من كان كآدم عليه السلام في العلم استغنى عن كل شيء، لأنه علّمهُ الأسماء كلها، وهذا، ومن اختص بمائة منقبة وفضل بها على سائر الصحابة، لا يحتاج في استنباطاته إلى الأدلة التي يحتاج إليها غيره. ومن نزلت بفضله ثلاثمائة آية من القرآن لا يقاسُ بأحدٍ، ولا يقاسُ به أحدٌ. وهل من عنده علم الكتاب الذي فيه تبيان كل شيء يحتاج إلى شيء آخر غير الكتاب؟ وهل يحتاج إلى العمل بالقياس بجميع أقسامه، أو إلى غير القياس من الأدلة التي يراجعها العلماء عند الاجتهاد، وهل الذي يعرف علم الكتاب الذي قال الله تعالى في حقّه: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١). يحتاج إلى علم آخر.

جاء في ينابيع المودة ص ١٠٢ و ١٠٣ أخرَجَ بسننه عن أبي سعيد الخدري قال: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ قال: ذاك وزير أخى سليمان بن داود عليه السلام، وسألته عن قوله: ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ قال: ذاك وزير أخى سليمان بن داود عليه السلام، وسألته عن قوله: ﴿قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾^(٢). قال: ذاك أخى علي بن أبي طالب.

(١) سورة الأنعام: آية ٥٩.

(٢) سورة الرعد: آية ٤٥.

وأخرج الثعلبي وابن المغازلي بسنديهما عن عبدالله بن عطاء قال: كنتُ عند محمد الباقر رضي الله عنه في المسجد، فرأيت ابن عبدالله بن سلام فقلتُ: هذا ابن الذي عنده علم الكتاب، قال: إنما ذلك علي بن أبي طالب.

وقال الصادق عليه السلام: علم الكتاب كله والله عندنا، وما أعطى وزير سليمان بن داود عليه السلام، إنما عنده حرف واحد من الاسم الأعظم، وعلم بعض الكتاب كان عنده. قال الله تعالى: ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ أي بعض الكتاب: ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾^(١) وقال تعالى لموسى: ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة﴾^(٢). من للتبعيض. وقال في عيسى عليه السلام: ﴿وليبين لكم بعض الذي يختلفون فيه﴾ بكلمة البعض. وقال في علي عليه السلام: ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ أي كل الكتاب. وقال: ﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾^(٣) وعلم هذا الكتاب عنده.

وكيف تستكبر عليه ذلك؟ وهو جنبُ الله ويدهُ المبسوطة. ففي المناقب عن أبي بصير، عن جعفر الصادق، قال: قال أمير المؤمنين علي سلام الله عليه في خطبته: أنا الهادي، أنا المهدي، وأنا أبو اليتامى والمساكين، وزوج الأرملة، وأنا ملجأ كل ضعيف، ومأمن كل خائف، وأنا قائد المؤمنين إلى الجنة، وأنا حبلُ الله المتين، وأنا العروة الوثقى وكلمة التقوى، وأنا عينُ الله وباب الله، ولسان الله الصادق، وأنا جنبُ الله الذي يقول الله تعالى فيه: «أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنبِ الله»، وأنا يدُ الله المبسوطة على عباده بالرحمة والمغفرة، وأنا باب حطة، من عرفني وعرف حقي فقد عرف ربه، لأنني وصي نبيه في أرضه، وحجته على خلقه، لا ينكر هذا إلا رادُّ على الله ورسوله»^(٤).

(١) سورة النمل: آية ٤٠.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٤٥.

(٣) سورة الأنعام: آية ٥٩.

(٤) ينابيع المودة، ج ٣ ص ١٧١.

وعن علي بن سُويد، عن موسى الكاظم في هذه الآية قال: جنبُ الله أمير المؤمنين علي، وكذلك ما بعده من الأوصياء بالمكان الرفيع إلى أن ينتهي الأمر إلى آخرهم المهدي سلام الله عليهم.

وهو النَّبأ العظيم، فعن عبد الرَّحمن بن كثير قال: سألتُ الصَّادق عن قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ مُخْتَلِفُونَ﴾^(١)، وسألتُهُ عن قوله تعالى: ﴿هَنَالِكِ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ قال: ولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام، كان يقول: ما لِلَّهِ نَبأ هو أعظمُ مِنِّي، ولا لِلَّهِ آية أكبرُ مِنِّي^(٢).

وإذا أردتَ أن تطلَّع على بارقةٍ من بوارق علم الإمام فارجع البصر هل ترى من فطور، ثم ارجع البصر كرَّتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير^(٣).

ذكر صاحب كتاب (الأنوار النعمانية) (في ج ١ ص ١٨٩ وما بعدها) أنَّ علم النجوم علم شريف من أشرف العلوم، وقد علَّمه الله لأنبيائه والأوصياء منهم. وتصديقه ما رواه السيّد ابن طاووس بإسناده إلى قيس بن سعد، قال: كنتُ كثيراً ما أساير أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - إذا سار وجهه من الوجوه. فلما قصد أهل النهروان، وصيرنا بالمدائن، وكنتُ يومئذٍ مسائراً له، إذ خرج إليه قومٌ من أهل المدائن ودهاقينهم معهم براذين قد جاؤوا بها هديةً إليه فقبلها. وكان فيمن تلقاه دهقان من دهاقين المدائن يدعى سرسقل - (وفي رواية عن الإصبغ بن نباتة) أنَّ اسمه سرسقل سوار، وفي آخرها قال لأمر المؤمنين عليه السلام: مُدِّ يدك، فأنا أشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنتَ الإمام والوصي المفترض طاعته) - وكانت الفرس تحكم برأيه فيما مضى، وترجع إلى قوله فيما سلف. فلما بصر بأمر

(١) سورة النَّبأ: آية ١.

(٢) ينابيع المودة، ج ٣ ص ١٧١.

(٣) سورة الملك: آية ٤.

المؤمنين ﷺ قال: يا أمير المؤمنين: لترجع عما قصدت! قال: ولم ذاك يا دهقان؟ قال: يا أمير المؤمنين، تناحست النجوم الطوالع، فنحس أصحاب السُّعُود، وسعد أصحاب النُّحُوس، ولزم الحكيم في مثل هذا اليوم الاستخفاء والجلوس، وأنَّ يومَكَ هذا يومٌ مميت، قد اقترن فيه كوكبان قتالان، وشرق فيه بهرام في برج الميزان. وانقَدَحَ من برجِكَ النيران، وليس الحربُ لك بمكان.

فتبسَّم أمير المؤمنين صلواتُ الله عليه. ثم قال: أيها الدهقان المنبئ بالأخبار، والمحذّر من الأقدار ما نزلَ البارحة في آخر الميزان؟ وأيُّ نجمٍ حلَّ في السُّرطان؟ قال: سأنظرُ ذلك، وأُخرجَ من كمِّهِ أسطراباً وتقويماً. قال له أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله: أنتَ مسيرُ الجاريات؟ قال: لا، قال: فأنتَ تقضي على الثَّابتات؟ قال: لا، قال: فأخبرني عن حلول الأسد وتباعده عن الطَّالع والمراجع؟ وما الزَّهرة من التُّوابع والجوامع؟ قال: لا علم لي بذلك! قال: فما بين السُّواري إلى الدُّراري؟ وبين السَّاعات إلى المعجزات؟ وكم قدر شعاع المبدرات؟ وكم يحصل العجزُ في الغدوات؟ قال: لا علم لي بذلك. قال: فهل علمتَ يا دهقان أنَّ الملك اليوم انتقلَ من بيتٍ إلى بيتٍ بالصَّين! وانقلب بـبرج ماجين، واحترقت دور بالزَّنج! وطفح جبُّ سرانديب! وتهدَّم حصن الأندلس! وهاج نمل الشَّح! وانهزم مراق الهندي، وفقد ديدان اليهود بأيلة! وهدم بطريك الرُّوم برومية، وعمي راهب عمودية! وسقطت شرافات القسطنطينية! أفعالمُ أنتَ بهذه الحوادث؟ وما الحوادث؟ وما الذي أحدثها شرقيها أو غربيها من الفلك؟ قال: لا علم لي بذلك. قال: فهل علمتَ أنَّه سعد اليوم اثنان وسبعون عالماً في كلِّ عالمٍ سبعون عالماً منهم في البرِّ، وبعض في الجبال، وبعض في العمران، وما الذي أسعدَهُم؟ قال: لا علم لي بذلك. قال: يا دهقان أظنُّكَ قد حكمتَ على اقتران المشتري وزحل إنما أنارا لك في الغسق، وظهر تلالؤ شعاع المريخ، وتشريعة في السَّحر، وقد سار فاتصل جرمه بجرم تربيعة القمر. وذلك دليل على استحقاق ألف ألف من البشر، كلُّهم يولدون اليوم والليلة، ويموت مثلهم، وأشار بيده إلى جاسوس في عسكريه لمعاوية. فقال: ويموتُ هذا فإنه منهم. فلما قال

ذلك: ظنَّ الرجلُ أنَّه قال: خُذُوهُ، فأخَذَهُ شيءٌ بقلبه، وتكسَّرت نفسه في صدره، فمات لوقته. فقال ﷺ: يا دهقان، ألم أزل عين التقدير في غاية التصوير؟ قال: بلى، يا أمير المؤمنين. قال: يا دهقان أنا أُخبرُكَ أَنِّي وصحبي هؤلاء لا شرقيُّون ولا غربيُّون. إنَّما نحنُ ناشئة القطب، وما زعمتُ أَنه البارحة انقذ من برج النيران، فقد كان يجب أن تحكم معه، لأنَّ نوره وضيائه عندي، ولهبه ذاهبٌ عني. يا دهقان هذه قصبة عبس، فاحبسها وولدها، إن كنتَ عالماً بالأكوار والأدوار. قال: لو علمتُ ذلك لعلمتُ أنَّك تحصي عقود القصب في هذه الأجمة. ومضى أمير المؤمنين ﷺ فهزم أهل النهر وانقذهم، وعاد بالغنيمة والظفر. فقال الدهقان: ليس هذا العلم بما في أيدي أهل زماننا. هذا علمٌ مادته من السماء.

وأيَّ وصفٍ للعلم والعلماء أعظم من وصف علي لهما عندما أخذ بيد كميل بن زياد، فأخرجَهُ إلى الجبَّان، فلمَّا أصحَرَ تنفَّس الصَّعداء ثم قال:

يا كميل (بن زياد): إنَّ هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، فاحفظ عني ما أقولُ لك. النَّاسُ ثلاثة: فعالمٌ ربَّاني، ومتعلِّمٌ على سبيل نجاة، وهمجٌ رعاع أتباع كلِّ ناعق، يميلون مع كلِّ ريح. لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

يا كميل، العلم خيرٌ من المال، العلم يحرسُكَ، وأنتَ تحرس المال، والمال تنقصه النَّفقة، والعلم يزكو على الإنفاق، وصنيع المال يزول بزواله.

يا كميل (بن زياد): معرفة العلم دينٌ يداؤ به، به يكسب الإنسان الطَّاعة في حياته وجميل الأحدثاء بعد وفاته، والعلم حاكمٌ والمال محكوم عليه.

يا كميل، هلك خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة. ها إنَّ هاهنا لعلماء جماً (وأشار بيده إلى صدره لو أصبتُ له حملةً. بلى أصبتُ لقناً غير مأمونٍ عليه. مستعملاً آلة الدين للدُّنيا، ومستظهراً بنعم الله على عباده، وبحججه على

أوليائه، أو منقاداً لحملة الحق، لا بصيرة له في أحنائه، ينقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهة. ألا لا ذا ولا ذاك! أو منهوماً باللذة سلس القيادة للشهوة، أو مغرماً بالجمع والادّخار، ليسا من رعاة الدّين في شيء، أقرب شيءٍ شَبهاً بهما الأنعام السّائمة! كذلك يموت العلم بموت حامله.

اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائمٍ لله بحجة: إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيّناته. وكم ذا وأين (أولئك)! أولئك - والله الأقلون عدداً، والأعظمون عند الله قدراً، يحفظ الله بهم حججه وبيّناته حتّى يودعوها نظراءهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترّفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدّنيا بأبدانٍ أرواحها معلقة بالمحلّ الأعلى.

أولئك خلفاء الله في أرضه، والدّعاة إلى دينه، آه آه شوقاً إلى رؤيتهم! انصرف (يا كميل) إذا شئت.

وبالرّغم من قول علي عليه السلام: **إِن هَاهُنَا لَعَلَمًا جَمًّا لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً.** وقوله: **سلوني قبل أن تفقدوني.** وبالرّغم من الأحاديث النبوية الصّريحة الصّحيحة، ونداء المشرّع الأقدس وقوله لفاطمة: **أما ترضين أنّي زوّجْتُكِ أوّل المسلمين إسلاماً، وأعلمهم علماً - وإنّ عليّاً أوّل أصحابي إسلاماً وأكثرهم علماً - وزوّجْتُكِ خير أُمّتي أعلمهم علماً - وأعلم أُمّتي من بعدي علي - وأنا مدينة العلم وعليّ بابها - وعليّ وعاء علمي - وعليّ باب علمي - وعليّ خازن علمي - وعليّ عيبة علمي - وأنا دار الحكمة وعليّ بابها - وأنا دار العلم وعليّ بابها - وأنا ميزان العلم وعليّ كفتاه - وأنا ميزان الحكمة وعليّ لسانها - وأقضى أُمّتي علي - وأقضاكم علي - بالرّغم من كلّ هذا وذاك فإنّ المتعصّبين يعمون عن ذلك، ويروون أنّ عليّاً أخذ العلم عن أبي بكر (منهاج السّنة لابن تيمية ج ٣ ص ١٢٨)، وأنّ أبا بكر أعلم الصّحابة على الإطلاق قاله ابن حجر في الصّواعق ص ١٩. وما جاء به ابن سعد عن ابن عمر من أنّه سُئل عن كان يفتي في زمن رسول الله ﷺ، فقال: «أبو بكر وعمر ولا أعلم غيرهما».**

ويرى ابن حزم بأن أبا بكر كان أشجع الصحابة على الإطلاق. ومما يُعزى إلى النبي ﷺ : «لولا أبو بكر الصديق لذهب الإسلام (نور الأبصار للشبلنجي ص ٥٤).

ذكر اليافعي في روض الرياحين عن أبي بكر الصديق أنه كنا جلوساً بالمسجد، وإذا بأعمى سَلَم، وقال: من يقضي حاجة في حب النبي ﷺ؟ فقام أبو بكر وقال: ما حاجتك يا شيخ؟ فقال: عندي أهل وأريد أن أحصل على ما أقتات به أنا وهم في حب الرسول. فنهض أبو بكر وقام وقال: أنا أعطيك ذلك. وقال: هل من حاجة أخرى؟ قال: لي بنت تريد أن تتزوج في حياتي حباً بمحمد، فقال: أنا أتزوجها. فهل حاجة أخرى؟ قال: أريد أن أضع يدي في شية أبي بكر الصديق حباً بمحمد. فنهض أبو بكر، ووضع لحيته في يد الأعمى وقال: أمسكها بحب محمد. فقبضها وقال: يا رب أسألك بحرمة شية أبي بكر إلا رددت علي بصري. قال: فرد الله عليه بصره لوقته، فنزل جبرئيل على النبي وقال: يا محمد: السلام يقرؤك السلام، ويقول لك: وعزته وجلاله لو أقسم علي كل أعمى بحرمة شية أبي بكر الصديق لرددت عليه بصره، وما تركت على وجه الأرض أعمى.

ونحن لا نعلق على كرامة أبي بكر الصديق عند ربه عز وجل، ولكن نعلق على أن علم علي من أبي بكر فهل هذا صحيح؟

عن أنس بن مالك قال: أقبل يهودي بعد وفاة رسول الله ﷺ، فأشار القوم إلى أبي بكر، فوقف عليه، فقال: أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي. فقال أبو بكر: سل عما بدا لك. قال اليهودي: أخبرني عما ليس لله، وعما ليس عند الله، وعما لا يعلمه الله. فقال أبو بكر: هذه مسائل الزنادقة يا يهودي! وهم أبو بكر والمسلمون باليهودي، فقال ابن عباس: ما أنصفتكم الرجل. فقال أبو بكر: أما سمعت ما تكلم به؟ فقال ابن عباس: ما أنصفتكم الرجل. إن كان عندكم جوابه، وإلا فاذهبوا به إلى علي رضي الله عنه يُجبه، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب:

اللهم أهد قلبه، وثبت لسانه. قال: فقام أبو بكر ومن حضره حتى أتوا علي بن أبي طالب، فاستأذنوا عليه، فقال علي: ما تقول يا يهودي؟ قال: أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي. فقال له: قل. فردّد اليهودي المسائل. فقال علي رضي الله عنه: أمّا ما لا يعلمه الله، فذلك قولكم يا معشر اليهود! إنّ العزيز ابن الله، والله لا يعلم أنّ له ولداً. وأمّا قولك: أخبرني بما ليس عند الله. فليس عنده ظلم للعباد. وأمّا قولك: أخبرني بما ليس لله، فليس له شريك. فقال اليهودي: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، وأنك وصي رسول الله ﷺ. فقال أبو بكر والمسلمون لعلي عليه السلام: يا مفرج الكرب^(١).

واستمع أيها القاريء إلى من عنده علم الأولين والآخرين. روى الصّدوق بإسناده عن الإصباح بن نباتة، قال: لما جلس علي عليه السلام على الخلافة، وبايعه الناس، خرج إلى المسجد متعمّماً بعمامة رسول الله ﷺ لابساً بردة رسول الله، متعلّاً نعل رسول الله، متقلّداً سيف رسول الله، فصعد المنبر، فجلس عليه متمكناً، ثم شبك أصابعه، فوضعها أسفل بطنه، ثم قال:

يا معاشر الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفظ العلم، هذا لعاب رسول الله، هذا ما زقني رسول الله زقاً زقاً، سلوني، فإنّ عندي علم الأولين والآخرين. . . . إلى أن قال: فقام إليه رجل يقال له ذعلب، وكان ذرب اللسان، بليغاً في الخطب، شجاع القلب. فقال: لقد ارتقى ابن أبي طالب مرقاةً صعبةً، لأخجلّنه اليوم لكم في مسألتني إياه. فقال: يا أمير المؤمنين، هل رأيت ربك؟ قال عليه السلام:

ويلك يا ذعلب! لم أكن بالذي أعبد رباً لم أره! قال: كيف رأيته؟ صفه

(١) المجتبى: لابن دريد، ص ٣٥، وقد ذكره صاحب (الغدير) في ج ٣ ص ١٧٨ - ١٧٩ للشيخ الأميني.

لنا. قال: ويلك! لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأتها القلوب بحقائق الإيمان. ويلك يا ذعلب! إن ربي لا يوصفُ بالبعد ولا بالقرب، ولا بالحركة ولا بالسكون، ولا بالقيام قيام انتصاب، ولا بمجيء ولا بذهاب، لطيف اللطافة لا يوصفُ باللطف، عظيم العظمة، لا يوصفُ بالعظمة، كبير الكبرياء، لا يوصفُ بالكبر، جليل الجلالة لا يوصفُ بالغلظ، رؤوف الرحمة لا يوصفُ بالرافة، مؤمن لا بعبادة، مدرك لا بحس، قائل لا باللفظ. هو في الأشياء على غير ممازجة، خارج منها على غير مباينة، فوق كل شيء، فلا يقال شيء فوقه، وأمام كل شيء، ولا يقال له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، وخارج منها لا كشيء من شيء خارج.

فخر ذعلب مغشياً عليه، ثم قال: تالله ما سمعتُ بمثل هذا الجواب. والله لا عدتُ لمثلها أبداً. ثم قال عليه السلام:

سلوني قبل أن تفقدوني، فقام إليه الأشعث بن قيس، فقال: يا أمير المؤمنين، كيف تؤخذ الجزية من المجوس ولم ينزل عليهم كتاب؟ ولم يبعث إليهم نبي؟ فقال عليه السلام:

بلى يا أشعث قد أنزل الله عليهم كتاباً، وبعث إليهم رسولاً، حتى كان لهم ملك سكر ذات ليلة، فدعا بابنته إلى فراشه فارتكبها، فلما أصبح تسامع به قومه، فاجتمعوا إلى بابه، فقالوا: أيها الملك ذنبت علينا ديننا وأهلكته، فأخرج نطهرك، ونقم عليك الحد. فقال لهم: اجتمعوا واسمعوا كلامي، فإن لم يكن لي مخرج مما ارتكبت، وإلا فشأنكم. فاجتمعوا، فقال لهم: هل علمتم أن الله لم يخلق خلقاً أكرم عليه من أبينا آدم وأمنا حواء؟ قالوا: صدقت أيها الملك، قال: أفليس قد زوج بنيه من بناته وبناته من بنيه؟ قالوا: صدقت. هذا هو الدين. فتعاقدوا على ذلك، فمحا الله ما في صدورهم من العلم، ورفع عنهم الكتاب، فهم الكفرة يدخلون النار بغير حساب، والمنافقون أشدَّ حالاً منهم.

قال الأشعث: والله ما سمعتُ بمثل هذا الجواب. والله لا عدتُ إلى

مثلها أبداً.

وفي كتاب (التوحيد) لابن بابويه القمي بعد ذلك ما يلي : ثم قال : سلوني قبل أن تفقدوني . فقام إليه رجلٌ من أقصى المسجد متوكئاً على عصاه ، فلم يزل يتخطى الناس حتى دنا منه ، فقال : يا أمير المؤمنين : دُلّني على عملٍ أنا إذا عملته نَجاني الله من النار ، فقال له : اسمع يا هذا ، ثم افهم ، ثم استيقن ، قامت الدنيا بثلاثة : بعالمٍ ناطقٍ مستعملٍ لعلمه ، وبغنيٍّ لا يبخلُ بماله على دينِ الله ، وبفقيِرٍ صابرٍ ، فإذا كتم العالمُ علمه ، وبخل الغنيُّ ولم يصبر الفقير فعندها الويل والثبور ، وعندها يعرف العارفون بالله أن الدار قد رجعت إلى بدئها ، أي الكفر بعد الإيمان . أيها السائل ، فلا تغترن بكثرة المساجد ، وجماعة أقوام أجسادهم مجتمعة وقلوبهم شتى . أيها السائل : إنما الناس ثلاثة : زاهد وراغب وصابر ، فأما الزاهد فلا يفرح بشيءٍ من الدنيا أتاه ، ولا يحزن على شيءٍ منها فاتته . وأما الصابر فيتمناها بقلبه ، فإن أدرك منها شيئاً صرف عنها نفسه لما يعلم من سوء عاقبتها . وأما الراغب فلا يبالي من حلّ أصابها أم من حرامٍ ؟ قال له : يا أمير المؤمنين ، فما علامة المؤمن في ذلك الزمان ؟ قال : ينظر إلى ما أوجب الله عليه من حقٍّ فيتولاه وينظر إلى ما خالفه فيتبرأ منه ، وإن كان حميماً قريباً . قال : صدقت والله يا أمير المؤمنين ، ثم غاب الرجل فلم نره ، فطلبه الناس فلم يجدوه ، فتبسّم علي عليه السلام على المنبر ، ثم قال : ما لكم ؟ هذا أخي الخضر عليه السلام ، ثم قال : سلوني قبل أن تفقدوني ، فلم يقم إليه أحد ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلوات الله عليه وآله وسلم ثم قال للحسن عليه السلام : يا حسن قم فاصعد المنبر فتكلم بكلامٍ لا تجهلك قريش من بعدي ، فيقولون : إن الحسن بن علي لا يحسن شيئاً . قال الحسن عليه السلام : يا أبت كيف أصعد وأتكلم وأنت في الناس تسمع وترى ؟ ! قال له : بأبي وأمي أوارى نفسي عنك وأسمع وأرى ، وأنت لا تراني ، فصعد الحسن عليه السلام المنبر ، فحمد الله بمحامدٍ بليغةٍ شريفة ، وصلى على النبي صلوات الله عليه وآله وسلم صلاةً موجزةً ، ثم قال : أيها الناس : سمعتُ جدي رسولَ الله يقول : «أنا مدينة العلم وعلي بابها ، وهل تدخل المدينة إلا من بابها؟» ثم نزل فوثبَ إليه علي عليه السلام فحمله وضمه إلى صدره ثم قال للحسين عليه السلام : «يا بني قم فاصعد المنبر ،

وتكلم بكلام لا يجهلك قريش من بعدي» فيقولون: إن الحسين بن علي لا يبصر شيئاً، وليكن كلامك تبعاً لكلام أخيك، فصعد الحسين عليه السلام المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه صلاةً موجزةً ثم قال: معاشر الناس سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: «إن علياً هو مدينة هدى، فمن دخلها نجا ومن تخلف عنها هلك». فوثب عليه عليٌّ، فضمه إلى صدره، وقبله، ثم قال: «معاشر الناس، اشهدوا إنهما فرخا رسول الله ووديعته التي استودعها وأنا استودعكموها»، معاشر الناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم سائلكم عنهما^(١).

وكثيراً ما نبّه أصحابه إلى علم كانوا يجهلونهُ، فإذا بهم يندهشون ممّا سمِعُوا. فهذا عمر بن الخطاب منهم:

روى أبو سعيد الخدري قال: حججنا مع عمر أول حجة في خلافته، فلما دخل المسجد الحرام دنا من الحجر الأسود فقبله واستلمه، وقال: إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك واستلمك، لما قبلتك ولا استلمتك. فقال له علي: بلى يا أمير المؤمنين، إنه ليضر وينفع، ولو علمت تأويل ذلك من كتاب الله لعلمت أن الذي أقول لك كما أقول. قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا: بَلَىٰ﴾^(٢)، فلما أشهدهم وأقرؤا له أنه الرب عز وجل، وأنهم العبيد، كتب ميثاقهم في رق، ثم ألقمه هذا الحجر، وإن له لعينين ولساناً وشفيتين، تشهد لمن وافاه بالموافاة، فهو أمين الله عز وجل في هذا المكان. فقال عمر: لا أبقاني الله بأرضٍ لست بها يا أبا الحسن^(٣).

فليدرك يا أبا الحسن!! فغزارة علمك وعلمك ما في الأرحام عن النبي عن الله عز وجل جعل بعضاً من الناس يغالون بك وأنت غير راضٍ عن ذلك.

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٢ ص ١٠٠ - ١٠١.

(٢) سورة الأعراف: آية ١٧٢.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٢ ص ١٠٠ - ١٠١.

ففي الخرائج رُويَ أنَّ تسعة أخوة أو عشرة في حَيٍّ من أحياء العرب كانت لهم أُختٌ واحدة، فقالوا لها: كلِّ ما يرزُقنا الله نطرحه بين يديك، فلا ترغبي في التزويج، فحميتنا لا تقبل ذلك، فوافقتهم على ذلك، ورضيت به، وقعدت في خدمتهم، وهم يكرّمونها، فحاضت يوماً، فلمّا طهرت أرادت الاغتسال، وخرجت إلى عين كانت بقرب حَيِّهم، فخرجت من الماء علقه، فدخلت في جوفها، وقد جلست في الماء، فما مضت عليها أيام، والعلقة تكبرُ حتى علا بطنها، وظنّ الأخوة أنّها حبلى، وقد خانت. فأرادوا قتلها، فقال بعضهم: نرفع أمرها إلى علي بن أبي طالب، فإنه يتولّى ذلك فأخرجوها إلى حضرته عليه السلام، وقالوا فيها ما ظنّوا بها، واستحضر عليه السلام طشتاً مملوءة بالحماة، وأمرها بأن تقعد عليه، فلمّا أحسّت العلقه برائحة الحماة نزلت من جوفها، فقالوا: يا عليّ، أنت ربنا العليّ، فإنك تعلم الغيب، فزبرهم وقال: إنّ رسول الله أخبرني بذلك عن الله بأن هذه الحادثة تقع في هذا اليوم، في هذا الشهر، في هذه الساعة^(١).

روى صاحب الفضائل مرفوعاً إلى عمّار أنه جاؤوا إليه عليه السلام بجارية بآلف فارس، وقال أبوها: خطبها ملوك العرب، ونكّست رأسي، لأنها عاتق حامل. فقال عليه السلام لداية الكوفة: انظريها هل هي حامل؟ فلاحظتها، فقالت: نعم، فقال عليه السلام لأبيها: من يقدر على قطعة ثلج في الساعة؟ فقال: إنّ الثلج في بلده الذي من أعمال دمشق كثير، إلّا أنّ بُعد بلده مائتان وخمسون فرسخاً. فمدّ يده عليه السلام وكان على المنبر، وردّها، وفيها قطعة ثلج، فأمر عليه السلام أن يترك تحت الجارية طشتاً، وتوضع قطعة الثلج ممّا يلي الفرج، فرمت المرأة علقه وزنها سبعمائة وخمسون درهماً ودانقان، وكان عليه السلام أخبرهم أولاً بوزنها، ثم قال لأبيها: إنّ ابتك دخلت الماء وهي بنت عشر سنين، فدخلت العلقه في جوفها، وكبرت إلى الآن في بطنها. فنهض أبوها وهو يقول: أشهد أنك تعلم ما في الأرحام، وما في الضمائر، وأنت باب

(١) من قضاء أمير المؤمنين: للشيخ التستري، ص ٢٠٤.

الدين^(١).

غير أن صاحب كتاب (الرؤضة) في فضائل علي بن أبي طالب يروي هذا الحديث، وبه زيادات، ونحن نسجله هنا تبركاً بمن قال له النبي ﷺ: «لولا أنني أشفق أن تقول فيك طوائف ما قالت النصارى في عيسى، لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر على ملام منهم إلا أخذوا التراب من تحت قدمك تبركاً».

روى صاحب كتاب (الرؤضة) مرفوعاً إلى عمار بن ياسر وزيد بن أرقم أنهما قالاً: كنا بين يدي أمير المؤمنين علي عليه السلام، وكان يوم الاثنين تاسع عشر خلّت من صفر، وإذا بزعة عظيمة قد أملت المسامع، وكان على دكة القضاء. فقال: يا عمار آتني بذي الفقار، وكان وزنه سبعة أمان وثلاثي من بالمكي، فجئت به، فانتضاه من غمده، وتركه على فخذه، فقال: يا عمار هذا يوم أكشف فيه لأهل الكوفة الغمة، ليزداد المؤمنون وفاقاً، والمخالفون نفاقاً، يا عمار أثبت بمن على الباب. قال عمار: فخرجت وإذا بالباب امرأة على جمل في قبة، وهي تبكي وتصيح: يا غياث المستغيثين، يا بغية الطالبين، يا كنز الراغبين، يا ذا القوة المتين، ويا مطعم اليتيم، ويا رازق العديم، ويا محيي كل عظم رميم، يا قديماً سبق قدمه كل قديم، يا عون من ليس معه معين، يا طود من لا طود له، يا كنز من لا كنز له، إليك توجهت، وبنيتك توسلت، وخليفة رسولك قصدت، فبيض وجهي، وفرج عني كربتي، قال عمار: وحولها ألف فارس بسيوف مسلولة، فقوم لها وقوم عليها، فقلت: أجيئوا أمير المؤمنين عليه السلام. أجيئوا عيبة علم النبوة. قال: فنزلت من القبة، ونزل القوم معها، ودخلوا المسجد، فوقفت المرأة بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام، وقالت: يا مولاي يا إمام المتقين، إليك أنبت، وبابك قصدت، فاكشف ما بي من غمة، فإنك قادر عليه، وعالم بما كان أو يكون إلى يوم القيامة. فعند ذلك قال: يا عمار، ناد في الكوفة: فمن أراد أن ينظر إلى ما

(١) نفس المصدر: للتستري، ص ٢٠٥.

أعطى الله أخا رسول الله ﷺ فليأت إلى المسجد. قال: فاجتمع الناس حتى امتلأ المسجد، وصار القوم على القوم. فعند ذلك قال مولاي: سلوني عما بدا لكم، يا أهل الشام. فنهض من بينهم شيخ كبير قد شاب، عليه بردة أحمية وحلة عريشية، وعمامة خرسانية، فقال: السّلام عليك يا أمير المؤمنين، ويا كنز الطالبين. مولاي هذه الجارية ابنتي قد خطبها ملوك العرب مني وقد نكّست رأسي بين عشيرتي، وأنا موصوف بين العرب، وقد فضحتني في أهلي ورجالي، لأنها عاتق حامل. فأنا قيس بن عفريس لا تُخمد لي نار، ولا يضام لي جار، وقد بقيت حائراً في أمري، فاكشفت هذه الغمة، فإن الإمام خير ما ترتجيه الأمة لهذا الأمر. وهذه غمة عظيمة، ولا أرى مثلها، ولا أعظم منها. قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما تقولين يا جارية فيما قاله أبوك؟ قالت الجارية: يا مولاي، أمّا قوله: إني حامل، فوحدك يا مولاي ما علمت في نفسي خيانة قط، وإنني أعلم أنك أعلم بي مني، وإنني ما كذبت فيما قلت. ففرّج عني يا مولاي. قال عمار: فعند ذلك أخذ الإمام ذو الفقار، وصعد المنبر وقال: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً. ثم قال عليه السلام: عليّ بداية أهل الكوفة، فجاءت امرأة تُسمّى لبنى، فقال لها: اضربي بينك وبين الناس حجاباً، وانظري هذه الجارية، أعاتق حامل؟؟ ففعلت لما أمرت به، ثم خرجت، وقالت: عاتق حامل، وحدك يا مولاي. فعند ذلك التفت الإمام عليه السلام إلى أبي الجارية، وقال: يا أبا الغضب، ألسنت من قرية كذا وكذا من أعمال دمشق؟ قال: نعم، قال: أليست قريرتك تُسمّى أسعار؟ قال: بلى يا مولاي. قال: من منكم هذه الساعة يقدر على قطعة من الثلج؟ فقال: يا مولاي الثلج في بلادنا كثير، ولكن ما نقدر عليه هاهنا. فقال عليه السلام: بيننا وبين بلدتكم مائتان وخمسون فرسخاً، قال: نعم يا مولاي. قال: أيها الناس انظروا إلى ما أُعطي عليّ من العلم النبوي الذي أودعه الله ورسوله من العلم الربّاني. قال عمار بن ياسر: فمدّ يده عليه السلام من أعلى منبر الكوفة، وإذا فيها قطعة من الثلج يقطر الماء منها. فعندما ضجّ الناس، وماج الجامع بأهله، فقال عليه السلام: اسكتوا

فلو شئت لأتيْتُ بجبالِها. ثمَّ قال: يا داية، خذي هذا الثلج واخرجي الجارية من المسجد، واتركي تحتها طشتاً، وضعي هذه القطعة ممّا يلي الفرج، فترمي علقَةً وزنها سبعة وخمسون درهماً ودانقان. فقالت: سمعاً وطاعةً لله ولك يا مولاي. ثمَّ أخذتها وأخرجتها من المسجد، فجاءت بطشتٍ ووضعت الثلج على الموضع كما أمرها ^{بالتشديد}، فوقعت علقة كبيرة، فوزنتها الداية فوجدتها كما قال. وأقبلت الداية والجارية، فوضعت العلقة بين يديه، ثم قال: يا أبا الغضب خذ بنتك، فوالله ما زنت، وإنما دخلت الماء، فدخلت هذه العلقة في فرجها، وهي بنت عشر سنين، فكبرت إلى الآن في بطنها، فنهض أبوها وهو يقول: أشهد أنك تعلم ما في الأرحام وما في الضمائر، وأنت عمود الدين وبابه. قال: فعند ذلك ضجَّ الناس وقالوا: يا أمير المؤمنين لنا اليوم خمس سنين لم تمطر السماء علينا غيثاً، وقد أمسك عن الكوفة هذه المدّة، وقد مسنا وأهلنا الضرّ، فاستسقي لنا يا وارث علم محمّد. قال: فعند ذلك قام في الحال، وأشار بيده قبل السماء، فدمدمَ فإذا الغيث قد انسجم وحمل الغيث فحرَّكَ السحاب وأسحَم، وحمل مزناً، فهبط الغيث حتى صارت الكوفة غدراناً، فقالوا: يا أمير المؤمنين كُفينا من الماء وروينا. فتكلّم بكلامٍ فمضى الغيم وانقطع المطر وطلعت الشمس.

وإذا كُبرَ على الناس معرفة أبي الحسن بذلك، وهو وارث علم النبي ووصيه ووليّ كلّ مؤمن ومؤمنة، فلا يكبر عليهم ما رواه ابن الجوزي عن أبي بكر الطييب الرازي، وهذه قصّته كما ذكرها ابن الجوزي في أذكيائه. وذلك أنّ غلاماً من بغداد قدم الرّي، فلحقه في طريقه أنّه كان ينفث الدّم، فاستدعى أبا بكر الطييب الرازي المشهور بالحدق، فأراه ما ينفث، ووصف له ما يجد، فنظر إلى نبضه وقارورته، واستوصف حاله، فلم يقم له دليل على سؤل ولا قرحة، ولم يعرف العلّة، فاستنظر العليل لينظر في حاله، فاشتدّ الأمر على المريض وقال: هذا يأس لي من الحياة لحقّ التطيب وجهله بالعلّة، فزاد ألمه، ففكر الرازي، فلما عاد إليه، سأله عن المياه والتي شربها في طريقه، فأخبره أنّه شرب من صهاريج ومستنقعات، فثبت في نفس الرازي بحدة

خاطرِهِ وجودة ذكائه أَنَّ عِلْقَةً كانت في الماء، وقد حصلت في معدته، وذلك الدَّم من فعلها. فقال: إذا كان في غدٍ عالجُكَ، ولكن بشرط أن تأمر غلمانَكَ أن يطعوني فيكَ بما أمرهم. قال: نعم، فأنصرف الرازي فجمع مركنين كبيرين من طحلب، فأحضرهما في غدٍ معه، فأراه إياهما وقال: ابلع جميع ما في المركنين، فبلع شيئاً يسيراً ثم وقف. قال: ابلع، فقال: لا أستطيع، فقال للغلمان: خذوه فأقيموه، ففعلوا به ذلك، وطرحوه على قفاه وفتحوا فاه، فأقبلَ الرازي يدسّ الطحلب في حلقه، ويكبسه كبساً شديداً، ويطلبه ببلعه، ويتهدده بأن يضرب إلى أن بلعه كارهياً أحد المركنين بأسره، والرجل يستغيث ويقول: السَّاعة أقذف، فزاد الرازي فيما يكبسه في حلقه، فذرعه القيء، فتأمل الرازي ما قذف، فإذا فيه عِلْقَةٌ، وإذا هي عِلْقَةٌ، وإذا هي لَمَّا وصل إليها الطحلب، قربت إليه بالطَّبع، وتركت موضعها، فالتفت على الطحلب، ونهض العليل معافى^(١).

وهل يعظم على أبي الحسن معرفة ما علّمه النبي الكريم بما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وهو صاحب الأذن الواعية. فلقد أخرج الكنجي بأسانيد عن عبدالله بن الحسن قال: حين نزلت هذه الآية: ﴿وتعيها أذن واعية﴾ قال رسول الله ﷺ: «سألت الله عز وجل أن يجعلها أذنك يا علي». قال عليه السلام: فما نسيت شيئاً بعد، وما كان لي أن أنسى^(٢).

وإذا كان يراودك الشك حتى الآن في أن أحداً من الصحابة أعلم من علي عليه السلام فاستمع إلى ما ذكره العلامة الحجة السيّد محسن الأمين في كتابه المسمّى (عجائب أحكام أمير المؤمنين) ص ١١٣ ط مصر سنة ١٣٦٦ هـ، أخرجه بسننه عن إبراهيم بن أبي يحيى المدني، عن أبي عبدالله الصادق

(١) من كتاب (قضاء أمير المؤمنين): للتستري، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٢) الكنجي، ص ٤٠ وممن ذكر ذلك الصباغ المالكي في الفصول المهمة، ص ١٠٧

ط ٣ عام ١٩٦٢ م، والواحد في أسباب النزول، والطبري في تفسيره، وفي حلية

الأولياء، والدر المنثور للسيوطي وآخرون غيرهم وكذلك الخوارزمي في مناقبه،

ص ١٩٩ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية - النجف.

قال: لَمَّا مات أبو بكر وباع الناس عمرَ أتاه رجُلٌ من شباب اليهود،
 وهو في المسجد والناس حوله، فقال: يا أمير المؤمنين دلّني على أعلمكم
 بالله وبرسوله وبكتابه وسنته (قال): فأومأ بيده إلى علي، فقال: هذا، فتحوّل
 الرجل إلى علي فسأله، أنت كذلك؟ قال: نعم، (قال): إنني أريد أن أسلكَ
 عن ثلاثٍ وثلاثٍ وواحدةٍ، فقال له أمير المؤمنين: أفلا قلتَ عن سبعٍ؟ قال
 اليهودي: لا، إنما أسألكَ عن ثلاثٍ، فإن أصبتَ فيهن سألتك عن ثلاثٍ،
 وإن لم تصب، لم أسألكَ. (فقال علي عليه السلام): فأخبرني إن أجبتك بالصواب
 والحق تعرف ذلك؟ وكان أبو الفتى من علماء اليهود يرون أنه من ولد
 هارون بن عمران. (فقال علي): والله الذي لا إله إلا هو لئن أجبتك
 والصواب لتسلمن ولتدعن اليهودية؟ فحلف له الفتى. فقال له: يا يهودي سل
 عما بدا لك تُخبر به إن شاء الله. (فقال): أخبرني عن أول شجرة وُضعتْ
 على وجه الأرض؟ وأول عين نبعتْ في الأرض، وأول حجر وُضع على وجه
 الأرض؟ (فقال): أما قولك أول شجرة وُضعتْ على وجه الأرض فإن اليهود
 يزعمون أنها الزيتونة، وكذبوا. إنها النخلة العجوة هبطَ بها آدم من الجنة
 فغرسها، وأصل التمر كله منها. وأما قولك: أول عين نبعتْ في الأرض فإن
 اليهود يزعمون أنها العين التي ببيت المقدس تحت الحجر، وكذبوا، هي عين
 الحيوان التي أتاها موسى وفتاه، فغسلا منها السمكة فحييت، وليس من ميت
 يصيبه ذلك الماء إلا حيي. وأما قولك: أول حجر وضع على وجه الأرض،
 فإن اليهود تزعم أنه الحجر الذي ببيت المقدس، وكذبوا. إنما هو الحجر
 الأسود هبط به آدم من الجنة، فوضعه على الركن، فالمسلمون يستلمونه.
 (قال): فأخبرني كم لهذه الأمة من إمام هدى هادين مهديين، لا يضرهم من
 خذلهم. وأخبرني أين منزل محمد في الجنة؟ ومن معه من أمته في الجنة؟
 (قال): أما قولك: كم لهذه الأمة من إمام هدى مهديين لا يضرهم من خذلهم
 خذلهم، فإن لهذه الأمة اثني عشر إماماً هادين مهديين لا يضرهم من خذلهم.
 وأما قولك: أين منزل محمد في الجنة؟ ففي أفضلها وأشرفها جنة عدن. وأما
 قولك: من مع محمد في الجنة؟ فمعه هؤلاء الإثنا عشر أئمة الهدى. (فقال)

الفتى): أجبت والله الذي لا إله إلا هو، وإن هذا المكتوب عندنا بإملاء موسى وخط هارون بيده. (فقال): وأخبرني عن وصي محمد في أهله كم يعيش بعده؟ وهل يموت موتاً أو يُقتل قتلاً؟ قال له أمير المؤمنين: ويحك يا يهودي! وصي محمد يعيش بعده ثلاثين سنة، ويقتل قتلاً ضربة هاهنا، وضرب بيده إلى رأسه، تخضب هذه، وأوماً بيده إلى لحيته من هذه. (قال): فقطع الفتى تسبيحه وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنت وصي محمد^(١).

واسمع ما ذكره البهائي في كشكوله أن أعرابياً سأل علياً فقال: إني رأيت كلباً وطىء شاة، فأولدها ولداً، فما حكم ذلك في الحل؟ فقال علي: اعتبره في الأكل، فإن أكل لحماً فهو كلب، وإن رأته يأكل علفاً فهو شاة. فقال الأعرابي: وجدته تارة يأكل هذا، وتارة يأكل هذا. فقال: اعتبره في الشرب، فإن كرع فهو شاة، وإن ولغ فهو كلب. فقال الأعرابي: وجدته يلغ مرةً ويكرع أخرى. فقال: اعتبره في المشي مع الماشية، فإن تأخر عنها فهو كلب، وإن تقدّم أو توسّط فهو شاة. فقال: وجدته مرةً هكذا ومرةً هكذا. قال: اعتبره في الجلوس فإن برّك فهو شاة، وإن أقعى فهو كلب. قال: إنه يفعل هذا مرة، وهذا مرة. قال: اذبّحه. فإن وجدت له كرشاً فهو شاة، وإن وجدت له أمعاءً فهو كلب. فبهت عند ذلك الأعرابي من فضل أمير المؤمنين.

وكثيراً ما سبّب عليٌ بعلمه هداية الكثير من أهل الكتاب لهذا الدين الإسلامي العظيم.

(١) علي والوصية، ص ١٣٩ - ١٤٠ وكذلك علي والخلفاء لنجم الدين العسكري، ص ١٣٨ - ١٤٠. روى هذا الحديث الحموي الشافعي في فرائد السّمطين، ج ١ باب ٦٦ مع اختلاف به. ورواه العاصمي في كتاب زين الفتى شرح سورة ﴿هل أتى﴾ وفيه زيادات. وأخرجه الأميني في باب الغدير، ج ٦ ص ٢٦٨ ط إيران، وأخرجه القندوزي في إنباع المودة، ص ٤٤٣، وهو قريب من حديث الشيخ محسن الأميني المتقدم الذكر.

رَوَى مُسْنَدًا عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عليه السلام : قَالَ : كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَدِيقَانِ يَهُودِيَّانِ قَدْ آمَنَّا بِمُوسَى رَسُولِ اللَّهِ ، وَأَتَيَا مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ وَسَمِعَا مِنْهُ ، وَقَدْ كَانَا قَرَأْنَا التَّوْرَةَ وَصَحَفَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ، وَعَلِمَا عِلْمَ الْكُتُبِ الْأُولَى ، فَلَمَّا قَبِضَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَسُولَهُ عليه السلام أَقْبَلَا يَسْأَلَانِ عَنْ صَاحِبِ الْأَمْرِ بَعْدِهِ ، وَقَالَا : إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ نَبِيٌّ قَطُّ إِلَّا وَلَهُ خَلِيفَةٌ يَقُومُ بِالْأَمْرِ فِي أُمَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ ، قَرِيبَ الْقَرَابَةِ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، عَظِيمُ الْقَدْرِ ، جَلِيلُ الشَّانِ . فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : هَلْ تَعْرِفُ صَاحِبَ هَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ ؟ فَقَالَ الْآخَرُ : لَا أَعْلَمُ إِلَّا بِالصِّفَةِ الَّتِي أَجَدَهَا فِي التَّوْرَةِ ، هُوَ الْأَصْلَحُ الْمَظْفَرُ ، فَإِنَّهُ كَانَ أَقْرَبُ الْقَوْمِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ . فَلَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ وَسَأَلَ عَنْ الْخَلِيفَةِ أُرْشِدَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ قَالَا : لَيْسَ هَذَا صَاحِبِنَا ، ثُمَّ قَالَا لَهُ : مَا قَرَابَتُكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ؟ قَالَ : إِنِّي رَجُلٌ مِنْ عَشِيرَتِهِ ، وَهُوَ زَوْجُ ابْنَتِي عَائِشَةَ . قَالَا : هَلْ غَيْرُ هَذَا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَا : دَلَّنَا عَلَى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ ؟ فَإِنَّكَ أَنْتَ لَسْتَ الرَّجُلَ الَّذِي نَجِدُ صِفَتَهُ بِالتَّوْرَةِ أَنَّهُ وَصَّى هَذَا النَّبِيَّ وَخَلِيفَتُهُ . فَتَغَيَّظَ مِنْ قَوْلِهِمَا وَهَمَّ بِهِمَا ، ثُمَّ أُرْشِدَهُمَا إِلَى عَمْرِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ عَرَفَ مِنْ عَمْرِ أَنَّهُمَا إِنْ اسْتَقْبَلَاهُ بِشَيْءٍ بَطَشَ بِهِمَا ، فَلَمَّا أَتَيَاهُ ، قَالَا : مَا قَرَابَتُكَ مِنْ هَذَا النَّبِيِّ ؟ قَالَ : أَنَا مِنْ عَشِيرَتِهِ ، وَهُوَ زَوْجُ ابْنَتِي حَفْصَةَ . قَالَا : هَلْ غَيْرُ هَذَا ؟ قَالَ : لَا . قَالَا : لَيْسَتْ هَذِهِ بِقَرَابَةٍ ، وَلَيْسَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ الَّتِي نَجِدُهَا فِي التَّوْرَةِ ، ثُمَّ قَالَا : فَأَيْنَ رَبُّكَ ؟ قَالَ : فَوْقَ سَبْعِ سَمَوَاتٍ . قَالَ : فَهَلْ غَيْرُ هَذَا ؟ قَالَ : لَا ، قَالَا : دَلَّنَا عَلَى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ . فَأُرْشِدَهُمَا إِلَى عَلِيٍّ عليه السلام . فَلَمَّا جَاءَاهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ، قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : إِنَّهُ الرَّجُلَ الَّذِي نَجِدُ صِفَتَهُ فِي التَّوْرَةِ ، إِنَّهُ وَصَّى هَذَا النَّبِيَّ وَخَلِيفَتَهُ وَزَوْجَ ابْنَتِهِ ، وَأَبُو السَّبْطَيْنِ وَالْقَائِمُ بِالْحَقِّ مِنْ بَعْدِهِ ، ثُمَّ قَالَا لِعَلِيٍّ : أَيُّهَا الرَّجُلُ مَا قَرَابَتُكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ؟ قَالَ : هُوَ أَخِي ، وَأَنَا وَارَثُهُ وَوَصِيِّهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ ، وَأَنَا زَوْجُ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ ، قَالَا لَهُ : هَذِهِ الْقَرَابَةُ الْفَاخِرَةُ وَالْمَنْزِلَةُ الْقَرِيبَةُ ، وَهَذِهِ الصِّفَةُ الَّتِي نَجِدُهَا فِي التَّوْرَةِ ، ثُمَّ قَالَا لَهُ : فَأَيْنَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ ؟ قَالَ عليه السلام لَهُمَا : إِنْ شِئْتُمَا أَنْبَأْتُكُمَا بِالَّذِي كَانَ عَلَى عَهْدِ مُوسَى نَبِيِّكُمَا ، وَإِنْ شِئْتُمَا أَنْبَأْتُكُمَا بِالَّذِي كَانَ عَلَى عَهْدِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ،

قالا : أنبئنا بالذي كان على عهد نبيِّنا موسى . قال : أقبل أربعة أملاك : ملك من المشرق ، وملك من المغرب ، وملك من السماء ، وملك من الأرض ، فقال صاحب المشرق لصاحب المغرب : من أين أقبَلْتَ؟ قال : من عند ربِّي . وقال صاحب المغرب لصاحب المشرق : من أين أقبَلْتَ؟ قال : من عند ربِّي . وقال النازل من السماء للخارج من الأرض : من أين أقبَلْتَ؟ قال : أقبَلْتُ من عند ربِّي . وقال الخارج من الأرض للنازل من السماء : من أين أقبَلْتَ؟ قال : من عند ربِّي . فهذا ما كان على عهد نبيكما موسى .

وأما ما كان على عهد نبيِّنا محمد فذلك قوله في محكم كتابه : ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾^(١) الآية .

قال اليهوديَّان : فما منع صاحبيكَ أن يكونا جعلاك في موضِعِكَ الَّذي أنتَ أهله؟ فوالَّذي أنزل التَّوراة على موسى أنك لأنتَ الخليفة حقًّا ، نجد صفتكَ في كتبنا ، ونقرؤها في كنائسنا ، وإنَّكَ لأحقُّ بهذا الأمر وأولى به ممَّن قد غلبَكَ عليه . فقال علي : قدَّما وأخرا وحسابُهما على الله عزَّ وجلَّ يوقفان ويسألان^(٢) .

هذا هو علي أخذ علمه عن رسولِ اللهِ ﷺ ففهمه ووعاه تمامًا ، كما أخذ رسول الله ﷺ هذا العلم عن جبرئيل ففهمه ووعاه كما أخذه ووعاه جبرئيل عن الله ، ولا فرق أبدًا في شيءٍ إلا بالوساطة فقط لا غير . وهكذا علوم أهل البيت .

قال الإمام الصادق عليه السلام : عجباً للناس يقولون : أخذوا علمهم كلَّه من رسولِ اللهِ ، فعملوا به واهتدوا ، ويرون أنا أهل بيتٍ لم نأخذ علمه ، ولم نهتدِ

(١) سورة المجادلة : آية ٧ .

(٢) قضاء أمير المؤمنين : للشيخ التستري ، ص ٧٠ و ٧١ ط ٣ ، المطبعة الحيدرية - النجف .

به، ونحن أهله وذريته، في منازلنا أنزل الوصي، ومن عندنا خرج العلم إلى الناس، أفتراهم علموا واهتدوا وجهلنا وضللنا؟

وقال الإمام الباقر عليه السلام : لو كنّا نحدّث الناس برأينا وهوانا لهلكنا، ولكنّا نحدّثهم بأحاديث نكنزها عن رسول الله كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضّتهم^(١).

وإذا كان معاوية بن أبي سفيان العدو اللدود لعلي، وإذا كان أقام الدنيا وأقعدّها ضده، فإنّه لا يتمالك أن يقول الحقيقة عندما بلغه نبأ مقتل الإمام، فقال: لقد ذهب العلم والفقه بموت ابن أبي طالب^(٢).

واستمع إلى ما رواه صاحب إرشاد القلوب في الجزء الثاني ص ١٦٩ فهو يقول: ويحذف الإسناد روى أنّ يوماً حضر الناس عند أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب بالكوفة ويقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنّي لا أسأل عن شيء دون العرش إلّا أجبت فيه، لا يقولها بعدي إلّا مدّع أو كذاب مُفْتَرٍ. فقام إليه رجل من جنب مجلسه في عنقه كتاب كالمصحف، وهو رجل آدم ضرب طوال جعد الشعر، كأنه من يهود العرب، وقال رافعاً صوته لعلي عليه السلام : أيّها المدّعي لما لا تعلم، والمتقدّم لما لا يفهم، أنا أسألك فأجب. قال: فوثب أصحابه وشيعته من كلّ ناحية وهمّوا به، فهزمهم علي عليه السلام وقال: دعوه ولا تعجلوه، فإنّ العجلة والبطش والطيش لا تقوم به حجج الله، ولا بإعجال السائل تظهر براهين الله عزّ وجلّ. ثمّ التفت إليّ فقال: سل بكلّ لسانك ومبلغ علمك أجبتك إن شاء الله بعلم لا يختلج به الشكوك ولا يهيجنه دنس الرّيب والزّيف ولا قوّة إلّا بالله. قال الرّجل: كم بين المشرق والمغرب؟ قال علي عليه السلام : مسافة الهواء. قال الرّجل: وما مسافة الهواء؟ قال علي: دوران الفلك. قال: وما دوران الفلك؟ قال: مسيرة يومٍ للشمس. قال: صدّقت.

(١) الشيعة والتشييع: لمحمد جواد مغنية، ص ٤٥.

(٢) انظر كتاب ألف باء، ج ١ ص ٢٢٢.

قال: فمتى القيامة؟ قال علي عليه السلام: عند حضور المنيّة وبلوغ الأجل. قال: صدقت. قال: فكم عمر الدّنيا؟ قال عليه السلام: سبعة ثم لا تجديد. قال الرّجل: صدقت، فأين بكّة من مكّة؟ قال علي عليه السلام: مكّة أكناف الحرم، وبكّة موضع البيت. قال الرّجل: صدقت. فلم سميت مكّة؟ قال عليه السلام: لأنّ الله عزّ وجلّ مدّ الأرض من تحتها. قال: نعم، فلم سميت بكّة؟ قال: لأنها بكّت رقاب الجبارين وأعناق المذنبين؟ قال: صدقت. فأين كان الله قبل أن يخلق عرشه؟ قال: سبحانه من لا تدركه الأبصار، ولا تدرك كنه صفته حملة العرش على قرب ربواتهم من كرسي كرامته، ولا الملائكة من زاخر رشحات جلاله. ويحك لا يقال لله أين؟ ولا بم، ولا فيم؟ ولا أي؟ ولا كيف؟ قال الرّجل: صدقت. فكم مقدار ما لبث عرشه على الماء؟ من قبل أن يخلق الأرض والسّماء؟ قال عليه السلام: أتحيّن أن تحسب؟ قال: نعم، قال الرّجل: لعلك لا تحسن أن تحسب. قال: بلى، إني لأحسن أن أحسب. قال عليه السلام: أرايت إن صبّ خردل في الأرض حتى مَسّه الهواء وما بين الأرض والسّماء، ثم أذن لك على ضعفك أن تنقله حبة حبة من مقدار المشرق والمغرب، وفي مدّ عمرك، وأعطيت القوة على ذلك حتى تنقله وأحصيته لكان ذلك أيسر من أن أحصي عدد أعوام ما لبث عشره على الماء من قبل أن يخلق الأرض والسّماء. وإنما وصفت منقصة عشر عشر لعشر من جزء من مائة ألف جزء، واستغفر الله عن التّقليل والتّحديد. قال: فحرّك الرّجل رأسه وأنشأ يقول:

أنت أصيل العلم يا ذا الهدى	تجلو عن الشك الغياها
حزّت أقاصي كلّ علم فما	تبصر إن غولبت مغلوبا
لا تنشني عن كلّ أشكولة	تبدي إذا حلت أعاجيبا
لله در العلم من صاحب	يطلب إنساناً ومطلوبا

وروى القندوزي الحنفي في ينابيعه ج ١ ص ٦٨ مطبعة العرفان - صيدا. قال الإمام كرم الله وجهه: سلوني عن أسرار الغيوب، فإني وارث علوم الأنبياء والمرسلين.

وأخرج موفق بن أحمد الخوارزمي الحنفي بسنده عن أبي الصباح عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبرئيل بدر نوك من الجنة، فجلست عليه، فلما صرت بين يدي ربي كلمني وناجاني، فما علمت شيئاً إلا علمته علياً، فهو باب علمي. ثم دعاه إليه فقال: يا علي سلمك سلمي، وحرّبك حربي، وأنت العلم فيما بيني وبين أمّتي» (١).

وفي المناقب عن الإصمغ بن نباتة، قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام فأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إني أحبك في الله. قال: إن رسول الله ﷺ حدثني ألف حديث، ولكل حديث ألف باب، وإن أرواح الناس تتلاقى بعضهم بعضاً في عالم الأرواح، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، وبحق الله لقد كذبت، فما أعرف وجهك في وجوه أحبائي، ولا إسمك في أسماء أحبائي. ثم دخل عليه الآخر فقال: يا أمير المؤمنين، إني أحبك في الله، فقال له: صدقت، وقال: إن طينتنا وطينة محبينا مخزونة في علم الله، ومأخوذة أخذ الله ميثاقها من صلب آدم عليه السلام، فلم يشذ منها شاذ، ولا يدخل فيها غيرها، فأعد للفقر جلباباً، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله الفقر إلى محبينا أسرع من السيل إلى بطن الوادي» (٢).

فهنيئاً لمن يوافق علياً على أنه من محبيه المخلصين، وتغساً ونكساً لمن يقول له: كذبت. فالحب قديم وليس حديثاً، ولا يؤمن هنا إلا من آمن هناك أي في عالم الأرواح قبل عالم الأجساد. وعليّ يعرف محبيه ومبغضيه قبل ظهورهم في عالم الأجساد. وكل واحد منا يعرف نفسه من أي الفئتين. والناس فريقان، والجنة والنار طريقان، وفريق في الجنة وفريق في السعير. وما أحسن قول الإمام وأبلغه في نهجه قائلاً: أقل الناس قيمة أقلهم علماً، إذ قيمة كل امرئ ما يحسن، وكفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا

(١) القندوزي الحنفي في ينابيعه، ج ١ ص ٦٩، مطبعة العرفان - صيدا.

(٢) القندوزي في ينابيعه، ج ١ ص ٦٩، مطبعة العرفان - صيدا.

يحسبُهُ، ويفرح به إذا نُسِبَ إليه . وكفى بالجهلِ ذمًّا أن يتبرأ مِنْهُ من هو فيه ،
ويغضب إذا نُسِبَ إليه ، والناس عالمٌ أو متعلم وسائرهم همجٌ رعاع .

وليتنا نعرف جزءاً ممَّا يعرفه الإمام لكي نتغلب على الكثير من مشكلاتنا
ولنريح أنفسنا من أشياء لم تزل مثار اهتمامنا ورغبتنا، اسمعه يقول :

لو تعلمون ما أعلم ممَّا طوي عنكم غيبه إذا لخرجتم إلى الصُّعَدَاتِ
تكون على أعمالكم، وتلتدمون على أنفسكم، ولتركتكم أموالكم لا حارس
لها ، ولا خالف عليها ، ولهت كلُّ امرئٍ نفسه لا يلتفت إلى غيرها ،
ولكنكم نسيتم ما ذُكرتم ، وأميتم ما حُذرت ، فتاه عنكم رأيكم ، وتشئت
عليكم أمركم ، ولوددت أن الله فرَّق بيني وبينكم ، وألحقني بمن هو أحقُّ بي
منكم : قومٌ والله ميامين الرأي ، مراجيح الحلم ، مقاويل بالحق ، متاريك
للبغي ، مضوا قُدماً على الطَّريقة ، وأوجبوا على المحجَّة ، فظفروا بالعقبى
الدَّائمة ، والكرامة البارزة ، أما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذِّيال ،
الميال ، يأكل خضرتكم ، ويذيب شحمتكم ، أيه أبا وذحة (١) .

وهذه شهادة كبير الصُّحابي سلمان الفارسي يعلنها مدوِّية بأن فقد عليّ
فقد العلم، وأنه عالم الأرض وربَّانيها . فقد روى ابن تاتانة عن علي بن
إبراهيم عن جعفر بن سلمة عن الثَّقفي عن المسعودي عن يحيى بن سالم عن
إسرائيل عن ميسرة عن المنهال بن عمرو عن رزين بن جيش قال : مرَّ علي
عليه السلام على بغلة رسول الله ﷺ وسلمان في ملاء ، فقال سلمان : ألا تقومون
تأخذون بحجزته تسألونه؟ فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لا يخبركم بسرّ
نبيكم أحد غيره، وإنه لعالم الأرض وربَّانيها، وإليه تسكن، ولو فقدتموه
لفقدتم العلم، وأنكرتم الناس (٢) .

وروى محمد بن عيسى عن أبي محمد الأنصاري عن صباح المزني عن

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ج ١ ص ٢٢٨، مطبعة الاستقامة .

(٢) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٤٥٨ .

الحرث بن حصيرة المزني عن الإصبع بن نباتة، قال: لما قدم علي عليه السلام الكوفة صلى بهم أربعين صباحاً، فقرأ بهم ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾، فقال المنافقون: والله ما يحسن أن يقرأ ابن أبي طالب القرآن. ولو أحسن أن يقرأ لقرأ بنا غير هذه السورة، قال: فبلغه ذلك، فقال: ويلهم! إني لأعرف ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وفصله من وصله، وحروفه من معانيه، والله ما حَرَفُ نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم إِلَّا وَأَنَا أَعْرِفُ فِيمَنْ أُنْزِلَ، وَفِي أَيِّ يَوْمٍ نَزَلَ، وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ نَزَلَ. وَيْلَهُمْ! أَمَا يَقْرَأُونَ: ﴿إِنْ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى. صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾^(١). وَاللَّهِ عِنْدِي وَرَثَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَوَرَثَتُهَا رَسُولُ اللَّهِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى. وَيْلَهُمْ! وَاللَّهِ إِنِّي أَنَا الَّذِي أُنْزِلَ اللَّهُ فِيَّ ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ﴾^(٢)، فَإِنَّا كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَيُخْبِرُنَا بِالْوَحْيِ فَأَعِيهِ وَيَفُوتُهُمْ، فَإِذَا خَرَجْنَا قَالُوا: مَاذَا قَالَ آنَفًا؟^(٣).

وصاحبُ الأذن الواعية يعرف منطق الطير، ولغات الملائكة قاطبة. فقد روى أبو أمانة الباهلي، وروى سعد بن ظريف عن الصادق وكلاهما رَوَيَا عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي خَبَرٍ طَوِيلٍ، وَاللَّفْظُ لِأَبِي أَمَامَةَ أَنَّ النَّاسَ دَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَهَنَاؤُهُ بِمَوْلُودِهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ فِي وَسْطِ النَّاسِ فَقَالَ: يَا أَبَايَ أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْنَا مِنْ عَلِيٍّ عَجَباً فِي هَذَا الْيَوْمِ، قَالَ: وَمَا رَأَيْتُمْ؟ قَالَ: أَتَيْنَاكَ لِنَسَلِمَ عَلَيْكَ وَنَهْنِيكَ بِمَوْلُودِكَ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَحَجَبْنَا عَنْكَ وَأَعْلَمْنَا أَنَّهُ هَبْطٌ عَلَيْكَ مِائَةُ أَلْفٍ مَلِكٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفٍ مَلِكٍ، فَعَجَبْنَا مِنْ إِحْصَائِهِ وَعَدِّهِ الْمَلَائِكَةُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «وَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ عَلَيْهِ مَبْتَسِماً مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ هَبْطٌ عَلَيَّ مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفٍ مَلِكٍ؟» قَالَ: يَا أَبَايَ أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! سَمِعْتُ مِائَةَ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ لُغَةٍ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُمْ مِائَةُ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ مَلِكٍ. قَالَ: زَادَكَ اللَّهُ عِلْماً وَحِلْماً يَا أَبَا

(١) سورة الأعلى: آية ١٩.

(٢) سورة الجاثية: آية ١٢.

(٣) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٤٥٨.

الحسن^(١).

والذكر الحكيم يقول: واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون. ففي تفسير يوسف القَطَّان عن وكيع عن الثوري عن السَّدي، قال: كنتُ عند عمر بن الخطَّاب إذ أقبل كعب بن الأشرف ومالك بن الصَّيفي وحيي بن أخطب، فقالا: إن في كتابكم ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ إذا كان سعة جنة واحدة كسبع سمواتٍ وسبع أرضين، فالجَنَّاتُ كلها يوم القيامة أين تكون؟ فقال عمر: لا أعلم. فبينما هم في ذلك إذ دخل علي عليه السلام فقال: في أي شيء أنتم؟ فالتفت اليهودي، وذكر المسألة، فقال عليه السلام لهم: خبروني عن النهار إذا أقبل الليل أين يكون؟ والليل إذا أقبل النهار أين يكون؟ فقال له: في علم الله يكون. قال علي: كذلك الجنان تكون في علم الله، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بذلك، فنزل ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾^(٢).

وكيف لا يكون عليٌّ من أهل الذكر؟ وابن عباس يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أتاني جبرئيل بدرانوك من درانيك الجنة، فجلستُ عليه، فلما صرتُ بين يدي ربي فكلمني وناجاني، فما علمتُ من الأشياء شيئاً إلا علمته ابن عمي علي بن أبي طالب عليه السلام، فهو باب مدينة علمي، ثم دعاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا علي، سلمك سلمي، وحرُّبك حربي، وأنت العلم فيما بيني وبين أمتي بعدي»^(٣).

واستمع أيها الطالب إلى ما يظهره لنا الإمام من أسرار القرآن في الحفظ من الحرق والغرق وغيره. فقد روى محمد بن يحيى عن عبد الله بن جعفر عن السَّياري عن محمد بن بكر عن أبي الجارود عن الإصبغ بن نباتة عن أمير

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٤٦٦.

(٢) سورة آل عمران: آية ٨٣. والرواية من بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٣ ص ٣٦٦ - ٤٦٧.

(٣) نفس المصدر: للمجلسي، ج ٩ ص ٤٦٧.

المؤمنين ﷺ أنه قال: والذي بعث محمداً بالحق، وأكرم أهل بيته، ما من شيء يطلبونه من حرز أو حرق أو غرق أو سرق أو إفلات دابة من صاحبها أو ضالة أو أبق إلا وهو في القرآن، فمن أراد ذلك فليسالني عنه. قال: فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عما يؤمن من الحرق والغرق؟ فقال: اقرأ هذه الآيات: ﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾^(١)، وما قدروا الله حق قدره... ﴿إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿عَمَّا يَشْرُكُونَ﴾﴾^(٢). فمن قرأها فقد أمن الحرق والغرق. قال: فقرأها رجل، فضطربت النار في بيوت جيرانه، وبيته وسطها فلم يصبه شيء، ثم قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين إن دابتي استصعبت علي، وأنا منها على وجل. فقال: اقرأ في أذنها اليمنى ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٣). فقرأها فذلت له دابته، وقام إليه رجل آخر، فقال: يا أمير المؤمنين: إن أرضي مسبعة، وإن السباع تغشى منزلي، ولا تجوز حتى تأخذ فريستها. فقال: اقرأ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(٤). فقرأها الرجل فاجتنبته السباع. ثم قام إليه آخر فقال: يا أمير المؤمنين إن في بطني ماء أصفر، فهل من شفاء؟ فقال: نعم، بلا درهم ولا دينار، ولكن اكتب على بطنك آية الكرسي وتغسلها وتشربها وتجعلها ذخيرة في بطنك، فتبرأ بإذن الله عز وجل، ففعل الرجل فبرئ بإذن الله تعالى. ثم قام إليه آخر، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الضالة. فقال: اقرأ ﴿يَس﴾ في ركعتين وقُل: يا هادي الضالة رُدَّ علي ضالتي. ففعل، فرد الله عليه ضالته. ثم قام إليه آخر، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الأبق، فقال: اقرأ ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ

(١) سورة الأعراف: آية ١٩٦.

(٢) سورة الزمر: آية ٦٧.

(٣) سورة آل عمران: آية ٨٣.

(٤) سورة التوبة: آية ١٢٩.

فوقه موجٌ . . . ﴿ إلى قوله: ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾^(١).
فقالها الرجل، فرجع إليه الأبق. ثم قام إليه آخر، فقال: يا أمير المؤمنين
أخبرني عن السُّرق، فإنه لا يزال قد يسرق لي الشيء بعد الشيء ليلاً. فقال:
إذا آويت إلى فراشك: ادعوا الله أو ادعوا الرَّحْمَنَ أيّاً ما تدعوا. . . ﴿
الآية. إلى قوله: ﴿وكبره تكبيراً﴾^(٢) ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام: من بات
بأرضٍ قفراءٍ فقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي
سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ . . .﴾ إلى قوله: ﴿تبارك الله ربَّ
العالمين﴾^(٣). حرسته الملائكة وتباعدت عنه الشياطين. قال: فمضى الرجل
فإذا هو بقرية خراب، فبات فيها فلم يقرأ هذه الآية، فتغشاه الشيطان، فإذا هو
أخذٌ بحطمه، فقال له صاحبه: انظره واستيقظ الرجل، فقرأ الآية. فقال
الشيطان لصاحبه: أرغم الله أنفك، احرسه الآن حتى يصبح، فلما أصبح
رجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره، وقال له: رأيتُ في كلامك الشفاء
والصدق، ومضى بعد طلوع الشمس، فإذا هو بأثر شعر الشيطان منجراً في
الأرض^(٤).

وكما علّم الله آدمَ الأسماء كلها كذلك علّمها لعلّي عليه السلام. فقد روي
أحمد بن محمد عن البنزطي عن الحسين بن موسى عن محمد بن مسلم عن
أبي عبد الله عليه السلام قال: أهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حبٌّ وطيور مشويّ، من
اليمن، فوضعه بين يديه، فقال: يا عليّ ما هذه، وما هذه؟ فأخذ علي عليه السلام
يجيبه عنها شيئاً شيئاً. فقال: إنّ جبرئيل أخبرني أنّ الله علّمك الأسماء كلها
كما علّم آدم عليه السلام.

وفي مشارق أنوار اليقين للبرسي يقول روى الحسن البصري أنّ

(١) سورة النور: آية ٤٠.

(٢) سورة الإسراء: آية ١١٠.

(٣) سورة الأعراف: آية ٥٣.

(٤) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٤٦٨ - ٤٦٩.

الخضر لما التقى بموسى فكان بينهما ما كان . جاء عصفور فأخذ قطرة من البحر، فوضعها على يد موسى، فقال للخضر: ما هذا؟ فقال: يقول: ما عَلَّمْنَا وعلم سائر الأولين والآخرين في علم وصي النبي الأمي إلا كهذه القطرة في هذا البحر.

ويقول صاحب كتاب (بحار الأنوار): ومن عجيب ما وقفت عليه من الأمور الغيبية قوله في الخطبة التي يذكر فيها الملاحم، وهو يشير إلى القرامطة، ينتحلون لنا الحب والهوى، ويضمرون لنا البغض والقليل، وآية ذلك قتلهم ورأثنا وهجرهم أجدائنا. وصح ما أخبره عليه السلام، لأن القرامطة قتلت من آل أبي طلب خلقاً كثيراً، وأسماؤهم مذكورة في كتاب (مقاتل الطالبيين) لأبي الفرج الأصفهاني.

ومهما تكلم الإمام بالأمور الغيبية والعلوم الخفية فلا غرو، فهو باب مدينة العلم، والله عز وجل يقول: ﴿ليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها، ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها﴾.

فقد روي عن سالم وعاصم والحسين بن أبي العلا عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾، وقوله: ﴿ليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها﴾ البقرة: آية ١٨٩. قال: مطرت السماء بالمدينة، فلما تقشعت السماء وخرجت الشمس، خرج رسول الله ﷺ في أناس من المهاجرين والأنصار فجلس، وجلسوا حوله، إذ أقبل علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال رسول الله ﷺ لمن حوله: «هذا علي قد أتاكم تقي القلب، نقي الكفين». هذا علي بن أبي طالب، لا يقول إلا صواباً، تزول الجبال ولا يزول عن دينه. فقال: «يا علي أنا مدينة الحكمة وأنت بابها، فمن أتى المدينة من الباب وصل. يا علي أنت بابي الذي أوتى منه، وأنا باب الله. فمن أتاني من سواك لم يصل». فقال القوم بعضهم لبعض: ما يعني بهذا؟

قال : فأنزل الله به قرآنا ﴿ليس البرّ بأن تأتوا البيوت . . .﴾ إلى آخر الآية^(١).

ومن يماري في علم علي عليه السلام ؟ والذكر الحكيم يقول بعلي : ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ . روى سعد بن عبدالله بن محمد بن عيسى بن عبيد عن معمر بن عمرو عن عبدالله بن الوليد السّمان، قال : قال الباقر عليه السلام : يا عبدالله ما تقول في علي وعيسى وموسى صلوات الله عليهم؟ قلت : وما عسى أن أقول فيهم؟ فقال : والله علي أعلم منهما، ثم قال : أستم تقولون : إن علي صلوات الله عليه ما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العلم؟ قلنا : نعم، والناس ينكرون، قال : فخاصمهم فيه بقوله تعالى لموسى عليه السلام : ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء﴾^(٢) . فاعلم أنه لم يبين له الأمر كله . وقال لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وجئنا بك على هؤلاء شهيداً وأنزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾^(٣) . وقال : فاسأل عن قوله تعالى : ﴿فكفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾^(٤) . ثم قال : والله إيانا عني ، وعلي أولنا وأفضلنا وأخبرنا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٤) .

وروى أبو الفضل العلوي ، عن سعد بن عيسى ، عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير ، عن أبيه ، عن شريك بن عبدالله ، عن عبد الأعلى ، عن أبي وقاص ، عن سلمان الفارسي ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : سمعته يقول : عندي علم المنايا والبلايا والوصايا والأنساب وفصل الخطاب ، ومولد الإسلام ، وموارد الكفر ، وأنا صاحب الميسم ، وأنا الفاروق الأكبر ، وأنا صاحب الكرات ، ودولة الدّول ، فاسألوني عما يكون إلى يوم القيامة ، وعما كان على عهد كل نبي بعثه الله^(٦) .

(١) بحار الأنوار: للمجلسي ، ج ٩ ص ٤٧٣ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١١٤ .

(٣) سورة النساء : آية ٤٠ .

(٤) سورة الرعد : آية ٤٥ .

(٥) بحار الأنوار: للمجلسي ، ج ٩ ص ٤٧٤ .

(٦) نفس المصدر ، ج ٩ ص ٤٢٤ .

الخلاصة: إِنَّ الإمام علي كرم الله وجهه لا يجارى ولا يبارى، لا في علمه، ولا في سائر المثل الإنسانية العليا. فإذا كان الله سبحانه علم سيدنا محمداً جميع ما علمه لأنبيائه ورسله، وسيدنا محمد ﷺ علم الإمام جميع ما تعلمه، فهو قد جمع علوم الأولين والآخرين من الأنبياء والمرسلين. وهو المقصود بقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾. وعنده علم الاسم الأعظم، وهو ثلاثة وسبعون حرفاً. حُرِفَ استأثر به الله سبحانه. واثنان وسبعون علمها لرسوله ﷺ، وأمره أن يعلمها أهل بيته عليهم السلام. أما باقي الأنبياء عليهم السلام فقد قال الصادق عليه السلام: إِنَّ عيسى بن مريم أُعْطِيَ حرفين كان يعمل بهما، وأُعْطِيَ موسى عليه السلام أربعة أحرف، وأُعْطِيَ إبراهيم ثمانية أحرف، وأُعْطِيَ نوح عليه السلام خمسة عشر حرفاً، وأُعْطِيَ آدم خمسة وعشرين حرفاً. وقد جمع كل ذلك لمحمد وآله سوى حرف واحد استأثر به الله تعالى^(١).

ولذلك فإننا لا نستغرب من قوله عليه السلام: عندي علم المنايا والبلايا والوصايا والأنساب وفصل الخطاب... إلى آخره. وكذلك قوله عليه السلام: اندمجت على مكنون علم لو بُحْتُ به لاضطربت اضطراب الأرشية في الطوي لأوقرت سبعين بعيراً من سورة الفاتحة.

وأي تعبير أوضح من هذا التعبير عن هذا العلم الذي يضمه بين جوانحه قائلاً في بعض خطبه:

سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين. أما والله لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانيهم، حتى ينهي كل كتاب من هذه الكتب ويقول: يا ربِّ إِنَّ عَلَيَّ قِضَى بَقَضَائِكَ. والله إنِّي

(١) من كتاب (سلوني قبل أن تفقدوني): للخطيب الشيخ محمد رضا الحكيمي، ج ٢ ص ٣٤ و ٣٥ نقلاً عن الأنوار النعمانية، ج ١ ص ٢٣.

لأعلم بالقرآن وتأويله من كل مدّع علمه. ولولا آية في كتاب الله تعالى لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة. ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتُموني عن آية آية لأخبرتكم بوقت نزولها وفيما نزلت، وأنبأتكم بناسخها من منسوخها وخاصها من عامها، ومحكمها من متشابها، ومكيها من مدنيها. والله ما من فئة تضل أو تهدي إلا وأنا أعرف قائدها وسائقها وناعقها إلى يوم القيامة^(١).

ولولا خوف الإمام من غلو الناس به لصرخ عن أمور وأمر لا نقوى على تحملها يقول في النهج عليه السلام:

والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت. ولكن أخاف أن تكفروا في رسول الله. ألا إني مفضيه إلى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه. والذي بعثه بالحق، واصطفاه على الخلق، ما أنطق إلا صادقاً. ولقد عهد إليّ بذلك كله، وبمهلك من يهلك، ومنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر، وما أبقى شيئاً يمر على رأسي إلا أفرغه في أذني، وأفضي به إليّ. أيها الناس إني والله لا أحثكم على طاعة إلا وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلا وأتناهى قبلكم عنها^(١). نهج البلاغة شرح محمد عبده.

وكم من وفود وردت من أحبار اليهود وعلماء النصارى وغيرهم إلى الخلفاء الثلاثة ليجيبوا إلى أسئلتهم، ولم يجد هؤلاء الخلفاء لهم منقذاً سوى الإمام كرم الله وجهه. فهو لا يجارى ولا يبارى.

(١) من كتاب (سلوني)، ج ٢ ص ١٤٥ - ١٤٦ نقلاً عن كتاب الإرشاد: للمفيد، ص ١٥ و١٦.

الفصل الثامن

قضاؤه عليه السلام

أي مزية في الإمام عليه السلام ليست هامة وعظيمة وجليلة. ومن المزايا الهامة التي امتاز بها على غيره من الناس كافة هو القضاء الذي تعلمه عن النبي صلى الله عليه وسلم، عن الله عز وجل. لذلك أصبح قضاء عليه قضاء الرسول، وقضاء الرسول قضاء الله عز وجل.

روى الأصفهاني في (حلية الأولياء) عن علي، قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن. فقلت: يا رسول الله، تبعثني إلى اليمن، ويسألونني عن القضاء ولا علم لي به. قال: اذن مني، فدنوت فضرب بيده على صدري، ثم قال: اللهم ثبت لسانه، واهد قلبه. فلا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما شككت في قضاء بين اثنين بعده. وبالمعنى نفسه ذكر هذا الكلام المفيد في (إرشاده) مع اختلاف في بعض اللفظ.

وكيف يشك علي عليه السلام في قضاء بين اثنين؟ وهو صاحب الأذن الواعية والقائل: لو كسرت لي الوسادة لقصيت بين أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينطق كل واحد ويقول: قد قضى علي في بما أنزل. وكثيراً ما صرح النبي لأُمَّته قائلاً: «أقضاكم علي». ولقد أقر المخالف كالمؤلف بأنه أقضى الأمة وأعلمها. وكثيراً ما ردّد عمر بن الخطاب جملته المشهورة عند المعضلات: «لولا علي لهلك عمر». وجمل

أخرى مثل قوله: «لولا علي لضلّ عمر»، وقوله: «اللهم لا تبقي لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب»، وقوله: «لا أبقاني الله بأرضٍ لست فيها يا أبا الحسن»، وقوله: «كاد يهلك عمر بن الخطاب لولا علي بن أبي طالب»، وقوله: «أعوذ بالله من معضلة لا علي بها»، وقوله: «لولاك لافتضحنا»، وجمل أخرى غيرها.

وفي الحقيقة لا يقاسُ عليٌّ بغيره من الناس بعد النبي ﷺ، لأنه يمتاز بخصائص ليست موجودة في غيره من الناس. هذه الخصائص جعلته فريداً من نوعه بعد النبي الكريم. من هذه الخصائص الشجاعة مثلاً، ولكن هل هناك شجاع ما فرّ قط؟! ولا خاف من جيش، ولا بارز أحداً إلا قتله، أو أسره، أو منّ عليه بعد أن تمكّن منه، وما دعا إلى مبارزة قط إلا بعد أن يدعى. لم تتوفر هذه الشروط إلا في عليّ وحده. علاوة عن الصفات الأخرى الكريمة التي تنبع من قلب علي. فما من شجاعٍ إلا وله مساوئ ما عدا أبا الحسين.

ولو انتقلنا إلى العلم كمثليّ ثانٍ، لوجدناه منقطع النظير. وهل هناك رجل يستحق لقب العالم، عندما يذكر أبو الحسين الذي هو باب مدينة علم الرسول. وهل هناك عالمٌ قال: «سلوني» غير أبي الحسن؟ سلوا من عنده علم المنايا والبلايا والأنساب في الأصلاب، وفصل الخطاب. سلوني عن كتاب الله، فإنه ليس من آيةٍ إلا وقد عرضت، أبليلاً نزلت أم بنهار، سلوني قبل أن تفقدوني، فإنّي لا أسأل عن شيءٍ دون العرش إلا أخبرت عنه.

ولو انتقلنا إلى القضاء كمثليّ ثالثٍ، لوجدناه منقطع النظير، وإليك أيها القارئ نماذج من قضائه المبين.

أمر الخليفة عمر بضرب غلامٍ خاصم أمّه :

عن محمد بن عبد الله بن أبي رافع عن أبيه، قال: خاصم غلامٌ من الأنصار أمّه إلى عمر بن الخطاب، فجدّته، فسأله البيّنة فلم تكن عنده، وجاءت المرأة بنفر، فشهدوا أنها لم تتزوج، وأنّ الغلام كاذب عليها، وقد

قذفها، فأمر عمر بضربه، فَلَقِيَهُ عَلِيٌّ رضي الله عنه، فسأل عن أمرهم فدعاهم، ثمَّ قعدَ في مسجد النَّبي ﷺ، وسأل المرأة فجحدت، فقال للغلام: اجحدْها كما جحدتكَ. فقال: يابن عم رسول الله إنها أُمِّي! قال: اجحدْها وأنا أبوك والحسن والحسين أخواك. قال: قد جحدتها وأنكرتها. فقال عليٌّ لأولياء المرأة: أمري في هذه المرأة جائز؟ قالوا: نعم، وفيها أيضاً، فقال عليٌّ: أشهد مَنْ حضر أنني زوّجتُ هذا الغلامَ من هذه المرأة الغريبة منه، يا قنبر! اثني بطينةٍ فيها دراهم، فأتا بها، فعدَّ أربعمئة وثمانين درهماً فقذفها مهراً لها، وقال للغلام: خذ بيد امرأتِكَ، ولا تأتينا إلّا وعليك أثر العرس. فلما ولى، قالت المرأة: يا أبا الحسن، الله الله هو النار، هو والله ابني. قال: كيف ذلك؟ قالت: إنّ أباهُ كان زنجياً، وإنَّ إختوتي زوجوني منه، فحملتُ بهذا الغلام، وخرجَ الرَّجلُ غازياً، فقتِلَ، وبعثتُ بهذا إلى حيِّ بني فلان، فنشأ فيهم، وأنفتُ أن يكون ابني. فقال عليٌّ: أنا أبو الحسن، وألحقه، وثبتُ نسبه^(١).

اليتيمة البريئة:

في الكافي والتَّهذيب بسنديهما عن الصَّادِقِ عليه السلام قال: أتى عمر بن الخطَّاب بجارية قد شهدوا عليها أنها بغت.

وكان من قصَّتها أنها كانت يتيمةً عند رجل، وكان الرَّجلُ كثيراً ما يغيب عن أهله، فشبتَ اليتيمةُ، فتخوّفت المرأة أن يتزوَّجها زوجها، فدعت بنسوةٍ حتّى أمسكنها، فأخذتُ عذرتها بإصبعها، فلما قدِمَ زوجها من غيبته، رمَت المرأة اليتيمة بالفاحشة وأقامت البيّنة من جاراتها اللاتي ساعدنها على ذلك إلى عمر، فلم يدر كيف يقضي فيها، ثمَّ قال للرَّجل: اثبت علي بن أبي طالب عليه السلام، واذهب بنا إليه. فأتوا عليّاً عليه السلام، وقصّوا عليه القصّة، فقال لامرأة الرَّجل: ألك بيّنة أو برهان؟ قالت: لي شهود، هؤلاء جاراتي يشهدنَ عليها

(١) الغدير: للأميني، ج ٦ ص ١٠٥.

بما أقول، وأحضرتُهنَّ. وأخرجَ علي عليه السلام السَّيْفَ من غمده، فطرَحَهُ بين يديه، وأمر بكلِّ واحدةٍ منهنَّ، فأدْخِلَتْ بيتاً، ثمَّ دعا امرأةَ الرَّجُلِ فأدارها بكلِّ وجه، فأبَتْ أن تنزِلَ عن قولها، فردَّها إلى البيت الَّذي كانت فيه، ودعا إحدى الشُّهود وجثا على ركبتيه، ثمَّ قال: تعرفيني أنا علي بن أبي طالب، وهذا سيفي، وقد قالتِ امرأةُ الرَّجُلِ ما قالت، ورجعت إلى الحقِّ وأعطيتها الأمان، وإن لم تصدقيني لأمكننَّ السَّيْفَ منك، فالتفتت إلى عمر، فقالت: يا أمير المؤمنين، الأمان على الصَّدق^(١)، فقال لها علي عليه السلام: فاصدقي، فقالت: لا والله^(٢)، إلَّا أنَّها رأتُ جمالاً وهيئةً فخافت فسادَ زوجها فسقَّتْها المسكر، ودعَّتْها، فأمسكناها، فافتضَّتها بإصبعها. فقال علي عليه السلام: الله أكبر، أنا أوَّل من فرَّق بين الشُّهود إلَّا^(٣) دانيال النَّبي صلوات الله عليه، وألزمهنَّ حدَّ القاذِف، وألزمهنَّ جميعاً العقر، وجعلَ عقرها أربعمئة درهماً، وأمر المرأة أن تنفى من الرَّجُل، ويطلقها زوجها، وزوجه الجارية، وساق المهر عنه عليه السلام.

فقال عمر: يا أبا الحسن، فحدَّثنا بحديث دانيال. فقال: إنَّ دانيالَ كان يتيماً لا أمَّ له ولا أب، وأنَّ امرأةً من بني إسرائيل عجوزاً كبيراً ضمَّتْهُ فربَّتْهُ، وأنَّ ملكاً من ملوك بني إسرائيل، كان له قاضيان، وكان لهما صديق، وكان رجلاً صالحاً، وكانت له امرأة ذاتُ هيئةٍ جميلة، وكان يأتي الملك فيحدِّثه، فاحتاج الملك إلى رجل يبعثه في بعض أموره، فقال للقاضيين: اختارا رجلاً أرسلهُ في أموري، فقالا: فلان، فوجَّهه الملك، فقال الرَّجُل للقاضيين: أوصيكمَا بامرأتي خيراً، فقالا: نعم، فخرج الرَّجُل، فكان القاضيان يأتیان باب الرَّجُل الصَّديق، فعشيقا امرأته، فراوداها عن نفسها فأبَتْ. فقالا لها: والله لئن لم تفعلِي لنشهدَنَّ عليك عند الملك بالزَّنى ليرجمَك، فقالت: افعلَا ما أحببْتُمَا، فأتيا الملك، فأخبراهُ وشهدا عنده أنَّها بغَتْ. فدخل الملك من ذلك

(١) في شرح قصيدة أبي فراس، التفتت إلى علي عليه السلام.

(٢) ما زنت اليتيمة في شرح قصيدة أبي فراس.

(٣) إلَّا أخي دانيال في شرح قصيدة أبي فراس.

أمر عظيم، واشتدَّ بها غمّه، وكان بها معجباً، فقال لهما: إنَّ قولكما مقبول، ولكن ارجموها بعد ثلاثة أيام، ونادى في البلد الذي هو فيه، احضروا قتلَ فلانة العابدة، فإنّها قد بغت، وأنَّ القاضيين قد شهدا عليها بذلك، وأكثر الناس القول في ذلك. وقال الملك لوزيره: ما عندك في هذا من حيلة؟ فقال: ما عندي في ذلك من شيء، فخرج الوزير يوم الثالث، فإذا هو بغلمان عراة يلعبون، وفيهم دانيال وهو لا يعرفه. فقال دانيال: يا معشر الصّبيان، تعالوا حتّى أكون أنا الملك، وتكون أنت يا فلان العابدة، ويكون فلان وفلان القاضيين الشّاهدين عليها. ثمَّ جمع تراباً وجعل سيفاً من قصب، وقال للصّبيان: خذوا بيد هذا فنحّوه إلى مكان كذا وكذا، وخذوا بيد هذا، فنحّوه إلى مكان كذا وكذا، ثمَّ دعا بأحدهما، فقال له: لقيتُ حذيفة بن اليمان فسألته كيف أصبحت؟ فقال: أصبحتُ أكرهُ بم تشهد؟ فقال: يوم كذا وكذا. قال: مع مَنْ؟ قال: فلان بن فلان، قال: وأين؟ قال: موضع كذا فخالفَ صاحبه، فقال: دانيال: الله أكبر! شهدا بزور. يا فلان نادِ في الناس، إنّما شهدا على فلانٍ بالزور، فأحضروا قتلهما. فذهب الوزير إلى الملك مبادراً، فأخبره الخبر. فبعث الملك إلى القاضيين، فاختلفا كما اختلف الغلامان. فنادى الملك وأمر بصليبهما^(١).

الأرغفة الخمسة:

في شرح قصيدة أبي فراس الحمداني ص ٢٧٣ عن درر المطالب، قال: روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي عليه السلام أَنَّهُ قَعَدَ فِي زَمَنٍ عُمَرَ رَجُلَانِ يَتَغَذَّيَانِ، مَعَ أَحَدِهِمَا خَمْسَةُ أَرْغَفَةٍ، وَمَعَ الْآخَرِ ثَلَاثَةُ أَرْغَفَةٍ، فَمَرَّ بِهِمَا رَجُلٌ، فَدَعَا إِلَى طَعَامِهِمَا، فَجَلَسَ يَأْكُلُ مَعَهُمَا. فَلَمَّا قَامَ نَاولَهُمَا ثَمَانِيَةَ دِرَاهِمٍ، وَقَالَ: هَذَا لَكُمَا بَدَلُ مَا أَكَلْتُمَا مِنْ طَعَامِكُمَا. فَقَالَ صَاحِبُ الْخَمْسَةِ لِصَاحِبِ الثَّلَاثَةِ: لِي خَمْسَةٌ، وَلَكَ ثَلَاثَةٌ. فَقَالَ: لَا آخِذَ إِلَّا أَرْبَعَةً لِي، وَلَكَ أَرْبَعَةٌ، فَأَفْضَى بِهِمَا الْحَالُ إِلَى أَنْ اخْتَصِمَا إِلَى عَمْرٍ، فَقَالَ

(١) الفدير: للأميني، ج ٦ ص ١٢٦ - ١٢٧ من كتاب (من لا يحضره الفقيه)، ج ٣ ص ١٠ ط ٤ سنة ١٣٧٨ هـ.

عمر لصاحب الخمسة : لك خمسة ولصاحب الثلاثة ثلاثة . فقالوا : قد حلف كل واحد منا لا يأخذ إلا حقه . فبعث عمر إلى نفر من أصحابه ، فلما حضروا قالوا مثل مقالته . فلما علم القوم أنهما حالفان ألا يأخذ كل واحد منهما إلا حقه أمسكوا عنهما ، فبعث عمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فلما حضر قال عمر : يا أبا الحسن ، أقض بين هذين الرجلين ، فقضا عليه قصتهما . فقال علي عليه السلام : اصطليحا ، فأبى . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يُعطى لصاحب الثلاثة : أرغفة درهم ، ويُعطى لصاحب الخمسة سبعة دراهم ، فقالوا : كيف يكون ذلك يا أبا الحسن ؟ فقال عليه السلام : إنه لقضاء تعرفه صبيان الكتاب إذا تعلموا الفرائض . فقالوا : بين لنا ذلك يا أمير المؤمنين . قال عليه السلام : أليس كانوا ثلاثة بينهم ثمانية أرغفة ؟ فقالوا : نعم ، فقال علي عليه السلام : ضربنا ثمانية أجزاء في ثلاثة أجزاء ، ثم ضربنا الثلاثة في ثلاثة ، فصارت تسعة أجزاء ، فوجدنا صاحب الثلاثة قد أكل من خبزه ثمانية أجزاء ، وأكل الضيف جزءاً واحداً ، ثم ضربنا الخمسة في ثلاثة ، فصار خمسة عشر جزءاً ، فوجدنا صاحب الخمسة عشر أكل من خبزه ثمانية أجزاء وأكل الضيف سبعة أجزاء ، فقضى الأمر كذلك . فأقبل عمر على أمير المؤمنين عليه السلام وقال : أشهد أنك رباني هذه الأمة .

لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب :

عن حنش بن المعتمر قال : إن رجلين أتيا امرأة من قريش ، فاستودعاها مائة دينار ، وقالوا : لا تدفعيها إلى أحد منا دون صاحبه حتى نجتمع . فلبثا حولاً ، ثم جاء أحدهما إليها فقال : إن صاحبي قد مات فادفعي إلي الدنانير ، فأبت فتقل عليها بأهلها ، فلم يزالوا بها حتى دفعتها إليه ، ثم لبثت حولاً آخر ، فجاء الآخر فقال : ادفعي إلي الدنانير . فقالت : إن صاحبك جاءني ، وزعم أنك قد مت ، فدفعها إليه . فاختصما إلى عمر ، فأراد أن يقضي عليها ، وقال لها : ما أراك إلا ضامنة . فقالت : أنشدك أن يقضي بيننا ، وارفعنا إلى علي بن أبي طالب . فرفعها إلى علي ، وعرف أنهما قد مكرتا بها ، فقال : أليس قلتما :

لا تدفعيها إلى واحدٍ منا دون صاحبه؟ قال: بلى. قال: فإنَّ مالكَ عندنا. اذهَبْ فَجِيءْ بِصَاحِبِكَ حَتَّى نَدْفَعَهُ إِلَيْكُمَا. فبلغ ذلك عُمر، فقال: لا أبْقاني الله بعد ابن أبي طالب^(١).

أبا حسن، لا أبْقاني الله لشدَّةٍ لستَ لها:

عن ابن عباس قال: وردت على عمر بن الخطاب واردةً قامَ منها وقعد، وتغيَّر وتربَّد، وجمع لها أصحاب النبي ﷺ فعرضها عليهم، وقال: أشيروا عَلَيَّ. فقالوا جميعاً: يا أمير المؤمنين، أنت المفزع، وأنت المنزع. فغضبَ عمر وقال: اتَّقوا اللهَ وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم. فقالوا: يا أمير المؤمنين ما عندنا ممَّا تسأل عنه شيء. فقال: أما واللهِ إني لأعرفُ أبا بجدتها وابن بجدتها وأين مفزعهما وأين منزعهما؟ فقالوا: كأنَّكَ تعني ابن أبي طالب؟ فقال عمر: لله هو!! وهل طفحت حرَّةٌ بمثله وأبرعتُهُ؟ انهضوا بنا إليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين أتصير إليه؟ يأتيك. فقال: هيهاتِ هناك شجنةٌ من بني هاشم، وشجنةٌ من الرُّسول، وأثرةٌ من عمل يؤتى لها ولا يأتى، في بيته يؤتى الحكم. فأعطفوا نحوه فألفوه في حائط وهو يقرأ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ ويردِّدها ويبكي. فقال عمر لشريح: حدِّث أبا حسن بالذي حدَّثتنا به. فقال شريح: كنتُ في مجلس الحكم، فأتى هذا الرَّجل، فذكر أنَّ رجلاً أودعه امرأتين: حرَّةً مهيرة^(٢) وأم ولد، فقال له: انفقْ عليهما حتَّى أقدم. فلمَّا كان في هذه اللَّيلة وضعتا جميعاً إحداهما ابناً والأخرى بنتاً، وكلتاها تدَّعي الابن، وتنتفي من البنت من أجل الميراث. فقال له: بِمَ قضيتَ بينهما؟ فقال

(١) الغدير، ج ٦ ص ١٢٦ - ١٢٧ للعلامة الأميني النجفي، وكتاب (من لا يحضره الفقيه)، ج ٣ ص ١٠ ط ٤ سنة ١٣٧٨ هـ، وروى ذلك كتاب الأذكياء: لابن الجوزي، ص ١٨، وأخبار الطراف: لابن الجوزي، ص ١٩ والرياض النضرية، ج ٢ ص ١٩٧ وذخائر العقبى، ص ٨٠ وتذكرة سبط ابن الجوزي، ص ٨٧ ومناقب الخوارزمي، ص ٦٠.



(٢) المهيرة من النساء: الحرَّة الغالية المهر، جمعها: مهائر.

شريح: لو كان عندي ما أقضي به بينهما لم آتكم بهما! فأخذ عليٌّ تبنَةً مِنْ الأرض فرفعها، فقال: إِنَّ القضاء في هذا أيسرُ من هذه. ثُمَّ دعا بقدح، فقال لإحدى المرأتين: احلي، فحلبت، فوزنهُ، ثُمَّ قال للأخرى: احلي. فحلبت، فوزنه فوجده على النصفِ مِنْ لبنِ الأولى. فقال لها: خذي أنتِ ابتكِ، وقال للأخرى: خذي أنتِ ابتكِ. ثُمَّ قال لشريح: أما علمتَ أَنَّ لبنَ الجارية على النصفِ من لبنِ الغلام؟ وَأَنَّ ميراثها نصفُ ميراثه؟ وَأَنَّ عقلها نصفُ عقله؟ وَأَنَّ شهادتها نصفُ شهادته؟ وَأَنَّ ديتها نصفُ ديته؟ وهي على النصفِ في كلِّ شيءٍ. فَأعجبَ به عمرٌو إعجاباً شديداً ثُمَّ قال: أبا حَسَنِ لا أَبْقاني الله لشدَّةٍ لستَ لها ولا في بلدٍ لستَ فيه^(١).

قضاؤه في أربعة وقعوا في زبية الأسد:

تذكرة خواص الأئمة ص ٢٧ قال أحمد في المسند: حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ، عَنْ إِسْرَائِيلَ، عَنْ سَمَّاكِ بْنِ حَنْشٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام. قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى قَوْمٍ حَفَرُوا زَبِيَّةً لِلْأَسَدِ، فَبَيْنَاهُمْ يَتَدافعُونَ إِذْ سَقَطَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فِي الزَّبِيَّةِ فَتَعَلَّقَ بِآخِرٍ، ثُمَّ تَعَلَّقَ آخَرٌ بِآخِرٍ حَتَّى صَارُوا فِيهِ أَرْبَعَةٌ، وَكَانَ فِيهَا أَسَدٌ فَجَرَحَ الْكُلَّ، فَابْتَدَرَ إِلَيْهِ رَجُلٌ بِحَرْبَتِهِ فَقَتَلَهُ، وَمَاتَ الْأَرْبَعَةُ مِنْ جِرَاحَتِهِ. فَقَامَ أَوْلِيَاءُ الْأَوَّلِ إِلَى أَوْلِيَاءِ الثَّانِي بِالسَّلَاحِ لِيَقْتَتِلُوا مَعَ أَوْلِيَاءِ الثَّانِي. فَقَالَ عَلِيٌّ: عَلَيَّ بِأَوْلِيَاءِ الْأَوَّلِ فَجَاؤُوا، فَقَالَ: أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقْتَتِلُوا وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ إِنْ أَقْضِيَ بَيْنَكُمْ بِقَضَائٍ، فَإِنْ رَضِيتُمُوهُ وَإِلَّا فَتَحَاجِزُوا حَتَّى تَذْهَبُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَقْضِي بَيْنَكُمْ، فَقَالُوا: نَعَمْ. فَقَالَ: اجْمَعُوا مِنْ قِبَائِلِ حَافِرِ الْبُئْرِ رُبْعَ الدِّيَّةِ، وَثَلَاثَ الدِّيَّةِ، وَنِصْفَ الدِّيَّةِ، وَالدِّيَّةَ كَامِلَةً. فَلَأَوْلِيَاءِ الْأَوَّلِ الرُّبْعَ لِأَنَّهُ أَهْلَكَ مِنْ فَوْقِهِ، وَلَأَوْلِيَاءِ الثَّانِي الثَّلَاثَ، وَلَأَوْلِيَاءِ الثَّلَاثِ النِّصْفَ، وَلَأَوْلِيَاءِ الرَّابِعِ الدِّيَّةَ

(١) المصدر كنز العمال، ج ٣ ص ١٧٩، مصباح الظلام: للجرداني، ج ٢ ص ٥٦، والغدير، ج ٦ ص ١٧٢ - ١٧٣ للأميني النجفي.

كاملة، فلم يرضوا بذلك، وأتوا رسول الله ﷺ، وأخبروه بالقصة. وقال: سأقضي بينكم، فقال رجل منهم: يا رسول الله إن علي بن أبي طالب قضي بكذا وكذا، فأجاز قضاء علي عليه السلام.

ومن قضائه الرباني ما ذكره المجلسي في البحار ج ٩ ص ٤٨٦ من إرشاد المفيد - رحمه الله - وهذا نصه من الإرشاد. قال:

رَوِيَ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام دخل ذات يوم مسجد الكوفة، فوجد شاباً حدثاً يبيكي، وحوله قوم، فسأل أمير المؤمنين عنه، فقال: إن شريحاً قضي عليّ قضية لم ينصفني فيها. فقال: وما شأنك؟ قال: إن هؤلاء النفر - وأوماً إلى نفر حضور - أخرجوا أبي معهم في سفر، فرجعوا ولم يرجع أبي، فسألتهُم عنه، فقالوا: مات، فسألتهُم عن ماله الذي استصحبه، فقالوا: ما نعرف له مالاً، فاستحلفهُم شريح، وتقدم إليّ بترك التعرض لهم. فقال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبر: اجمع القوم، وادع لي شرطة الخميس، ثم جلس، ودعا النفر، والحديث معهم، ثم سألهم عما قال: فأعاد الدعوى وجعل يبيكي ويقول: أنا والله أتهمهم على أبي يا أمير المؤمنين، فإنهم احتالوا عليه حتى أخرجوه معهم، وطمعوا في ماله. فسأل أمير المؤمنين عليه السلام القوم، فقالوا له كما قالوا لشريح: مات الرجل، ولا نعرف له مالاً، فنظر في وجوههم، ثم قال لهم: ماذا تظنون؟ أتظنون أنني لا أعلم ما صنعتُم بأبي هذا الفتى؟ إنني إذا لقليل العلم، ثم أمر بهم أن يفرقوا، ففرقوا في المسجد، وأقيم كل رجلٍ منهم إلى جانب أسطوانة من أساطين المسجد، ثم دعا عبيد الله بن أبي رافع كاتبه يومئذ، فقال له: اجلس، ثم دعا واحداً منهم، فقال له: أخبرني ولا ترفع صوتك في أي يوم خرجتُم من منازلكم، وأبو هذا الغلام معكم؟ فقال: في يوم كذا وكذا. فقال لعبيد الله: اكتب، ثم قال له: في أي شهر كان؟ قال: في شهر كذا. قال: اكتب، ثم قال له: في أي سنة كان؟ قال: في سنة كذا. فكتب عبيد الله ذلك كله. قال: فبأي مرض مات؟ قال: بمرض كذا. قال: في أي منزل مات؟ قال: في موضع كذا. قال: من غسله وكفنه؟ قال: فلان. قال: فمن أدخله

القبر؟ قال: فلان، وعبيد الله بن أبي رافع يكتب ذلك كله. فلما انتهى إقراره إلى دفنه كبر أمير المؤمنين تكبيرة سمعها أهل المسجد. ثم أمر بالرجل، فردَّ إلى مكانه، ودعا بالآخر من القوم، فأجلسه بالقرب منه، ثم سألَه عما سأل الأول عنه، فأجاب بما خالف الأول في الكلام كله. وعبيد الله بن أبي رافع يكتب ذلك. فلما فرغ من سؤاله كبر تكبيرة سمعها أهل المسجد. ثم أمر بالرجلين جميعاً أن يخرجوا من المسجد نحو السجن فيوقف بهما على بابه، ثم دعا بالثالث، فسألَه عما سأل الرجلين، فحكى خلاف ما قالاه، وأثبت ذلك عنه، ثم كبر وأمر بإخراجه نحو صاحبه، ودعا برابع القوم فاضطرب قوله وتلجلج، فوعظه وخوَّفه، فاعترف أنه وأصحابه قتلوا الرجل وأخذوا ماله، وأنهم دفنوه في موضع كذا وكذا بالقرب من الكوفة، فكبر أمير المؤمنين عليه السلام وأمر به إلى السجن، واستدعى واحداً من القوم، وقال له: زعمت أن الرجل مات حتف أنفه وقد قتلته، أصدقني عن حالك، وإلا نكلت بك فقد وضح لي الحق في قصيتكم، فاعترف من قتل الرجل، بما اعترف به صاحبه، ثم دعا الباقين، فاعترفوا عنده بالقتل وسقطوا في أيديهم، واتفقت كلمتهم على قتل الرجل وأخذ ماله، فأمر من مضى معهم إلى موضع المال الذي دفنوه، فاستخرجوه منه، وسلمه إلى الغلام ابن الرجل المقتول، ثم قال له: ما الذي تريد وقد عرفت ما صنع القوم بأبيك. قال: أريد أن يكون القضاء بيني وبينهم بين يدي الله عز وجل، وقد عفوت عن دمائهم في الدنيا. فدرأ عنهم أمير المؤمنين عليه السلام حدَّ القتل، وأنهكهم عقوبة^(١).

روى الكنجي في مناقبه عن سعيد بن المسيب عن حذيفة بن اليمان أنه لقي عمر بن الخطاب، فقال له عمر: كيف أصبحت يا بن اليمان؟ فقال: كيف تريدني أصبح؟ أصبحت والله أكره الحق، وأحبُّ الفتنة، وأشهد بما لم أره،

(١) أخرجها المجلسي في البحار، ج ٩ ص ٤٨٦ من الإرشاد والمناقب، ج ١ ص ٥٠٦ وفي ألفاظ ابن شهر آشوب اختلاف وزيادة عما في الإرشاد، ومن الزيادة أنه عليه السلام قال: إن أحكم بحكم داود عليه السلام وذكرها.

وأحفظ غير المخلوق، وأصلي على غير وضوء، ولي في الأرض ما ليس لله في السماء فغضب عُمَرُ من قوله، وانصرف من فوره، وقد أعجله أمرٌ وعزمٌ على أذى حذيفة لقوله ذلك. فبينما هو في الطريق إذ مرَّ بعلي بن أبي طالب عليه السلام، فرأى الغضب في وجهه، فقال: ما أغضبك يا عمر؟ فقال: لقيت حذيفة بن اليمان فسألته كيف أصبحت؟ فقال أصبحت أكره الحق، فقال: صدق. يكره الموت وهو حق، فقال: يقول: أحبَّ الفتنة قال: صدق. يحبُّ المال والولد، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾.

فقال: يا علي، يقول: وأشهد بما لم أَرُه، فقال: صدق، يشهد لله بالوحدانية والموت والبعث والقيامة والجنة والنار والصراط ولم ير ذلك كله، فقال: يا علي وقد قال: إنني أحفظ غير المخلوق، قال: صدق. يحفظ كتاب الله وهو غير مخلوق، قال: ويقول: وأصلي على غير وضوء. فقال: صدق، يصلي على ابن عمي رسول الله على غير وضوء، والصلاة عليه جائزة، فقال: يا أبا الحسن، قد قال أكبر من ذلك. قال: وما قال؟ قال: إن في الأرض ما ليس لله في السماء، قال: صدق، له زوجة وولد، وتعالى الله عن الزوجة والولد. فقال عُمَرُ: كاد يهلك ابن الخطاب لولا علي بن أبي طالب^(١).

ومن قضائه الذي يفوق مستوى العقول البشرية، ويجعلها تخضع مذعنةً لمعاجزه وكراماته الموهوبة له من الله عزَّ وجلَّ.

عن (درر المطالب) عن ابن عباس، قال: في أيام عمر بن الخطاب، وفي ليلة من الليالي دخل عمر المسجد، فلما طلع الفجر رأى شخصاً نائماً في وسط المحراب. فقال لمولاه (أوفى): نَبِّهْ هذا يُصَلِّي. فذهب إليه وحركه فلم يتحرك، فرأى عليه أزاراً، فظنه امرأة، فنادى امرأةً من الأنصار، فلما تفقدته

(١) قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للعلامة المحقق الشيخ محمد تقي التستري، ص ٨٨ - ٨٩ ط ٣، المطبعة الحيدرية - النجف.

وجدته رجلاً في زيِّ النساء مزين اللحية، مقطوع الرأس، فأخبرت عمر بذلك، فقال لمولاه (أوفى): ارفعه من المحراب، واطرحه في بعض زوايا المسجد حتى نصلي. فلما فرغ من الصلاة قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: ما ترى في هذا الرجل؟ قال: جهزه وادفنه وسيعلم أمره بطفل تجدونه في المحراب، قال: من أين تقول ذلك؟ قال: أخي وحبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني بذلك. فلما مضى من القضية تسعة أشهر أتى عمر يوماً المسجد لصلاة الصبح سمع بكاء الطفل في المحراب. قال: صدق الله ورسوله وابن عم رسول الله علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم قال لغلामه (أوفى): ارفعه عن المحراب حتى نصلي. فلما فرغ من الصلاة أتى (أوفى) بالطفل ووضعه بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام. فقال أمير المؤمنين لأوفى: اطلب له مرضعة، فذهب يدور في المدينة، إذ أقبلت امرأة من الأنصار، وقالت: إن ولدي مات ومعى در كثير، فأتى بها إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأعطاهما الطفل وقال لها: احفظيه، وعين لها من بيت المال مبلغاً، وكانت ولادة الطفل في شهر المحرم. فلما كان العيد استكمل للطفل تسعة أشهر، قال أمير المؤمنين عليه السلام لأوفى: اذهب إلى المرضعة فأتني بها. فقال لها أمير المؤمنين: اثني بالطفل غداً، ودفع إليها ثوباً وقال: البسيه واذهي به إلى المصلى، وانظري أي امرأة تأتيك وتأخذه وتقبله وتقول: يا مظلوم يا ابن المظلومة، يا ابن الظالم فأتيني بها. فلما أصبحت فعلت ما أمرها أمير المؤمنين عليه السلام، فإذا امرأة تناديه يا حرمة قفي بحق دين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. فلما دنت منها رفعت الخمار عن وجهها - وكانت جميلة لا نظير لها في الحسن - وأخذت الطفل وقبلته وقالت: يا مظلوم، يا ابن المظلومة، يا ابن الظالم، ما أشبهك بولدي الذي مات، وهي تبكي، ثم ردتته إلى المرضعة وأرادت أن تنصرف، فتشبثت المرضعة بها، فضجت المرأة وقالت: خلني سبيلي. قالت المرضعة: اذهبي معي إلى أمير المؤمنين عليه السلام. اضطربت المرأة اضطراباً شديداً، وقالت: اتقي الله تعالى، وارفعي يدك عني، فإنك إن أتيت بي إلى أمير المؤمنين فضحني بين الملأ، وأنا أكون خصمك يوم القيامة، قالت المرضعة: ما يمكنني أن أفارقك حتى آتي بك إلى أمير المؤمنين عليه السلام. قالت: إذا أتيت

بي إلى أمير المؤمنين عليه السلام لا يعطيك عطاء، بل اذهبي معي حتى أعطيك هديةً تفرحين بها، وهي بردتان يمانيتان وحلة صنعائية وثلاثمائة درهمًا هجرية، وكوني كأنك ما رأيتني، واكتمي. وإذا أقبل عيد الأضحى يشهد الله تعالى على أن أعطيك مثلها إذا رأيت الطفل سالماً، فمضت المرضعة معها وأخذت جميع ما ذكرت لها، ومضت. فلما رجع الناس من المصلى أحضرها أمير المؤمنين عليه السلام وقال لها: يا عدوة الله تعالى، ما صنعتِ بوصيتي؟ قالت: يا بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم طففتُ بالطفل جميع المصلى فما وجدتُ أحداً أخذه مني. فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: كذبتِ وحتى صاحب هذا القبر، أتتكِ امرأة وأخذت منك الطفل وقبلته، وبكت، ثم ردتته إليك، وأنت تشببت بها، فأعطتك الرشوة، ثم وعدتكِ بمثلها. فارتعدت فرائص المرضعة، فقالت في نفسها: إن لم أخبره أهلكني، ثم تعجبت، وقالت: يا بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتعلم الغيب؟ قال: معاذ الله! لا يعلم الغيب إلا الله تعالى. هذا علم علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: يا أمير المؤمنين: الصديق أحسن الكلام، كذلك كان، وإني بين يديك، مُرني مهما تأمرني، وإن أردت مضيتُ إلى منزل المرأة وأتيتكِ بها. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وهي لما أعطتك المال والتحف انتقلت من ذلك المنزل إلى غيره الآن عفا الله تعالى عنها ما صنعت، فاحفظي الطفل، وإذا رأيتها في عيد الأضحى فأتيني بها، قالت: سمعاً وطاعة يا بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلما أقبل عيد الأضحى فعلت مثل صنعتها الأولى، فأتتها تلك المرأة وقالت: تعالى حتى أفيك ما وعدتكِ. فقالت المرضعة: لا حاجة لي بعطائكِ. والآن لا يمكنني أن أفارقكِ حتى أحضركِ بين يدي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم لزمته بطرف أزارها. فلما رأت المرأة ذلك منها حولت وجهها نحو السماء وقالت: يا غياث المستغيثين، ويا جار المستجيرين. ومضت مع المرضعة إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما رآها أمير المؤمنين عليه السلام قال: يا أمة الله، أيما تحبين، تحدثيني أم أحدثكِ بالقصة من أولها إلى آخرها؟ وقد أخبرني بذلك حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: أنا أخبركِ بقصتي من أولها إلى آخرها، تعطيني الأمان منك، وتؤمنني من عقوبة الله تعالى؟ قال أمير المؤمنين عليه السلام: كذلك

أفعل . قالت المرأة : أنا ابنة من بنات الأنصار، قُتِلَ أبي بين يدي رسول الله ﷺ واسمهُ عامر بن سعد الخزرجي ، وأمِّي ماتت في خلافة أبي بكر، وبقيت فريدة وحيدة ليس أحدٌ يتعاهدني، وكُنَّ في جوارِي نساء المهاجرين . أقعدُ معهنَّ، وأغزل بالغزل، وكانت معهن لي مؤانسةٌ، فبينما أنا ذات يوم جالسة مع نساء المهاجرين والأنصار، إذ أقبلت عجوز علينا وفي يدها سُبْحَتِها، وهي تتوكأ على عصاة، فسَلَّمَتُ فرددنا عليها السَّلام، ثم سألت اسم كل واحدة منا، ثم أتت إليَّ، وقالت : يا صبيَّة، ما اسمُكِ؟ قلت : جميلة، قالت : بنتُ مَنْ؟ قلتُ : بنت عامر الأنصاري . قالت : ألكِ أبٌ أو بعلٌ؟ قلتُ : لا . قالت : كيف تكونين على هذه الحالة وأنتِ صبيَّة جميلة؟ وأظهرتِ الشَّفَقَةَ والتَّحَنُّنَ عليَّ، ثم بكَّت وقالت : هل تريدِينَ امرأة تكون معكِ وتؤنسُكِ، وتقومُ لك بما تحتاجينه؟ فقلتُ لها : وأين تلك المرأة؟ قالتُ : أنا أكون بمنزلة الوالدة الشَّفيقة، قلتُ لها : من رغبتِي، البيتُ بيتُكِ، وكان لي بذلك فَرَحٌ عظيم، ثم دخلتُ معي الحجرة، ثم طلبتُ ماءً وتوضأتُ، فلما فرغتُ قلتُ لها : الحمد لله الَّذي يَسِّرُ لي ورحم ضعفي، فقدَّمْتُ لها خبزاً ولَبناً وتمرّاً، فنظرتُ إليه وبكَّت . فقلتُ : مِمَّ بكاؤُكِ؟ قالت : يا بنيَّة، ليس هذا طعامي . قلتُ : وأي طعامٍ معهودُكِ؟ فقالت : قرصٌ من شعير معه قليلٌ من الملح، فقدَّمْتُهُ، فبكت، وقالت : يا بنيَّة، ما هذا وَقْتُ أَكْلِي؟ ولكن إذا خلصتُ من صلاة العشاءِ أحضري لي الطَّعامَ حتَّى أفطر . فقامت إلى الصَّلاة فلما فرغتُ من صلاة العشاءِ قدَّمْتُ إليها قرص شعير وملحاً، فقالت : احضري لي قليلاً من الرَّماد، فأحضرتُ لها، فمزجت الملح بالرَّماد، وتناولت قرص الشعير، فأكلت منه ثلاث لقماتٍ مع الملح والرَّماد، ثم قامت وشرعت في الصَّلاة، فما زالت تصلي إلى أن طلع الفجر، ودعت بدعاء لم أسمع أحسن منه، ثم إنني قمتُ وقبَلْتُ ما بين عينيها وقلتُ : بخٍ بخٍ لمن تكونين عندها دائماً، فأسألك بحقَّ محمَّد نبيِّ الله ﷺ أن تدعي لي بالمغفرة، فلا شكَّ أن دعاءك لا يُردُّ، ثم قالت : أنتِ صبيَّة جميلة، وأنا خائفةٌ عليك من الوحدة، ولا بُدَّ لي من الخروج إلى الحاجة، ولا بُدَّ أن تكون لك أنيسة تؤنسُكِ، فقلتُ لها : أنى يكون لي ما تقولين؟ قالت : إن لي ابنةً هي أصغر سناً منك، عاقلةٌ موقرةٌ

متعبدة آتيك بها كي تؤنسك، فقلت: افعلي، وخرجت ومضت زماناً، ثم رجعت وحدها. فقلت لها: أين أختي التي وعدتني بها؟ قالت: إن ابنتي وحشية من الناس أنسها مع ربها، وأنت صبيّة مزوحيّة ضحوكة، ونساء المهاجرين والأنصار يتردّدن إليك، وأنا أخاف إذا جاءت إليك يحضرن ويكثرن الحديث، وتستغل عن العبادة فتفارقك وتروح عنك، وأنا يا أمير المؤمنين، حلفت لها يمينا ما دامت ابنتك عندي لن أدخلهنّ عليّ. قالت العجوز: الشرط يكون كذلك، ثم خرجت وعادت بعد ساعة، ومعها امرأة بتمام القامة، متغطية بالإزار، لا يبين منها غير عينيها. فلما وصلت العجوز إلى باب الحجرة وقفت. فقلت لها: ما بالك لا تدخلين؟ قالت: من شدة الفرح حيث بلغت مرادك، وإنّي تركت باب حجرتي مفتوحاً أخاف أن يدخلها أحد، بل أنت اغلّقي باب حجرتك، ولا تفتحها لأحد حتى أرجع إليك، فغلقت الباب، ثم توجهت إلى تلك المرأة أكلّمها فلم تجبني، فألححت عليها لترفع أزارها لم تفعل حتى أخذت الأزار عن رأسها، فوجدتها رجلاً مزيّن اللحية مخضوب اليدين والرجلين لباساً ملابس النساء، متشبهاً بهن، فلما رأيت ذلك بهت وغشي عليّ، فلما أفقت قلت له: ما حملك على هذا؟ فضحكتني وفضحت نفسي. قم فاخرج من حيث أتيت بسترِكَ، ولو علم عمر بن الخطاب لعذبك، وقمت عنه، فلزمني، وأنا خفت، إن صحت فُضِحت، وعلم ذلك جيراني، ثم تعانقني وصرعني، وما كنت تحته إلا كالفرخ بين يدي النسر، وفضّني وهتك ستري، فلما أراد أن يباعدني لم يقدر من شدة السكر، فخرّ على وجهه مغشياً فلم أر فيه حركة، فنظرت في وسطه سكّيناً فجذبتُه وقطعت رأسه، ثم رفعت طرفي إلى السماء وقلت: إلهي وسَيّدي تعلم أنه ظلمني، وفضحني وهتك ستري، وأنا توكلت عليك يا مَنْ إذا توكل العبد عليه كفاه، ويا جميل السّتر، فلما دخل الليل حملته على ظهري، وأتيت به إلى مسجد رسول الله ﷺ. فلما حان وقت الحيض ما رأيت شيئاً ممّا ترى النساء، فاغتممت وأردت أن أطرحه كيلا أفتضح. ثم قلت في نفسي: أتركه، فإذا خرج قتلته، وأخفيت أمري حتى ولد، وما أطلع عليه أحد، فقلت في نفسي: هذا طفل، وأيّ ذنب له حتى أقتله؟

فلففتُهُ ووضعتُهُ في المحراب، وهذا حالي يا بن عمِّ رسول الله ﷺ . قال عمر: أشهدُ أني سمعتُ من رسول الله يقول: «أنا مدينةُ العلم وعلي بابها»، وسمعتُهُ يقول: «أخي علي ينطقُ بلسان الحق». الآن احْكُم أنت يا أمير المؤمنين هذا الحكم، فإنه لا يحكمُ فيه سواك. قال أمير المؤمنين: دِيَّةُ ذلك المقتول ليست على أحد، لأنه ارتكب الحرام، وهتك الحرمة، وباشر بجهله أمراً عظيماً، ولا على هذه المرأة شيء من الحد، لأنَّ الرجل دخل عليها من غير علمها، ثم قال أمير المؤمنين: على كلِّ حالٍ ينبغي أن تحضري العجوز حتى آخذ حقَّ الله تعالى منها وأقيم حدَّه عليها، فلا تقصري كي يظهر صدق كلامك، قالت المرأة: أنا ما أقصر في طلبها، لكنَّ أمهلني ثلاثة أيام. قال ﷺ: أمهلْتُكِ، وأمر المرضعة أن تردَّ الولد إليها. وقال ﷺ: سَمِّيه مظلوماً. وِيلُ لأبيه من الله تعالى يوم تُجزى كلُّ نفسٍ بما عملت، ثم انصرفت إلى بيتها، ودعت ربَّها بأن يظفرها بالعجوز، ثم أنها خرجت من بيتها وهي متوكِّلة على الله تعالى، وإذا بالعجوز في طريقها فأخذتها وأتت بها إلى مسجد رسول الله ﷺ. فلما رآها أمير المؤمنين ﷺ قال لها: يا عدوة الله، أما أعلمت أني أنا علي بن أبي طالب علمي من علم رسول الله ﷺ. أصدقيني عن قصة هذا الرجل الذي أتيت به إلى بيت هذه المرأة. فقالت العجوز: لا أعرف هذه المرأة ولا رأيتها قط، ولا أعرف الرجل، ولا أستحل هذه الأمور. فقال لها أمير المؤمنين ﷺ: تحلفين على ما قلت؟ قالت: نعم، فقال ﷺ: اذهبي ووضعي يدك على قبر رسول الله ﷺ واحلفي أنك ما تعرفين هذه المرأة، ولا رأيتها قط. فقامت العجوز فوضعت يدها على قبر رسول الله ﷺ، وحلفت، فاسودَّ وجهها وهي لا تشعر. فأمر أمير المؤمنين ﷺ أن يأتوا بمرأة، وناولها إياها، ثم قال: انظري فيها، فإذا وجهها كالفحم الأسود، فارتفعت الأصوات بالصلاة على محمد ﷺ، والعجوز تنظر وتبكي وتقول: يا بن عمِّ رسول الله تبت ورجعت إلى الله تعالى. فقال أمير المؤمنين ﷺ: اللهم أنت العالم بما في الضمائر إن كانت صادقة في كلامها أنها تابت أرجعها إلى حاليها، فلم يرفع عنها السواد، فعلم أمير المؤمنين ﷺ أنها لم تثب. فقال ﷺ: يا ملعونة

كيف كانت توبتك؟ لا غفر الله لك. ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام لعمر: مر أصحابك أن يخرجوها إلى خارج المدينة ويرجموها، لأنها كانت سبب قتل الرجل وهتك حرمة المرأة واستقرار النطفة من الحرام. فأمر عمر بذلك. فلما كانت الخلافة إلى أمير المؤمنين كان ذلك الغلام قد كمل من العمر، ثم قتل بصفين بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام (١).

مراجعة عمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام في الشاب المقدسي .

في البحار ج ٩ ص ٤٨٨ عن كتاب (الروضة) قال: روي عن فضائله عليه السلام في حديث (المقدسي) ما يغني سامعه عما سواه، وهو ما حكى لنا أنه كان رجل من أهل البيت المقدس، ورد إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حسن الشباب حسن الصورة، فزار حجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وقصد المسجد، ولم يزل ملازماً له، مشغلاً بالعبادة صائم النهار قائم الليل في زمان خلافة عمر بن الخطاب، حتى كان أعبد الخلق. وكان عمر يأتي إليه، ويسأله أن يكلفه حاجة، فيقول له المقدسي: الحاجة إلى الله تعالى، ولم يزل على ذلك إلى أن عزم الناس على الحج. فجاء المقدسي إلى عمر بن الخطاب وقال: يا أبا حفص، قد عزمت على الحج، ومعى وديعة أحب أن تستودعها مني إلى حين عودتي من الحج. فقال عمر: هات الوديعة، فأحضر الشاب حقاً من عاج، عليه قفل من حديد مختوم بخاتم الشاب، فتسلمه منه، وخرج الشاب مع الوفد، فخرج عمر إلى مقدم الوفد، وقال: استوص به خيراً. وكان في الوفد امرأة من الأنصار، فما زالت تلاحظ المقدسي وتنزل بقربه حيث نزل. فلما

(١) ذكر الشيخ نجم الدين العسكري في كتابه (علي والخلفاء) أن هذه القضية المؤلفة العجيبة ذكرها جمع من علماء السنة والإمامية رضوان الله عليهم، منهم الشاه محمد خواندشاه الشافعي في كتابه (روضة الصفاء) ومنهم مؤلف (درر المطالب) وقد نقل عنه شارح القصيدة قصيدة أبي فراس المسماة بالشافعية، ومنهم ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، ومنهم العلامة التستري في كتابه، ص ١٨٣ - ١٨٦، ومنهم العلامة المحلاتي في كتابه، ص ٥١ على نحو الاختصار، وقال: أخرجت القضية مفصلاً في كتابي (كشف الغرور)، ومنهم السيد محمد الموسوي مترجم كتاب عجائب أحكام أمير المؤمنين للسيد محسن العاملي في الترجمة، ص ٧٩.

كان في بعض الأيام دنت منه ، وقالت : يا شاب إنني أرق لهذا الجسم الناعم المترف كيف يلبس الصوف ، فقال لها : يا هذه ، جسم يأكله الدود ، ومصيره التراب هذا له كثير . فقالت : إنني أغار على هذا الوجه المضيء تشعه الشمس ، فقال لها : يا هذه اتقي الله وكفى ، فقد شغلني كلامك عن عبادة ربي . فقالت له : إليك حاجة ، فإن قضيتها فلا كلام ، وإن لم تقضها فما أنا بتاركك حتى تقضيها لي . فقال لها : وما حاجتك ؟ قالت : حاجتي أن تواقعني ، فزجرها وخوفها من الله تعالى ، فلم يردعها ذلك ، فقالت : والله لئن لم تفعل ما أمرك لأرمينك بداهية من دواهي النساء ومكرهن لا تنجو منها . فلم يلتفت إليها ، ولم يعبا بها . فلما كان في بعض الليالي وقد سهر أكثر ليله بالعبادة ، فرقد في آخر الليل ، وغلب عليه النوم ، فأثته وتحت رأسه مزادة فيها زاده ، فانتزعتها من تحت رأسه ، وطرحته فيها كيساً فيه خمسمائة دينار ، ثم أعادت المزادة تحت رأسه . فلما ثور الوفد قامت الملعونة من نومها ، وقالت : يا لله يا للوفد ، يا وفد أنا امرأة مسكينة ، وقد سُرقت نفقتي ومالي ، وأنا بالله وبكم . فجلس المتقدم على الوفد ، وأمر رجلاً من المهاجرين والأنصار أن يفتشوا الوفد ، ففتشوا الوفد فلم يجدوا شيئاً ، ولم يبق في الوفد إلا من فُتس رحله ، فلم يبق إلا المقدسي ، فأخبروا مقدم الوفد بذلك . فقالت المرأة : يا قوم ما ضرركم لو فُتستم رحله ؟ فله أسوة بالمهاجرين والأنصار ، وما يدريكم أن ظاهره مليح ، وباطنه قبيح ، ولم تزل المرأة حتى حملتهم على تفتيش رحله ، فقصد جماعة من الوفد وهو قائم يصلي ، فلما رأهم أقبل عليهم ، وقال لهم : ما حاجتكم ؟ فقالوا : هذه المرأة الأنصارية ذكرت أنها سُرقت لها نفقة كانت معها ، وقد فُتسنا رجال الوفد بأسرهم ، ولم يبق منهم غيرك ، ونحن لا نتقدم إلى رحلك إلا بأذنك ، لما سبق من وصية عمر بن الخطاب فيما يعود إليك . فقال : يا قوم ، ما يضرني ذلك ، ففتشوا ما أحببتم . (قال ذلك) ، وهو واثق من نفسه ، فلما نفضوا المزادة التي فيها زاده ، وقع منها الهميان . فصاحت الملعونة : الله أكبر ، هذا والله كيسي ومالي ، وهو كذا وكذا ديناراً ، وفيه عقد لؤلؤ ، ووزنه كذا وكذا مثقالاً ، فأحضروه فوجدوه كما قالت

الملعونة، فمالوا عليه بالضرب الوجيع والسب والشتم، وهو لا يردّ جواباً. فسلسلوه وقادوه راجلاً إلى مكة. فقال لهم: يا وفد بحق هذا البيت إلا تصدّقتُم عليّ وتركتموني أقضي الحجّ، وأشهد الله تعالى ورسوله عليّ بأنّي إذا قضيتُ الحج عدت إليكم، وتركْتُ يدي في أيديكم، فأوقع الله تعالى الرّحمة في قلوبهم له، فأطلقوه، فلمّا قضى مناسكُه وما وجبَ عليه من الفرائض عادَ إلى القوم وقال لهم: أما أنّي قد عدتُ إليكم، فافعلوا بي ما تريدون. فقال بعضهم لبعض: لو أراد المفارقة لما عاد إليكم، فتركوه، ورجع الوفد طالِباً مدينة الرسول ﷺ، فأعوزتُ تلك المرأة الملعونة الزّاد في بعض الطّريق، فوجدتُ راعيّاً فسألته الزّاد، فقال لها: عندي ما تريدان، غير أنّي لا أبيعهُ، فإن أثرت أن تمكيني من نفسك أعطيتك، ففعلت ما طلبتُ، وأخذتُ منه زاداً، فلمّا انحرقتُ عنه اعترض لها إبليس لعنه الله، فقال لها: أنتِ حامِل، قالت: ممّن؟ قال: من الرّاعي فصاحتُ وافضيحتاه! فقال: لا تخافي. إذا رجعت إلى الوفد قولي لهم: إنّي سمعتُ قراءة المقدسي، فقربتُ منه، فلمّا غلب عليّ النّوم دنا منّي وواقعني، ولم أتمكن من الدّفاع عن نفسي بعد القراءة، وقد حملتُ منه، وأنا امرأة من الأنصار، وخلفي جماعة من الأهل، ففعلتِ الملعونة ما أشار به عليها إبليس لعنه الله، فلم يشكّوا في قولها لما عاينوا من وجود المال في رحله، فعكفوا على الشّاب المقدسي وقالوا: يا هذا، ما كفاك السّرقه حتّى فسقت، فأوجعوه شتماً وضرباً، وعادوه إلى السّلسلة وهو لا يردّ جواباً، فلمّا قربوا من المدينة على ساكنها أفضل الصّلاة والسّلام، خرج عمر بن الخطّاب ومعه جماعة من المسلمين للقاء الوفد، فلمّا قربوا منه لم يكن له همّة إلاّ السّؤال عن المقدسي. فقالوا: يا أبا حفص، ما أغفلَكَ عن المقدسي، فقد سرق وفسق، وقصّوا عليه القصة، فأمر بإحضاره بين يديه فقال: ويْلَكَ يا مقدسي! تظهر بخلاف ما تبطن حتّى فضحك الله تعالى، لأنكَلن بك أشدّ النّكال، وهو لا يردّ جواباً. فاجتمع الخلق وازدحم الناس لينظروا ماذا يفعل به، وإذا بنور قد سطع، وشعاع قد لمع، فتأمّلوه وإذا به عيبة علم النّبوة علي بن أبي طالب عليه السّلام، فقال: ما هذا الرّهج في مسجد رسول الله ﷺ؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين إنّ الشّاب المقدسي الزّاهد قد

سرق وفسق، فقال ﷺ : واللّٰه ما سرق ولا فسق ولا حجّ أحد غيره، فلمّا سمع عمر كلامه قام قائماً على قدميه، وأجلسه موضعه، فنظر الشاب المقدسي وهو مسلسل، وهو مطرّق إلى الأرض، والمرأة جالسة، فقال لها أمير المؤمنين ﷺ : ويلك قصّي قصّتك!! قالت: يا أمير المؤمنين: إنّ هذا الشاب قد سرق مالي، وقد شاهد الوفد مالي في مزادته، وما كفاه ذلك حتّى كانت ليلة من الليالي حيث قربت منه فاستغرقني بقراءته واستنامني فوثب إليّ وواقّعني، وما تمكّنت من المدافعة عن نفسي خوفاً من الفضيحة وقد حملت منه. فقال لها أمير المؤمنين ﷺ : كذبت يا ملعونة فيما ادّعت عليه. يا أبا حفص، إنّ هذا الشاب محبوب ليس معه إحليل، وإحليله في حق من عاج. (ثم قال): يا مقدسي أين الحق؟ فرفع رأسه وقال: يا مولاي من علم بذلك يعلم أين الحق، فالتفت إلى عمر وقال له: يا أبا حفص قم فأحضِرْ وديعة الشاب، فأرسل عمر فأحضر الحق بين يدي أمير المؤمنين، ففتحوه، وإذا فيه خرقة من حرير، وفيها إحليله. فعند ذلك قال الإمام ﷺ : قم يا مقدسي، فقام فجرّده من ثيابه لينظروه وليتحقّق من اتّهمه بالفسق، فجرّده من ثيابه، فإذا هو محبوب. فعند ذلك ضجّ العالم، فقال لهم: اسكتوا واسمعوا مني حكومة أخبرني بها رسول الله ﷺ ، ثم قال: يا ملعونة، لقد تجرّأت على الله تعالى، ويلك أما أتيت إليه وقلت له كيّت وكيّت، فلم يجبك إلى ذلك، فقلت له: واللّٰه لأرمينك بجبله من حيل النساء لا تنجو منها. فقالت: يا أمير المؤمنين كان ذلك. فقال ﷺ : ثم أنّك استنميتي، وتركت الكيس في مزادته، أقري. فقالت: نعم يا أمير المؤمنين. فقال: اشهدوا عليها، ثم قال لها: حمّلك هذا من الراعي الذي طلبت منه الزاد، فقال لك: لا أبيع الزاد، ولكن مكنيني من نفسك وخذي حاجتك، ففعلت ذلك وأخذت الزاد، وهو كذا وكذا. قالت: صدقت يا أمير المؤمنين. قال: فضجّ العالم، فسكّتهم عليّ ﷺ وقال لها: فلمّا خرجت عن الراعي عرض لك شيخ صفته كذا وكذا، وقال لك: يا فلانة، إنّك حامل من الراعي، فصرخت وقلت: يا فضيحتاه، فقال: لا بأس عليك، قولي للوفد: استنامني وواقّعني وقد حملت منه،

فَيَصَدَّقُونَكَ لَمَّا ظَهَرَ مِنْ سَرَقَتِهِ ففعلت ما قال الشيخ، فقالت: نعم، فقال الإمام علي عليه السلام: أتعرفين ذلك الشيخ؟ قالت: لا، قال: هو إبليس لعنه الله. فتعجب القوم من ذلك، فقال عمر: يا أبا الحسن ما تريد أن تفعل بها؟ قال: اصبروا حتى تضع حملها وتجدوا من يرضعه (ثم) يحفر لها في مقابر اليهود، وتدفن إلى نصفها وترجم بالحجارة، ففعل بها ما قال أمير المؤمنين عليه السلام. وأما المقدسي فلم يزل ملازماً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن توفي رضي الله عنه. فعند ذلك قام عمر بن الخطاب وهو يقول: «لولا علي لهلك عمر». قالها ثلاثاً، ثم انصرف الناس، وقد تعجبوا من حكومة علي بن أبي طالب عليه السلام (١).

مراجعة عمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام في توريث ولد مال أبيه :

(مناقب ابن شهر آشوب) ج ١ ص ٤٩١ عن كتاب (إثبات النص) أن غلاماً طلب مال أبيه من عمر، وذكر أن والده توفي، والولد طفل. فصاح عليه عمر وطرده، فخرج يتظلم منه، فلقية علي عليه السلام وقال: «اثنوني به إلى الجامع حتى أكشف أمره فجيء به، فسأله عن حاله، فأخبره بخبره، فقال عليه السلام: لأحكمن فيكم بحكومة حكم الله بها من فوق سبع سمواته، لا يحكم بها إلا من ارتضاه لعلمه. ثم استدعى بعض أصحابه، وقال: هات محفرة، ثم قال: سيروا بنا إلى قبر والد الصبي، فساروا. فقال: احفروا هذا القبر وأنبشوه، واستخرجوا ضلعاً من أضلاعه، فدفعه إلى الغلام، فقال له: شمه، فلما شمّه انبعث الدّم من منخريه، فقال عليه السلام: إنه والده، فقال عمر: بانبعث الدّم تسلّم إليه المال. فقال: إنه أحقّ بالمال منك ومن سائر الخلق أجمعين. ثم أمر الحاضرين بشم الضلع، فشموه، فلم ينبعث الدّم من واحد منهم، فأمر أن

(١) ذكر الشيخ نجم الدين العسكري في كتابه (علي والخلفاء) بأنه لم يعثر على هذه القضية في غير البحار. هذا وقد أخرجها العلامة المحلّاتي في كتابه (كشف الغرور) وكتابه (الكلمة الثامنة) راجع (علي والخلفاء) لنجم الدين العسكري، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢.

أُعِيدَ إِلَيْهِ ثَانِيَةً، وَقَالَ: شُئْمُهُ، فَلَمَّا شُئِمُّهُ انْبَعَثَ الدَّمُ انْبِعَاثًا كَثِيرًا، فَقَالَ عليه السلام:
إِنَّهُ أَبُوهُ. فَسَلَّمَ إِلَيْهِ الْمَالَ، ثُمَّ قَالَ: «وَاللَّهِ مَا كَذَّبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ»^(١).

قتله العبد لمولاه لفعله القبيح معه:

(مناقب ابن شهر آشوب) ج ١ ص ٤٩٥ بسنده عن أبي القاسم الكوفي والقاضي نعمان في كتابيهما قالا: رفع إلى عمر أن عبداً قتل مولاه، فأمر بقتله، فدعاه علي عليه السلام، فقال: أَقْتَلْتَ مَوْلَاكَ؟ قال: نعم، قال: فَلِمَ قَتَلْتَهُ؟ قال: غلبني على نفسي وأتاني في ذاتي. فقال لأولياء المقتول: أَدَفَنْتُمْ وَلَيْكُمْ؟ قالوا: نعم، قال: ومتى دفنتموه؟ قالوا: السَّاعَةَ، قال عليه السلام: لعمر: احبس هذا الغلام، فلا تحدث فيه حديثاً حتى يمر ثلاثة أيام، ثم قل لأولياء المقتول إذا مضت ثلاثة أيام فأحضرونا. فلما مضت ثلاثة أيام حضروا. فأخذ علي بيد عمر، وخرجوا، ثم وقف على قبر الرجل المقتول. فقال علي عليه السلام: لأوليائه: هذا قبر صاحبكم؟ قالوا: نعم، قال: احفروا فحفروا حتى انتهوا إلى اللحد، فقال: اخرجوا مِيتَكُمْ. فنظروا إلى أكفانه في اللحد فلم يجدوه، فأخبروه بذلك. فقال علي عليه السلام: الله أكبر، الله أكبر، واللَّهِ مَا كَذَّبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ. سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «مَنْ يَعْمَلْ مِنْ أُمَّتِي عَمَلِ قَوْمِ لُوطٍ، ثُمَّ يَمُوتَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مُؤَجَّلٌ إِلَى أَنْ يَوْضَعَ فِي لَحْدِهِ، فَإِذَا وُضِعَ فِيهِ لَمْ يَمُكِّثْ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِ حَتَّى تَقْذِفَهُ الْأَرْضُ إِلَى جَمَلَةِ قَوْمِ لُوطِ الْمُهْلَكِينَ، فَيَحْشَرُ مَعَهُمْ»^(٢).

(١) ذكر الشيخ نجم الدين العسكري في كتابه (علي والخلفاء)، ص ٢٩٧ أن المجلسي أخرج هذه القضية في البحار، ج ٩ ص ٤٧٧ عن المناقب، وأخرجها أيضاً العلامة المحلّاتي في كتابه، ص ٥٩ عن المناقب. وأخرجها أيضاً العلامة التستري عن نفس المصدر في كتابه قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ص ١٦٢ ط النجف الأشرف.

(٢) ذكر الشيخ نجم الدين في كتابه (علي والخلفاء)، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ هذه القضية، وقال: أخرجها المجلسي في البحار، ج ٩ ص ٤٧٨ - ٤٧٩ عن المناقب، وأخرجها العلامة التستري في كتابه، ص ١٦١ - ١٦٢ عن المناقب أيضاً، وأخرجها العلامة =

جهلُ الخليفة بتأويل كتاب الله :

عن أبي سعيد الخدري قال : حججنا مع عمر بن الخطاب ، فلما دخل الطواف استقبل الحجر ، فقال : إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع . ولولا أنني رأيت رسول الله ﷺ يقبلُك ما قبلتُك ، فقبله ، فقال علي بن أبي طالب عليه السلام : بلى يا أمير المؤمنين : يضر وينفع ، ولو علمت ذلك من تأويل كتاب الله لعلمت أنه كما أقول . قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ الآية^(١) . فلما أقرؤا أنه الرب عز وجل وأنهم العبيد كتب ميثاقهم في رق ، وألقمه هذا الحجر ، وأنه يبعث يوم القيامة ، وله عينان ولسان وشفطان يشهد لمن وافى بالموافاة . فهو أمين الله في هذا الكتاب . فقال له عمر : لا أبقاني الله بأرض ليس فيهم أبو الحسن . وفي لفظ أعود بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن^(٢) .

في جواب مسائل ابن الأصغر :

قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام ص ٧٨ و ١١٤ . بسنده عن الباقر عليه السلام ، قال : بينا أمير المؤمنين عليه السلام في الرحبة والناس عليه متداكون ، فمِنَ بين مستفتٍ ومستعدٍ ، إذ قام رجلٌ فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فنظر إليه علي عليه السلام ، بعينه العظيمنتين ،

= المحلاتي في كتابه ، ص ٦٦ عن ناسخ التواريخ (ج ١) ، وأخرجها السيد الحجة العاملي في كتابه (عجائب أحكام أمير المؤمنين) ، ص ٤١ .

(١) سورة الأعراف : آية ١٧٢ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ، ج ١ ص ٤٥٧ ، وابن الجوزي في سيرة عمر ، ص ١٠٦ ، والأزرقي في تاريخ مكة كما في العمدة ، والقسطلاني في إرشاد الساري ، ج ٣ ص ١٩٥ ، والعيني في عمدة القاري ، ج ٤ ص ٦٠٦ بلفظه ، والسيوطي في الجامع الكبير كما في تربيته ، ج ٣ ص ٣٥ نقلاً عن فضائل مكة ، وأبي الحسن القطان في المطولات ، والحاكم وابن حبان ، وابن أبي الحديد في شرح النهج ، ج ٣ ص ١٢٢ ، وأحمد زيني دحلان في الفتوحات الإسلامية ، ج ٣ ص ٤٨٦ . راجع الغدير ، ج ٦ ص ١٠٣ للعلامة أحمد الأميني النجفي .

ثم قال: وعليك السّلام ورحمة الله وبركاته، من أنت؟ قال: رجل من رعيتك وأهل بلادك. قال: ما أنت من رعيتي وأهل بلادي. ولو سلّمت عليّ يوماً واجداً ما خفيت عني. ثم قال لمن حوله: أتعرفون هذا؟ فلم يعرفه أحد. فقال له: هؤلاء أهل بلادي ما يعرفونك مع أنني لو رأيتك مرة لم تخف عليّ. فقال الرجل: الأمان يا أمير المؤمنين. قال: هل أحدثت في مصري هذا منذ دخلته حديثاً؟ قال: لا، قال: فلعلك جئت أيام الحرب؟ قال: نعم، قال: وضعت الحرب أوزارها فلا بأس. فقال: أنا رجل بعثني إليك معاوية متغفلاً أسألك عن أمرٍ بعث به إليه ابن الأصغر يسأله عنه ويقول: إن كنت أنت المقيم بهذا الأمر، والخليفة بعد محمد، فأخبرني بهذه الأشياء، فإنك إن أخبرتني اتبعتك أو بعثت إليك بالجزية. فلما أتاه الرسول لم يكن عنده جواب، وقد غمه ذلك وأقلقته، فبعثني إليك متغفلاً لك، أسألك عنها. (قال): وما هي؟ قال: كم بين الحق والباطل؟ وكم بين السماء والأرض؟ وكم بين المشرق والمغرب؟ وعن هذه المجرة؟ وعن قوس قزح، وعن المحو في القمر؟ وعن أول شيء انتضح على وجه الأرض؟ وعن أول شيء اهتز إليها؟ وعن العين التي تأوي إليها أرواح المسلمين؟ وعن العين التي تأوي إليها أرواح الكفار؟ وعن المؤنث؟ وعن عشرة أشياء بعضها أشد من بعض؟

قال عليه السلام: قاتل الله ابن آكلة الأكباد، ما أضله وأضل من معه. والله لقد اعتق جاريته، فما أحسن أن يتزوجها، حكم الله بيني وبين هذه الأمة، قطعوا رحمي، وأضاعوا أيامي، ودفعوا حقي، وضيعوا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي. عليّ بالحسن والحسين ومحمد، فجاؤوا إليه. فقال: يا أبا الشام، هذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ابني، فسأل أيهم شئت؟

فقال الشامي: أسأل هذا ذا الوفرة، يعني الحسن، فأخذ الحسن بيده، فوضعها على فخذه، ثم قال: يا أبا أهل الشام، بين الحق والباطل أربع أصابع، ما رأيته بعينك فهو الحق، وقد تسمع بأذنك باطلاً كثيراً. فقال الشامي: صدقت أصلحك الله. قال: وبين السماء والأرض دعوة المظلوم، ومدّ البصر، فمن قال غير هذا فكذبه. قال: صدقت أصلحك الله. قال: وبين

المشرق والمغرب يومَ مطرَدٍ للشمسِ، الشمس ينظر إليها حين تطلع، وينظر إليها حين تغيب. فمن قال غير هذا فكذبه. قال: صدقت أصلحك الله. قال: وأما هذه المجرة فهي أشراج السماء، ومنها هبط الماء المنهمر. وأما قوس قزح فإنه اسم شيطانٍ هو قوسُ الله، وأمانٌ من الغرق. وأما المحو الذي في القمر فإن ضوء القمر كان مثل ضوء الشمس فمحاها الله تعالى، وهو قوله: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾^(٢). وأما أول شيء انتضح على وجه الأرض، فهو وادي داب. وأما أول شيء اهتز على وجه الأرض فهو النخلة. وأما العين التي تأوي إليها أرواح المسلمين فهي عين يقال لها «سلمى». وأما العين التي تأوي إليها أرواح الكفار، فهي عين يقال لها «برهوت»^(١) إلى أن قال: وأما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض. فأشد شيء خلقه الله الحجر، وأشد من الحجر الحديد يقطع به الحجر، وأشد من الحديد النار، وأشد من النار الماء، وأشد من الماء السحاب، وأشد من السحاب الرياح، وأشد من الرياح الملك، وأشد من الملك ملك الموت، وأشد من ملك الموت الموت، وأشد من الموت أمر الله رب العالمين. قال الشامي: أشهد أنك ابن رسول الله، وأن علياً وصي محمد، وأولى بالأمر من معاوية. (قال): ثم كتب هذه الأشياء له، فذهب بها إلى معاوية، وبعثها معاوية إلى ابن الأصغر. فلما أتته كتب إلى معاوية: أشهد أنها ليست من عندك، وما هي إلا من عند معدن النبوة وموضع الرسالة^(٣).

(١) سقط سهواً (المؤنث) فالمؤنث إنسان لا يدري امرأة هو أم رجل، ينتظر به، فإن كان رجلاً احتلم والتحي، وإن كان امرأة بدأ ثديها، وإلا قيل له: بل على الحائط، فإن أصاب بوله الحائط فهو رجل، وإن نكص كما ينكص البعير، فهو امرأة.

(٢) سورة الإسراء: آية ١٢.

(٣) (علي والخلفاء) للعسكري، ص ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢، وأخرجها العلامة التستري غير كاملة، وأخرجها العلامة الحجة السيد محسن الأمين في كتابه (أحكام أمير المؤمنين) كاملاً، ص ١٢٥ - ١٢٧، وأخرجها العلامة المحلاتي في كتابه، ص ٢٧٣ عن عجائب أحكام أمير المؤمنين.

مراجعة عثمان إلى أمير المؤمنين عليه السلام في جمجمة إنسان :

ذَكَرَ أَنَّ رَجُلًا أَتَى عَثْمَانَ، وَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَبِيَدِهِ جَمَجْمَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ النَّارَ تُعْرَضُ عَلَى هَذَا، وَأَنَّهُ يَعْذَّبُ فِي الْقَبْرِ، وَأَنَا قَدْ وَضَعْتُ عَلَيْهَا يَدَيَّ فَلَا أَحْسُ مِنْهَا حَرَارَةَ النَّارِ. فَسَكَتَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَأَرْسَلَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْمُرْتَضَى، رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، يَسْتَحْضِرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُ وَهُوَ فِي مِلَأٍ مِنْ أَصْحَابِهِ. قَالَ لِلرَّجُلِ: أَعِدِ الْمَسْأَلَةَ، فَأَعَادَهَا. ثُمَّ قَالَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ: أَجِبِ الرَّجُلَ عَنْهَا يَا أَبَا الْحَسَنِ. فَقَالَ عَلِيُّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: ائْتُونِي بِزَنْدٍ وَحَجَرٍ، وَالرَّجُلُ السَّائِلُ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَأَتَى بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا وَقَدَحَ مِنْهُمَا النَّارَ، ثُمَّ قَالَ لِلرَّجُلِ: ضَعْ يَدَكَ عَلَى الْحَجَرِ، فَوَضَعَهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: ضَعْ يَدَكَ عَلَى الزَّيْنِدِ، فَوَضَعَهَا عَلَيْهِ. فَقَالَ: هَلْ أَحْسَسْتَ مِنْهُمَا حَرَارَةَ النَّارِ؟ فَبَهَتَ الرَّجُلُ. فَقَالَ عَثْمَانُ: لَوْلَا عَلِيُّ لَهْلَكَ عَثْمَانُ^(١).

حكمه عليه السلام في الأعرابي الذي أنكر على النبي عليه السلام حقه وكذبه :

فِي (الْمَنَاقِبِ) ج ١ ص ٤٩٠ عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ عَنِ الضَّحَّاكِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ عليه السلام اشْتَرَى مِنْ أَعْرَابِي نَاقَةً بِأَرْبَعِمِائَةِ دِرْهَمٍ، فَلَمَّا قَبِضَ الْأَعْرَابِيُّ الْمَالَ صَاحَ: الدَّرَاهِمُ وَالنَّاقَةُ لِي. فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: اقْضِ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ: الْقَضِيَّةُ وَاضِحَةٌ، تَطْلُبُ الْبَيِّنَةَ. فَأَقْبَلَ عُمَرُ، فَقَالَ كَالأَوَّلِ. فَأَقْبَلَ عَلِيٌّ، فَقَالَ عليه السلام لِلأَعْرَابِيِّ: أَتَقْبَلُ الشَّابَّ الْمَقْبُولَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: النَّاقَةُ نَاقَتِي وَالدَّرَاهِمُ دِرَاهِمِي، فَإِنْ كَانَ لِمُحَمَّدٍ شَيْءٌ فَلْيَقِمِ الْبَيِّنَةَ عَلَى ذَلِكَ. فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: خَلِّ عَنْ النَّاقَةَ وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلم. قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَاَنْدَفَعَ فَضْرِبَهُ ضَرْبَةً، فَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْحِجَازِ عَلَى أَنَّهُ رَمَى بِرَأْسِهِ. وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِرَاقِ: بَلْ قَطَعَ مِنْهُ عَضْوًا، فَقَالَ عليه السلام: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَصَدَّقُكَ عَلَى الْوَحْيِ وَلَا نَصَدَّقُكَ عَلَى أَرْبَعِمِائَةِ

(١) انتهى نقلًا من روائح القرآن ، ص ٥١ .

درهم. (وفي خبر) عن غيره، فالتفت النبي ﷺ إليهما، فقال: هذا حكم الله لا ما حكمتما به فينا. ذكره ابن بابويه في الأمالي، وفي من لا يحضره الفقيه^(١).

في جواب الجاثليق ومائة من أصحابه:

قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام للعلامة التستري ص ٦٦ منه. عن سلمان الفارسي في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجاثليق مع مائة من النصاري، بعد وفاة النبي ﷺ، وسأله أبا بكر عن مسائل لم يجبه عنها، ثم أرشد إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فسأله عنها، فأجابه فكان فيما سأله أن قال: أخبرني عن وجه الرب تبارك وتعالى. فدعا علي بنار وخطب وأضرمه، فلما اشتعلت قال علي عليه السلام: أين وجه هذه النار؟ قال النصراني: هي وجه من جميع وجوهها. قال: هذه النار مدبرة مصنوعة لا يعرف وجهها، وخالقها لا يشبهها، والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله لا يخفى على ربنا خافية^(٢).

سؤال أبي بكر عن مكان الله وجوابه بجواب لم يقبله الحبر اليهودي:

(إرشاد المفيد رحمه الله) عند ذكر قضايا أمير المؤمنين عليه السلام في عصر أبي بكر (قال): وجاءت الرواية أن بعض أحبار اليهود جاء إلى أبي بكر، فقال: أنت خليفة نبي هذه الأمة؟ قال: نعم، فقال: إنا نجد في التوراة أن

(١) علي والخلفاء: للعسكري، ص ٥٥، يقول: أخرج هذه القضية الفيض في الوافي المجلد الثالث، ج ٩ ص ١٦٥، وأخرجها صاحب أسنى التواريخ، ص ٧٤١، وأخرجها المجلسي في البحار، ج ٩ ص ٤٧٧ من المناقب، وأخرجها العلامة التستري في كتابه، ص ١٥٨ من المناقب.

(٢) (علي والخلفاء) للعلامة نجم الدين العسكري، ص ٦٠ - ٦١. وكتاب التوحيد: لابن بابويه القمي، طبعة طهران سنة ١٣٧٥ هـ، ص ١٢١.

خلفاء الأنبياء أعلم أمهم، فأخبرني عن الله تعالى أين هو؟ أفي السماء أم في الأرض؟ فقال أبو بكر: هو في السماء على العرش. فقال اليهودي: فأرى الأرض خالية منه، وأراه على هذا القول في مكانٍ دون مكان، فقال أبو بكر: هذا كلامُ الزنادقة أعزُّبُ عني وإلا قتلُكَ. فولَّى الحبر متعجباً يستهزئ بالإسلام، فاستقبله (عليه السلام) أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا يهودي قد عرفت ما سألت عنه، وما أجبت به، وإنا نقول: إن الله عز وجل أين فلا أين له، وجل أن يحويه مكان، فهو في كل مكان بغير ممارسة ولا مجاورة، يحيط علماً بما فيها، ولا يخلو شيء منها من تدبيره، وإني مخبرك بما جاء في كتاب من كتبكم يصدق ما ذكرته لك، فإن عرفته أتؤمن به؟ فقال اليهودي: نعم، قال: ألستم تجدون في بعض كتبكم أن موسى بن عمران كان ذات يوم جالساً إذ جاءه ملك من المشرق، فقال له موسى: من أين أقبلت؟ قال: من عند الله عز وجل. ثم جاءه ملك فقال: قد جئتُكَ من السماء السابقة من عند الله عز وجل. فقال موسى: سبحان من لا يخلو من مكان، ولا يكون من مكان أقرب من مكان. فقال اليهودي: أشهد أن هذا هو الحق، وأنتك أحق بمقام نبيك ممن استولى عليه^(١).

مراجعة عمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام في رجلين اختصما معه :

(ذخائر العقبى) ص ٦٨ للمحب الطبري الشافعي، أخرج بسنده عن عمر بن الخطاب، وقد جاءه أعرابيان يختصمان، فقال عمر لعلي: اقض بينهما يا أبا الحسن. فقضى علي بينهما، فقال أحدهما: هذا يقضي بيننا^(٢)، فوثب عمر وأخذ بتلابيه، وقال: ويحك ما تدري من هذا؟ هذا مولاي ومولى كل مؤمن، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن^(٣).

(١) (علي والخلفاء): للعسكري، ص ٧٨.

(٢) قال أحدهما: هذا الكلام مستهزئاً ولهذا أخذ عمر بتلابيه وقال له هذا الكلام فلاجظ.

(٣) أخرجه ابن السمان في كتاب (الموافقة) وفي (غاية المرام)، ص ٣٥٥ أخرج نحوه.

الابن والعبد:

قال أبو جعفر عليه السلام: توفي رجل على عهد أمير المؤمنين عليه السلام وخلف ابناً وعبدًا، فادّعى كل واحد منهما أنه الابن، وأن الآخر عبد له. فأتيا أمير المؤمنين عليه السلام فتحاكما إليه، فأمر أمير المؤمنين عليه السلام أن يثقب في حائط المسجد ثقبين، ثم أمر كل واحد منهما أن يدخل رأسه في ثقب ففعلوا. ثم قال: يا قنبر، جرد السيف، وأشار إليه: لا تفعل ما أمرك به، ثم قال: اضرب عنق العبد. قال: فنحى العبد رأسه، فأخذه أمير المؤمنين عليه السلام وقال للآخر: أنت الابن، وقد اعتقت هذا وجعلته مولى لك^(١).

روى السّروري عن الطّبري والواقدي أن عمير بن وائل الثّقفي أمره حنظلة بن أبي سفيان أن يدّعي على علي عليه السلام ثمانين مثقالاً من الذهب وديعةً عند محمّد، وأنه هرب من مكة، وأنت وكيله، فإن طلب بيّنة فنحن معشر قريشٍ نشهد عليه، وأعطوه على ذلك مائة مثقال ذهباً منها قلادة عشرة مشاقيل. فجاء وادّعى على علي. فاعتبر الودائع كلها ورأى عليها أسامي أصحابها، ولم يكن لما ذكره عمير خبر. فنصح له نصحاء كثيراً، فقال: إن لي من يشهد بذلك وهو أبو جهل وعكرمة وعقبة بن أبي معيط وأبو سفيان وحنظلة. فقال عليه السلام: مكيدة تعود إلى من دبرها. ثم أمر الشهور أن يقعدوا في الكعبة، ثم قال لعمير: يا أخا ثقيف أخبرني الآن حين دفعت وديعتك هذه إلى رسول الله أيّ الأوقات كان؟ قال: ضحوة نهار، فأخذها بيده وسلمها إلى عبده. ثم استدعى بأبي جهل وسأله عن ذلك، قال: ما يلزمني ذلك. ثم استدعى بأبي سفيان وسأله، فقال: دفعها عند غروب الشمس، وأخذها من يده وتركها في كمّه. ثم استدعى حنظلة وسأله عن ذلك، فقال: كان عند وقوف الشمس في كبد السماء، وتركها بين يديه إلى وقت انصرافه. ثم استدعى عقبة وسأله عن ذلك، فقال: تسلّمها بيده وأنفذها في الحال إلى

(١) كتاب (من لا يحضره الفقيه)، ج ٣ ص ١٤ - ١٥ ط ٤ سنة ١٣٧٨ هـ.

داره، وكان وقت العصر. ثم استدعى عكرمة وسأله عن ذلك، فقال: كان عند بزوغ الشمس أخذها، فأنفذها من ساعتِه إلى بيت فاطمة. ثم أقبل على عمير، وقال له: أراك قد اصفرَّ لونُك، وتغيَّرت أحوالُك، قال: أقول الحقَّ ولا يُفْلِحُ غادر. وبيتُ الله ما كان لي عند محمَّدٍ وديعة، وأنَّهما حملاني على ذلك. وهذه دنائير عقد هند عليها اسمها مكتوب. ثم قال علي: ائتوني بالسَّيف الذي في زاوية الدَّار، فأخذهُ وقال: أتعرفون هذا السَّيف؟ فقالوا: هذا لحنظلة، فقال أبو سفيان: هذا مسروق. فقال عليه السلام: إن كنت صادقاً في قولك فما فعل عبدُك مهلع الأسود؟ قال: مضى إلى الطَّائِف في حاجة لنا. فقال: هيهات أن يعود وتراه، ابعثْ إليه أحضرهُ إن كنت صادقاً. فسكت أبو سفيان، ثم أقام عليه السلام في عشرة عبيد فنبشوا تلعةً عرفها، فإذا فيها العبد مهلع قتيل، فأمرهم بإخراجه، فأخرجوه وحملوه إلى الكعبة، فسأله النَّاس عن سبب قتله، فقال: إنَّ أبا سفيان وولدهُ ضمنوا له رشوةً عتقه، وحشَّاهُ على قتلي، فكمن لي في الطُّريق، ووثبَ عليَّ ليقْتلني، فضربتُ رأسه وأخذتُ سيفه، فلما بطلت حيلتهم أرادوا الحيلة الثانية^(١).

روى الكليني عن الإصبع بن نباتة، قال: أتى عمر بخمسة نفر، أخذوا في الزنى، فأمر أن يقام على كلِّ واحدٍ منهم حدٌّ، وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام حاضراً، فقال: يا عمر: يا أبا الحسن: خمسة نفر في قضية واحدة، أقمْت عليهم خمسة حدود، وليسَ منها شيءٌ يُشبه الآخر. فقال أمير المؤمنين: أمَّا الأوَّل فكان ذميّاً خرج عن ذمِّه ولم يكن له حكمٌ إلَّا السَّيف. وأمَّا الثَّاني فرجل محصن كان حدُّه الرِّجم. وأمَّا الثَّالث فغير محصن حدُّه الجلد. وأمَّا الرَّابع فعبْدُ ضربناه نصف الحد، وأمَّا الخامس فمجنون مغلوبٌ على عقله^(٢).

الرَّجل ذو الرَّأسين والفمين والأنفين والقبليْن والدُّبرين:

ففي (المناقب) عن أبي علي الحدَّاد بإسناده إلى أبي سلمة بن عبد الله

(١) قضاء أمير المؤمنين: للتستري، ص ١٨ - ١٩، المطبعة الحيدريَّة - النجف.

(٢) قضاء أمير المؤمنين: للتستري، ص ٣١ ط ٣، المطبعة الحيدريَّة - النجف.

قال: أُتِيَ عمر برجلٍ له رأسان وفمان وأنفان وقبلان ودبران وأربع أعين في بدنٍ واحد، ومعه أخت، فجمع عمر الصحابة، فسألهم عن ذلك، فعجزوا وأتوا علياً، وهو في حائطٍ له، فقال: قضيته أن يَنُومَ، فإن غمض الأعين أو غَطَّ من الفممين جميعاً فبدن واحد، وإن فتح بعض الأعين، أو غَطَّ أحد الفممين فبدنان. هذه إحدى قضيته، وأمّا القضية الأخرى فيطعم ويُسقى حتى يمتلئ، فإن بال من المبالين جميعاً، وتغوط من الغاططين جميعاً فبدن واحد، وإن بال أو تغوط من أحدهما فبدنان. وقد ذكره الطبري في كتابه^(١).

فعلي بن أبي طالب لا يُبارى ولا يُجَارى، ولا نظير له ولا مثيل بعد رسول الله ﷺ. وكيف لا يكون ذلك؟ والأحاديث النبوية تثبت صحة هذا القول.

روى موفق بن أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدري وسلمان الفارسي رضي الله عنه قالاً: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَقْضَى أُمَّتِي عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ».

وفي مُسْنَدِ أحمد بسنده عن حميد بن عبد الله قال: إِنَّهُ ذَكَرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ قِضَاءَ قِضَى بِهِ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَأَعْجَبَ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحِكْمَةَ فِينَا أَهْلَ الْبَيْتِ.

قضاء عجيب:

عن عمر بن داود عن الصادق عليه السلام أَنَّ عَقْبَةَ بْنَ أَبِي عَقْبَةَ مَاتَ، فَحَضَرَ جَنَازَتَهُ عَلِيٌّ عليه السلام وجماعة من أصحابه، وفيهم عمر. فقال علي لرجلٍ كان حاضراً: إِنَّ عَقْبَةَ لَمَّا تُوفِّي، حَرَمْتُ امْرَأَتَكَ، فَاحْذَرِ أَنْ تَقْرِبَهَا. فقال عمر: كُلُّ قِضَايَاكَ يَا أَبَا الْحَسَنِ عَجِيبٌ، وَهَذِهِ مِنْ أَعْجِبِهَا، يَمُوتُ الْإِنْسَانُ فَتَحْرُمَ عَلَى آخِرِ امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: نَعَمْ، إِنَّ هَذَا عَبْدٌ كَانَ لِعَقْبَةَ تَزَوَّجَ امْرَأَةً حُرَّةً، وَهِيَ الْيَوْمَ تَرِثُ بَعْضَ مِيرَاثِ عَقْبَةَ، فَقَدْ صَارَ بَعْضُ زَوْجِهَا رَقاً لَهَا، وَبِضْعُ

(١) قضاء أمير المؤمنين: للتستري، ص ١٢٦.

المرأة حرام على عبدها حتى تعتقه ويتزوجها. فقال عمر: لمثل هذا نسألك عما اختلفنا فيه^(١).

قضاء أمير المؤمنين - مهما اختلفت الظروف - واحد:

روى المفيد عن أبي عقدة عن عبيد بن حمدون عن الحسن بن ظريف، قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول: لا تجد علياً يقضي بقضاء إلا وجدت له أصلاً في السنة، قال: وكان علي عليه السلام يقول: لو اختصم إلي رجلان فقضيت بينهما، ثم مكثا أحوالاً كثيرة، ثم أتاني في ذلك الأمر لقضيت بينهما قضاءً واحداً، لأن القضاء لا يحول ولا يزول^(٢).

صراع امرأة ورجل على جمل، وكان الشاهد الجمل:

روى عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: كنت بين يدي مولاي أمير المؤمنين وإذا بصوت عظيم قد أخذ بجامع الكوفة، فقال علي: اخرج يا عمار وأتني بذي الفقار البتار للأعمار، فجئت به إليه، فقال: يا عمار، أخرج وامنع الرجل من ظلامة المرأة، فإن انتهى وإلا منعت بذي الفقار. فقال عمار: فخرجت فإذا أنا برجل وامرأة، وقد تعلق الرجل بزمام جملها، والامرأة تقول: إن الجمل جملي والرجل يقول: إن الجمل جملي. فقلت له: إن أمير المؤمنين ينهك عن ظلامة المرأة. فقال: يشتغل علي بشغله، ويغسل يده من دماء المسلمين الذين قتلهم بالبصرة، يريد أن يأخذ جملي، ويدفعه إلى هذه المرأة الكاذبة. فقال عمار رضي الله عنه: فرجعت لأخبر مولاي، وإذا به قد خرج والغضب في وجهه، وقال: ويلك! خل جمل هذه المرأة. فقال: هو لي. فقال أمير المؤمنين: كذبت يا لعين. قال: فمن يشهد لامرأة؟ فقال عليه السلام: الشاهد الذي لا يكذبه أحد من أهل الكوفة. فقال الرجل: إذا شهد بشهادته كان صادقاً سلمته إلى المرأة، فقال علي عليه السلام: تكلم أيها الجمل!

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٤٧٧.

(٢) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٤٨١.

لمن أنت؟ فقال الجمل بلسانٍ فصيحٍ: يا أمير المؤمنين، عليك السلام، أنا لهذه المرأة منذ تسع عشرة سنةً، فقال عليه السلام: خذي جملك، وعارض الرجل بضربةٍ قسمه نصفين^(١).

هذه لمحةٌ عن قضائه الذي لا يعلمه إلا أهل السماء. وكل قضاءٍ عرضناه في هذا الفصل فهو يشهد على عظمة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام. ولكن أبناء الدنيا لم يقفوا عند الحدود والأوامر التي أمرهم الله بها، وخاصةً فيما يتعلق بالإمام، بل سرعاناً ما تأمروا علي عليه السلام، وسلبوه حقه، وأخذوا يوجهون دفة السفينة في الخضم الكبير كما تشاء مصالحهم، لا كما يشاء الله ورسوله. ولولا أن لله تعالى في هذا الإمام سرّاً يعلمه من يعلمه - كما قال عامر بن عبد الله ابن الزبير - لم يرد في فضله حديث، ولا عُرفت له منقبة. وقد قيل: كتم أحبّاءه فضائله خوفاً، وكتم أعداؤه فضائله حسداً وخرج بين ما ملأ الخافقين.

ونحن نرى أن كثيراً من الباحثين يصطدمون بهذه الخصائص العلوية التي امتاز بها الإمام، فهي فوق مستوى تفكيرهم الإنساني، وفوق مقدراتهم العقلية، فيضطرون إلى إنكارها وعدم تقبلها، بالرغم من النصوص الواضحة الصريحة في ذلك، ولم يكن عندهم الاستعداد والقابلية للاعتراف بهذه الخصائص التي خصّه الله بها. فعلي هو المحك لمعرفة المؤمن من الكافر، وهو الصعب المستصعب وهو قسيم الجنة والنار، وهو النقطة التي تحت الباء، وهو عبد الله، وأخو رسول الله.

فمن أراد من أبناء هذا العالم الإنساني أن يعرف أنه من أهل النعيم، أو أهل الجحيم فليُنظر إلى موقفه من علي عليه السلام إن سلماً أو إيجاباً. والحمد لله رب العالمين.

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٤٨٧، وهو مذكور في عيون المعجزات للشيخ حسين عبد الوهاب (من علماء القرن الخامس)، ص ٢٩ بنفس المعنى مع اختلاف في بعض الكلمات.

الفصل التاسع

إخباره بالأمور الغيبية

قبل أن نعرض بعض ما أخبر عنه الإمام من أمور يعجزُ العقل الإنساني عن اكتشافها قبل حدوثها، بالرغم من التقدم العلمي الذي أحرزهُ إنسان القرن العشرين، علينا أن نعرف مصدر هذه المعرفة عند علي بن أبي طالب عليه السلام .

فلو تحررنا الحقيقة لوجدنا أن كل ما أخبر به الإمام من المغيبات أخبر به وبغيره النبي ﷺ من قبله، وأثبتها كل من البخاري ومسلم في صحيحه، والإمام أحمد في مسنده وغيرهم . فمن أراد أن يُراجع فلينظر الجزء الرابع (باب علامات النبوة) للبخاري، وكذلك باب قتال الروم، وباب قتال اليهود، وباب قتال الترك، والجزء التاسع للبخاري، فإن فيه أحاديث كثيرة عن المغيبات، حتى بتروا العراق . وكذلك الجزء الرابع من صحيح مسلم، باب إخبار النبي فيما يكون إلى قيام الساعة، ومسنده أحمد الجزء الثاني عشر وغيره من كتب الشيعة والسنة .

ومسلم يقول: «إن النبي حدث بما يكون إلى قيام الساعة، فحفظه من حفظه، ونسبه من نسبه» . وعلي بن أبي طالب، صاحب الأذن الواعية وباب مدينة علم الرسول، من جملة مَنْ حَفِظَهُ . إذن جميع أخبار الإمام عن المغيبات تستند إلى الرسول، وليس للإمام منها إلا الرواية، فمن أنكرها عليه

فقد أنكرها على الرسول بالذات . وبهذا يزول استغرابنا لما أخبر به، وصرح في الخطب والملاحم وغيرها.

فمن إخباره أن تميم بن أسامة بن زهير بن دريد التميمي اعترضه، وهو يخطب على المنبر ويقول: «سلوني قبل أن تفقدوني، فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة أو تهدي مائة إلا أنبأتكم بناعقها وسائقها، ولو شئت لأخبرت كل واحد منكم بمخرجه ومدخله وجميع شأنه». فقال: فكم في رأسي طاقة شعر؟ فقال له: أما والله إنني لأعلم ذلك، ولكن أين برهانه لو أخبرتك به؟! ولقد أخبرتك بقيامك ومقالك. وقيل لي: إن على كل شعرة من شعر رأسك ملكاً يلعنك، وشيطاناً يستفزك، وآية ذلك أن في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله ﷺ، ويحضر على قتله.

فكان الأمر بموجب ما أخبر به عليه السلام . كان ابنه حصين يومئذ طفلاً صغيراً يرضع اللبن، ثم عاش إلى أن صار شرطة عبيد الله بن زياد، وأخرجته عبيد الله إلى عمر بن سعد يأمره بمناجزة الحسين عليه السلام ، ويتوعده على لسانه إن أرجأ ذلك، فقتل، صبيحة اليوم الذي ورد فيه الحصين بالرسالة في ليلته^(١).

ومن ذلك قوله عليه السلام للبراء بن عازب يوماً: يا براء، أيقتل الحسين وأنت حي فلا تنصره؟! فقال البراء: لا كان ذلك يا أمير المؤمنين! فلما قتل الحسين عليه السلام كان البراء يذكر ذلك ويقول: أعظم بها حسرة! إذ لم أشهده وأقتل دونه!

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ١٠ ص ١٤ و ١٥، وكذلك الإرشاد للمفيد بنفس المعنى وإن اختلف بعض الجمل. وكذلك قضاء أمير المؤمنين للشيخ محمد تقي التستري، ص ١٠٥ ط ٣. وروى ابن شهر آشوب فقال: حملوا من كل جانب فرماه أبو الحنوق الجعفي في جبينه، والحسين بن تميم في فيه، وأبو أيوب الغنوي بسهم مسموم في حلقه. راجع تظلم الزهراء للقزويني، ص ١٢٧ ط ١٣١٢ هـ.

وروى الحسن بن محبوب عن ثابت الثمالي ، عن سُويّد بن غفلة أنّ عليّاً خطب ذات يومٍ ، فقام إليه رجل من تحت منبره ، فقال : يا أمير المؤمنين : إني مررت بوادي القرى فوجدتُ خالد بن عرفطة قد مات ، فاستغفر له . فقال : واللّٰه ما مات ولا يموتُ حتّى يقود جيشَ ضلالةٍ ، صاحب لوائه حبيب بن حمّاد^(١) . فقام رجلٌ آخر من تحت المنبر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا حبيب بن حمّاد ، وإني لك شيعة ومحِبٌّ . فقال : أنت حبيب بن حمّاد؟ قال : نعم ، فقال له ثانيةً : واللّٰه إنك لحبيب بن حمّاد؟ فقال : إي واللّٰه ! قال : أما واللّٰه إنك لحاملُها ولتحملنّها ، ولتدخلنّ بها من هذا الباب . وأشار بها إلى باب الفيل بمسجد الكوفة .

قال ثابت : فواللّٰه ما متُ حتّى رأيتُ ابن زياد ، وقد بعثَ عمر بن سعد إلى الحسين بن علي ، وجعل خالد بن عرفطة على مقدّمته ، وحبيب بن حمّاد صاحب رايته ، فدخل بها من باب الفيل كما قال الإمام عليه السلام (٢) .

وروى عثمان بن سعيد عن عبدالله بن بكير ، عن حكيم بن جبير قال : خطب علي عليه السلام فقال في أثناء خطبته : «أنا عبدالله وأخو رسول الله ، لا يقولها أحدٌ قبلي ولا بعدي إلّا كذب ، ورثتُ نبيّ الرّحمة ، ونكحتُ سيّدة نساء هذه الأمّة ، وأنا خاتم الوصيّين» . فقال رجلٌ من عبس : مَنْ لا يُحسِن أن يقول مثلَ هذا؟ فلم يرجع إلى أهله حتّى جُنَّ وصُرعَ ، فسألوه ، هل رأيتم به عَرَضاً قبل هذا؟ قالوا : ما رأينا به قبل هذا عرضاً^(٣) .

وروى محمّد بن جبلة الخياط ، عن عكرمة ، عن يزيد الأحمسي أنّ عليّاً عليه السلام كان جالساً في مسجد الكوفة ، وبين يديه قومٌ منهم عمرو بن حريث ، إذ أقبلت امرأةٌ مختمرةٌ لا تُعرَف ، فوقفَتْ ، فقالت لعلي عليه السلام : يا من قتل

(١) في بعض النسخ حبيب بن جمار .

(٢) شرح النهج : لابن أبي الحديد ، ج ٢ ص ٢٧٦ - ٢٧٨ .

(٣) شرح النهج : لابن أبي الحديد ، ج ٢ ص ٢٨٧ - ٢٨٨ ، والإرشاد : للمفيد ، ص ١٤٧ .

الرجال، وسفك الدماء، وأيتّم الصّبيان، وأرمل النساء!! فقال ﷺ : وإنّها لهي هذه السّلقلقة الجلعة المّجعة، وإنّها لهي هذه، شبيهة الرجال والنساء، التي ما رأت دماً قط. قال: فولّت هاربة منكسة رأسها، فتبعها عمرو بن حريث، فلمّا صارت بالرحبة، قال لها: واللّه لقد سرّرت بما كان منك اليوم إلى هذا الرجل، فادخلي منزلي حتّى أهبّ لك وأكسوك. فلمّا دخلت منزله أمر جواريه بتفتيشها وكشفها ونزع ثيابها لينظر صدقه فيما قاله عنها، فبكت وسألته ألاّ يكشفها، وقالت: أنا واللّه كما قال: لي ركّب النساء، وانثيان كأنثي الرجال، وما رأيت دماً قط. فتركها وأخرجها. ثمّ جاء إلى عليّ عليه السلام، فأخبره، فقال: إنّ خليلي رسول الله ﷺ أخبرني بالمتمردين عليّ من الرجال والتمردات من النساء إلى أن تقوم الساعة^(١).

وروى المدائني في كتاب (صفين) قال: خطب عليّ عليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان، فذكر طرفاً من الملاحم، قال:

إذا كثرت فيكم الأخلاق، واستولت الأنباط، دنا خراب العراق، ذاك إذا بنيت مدينة ذات أثلٍ وأنهار. فإذا غلّت فيها الأسعار، وشيد فيها البنيان، وحكم فيها الفساق، واشتدّ البلاء، وتفاخر الغوغاء، دنا خسوف البيداء، وطاب الهرب والجلء، وستكون قبل الجلاء أمور يشيب منها الصّغير، ويعطب الكبير، ويخرس الفصيح، ويهت اللّيب، يعاجلون بالسّيف صلتاً، وقد كانوا قبل ذلك في غضارة من عيشهم يمرحون. فيا لها مصيبة حينئذٍ! من البلاء العقيم، والبكاء الطويل، والويل والعويل، وشدة الصّريخ، في ذلك أمر اللّه - وهو كائن وقتاً - يريح. فيا بن حرة الإماء، متى تنتظر؟! ابشر بنصر قريب، من ربّ رحيم. ألا فويل للمتكبّرين، عند حصاد الحاصدين، وقتل الفاسقين. عصاة ذي العرش العظيم، فبأيّ وأمي من عدّة قليلة! أسماؤهم في الأرض

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٢ ص ٢٨٨. وقضاء أمير المؤمنين: للشيخ محمّد تقي التستري مع اختلاف في بعض الجمل، ولكن بنفس المعنى، ص ١٢٩. والسّلقلقة: السّلطة، والجلعة المّجعة: البذينة اللسان، والركب: بنت العانة.

مجهولة. قد دنا حينئذٍ ظهورهم، ولو شئت لأخبرتكم بما يأتي ويكون من حوادث دهركم ونوائب زمانكم، وبلايا أيامكم، وغمرات ساعاتكم، ولكنّه أفضيه إلى من أفضيه إليه، مخافة عليكم، ونظراً لكم، علماً مني بما هو كائن وما يكون من البلاء الشّامِل. ذلك عند تمرّد الأشرار، وطاعة أولي الخسار. ذاك أوان الحنف والدّمار، ذاك إدبار أمركم، وانقطاع أصلكم، وتشتت إفتكم، وإنّما يكون ذلك عند ظهور العصيان، وانتشار الفسوق، حيث يكون الضّرب بالسّيف أهون على المؤمنين من اكتساب درهم حلال، حين لا تنال المعيشة إلاّ بمعصية الله في سمائه، حين تسكرون من غير شراب، وتحلفون من غير اضطرار، وتظلمون من غير منفعة، وتكذبون من غير إحراج، تتفكّهون بالفسوق، وتبادرون بالمعصية، قولكم البهتان، وحديثكم الزّور، وأعمالكم الغرور. فعند ذلك لا تأمنون البيات، فيا له من بياتٍ ما أشدّ ظلمته، ومن صائح ما أرفع صوته! ذلك بياتٌ لا ينمي صاحبه، فعند ذلك تقتلون، وبأنواع البلاء تُضربون، وبالسّيف تحصّدون، وإلى النار تصيرون، ويعضّكم البلاء كما يعضّ القارب القتب. يا عجباً كلّ العجب، بين جمادى ورجب! من جمع أشتات، وحصد نباتٍ، ومن أصواتٍ بعدها أصوات. ثم قال: سبق القضاء، سبق القضاء.

قال رجلٌ من أهل البصرة لرجلٍ من أهل الكوفة إلى جانبه: أشهدُ أنّه كاذبٌ على الله ورسوله! قال الكوفي: وما يدريك؟ قال: فوالله ما نزل عليّ من المنبر حتى فُلجَ الرّجل، فحُمِلَ إلى منزله في شقٍّ محمّل، فمات من ليلته^(١).

ومن خطبة له عليه السلام: قائلًا: والله لو شئتُ أن أخبر كلّ رجلٍ منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلتُ، ولكن أخافُ أن تكفروا فيّ برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ألا وإني مفضسه إلى الخاصّة ممّن يؤمّن ذلك منه. والذي بعثه بالحق، واصطفاه على الخلق، ما أنطق إلاّ صادقاً، ولقد عهد إليّ ذلك كلّهُ،

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٦ ص ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦.

وبمهلك من يهلك، ومنجى مَنْ ينجو، ومآل هذا الأمر، وما أبقى شيئاً يمرّ على رأسي إلا أفرغهُ في أذنيّ، وأفضى به إليّ.

أيّها النّاس: إنّي والله ما أحثّكم على طاعةٍ إلاّ وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصيةٍ إلاّ وأتناهى قبلكم عنها^(١).

يا له من قسم ما أعظمه! ولكنّ الخوف من الغلوّ هو الذي يمنعه من الإخبار إلاّ لأهل خاصّيته، ثم قسم ثانياً أنّه ما ينطق إلاّ صادقاً، وأنّ رسول الله ﷺ عهد بذلك كلّهُ إليه، وأخبره بمهلك من يهلك، وبنجاة من ينجو، وبمآل الإسلام والدّولة والخلافة، وأنّه ما ترك شيئاً يمرّ على رأسه ﷺ إلاّ وأخبره به، وأسرّه إليه. وهذا من خصائص أبي تراب، باب مدينة علم الرّسول.

وروى المدائني، قال: خطب عليّ عليه السلام فقال: «لو كُسرَتْ لي الوسادة لحكمتُ بين أهل التّوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، وما من آية في كتاب الله أنزلت في سهلٍ أو جبلٍ إلاّ وأنا عالمٌ متى أنزلت وفيمن أنزلت».

فقال رجُلٌ من القعود تحت منبره: يا لله والدعوى الكاذبة! وقال آخر إلى جانبه: أشهدُ أنّك أنت الله ربّ العالمين. قال المدائني: فانظر إلى هذا التّناقض والتباين فيه^(٢).

وروى المدائني أيضاً قال: خطب عليّ عليه السلام فذكر الملاحم فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، أما والله لتشغرنّ الفتنة الصّماء برجلها، وتطأ في خطاياها.

يا لها من فتنةٍ شَبَّتْ نارها بالحطب الجزل، مقبلة من شرق الأرض،

(١) شرح النهج له، ج ١٠ ص ١٠.

(٢) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٦ ص ١٣٦.

رافعة ذيلها، داعية ويلها، بدجلة أو حولها. ذاك إذا استدار الفلك، وقلتم: مات أو هلك، بأيّ وادٍ سلك!

فقال قومٌ تحت منبره: لله أبوه! ما أفصحهُ كاذباً^(١)!

وروى صاحب كتاب (الغارات) عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث، قال: سمعتُ علياً يقول على المنبر: ما أحدٌ جرّت عليه المواسي إلا وقد أنزل الله فيه قرآناً، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، فما أنزل الله تعالى فيك؟ قال يريد تكذيبه: فقام الناس إليه يلکزونہ في صدره وجنبه، فقال: دَعُوهُ، أقرأت سورة هود؟ قال: نعم، قال: أقرأت قوله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾^(٢) قال: نعم، قال: صاحب البينة محمد، والتالي الشاهد أنا^(٣).

وذكر سبط ابن الجوزي في (تذكرته) قائلاً: وذكر الثعلبي أيضاً بإسناده إلى علي عليه السلام من رواية زاذان، قال: سمعته عليه السلام يقول: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو تُنِيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التّوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الزّبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم. والذي نفسي بيده، ما من رجل من قريش جرّت عليه المواسي إلا وأنا أعرف له آية تسوقه إلى الجنة، أو تقوده إلى النار. فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، فما آيتك التي أنزلت فيك؟ فقال: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾ فرسول الله على بيّنة، وأنا شاهد منه^(٤).

ومن إخباره بالغيب ما رواه صاحب كتاب (الغارات) عن الأعمش، عن رجاله، قال: خطب علي عليه السلام فقال: «والله لو أمرتكم فجمعتم من خياركم

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٦ ص ١٣٦.

(٢) سورة هود: آية ١٧.

(٣) شرح النهج، ج ٦ ص ١٣٧.

(٤) شرح النهج، ص ٢٠ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ.

مائة، ثم لو شئت لحدثتكم من غدوة إلى أن تغيب الشمس، لا أخبرتكم إلا حقاً، ثم لتخرجن فلتزعمن إنني أكذب الناس وأفجرهم^(١).

ومن إخباره بالغيب ما قاله أبو جعفر الإسكافي، روى الشعبي عن أبي الطفيل، قال: قال علي: يأتيكم من الكوفة اثنا عشر ألفاً من الرجال ورجل واحد، فوالله لقعدت على نجفة ذي قار، فأحصيتهم واحداً واحداً فما زادوا رجلاً، ولا نقصوا واحداً^(٢).

ومن إخباره بالغيب ما قاله المفيد في الإرشاد: وقال عليه السلام بذي قار وهو جالس لأخذ البيعة: يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون رجلاً ولا ينقصون رجلاً يبايعونني على الموت. قال ابن عباس: فجزعت لذلك وخفت أن ينقص القوم عن العدد أو يزيدوا عليه، فيفسد الأمر علينا، ولم أزل مهموماً دأبي إحصاء القوم حتى ورد أوائلهم، فجعلت أحصيهم فاستوفيت عددهم تسعمائة وتسعة وتسعين رجلاً، ثم انقطع مجيء القوم، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون! ما حملة على ما قال. فبينما أنا أفكر في ذلك إذ رأيت شخصاً قد أقبل، وإذا هو أويس القرني، فسري والله عني آه^(٣).

ومن إخباره بالغيب قوله في خطبة له يخبر بها عن الملاحم بالبصرة، «ويل لسككم العامرة، والدور المزخرفة التي لها أجنحة كأجنحة النور، وخراطيم كخراطيم الفيلة، من أولئك الذين لا يندب قتلهم ولا يفقد غائبهم. أنا كاب الدنيا لوجهها، وقادرها بقدرها، وناظرها بعينها^(٤)».

وللدلالة على علمه بالغيب عن النبي ﷺ نسوق ما أخرجه نصر بن مزاحم في كتاب (صفين) ص ١٥٨ ط مصر:

(١) شرح النهج أيضاً، وكذلك تاريخ الطبري، ج ١ ص ٣١٧٣ و ٣١٧٤.

(٢) وكذلك شرح النهج أيضاً.

(٣) حرب الجمل وحرب صفين: للسيد محسن الأمين ط ١٩٦٩ م، دار الفكر.

(٤) شرح النهج، ج ٨ ص ١٢٥.

عن سعيد بن حكيم العبسي، عن الحسن بن كثير، عن أبيه، أن علياً أتى كربلاء فوقف بها، فقيل: يا أمير المؤمنين، هذه كربلاء، قال: «ذات كرب وبلاء» ثم أوماً بيده إلى مكان، فقال: هاهنا موضع رحالهم، ومناخ ركبهم. ثم أوماً بيده إلى موضع آخر، فقال: هاهنا مراق دمائهم^(١).

وأخرج الحافظ أبو نعيم في (دلائل النبوة) ج ٣ ص ٢١١، بالإسناد عن إصبغ بن نباتة، قال: أتينا مع علي موضع قبر الحسين، فقال: هاهنا مناخ ركبهم، وموضع رحالهم، ومهراق دمائهم، فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة، تبكي عليهم السماء والأرض^(٢).

وروى الحسن بن كثير وعبد خير قالاً: لما وصل عليّ عليه السلام إلى كربلاء، وقف وبكى، وقال: بأبيه أغيلمة يقتلون هاهنا، هذا مناخ ركبهم، هذا موضع رحالهم، هذا مصرع الرجل. ثم ازداد بكاءً^(٣). وذكر الحافظ الخطيب الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام ص ١٦٢ حديثاً، أخرجه الحافظ الطبراني عن شيبان، وكان عثمانياً، قال: إنني لمع علي، إذ أتى كربلاء، فقال: في هذا الموضع شهداء ليس مثلهم شهداء إلا شهداء بدر^(٤).

ذكر شيخ الإسلام الحاكم الجشمي أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام لما سار إلى صفين، نزل بكربلاء، وقال لابن عباس: أتدري ما هذه البقعة؟ قال: لا،

(١) ذكره ابن أبي الحديد في شرحه للنهج.

(٢) وذكره السيوطي في (الخصائص الكبرى)، ج ٢ ص ١٢٦، وابن كثير في (الوسيلة) عن الملا، والقرغولي في (جوهرة الكلام)، ص ١١٨ عن الملا، وعنه أيضاً ابن حجر في (الصواعق) ص ١١٥، وذكر الشيخاني في (الضراط السوي)، ص ٩٤ بلفظ: هاهنا مناخ ركبهم، وهاهنا موضع رحالهم. وهاهنا مهراق دمائهم. فقال: رواه الملا في سيرته وابن الأخضر في معالم العترة.

(٣) وذكره أبو المظفر السبط في (تذكرته)، ص ٢٦٠ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ، المطبعة العلمية في النجف.

(٤) أخرجه الحافظ الطبراني في الجزء الأول من المعجم الكبير بإسناد صحيح رجاله كلهم ثقات، وذكره الحافظ الهيثمي وصححه.

قال: لو عرفتَها لبكيت بكائي، ثم بكى بكاءً شديداً، ثم قال: ما لي ولآل سفيان؟ ثم التفتَ إلى الحسين وقال: صبراً يا بني! فقد لقي أبوك منهم مثل الذي تلقى بعده.

وذكر أبو المظفر سبط ابن الجوزي في (تذكرته) عن عمر بن سعد الذي جهّزه لقتال الحسين وقال زيادُ له: أكفني هذا الرجل، وكان عمر يكره قتاله، فقال: أعفني، فقال: لا أعفيك، وكان ابن زياد قد ولّى عمر بن سعد الري وخوزستان فقال: قاتله وإلا عزلتك، فقال: أمهلني الليلة، فأمهله، ففكر، فاختار ولاية الري على قتل الحسين، فلما أصبح غدا عليه، فقال: أنا أقاتله. قال محمد بن سيرين: وقد ظهرت كرامات علي بن أبي طالب عليه السلام في هذا، فقد لقي عمر بن سعد يوماً وهو شاب، فقال: ويحك يا ابن سعد! كيف بك إذا قمت يوماً مقاماً تُخَيَّر فيه بين الجنة والنار، فتختار النار^(١).

ومن ذلك خطب أمير المؤمنين عليه السلام بالبصرة، فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوا من عنده علم المنايا والبلايا والأنساب في الأصلاب، وفصل الخطاب^(٢).

وأخرجه ابن سعد وغيره عن أبي الطفيل قال: قال عليه السلام: سلوني عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفتُ بليلاً نزلت، أم بنهار، في سهل أم في جبل؟^(٣).

ومن إخباره بالغيب ما ذكره صاحب كتاب (الإرشاد) قائلاً: أخبرني أبو بكر محمد بن المظفر البزاز، قال: حدّثنا أبو مالك كثير بن يحيى، قال: حدّثنا أبو جعفر محمد بن أبي السري، قال: حدّثنا أحمد بن عبدالله بن يونس، عن

(١) تذكرة ابن الجوزي، ص ٢٥٧ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ، المطبعة العلمية في النجف.

(٢) مشارق أنوار اليقين: للبرسي.

(٣) إسعاف الراغبين: للشيخ محمد الصّبان.

سعد الكناني، عن الإصبغ بن نباتة، قال: لما بوبع أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة خرج إلى المسجد معتمداً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لابساً بردته، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وأنذر، ثم جلس متمكناً، وشبك بين أصابعه، ووضعها أسفل سرته، ثم قال: يا معشر الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني، فإنّ عندي علم الأولين والآخرين. أما والله لو ثني لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى يُنهي كل كتاب من هذه الكتب ويقول: يا رب! إنّ علياً قضى بقضائك. واللّه! إنّي لأعلم بالقرآن وتأويله من كل مدّع علمه، ولولا آية في كتاب الله تعالى، لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة. ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني. فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو سألتُموني عن آية آية لأخبرتكم بوقت نزولها، وفيم أنزلت، وأنبأتكم بناسخها من منسوخها، ومحكمها من متشابها. واللّه ما من فئة تضلّ أو تهدي إلّا وأنا أعرف قائدها وسائقها وناعقها إلى يوم القيامة^(١).

ولو تصفّحنا الأحاديث النبوية الشريفة لوجدنا أن التكلم بالقرآن بالرأي محظور «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» حديث شريف. لذلك قال أبو بكر حين سُئل عن بعض الآيات: أيّ سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟ ولكنّ علياً يختلف عن الآخرين، لأنه أحاط علماً بالدين وحقائقه، والعقل ودقائقه، فقال: سلوني قبل أن تفقدوني... سلوني عن كتاب الله، فوالله ما نزلت آية من كتاب الله عز وجل في ليل أو نهار ولا مسير أو مقام، إلّا وقد أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلمني تأويلها. فقال له قائل: «فما كان ينزل عليه، وأنت غائب؟» قال الإمام: «كان يحفظ عليّ ما كان ينزل عليه من القرآن، وأنا غائب عنه، حتى أقدم عليه، فيقرئنيه، ويقول لي: «يا عليّ أنزل الله عليّ بعدك كذا وكذا، وتأويله كذا وكذا» فيعلمني تأويله وتنزيله... فوالذي برأ النسمة لو سألتُموني عن آية

(١) كتاب (الإرشاد): للمفيد، ص ١٥ - ١٦.

آية ناسخها ومنسوحها، ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها
لأن خبرتكم . . . إلى آخره.

إذن فلا بدع أن يقول الإمام: «ذاك القرآن الصّامِت، وأنا القرآن
النّاطِق» وأن نقول نحن: إنّ تأويل الإمام هو تأويل النّبي الذي نزل القرآن
على قلبه، وإن عقله عين الواقع واليقين القاطع^(١).

ومن دلائله إخباره عن انقراض ملك بني أميّة، ووقوع الأمر بموجب
إخباره عليه السلام. فمن قوله في بعض خطبه: «ولم يكن ليحتريء عليها غيري،
ولو لم أكن فيكم ما قوتل أصحاب الجمل والنّهروان. وأيم الله لولا أن تتكلّوا
فتدعوا العمل لحدّثتكم بما قضى الله عزّ وجلّ على لسان نبيكم صلى الله عليه وآله:
«لمن قاتلهم مبصراً لضلالتهم، عارفاً للهدى الذي نحن فيه. سلوني قبل أن
تفقدوني، فإنني ميت عن قريب، أو مقتول، بل قتلا ما ينتظر أشقاها أن
يخضب هذه بدم». وضرب يده إلى لحيته.

ومن إخباره بالغيب ما رواه عثمان بن سعيد، عن يحيى التيمي، عن
الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، قال: قام أعشى باهلة - وهو غلام يومئذ
حدث - إلى علي عليه السلام، وهو يخطب ويذكر الملاحم، فقال: يا أمير
المؤمنين، ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة!! فقال علي عليه السلام: وإن
كنت آثماً فيما قلت يا غلام، فرماك الله بغلام ثقيف، ثم سكت، فقام رجال
فقالوا: ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟ قال: غلام يملك بلدتكم هذه لا
يترك لله حرمة إلا انتهكها، يضرب عنق هذا الغلام بسيفه. فقالوا: كم يملك
يا أمير المؤمنين؟ قال: عشرين إن بلغها. قالوا: فيقتل قتلاً أم يموت موتاً؟
قال: بل يموت حتف أنفه بداء البطن، يُثقب سريرته لكثرة ما يخرج من جوفه.

قال إسماعيل بن رجاء: فوالله لقد رأيت بعيني أعشى باهلة، وقد أحضر
في جملة الأسرى الذين أسروا من جيش عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

(١) راجع كتاب (علي والفلسفة): لمحمد جواد مغنية، ص ١٣٧ - ١٣٨، ففيه الكفاية.

بين يدي الحجاج، فقرّعه ووبّخه، واستنشدّه شعره الذي يحرض فيه عبد الرحمن على الحرب، ثم ضرب عنقه في ذلك المجلس^(١).

ومن إخباره أيضاً ما رواه أصحاب السيرة من طرق مختلفة أن الحجاج بن يوسف الثقفي قال ذات يوم: أُحِبُّ أَنْ أُصِيبَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ أَبِي تراب، فَأَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِدَمِهِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا نَعْلَمُ أَحَدًا كَانَ لَهُ أَطْوَلُ صَحْبَةٍ مِنْ قَبْرِ مَوْلَاهُ. فَبَعَثَ فِي طَلَبِهِ فَأَتَيْ بِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ قَبِيرٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَبُو هَمْدَانٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَوْلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؟ قَالَ: اللَّهُ مَوْلَايَ، وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ وَلِيَّ نَعْمَتِي. قَالَ: أَتَبْرَأُ مِنْ دِينِهِ؟ قَالَ: فَإِذَا بَرِئْتُ مِنْ دِينِهِ تَدُلَّنِي عَلَى دِينٍ غَيْرِهِ أَفْضَلَ مِنْهُ؟ قَالَ: إِنِّي قَاتِلُكَ، فَاخْتَرِ أَيَّ قِتْلَةٍ أَحَبَّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: قَدْ صَيَّرْتُ ذَلِكَ إِلَيْكَ، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّكَ لَا تَقْتُلُنِي قِتْلَةً إِلَّا قَتَلْتُكَ مِثْلَهَا، وَلَقَدْ أَخْبَرَنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّ مَنِّي تَكُونُ ذَبْحًا ظَلَمًا بِغَيْرِ حَقٍّ. قَالَ: فَأَمَرَ بِهِ فَذُبِحَ^(٢).

ومن إخباره أيضاً ما رواه محمد بن علي الصّوّاف، عن الحسين بن سفيان، عن أبيه، عن شمير بن سدير الأزدي، قال: قال علي عليه السلام لعمر بن الحمق الخزاعي: أَيْنَ نَزَلْتَ يَا عَمْرُو؟ قَالَ: فِي قَوْمِي. قَالَ: لَا تَنْزِلَنَّ فِيهِمْ، قَالَ: فَأَنْزِلَ فِي بَنِي كِنَانَةَ جِيرَانِنَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأَنْزِلَ فِي ثَقِيفٍ؟ قَالَ: فَمَا تَصْنَعُ بِالْمَعْرَةِ وَالْمَجْرَةِ؟ قَالَ: وَمَا هُمَا؟ قَالَ: عُنْقَانِ مِنْ نَارٍ، يَخْرُجَانِ مِنْ ظَهْرِ الْكُوفَةِ، يَأْتِي أَحَدُهُمَا عَلَى تَمِيمٍ وَبَكْرٍ وَإِثْلٍ، فَقَلَّمَا يَفْلُتُ مِنْهُ أَحَدٌ، وَيَأْتِي الْعُنُقَ الْآخَرَ، فَيَأْخُذُ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ مِنَ الْكُوفَةِ، فَقَلَّمَا يَصِيبُ مِنْهُمْ، إِنَّمَا يَدْخُلُ الدَّارَ فَيَحْرِقُ الْبَيْتَ وَالْبَيْتَيْنِ. قَالَ: فَقَالَ قَوْمٌ حَضَرُوا هَذَا الْكَلَامَ: مَا نَرَاهُ إِلَّا كَاهِنًا يَتَحَدَّثُ بِحَدِيثِ الْكُهْنَةِ. فَقَالَ: يَا عَمْرُو، إِنَّكَ لَمَقْتُولٌ بَعْدِي، وَإِنْ رَأْسُكَ لَمَنْقُولٌ، وَهُوَ أَوَّلُ رَأْسٍ يُنْقَلُ فِي الْإِسْلَامِ. وَالْوَيْلُ لِقَاتِلِكَ!

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٢ ص ٢٨٩.

(٢) الإرشاد: للمفيد، ص ١٥٥.

أَمَّا إِنَّكَ لَا تَنْزِلُ بِقَوْمٍ إِلَّا أَسْلَمُواكَ بِرُمَّتِكَ، إِلَّا هَذَا الْحَيَّ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ مِنَ الْأَزْدِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَسْلَمُواكَ وَلَنْ يَخْذُلُوكَ. قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا مَضَتْ الْأَيَّامُ حَتَّى تَنْقُلَ عَمْرِو بْنُ الْحَمَقِ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ فِي بَعْضِ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ، خَائِفًا مَذْعُورًا، حَتَّى نَزَلَ فِي قَوْمِهِ مِنْ بَنِي خَزَاعَةَ، فَأَسْلَمُوهُ، فَقُتِلَ وَحُمِلَ رَأْسُهُ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى مُعَاوِيَةَ بِالشَّامِ. وَهُوَ أَوَّلُ رَأْسٍ حُمِلَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ^(١).

وَمِنْ إِخْبَارِهِ أَيْضًا مَا رَوَاهُ جَرِيرُ بْنُ الْمَغِيرَةِ، قَالَ: لَمَّا وُلِّيَ الْحِجَاجَ طَلَبَ كَمِيلَ بْنَ زِيَادٍ، فَهَرَبَ مِنْهُ، فَحَرَمَ قَوْمَهُ عَطَاءَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى كَمِيلُ ذَلِكَ، قَالَ: أَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ، وَقَدْ نَفَدَ عَمْرِي، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ أَحْرِمَ قَوْمِي عَطَاءَهُمْ، فَخَرَجَ فَدَفَعَ بِيَدِهِ إِلَى الْحِجَاجِ، فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ لَهُ: لَقَدْ كُنْتُ أَحَبُّ أَنْ أَجِدَ عَلَيْكَ سَبِيلًا. فَقَالَ لَهُ كَمِيلُ: لَا تُصَرِّفْ عَلَيَّ أُنْيَابَكَ، وَلَا تَهْدِمْ عَلَيَّ، فَوَاللَّهِ مَا بَقِيَ مِنْ عَمْرِي إِلَّا مِثْلُ كَوَاسِلِ الْغُبَارِ، فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ، فَإِنَّ الْمَوْعِدَ لِلَّهِ، وَبَعْدَ الْقَتْلِ الْحِسَابَ. وَلَقَدْ أَخْبَرَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّكَ قَاتِلِي، قَالَ: فَقَالَ لَهُ الْحِجَاجُ: الْحِجَّةُ عَلَيْكَ إِذْنًا، فَقَالَ لَهُ كَمِيلُ: ذَاكَ إِذَا كَانَ الْقَضَاءُ إِلَيْكَ، قَالَ: بَلَى قَدْ كُنْتُ فِيمَنْ قَتَلَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ، اضْرَبُوا عُنُقَهُ، فَضْرِبْتُ عُنُقَهُ^(٢).

وَمِنْ إِخْبَارِهِ أَيْضًا مَا رَوَاهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَيْمُونٍ الْأَزْدِيُّ عَنْ حَبَّةِ الْعَرْنِيِّ، قَالَ: كَانَ جَوِيرِيَّةُ بْنُ مَسْهَرِ الْعَبْدِيِّ صَالِحًا، وَكَانَ لَعْلِي بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَدِيقًا، وَكَانَ عَلِيٌّ يَحِبُّهُ، وَنَظَرَ يَوْمًا إِلَيْهِ وَهُوَ يَسِيرُ، فَنَادَاهُ يَا جَوِيرِيَّةُ الْحَقُّ بِي، فَإِنِّي إِذَا رَأَيْتَكَ هَوَيْتُكَ، قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبَانَ: فَحَدَّثَنِي الصَّبَّاحُ، عَنْ مُسْلِمٍ، عَنْ حَبَّةِ الْعَرْنِيِّ، قَالَ: سَرْنَا مَعَ عَلِيٍّ عليه السلام يَوْمًا، فَالْتَفَتَ إِذَا جَوِيرِيَّةُ خَلْفَهُ بَعِيدًا، فَنَادَاهُ يَا جَوِيرِيَّةُ، الْحَقُّ بِي، لَا أَبَالِكَ! أَلَا تَعْلَمُ أَنِّي أَهْوَاكَ وَأَحْبُكَ! قَالَ: فَرَكِضْ نَحْوَهُ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ بِأُمُورٍ فَاحْفَظْهَا، ثُمَّ اشْتَرَكَا فِي الْحَدِيثِ

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٢ ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

(٢) الإرشاد: للمفيد، ص ١٥٥.

سِرّاً، فقال له جويرية: يا أمير المؤمنين، إني رجلٌ نسي، فقال له: إني أعيدُ عليك الحديث لتحفظه، ثم قال له في آخر حديثه إياه: يا جويرة أحب حبيبنا ما أحبنا، فإذا أبغضنا فأبغضه، وأبغض أبغضنا ما أبغضنا، فإذا أحبنا فأحبّه.

قال: فكان ناسٌ ممن يشكّ في أمر علي عليه السلام يقولون: أترأه جعلَ جويرية وصيةً كما يدّعي هو من وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: يقولون ذلك لشدة اختصاصه له، حتى دخل على علي عليه السلام يوماً، وهو مضطجع، وعنده قومٌ من أصحابه، فناداه جويرية: أيها النائم، استيقظ، فلتضربنّ على رأسك ضربة تخضب منها لحيتك، قال: فتبسّم أمير المؤمنين عليه السلام، قال: وأحدثك يا جويرية بأمرِك؟ أمّا والذي نفسي بيده لتعتلنّ إلى العتلّ الزنيم، فليقطعنّ يدك ورجلك، وليصلبنك تحت جذع كافر. قال: فوالله ما مضت الأيام على ذلك حتى أخذ زياد جويرية، فقطع يده ورجله وصلبه إلى جانب جذع ابن مكعب، وكان جذعاً طويلاً، فصلبه على جذع قصير إلى جانبه^(١).

ومن إخباره أيضاً ما رواه إبراهيم في كتاب (الغارات) عن أحمد بن الحسن الميثمي، قال: كان ميثم الثمار مولى علي بن أبي طالب عليه السلام عبداً لامرأة من بني أسد، فاشتراه علي عليه السلام منها وأعتقه، وقال له: ما إسمك؟ فقال: سالم، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني أن إسمك الذي سمّاك به أبوك في العجم «ميثم». فقال: صدق الله ورسوله، وصدقت يا أمير المؤمنين. فهو والله إسمي. قال: فارجع إلى إسمك، ودع سالمًا، فنحن نكنّيك به، فكنّاه أبا سالم. قال: وقد كان أطلعه علي عليه السلام على علم كثير، وأسرار خفية من أسرار الوصية. فكان ميثم يحدث ببعض ذلك، فيشكّ فيه قومٌ من أهل الكوفة، وينسبون علياً عليه السلام في ذلك إلى المخرفة والإيهام والتدليس، حتى قال له يوماً بمحضير من خلق كثير من أصحابه، وفيهم الشاك

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٢ ص ١٩٠ - ١٩١، وذكر في الإرشاد للمفيد بإيجاز أكثر.

والمخلص: يا ميثم، إنك تؤخذ بعدي وتُصلب، فإذا كان اليوم الثاني ابتدر منخراك وفمك دماً، حتى تخضب لحيتك، فإذا كان اليوم الثالث طُعنَتْ بحربة يُقضى عليك، فانتظر ذلك. والموضع الذي تصلب فيه على باب دار عمرو بن حريث، إنك لعاشر عشرة أنت أقصرهم خشبةً، وأقربهم من المطهرة - يعني الأرض - ولأرينك النخلة التي تصلب على جزعها، ثم أراه إياها بعد ذلك بيومين. وكان ميثم يأتياها، فيصلّي عندها، ويقول: بوركيت من نخلة، لك خلقت، ولي نبت، فلم يزل يتعاهدا بعد قتل علي عليه السلام حتى قطعت، فكان يرصد جذعها، ويتعاهد به ويتردد إليه، ويبصره، وكان يلقي عمرو بن حريث، فيقول له: إني مجاورك فأحسّن جوارِي، فلا يعلم عمرو ما يريد، فيقول له: أتريد أن تشتري دار ابن مسعود، أم دار ابن حكيم؟

قال: وحجّ في السنة التي قُتل فيها، فدخل على أم سلمة رضي الله عنها، فقالت له: من أنت؟ قال: عراقي، فاستنسبته، فذكر لها أنه مولى علي بن أبي طالب. فقالت: أنت هيثم، قال: بل أنا ميثم، فقالت: سبحان الله! واللّه لربما سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي بك علياً في جوف الليل، فسألها عن الحسين بن علي، فقالت: هو في حائط له. قال: أخبريه أنني قد أحببت السلام عليه، ونحن ملتقون عند رب العالمين، إن شاء الله، ولا أقدر اليوم على لقائه، وأريد الرجوع، فدعت بطيب، فطيّت لحيته، فقال لها: أما إنها ستخضب بدم، فقالت: من أنباك هذا؟ قال: أنبأني سيدي. فبكت أم سلمة، وقالت له: إنه ليس سيّدك وحدك، وهو سيدي وسيّد المرسلين، ثم ودّعته.

فقدم الكوفة، فأخذ وأدخل على عبيد الله بن زياد. وقيل له: هذا كان من أثر الناس عند أبي تراب، قال: ويحكم هذا الأعجمي؟! قالوا: نعم، فقال له عبيد الله: أين ربك؟ قال: بالمرصاد، قال: قد بلغني اختصاص أبي تراب لك. قال: قد كان بعض ذلك، فما تريد؟ قال: وإنه ليقال أنه قد أخبرك

بما سيلقاك، قال: أخبرني أنك تصلبني عاشرَ عشرة وأنا أقصرهم خشبةً، وأقربهم من المطهرة. قال: لأخالفنه، قال: ويحك! كيف تخالفه؟ إنما أخبر عن رسول الله ﷺ، وأخبر رسول الله عن جبرائيل، وأخبر جبرائيل عن الله، فكيف تخالف هؤلاء؟ أما والله لقد عرفتُ الموضع الذي أُصلب فيه أين هو من الكوفة؟ وإنني لأول خلق الله ألجم في الإسلام بلجامٍ كما يلجم الخيل. فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيد الثقفي، فقال ميثم للمختار، وهما في حبس ابن زياد: إنك تفلت وتخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام، فتقتل هذا الجبار الذي نحن في سجنه، وتطأ بقدمك هذا على جبهته وخدييه. فلما دعا عبيد الله بن زياد بالمختار ليقتله طلع البريد بكتاب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد يأمره بتخليه سبيله، وذاك أن أخته كانت تحت عبد الله بن عمر بن الخطاب، فسألت بعلمها أن يشفع فيه إلى يزيد، فشفع، فأمضى شفاعته، وكتب بتخليه سبيل المختار على البريد، فوافى البريد، وقد أخرج ليضرب عنقه، فأطلق. وأما ميثم فأخرج بعده ليُصلب. وقال عبيد الله: لأمضين حكم أبي تراب فيه. فلقية رجلاً، فقال له: ما كان أغناك عن هذا يا ميثم! فتبسم، وقال: لها خلقتُ ولي غديتُ، فلما رُفِعَ على الخشبة اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث، فقال عمرو: لقد كان يقول لي: إنني مجاورك، فكان يأمر جاريته كلَّ عشية أن تكس تحت خشبته وترشه، وتجمر بالمجرة تحته. فجعل ميثم يحدث بفضائل بني هاشم، ومخازي بني أمية، وهو مصلوبٌ على الخشبة، فقليل لابن زياد: قد فضحككم هذا العبد. فقال: أجموه، فألجم، فكان أول خلق الله ألجم في الإسلام. فلما كان في اليوم الثاني فاضت منخراه وفمه دماً، فلما كان في اليوم الثالث طعن بحربة فمات.

وكان قتل ميثم قبل قدوم الحسين عليه السلام العراق بعشرة أيام^(١).

ومن إخباره أيضاً عليه السلام، ما ذكره إبراهيم بن العباس النهدي، قال:

(١) الإرشاد: للمفيد، ص ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤، وشرح النهج، ج ٢ ص ٢٩١ حتى ٢٩٤.

حدَّثني مبارك البجلي، عن أبي بكر بن عيَّاش، قال: حدَّثني المجالد عن الشعبي، عن زياد بن النضر الحارثي، قال: كنتُ عند زياد، وقد أتى برشيد الهجري، وكان من خواص أصحاب علي عليه السلام، فقال له زياد: ما قال خليلُكَ لك أنا فاعلون بك؟ قال: تقطعون يديَّ ورجليَّ، وتصلبونني. فقال زياد: أما والله لا أكذبُ حديثه. خلّوا سبيلَه، فلمّا أراد أن يخرج قال: ردّوه، لا نجدُ شيئاً أصلحَ ممّا قال لك صاحبُكَ، إنك لا تزال تبغي لنا سوءاً إن بقيت، اقطعوا يديه ورجليه، فقطعوا يديه ورجليه وهو يتكلّم، فقال: اصلبوه خنقاً في عنقه، فقال رشيدٌ: قد بقي لي عندكم شيءٌ ما أراكم فعلتموه، فقال زياد: اقطعوا لسانه، فلمّا أخرجوا لسانه ليُقطع قال: نفّسوا عني أتكلّم كلمةً واحدةً، فنفّسوا عنه، فقال: هذا والله تصديق خبر أمير المؤمنين، أخبرني بقطع لساني، فقطعوا لسانه وصلبوه^(١).

ومن إخباره أيضاً عليه السلام ما رواه أبو داود الطيالسي، عن سليمان بن رزيق، عن عبد العزيز بن صهيب، قال: حدَّثني أبي العالية، قال: حدَّثني زرعة صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: ليقبلن جيشٌ حتّى إذا كانوا بالبيداء خُسِفَ بهم. قال أبو العالية: فقلتُ له: إنك لتحدّثني بالغيب! احفظ ما أقوله لك، فإنما حدَّثني به الثقة علي بن أبي طالب. وحدَّثني أيضاً شيئاً آخر: رجل فليقتلن وليصلبن وليصلبن بين شرفتين من شرف المسجد، فقلتُ له: إنك لتحدّثني بالغيب! قال أبو العالية: فوالله ما أتت علينا جمعة، حتّى أخذ مزرع، فقتل وصلب بين شرفتين من شرف المسجد^(٢).

ومن إخباره أيضاً عليه السلام ما رواه محمد بن موسى العنزي، قال: كان مالك بن ضمرة الرّؤاسي من أصحاب علي عليه السلام، وممن استبطن من جهته علماً كثيراً، وكان أيضاً قد صحب أبا ذرٍّ، فأخذ من علمه، وكان يقول في أيام بني أمية: اللهم لا تجعلني أشقى الثلاثة، فيقال له: وما الثلاثة؟ فيقول: رجلٌ

(١) الإرشاد: للمفيد، ص ١٥٤، وشرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٢ ص ٢٩٤.

(٢) الإرشاد: للمفيد، ص ١٥٤، وشرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٢ ص ٢٩٤.

يُرْمَى من فوق طمار، ورجلٌ تقطعُ يداه ورجلاه ولسانه ويُصْلَب، ورجلٌ يموت على فراشه. فكان من الناس من يهزأ به، ويقول: هذا من أكاذيب أبي تراب.

قال: وكان الذي رُمِيَ من طمارها هانيء بن عروة، والذي قُطِعَ وصُلِبَ رشيد الهجري، ومات مالك على فراشه^(١).

ومن إخباره بالغيب عليه السلام، ما رواه أبو الفرج الأصبهاني في كتاب (مقاتل الطالبين) قال: حدّثني محمد بن الحسين الأشناندي، قال: حدّثني إسماعيل بن موسى، قال: حدّثنا علي بن مسهر عن الأجلح، عن موسى بن أبي النعمان، قال: جاء الأشعثُ إلى علي يستأذن عليه، فردّه قنبر، فأدّى الأشعثُ أنفه، فخرج علي وهو يقول: ما لي ولك يا أشعث! أما والله لو بعد ثقيفٍ تمرّست لا قشعرْتُ شعيرتك! قيل: يا أمير المؤمنين، ومن عبد ثقيف؟ قال: غلامٌ لهم لا يبقى أهل بيتٍ من العرب إلّا أدخلهم ذلاً، قيل: يا أمير المؤمنين: كم يلي - أو كم يمكث؟ قال: عشرين إن بلغها^(٢).

ومن إخباره أيضاً عليه السلام ما أشار في خطبة له إلى عبد الملك بن مروان، وظهور الدولة العباسية.

فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة إن الذي أنبئكم به عن النبي الأمي عليه السلام والله ما كذب المبلّغ، ولا جهل السامع، لكأنني أنظرُ إلى ضليلٍ قد نعق بالشّام، وفحص براياته في ضواحي كوفان... إلخ. فهذا الضليل هو عبد الملك.

ومن إخباره أيضاً عليه السلام قوله لبني أمية: فأقسم ثم أقسم لتخمنها أمية من بعدي كما تُلَفِّظُ النخامة. ثم لا تذوقها وتطعم بطعمها أبداً ما كرّ الجديدان.

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٢ ص ٢٩٥.

(٢) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٢ ص ٢٩٥.

وكذلك أشار في خطبة أخرى إلى أن مُلْك بني أمية سينتزع منهم،
بِقَوْلِهِ ﷺ: «وهو الله الَّذِي لَا يَعْجُزُهُ مِنْ طَلَبٍ، وَلَا يَفُوتُهُ مِنْ هَرْبٍ. فَأَقْسِمُ
بِاللَّهِ، يَا بَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ، وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ».
وَفِعْلًا وَقَعَ الْأَمْرُ كَمَا أَخْبَرَ ﷺ.

وَمِنْ إِخْبَارِهِ أَيْضًا ﷺ قَوْلُهُ لِمُرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِالْبَصْرَةِ: قَالُوا: أُخِذَ
مُرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ أَسِيرًا يَوْمَ الْجَمَلِ، فَاسْتَشْفَعَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ﷺ إِلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَلَّمَاهُ فِيهِ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَقَالَا لَهُ: يَبَايِعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟
قَالَ: «أَوْ لَمْ يَبَايِعْنِي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ! لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ. إِنَّهَا كَفُّ يَهُودِيَّةٍ،
لَوْ بَايَعْنِي بِيَدِهِ لَغَدَرَ بِسَبِّتِهِ أَمَّا وَأَنْ لَهُ أَمْرَةً كَلْعَقَةُ الْكَلْبِ أَنْفَهُ، وَهُوَ أَبُو الْأَكْبَشِ
الْأَرْبَعَةِ. وَسَتَلْقَى الْأُمَّةَ مِنْهُ وَمَنْ وَلَدِهِ يَوْمًا أَحْمَرًا».

فَمُرْوَانُ كَانَتْ مَدَّةُ خِلَافَتِهِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، وَالْأَكْبَشُ الْأَرْبَعَةُ الْوَلِيدُ وَسَلِيمَانُ
وَيَزِيدُ وَهْشَامُ، وَهُمْ أَخَوَةٌ. وَكُلٌّ مَا أَخْبَرَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ فِي هَذَا الْكَلَامِ
وَقَعَ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «وَيَحْمِلُ رَايَةَ ضَلَالَةٍ بَعْدَمَا يَشِيبُ صَدْغَاهُ».
وَفِعْلًا وَلِيَ الْخِلَافَةَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسَةٍ وَسِتِينَ فِي أَعْدِلِ الرَّوَايَاتِ^(١).

(١) وَمُرْوَانُ أَبُوهُ الْحَكَمُ نَفَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَسَبَبَ نَفْيِهِ كَانَ يَتَجَبَّلُ وَيَسْتَخْفِي وَيَسْمَعُ
مَا يَسْرُهُ الرَّسُولُ وَيَفْشِيهِ هُوَ. وَقِيلَ: كَانَ يَتَجَسَّسُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ وَهُوَ عِنْدَ
نِسَائِهِ، وَيَسْتَرْقِ السَّمْعَ، وَيَصْغِي إِلَى مَا يَجْرِي هُنَاكَ مِمَّا لَا يَجُوزُ الْإِطْلَاعُ عَلَيْهِ.
وَقِيلَ: كَانَ يَحْكِيهِ فِي مَشْيَتِهِ وَبَعْضَ حَرَكَاتِهِ. فَكَانَ إِذَا مَشَى النَّبِيُّ ﷺ يَتَكَفَّأُ وَكَانَ
الْحَكَمُ يَحْكِيهِ. فَالْتَفَتَ الرَّسُولُ يَوْمًا فَرَأَاهُ يَمْشِي خَلْفَهُ يَحْكِيهِ فِي مَشْيَتِهِ، فَقَالَ لَهُ:
كَذَلِكَ فَلْتَكُنْ يَا حَكَمُ. فَكَانَ الْحَكَمُ مَخْتَلِجًا يَرْتَعِشُ مِنْ يَوْمئِذٍ. فَذَكَرَ ذَلِكَ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حُسَّانَ بْنُ ثَابِتٍ: «إِنَّ اللَّعِينَ أَبَاكَ فَارْمِ عِظَامَهُ - إِنَّ تَرْمِ تَرْمِ مَخْتَلِجًا
مَجْنُونًا». قَالَ صَاحِبُ (الاسْتِيعَابِ): أَمَّا قَوْلُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: «إِنَّ اللَّعِينَ أَبَاكَ» فَلِإِنَّهُ
رَوَى عَنْ عَائِشَةَ مِنْ طَرَفٍ ذَكَرَهَا ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ وَغَيْرُهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِمُرْوَانَ: إِذْ قَالَ فِي
أَخِيهَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّهُ أَنْزَلَ فِيهِ: «وَالَّذِي قَالَ لَوَالِدِيهِ أَفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ
خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ بَعْدِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ: مَا هَذَا
إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ». أَمَّا أَنْتَ يَا مُرْوَانَ فَاشْهَدْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَعَنَ أَبَاكَ وَأَنْتَ فِي
صَلْبِهِ. رَاجِعِ الْاسْتِيعَابَ وَابْنِ الْأَثِيرِ فِي النَّهْائَةِ وَابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ فِي شَرْحِ النَّهْجِ،
ج ٦ ص ١٤٨ حَتَّى ١٥٠.

ومن إخباره أيضاً عليه السلام قوله لمروان بن الحكم يوم الجمل ، وقد بايعه :
خفت يابن الحكم أن ترى رأسك في هذه البقعة ؟ كلاً !! لا يكون ذلك حتى
يكون من صلبك طواغيت هذه الأمة ^(١) .

ومن إخباره أيضاً عليه السلام قوله في خطبة التطنجية : « ولقد علمت ما فوق
الفردوس الأعلى ، وما تحت الأرض السابعة السفلى ، وما بينهما وما تحت
الثرى . كل ذلك علم إحاطة لا علم إخبار . ولو شئتم لأخبرتكم بأبائكم أين
كانوا ؟ وأين صاروا اليوم ، وما صاروا إليه ، فكم من أكل منكم لحم أخيه ،
وشارب برأس أبيه ، وهو يشتاقه ويرتجيه . وأيم الله ، لقد كررتكم كراتٍ وكم من
كرة وكرة من آية وآيات » ^(٢) .

ومن إخباره بالغيب أيضاً عليه السلام قوله : « أمّا إنه سيظهر عليكم بعدي رجلٌ
رحب البلعوم ، مندحق البطن (بارزها) ، يأكل ما يجد ، ويطلب ما لا يجد ،
فاقتلوه ، ولن تقتلوه . ألا إنه سيأمركم بسبي والبراءة مني . فأما السب فسبوني ،
فإنه لي زكاة ولكم نجاة ، وأمّا البراءة فلا تبرؤوا مني ، فإنني ولدتُ على
الفطرة ، وسبقتُ إلى الإيمان والهجرة » ^(٣) .

ومن إخباره بالغيب عليه السلام ما رواه الحارث الهمداني ، قال : كنا بحضرة
أمير المؤمنين عليه السلام فقال للوشاء : ادن مني ، فدنا منه ، فقال : إمض إلى

(١) مشارق أنوار اليقين : للبرسي ، ص ٩١ .

(٢) نفس المصدر : للبرسي .

(٣) المقصود هنا بهذا الرجل معاوية ، والبعض قالوا : زياد ، والبعض قالوا : الحجاج .
ومنهم من قال : المغيرة بن شعبة . والأصح - كما يرى ابن أبي الحديد - معاوية ، لأنه
كان موصوفاً بالنهم وكثرة الأكل ، وكان بطيئاً ، وكان يأكل فيكثر ، ثم يقول : ارفعوا ،
فوالله ما شبعت ولكن مللت وتعبت . تضافرت الأخبار أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دعا على
معاوية ، لما بعث إليه يستدعيه ، فوجده يأكل ، ثم بعث إليه فوجده يأكل ، فقال : اللهم
لا تشبع بطنه . وقال الشاعر : وصاحب لي بطنه كالهواية كأن في أحشائه ومن أراد
المزيد فليراجع شرح النهج لابن أبي الحديد ، ج ٤ ص ٥٤ - ٥٥ .

محلَّتكم تجد رجلاً وامرأة على باب المسجد يتنازعان، فأتني بها، فمضى فوجدهما يتخاصمان. فقلت: إن أمير المؤمنين يدعوكما فحضرا. فقال: يا فتى ما شأنك وهذه المرأة؟ قال: عقدت وأمهرت وزففت وملكيت، وكلما قربت منها رأيت الدَّم، وقد حرت في أمري. فقال: هي عليك حرام وليست لك بأهل، والتفت إلى المرأة وقال ﷺ: هل تعرفيني؟ قالت: أسمعُ بذكرك ولم أرك قبل اليوم. فقال: أنتِ فلانة بنت فلانة من آل فلان!! قالت: بلى، قال: ألم تتزوجي بفلان بن فلان سراً عن أهلي، فحملت منه ووضعت ذكراً سوياً، ثم خشيت الفضيحة، فخرجت ليلاً حتى وصلت إلى موضع خال فوضعتَه إلى الأرض، ثم وقفت فخفت عليه، ثم عُدت، فأخذته، ثم طرحته ثانياً، فبكى، فخشيت الفضيحة، ثم نبحتك الكلاب، فهرولت، فانفرد كلب وجاء لوليدك، وشمه ثم نهشه، فرميت الكلب حجراً إشفاقاً، فجاء بولدك، فصاح، ثم خشيت أن يدركك الصُّباح فوليت منصرفَةً، وفي قلبك ما فيه من البلابل. فرفعت يديك إلى السَّمَاءِ وقلت: اللهم احفظه يا حافظ الودائع! قالت: بلى، والله قد كان ذلك كله وقد تحيرت في قولك! فقال ﷺ: للفتى: اكشِفْ عن جبينك، فكشَفَ، فقال للمرأة: هذه هي الشَّجَّة في قرن ولديك، وهذا الولد ولدك، والله تعالى منعه من وطنك بالآية التي صدَّته عنك، والله قد حفظه لك كما سألتِه، فاشكري الله على ما أولاك وحباك.

ومن إخباره بالغيب أيضاً ﷺ ما رواه المدائني في كتاب (الخوارج) قال: لما خرج عليّ ﷺ إلى أهل النهر أقبل رجل من أصحابه ممَّنْ كان على مقدِّمته يركض، حتى انتهى إلى عليّ ﷺ، فقال: البشري يا أمير المؤمنين، قال: ما بشراك؟ قال: إن القوم عبروا النهر لما بلغهم وصولك، فأبشروا، فقد منحك الله أكتافهم، فقال له: آله أنت رأيتهم قد عبروا! قال: نعم، فأحلفه ثلاث مرَّات، في كلِّها يقول: نعم، فقال عليّ ﷺ: واللَّهِ ما عبروه ولن يعبروه، وإن مصارعهم لدون النُّطفة، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لن يبلغوا إلا ثلاث ولا قَصْرَ بوازن، حتى يقتلهم الله وقد خاب من افتري. قال: ثم أقبل فارس آخر يركض، فقال كقول الأول، فلم يكثرث عليّ

عليه السلام بقوله: وجاءت الفرسان تركض كلها تقول مثل ذلك. فقام علي عليه السلام فجال في متن فرسه. قال: فيقول شاب من الناس^(١): واللّه لأكونن قريباً منه، فإن كانوا عبروا النهر لأجعلن سنان هذا الرمح في عينه، أيدعي علم الغيب؟! فلما انتهى من النهر وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم، وحكموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل. فنزل ذلك الشاب، فقال: يا أمير المؤمنين إني كنت شككت فيك أنفاً، وإني تائب إلى الله وإليك، فاغفر لي. فقال علي عليه السلام: إن الله هو الذي يغفر الذنوب فاستغفره^(٢).

وذكر أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد في (الكامل) قال: لما واقفهم علي عليه السلام بالنهروان، قال: لا تبدؤوهم بقتال حتى يبدؤوكم، فحمل منهم رجل على صف علي عليه السلام فقتل منهم ثلاثة، ثم قال:

أقتلهم ولا أرى علياً ولو بدا أوجرته الخطيأ

فخرج إليه علي عليه السلام فضربه، فقتله، فلما خالطه السيف قال: يا حبذا الرّوحة إلى الجنّة! فقال عبدالله بن وهب: واللّه ما أدري إلى الجنّة أم إلى النار؟ فقال رجل منهم من بني سعد: إنما حضرت اغتراراً بهذا الرجل - يعني عبدالله - وأراه قد شكّ واعتزل عن الحرب بجماعة من الناس، ومال ألف منهم إلى جهة أبي أيوب الأنصاري، وكان على ميمنة علي عليه السلام، فقال علي

(١) صاحب كتاب (الإرشاد) يسمي هذا الشاب بأنه جندب بن عبدالله الأزدي ويسرد الخبر بنفس المعنى، ولكن هذا الشاب - بعد أن كذب أمير المؤمنين المخبرين - قال في نفسه: الحمد لله الذي بصّرني هذا الرجل وعرفني أمره، هذا أحد رجلين: إمّا رجل كذاب جريء أو علي بينة من ربه، وعهد من نبيه. اللهم إني أعطيك عهداً تسئلني عنه يوم القيامة إن أنا وجدت القوم قد عبروا أن أكون أول من يقاتله، وأول من يطعن بالرمح في عينه، وإن كان القوم لم يعبروا أن أقيم على المناجزة والقتال، فدفعنا إلى الصفوف فوجدنا الرايات والأثقال كما هي. قال: فأخذ بقفائي ودفعني، ثم قال: يا أخا الأزدي تبين لك الأمر؟ قلت: أجل يا أمير المؤمنين. الخ.

(٢) شرح النهج، ج ٢ ص ٢٧١ - ٢٧٢.

عليه السلام لأصحابه: احمّلوا عليهم، فوالله لا يُقتل منكم عشرة، ولا يسلم منهم عشرة. فحمل عليهم فطحنهم طحنًا. قُتِلَ من أصحابه عليه السلام تسعة، وأفلت من الخوارج ثمانية^(١).

وروى العوام بن حوشب عن أبيه عن جده يزيد بن رويم، قال: قال علي عليه السلام: نقتل اليوم أربعة آلاف من الخوارج، أحدهم ذو الثدية، فلما طُحِنَ القومُ ورام استخراج ذي الثدية، فاتبعه، فأمرني أن أقطع له أربعة آلاف قصبة، وركب بغلة رسول الله ﷺ، وقال: اطرّحْ على كل قتيْلٍ منهم قصبةً، فلم أزل كذلك وأنا بين يديه، وهو راكبٌ خلفي، والنّجاس يتبعونه حتّى بقيت في يدي واحدة، فنظرتُ إليه وإذا وجهه آرَبَدٌ، وإذا هو يقول: والله ما كذبتُ ولا كُذِّبتُ، فإذا خرير ماءٍ عند موضع دالية. فقال: فَنَشْ هذا، ففتشته، فإذا قتيْلٌ قد صار في الماء، وإذا رجله في يدي، فجذبتها، وقلت: هذه رجل إنسان، فنزل عن البغلة مسرعًا، فجذب الرجل الأخرى، وجررناه حتّى صار على التراب، فإذا هو المخذج. فكبر علي عليه السلام بأعلى صوته، ثم سجد، وكبر الناس كلهم^(٢).

وسبب تكبير علي وسجوده، أن النبي ﷺ قال: «ذو الثدية شرّ الخلق والبرية يقتله خير الخلق والبرية». ففي مسند أحمد بن حنبل، عن مسروق، قال: قالت لي عائشة: إنك من ولدي ومن أحبهم إليّ، فهل عندك علمٌ من المخدج؟^(٣) فقلت: نعم، قتله علي بن أبي طالب على نهر يقال لأعلاه تامرًا، ولأسفله النهروان. قالت: أبغني على ذلك بيّنة! فأقمت رجالاً شهدوا عندها بذلك، قال: فقلتُ لها: سألتك بصاحب القبر ما الذي سمعت من رسول الله ﷺ فيهم؟ فقالت: نعم، سمعته يقول: إنهم شرّ الخلق والخلقة، يقتلهم خير الخلق والخلقة، وأقربهم عند الله وسيلة.

(١) الكامل: للمبرد وشرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٣ ص ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢ ص ٢٧٧.

(٣) المخدج اليد إحدى يديه كأنها ثدي امرأة.

وفي كتاب (صفين) للمدائني عن مسروق أن عائشة قالت له لما عرفت أن علياً قتل ذا الشدية: لعن الله عمرو بن العاص! فإنه كتب إليّ يخبرني أنه قتله بالإسكندرية، ألا إنه ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسول الله ﷺ يقول: «يقتله خير أمّي من بعدي».

ومن إخباره أيضاً ﷺ لما قتل الخوارج قيل له: يا أمير المؤمنين، هلك القوم بأجمعهم، فقال: كلاً. والله إنهم نطفٌ في أصلاب الرجال وقرارات النساء، كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصاً سلابين^(١).

ومن إخباره أيضاً ﷺ ما رواه قيس بن الربيع، عن يحيى بن هانئ المرادي، عن رجل من قومه، يقال له زياد بن فلان، قال: كنا في بيت مع علي ﷺ نحن وشيعته وخواصه، فالتفت فلم ينكر منا أحداً، فقال: إن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم فيقطعون أيديكم، ويسملون أعينكم. فقال رجلٌ منا: وأنت حيّ يا أمير المؤمنين؟ قال: أعاذني الله من ذلك. فالتفت فإذا واحدٌ يبكي، فقال له: يا ابن الحمقاء، أتريد اللذات في الدنيا، والدُّرجات في الآخرة؟! إنما وعد الله الصابرين^(٢).

ومن إخباره أيضاً ﷺ ما رواه أبو مخنف عن الكلبي، عن أبي صالح، عن زيد بن علي، عن ابن عباس، قال: لما نزلنا مع علي ﷺ ذا قار، قلت: يا أمير المؤمنين، ما أقل من يأتيك من أهل الكوفة فيما أظن! فقال: والله ليأتيني منهم ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلاً، لا يزيدون ولا ينقصون.

قال ابن عباس: فدخلني والله من ذلك شكٌ شديد في قوله، وقلت في نفسي، والله إن قدموا لأعدّتهم.

(١) نهج البلاغة، ج ١ ص ١١٦ - ١١٧ ورواية سليم بن قيس.
(٢) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٤ ص ١٠٩ ط دار إحياء الكتب العربية.

قال أبو مخنف: فحدث ابن إسحق عن عمه عبد الرحمن بن يسار، قال: نفر إلى علي عليه السلام إلى ذي قار من الكوفة في البر والبحر ستة آلاف وخمسمائة وستون رجلاً. أقام علي بذئ قار خمسة عشر يوماً حتى سمع صهيل الخيل وشحيح البغال حوله. قال: فلما سار بهم منقلة^(١). قال ابن عباس: والله لأعدنهم، فإن كانوا كما قال: وإلا أتممتهم من غيرهم، فإن الناس قد كانوا سمعوا قوله. قال: فعرضتهم، فوالله ما وجدتهم يزيدون رجلاً، ولا ينقصون رجلاً. فقلت: الله أكبر! صدق الله ورسوله، ثم سرنا^(٢).

ومن إخباره بالغيب أيضاً عليه السلام ما ذكره في خطبة له يعرض فيها بالحجاج، ويكنيه أبا وذحة منها: «أما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذئال الميال، يأكل خضرتكم، ويذيب شحمتكم، إيه أبا وذحة»^(٣).

وذلك أن الحجاج رأى خنفساء تدب على مصلاه، فطردها فعادت، ثم طردها فعادت، فأخذها بيده، وحذف بها، فقرصته قرصاً ورمت يده منه ورماً كان فيه حتفه، قالوا: وذلك لأن الله تعالى قتله بأهون مخلوقاته، كالنمرود.

وقيل: إن الحجاج كان إذا رأى خنفساء تدب قريبة منه، يأمر غلمانه بإبعادها، ويقول: هذه وذحة من وذح الشيطان، تشبهاً لها بالبصرة. وقيل: كان الحجاج مثفاراً^(٤)، وكان يمسك الخنفساء حيةً ليشفي بحركتها في موضع حكاكه. قالوا: ولا يكون صاحب هذا الداء إلا شائناً مبغضاً لأهل البيت. قالوا؛ ولسنا نقول: كل مبغض فيه هذا الداء، وإنما قلنا: كل من فيه هذا الداء فهو مبغض^(٥).

(١) المنقلة: مرحلة السفر.

(٢) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٢ ص ١٨٧.

(٣) الودحة: الخنفساء.

(٤) رجل مثفار: نعت سوء.

(٥) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٧ ص ٢٧٧ - ٢٧٩.

ومن إخباره أيضاً عليه السلام نعيه نفسه، وعلمه بقتله قبل حدوثه، وذلك ما أخبر به علي بن المنذر الطريقي، عن أبي الفضل العبدي، عن فطر، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه قال: جمع أمير المؤمنين عليه السلام الناس للبيعة فجاء عبد الرحمن بن ملجم المرادي، فردّه مرتين أو ثلاثاً، ثم بايعه. فقال له عند بيعته له: ما يحبس أشقاها، فوالذي نفسي بيده لتخضبنّ هذه من هذا، ووضع يده على لحيته ورأسه. فلما أدبر ابن ملجم منصرفاً عنه، قال عليه السلام: متمثلاً:

أشدُّ حيازيمَك للموتِ فإن الموتَ لا قِيكَ
ولا تجزع من الموتِ إذا حلَّ بواديك

وروى جعفر بن سليمان الضبعي، عن المعلّى بن زياد، قال: جاء عبد الرحمن بن ملجم، فعل الله به ما شاء، إلى أمير المؤمنين عليه السلام ليستحمّله، فقال: يا أمير المؤمنين احملني، فنظر إليه أمير المؤمنين عليه السلام، ثم قال له: أنت عبد الرحمن بن ملجم المرادي؟ قال: نعم، ثم قال: أنت عبد الرحمن بن ملجم المرادي؟ قال: نعم، قال: يا غزوان، احمله على الأشقر، فجاء بفرسٍ أشقر، فركبه ابن ملجم، وأخذ بعنائه، فلما ولى، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

أريدُ حباءه ويريد قتلي عذيرَكَ من خليلِكَ من مرادٍ

قال: فلما كان من أمره ما كان، وضرب أمير المؤمنين عليه السلام، قُبُضَ عليه، وقد خرج من المسجد، فجيء به إلى أمير المؤمنين، فقال له: فوالله لقد كنتُ أصنع بك ما أصنع، وأنا أعلم أنك قاتلي، ولكن كنت أفعل ذلك بك لأستظهر بالله عليك^(١).

وروى عبدالله بن موسى، عن الحسن بن دينار، عن الحسن البصري،

(١) الإرشاد: للمفيد، ص ٦ و ٧.

قال: سهر أمير المؤمنين علي عليه السلام في الليلة التي قُتِلَ في صبيحتها، ولم يخرج إلى المسجد لصلاة الليل على عادته. فقالت له ابنته أم كلثوم رحمته الله عليها: ما هذا الذي أسهرَكَ؟ فقال: إني مقتول لو قد أصبحت، فأتاه ابن النِّبَّاح، فأذنه بالصلاة، فمشى غير بعيد، ثم رجع، فقالت له أم كلثوم: مُرَّ جعدة فليُصَلِّ بالناس. قال: نعم، مروا جعدة ليصلي، ثم قال: لا مفر من الأجل، فخرج إلى المسجد، وإذا هو بالرجل قد سهر ليلته، كلَّها يرصده، فلما برد السحر نام، فحرَّكه أمير المؤمنين عليه السلام برجله، وقال له: الصلاة، فقام إليه فضربه.

وفي حديث آخر، أن أمير المؤمنين عليه السلام قد سهر تلك الليلة، فأكثر الخروج والنظر إلى السماء، وهو يقول: واللَّهِ ما كذبتُ ولا كُذِّبتُ، وإنَّها الليلة التي وُعِدْتُ بها ثم يعاود مضجعه، فلما طلع الفجر شدَّ إزاره، وخرج اشْدُدْ حيازيمَكَ للموت - فإنَّ الموتَ لا قسيكا
ولا تجزع من الموت إذا حلَّ بواديكَا

فلما خرج إلى صحن داره، استقبله الأوز، فصحنَ في وجهه، فجعلوا يضربونهُنَّ، فقال: دعوهُنَّ، فإنَّهنَّ نوائح، ثم خرج، فأصيب عليه السلام (١).

ومن إخباره عليه السلام ما رواه الشيخ رجب البرسي في كتابه (مشارك أنوار اليقين) ص ٩٨ وخلاصته.

يرفع الإسناد إلى الرضا عليه السلام عن آبائه أن يهودياً جاء إلى أبي بكر في ولايته، فقال له: أبي مات وترك كنوزاً لا نعرف أين هي؟ إن أظهرتها فلَكَ ثلث، وللمسلمين ثلث، ولي ثلث، وأدخل في دينك. قال أبو بكر: لا يعلم الغيب إلا الله. فجاء إلى عمر بن الخطاب فوقف منه نفس الموقف، ثم دلَّه على علي عليه السلام، فقال له: رُحْ إلى اليمن، واسأل عن وادي برهوت، بحضرموت، واجلس به إلى غروب الشمس. فسيأتيكَ غرابان سود مناقيرهما،

(١) كتاب الإرشاد: للمفيد، ص ٩ و ١٠.

وهما ينعبان، فاهتف باسم أبيك، وقل له: أنا رسول وصي رسول الله ﷺ إليك كلمني، فإنه يكلمك، واسأله عن الكنوز يدلك. فطبق اليهودي ما قاله أمير المؤمنين، فقال له أبوه: ويحك! ماذا أتى بك إلى هذا الوادي؟ فهو من مواطن أهل النار، فقال: جئت لأسألك عن الكنز، فدله عليه، ثم قال له: ويلك! اتبع دين محمد تسلم، فهو النجاة. وثم انصرف الغرابان، ورجع اليهودي، فوجد كنزاً من ذهب، وكنزاً من فضة، فأقر بعيراً وجاء به إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنت وصي رسول الله وأخوه وأمير المؤمنين حقاً، وهذه الهدية فاصرفها حيث شئت، فإنك وليه في العالمين.

ومن إخباره عليه السلام ما رواه صاحب كتاب (مروج الذهب) بعد ذكر فتحه عليه السلام يوم الجمل، ودخل بيت مال البصرة في جماعة من المهاجرين والأنصار، فنظر إلى ما فيه من العين والورق فجعل يقول: يا بيضاء يا صفراء غري غري!! وأدام النظر إلى المال مفكراً، ثم قال: أقسموه بين أصحابي، ومن معي خمسمائة خمسمائة، ففعلوا، وما نقص درهم واحد، وعدد الرجال اثنا عشر ألفاً... إلخ (١).

ومن إخباره عليه السلام قوله قبل قتاله الفرق الثلاث بعد بيعته: أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. فقاتلهم عليه السلام، وكان الأمر كما خبر.

ومن إخباره عليه السلام قوله في خطبة له: «إنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله، وليس عند أهل ذلك الزمان أبور من الكتاب، إذا تلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا صرف عن مواضعه، ولا في البلاء شيء أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر...».

ومن إخباره عليه السلام ما ذكره صاحب (فرائد السمطين) وفي مناقب

(١) قضاء أمير المؤمنين علي: للشيخ محمد تقي التستري، ص ١٠٣.

الخوارزمي ص ٥٥ أخرج بسندٍ عن أبي البُخْتَرِي قال: رأيت علياً صعد المنبر بالكوفة، وعليه مدرعة كانت لرسول الله ﷺ، متقلداً سيف رسول الله، متعمماً بعمامة رسول الله ﷺ، وفي إصبعه خاتم رسول الله ﷺ، فقعد على المنبر، وكشف عن بطنه، فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنما بين الجوانح مني علمٌ جم، هذا سبط العلم، هذا لعاب رسول الله ﷺ، هذا ما زفني رسول الله زقاً من غير وحي أوجي إلي. فوالله لو ثبتت لي وسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم، ولأهل الإنجيل بإنجيلهم، حتى ينطق التوراة والإنجيل فيقولوا: صدق عليٌ قد أفتاكم بما أنزل فينا وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون. وفي مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ج ١ ص ٤٤ أخرج حديثاً نحوه مع اختلافٍ في بعض كلماته^(١).

ومن إخباره عليه السلام قوله في خطبته، كما أخرجه علي المتقي في تبويب جمع الجوامع (كنز العمال) ج ٦ ص ٤٠٥ من تاريخ بغداد لابن النجار، فإنه أخرج بسنده عن أبي المعتمر مسلم بن أوس، وجارية بن قدامة السعدي أنهما حضرا على بن أبي طالب يخطب، وهو يقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فإني لا أسأل عن شيءٍ دون العرش إلا أخبرت عنه.

ويعلق الشيخ نجم الدين الشريف العسكري على ذلك في كتابه (علي والخلفاء) قائلاً: لا يتخيل أحدٌ أن قوله عليه السلام لا أسأل عن شيءٍ دون العرش إلا أخبرت عنه، معناه أنه عليه السلام لا يعلم عن العرش شيئاً لأنه يمكن أنه عليه السلام كان مأموراً أن لا يخبر عن العرش ولو سُئِلَ عنه^(٢).

ويروي الشيخ القندوزي في ينابيعه ص ٧١ بسنده عن الإصبع بن نباتة، كاتب أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال: أمرنا عليه السلام بالمسير معه إلى المدائن في الكوفة، فسرنا يوم الأحد، فتخلف عمرو بن حريث مع سبعة نفر، فخرجوا

(١) راجع كتاب (علي والخلفاء): لنجم الدين العسكري، ص ١٧ ففيه المزيد من ذلك.

(٢) علي والخلفاء: لنجم الدين العسكري، ص ١٧.

يوم الأحد إلى مكان بالحيرة يُسَمَّى الخورنق. فقالوا: نتنزّه هناك، ثم نخرج يوم الأربعاء، فنلحق عليّاً قبل صلاة الجمعة، فبينما هم يتغذّون إذ خرج عليهم ضُبٌّ، فصادوه، فأخذه عمرو بن حريث في كفّه، فقال لهم: بايعوا لهذا أمير المؤمنين. فبايعه السبعة، وعمرو ثامنهم، وارتحلوا ليلة الأربعاء، فقدموا المدائن يوم الجمعة، وأمير المؤمنين عليه السلام يخطب، وهم نزلوا على المسجد، فنظر إليهم، فقال: أيّها الناس: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسرّ إليّ ألف حديث، في كلّ حديث ألف باب، وفي كلّ باب ألف مفتاح، وإنّي أعلم بهذا العلم. (وأيضاً) سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «قال الله تعالى عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ يُدْعَى كُلُّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾»، وإنّي أقسم لكم بالله ليبعثنّ يوم القيامة ثمانية نفر بإمامهم وهو ضُبٌّ، ولو شئت أسمّيهم»، قال إصبع: لقد رأيت عمرو بن حريث سقط رعباً وخجالة^(١).

ومن إخباره عليه السلام ما رواه الشيخ أبو عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب، قال: حُكي أنّ معاوية بن أبي سفيان قال لجلسائه بعد الحكومة: كيف لنا أن نعلم ما تؤول إليه العاقبة في أمرنا؟ قال جلساؤه: ما نعلم لذلك وجهاً. قال: فأنا أستخرج علم ذلك من علي عليه السلام، فإنّه لا يقول الباطل، فدعا ثلاثة رجال من ثقائه وقال لهم: امضوا حتّى تصيروا جميعاً من الكوفة على مرحلة، ثمّ تواطؤوا على أن تنعوني بالكوفة، وليكن حديثكم واحداً في ذكر العلة واليوم والوقت وموضع القبر، ومن تولّى الصّلاة عليّ وغير ذلك حتّى لا تختلفوا في شيء، ثمّ ليدخل أحدكم فليخبر بوفاتي، ثمّ ليدخل الثاني فيخبر بمثله، ثمّ ليدخل الثالث فيخبر بمثل خبر صاحبه، وانظروا ما يقول علي.

فخرجوا كما أمرهم معاوية، ثم دخل أحدهم وهو راكب مغدّ شاحب^(٢)، فقال له الناس بالكوفة: من أين جئت؟ من الشّام، قالوا له: الخبر، قال: مات معاوية، فأتوا عليّاً عليه السلام فقالوا: رجل راكب من الشّام يخبر

(١) علي والخلفاء: لنجم الدّين أيضاً.

(٢) غدّ في السّير: أسرع، الشّاحب: المتغير اللون.

بموت معاوية، فلم يحفل علي عليه السلام بذلك. ثم جاء آخر من الغد وهو مغدّ، فقال له الناس: ما الخبر؟ فقال: مات معاوية وخبر بمثل ما خبر صاحبه، فأتوا علياً عليه السلام فقالوا: رجل ركب آخر يخبر من موت معاوية بمثل ما خبر صاحبه، ولم يختلف كلامهما، فأمسك علي عليه السلام، ثم دخل الآخر في اليوم الثالث، فقال الناس: ما وراءك؟ قال: مات معاوية، فسألوه عما شاهد؟ فلم يخالف قول صاحبه، فأتوا علياً عليه السلام فقالوا: يا أمير المؤمنين، صبح الخبر، هذا ركب ثالث، قد خبر بمثل ما خبر صاحبه، فلما كثروا عليه قال علي صلوات الله عليه: كلاً أو تخضب هذه من هذه، يعني لحيته، ويتلاعب بها ابن آكلة الأكباد، فرجع الخبر بذلك إلى معاوية.

وذكر صاحب كتاب (كشف الغمة) في كتابه ص ٢٨٥ ما يلي: قال: رأيت له عليه السلام خطبة يذكر فيها واقعة بغداد^(١)، كأنه يشاهدها ويقول فيها: كأي والله أنظر إلى القائم من بني العباس، وهو يُقاد بينهم كما يقاد الجزر إلى الأضحية لا يستطيع دفعاً على نفسه، ويحـه ما أذله فيهم لإطراحه أمر ربه، وإقباله على أمر ديناه.

يقول فيها: والله لو شئت لأخبرتكم بأسمائهم وكناهم وحلامهم ومواقع قتلهم ومساقط رؤوسهم إلى غير ذلك من إخباره بالغيوب^(٢).

وروى الحافظ العالم محب الدين محمد بن محمود بن الحسن النجار في كتابه في ترجمة أحمد بن محمد الدلا عن رجال ذكرهم. قال: سمعتُ

(١) وهي الخطبة المشهورة بالزوراء يقول عليه السلام: «الزوراء وما أدراك ما الزوراء؟ أرض ذات أثل يشيد فيها البنيان، وتكثر فيها السكّان ويكون فيها مخازن وخزان يتخذها ولد العباس موطناً، ولزخرفهم مسكناً تكون لهم دار لهو ولعب يكون بها الجور الجائر والخيف المخيف، والأئمة الفجرة والأمراء الفسقة، والوزراء الخونة، يخدمهم أبناء فارس وروم، لا يأترون بمعروف إذا عرفوه، ولا يتناهون عن منكر إذا نكروه، تكف الرجال منهم بالرجال والنساء بالنساء»، إلى آخر ما ذكره المجلسي في المجلد التاسع من كتاب (بحار الأنوار) فراجع.

(٢) كشف الغمة لصاحبه العلامة ابن أبي الفتح الأربلي، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.

أسماء بنت عميس تقول: سمعتُ سيّدتِي فاطمة عليها السلام تقول: ليلة دخل بي علي بن أبي طالب أفزعني في فراشي، فقلتُ: أفزعَتِ يا سيّدة النساء؟ قال: سمعتُ الأرض تحدّثه ويحدّثها فأصبحتُ وأنا فزعة، فأخبرت والدي عليه السلام، فسجد سجدةً طويلةً، ثم رفع رأسه وقال: يا فاطمة أبشري بطيب النسل، فإنَّ الله فضّل بعلك على سائر خلقه، وأمر الأرض أن تحدّثه بأخبارها وما يجري على وجهها من شرق الأرض إلى غربها^(١).

ومن إخباره عليه السلام ما رواه صاحب كتاب (الرّوضة)، يرفعُ الرّواية إلى عمّار بن ياسر رضي الله عنه قال: كنتُ عند علي عليه السلام في بعض غزواته، إذ مررنا بوادٍ مملوءٍ نملاً، فقلتُ: يا أمير المؤمنين أترى أحداً من خلقِ الله يعلم كم عدد هذا النمل؟ قال: نعم، يا عمّار أنا أعرف رجلاً يعرف عدده وكم فيه من ذكر؟ وكم فيه من أنثى؟ فقلتُ: ومن ذلك الرجل يا مولاي؟ فقال: أما قرأت في سورة (يس): ﴿وكلّ شيءٍ أحصيناهُ في إمامٍ مبين﴾ فقلتُ: بلى، يا مولاي. فقال: أنا ذلك الرجل الإمام المبين.

ومن أخباره وقوّته التي خرق بها العادة عليه السلام ما رواه أهل السّير واشتهر الخبر به في العامّة والخاصّة حتّى نظّم الشعراء وخطب به البلغاء ورواه العلماء من حديث الرّاهب بأرض كربلاء والصّخرة، وشهرته تغني عن تكلف إيراد الإسناد له^(٢).

وذلك أنَّ الجماعة روت أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لما توجه إلى صفّين لحق أصحابه عطشٌ شديد، ونفذ ما كان عندهم من الماء، فأخذوا يميناً وشمالاً يلتمسون الماء فلم يجدوا له أثراً. فعدل بهم أمير المؤمنين عليه السلام عن الجادة، وسار قليلاً، فلاح لهم دير في وسط البريّة، فسار بهم نحوه حتّى

(١) كشف الغمّة لصاحبه العلّامة ابن أبي الفتح الأربلي، ص ٢٨٥ - ٢٨٦.
(٢) فمن المؤلفين الذين ذكروا هذا الحديث صاحب كتاب (ينابيع المودّة)، ص ٤٩٦.
وصاحب كتاب (الغدير)، ج ٣ ص ٣٩٣، وصاحب كتاب (كشف الغمّة)، ج ١ ص ٢٧٩، حتّى ٢٨١، وصاحب كتاب الإرشاد: للمفيد، ص ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠.

إذا صار في فناءه، أمر من نادى ساكنه بالاطلاع عليهم، فنادوه، فاطلع، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : هل قرب قائمك هذا ماء يستقي منه هؤلاء القوم؟ فقال: هيهات بيني وبين الماء أكثر من فرسخين، وما بالقرب مني شيء من الماء، ولولا أنني أوتى بما يكفيني كل شهر على التقدير لتلفت عطشاً. فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أسمعتم ما قال الراهب؟ قالوا: نعم، أفتأمرنا بالمسير إلى حيث أوما إليه، لعلنا ندرك الماء وبنا قوة؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : لا حاجة لكم إلى ذلك، ولوى عطف بغلته نحو القبلة، وأشار بهم إلى مكان يقرب من الدّير، فقال لهم: اكشفوا الأرض في هذا المكان. فعدل منهم جماعة إلى الموضع، فكشفوه بالمساحي، فظهرت لهم صخرة عظيمة تلمع، فقالوا: يا أمير المؤمنين ها هنا صخرة لا تعمل فيها المساحي. فقال لهم: إن هذه الصخرة على الماء، فإن زالت عن موضعها وجدتم الماء، فاجتهدوا في قلعها، واجتمع القوم وراموا تحريكها، فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً، واستصعبت عليهم. فلما رأهم عليه السلام قد اجتمعوا وبذلوا الجهد في قلع الصخرة، واستصعبت عليهم لوى رجله عن سرجه حتى صار على الأرض، ثم حسر عن ذراعيه، ووضع أصابعه تحت جانب الصخرة فحركها، ثم قلعها بيده، ودحاها أذرعاً كثيرة، فلما زالت من مكانها ظهر لهم بياض الماء، فبادروا إليه، فشربوا منه، فكان أعذب ماء شربوا منه في سفرهم وأبرده وأصفاه. فقال لهم: تزودوا وارتووا، ففعلوا ذلك، ثم جاء إلى الصخرة فتناولها بيده ووضعها حيث كانت. فأمر أن يعفى أثرها بالتراب، والراهب ينظر من فوق ديره.

فنادى أيها الناس أنزلوني أنزلوني! فاحتالوا في إنزاله، فوقف بين يدي أمير المؤمنين، فقال له: يا هذا! أنت نبي مرسل؟ قال: لا، قال: فملك مقرب؟ قال: لا، قال: فمن أنت؟ قال: أنا وصي رسول الله محمد بن عبد الله خاتم النبيين عليه السلام. قال: أبسط يدك أسلم الله تبارك وتعالى على يدك. فبسط أمير المؤمنين عليه السلام يده وقال له: أشهد الشهادتين. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأشهد أنك

وصي رسول الله، وأحق الناس بالأمر من بعده. فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام عليه شرائط الإسلام. ثم قال له: ما الذي دعاك الآن إلى الإسلام بعد طول مقامك في هذا الدّير على الخلاف؟ قال: أخبرك يا أمير المؤمنين أن هذا الدّير بُني على طلب قالع هذه الصخرة، ومخرج الماء من تحتها، وقد مضى على ذلك عالم قبلي، فلم يدركوا ذلك، وقد رزقني الله عز وجل.

إننا نجد في كتاب من كتبنا، ونأثر عن علمائنا أن في هذا الصّقع عيناً عليها صخرة لا يعرف مكانها إلا نبي أو وصي نبي، وأنه لا بد من ولي الله يدعو إلى الحق، آيته معرفة مكان هذه الصخرة، وقدرته على قلعها، وإنّي لما رأيته قد فعلت ذلك تحققت ما كنّا ننتظره وبلغت الأمنية منه، فأنا اليوم مسلم على يديك، ومؤمن بحقك ومولاك.

فلما سمع ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بكى حتى اخضلت لحيته من الدّموع وقال: الحمد لله الذي لم أكن عنده منسياً. الحمد لله الذي كنت في كتبه مذكوراً، ثم دعا الناس فقال لهم: اسمعوا ما يقول أخوكم المسلم، فسمعوا مقاله وكثر حمدهم لله، وشكرهم على النعمة التي أنعم بها عليهم في معرفتهم بحق أمير المؤمنين الصّلاة عليه ودفنه، وأكثر من الاستغفار له، وكان - إذا ذكره - يقول: ذاك مولاي.

وفي هذا الخبر ضروب من الأمور الخارقة، أحدهما علم الغيب، والثاني القوة التي خرق بها العادة، وتميّز بخصوصيتها من الأنام مع ما فيه من ثبوت البشارة به في كتب الله الأولى، وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾. وفي ذلك يقول إسماعيل بن محمد الحميري المعروف بالسيد في قصيدته البائية:

ولقد سرى فيما يسير بليّة	بعد العشاء ب كربلا في موكب
حتى أتى متبتلاً في قائم	ألقي قواعده بقاع مجذب
يأتيه ليس بحيث يلقي عامراً	غير الوحوش وغير أصلع أشيب
فدنا فصاح به فأشرق مائلاً	كالنسر فوق شظية من مرقب

هل قرب قائمك الذي بُوأتُهُ
إلا بغاية فرسخين ومن لنا
فثنى الأعنة نحو وعثٍ فاجتلى
قال: اقلبوها إنكم إن تقلبوا
فاعصو صبوا في قلبها فتمنعت
حتى إذا أعيتهم أهوى لها
فكانها كرة بكف حزور^(١)
فسقاهم من تحتها متسلسلاً
حتى إذا شربوا جميعاً ردها
أعني ابن فاطمة الوصي ومن يقل

ماء يصاب؟ فقال: ما من شرب
بالماء بين نقا وقي سبب
ملساء تلمع كاللجين المذهب
ترووا ولا تروون إن لم تقلب
منهم تمنع صعبة لم تركب
كفأ متى يرد المغالب تغلب
عبل الذراع دحا بها في ملعب
عذباً يزيد على الألد الأعذب
ومضى فخلت مكانها لم يقرب
في فضله وفعاله لم يكذب^(٢)

ومن إخباره عليه السلام ما ذكره صاحب كتاب (كشف الغمة) ج ٢ ص ٨
عن المنهال بن عمرو قال: أخبرني رجل من تميم قال: كنا مع علي عليه السلام
بذي قار، ونحن نرى أنا ستخطف^(٣) في يومنا فسمعتة يقول: والله لنظهرن
على هذه الفرقة، ولنقتلن هذين الرجلين يعني طلحة والزبير، ولستبيحن
عسكرهما. قال التميمي: فأتيت عبدالله بن العباس فقلت: لا أرى ابن
عمك إلا قد صدق. فقال: ويحك إنا كنا نتحدث وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن
النبي صلى الله عليه وسلم عهد إليه ثمانين عهداً لم يعهد شيئاً منها إلى أحد غيره، فلعل
هذا مما عهد إليه.

ومن إخباره عليه السلام ما ذكره أيضاً صاحب كتاب (كشف الغمة) ج ٢
ص ١٩ عن علي بن الحسين عن آبائه عليهم السلام. قال: لما رجع علي
عليه السلام من وقعة الجمل اجتاز بالزوراء، فقال للناس: إنها الزوراء فسيروا
وجنبوا عنها فإن الخسف أسرع إليها من الوتد في النخالة، فلما أتى موضعاً

(١) أي الغلام المترعرع أي الشديد.

(٢) راجع إرشاد المفيد، ص ١٥٩ - ١٦٠ وكشف الغمة، ج ١ ص ٢٧٩.

(٣) تخطف الشيء: استلبه.

من أرضها. قال: ما هذه الأرض؟ قيل: أرض بحرا، فقال: أرض سباخ جنبوا ويمنوا^(١). فلما أتى يمنة السواد إذا هو براهب في صومعة له، فقال له: يا راهب أنزل هاهنا؟ فقال له الراهب: لا تنزل بجيشك هذه الأرض، قال: ولم؟ قال: لأنه لا ينزلها إلا نبي أو وصي نبي بجيشه يقاتل في سبيل الله عز وجل. هكذا نجد في كتبنا. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: فأننا وصي سيد الأنبياء وسيد الأوصياء. فقال له الراهب: فأنت أصلع قریش وصي محمد عليه السلام؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أنا ذلك. فنزل الراهب إليه فقال: خذ علي شرائع الإسلام. إني وجدت في الإنجيل نعتك، فإنك تنزل أرض (براثا) بيت مريم وأرض عيسى عليه السلام. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: قف ولا تخبرنا بشيء، ثم أتى موضعاً، فقال: الكزوا هذا، فلكزه^(٢) عليه السلام، فانبجست برجله عين خراة، فقال: هذه عين مريم التي أنبت لها. ثم قال: اكشفوا هاهنا على سبعة عشر ذراعاً، فكُشِفَ، وإذا بصخرة بيضاء. فقال عليه السلام: على هذه الصخرة وضعت مريم عيسى من عاتقها، وصلت هاهنا، فنصب أمير المؤمنين عليه السلام الصخرة وصلى عليها، وأقام هناك أربعة أيام يتم الصلاة، وجعل الحرم في خيمة من الموضع، ثم قال: أرض براثا هذا بيت مريم عليه السلام. هذا الموضع المقدس صلى فيه الأنبياء.

قال أبو جعفر محمد بن علي عليهما السلام: ولقد وجدنا أنه صلى فيه إبراهيم قبل عيسى عليهما السلام. يقول صاحب كتاب (كشف الغمة) أرض «براثا» هذه عند باب محول على قدر ميل أو أكثر من ذلك من بغداد، وجامع «براثا» هناك، وهو خراب وحيطانه باقية إلا شيء منها، دخلت وصليت فيه وتبركت به.

ومن إخباره عليه السلام ما ذكره صاحب كتاب (المناقب) عن الإصبع بن

(١) أي اذهبوا ذات اليمين.

(٢) لكزه: ضربه بجميع كفه، وقيل: اللكز: الضرب بجميع جسده.

نباته، قال: كنتُ مع أمير المؤمنين عليه السلام فأتاه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، إني أحبُّك في الله. قال: إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حدَّثني ألف حديث، ولكلِّ حديثٍ ألف باب، وأنَّ أرواحَ الناس تتلاقى بعضهم بعضاً في عالم الأرواح، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف. وبحقِّ الله لقد كذبت! فما أعرفُ وجهك في وجوه أحبائي، ولا إسمك في أسماء أحبائي، ثم دخل عليه الآخر، فقال: يا أمير المؤمنين! إني أحبُّك في الله. فقال له: صدقت. وقال: إنَّ طينتنا وطينة محبينا مخزونة في علم الله، ومأخوذة أخذ الله ميثاقها من صلب آدم عليه السلام، فلم يشدَّ منها شاذٌّ، ولا يدخل منها غيرها، فأعدَّ للفقير جلباباً، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: والله الفقر إلى محبينا أسرع من السيل إلى بطن الوادي^(١).

ومن إخباره عليه السلام ما ذكره صاحب (المناقب) بالسند عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: كنتُ سائراً مع علي عليه السلام، إذ مررنا بوادٍ نملة كالسَّيل. فقلتُ: الله أكبر، جلَّ محصيه! فقال عليه السلام: لا تقل ذلك، ولكن قل: جلَّ بارئُهُ، فوالذي صورني وصورك إني أحصي عددهم وأعلم الذكر منهم والأُنثى بإذن الله عزَّ وجلَّ.

ومن إخباره عليه السلام ما ذكره الشيخ الإمام كمال الدين أبو سالم محمد بن طلحة الحلبي الشافعي في كتابه (الدرُّ النظيم) ونقله القندوزي عنه في ينابيعه ما يلي:

وقد ثبت عند علماء الطريقة ومشائخ الحقيقة بالنقل الصحيح والكشف الصريح أنَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، قام على المنبر بالكوفة وهو يخطب، فقال: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم. الحمد لله بديع السموات والأرض وفاطرها... إلى قوله: أيُّها النَّاس: سار المثل، وحقق العمل، وتسَلَّمت الخصيان وحكمت النسوان، واختلفت الأهواء، وعظمت

(١) نقلاً عن ينابيع المودة: للقندوزي، ج ١ ص ٧٥.

البلوى، واشتدَّت الشُّكوى، واستمرَّت الدَّعوى، وزلزلت الأرض، وضع
 الفرض، وكتمت الأمانة، وبدت الخيانة، وقام الأدعياء، ونال الأشقياء،
 وتقدَّمت السُّفهاء، وتأخَّرت الصُّلحاء، وازورَّ القرآن، واحمرَّ الدُّبران،
 وكملت الفترة، وسدَّست الهجرة، وظهرت الأفاطس، فحسِمت الملابس،
 يملكون السُّرائر، ويهتكون الحرائر، ويجيئون كيسان، ويخربون خراسان،
 فيهدمون الحصون، ويظهرون المصون، ويفتحون العراق بدم يراق، فأه آه
 ثم آه آه لعريض الأفواه، وذبول الشَّفاء. ثم التفتَ يميناً وشمالاً. وتنفس
 الصَّعداء، لا إملالاً، وتأوَّه خضوعاً، فقام إليه سويد بن نوفل الهلالي،
 فقال: يا أمير المؤمنين، أنتَ حاضرٌ بما ذكرت، وعالمٌ به؟ فالتفتَ إليه بعين
 الغضب وقال له: ثكلتك الثواكل، ونزلت بك النوازل، يابن الجبان
 الخبيث، والمكذَّب النَّاكث، سيقصُّربك الطُّول، ويغلبك الغول، أنا سرُّ
 الأسرار، أنا شجرة الأنوار، أنا دليل السَّموات، أنا أنيس المسبَّحات، أنا
 خليل جبرئيل، أنا صفى ميكائيل، أنا قائد الأملاك، أنا سمندل الأفلاك، أنا
 سرير الصَّراح، أنا حفيظ الألواح، أنا قطب الدِّيَجور، أنا البيت المعمور، أنا
 مزن السَّحاب، أنا نور الغياهب، أنا فلك الحجج، أنا حجة الحجج، أنا
 مسدّد الخلائق، أنا مؤوِّل التَّأويل، أنا مفسِّر الإنجيل، أنا خامس الكساء، أنا
 تبيان النِّساء، أنا إلفة الإيلاف، أنا رجال الأعراف، أنا سرُّ إبراهيم، أنا
 ثعبان الكلیم، أنا وليّ الأولياء، أنا ورثة الأنبياء، أنا أوريا الزُّبور، أنا حجاب
 الغفور، أنا صفوة الجليل، أنا إيلياً الإنجيل، أنا شديد القوى، أنا حامل
 اللِّواء، أنا أمام المحشر، أنا ساقى الكوثر، أنا قسيم الجنان، أنا مشاطر
 النِّيران، أنا يعسوب الدِّين، أنا إمام المتقين، أنا وارث المختار، أنا مبيد
 الكفرة، أنا أبو الأئمة البررة، أنا قالع الباب، أنا مفرِّق الأحزاب، أنا
 الجوهرة الثَّمينة، أنا باب المدينة، أنا البيِّنات، أنا مبین المشكلات، أنا
 النون والقلم، أنا مصباح الظلم، أنا سؤال متى، أنا ممدوح هل أتى، أنا النُّبأ
 العظيم، أنا الصُّراط المستقيم، أنا لؤلؤ الأصداف، أنا جبل قاف، أنا سر
 الحروف، أنا نور الظروف، أنا الجبل الرَّاسخ، أنا العلم الشَّامِل، أنا مفتاح

الغيوب، أنا مصباح القلوب، أنا نور الأرواح، أنا روح الأشباح، أنا الفارس
الكرّار، أنا نصرّة الأنصار، أنا السيف المسلول، أنا الشهيد المقتول، أنا
جامع القرآن، أنا بنیان البيان، أنا شقيق الرسول، أنا بعل البتول، أنا عمود
الإسلام، أنا مكسر الأصنام، أنا صاحب الأذن، أنا قاتل الجن، أنا صالح
المؤمنين، أنا إمام المفلحين، أنا إمام أرباب الفتوة، أنا كثر أسرار النبوة، أنا
المطلع على أخبار الأولين، أنا المخبر عن وقائع الآخرين، أنا قطب
الأقطاب، أنا حبيب الأحباب، أنا مهدي الأوان، أنا عيسى الزمان، أنا والله
وجه الله، أنا والله أسد الله، أنا سيّد العرب، أنا كاشف الكرب، أنا الذي
قيل في حقّه، لا فتى إلّا علي، أنا الذي قال في شأنه: «أنت منّي بمنزلة
هارون من موسى» أنا ليث بني غالب، أنا علي بن أبي طالب.

قال: فصاح السائل صيحة عظيمة، وخرّ ميّتاً، فعقب أمير المؤمنين
كرم الله وجهه كلامه بأن قال: الحمد لله باريء النسم وزارىء الأمم،
والصلاة على الاسم الأعظم والنور الأقدم محمّد وآله وسلم، ثم قال:
سلوني عن طرق السماء، فإنّي أعلم بها من طرق الأرض، سلوني قبل أن
تفقدوني، فإنّي بين جنبيّ علوماً كثيرة كالبحار الزواخر.

فنهض إليه الرّسوخ من العلماء، والمهرة من الحكماء، وأحدق به
الكمل من الأولياء، والندر من الأصفياء يقبلون مواطىء قدميه، ويقسمون
بالاسم الأعظم عليه بأن يتمّ كلامه، ويكمل نظامه، فقال بحر الراسخين
وحبر العارفين الإمام الغالب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

يظهر صاحب الرّاية المحمديّة والدّولة الأحمديّة، القائم بالسيف
والحال الصّادق في المقال، يمهد الأرض، يحيي السّنة والفرض، ثم قال:
أيّها المحجوب عن شأني، الغافل عن حالي، إنّ العجائب أثار خواطري،
والغرائب أسرار ضمائري، لأنّي قد خرقتُ الحجاب، وأظهرتُ العجائب،
وأتيّتُ بالباب، ونطقتُ بالصّواب، وفتحتُ خزائن الغيوب، وفتقتُ القلوب،
وكنزتُ لطائف المعارف، ورمزتُ عوارف اللّطائف، فطوبى لمن استمسك

بعروة هذا الكلام، وصلى خلف هذا الإمام، فإنه يقف على معاني الكتاب
المسطور والرق المنشور، ثم يدخل إلى البيت المعمور، والبحر المسجور،
ثم أنشد يقول:

لقد حزت علم الأولين وإنني ضنين بعلم الآخرين كتوم
وكاشفت أسرار الغيوب بأسرها وعندي حديث حادث وقديم
وإنني لقيوم على كل قيم محيط بكل العالمين عليهم

ثم قال: لو شئت لأوقت من تفسير الفاتحة سبعين بعيراً، ثم قال: ق
والقرآن المجيد، كلمات خفيات الأسرار، وعبارات جليات الآثار، ينابيع
عوارف القلوب، من مشكاة لطائف الغيوب، لمحات العواقب كالنجوم
الثواقب، نهاية الفهوم بداية العلوم، الحكمة ضالة كل حكيم، سبحان
القديم، يفتح الكتاب ويقرأ الجواب، يا أبا العباس أنت إمام الناس،
سبحان من يحيي الأرض بعد موتها، ويرد الولايات إلى بيوتها، يا منصور
تقدم إلى بناء السور، ذلك تقدير العزيز العليم.

ومن إخباره عليه السلام ما ذكره القندوزي في الجزء الثاني من (ينابيعه)
قائلاً، أخرج عبد الرزاق عن حجر المرادي قال: قال لي علي: كيف بك
إذا أمرت أن تلعنني؟ قلت: أو كائن ذلك؟ قال: نعم، قلت: كيف أصنع؟
قال: العني ولا تتبرأ مني.

قال: فأمرني محمد بن يوسف أخو الحجاج الظالم، وكان أميراً على
اليمن أن ألعن علياً، فقلت: إن الأمير أمرني أن ألعن علياً، فالعنوه،
لعنه الله. فما فطن لها إلا رجل بأنني إنما ألعن الأمير، ولم ألعن علياً. فهذه
من كرامات علي وإخباره بالغيب.

ومن إخباره عليه السلام ما أنبأ به من العلامات لخروج الدجال وذلك ما
ذكره السيد نعمة الله الموسوي الجزائري في كتابه (الأنوار النعمانية) ج ٢
كما يلي:

وروى الصَّدوق، طاب ثراه، عن ابن سيرة، قال: خطبنا علي بن أبي طالب عليه السلام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: سلوني أيها الناس قبل أن تفقدوني، ثلاثاً. فقام إليه صعصعة بن صوحان، وقال: يا أمير المؤمنين، متى يخرج الدَّجَال؟ فقال له عليه السلام: أقعد، فقد سمع الله كلامك، وعلم ما أردت، والله ما المسؤول منه بأعلم من السَّائِل، ولكن لِيَذْلِكَ علامات وهنات يتبع بعضها بعضاً، كحذو النَّعلِ بِالنَّعلِ، فإن شئت أنبأتك بها. قال: نعم، يا أمير المؤمنين. فقال: احفظ، فإن علامة ذلك إذا أَمَاتَ النَّاسُ الصَّلَاةَ، وَأَضَاعُوا الْأَمَانَةَ، وَاسْتَحَلُّوا الْكَذِبَ، وَأَكَلُوا الرِّبَا، وَأَخَذُوا الرِّشَا، وَشَيَّدُوا الْبَنِيَانَ، وَبَاعُوا الدِّينَ بِالْدُّنْيَا، وَاسْتَعْمَلُوا السُّفَهَاءَ، وَشَاوَرُوا النِّسَاءَ، وَقَطَعُوا الْأَرْحَامَ، وَاتَّبَعُوا الْأَهْوَاءَ، وَاسْتَخَفُّوا بِالْذَّمَّاءِ، وَكَانَ الْحِلْمُ ضَعْفًا، وَالظُّلْمُ فَخْرًا، وَكَانَتِ الْأُمَرَاءُ فَجْرَةً، وَالْوُزَرَاءُ ظَلَمَةً، وَالْعُرَفَاءُ خَوْنَةً، وَالْقُرَاءُ فَسَقَةً، وَظَهَرَتِ شَهَادَةُ الزُّورِ، وَاسْتَعْلَنَ الْفُجُورُ وَقَوْلُ الْبُهْتَانِ، وَالْإِثْمُ وَالطُّغْيَانُ، وَحَلِيَّتِ الْمَصَاحِفِ، وَزُخْرِفَتِ الْمَسَاجِدُ، وَطَوَّلَتِ الْمَنَارَاتُ، وَأَكْرِمَ الْأَشْرَارُ، وَازْدَحَمَتِ الصُّفُوفُ، وَاخْتَلَفَتِ الْقُلُوبُ، وَنَقِضَتِ الْعُهُودُ، وَاقْتَرَبَ الْمَوْعُودُ، وَشَارَكَ النِّسَاءُ أَزْوَاجَهُنَّ فِي التَّجَارَةِ حِرْصًا عَلَى الدُّنْيَا، وَعَلَتِ أَصْوَاتُ الْفُسَّاقِ وَاسْتَمَعَ مِنْهُمْ، وَكَانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَرْذَلَهُمْ، وَاتَّقَى الْفَاجِرُ مَخَافَةَ شَرِّهِ، وَصَدَّقَ الْكَاذِبُ، وَأَوْثَمَنَ الْخَائِنُ، وَاتُّخِذَتِ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا، وَرَكِبَ ذَوَاتِ الْفُرُوجِ السُّرُوجَ، وَتَشَبَّهَ النِّسَاءُ بِالرِّجَالِ، وَالرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ، وَشَهِدَ الشَّاهِدُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْتَشْهَدَ، وَشَهِدَ الْآخِرُ قَضَاءَ لِحَقِّ الذَّمَّامِ بِغَيْرِ حَقِّ عَرَفِهِ، وَتَفَقَّهَ لَغَيْرِ الدِّينِ، وَآثَرُوا عَمَلَ الدُّنْيَا عَلَى عَمَلِ الْآخِرَةِ، وَلَبَسُوا جُلُودَ الضُّأْنِ عَلَى قُلُوبِ الذَّنَابِ، وَقُلُوبُهُمْ أَتَنُّ مِنَ الْجَيْفِ، وَأَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ الْوَحْأُ الْوَحْأُ ثُمَّ الْعَجَلُ الْعَجَلُ! خَيْرُ الْمَسَاكِينِ يَوْمَئِذٍ بَيْتُ الْمَقْدَسِ، لِيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَتَمَنَّى أَحَدُهُمْ أَنَّهُ مِنْ سَكَّانِهِ.

فقام إليه الأصْبَغُ بْنُ نَبَاتَةَ، فقال: يا أمير المؤمنين، مَنْ الدَّجَالُ؟ فقال: أَلَا إِنَّ الدَّجَالَ صَائِدُ ابْنِ الصَّيْدِ، فَالشَّقِيُّ مِنْ صَدَّقِهِ، وَالسَّعِيدُ مِنْ كَذْبِهِ، يَخْرُجُ مِنْ بَلَدَةٍ يُقَالُ لَهَا أَصْبَهَانُ، مِنْ قَرْيَةٍ تُعْرَفُ بِالْيَهُودِيَّةِ، عَيْنُهُ اليمْنَى

ممسوحة والعين الأخرى في جبهته تضيء كأنها كوكب الصبح، فيها علقه كأنها ممزوجة بالدم، بين عينيه مكتوب كافر، يقرؤه كل كاتب وأمي، يخوض البحار وتسير معه الشمس، بين يديه جبل من دخان، وخلفه جبل أبيض يرى الناس أنه طعام، يخرج من حين يخرج في قحط شديد، تحته حمار أقمر، خطوة حماره ميل، تطوى له الأرض مهلاً لا يمر بماء إلا غار إلى يوم القيامة. ينادي بأعلى صوته يسمع ما بين الخافقين من الجن والإنس والشیاطين، يقول: إليّ أوليائي، أنا الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، أنا ربكم الأعلى، وكذب عدو الله، إنه أعور يطعم الطعام، ويمشي في الأسواق، وإن ربكم جل وعز ليس بأعور ولا يطعم ولا يمشي ولا يزل، ألا وإن أكثر أتباعه يومئذ أولاد الزنى وأصحاب الطيالة الخضر، يقتله الله عز وجل بالشام على عقبة تعرف بعقبة أفيق لثلاث ساعات من يوم الجمعة على يدي من يصلي المسيح عيسى بن مريم خلفه، ألا إن بعد ذلك الطامة الكبرى. قلنا: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: خروج دابة الأرض من عند الصفا معها خاتم سليمان وعصا موسى، يضع الخاتم على وجه كل مؤمن، فينطبع فيه «هذا مؤمن حقاً»، ويضعه على وجه كل كافر، فيكتب فيه «كافر حقاً» حتى أن المؤمن لينادي اليوم، ويل لك يا كافر، وإن الكافر ينادي: «طوبى لك يا مؤمن» وددت أني اليوم مثلك فأفوز فوزاً عظيماً، ثم ترفع الدابة رأسها فيراها من الخافقين بإذن الله عز وجل، وذلك بعد طلوع الشمس من مغربها. فعند ذلك ترفع التوبة، فلا توبة تقبل، ولا عمل يرفع، ولا ينفع نفساً إيمانها إن لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً.

ومن إخباره عليه السلام ما رواه صاحب كتاب (الأنوار النعمانية) عن الصدوق، بإسناده إلى عمار بن ياسر رضي الله عنه، قال: لما سار علي بن أبي طالب عليه السلام إلى صفين وقف بالفرات، وقال لأصحابه: أين المخاض؟ فقالوا: أنت أعلم يا أمير المؤمنين! فقال لرجل من أصحابه: امض إلى هذا التل، وناد يا جلند، أين المخاض؟ قال: فسار حتى وصل التل، ونادى يا جلندا، فأجابته من تحت الأرض خلق عظيم، فبهت ولم يعلم ماذا يصنع؟

فأتى إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: جاؤني خلق كثير، فقال الإمام: يا قنبر امض، وقل: يا جلند بن كركر أين المخاض؟ قال: فمضى وقال لهم: ويلكم من عرف اسمي واسم أبي عرف أين المخاض، وأنا في هذا المكان، وقد بقيت تراباً، وقد مت من ثلاثة آلاف سنة، وقد عرفكم باسمي واسم أبي، وهو لا يعلم أين المخاض؟ فوالله أعلم بالمخاض مني! ويلكم ما أعمى قلوبكم، وأضعف يقينكم! امضوا إليه، واتبعوه، فأين خاض خوضوا معه، فإنه أشرف الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن إخباره عليه السلام ما ذكره صاحب كتاب (الأنوار النعمانية) ج ١ ب ١ ص ٣١ - ٣٣ أنه عليه السلام كان يخطب يوماً على المنبر، فقال: أيها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السموات فلإني أعرف بها مني بطرق الأرض. فقام رجل من القوم، فقال: يا أمير المؤمنين: أين جبرئيل هذا الوقت؟ فقال عليه السلام: دعني أنظر، فنظر إلى فوق، وإلى الأرض، ويمنة ويسرة. فقال: أنت جبرئيل! فطار من بين القوم وشق سقف المسجد بجناحيه، فكبر الناس، وقالوا: الله أكبر، يا أمير المؤمنين! من أين علمت أن هذا جبرئيل؟ فقال: إني لما نظرت إلى السماء بلغ نظري إلى ما فوق العرش والحجب، ولما نظرت إلى الأرض خرق بصري طبقات الأرض إلى الثرى، ولما نظرت يمنة ويسرة رأيت ما خلق، ولم أر جبرئيل في هذه المخلوقات، فعلمت أنه هو.

ومن خطبة له عليه السلام بعد انصرافه من قتل الخوارج فقال فيها بعد حمد الله والصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم:

أنا أول المسلمين، أنا أول المؤمنين، أنا أول المصلين، أنا أول الصائمين، أنا أول المجاهدين، أنا حبل الله المتين، أنا سيف رسول رب العالمين، أنا الصديق الأكبر، أنا الفاروق الأعظم، أنا باب مدينة العلم، أنا رأس الحكم، أنا راية الهدى، أنا مفتي العدل، أنا سراج الدين، أنا أمير المؤمنين، أنا إمام المتقين، أنا سيد الوصيين، أنا يعسوب الدين، أنا شهاب الله الثاقب، أنا عذاب الله الواجب، أنا البحر الذي لا ينزف، أنا

الشرف الذي لا يوصف، أنا قاتل المشركين، أنا مبيد الكافرين، أنا غوث المؤمنين، أنا قائد الغر المحجلين، أنا أضراس جهنم القاطعة، أنا رحاها الدائرة، أنا سائق أهلها إليها، أنا ملقى خطبها إليها، أنا اسمي في الصحف آلياً، وفي التوراة برياً، وعند العرب علياً، وإن لي أسماء في القرآن عرفها من عرفها، أنا الصادق الذي أمركم الله باتباعه فقال: «وكونوا مع الصادقين»، أنا صالح المؤمنين، أنا المؤذن في الدنيا والآخرة، أنا المتصدق راعياً، أنا الفتى ابن الفتى، أخو الفتى، أنا الممدوح بهل أتى، أنا وجه الله، أنا جنب الله، أنا علم الله، أنا عندي علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، لا يدعي ذلك أحد، ولا يدفعني عنه أحد، جعل الله قلبي مضيئاً، وعملي رضيّاً لقنني ربي الحكمة وغذاني بها لم أشرك بالله منذ خلقت، ولم أجزع منذ حملت، قتلت صنابير العرب وفرسانها، وأفنيت ليوثها وشجعانها، أيها الناس سلوني عن علم مخزون وحكمة مجموعة^(١).

ومن خطبة له عليه السلام قال: أنا عندي مفاتيح الغيب لا يعلمها بعد رسول الله إلا أنا، أنا ذو القرنين المذكور في الصحف الأولى، أنا صاحب خاتم سليمان، أنا ولي الحساب، أنا صاحب الصراط والموقف، أنا قاسم الجنة والنار بأمر ربي، أنا آدم الأول، أنا نوح الأول، أنا آية الجبار، أنا حقيقة الأسرار، أنا مورك الأشجار، أنا مومع الثمار، أنا مفجر العيون، أنا مجري الأنهار، أنا خازن العلم، أنا طود الحلم، أنا أمير المؤمنين، أنا عين اليقين، أنا حجة الله في السموات والأرض، أنا الرّاجفة، أنا الصّاعقة، أنا الصّيحة بالحق، أنا الساعة لمن كذب بها، أنا ذلك الكتاب لا ريب فيه، أنا الأسماء الحسنى التي أمر الله أن يدعى بها، أنا ذلك النور الذي اقتبس موسى منه الهدى، أنا صاحب الصور، أنا مخرج من في القبور، أنا صاحب يوم النشور، أنا صاحب نوح ومنجيه، أنا صاحب أيوب المبتلي وشافيه، أنا أقمّت السموات بأمر ربي، أنا صاحب إبراهيم، أنا سرّ الكليم، أنا الناظر في الملكوت، أنا

(١) مشارق أنوار اليقين: للشيخ رجب البرسي، ص ١٩٨ - ١٩٩.

أمر الحيّ الذي لا يموت، أنا وليّ الحقّ على سائر الخلق، أنا الذي لا يبذل القوم لديّ وحساب الخلق إليّ، أنا المفوض إليّ أمر الخلائق، أنا خليفة الإله الخالق، أنا سرّ الله في بلاديه، وحجّته على عباده، أنا أمر الله والروح كما قال سبحانه: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾، أنا أرسيتُ الجبالَ الشامخاتِ، وفجرتُ العيونَ الجارياتِ، أنا غارس الأشجار، ومخرج الألوان والثمار، أنا مقدّر الأقوات، أنا ناشر الأموات، أنا منزل القطر، أنا منور الشمس والقمر والنجوم، أنا سرّ الله المخزون، أنا العالم بما كان وما يكون، أنا صلاة المؤمنين وصيامهم، أنا مولاهم وإمامهم، أنا صاحبُ النشر الأول والآخر، أنا صاحب المناقب والمفاخر، أنا صاحب الكواكب، أنا عذابُ الله الواصب، أنا مهلك الجبابرة الأول، أنا مزيل الدُّول، أنا صاحبُ الزلازل والرجف، أنا صاحب الكسوف والخسوف، أنا مدمر الفراعنة بسيفي هذا، أنا الذي أقامني الله في الأظلة ودعاهم إلى طاعتي، فلمّا ظهرتُ أنكروا، فقال سبحانه: فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به، أنا نور الأنوار، أنا حامل العرش مع الأبرار، أنا صاحب الكتب السّالفة، أنا باب الله الذي لا يفتح لمن كذّب به، ولا يذوق الجنّة، أنا الذي تزدحم الملائكة على فراشي، وتعرفني عبّاد أقاليم الدُّنيا، أنا الذي رُدّت لي الشمس مرتين، وسلّمت عليّ كرتين، وصليتُ مع رسولِ الله القبلتين، وبايعتُ البيعتين، أنا صاحب بدرٍ وحُنين، أنا الطّور، أنا الكتاب المسطور، أنا البحر المسجور، أنا البيت المعمور، أنا الذي دعا الله الخلائق إلى طاعتي فكفرتُ وأصرّتُ، فمُسخّتُ، وأجابتُ أمّةً فنجّتُ وأزلّتُ، أنا الذي بيدي مفاتيح الجنان ومقاليد النيران كرامةً من الله، أنا مع رسولِ الله في الأرض وفي السّماء، أنا المسيح حيث لا روح يتحرّك، ولا نفس يتنفس غيري، أنا صاحب القرون الأولى، أنا الصّامت ومحمّد النّاطق، أنا جاوزت بموسى في البحر، وأغرقتُ فرعون وجنوده أنا أعلم هماهم البهائم ومنطق الطّير، أنا الذي أجوز السّموات السّبع والأرضين السّبع في طرفة عين، أنا المتكلّم على لسان عيسى في المهد، أنا الذي يصليّ عيسى خلفي، أنا الذي أتقلّب في الصّور كيف شاء الله، أنا مصباح الهدى، أنا مفتاح الثّقى، أنا

الآخرة والأولى ، أنا الذي أرى أعمال العباد ، أنا خزان السموات والأرض بأمر رب العالمين ، أنا القائم بالقسط ، أنا ديان الدين ، أنا الذي لا تقبل الأعمال إلا بولايتي ، ولا تنفخ الحسنات إلا بحبي ، أنا العالم بمدار الفلك الدوار ، أنا صاحب ميكال ومحصي قطرات الأمطار ورمل القفار بإذن الملك الجبار ، أنا الذي أقتل مرتين ، وأحيي مرتين ، وأظهر كيف شئت ، أنا محصي الخلائق وإن كثروا ، أنا محاسبهم بأمر ربي ، أنا الذي عندي ألف كتاب من كتب الأنبياء ، أنا الذي جحد ولايتي ألف أمة فمسخوا ، أنا المذكور في سالف الأزمان ، والخارج في آخر الزمان ، أنا قاسم الجبارين في الغابرين ، ومخرجهم ومعذبهم في الآخرين يغوث ويعوق ونسراً عذاباً شديداً ، أنا المتكلم بكل لسان ، أنا الشاهد لأعمال الخلائق في المشارق والمغرب ، أنا صهر محمد ، أنا المعنى الذي لا يقع عليه إسم ولا شبه ، أنا باب حطة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(١) .

ومن إخباره بالغيب عليه السلام أنه خرج ذات ليلة من مسجد الكوفة متوجهاً إلى داره ، وقد مضى ربع من الليل ، ومعه كميل بن زياد ، وكان من خيار شيعته ومحبيه ، فوصل في الطريق إلى باب رجل يتلو القرآن في ذلك الوقت ، ويقرأ قوله تعالى : ﴿أَمْنْ هُوَ قَانِتُ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ ، وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ قل : ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ بصوت شجي حزين ، فاستحسن ذلك كميل في باطنه ، وأعجبه حال الرجل من غير أن يقول شيئاً . فالتفت إليه عليه السلام وقال : يا كميل ، لا تعجبك طنطنة الرجل ، إنه من أهل النار ، وسأنبئك فيما بعد ، فتحير كميل لمشافهته على ما في باطنه ، وشهادته للرجل بالنار مع كونه في هذا الأمر ، وفي تلك الحالة الحسنة ظاهراً في ذلك الوقت . فسكت كميل متعجباً متفكراً في ذلك الأمر ، ومضى مدة متطاولة إلى أن آل حال الخوارج إلى ما آل ، وقتلهم أمير المؤمنين عليه السلام ، وكانوا يحفظون القرآن كما أنزل ، والتفت أمير المؤمنين

(١) مشارق أنوار اليقين : للبرسي ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ .

إلى كميل بن زياد، وهو واقفٌ بين يديه، والسيف في يده عليه السلام يقطر دماً ورؤوس أولئك الكفرة الفجرة محلقة على الأرض، فوضع رأس السيف على رأس من تلك الرؤوس، وقال: يا كميل: «أمن هو قانتُ آناء الليل ساجداً وقائماً، أي هو ذلك الشخص الذي كان يقرأ في تلك الليلة فأعجبك حاله، فقبل كميل مقدّم قدميه، واستغفر الله، فصلّى الله على محمد وآل محمد، وعلى مجهول القدر^(١) .

ومن إخباره عليه السلام أنه قال لأصحابه لما رفع معاوية المصاحف: إنهم لم يريدوا القرآن، فاتّقوا الله وامضوا على بصائرکم، إن لم تفعلوا تفرقت بكم السبل، وندمتم حيث لا تنفعكم الندامة، فكان كما أخبر عليه السلام .

ومن إخباره عليه السلام ما رواه عنه أبو عبدالله قال: جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين عليه السلام فشكا إليه طول دولة الجور. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : والله لا يكون ما تأملون حتّى يهلك المبطلون، ويضمحلّ الجاهلون، ويأمن المتّقون، وقليل ما يكون حتّى لا يكون لإحدكم موضع قدميه، وحتّى تكون الدنيا على الناس أهون من الميتة عند صاحبها. فبينما أنتم كذلك، إذ جاء نصر الله والفتح، وهو قول ربّي عزّ وجلّ في كتابه: ﴿حتّى إذا استيأس الرّسل وظنّوا أنّهم قد كذّبوا جاءهم نصرنا﴾^(٢) .

ومن إخباره عليه السلام ما ذكره النعماني في غيته، قال: حدّثنا أبو سليمان بن هودة بن أبي هراسة الباهلي، قال: حدّثنا إبراهيم بن إسحق النّهاوندي، قال: حدّثنا عبدالله بن حمّاد الأنصاري، عن صباح المزني عن الحرث بن حضيرة، عن الإصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: كونوا كالنحل في الطّير، ليس شيءٌ من الطّير إلّا وهو يستضعفها، ولو علمت

(١) سورة يوسف: آية ١١٠ .

(٢) بشائر الأنام: للسيد مصطفى آل السيد حيدر الكاظمي .

الطيور ما في جوفها من البركة لم تفعل بها ذلك . خالطوا الناس بألستكم وأبدانكم ، وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم ، فوالذي نفسي بيده ما ترون ما تحبون حتى يتفل بعضكم في وجوه بعض ، وحتى يُسمي بعضكم بعضاً كذابين ، وحتى لا يبقى منكم أو قال من شيعتي إلا كالكحل في العين ، أو كالمح في الطعام ، وسأضرب لكم مثلاً ، وهو مثل رجل كان له طعام ، فنقاه وطيبه ، ثم أدخله بيتاً وتركه فيه ما شاء الله ، ثم عاد إليه فإذا هو قد أصابه السوس ، فأخرجه ونقاه وطيبه ، ثم عاوده إلى البيت ، فتركه ما شاء الله ، ثم عاد إليه ، فإذا هو قد أصابته طائفة من السوس ، فأخرجه ونقاه وطيبه ، وأعادته ، ولم يزل كذلك حتى بقيت منه رزمة كرزمة الأندر ، ولا يضره السوس شيئاً ، وكذلك أنتم تميزون حتى لا يبقى منكم إلا عصابة لا يضرها الفتنة^(١) .

فلله درك يا أبا الحسن ما أوسع علمك الذي لا نظير له إلا عند الأنبياء والأوصياء . فهذا الإصبع بن نباتة يقول : خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال في خطبته : أنا أخو رسول الله ووارث علمه ، ومعدن حكمته ، وصاحب سيره ، وما أنزل الله حرفاً في كتاب من كتبه إلا وقد صار إليّ ، وزادني علم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة . . . إلى أن قال : أنا صاحب الرعد الأكبر ، أنا صاحب البحر الأكبر ، أنا مكلّم الشمس ، أنا الصّاعقة على الأعداء ، أنا غوث من أطاع من الوري ، والله ربّي لا إله غيره ، ألا وإنّ للباطل جولة وللحق دولة ، وإنّي طاعن عن قريب ، فارتقبوا الفتنة الأموية والدولة الكسروية ، ثم تقبل دولة بني العباس بالفرع والبأس ، وتبني مدينة يقال لها الزوراء بين دجلة ودجيل والفرات ، ملعون من سكنها ، منها يخرج طينة الجبارين تعلّى فيها القصور ، وتسبل الستور ، ويتعاملون بالمكر والفجور ، ويتناولها بنو العباس ، اثنان وأربعون ملكاً على عدد سني الملك ، ثم الفتنة الغبراء والقلادة الحمراء في عقبها قائم الحق يسفر عن وجهه كأنه القمر المضيء بين الكواكب ، ألا وإنّ

(١) بشائر الأنام : للسيد مصطفى آل السيد حيدر الكاظمي ، ص ٥٨ وما بعد .

لخروجه علامات عشر، ومن العلامة إلى العلامة عجب، فإذا تَمَّت العلامات قائم قائمنا قائم الحق والخير^(١).

ومن إخباره عليه السلام ما ذكره في الجزء الثاني من النهج شرح محمد عبده ص ٤١ مطبعة الاستقامة، قال: «وإنه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس في شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله ورسوله!! وليس عند أهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب إذا تُلي حق تلاوته، ولا أنفق منه إذا حُرّف من مواضعه، ولا في البلاء شيء أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر، فقد نبذ الكتاب حملته، وتناساه حفظته، فالكتاب يومئذ وأهله طريدان منفيان، وصاحبان مصطحبان في طريق واحد لا يؤويهما مؤاوي!! فالكتاب وأهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم ومعهم، لأن الضلالة لا توافق الهدى إلى آخر الخطبة».

ومن إخباره بالغيب ما رواه نصر بن مزاحم في كتاب (صفين) ثم قال: حدّثنا منصور بن سلام التميمي، قال: حدّثنا حيّان التميمي عن أبي عبيدة، عن هرثمة بن سليم، قال: غزونا مع علي صفين، فلمّا نزل بكرلاء صلّي بنا، فلمّا سلّم رفع إليه من تربتها فشمّها، ثم قال: واهاً لك يا تربة! ليحشرنّ منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب، وما علمه بالغيب؟ فقالت المرأة له: دعنا منك أيّها الرجل، فإنّ أمير المؤمنين لم يقل إلّا حقّاً. قال: فلمّا بعث عبيد الله بن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين عليه السلام وأصحابه، عرفت المنزل الذي نزلنا فيه مع علي عليه السلام، والبقعة التي رفع إليه من تربتها، والقول الذي قاله، فكرهت مسيري، فأقبلتُ على فرسي حتى وقفت على الحسين عليه السلام، وسلّمت عليه وحدّثته بالذي سمعتُ من أبيه في هذا المنزل، فقال الحسين عليه السلام: فتولّ هارباً حتّى لا ترى مقتلنا، فوالذي نفس حسين بيده لا يرى اليوم مقتلنا أحد، ثم لا يعيننا إلّا دخل النار، قال: فأقبلتُ في الأرض أشتدّ

(١) بشائر الأنام: للسيد مصطفى المذكور سابقاً، منشورات دار العرفان.

هرباً حتى خفي عليّ مقتلهم^(١) .

ومن إخباره ما ذكره في خطبة الأقاليم، فوصف ما يجري في كل إقليم، ثم وصف ما يجري بعد كل عشر سنين من موت النبي ﷺ إلى تمام ثلاثمائة وعشر سنين من فتح قسطنطينية والصقلية والأندلس والحبشة والترك والكرك ومل ونخسل وتاويل والياريس والصين، وأقاصي مدن الدنيا^(٢) .

وعن الإصبيغ بن نباتة قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا وقف الرجل بين يديه قال: يا فلان استعدّ وأعدّ لنفسك ما تريد، فإنك تمرض في يوم كذا وكذا في شهر كذا وكذا في ساعة كذا وكذا، فيكون كما قال. وكان عليه السلام قد علم رشيد الهجري من ذلك، فكانوا يلقبونه رشيد البلايا، وأخبر عن قتل الحسين عليه السلام^(٣) .

ومن إخباره ما رواه ثابت بن الأفلح في حديثه قال: ضلّ لي فرس نصف الليل، فأتيت باب أمير المؤمنين عليه السلام، فلما وصلت الباب خرج إليّ قنبر وقال لي: يا ابن الأفلح، إلحق فرسك فخذهُ من عوف بن طلحة السعدي .

وعن النضر بن شميل عن عوف، عن مروان الأصفر، قال: قدِمَ راكبٌ من الشام، وعليّ بالكوفة، فنعى معاوية، فأدخل إلى علي عليه السلام، فقال له عليّ: أنت شهدت موته؟ قال: نعم، وحشوتُ عليه، قال: إنّه كاذب، قيل: وما يدريك يا أمير المؤمنين أنّه كاذب؟ قال: إنّه لا يموت حتى يعمل كذا وكذا أعمال عملها في سلطانه، ف قيل له: فلم تقاتله وأنت تعلم هذا؟ قال: للحجة^(٤) .

ومن إخباره ما رواه عمار بن عباس أنّه لما صعد علي عليه السلام المنبر قال

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٥٨٩ - ٥٩٠ .

(٢) نفس المصدر، ص ٥٨٧، ج ٩ .

(٣) نفس المصدر، ج ٩ ص ٥٨٣ .

(٤) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٥٨٣ .

لنا: قوموا فتخلّلوا الصفوف ونادوا: هل من كارهٍ؟ فتصارخ الناس من كلِّ جانب، اللهمّ قد رضيينا وأسلمنا وأطعنا رسولك وابن عمّه، فقال: يا عمار، قم إلى بيت المال، فأعطِ الناس ثلاثة دنانير لكلِّ إنسان، وادفع لي ثلاثة دنانير. فمضى عمار وأبو الهيثم مع جماعةٍ من المسلمين إلى بيت المال، ومضى أمير المؤمنين عليه السلام إلى مسجد قبا يصلي فيه، فوجدوا فيه ثلاثمائة ألف دينار، ووجدوا الناس مائة ألف. فقال عمار: جاء والله الحق من ربكم، والله ما علم بالمال ولا بالناس، وأنّ هذه الآية وجبت عليكم بها طاعة هذا الرجل، فأبى طلحة والزبير وعقيل أن يقبلوها^(١).

ومن إخباره ما رواه الإصمغني قال: صلّينا مع أمير المؤمنين عليه السلام الغداة، فإذا رجلٌ عليه ثياب السفر قد أقبل، فقال: من أين؟ قال: من الشام. قال: ما أقدمك؟ قال: لي حاجة، قال: أخبرني وإلاّ أخبرتك بقصّتك! قال: أخبرني بها يا أمير المؤمنين. قال: نادى معاوية يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا، من يقتل عليّاً فله عشرة آلاف دينار، فوثب فلان وقال: أنا. قال: أنت، فلما انصرف إلى منزله ندم وقال: أسيرُ إلى ابن عمّ رسول الله وأبي ولديه وأقتله، ثم نادى مناديه اليوم الثاني: من يقتل عليّاً فله عشرون ألف دينار؟ فوثب آخر فقال: أنا، فقال: أنت، ثم ندم واستقال معاوية، فأقاله، ثم نادى مناديه اليوم الثالث: من يقتل عليّاً فله ثلاثون ألف دينار؟ فوثبت أنت، وأنت رجلٌ من حمير، قال: صدقت، قال: فما رأيك؟ أتمضي إلى ما أمرت به أو ماذا؟ قال: لا، ولكن أنصرف، فقال: يا قنبر، أصليح له راحلته، وهيء له زاده، وأعطه نفقته^(٢).

ومن إخباره عليه السلام أنّه قال يوماً: لو وجدتُ رجلاً ثقةً لبعثتُ معه بمالٍ إلى مدائن شيعتي، فقال رجل في نفسه: لا تينهُ ولا قولن: أنا أذهبُ بالمال فهو يثق بي، فإذا أخذته أخذتُ طريق الشام إلى معاوية. فجاء إلى علي

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٥٨١.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ج ١ ص ٤٣٠، وكتاب سلوني: للخطيب، ج ٢ ص ٣٨٨.

عليه السلام ، فقال : أنا أذهبُ بالمال . فرفع رأسه وقال : إليك تأخذ عني طريق الشام إلى معاوية^(١) .

وروى داوود العطار قال : قال رَجُلٌ : سألتني رجل عن خاصّة أمير المؤمنين عليه السلام فقال لي : انطلق حتى نسلّم على أمير المؤمنين عليه السلام . قال : وكنت لا أحب ذلك . فلم يزل بي حتى أتيت معه فسلمنا عليه . فرفع أمير المؤمنين الدرة فضرب بها ساقه فنزوت ، فقال : أترى أنك مُكرّة ، إنك ميسرة ، ثم ذهبت فقل لي : صنع بك أمير المؤمنين ما لم يصنع إلى أحد ، قال : إنني كنت مملوكاً لآل فلان ، وكان إسمي ميسرة ففارقتهم ، وادّعت إلى من لست أنا منه ، فسمّاني أمير المؤمنين باسمي^(٢) .

وروى جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام قال : خرج علي عليه السلام بأصحابه إلى ظهر الكوفة ، قال : رأيتم إن قلت لكم : لا تذهب الأيام حتى يحفرها هنا نهر يجري فيه الماء ، أكنتم مصدّقي فيما قلت؟ قالوا : يا أمير المؤمنين ، ويكون هذا؟ قال : إي والله لكأنني أنظر إلى نهر في هذا الموضع ، وقد جرى فيه الماء والسفن وانتفع به فكان كما قال^(٣) .

ومن ذلك ما رواه أحمد بن محمد عن عمرو بن عبد العزيز عن بكار بن كَرْدَم عن أبي عبد الله عليه السلام أن جويرية بن عمر العبدية خاصمة رجل في فارس أنثى ، فادّعى جميعاً الفرس ، فقال أمير المؤمنين : لواحد منكما البيّنة ، فقالا : لا ، فقال لجويرية : أعطه الفرس ، فقال له : يا أمير المؤمنين بلا بيّنة؟ فقال له : والله لأنا أعلم بك منك بنفسك . أتتني صنيعك بالجاهلية الجهلاء ، فأخبره بذلك^(٤) .

ومن إخباره بالغيب عليه السلام ، إخباره بالرؤيا التي رأتها أم الحنفية لابنتها ،

(١) بحار الأنوار، ص ٥٨١، ج ٩ .

(٢) بحار الأنوار، ج ٩ ص ٥٨١ .

(٣) نفس المصدر، ج ٩ ص ٥٧٨ .

(٤) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٥٧٨ .

وإعلانه عن العلامة التي كانت بينها وبين ابنتها، واكتشاف مكانها مما أدى إلى زواجه منها، وهذا حديثها.

يقول صاحب كتاب (الفضائل) حدثنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد المدني، قال: حدثني عبد الله بن هاشم عن الكلبي، قال: أخبرني ميمون بن صعب الكلبي بمكة، قال: كنا عند أبي العباس بن سabor المكي فأجرينا حديث أهل الردة، فذكرنا خولة الحنفية، ونكاح أمير المؤمنين عليه السلام لها، فقال: أخبرني أبو الحسن عبد الله بن أبي الخير الحسيني، قال: بلغني أن الباقر محمد بن علي كان جالسا ذات يوم إذ جاءه رجلان فقالا: يا أبا جعفر، ألسنت القائل: إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لم يرض بإمامة من تقدم! قال: بلى، فقالا له: هذه خولة الحنفية نكحها من سببهم، وقيل هديتهم، ولم يخالفهم عن أمرهم مدة حياتهم. فقال الباقر: من فيكم يأتيني بجابر بن عبد الله بن حزام؟ «وكان محجوبا قد كف بصره»، فحضر فسلم على الباقر، وأجلسه إلى جانبه، وقال: يا جابر، عندي رجلان ذكرا أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي بإمامة من تقدم عليه، فسألتهما الحجة في ذلك، فذكرا له خولة، فبكى جابر حتى اخضلت لحيته بالدموع، ثم قال: واللّه يا مولاي لقد خشيت أن أخرج من الدنيا ولا أسأل عن هذه المسألة، وإنّي واللّه كنت جالسا إلى جانب أبي بكر، وقد سبوا بني حنيفة بعد قتل مالك بن نويرة من قبل خالد بن الوليد، وبينهم جارية مراهقة، فلما دخلت المسجد قالت: أيها الناس، ما فعل محمد صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: قبض، فقالت: هل له بينة تُقصّد؟ فقالوا: نعم، هذه تربته صلى الله عليه وسلم. فنادت: السّلام عليك يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك عبده ورسوله، وأنتك تسمع كلامي، وتقدر على ردّ جوابي، وأنا سبينا من بعدك، ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنتك رسول الله، ثم جلست. فوثب رجلان من المهاجرين والأنصار، أحدهما طلحة، والآخر الزبير، فطرحا ثوبيهما عليها، فقالت: ما بالكم يا معاشر العرب تصونون حلائلكم، وتهتكون حلائل غيركم؟ فقالا لها: لمخالفكم الله ورسوله حتى قلتم: إننا نزكي ولا نصلي، أو نصلي فلا نزكي. فقالت لهما:

والله ما قالها أحد من بني حنيفة، وإننا نضربُ صبياننا على الصلاة من التسع، وعلى الصيام من السبع، وإننا لنخرج الزكاة من حيث يبقى في جمادى الآخرة عشرة أيام، ويوصي مريضنا بها لو صيَّته، والله يا قوم ما نكثنا ولا غيرنا ولا بدَّلنا حتَّى تقتلوا رجالنا وتسبوا حريمنا، فإن كنت يا أبا بكرٍ بحقٍّ فما بال علي لم يكن سبقك عليك؟ وإن كان راضياً بولايته، فلم لا ترسله إلينا يقبض الزكاة منا ويسلمها إليك؟! والله ما رضى ولا يرضى! قتلت الرجال ونهبت الأموال، وقطعت الأرحام، فلا نجتمع معك في الدنيا ولا في الآخرة. افعل ما أنت فاعله، فضجَّ الناس، وقال الرجلان اللذان طرحا ثوبيهما: إنا لمغالون في ثمنك، فقالت: أقسمت بالله وبمحمد رسول الله أنه لا يملكني ويأخذني إلا من يخبرني بما رأت أمي، وهي حاملٌ بي، وأي شيء قالت لي عند ولادتي؟ وما العلامة التي بيني وبينها؟ ألا فإن ملكني أحدٌ ولم يخبرني بذلك، بقرت بطني بيدي، فيذهب ثمني، ويكون مطالباً بدمي، فقالوا لها: أبدي رؤياك التي رأت أمك، وهي حاملٌ بك، حتَّى نبدي لك العبارة بالرؤيا. فأخذ طلحة والزبير ثوبيهما وجلسا. فدخل أمير المؤمنين وقال: ما هذا الرَّجف في مسجد رسول الله؟ قالوا يا عليّ، امرأة من بني حنيفة حرمت نفسها على المؤمنين، وقالت: من أخبرني بالرؤيا التي رأت أمي، وهي حاملٌ بي وعدّها لي فهو يملكني. فقال أمير المؤمنين: ما ادّعت باطلاً، أخبروها تملكوها، فقالوا: يا أبا الحسن، ما فينا من يعلم الغيب، أما علمت أن ابن عمك رسول الله قبض، وإن أخبار السماء انقطعت من بعده، فقال أمير المؤمنين: ما ادّعت باطلاً، أخبرها أملكها بغير اعتراض؟ قالوا: نعم، فقال عليه السلام: يا حنيفة، أخبرك أملكك؟ فقالت: مَنْ أنت أيُّها المجترىء دون أصحابه؟ فقال: أنا علي بن أبي طالب. فقالت: لعلك الرجل الذي نصبه لنا رسول الله ﷺ صبيحة يوم الجمعة بغدير خمّ علماً للناس! فقال: أنا ذلك الرجل، فقالت: من أجلك أصبنا، ومن نحوك أوتينا، لأن رجالنا قالوا: لا نسلم صدقات أموالنا ولا طاعة نفوسنا إلا مَنْ نصبه محمد ﷺ فينا وفيكم علماً. فقال أمير المؤمنين: إن أجركم غير ضائع، وإن الله تعالى يؤتي كل نفسٍ ما أتت من

خير. ثم قال: يا حنيفة ألم تحمل بك أمك في زمان قحط منعت السماء قطرها، والأرض نباتها، وغارت العيون، حتى أن البهائم كانت تريد المرعى فلا تجد، وكانت أمك تقول: إنك حمل مشؤوم في زمان غير مبارك، فلما كان بعد تسعة أشهر رأت في منامها كأن وضعتك، فإنها تقول: إنك حمل مشؤوم، وفي زمان غير مبارك، وكأنك تقولين: يا أمي، لا تطيرن بي، فأنا حمل مبارك، نشأت منشأ صالحاً، ويملكني سيد، وأرزق منه ولداً يكون لبني حنيفة عزاً. فقالت: صدقت يا أمير المؤمنين، فإنه كذلك. فقال: وبه أخبرني ابن عمي رسول الله ﷺ، فقالت: ما العلامة بيني وبين أمي؟ فقال: إنها لما وضعتك كتبت كلامك والرؤيا في لوح من نحاس، وأودعته عتبة الباب، فلما كان بعد حولين عرضته عليك، فأقررت به، ثم جمعت بينك وبين اللوح، فقالت لك: يا بنيّة إذا نزل بساحتكم سافكٌ لدمائكم، ناهبٌ لأموالكم، سابٌ لذراريكم، وسبيت فيمن سبي، فخذ اللوح معك، واجتهد ألا يملكك من الجماعة إلا من يخبرك بالرؤيا بما في هذا اللوح معك. فقالت: صدقت يا أمير المؤمنين. فأين اللوح؟ قال: في عقيصتك. فعند ذلك دفعت اللوح إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ثم قالت: يا معاشر الناس إشهدوا أنني قد جعلت نفسي له عبدة، فقال عليه السلام: بل قولي: زوجة. فقالت: اشهدوا أنني قد زوجت نفسي كما أمرني بعلي عليه السلام. فقال عليه السلام: قد قبلت زوجة، فماج الناس، فقال جابر: والله يا أبا جعفر، ملكها بما ظهر من حجته، وتبين من بيته، فلعن الله من أتضح له الحق، وجعل بينه وبين الحق سترًا^(١).

ومن إخباره بالغيب ما قاله ابن أبي الحديد، عن أبي الأسود الدؤلي، قال: لما ظهر علي عليه السلام يوم الجمل، دخل بيت المال بالبصرة في أناس من المهاجرين والأنصار، وأنا معهم، فلما رأى كثرة ما فيه، قال: غري غيري مراراً، ثم نظر إلى المال، وصعد فيه بصره وصبوب، وقال: أقسموه بين

(١) كتاب (الفضائل) لشاذان القمي، ص ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١، منشورات مكتبة العرفان.

أصحابي خمسمائة خمسمائة، فُقُسِّمَ بَيْنَهُمْ. فلا وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ،
ما نقص درهماً ولا زاد درهماً، كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره.

ثم حكى عن حبة العرنى، قال: قسم عليُّ بيت مال البصرة على
أصحابه خمسمائة خمسمائة، وأخذ خمسمائة درهماً كواحد منهم، فجاءه
إنسان لم يحضر الواقعة، فقال: يا أمير المؤمنين. كنتُ شاهداً معك في قلبي،
وإن غابَ عنكَ جسمي، فأعطني مِنَ الْفِيءِ شيئاً، فدفعتُ إليه الَّذِي أَخَذَهُ
لنفسه، ولم يُصِْبْ مِنَ الْفِيءِ شيئاً^(١).

هذه لمحة بسيطة عن إخبار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن الأمور
الغيبية التي يذهل منها العقل الإنساني، فلا يجد لها تحليلاً إلا أنه صاحب
الأُذُنِ الواعية. فما أخبره نبي هذه الأمة الإسلامية ﷺ بشيءٍ من أخبار أهل
الأرضِ والسَّماءِ إلا حَفِظَهُ وَعَلِمَهُ. ولذلك أخذ يخبر الناس بأسرار السَّماءِ،
وهو القائل: فأنا بطرق السَّماءِ أعلمُ منكم بطرق الأرض، وأخذ يخبرهم
بأسرار أهل الأرض، كقوله: ولو شئتُ لأخبرتكم بما يأتي ويكون من حوادث
دهركم، ونوائب زمانكم، وبلايا أيامكم، وغمراتِ ساعاتكم، ولكن أفضيه إلى
من أفضيه إليه، مخافةً عليكم، ونظراً لكم، علماً مني بما هو كائن وما يكون
من البلاء الشَّامِلِ... إلخ.

ولم يصرِّح الإمام ﷺ إلا بالنَّذر اليسير ممَّا يعرفه، لعدم استعداد
الغالبية العظمى من النَّاسِ لتقبُّلِ ما يعلنه لهم. يقول ﷺ: واللَّهِ لو شئتُ
أن أخبر كلَّ رجلٍ منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلتُ. ولكن أخافُ أن
تكفروا فيَّ برسول الله ﷺ. ألا وإني مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمِنُ بِذَلِكَ
منه. وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، وَأَصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ ما أنطقُ إلا صادقاً... إلخ.

هذه الأمور الغيبية لا يعرفها بعد انقطاع الوحي إلا علي ﷺ. وكثيراً

(١) من كتاب (حرب الجمل وحرب صفين): للسَّيد محسن الأمين الحسيني العاملي،
ص ٦٠، مطبوعات دار الفكر للجميع.

ما صرَّحَ قائلًا: والذي فلق الحَبَّةَ، وبرأ النُّسمة لو ثبتت لي الوسادة لحكمتُ بين أهل التَّوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزُّبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانيهم... إلخ. فهو أخبر أهل الأرض بأحكام الكتب السَّماوية، وكيف لا يكون أخبرهم؟ وجميع أسرار الكتب السماوية والذكر الحكيم في النُّقطة الَّتِي تحت الباء. وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: أنا النُّقطة التي تحت الباء.

فعنده علم الأولين والآخرين، وكيف لا يكون ذلك؟ وهو القائل: ولقد علمتُ ما فوق الفردوس الأعلى، وما تحت الأرض السَّابعة السفلى، وما بينهما وما تحت الثرى... إلى قوله: فكم من آكلٍ منكم لحم أخيه، وشاربٍ برأس أبيه، وهو يشتاؤه ويرتجيه!!

فالإمام عليه السلام ليس له نظير ولا عدیل ولا مثیل بعد رسول ربِّ العالمين. ولكنه كان محنةً امتحنَ بها النَّاسَ، وقد هلك بها الأكثرون، وسَلِمَ منها الأقلون. ولو تمعَّن البصير الحكيم بقول الله سبحانه: ﴿وَإِنْ لَمْ تَبْلُغْ فَمَا أَدَّيْتَ رَسُولَهُ﴾ لوجد أن الغاية من هذه الدَّعوة الإسلامية ولاية علي عليه السلام. لذلك ما خرج من هذه المحنة التي وقع بها الخلق إلَّا العدد القليل. فهل سلم منها من سلبوه حقَّه، وحرَّموه إرثه؟ وهل سلم منها من أمر بسبِّه والبراءة منه؟ وهل سَلِمَ منها من أخذ يلاحقُ محبِّيه تحت كلِّ حجر ومدبر، ويقضي عليهم؟ وكلُّ جريمتهم أنَّهم يحبُّون علي!! وهل سلم منها من ناصبه العداة منذ عهده حتَّى عهدنا هذا؟ وحبُّه إيمان ويغضُّه نفاق! ولا يحبه إلَّا مؤمن، ولا ييغضه إلَّا منافق أو ابن حيضة أو ابن زنى، إنَّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب الَّتِي في الصُّدور!!

وهل عمى أكبر من هذا العمى؟ فلشدة كرههم لعلي عليه السلام أخذ عمرو بن حريث ضبًّا وقال لرفاقه السَّبعة: بايعوا هذا أمير المؤمنين، فبايعوه، وهو ثامنهم. ولما نزلوا بالمسجد في المدائن، وأمير المؤمنين يخطب، نظر إليهم، وقال: أيُّها النَّاسُ، إنَّ رسول الله ﷺ أسرَّ إليَّ ألفَ حديث، في كلِّ

حديث ألف باب، وفي كل باب ألف مفتاح، . . . إلى قوله: ﴿يَوْمُ يُدْعَى كُلُّ
أَنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ وَإِنِّي أَقْسِمُ لَكُمْ بِاللَّهِ لِيَبْعَثَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَفَرًا بِإِمَامِهِمْ،
وَهُوَ ضَبٌّ، وَلَوْ شِئْتُ لَأَسْمِيَهُمْ . . . إِلَى آخِرِهِ.

فالإمام عليه السلام يعرف كل مواقف الناس، ولكن الغالبية العظمى لم
يستحقوا هذه النعمة المسؤولين عنها بقوله سبحانه: ﴿وَلَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ
النَّعِيمِ﴾. فالنعيم هو ولاية العين. فقلوبهم لم تقبل هذه الولاية، ولم تشرق
عليهم شمس الهداية والإرشاد، فعلي هو المحك لمعرفة المؤمن من الكافر.

وما أعظم ما قاله جلند بن كركر لمن يعتبر، لما سألوا أمير المؤمنين عن
المخاض، وأنا في هذا المكان، وقد بقيت تراباً، وَقَدْ مِتُّ مِنْ ثَلَاثَةِ آلَافِ
سَنَةٍ، وَقَدْ عَرَّفَكُم بِإِسْمِي وَاسْمِ أَبِي، وَهَوَ لَا يَعْلَمُ أَيْنَ الْمَخَاضُ؟ فوالله هو
أعلم بالمخاض مني!! ويلكم ما أعمى قلوبكم، وأضعف يقينكم، امضوا
إليه، واتبعوه، فأين خاض خوضوا معه، فإنه أشرف الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الفصل العاشر

فضائله وكراماته عليه السلام

أيُّ كاتبٍ يستطيع أن يُحصيَ فضائل الإمام؟ وقد عجز الثقلان عن حصر فضائله وإحصاء كراماته. فهذا الخوارزمي في مناقبه يعلنها مدوِّيةً في أسماع الزَّمن عن مجاهد، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أنَّ الرِّياض أقالام، والبحر مداد، والجنُّ حساب، والأنس كتاب، ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب»^(١). وكيف يحصون فضائل من له ثلاثة آلاف منقبة في ليلةٍ واحدة؟ ففي كتاب (الأمال) عن سعيد بن جبير، قال: أتيتُ ابنَ عباس أسأله عن علي بن أبي طالب، واختلافِ النَّاس فيه، فقال: يا ابنَ جبير، جئتُ تسأل عن خير هذه الأُمَّة بعد محمدٍ صلَّى الله عليه وآله. جئتُ تسألني عن رجلٍ له ثلاثة آلاف منقبة في ليلةٍ واحدة، وهي ليلة الفدية وصيَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وخليفته، وصاحب حوضه ولوائه. ثم قال: والذي اختارَ محمدًا خاتماً لرسله، لو كان نبتُ الدُّنيا وأشجارها أقلاماً، وأهلها كتاباً، وكتبوا مناقبَ علي وفضائله من يوم خلق الله الدُّنيا إلى فنائها ما كتبوا معشار ما أتاه الله من الفضل^(٢).

(١) كشف الغمة: للأربلي، ج ١ ص ١١٢، ورواه صاحب الفردوس عن ابن عباس صُحُفاً. راجع ينابيع المودة للقندوزي، ج ٢ ص ٦٥.

(٢) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ٦٨.

وكثيراً ما عبّر النبي ﷺ عن هذا المعنى بعدة أساليب، كقوله: لو كانت البحار مداداً، والغياض أقلاماً، والسَّمَوَاتُ صُحُفًا، والجنّ والإنس كتاباً لنفد المداد، وكَلَّتِ الثُّقُلَانِ أن يكتبوا معشار عشر فضائلِ إمامٍ يوم الغدير. وكيف يكتبون؟ وأنى يهتدون؟ والكتاب الإلهي يشهد لهذا الحديث النبوي من قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَاتُ رَبِّي لَنَفَدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾^(١). وأكبر كلماتِ الله علي . وإليه الإشارة بقوله: ﴿أَنَا كَلِمَةُ اللَّهِ الْكُبْرَى﴾ فله الفضلُ الَّذِي لَا يُعَدُّ، والمناقب التي ليس لها حَدٌّ. ولقد أنصف الشافعي إذ قيل له: ما تقول في علي؟ فقال: وماذا أقول في رجلٍ أخفى أوليائه فضائله خوفاً، وأخفى أعدائه فضائله حسداً، وشاعَ بينَ ذينَ ما ملأَ الخالفين^(٢).

ونحن نذكر بعض فضائله تيمناً وتبرُّكاً، وقد قال النبي ﷺ: «من كتب فضيلةً من فضائلِ علي، لم تزلِ الملائكة تستغفرُ له، ومن ذكر فضيلةً من فضائله غفر الله له ما تقدّم من ذنوبه وما تأخر، ولا يتمُّ إيمان عبدٍ إلّا بحبّه وولايته، وإنَّ الملائكة تتقربُ إلى الله تعالى بمحبّته، ومن حفظ من شيعتنا أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً وغفر له».

فمن فضائله ما رواه صاحب كتاب (المقامات) عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ في بيتي، إذ طُرِقَ الباب، فقال لي: قومي وافتحي الباب لأبيك يا عائشة، فقمْتُ وفتحتُ له، فجاء فسَلَّمَ وجلس، فردَّ السَّلام، ولم يتحرَّكْ له، فجلسَ قليلاً، ثم طُرِقَ البابُ، فقال: قومي وافتحي الباب لعمر، فقمْتُ وفتحتُ له، فظننتُ أنه أفضلُ من أبي، فجاء، فسَلَّمَ وجلس، فردَّ عليه ولم يتحرَّكْ له، فجلسَ قليلاً، فطُرِقَ البابُ، فقال: قومي وافتحي الباب لعثمان، فقمْتُ وفتحتُ له، فدخل وسَلَّمَ، فردَّ عليه ولم يتحرَّكْ له، فجلس، فطُرِقَ البابُ، فوثب النبي ﷺ وفتح الباب، فإذا علي بن أبي طالب عليه السلام.

(١) سورة الكهف: آية ١٠٩.

(٢) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ١٣٤.

فدخل وأخذ بيده، فأجلسه وناجاه طويلاً، ثم خرج فتبعه إلى الباب، فلما خرج، قلت: يا رسول الله، دخل أبي فما قمت له، حتى جاء عمر وعثمان، فلم توقرهما ولم تقم لهما، ثم جاء علي فوثبت إليه قائماً، وفتحت له الباب، فقال: يا عائشة، لما جاء أبوك كان جبرئيل بالباب، فهتممت أن أقوم فمنعني، فلما جاء علي وثبت الملائكة تختصم على فتح الباب، فقامت وأصلحت بينهم، وفتحت الباب له، وأجلسته وقربته عن أمر الله، فحدثني بهذا الحديث عني^(١).

ومن كراماته عند الله، روي عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ أنه استدعى يوماً ماءً، وعنده أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فشرب النبي ﷺ. ثم ناوله الحسن فشرب، فقال له النبي: هنيئاً مريئاً يا أبا محمد، ثم ناوله الحسين فشرب، فقال له النبي: «هنيئاً مريئاً يا أبا عبد الله، ثم ناوله الزهراء»، فشربت، فقال لها النبي ﷺ: «هنيئاً مريئاً يا أم الأبرار الطاهرين»، ثم ناوله علياً، فلما شرب سجد النبي ﷺ، فلما رفع رأسه قال له بعض أزواجه: يا رسول الله، شربت، ثم ناولت الماء للحسن، فلما شرب قلت له: هنيئاً مريئاً، ثم ناولته الحسين، فشرب، فقلت له كذلك، ثم ناولته فاطمة، فلما شربت قلت لها ما قلت للحسن والحسين، ثم ناولته علياً، فلما شرب سجدت، فما ذاك؟ فقال لها: إني لما شربت الماء قال لي جبرئيل والملائكة معه: هنيئاً مريئاً يا رسول الله، ولما شرب الحسن قالوا له كذلك، ولما شرب الحسين وفاطمة، قال جبرئيل والملائكة: هنيئاً مريئاً، فقلت كما قالوا: ولما شرب أمير المؤمنين عليه السلام، قال الله له: «هنيئاً مريئاً يا وليي وحجتي على خلقي، فسجدت لله شكراً على ما أنعم علي في أهل بيتي»^(٢).

فإذا كبر على البعض تهنة الله لعلي، فإن الله سبحانه وتعالى قال لعامة خلقه: هنيئاً مريئاً، فلا نستعظم قوله لوليّه وعليّه هنيئاً مريئاً. لأن الله سبحانه

(١) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ٢٣٩.

(٢) مشارق أنوار اليقين: للشيخ البرسي، ص ٢١٢.

وتعالى يقول : ﴿فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ (٢) .

ومن فضائله ما روي عن تاج الدين، عن ابن عباس، أنه قال: كان رسول الله ﷺ في مجلسه، وعنده جماعة من المهاجرين والأنصار، إذ نزل عليه جبرئيل عليه السلام وقال له: يا محمد الحق يقرئك السلام ويقول لك: احضر علياً واجعل وجهك مقابل وجهه، ثم عرج جبرئيل إلى السماء، فدعا رسول الله علياً فأحضره، وجعل وجهه مقابل وجهه، فنزل جبرئيل ثانياً ومعه طبق فيه رطب ووضع بينهما، ثم قال: كُلا، ثم أحضر طستاً وإبريقاً، وقال: يا رسول الله، قد أمرك الله أن تصب الماء على يدي علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: السمع والطاعة لما أمرني به ربي، ثم أخذ الإبريق وقام يصب الماء على يدي علي عليه السلام، فقال له: يا رسول الله أنا أولى أن أصب الماء على يديك. فقال له: إن الله سبحانه وتعالى أمرني بذلك، وكان كلما صب الماء على يدي علي لم تقع منه قطرة واحدة في الطست، فقال علي: يا رسول الله، إنني لم أر شيئاً من الماء يقع في الطست، فقال له رسول الله ﷺ: «يا علي إن الملائكة يتسابقون على الماء الذي يقع من يديك فيغسلون به وجوههم ليتبركوا به» (١) .

ومن كراماته ما رواه صاحب عيون الأخبار، قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام مر في طريق، فسايره خيبري، فمر بوادٍ قد سأل، فركب الخيبري مرطه، وعبر على الماء، ثم نادى أمير المؤمنين عليه السلام يا هذا، لو عرفت كما عرفت لجريت كما جريت. فقال له أمير المؤمنين: مكانك! ثم أوماً إلى الماء فجمد ومر عليه، فلما رأى الخيبري ذلك، أكب على قدميه وقال: يا فتى، ما قلت حتى حولت الماء حجراً؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: فما قلت أنت

(١) سورة النساء: آية ٤ .

(٢) الأنوار النعمانية لنعمة الله الموسوي الجزائري، ج ١ باب ١ ص ١٨، وكتاب المستطاب المسمى بالروضة، ص ١، وكتاب الفضائل: لأبي الفضل شاذان القمي، ص ٩٣، منشورات العرفان.

حَتَّى عَبَرْتُ عَلَى الْمَاءِ؟ فَقَالَ الْخَبِيرِي: أَنَا دَعَوْتُ اللَّهَ بِإِسْمِهِ الْأَعْظَمِ، فَقَالَ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: سَأَلْتُهُ بِاسْمِ وَصِيِّ مُحَمَّدٍ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ:
أَنَا وَصِيَّ مُحَمَّدٍ. فَقَالَ الْخَبِيرِي: إِنَّهُ لَحَقٌّ، ثُمَّ أَسْلَمَ^(١).

وَمِنْ كِرَامَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَا رَوَاهُ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ قَالَ: أَتَيْتُ مُوَلَايَ يَوْمًا فَرَأَيْتُ
فِي وَجْهِهِ كَاتِبَةً، فَقَالَ: مَا بِكَ؟ فَقُلْتُ: دَيْنٌ أَتَى مُطَالِبٌ بِهِ، فَأَشَارَ إِلَى حَجَرٍ
مَلَقَى وَقَالَ: خُذْ هَذَا فَاقْضِ، مِنْهُ دَيْنُكَ، فَقَالَ عَمَّارُ: إِنَّهُ لِحَجَرٍ، فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ: ادْعُ اللَّهَ بِي يَحْوِلْهُ لَكَ ذَهَبًا، فَقَالَ عَمَّارُ: فَدَعَوْتُ بِاسْمِهِ، فَصَارَ
الْحَجَرُ ذَهَبًا. فَقَالَ لِي: خُذْ مِنْهُ حَاجَتَكَ، فَقُلْتُ: وَكَيْفَ تَلِينَ؟ فَقَالَ: يَا
ضَعِيفَ الْيَقِينِ، ادْعُ اللَّهَ بِي حَتَّى تَلِينَ، فَإِنَّمَا بِإِسْمِي أَلَانَ اللَّهُ الْحَدِيدَ لِدَاوُدَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ. قَالَ عَمَّارُ: فَدَعَوْتُ اللَّهَ بِاسْمِهِ، فَلَانَ، فَأَخَذْتُ مِنْهُ حَاجَتِي، ثُمَّ قَالَ:
ادْعُ اللَّهَ بِإِسْمِي حَتَّى يَصِيرَ بَاقِيَهُ حَجَرًا كَمَا كَانَ^(٢).

فَإِذَا اعْتَرَاكَ - أَيُّهَا الطَّالِبُ - شَكٌّ فِي هَذِهِ الْكِرَامَاتِ فَتَمَهَّلْ قَلِيلًا حَتَّى
تَعْرِفَ شَيْئًا عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّ مَعْرِفَتَهُ تَمَامَ الْمَعْرِفَةِ مُسْتَحِيلَةٌ عَلَيْكَ وَعَلَى
أَبْنَاءِ هَذَا الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ، وَكَذَلِكَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَمَامُ الْمَعْرِفَةِ.
وَلِهَذَا أَشَارَ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ بِقَوْلِهِ: يَا عَلِيُّ مَا عَرَفَكَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَا، وَمَا عَرَفَنِي
إِلَّا اللَّهُ وَأَنْتَ، وَمَا عَرَفَ اللَّهُ إِلَّا أَنَا وَأَنْتَ. فَمَعْرِفَتُهُمْ حَقُّ الْمَعْرِفَةِ مُسْتَحِيلَةٌ
عَلَى الْبَشَرِ. وَمِنَ الْأَدَلَّةِ عَلَى ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي كِتَابِ الْبَشَائِرِ أَنَّ عَمَرَ دَخَلَ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسْجِدِهِ يَوْمًا وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ عَمَرُ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتُ: أَصْدَقُكُمْ لَهْجَةً أَبُو ذَرٍّ، فَقَالَ: هُوَ كَمَا قُلْتَ: فَقَالَ عَمَرُ:
فَمَا لِي سَأَلْتُ عَنْكَ! فَقَالَ: هُوَ فِي مَسْجِدِهِ، فَقُلْتُ: وَمَنْ عِنْدَهُ؟ فَقَالَ: رَجُلٌ
لَا أَعْرِفُهُ، وَهَذَا عَلِيٌّ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَدَقَ أَبُو ذَرٍّ، يَا عَمَرُ هَذَا
رَجُلٌ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا اللَّهُ وَرَسُولُهُ».

(١) مشارق أنوار اليقين، للبرسي، ص ٢١٠.

(٢) مشارق أنوار اليقين: للشيخ رجب: البرسي، ص ٢١٠.

وماذا عرف الناس من علي؟ عرفوا من شجاعته وفصاحته وبلاغته وعفته وحكمته. هذا مبلغهم من العلم! ولكنهم ما عرفوا أنه الكلمة التي بها تمت الأمور، ودُهرت الدهور، والاسم الذي هو روح كل شيء، والهاء التي في هوية كل موجود، وباطن كل مشهود، وإن الذي خرج إلى حملة العرش من معرفة آل محمد مع قربهم من حضرة العظمة والجلال كالقطرة من البحر، وذلك لأن ذات الله تعالى غير معلومة للبشر كما مر، فلم يبق إلا معرفة الصفات^(١)، والناس في معرفة آل محمد قسمان: قسم عرفوا أنهم أولياء الله، والوسيلة إلى عفوه ورضاه، فقدّموهم في حاجتهم لديه، وتوسّلوا بهم إليه، وقسم عرفوا أنهم الكلمة الكبرى والآية العظمى.

فمن يضاهي علياً؟ والنظر إلى وجهه عبادة. فقد جاء في أمالي الصدوق قدّس سرّه عن محمد بن القاسم الاسترابادي عن عبد الملك بن أحمد بن هارون، عن عمار بن رجاء، عن يزيد بن هارون عن محمد بن عمر عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، جاءه رجل فقال: يا رسول الله، أما رأيت فلاناً ركب البحر ببضاعة يسيرة، وخرج إلى الصين، فأسرع الكرة وأعظم الغنيمة حتى قد حسده أهل وده، وأوسع قراباته وجيرانه، فقال رسول الله ﷺ: «إن مال الدنيا كلما ازداد كثرةً وعظماً ازداد صاحبه بلاءً، فلا تغبطوا أصحاب الأموال إلا بمن جادلته في سبيل الله، ولكن ألا أخبركم بمن هو أقل من صاحبكم بضاعة، وأسرع منه كربةً، وأعظم منه غنيمَةً، وما أعد له من الخيرات محفوظةً له في خزائن عرش الرحمن؟» قالوا: بلى يا رسول الله، فقال ﷺ: «انظروا إلى هذا المقبل إليكم، فنظرنا، فإذا رجل من الأنصار رث الهيئة، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذا لقد صعد له في هذا اليوم إلى العلو من الخيرات والطاعات ما لو أقسم على أهل السموات والأرض لكان نصيب أقلّهم منه غفران ذنوبه، ووجوب الجنة له». قالوا: بماذا يا رسول الله؟ فقال: «سلوه يخبركم، عما صنع في هذا اليوم؟»، فأقبل عليه

(١) مشارق أنوار اليقين: للشيخ رجب البرسي، ص ٣٨.

أصحاب رسول الله ﷺ ، فقالوا له : هنيئاً لك بما بشرَكَ به رسول الله ﷺ ، فماذا صنعتَ في يومِكَ هذا حتى كتبَ لك ما كتبَ ؟ فقال الرجلُ : ما أعلمُ أنني صنعتُ شيئاً غيرَ أنني خرجتُ من بيتي وأردتُ حاجةً كنتُ أبطأتُ عنها ، فخشيتُ أن تكون فاتتني ، فقلتُ في نفسي : لأعتاضنَّ منها بالنظر إلى وجه علي بن أبي طالب ، فقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «النَّظر إلى وجه علي عبادة» ، فقال رسول الله ﷺ : «إي والله وأي عبادة ! لأنك يا عبدالله ذهبتَ لتبتغي أن تكتسب ديناراً لقوت عيالك ، ففاتك ذلك ، فاعتضتُ منه بالنظر إلى وجه علي ، وأنتَ له محبٌّ ، ولفضله معتقد ، وذلك خيرٌ لك من أن لو كانت الدنيا كلها ذهبة حمراء فأنفقتها في سبيل الله ، ولتشفعنَّ بعدد كل نفس في مصيرك إليه في ألف رقبة يعتقهم الله من النار بشفاعتك» (١) .

ومن كراماته أيضاً ما رواه صاحب كتاب (مدينة المعجزات) عن كتاب (درر المطالب) قال : خرج رسول الله ﷺ إلى غزاة تبوك ، وخلفَ علي بن أبي طالب على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف المنافقون وقالوا : ما خلفه إلا استثقلاً به ، فلما سمع ذلك أخذَ سلاحه ، وخرج إلى النبي ﷺ وهو نازلٌ بالحرق ، فقال : يا رسول الله زعم المنافقون أنك إنما خلفتني استثقلاً بي ، فقال رسول الله ﷺ : «كذبوا ، ولكني خلفتك لما تركت ورائي ، فارجع فانخلفني في أهلي وأهلك ، ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي» . فرجع إلى المدينة ، ومضى رسول الله ﷺ لسفره ، قال : وكان أمر الجيش أنه انكسر وانهزم الناس عن رسول الله ﷺ فنزل جبرئيل عليه السلام وقال : يا نبي الله ، إن الله يقرئك السلام ويبشرك بالنصر ويخبرك إن شئت أنزلت الملائكة يقاتلون ، وإن شئت علياً فادعه يأتك ، فاختار النبي ﷺ علياً عليه السلام ، فقال جبرئيل : أدر وجهك نحو المدينة ، وناد أبا الغوث أدركني يا علي ، أدركني يا علي !

(١) القطرة من بحار مناقب النبي والعترة للعلامة السيّد أحمد رضي الدين الموسوي التبريزي ، ص ١٤١ - ١٤٢ باب ٢ ط ١٣٧٤ هـ .

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه : وكنتُ مع من تخلف مع علي عليه السلام ، فخرج ذات يومٍ يريد الحديقة ، فمضيتُ معه ، فصعد النخلة ينزل كرباً فهو ينثر ، وأنا أجمع إذ سمعته يقول : لبيك ها أنا جئت ، ونزل والحزن ظاهر عليه ، ودمعته تنحدر ، فقلتُ : ما شأنك يا أبا الحسن ؟ قال : يا سلمان جيش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد انكسر ، وهو يدعوني ويستغيث بي ، ثم مضى ، فدخل منزل فاطمة عليها السلام وخرج ، وقال : « يا سلمان ضع قدمك موضع قدمي لا تخرم منه شيئاً » . قال سلمان : فأتبعته حذو النعل سبع عشرة خطوة ، ثم عاينت الجيشين ، والجيوش والعساكر ، فصرخ الإمام صرخةً لهب لها الجيشان ، وتفرقوا ، ونزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلم عليه ، فردّ عليه السلام ، واستبشر به ، ثم عطف الإمام على الشجعان ، فانهزم الجمع وولّوا الدبر ، وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب ^(١) .

وإذا كان الله خير نبيّه بين علي والملائكة لتحقيق النصر ، فإذا قاتلت الملائكة ، فنصيبها من الغنائم لعلي .

روى العامة والخاصة أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم غزا غزوةً ، فلمّا رجع إلى المدينة ، وكان عليّ قد تخلف عن أهله ، فقسم المغنم ، فدفع إلى علي بن أبي طالب سهمين ، وهو بالمدينة متخلف ، فقال : معاشر الناس ، ناشدتكم بالله وبرسوله ، ألم تروا الفارس الذي حمل على المشركين من يمين العسكر ، فهزمهم ثمّ رجع إليّ ، فقال : إنّ لي معك سهماً وقد جعلته لعلي بن أبي طالب فهو جبرئيل عليه السلام . معاشر الناس ، ناشدتكم بالله وبرسوله ، هل رأيتم الفارس الذي حمل على المشركين من يسار العسكر ، ثمّ رجع فكلّمني ، فقال لي : يا محمّد ، إنّ لي معك سهماً ، وقد جعلته لعلي بن أبي طالب ، فهو

(١) القطرة من بحار مناقب النبي والعترة للعلامة أحمد رضي الدين الموسوي ، باب ١ ص ١١٠ - ١١١ .

ميكائيل . فوالله ما دفعتُ لعلِّي إلا سهم جبرئيل وميكائيل^(١) .

ومن كراماته أنه كان يحمي محبيه من الأسود، فلا تتعرض لهم بأذى .
روى عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر الباقر من قوله عليه السلام
لجويرية بن مسهر العبدي، وقد عزم على الخروج، أما إنه سيعرض لك في
طريقك الأسد . قال : فما الحيلة له ؟ قال : تقرئه مني السلام وتخبره أنني
أعطيتك منه الأمان، فخرج جويرية، بينما هو يسير على دابته، إذ أقبل نحوه
أسد لا يريد غيره، فقال له جويرية : يا أبا الحرث، إن أمير المؤمنين علي بن
أبي طالب عليه السلام يقرئك السلام، وأنه قد أمني منك، قال : فولى الليث منه
مطرقاً برأسه يهيمهم حتى غاب في الأجمة، فهمهم خمساً، ثم غاب، ومضى
جويرية في حاجته، فلما انصرف إلى أمير المؤمنين عليه السلام فسلم عليه، وقال :
كان من الأمر كذا وكذا، فقال : ما قلت لليث ؟ وما قال لك ؟ فقال جويرية :
قلت له ما أمرتني به، وبذلك انصرف عني . فأما ما قال الليث : فالله ورسوله
ووصي رسول الله أعلم، قال : إنه ولي عنك يهيمهم، فأحصيت له خمس
همهمات، ثم انصرف عنك . قال جويرية : صدقت والله يا أمير المؤمنين،
هكذا هو . فقال عليه السلام : فإنه قال لك : فاقراً وصي محمد مني السلام، وعقد
بيده خمساً^(٢) .

وإذا كانت الأسود تطيعه وتخافه، فإن الحمى تخافه أيضاً، فعن الباقر
عليه السلام قال : مرض رسول الله صلى الله عليه وآله مرضته، فدخل علي عليه السلام المسجد، فإذا
جماعة من الأنصار فقال لهم : أيسركم أن تدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله ؟
قالوا : نعم، فاستأذن لهم، فدخلوا فجاء علي عليه السلام وجلس عند رأس
رسول الله صلى الله عليه وآله، فأخرج يده من اللحاف وبين صدر رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا
الحمى تنفضه نفصاً شديداً، فقال : يا أمّ ملىء ملىء عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وانتهرها . فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله، وليس به بأس . فقال : «يا بن أبي طالب،

(١) الأنوار النعمانية : لنعمة الله الموسوي، ج ١ باب ١ ص ٣٥ .

(٢) بحار الأنوار : للمجلسي، باب ١ ج ٩ ص ٥٦٧ - ٥٦٨ .

لقد أُعْطِيتُ من خصال الخير حتّى أنّ الحُمّى لتفزع منك»^(١).

ومن الكرامات التي امتاز بها الإمام مسيرُهُ من المدينة إلى المدائن عند وفاة سلمان ورجوعه في ليلة واحدة. فقد رُوِيَ أنّ الخليفة المستنصر العباسي خرج يوماً إلى زيارة قبر سلمان الفارسي سلامُ الله عليه، ومعه محمّد الأقساسي. فقال له الخليفة في الطّريق: إنّ من الأكاذيب ما يرويه غلاة الشيعة من محبّي علي بن أبي طالب من المدينة إلى المدائن لَمّا توفي سلمان، وتغسيله إياه، ورجوعه في ليلته إلى المدينة، فأجابه ابن الأقساسي على البداةة بقوله:

أنكرت ليلة إذ سار الوصيُّ إلى	أرض المدائن لَمّا أن لها طلبا
وغسّل الطّهر سلمان وعاد إلى	عراص يثرب والإصباح ما وحيا
وقلت ذلك من قول الغلام فما	ذنب الغلاة إذا لم يوردوا كذبا
فأصِفْ قبل ردّ الطّرف من سبأ	بعرش بلقيس وافى يخرق الحُجُبا
فأنت في آصف لم تغلّ فيه بلى	في حيدر أنا غالٍ إنّ ذا عَجبا
إنّ كان أحمد خير المرسلين فذا	خير الوصيّين أو كلّ الحديث هبا ^(٢)

وذكر ابن شهر آشوب في (المناقب) ج ١ ص ٤٤٩ هذه الأبيات بتغيير يسير وزيادة ونسبها إلى ابن التميمي.

ونحن نستغرب كيف يستكبرون هذه الكرامة لأُمير المؤمنين، ويعزونها إلى الغلو. وهناك حديث المعراج، وهو من ضروريات الدّين، وقصة آصف وعرش بلقيس، ومحمّد أفضل من سليمان، وعلي أفضل من آصف، فكيف نستكبرها على عليّ، ولم نستكبرها على آصف، وعلي أفضل منه، هذا من جهة، ومن جهة ثانية كيف ننكر هذه المكّمة لعليّ؟ ونثبتها لغيره من أفراد

(١) نفس المصدر، ج ٩ ص ٥٥٩.

(٢) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيد حسن الصدر، وكتاب الغدير: للأميني، ج ٥ ص ٢٠.

الرَّعِيَّةُ مِمَّنْ دُونَهُ، مِنْ دُونِ أَيِّ غَمَزٍ وَنَكْرٍ لَهُمْ. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَارِيخِهِ ج ١٣ ص ٩٤، ذَكَرُوا أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ الْيُونِنِيَّ كَانَ يَحْجُّ فِي بَعْضِ السَّنِينَ فِي الْهَوَاءِ. وَقَدْ وَقَعَ هَذَا لَطَائِفَةً كَبِيرَةً مِنَ الزُّهَادِ وَصَالِحِي الْعِبَادِ، وَلَمْ يَبْلُغْنَا هَذَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَكْبَارِ الْعُلَمَاءِ، وَأَوَّلُ مَنْ يُذَكَّرُ عَنْهُ حَبِيبُ الْعَجْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الصَّالِحِينَ.

ذَكَرَ السَّخَاوِيُّ فِي طَبَقَاتِهِ أَنَّ الشَّيْخَ مُعَالِيَّ سَأَلَ الشَّيْخَ سُلْطَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْبَعْلَبَكِيَّ الْمَتَوَفَى سَنَةَ ٦٤١، فَقَالَ: يَا سَيِّدِي كَمْ مَرَّةً رَحْتَ إِلَى مَكَّةَ فِي لَيْلَةٍ؟ قَالَ: ثَلَاثَ عَشْرَةَ مَرَّةً، قُلْتُ: قَالَ الشَّيْخُ عَبْدَ اللَّهِ الْيُونِنِيَّ: لَوْ أَرَادَ إِلَّا بِصَلِّي إِلَّا فِي مَكَّةَ لَفَعَلَ^(١).

وَذَكَرَ الْحَافِظُ بْنُ الْجَوْزِيِّ فِي (صَفْوَةِ الصَّفْوَةِ) ج ١ ص ٢٢٨ عَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ مَالِكُ بْنُ الْقَاسِمِ جَبَلِيٍّ. . . وَقَدْ جَاءَ وَيَدُهُ غَمْرَةً، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّكَ قَرِيبٌ عَهْدٍ بِالْأَكْلِ؟ فَقَالَ لِي: اسْتَغْفِرُ اللَّهَ فَإِنِّي مِنْذُ أَسْبُوعٍ لَمْ أَكُلْ، وَلَكِنْ أَطْعَمْتُ وَالِدَتِي، وَأَسْرَعْتُ لِأَلْحَقُ صَلَاةَ الْفَجْرِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ سَبْعُمِائَةِ فَرَسَخًا. فَهَلْ أَنْتَ مُؤْمِنٌ بِذَلِكَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرَانِي مُؤْمِنًا مُوقِنًا^(٢).

وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَبَّالُ خَادِمُ الشَّيْخِ جَلَالِ الدِّينِ السُّيُوطِيِّ أَنَّ الشَّيْخَ قَالَ لَهُ يَوْمًا وَقْتُ الْقِيلُولَةِ، وَهُوَ عِنْدَ زَاوِيَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ الْجِيُوشِيِّ بِمِصْرَ بِالْقِرَافَةِ: أَتُرِيدُ أَنْ تَصَلِّيَ الْعَصْرَ بِمَكَّةَ بِشَرَطِ أَنْ تَكْتُمَ ذَلِكَ عَلَيَّ حَتَّى أَمُوتَ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي وَقَالَ: غَمَّضَ عَيْنَيْكَ، فَغَمَضْتُهَا، فَرَحَلَ بِي نَحْوَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ خَطْوَةً، ثُمَّ قَالَ لِي: افْتَحْ عَيْنَيْكَ، فَإِذَا نَحْنُ بَبَابِ الْمَعْلَاةِ، فَزَرْنَا أُمَّنَا خَدِيجَةَ، وَالْفَضْلَ بْنَ عِيَاضَ، وَسَفِينَةَ بْنَ عَيْنَةَ وَغَيْرَهُمْ، وَدَخَلْتُ الْحَرَمَ، فَطَفْنَا وَشَرَبْنَا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، وَجَلَسْنَا خَلْفَ الْمَقَامِ حَتَّى صَلَّيْنَا

(١) شَذَرَاتُ الذَّهَبِ، ج ٥ ص ٢١١، وَكِتَابُ الْغَدِيرِ، ج ٥ ص ٢٠.

(٢) كِتَابُ الْغَدِيرِ، ج ٥ ص ٢٠.

العصر، وطفنا فشربنا من ماء زمزم، ثم قال لي: يا فلان ليس العجب من طي الأرض لنا، وإنما العجب من كون أحدا من أهل مصر المجاورين لم يعرفنا. ثم قال لي: إن شئت تمضي معي، وإن شئت تقيم حتى يأتي الحاج؟ فقلت: أذهب مع سيدي، فمشينا إلى باب المعلّاة، وقال لي: غمّض عينيك، فغمضتها، فهرول بي سبع خطوات، ثم قال لي: افتح عينيك، فإذا نحن بالقرب من الجيوش، فنزلنا إلى سيدي عمر بن الفارض^(١).

فالوليّ الذي منّ الله عليه بطي الأرض له أن يأخذ معة من شاء وأراد من أخلائه وخدمه، فتطوى لصاحبه الأرض أيضاً كرامةً لذلك الولي الصّالح فضلاً عن نفسه، وهذه كلّها لا يناقش فيها ما دام الولي غير موصوفٍ من العترة الطاهرة. وإلاّ فهناك كلّ الجدال والمناقشة، وكلّ الهوس والهيّاج^(٢). إنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. لأنّ هذا الولي تطوى له الأرض، ووليّه علي بن أبي طالب لا تطوى له الأرض، وبشهادة عمر بن الخطّاب: من لم يكن عليّ وليّه فليس بولي. هو مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

فمن كرامات هذا الولي أيضاً ما رواه صاحب بحار الأنوار مرفوعاً بالأسانيد إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه أنّه قال يوماً لأمير المؤمنين عليه السلام بعد موت عمر بن الخطّاب: يا أمير المؤمنين إنّني حزين منذ وفاة رسول الله إلى هذا اليوم، وأريد أن تروّحني هذا اليوم، وتريني من كراماتك ما يزيل عني هذا الغم. فقال عليه السلام: عليّ بالبعثتين اللّتين من رسول الله ﷺ، فلمّا أتى بهما ركب هو واحدة، وركب سلمان الأخرى.

قال سلمان: فلمّا خرجنا من المدينة، وإذا لكلّ بغلة جناحان، فطارتا

(١) شذرات الذهب، ج ٨ ص ٥٠ وكتاب الغدير: للأميني، ج ٥ ص ٢٠.
(٢) من أراد المزيد من الأمثلة التي تقدّم للأولياء وكراماتهم فليراجع الغدير: للشيخ الأميني، ج ٥ ففيه الكفاية.

في الهواء، وارتفعتا، فتعجبت غاية التعجب، فقال لي: يا سلمان، أنظر هل ترى المدينة؟ فقلت: أما المدينة فلا، ولكن أرى آثار الأرض، فأشار إلى البغلتين فارتفعتا في الجو لحظة، فنظرت فلم أر شيئاً في الأرض، وإذا أنا أسمع أصوات التسبيح والتهليل، فقلت: يا أمير المؤمنين، الله أكبر الله أكبر إن هاهنا لبلاداً قد وصلنا إليها. فقال: يا سلمان، هذه أصوات الملائكة بالتسبيح والتهليل، وهذه هي السماء الدنيا فقد وصلنا إليها، فأشار إلى البغلتين، وحرك شفتيه، فأنحطتا طائرتين نحو الأرض، فكان وقوعهما على بحر عريض كثير الأمواج كأن أمواجه الجبال. فنظر إلى ذلك أمير المؤمنين، فسكنت أمواجه، فنزل ﷺ ومشى على وجه الماء، ونزلت أنا، والبغلتان تمشيان خلفنا، فلما خرجنا من ذلك البحر، وإذا هو تتلاطم أمواجه كهيئته الأولى، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما هذا البحر؟ فقال ﷺ: هذا هو البحر الذي أغرق الله فيه فرعون وقومه، فهو يضطرب خوفاً من الله تعالى من ذلك اليوم إلى يوم القيامة، فلما نظرت إليه خاف مني فسكن. وها هو رجع إلى حالته الأولى. قال سلمان: فلما خرجنا من ذلك البحر ومشينا، رأيت جداراً أبيض مرتفعاً في الهوى ليس يُدرك أوله ولا آخره. فلما قربنا إليه إذا هو جدار من ياقوت أو نحوه، فإذا بباب عظيم، فلما دنا منه أمير المؤمنين ﷺ انفتح فدخلنا، فرأيت أشجاراً وأنهاراً وبيوتاً ومنازل عالية فوقها عُرف، وإذا في ذلك البستان أنهار من خمر، وأنهار من لبن، وأنهار من عسل، وإذا فيها أولاد وبنات، وكل ما وصفه الله تعالى في الجنة على لسان نبيه ﷺ رأيت فيه، فرأيت أولاداً وبناتاً أقبلوا على أمير المؤمنين ﷺ يقبلون أياديهِ وأقدامه، فجلس على كرسي، ووقف الأولاد والبنات حوله، فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما هذا الهجران الذي هجرتنا؟ هذه سبعة أيام ما رأيناك فيها يا أمير المؤمنين.

فقلت: يا أمير المؤمنين، ما هذه المنازل في هذا المكان؟ فقال: يا سلمان هذه منازل شيعتنا بعد الموت. تريد يا سلمان أن تنظر إلى منزلك؟ فقلت: نعم، فأمر واحداً، وأخذني إلى منزل عال مبني من الياقوت والزبرجد واللؤلؤ، فيه كل ما تشتهيهِ الأنفس، فأخذت رمانة من ثماره وأتيت إليه،

فقلتُ: يا أمير المؤمنين، هذا منزلي ولا أخرج منه، فقال: يا سلمان هذا منزلك بعد الموت، وهذه منازل شيعتنا بعد الموت، وهذه جنة الدنيا تأتي إليها شيعتنا بعد الموت، فيتنعمون بها إلى يوم القيامة حتى ينتقلوا عنها إلى جنة الآخرة.

فقال سلمان: تعال حتى نخرج، فلما خرج عليه السلام ودّعه أهل تلك الجنة، فخرجنا فانغلق الباب، فمشينا، فقال لي: يا سلمان أتحب أن أريك صاحبك؟ فقلتُ: نعم، فحرك سفينته، فرأيت ملائكة غلاظاً شداداً يأتون برجل قد جعلوا في عنقه سلاسل الحديد والنار تخرج من منخريه وحلقه إلى عنان السماء، والدخان قد أحاط بتلك البرية، وملائكة خلفه تضربه حتى يمشي، ولسانه خارج من حلقه من شدة العطش، فلما قرب قال لي: تعرفه؟ فنظرته، فإذا هو دلام، فقال: يا أمير المؤمنين أغثني، فأنا عطشان معذب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ضاعفوا عليه العذاب، فرأيت السلاسل تضاعفت، والملائكة والنيران تضاعفت، فأخذوه ذليلاً صاغراً، فقال: يا سلمان، هذا دلام، وهذا حاله، فإنه ما من يوم يمضي من يوم موته إلى هذا اليوم إلا وتأتي الملائكة به، وتعرضه عليّ، فأقول لهم: ضاعفوا عذابه، فيتضاعف عليه العذاب إلى يوم القيامة.

قال سلمان: فركبنا، فقال لي: غمّض عينيك يا سلمان، فغمضت عيني، فقال لي: افتحها وإذا أنا بباب المدينة، فقال: يا سلمان، مضى من النهار سبع ساعات، وطفنا في هذا اليوم البواري والقفار والبحار، وكل الدنيا وما فيها^(١).

وإذا تصفّحنا آي الذكر الحكيم آية آية، فإننا لا نعثر على إنسان وصفه كتاب الله عز وجل بمثل ما وصف علي بن أبي طالب وعترته، وأكبر دليل على ذلك «سورة الدهر». ولقد أجاد من قال:

(١) الأنوار النعمانية: لنعمة الله الموسوي الجزائري، ج ١.

وسائل هل أتى نصُّ بحقِّ عليٍّ أجبته هل أتى نصُّ بحقِّ عليٍّ

وخلاصة أسباب النزول كما ذكره الزمخشري في تفسير السُّورة من الكشَّاف قال: وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه أنَّ الحسنَ والحسين مرضا، فعادهما رسولُ الله ﷺ في ناسٍ معه، فقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرتَ عليَّ ولديكَ، فنذر عليٌّ وفاطمةَ وفضةَ جاريةَ لهما أن يبرئا ممَّا بهما أن يصوموا ثلاثةَ أيام، فشفيا، وما معهم شيء، فاستقرض عليٌّ ﷺ من شمعونَ الخيري اليهودي ثلاثةَ أصوع من شعير، فطحنتَ فاطمةُ صاعاً، واختبزت خمسةَ أقراصٍ على عدديهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقفَ عليهم سائل، فقال: السَّلامُ عليكم أهل بيتِ محمَّد! مسكينٌ من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فأثروه، وباتوا ولم يذوقوا إلَّا الماء، وأصبحوا صياماً، فلمَّا أمسوا ووضعوا الطَّعام بين أيديهم، وقف عليهم يتيماً فأثروه، ووقف عليهم أسيراً في الثَّالثة، ففعلوا مثل ذلك، فلمَّا أصبحوا أخذ عليٌّ بيد الحسن والحسين، وأقبلوا على رسولِ الله ﷺ فلمَّا أبصرهم وهم يرتشعون كالفراخ من شدَّة الجوع قال: ما أشدَّ ما يسوءني ما أرى بكم؟ وقامَ فانطلق معهم، فرأى فاطمةَ في محرابها قد التصَّقَ ظهرها ببطنها، وغارتَ عيناها، فسأه ذلك، فنزل جبرئيلُ ﷺ وقال: خذها يا محمَّد! هنَّاكَ الله في أهل بيتك، فأقرأه السُّورة (اه).

لذلك نكلَّف القارئ أن يرجع إلى السُّورة ويقرأها بتمعُّنٍ ليطلع على وصف أكمل الأبرار، وصفوة الصُّفوة، وخيرة الخيرة. فأَيُّ مدحةٍ توازن مدحة الفرقان؟ وأيُّ ثناءٍ يقابلُ ثناء الذِّكر الحكيم؟ وأيُّ عبارةٍ شريفةٍ تكافئُ قول الله تعالى فيهم؟ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ عليّاً وفاطمة والحسن والحسين ﴿يَشْرَبُونَ﴾ الشَّرَاب الطَّيِّب الطَّاهِر يوم العطش الأكبر ﴿مَنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا﴾ الَّذِي تَمَزَجَ بِهِ مَاءٌ مِنْ عَيْنٍ فِي الْجَنَّةِ تُسَمَّى ﴿كَافُوراً﴾. ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ علي وفاطمة والحسن وأمثالهم من الكاملين في العبوديةِ لِلَّهِ سبحانه ﴿يَفْجَرُونَهَا تَفْجِيراً﴾. وقد بيَّن الله سبحانه وتعالى السَّبب في استحقاقهم لهذه الكرامة، فقال: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾، جواباً لسؤالٍ مضمَّر

تقديره ما الذي فعلوه فاستحقوا به هذا الجزاء؟ ﴿ويخافون يوماً كان شره مستطيراً﴾ .

ومن تدبر القرآن الكريم، وغاص على أسراره البالغة وجد في هذه الآيات البينات من عناية الله تعالى في هؤلاء الأبرار أمراً عظيماً لا يوصف بكيف، ولا يقدر بكم، ألا ترى كيف رتب هذه الشهادات في تزكيتهم، فكانت كل شهادة أكبر من سابقتها، إذا شهد أولاً بأنهم يوفون بالنذر، ثم شهد ثانياً بأنهم يخافون يوماً كان شره مستطيراً، فكانت أعظم من الأولى لداليتها على رسوخ الإيمان بالله واليوم الآخر. ثم شهد لهم ثالثاً بما هو أعظم من ذلك فقال: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ . وإنما كانت هذه الشهادة أعظم لكشفها عن كمال نفوسهم، وبلوغهم أقصى الغايات في حب الخير والإيثار على أنفسهم.

بقي أعظم الشهادات وأجلها، وأقوى الأدلة على تزكيتهم وأدلتها وهي: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾ بقول تقولونه، ﴿إننا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً﴾ شديد العبوس، والله جعل لهم البشائر مترادفة، وكل واحدة أعظم من سابقتها، فقال أولاً: ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم﴾ إلى آخر السورة، ثم أربى على ذلك فقال: ﴿ولقاهم نضرة﴾ . في وجوههم ﴿وسروراً﴾ في قلوبهم، ثم ترقى في البشارة فقال: ﴿وجزاهم بما صبروا﴾ على الإيثار مع شدة الجوع ابتغاء مرضاة الله، ﴿جنة وحريراً﴾ ثم فصل البشارة فقال تعالى: ﴿متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهرياً ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً﴾ ثم أثر الإطناب فيما تحدى به من معجزات الكتاب فقال: ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب، كانت قواريرا، قوارير من فضة﴾ فتبارك الله أحسن الخالقين^(١).

(١) الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء لشرف الدين الموسوي.

لقد أجمع أولياء أهل البيت على نزولها في علي وفاطمة والحسن والحسين وصحاحهم في ذلك متواترةً من طريق العترة الطاهرة^(١).
 هذا كتاب الله يُتلى ليل نهار، وفضل عليّ باقٍ ما بقيت سورة الدهر، وهو حجة الله على خلقه مع رسوله الأعظم. ففي كتاب (الأربعين) للحافظ أبي بكر محمد بن عطار بن ميمون عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وعلي حجة الله على عباده». وقد أورده الغر المحدث الحنبلي الموصلي عن أنس أنه قال: كنت جالساً مع النبي ﷺ، إذ أقبل علي بن أبي طالب فقال: يا أنس أنا وهذا حجة الله على خلقه^(٢).

-
- (١) وقد أخرجه كثير من حفاظ الحديث وأئمة التفسير والأعلام، منهم أبو جعفر الإسكافي في رسالته التي ردّ بها على الجاحظ، والحكيم أبو عبد الله الترمذي في نوارد الأصول، ص ٦٤، والطبري ذكره في سبب نزول ﴿هل أتى﴾ كما في الكفاية، وابن عبد ربّه المالكي في (العقد الفريد)، ج ٣ ص ٤٢ - ٤٧ في حديث احتجاج المأمون الخليفة العباسي على ٤٠ فقيهاً، والحاكم النسابوري في (الكفاية)، والثعلبي في تفسيره (الكشف والبيان)، والواحدي النسابوري في تفسيره البسيط، وأسباب النزول، ص ٣٣١، والزّمخشري في (الكشاف)، ج ٢ ص ٥١١، والخوارزمي في المناقب، ص ١٨٠، والحافظ أبو موسى المديني في (الدليل) كما في (الإصابة) والرازي في تفسيره، ج ٨ ص ٢٧٦، وابن الصّلاح الشّرخاني في (الكفاية) وابن طلحة الشّافعي في (مطالب السؤل)، ص ٣١، وابن الجوزي الحنفي في تذكرته من طريق البغوي والثعلبي، وابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة، ج ٣ ص ٢٥٧، والحافظ الكنجي الشافعي في (الكفاية)، ص ٢٠١، والبيضاوي في تفسيره، ج ٢ ص ٥٧١، والحافظ محبّ الدين الطبري في (الرياض النضرة)، ج ٢ ص ٢٠٧ وقال: هذا قول الحسن وقتادة، وابن أبي حمزة الأزدي الأندلسي في (بهجة النفوس)، ج ٤ ص ٢٢٥، وشيخ الإسلام الحموي في فرائد السّمطين، ونظام الدين القمي النّيسابوري في تفسيره هامش الطبري ٢٩ ص ١١٢، وابن حجر في (الإصابة)، ج ٤ ص ٣٨٧ من طريق أبي موسى في (الدليل)، والثعلبي في تفسير ﴿هل أتى﴾ عن مجاهد عن ابن عباس، وإجلال الدين السيوطي في (الدرّ المنثور)، ج ٦ ص ٢٩٩، والشبلنجي في (نور الأبصار)، ص ١٢ - ١٤ وآخرون غيرهم. راجع الغدير للشيخ الأميني النجفي، ج ٣ ص ١٠٧ حتى ١١١ فيه الكفاية.
- (٢) كشف الغمّة: للشيخ الأربلي، ج ١ ص ١٦١.

وكيف لا يكون حجة الله؟ وقد مسح الله أربعاً وعشرين طائفة نتيجة نكرانهم ولايته عليه السلام . فقد روي عن الإصبع بن نباتة قال: جاء نفر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقالوا له: إن المعتمد يزعم أنك تقول هذا الجري مسح، فقال: مكانكم حتى أخرج إليكم، فتناول ثوبه، ثم خرج إليهم، ومضى حتى انتهى إلى الفرات بالكوفة، فصاح يا جري، فأجابه لبيك لبيك! قال: من أنا؟ قال: أنت أمير المؤمنين، وإمام المتقين. فقال له أمير المؤمنين: فمن أنت؟ قال: أنا ممن عرضت عليه ولايتك فجحدتها ولم أقبلها، فمسخت جرياً، وبعض هؤلاء الذين معك يمسحون جرياً. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: فبين قصتك، وممن كنت؟ ومن مسح معك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كنا أربعاً وعشرين طائفة من بني إسرائيل قد تمرّدنا واستكبرنا وطغينا، وتركنا المدن لا نسكنها أبداً، فسكننا المفاوز رغبة في البعد عن المياه، فأتانا آت، أنت والله أعرف به منا في ضحى النهار، فصرخ صرخة فجمعنا في مجمع واحد، وكنا متفرقين في تلك المفاوز، فأردنا أن نقول: لأننا فوق العالم تعزّزاً وتكبراً؟ فقال: قد علمت ما في أنفسكم، أفعلى الله تعزّزون فتكبرون؟ فقلنا له: لا، فقال: أليس قد أخذ عليكم العهد أن تؤمنوا بمحمد بن عبد الله المكي؟ فقلنا له: بلى، قال: وأخذ عليكم العهد بولاية وصيه وخليفته من بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟ فسكتنا ولم نجب إلا بالسنتنا، وقلوبنا ونياتنا لا تقبلها ولا تقرّ بها. فقال: أو تقولون بالسنتكم خاصّة؟ ثم صاح بنا صيحة وقال: كونوا بإذن الله مسوخاً، كلّ طائفة جنساً، ثم قال: أيتها القفار كوني بإذن الله أنهاراً تسكنك هذه المسوخ، واتصلي بأنهار الدنيا وبحارها حتى لا يكون ماء إلا كانوا فيه، فمسحنا ونحن أربع وعشرون طائفة، فمنّا من قال: أيها المقتدر علينا بقدرة الله تعالى، فبحقه عليك إلا ما أغنيتنا عن الماء وجعلتنا على وجه الأرض كيف شئت، قال: قد فعلت، قال أمير المؤمنين عليه السلام: يا جري بين لنا ما كانت أجناس المسوخية البرية والبحرية؟ فقال: أما البحرية فنحن الجري والرق والسلاحف والمارماهي، والزمار، والسراطين وكلاب الماء والضفادع وبيت الهرس، والعيسان، والهوسج والتمساح.

قال أمير المؤمنين: وأما البرية؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، الوزغ والخنافس والكلب والدب والقرد والخنازير والضب والحرباء والورل والخفاش والأرنب والضبع. قال أمير المؤمنين عليه السلام: صدقت أيها الجري، فما فيكم من طبع الإنسانية وخلقها؟ قال الجري: أفواهنا، والبعض لكل صورة، وكلنا تحيض من الإناث. قال أمير المؤمنين عليه السلام: صدقت أيها الجري. قال: يا أمير المؤمنين فهل من توبة؟ فقال عليه السلام: أجل يوم القيامة، وهو الوقت المعلوم، والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين. قال الإصبع بن نباتة: فسمعنا والله ما قال ذلك الجري ووعيناه وكتبناه وعرفناه على أمير المؤمنين عليه السلام (١).

هذه الولاية قديمة حيث أخذ الله العهد على الأرواح قبل حلولها في الأجسام، أي منذ الذرّ والأول أخذ عليها العهود والمواثيق الكثيرة بأنه ربّ واحد لا شريك له، فأقرت الأرواح بذلك، ثم أخذ عليها العهد بالإقرار بالولاية لعلّي وأهل بيته. فأقر من أقر، وأبى من أبى، فتقررت السعادة والشقاء منذ ذلك الوقت، وسجل الله أسماء من أقر بهذه الولاية في صحيفة، وتوارثتها الأئمة حتى القائم، فهي عنده حتى الآن، وكثيراً ما يأتي الرجل فيقول لعلّي: أنا من شيعتك فيكذبه ويقول: لست أرى لك إسماً. يؤيد صحة ذلك ما رواه الحسن بن محبوب، عن جابر بن عبد الله عن أبي عبد الله عليه السلام، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلّي: يا علي إن الله احتج بك على الخلائق حين أقامهم أشباحاً في ابتدائهم، وقال لهم: ألسن بربكم؟ قالوا: بلى، فقال: ومحمد نبيكم؟ قالوا: بلى، قال: وعلي إمامكم؟ قال: فأبى الخلائق جميعاً عن ولايتك، والإقرار بفضلك، وعتوا عنها استكباراً إلا قليلاً منهم، وهم أصحاب اليمين، وهم أقلّ القليل، وأن في السماء الرابعة ملكاً يقول في تسبيحه: سبحان من دلّ هذا الخلق القليل من هذا العالم الكثير على هذا الفضل الجزيل (٢).

(١) إرشاد القلوب: للدليمي، ج ٢ ص ٧٥ وما بعد، منشورات مكتبة العرفان، وكتاب الأنوار النعمانية: لنعمة الله الموسوي، ج ٤ ص ٨٢ وما بعد.

(٢) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ١٨.

وهناك أدلة كثيرة على صحة هذا، منها: أن رجلاً قال لأمير المؤمنين عليه السلام: إني أحببك. فقال له: كذبت. إن الله خلق الأرواح قبل الأجسام بألفي عام. ثم عرض عليّ المطيع منها والعصاة، فما رأيتك يوم العرض في المحبين، فأين كنت؟^(١).

وفي المناقب عن الإصبع بن نباتة، قال: كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام فأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إني أحبك في الله. قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدّثني ألف حديث، ولكل حديث ألف باب، وإن أرواح الناس تتلاقى بعضهم بعضاً في عالم الأرواح، فما تعارف منها ائتلف، وما تنكار منها اختلف، وبحق الله لقد كذبت، فما أعرف وجهك في وجوه أحبائي، ولا إسمك في أسماء أحبائي، ثم دخل عليه الآخر، فقال: يا أمير المؤمنين، إني أحبك في الله، فقال له: صدقت، وقال: إن طينتنا وطينة محبينا مخزونة في علم الله، ومأخوذة أخذ الله ميثاقها من صلب آدم عليه السلام، فلم يشد منها شاذ، ولا يدخل فيها غيرها، فأعد للفقر جلباباً، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «والله الفقر إلى محبينا أسرع من السيل إلى بطن الوادي»^(٢).

ومن الفضائل والكرامات التي امتاز بها عليّ عليه السلام بعثته مع الأنبياء سرّاً، ومع محمد بن عبد الله جهراً. فقد روى صاحب كتاب (القدسيات) - وهو من أعظم محققي الجمهور - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي: يا عليّ إن الله تعالى قال لي: يا محمد بعثت عليّاً مع الأنبياء باطناً، ومعك ظاهراً، فهذا سرّ إلهي في الغاية القصوى من التحقيق. فهذا فرعون لما لحق هارون بأخيه موسى دخلا عليه يوماً، فأوجسا خيفة منه، فإذا فارس يقدمهما، ولباسه من ذهب، وفي يده سيف من ذهب، وكان فرعون يحب الذهب، فقال لفرعون: أجب هذين الرجلين وإلا قتلتهما، فانزعج فرعون لذلك، وقال: عودا إليّ غداً، فلما خرجا دعا البوابين وعاقبهم، وقال: كيف دخل عليّ هذا الفارس بغير إذن؟ فحلفا

(١) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ٢٣٦.

(٢) القندوزي في ينابيعه، ج ١ ص ٦٩، مؤسسة الأعلمي - بيروت.

بعزة فرعون ما دخل إلا هذان الرجلان . وكان الفارس مثال علي الذي آيد الله به النبيين سرّاً، وأيد به محمد جهرّاً، لأنه كلمة الله الكبرى التي أظهرها الله لأوليائه فيما شاء من الصور، فنصرهم بها، وبتلك الكلمة يدعون الله فيجيبهم وينجيهم^(١).

ومن ذلك ما رواه أصحاب التواريخ أن رسول الله ﷺ كان جالساً وعنده جنّي يسأله عن قضايا مشكّلة، فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام، فتصاغر الجنّي حتى صار كالعصفور، ثم قال: أجرني يا رسول الله. فقال: «ممن؟» قال: من هذا الفتى المقبل. فقال النبي ﷺ: وما ذاك؟ قال الجنّي: أتيت سفينة نوح لأغرقها يوم الطوفان، فلما تناولتها ضربني هذا فقطع يدي، ثم أخرج يده مقطوعةً، فقال النبي: «هو ذاك».

وبهذا الإسناد أن جنياً كان جالساً عند رسول الله ﷺ فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام، فاستغاث الجنّي وقال: أجرني يا رسول الله من هذا الشاب المقبل، فقال: «وما فعل بك؟» قال: تمرّدت على سليمان، فأرسل إليّ نفرّاً من الجن، فطلت عليهم، فجاءني هذا الفارس، فأسرني وجرحني، وهذا مكان الضربة إلى الآن لم يندمل، فنزل جبرئيل عليه السلام، وقال: الحقّ يقرئك السلام ويقول لك: إني لم أبعث نبياً قط إلا جعلتُ علياً معه سرّاً، وجعلته معك جهرّاً^(٢).

ومما رواه سلمان وأبوذر عن أمير المؤمنين عليه السلام ما يكبر على غير المحبّين، ويعظم على من لم يدرس علياً دراسةً دقيقةً، فيرفض هذا القول الصحيح، وعذره مقبول، لأنّ العقول تتفاوت، والأذهان تتباين، والقلوب مرايا بعضها أصفى من بعض، والذكر الحكيم يعبر عن مثل هذه المواقف قائلاً: ﴿فإن لم يؤمنوا به فسيقولون هذا إفكٌ عظيمٌ﴾. فقد أشار أمير المؤمنين إلى

(١) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ٩٨ ط ١٣٨٤ هـ.

(٢) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ١٠٢ ط ١٣٨٤ هـ.

سلمان قائلاً: يا سلمان لا يكمل إيمان المؤمن حتى يعرفني بالنورانية، وإذا عرفني ذلك فهو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان، وشرح صدره للإسلام، وصار عارفاً بدينه مستبصراً، ومن قصر عن ذاك فهو شك مرتاب، يا سلمان ويا جندب إن معرفتي بالنورانية معرفة الله، ومعرفة الله معرفتي، وهو الدين البين الخالص. يقول الله سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا بِالْتَّوْحِيدِ﴾ وهو الإخلاص، وقوله: ﴿حَنَفَاءَ﴾ وهو الإقرار بنبوة محمد ﷺ، وهو الدين الحنيف، وقوله: ﴿وَيُقِيمِ الصَّلَاةَ﴾ وهي ولايتي، فمن والاني فقد أقام الصلاة وهو صعب مستصعب، ﴿وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ﴾ وهو الإقرار بالأئمة، وذلك الدهن القيم، شهد القرآن أن الدين القيم الإخلاص بالتوحيد والإقرار بالنبوة والولاية، فمن جاء بهذا فقد أتى بالدين، يا سلمان ويا جندب: المؤمن الممتحن الذي لم يرد عليه شيء من أمرنا إلا شرح الله صدره لقبوله، ولم يشك ولم يرتب، ومن قال: لِمَ وكيف فقد كفر، فسلموا لله أمره، فنحن أمر الله، يا سلمان ويا جندب: إن الله جعلني أمينه على خلقه، وخليفته في أرضه وبلاده وعباده، وأعطاني ما لم يصفه الواصفون، ولا يعرفه العارفون، فإذا عرفتموني هكذا فأنتم مؤمنون. يا سلمان قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ فالصبر محمد والصلاة ولايتي. ولذلك قال: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ ولم يقل: وإنهما ثم قال: ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ فاستثنى أهل ولايتي الذين استبصروا بنور هدايتي. يا سلمان نحن سر الله الذي لا يخفى، ونوره الذي لا يطفى، ونعمته التي لا تجزى أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد، فمن عرفنا فقد استكمل الدين القيم. يا سلمان ويا جندب: كنت ومحمد نوراً نسب قبل المسبحات ونشرق قبل المخلوقات، فقسم الله ذلك النور نصفين: نبياً مصطفى ووصياً مرتضى. فقال الله عز وجل لذلك النصف: كن محمداً، وللآخر كن علياً. ولذلك قال النبي ﷺ: «أنا من علي وعلي مني ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي». وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ وهو إشارة إلى اتحادهما في عالم الأرواح والأنوار. . . إلى قوله: يا سلمان ويا جندب: وكان محمد الناطق، وأنا الصامت، ولا بُدَّ في كل زمانٍ من صامتٍ وناطقٍ، فمحمد

صاحب الجمع، وأنا صاحب الحشر، ومحمد المنذر، وأنا الهادي، ومحمد صاحب الجنة، وأنا صاحب الرجعة، ومحمد صاحب الحوض، وأنا صاحب اللواء، ومحمد صاحب المفاتيح، وأنا صاحب الجنة والنار، ومحمد صاحب الوحي، وأنا صاحب الإلهام، ومحمد صاحب الدلالات، وأنا صاحب المعجزات، ومحمد خاتم النبيين، وأنا خاتم الوصيين، ومحمد صاحب الدعوة، وأنا صاحب السيف والسطوة. محمد النبي الكريم، وأنا الصراط المستقيم. محمد الرؤوف الرحيم، وأنا العلي العظيم. يا سلمان قال الله سبحانه: ﴿يُلْقِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(١). ولا يعطي هذا الروح إلا من فوض إليه الأمر والقدرة، وأنا أحيي الموتى وأعلم ما في السموات والأرض، وأنا الكتاب المبين. يا سلمان: محمد مقيم الحجة، وأنا حجة الحق على الخلق، وبذلك الروح عرج به إلى السماء، أنا حملت نوحاً في السفينة، أنا صاحب يونس في بطن الحوت، وأنا الذي جاورت موسى في البحر، وأهلكت القرون الأولى، وأنا أعطيت علم الأنبياء والأوصياء وفصل الخطاب، وبي تَمَّت نبوة محمد. أنا أجريت الأنهار والبحار، وفجرت الأرض عيوناً، وأنا كاب الدنيا لوجهها. أنا عذاب يوم الظلة. أنا الخضر معلم موسى. أنا معلم داود وسليمان. أنا ذو القرنين. أنا الذي رفعت سمكها بإذن الله عز وجل. أنا دحوت أرضها. أنا المنادي من مكان بعيد. أنا دابة الأرض، أنا كما قال لي رسول الله ﷺ: «أنت يا علي ذو قرنيها وكلا طرفيها، ولك الآخرة والأولى». يا سلمان إن ميتنا إذا مات لم يمُت، ومقتولنا لم يقتل، وغائبنا إذا غاب لم يغيب، ولم نلد ولم نولد في البطون، ولا يقاس بنا أحد من الناس، أنا تكلمت على لسان عيسى في المهد. أنا نوح، أنا إبراهيم، أنا صاحب الناقة، أنا صاحب الرجفة، أنا صاحب الزلزلة. أنا اللوح المحفوظ. إلي انتهى علم ما فيه. أنا أتقلب في الصور كيف شاء الله. من رآهم فقد رآني، ومن رآني فقد رآهم، ونحن في الحقيقة نور الله الذي لا يزول ولا يتغير. يا

(١) سورة المؤمن: آية ١٥.

سلمان بنا شُرفَ كلِّ مبعوث، فلا تدعونا أرباباً وقولوا فينا ما شئتم. فينا هلك،
وبنانجا يا سلمان من آمن بما قلتُ وشرحتُ، فهو مؤمن امتحنَ الله قلبه
للإيمان ورَضِيَ عنه، ومن شكَّ وارتابَ فهو ناصب، وإنَّ الدَّاعي ولايتي فهو
كاذب. يا سلمان أنا والهداة من أهل بيتي سرُّ الله المكنون وأولياؤه المقربون.
كلُّنا واحد، وسرُّنا واحد، فلا تفرِّقوا بيننا فتهلكوا، فإنَّا نظهر في كلِّ زمانٍ بما
شاء الرَّحمن. فالويلُ كلِّ الويل لمن أنكر ما قلت، ولا ينكره إلا أهل الغباوة،
ومن ختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوةً. يا سلمان، أنا أبو كل
مؤمن ومؤمنة، يا سلمان أنا الطَّامة الكبرى، أنا الآفة إذا أزلتُ، أنا الحاقة،
أنا القارعة، أنا الغاشية، أنا الصَّاخة، أنا المحنة النازلة ونحن الآيات
والدَّلالات والحجب ووجه الله، أنا كُتِبَ إسمي على العرش فاستقرَّ، وعلى
السموات فقامت، وعلى الأرض فرسَتْ، وعلى الرِّيح فذرت، وعلى البرق
فلمع، وعلى الوادي فجمع، وعلى النور فقطع، وعلى السَّحاب فدمع، وعلى
الرُّعد فخشع، وعلى اللَّيل فدجا وأظلم، وعلى النَّهار فأثار وابتسم^(١).

يرى البعض أنَّ هذا الكلام صعبٌ، لا يتجرَّعه المرء، وكيف لا يكون
صعباً؟ والإمام يقول: إنَّ كلامي صعبٌ مستصعب لا يعقله إلاَّ العاملون.

فقد روي أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان قاعداً في المسجد، وعنده جماعة
من أصحابه، فقالوا له: حدِّثنا يا أمير المؤمنين، فقال لهم: ويحكم! إنَّ
كلامي صعب مستصعب لا يقبله إلاَّ العاملون. قالوا: لا بدَّ من أن تحدِّثنا.
قال: قوموا بنا، فدخلوا الدَّار، فقال: أنا الَّذي علوتُ فقهرتُ، أنا الَّذي أحيي
وأميتُ، أنا الأوَّل والآخر، والباطن والظاهر، فغضبوا، وقالوا: كفر، وقاموا،
فقال علي عليه السلام للباب: يا باب استمسكْ عليهم، فاستمسك عليهم الباب،
فقال: ألم أقل لكم أنَّ كلامي صعب مستصعب لا يعقله إلاَّ العاملون. تعالوا:
أفسر لكم، أما قلبي: أنا الَّذي علوتُ فقهرتُ، فأنا الَّذي علوتكم بهذا السِّيف

(١) مشارق أنوار اليقين: للبرسي، ص ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧.

فقهرتكم حتى آمنتكم بالله ورسوله . وأما قولي : أنا أحيي وأميت ، فأنا أحيي السنة وأميت البدعة . وأما قولي : أنا الأول فأنا أول من آمن بالله وأسلم . وأما قولي : أنا الآخر ، فأنا آخر من سجد على النبي ﷺ ثوبه ودفنه . وأما قولي : أنا الظاهر والباطن ، فأنا عندي علم الظاهر والباطن . قالوا : فرجت عنا فرج الله عنك^(١) .

وعن علي بن حمدون ، عن فرج بن وفرة ، عن مسعدة ، عن صالح بن ميثم ، عن أبيه ، قال : بينا أنا في السوق ، إذ أتاني الإصبع بن نباتة ، فقال لي : ويحك يا ميثم ، لقد سمعت عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنفاً حديثاً صعباً شديداً أن يكون كما ذكر ، قلت : وما هو؟ قال : سمعته يقول : إن حديثنا أهل البيت صعبٌ مستصعب لا يحمله إلا ملك مقرب ، أو نبي مرسل ، أو مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان . قال : فقمْتُ من فوري ، فأتيت أمير المؤمنين ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، جُعِلْتُ فداك ، حديث أخبرني به الإصبع عنك ، قد ضقتُ به ذرعاً ، قال : فما هو؟ فأخبرته به ، قال لي : اجلس يا ميثم ، أو كلَّ علم العلماء يُحتمل؟ قال الله لملائكته : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ إلى آخر الآية^(٢) .

فهل رأيت الملائكة احتملوا العلم؟ قال : قلت : هَذِهِ وَاللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ تِلْكَ . قال : والأخرى عن موسى ، أنزل الله عليه التوراة ، فظنَّ أن لا أحد في الأرض أعلم منه ، فأخبره الله تعالى أنَّ في خلقي من هو أعلم منك ، وذاك إذ خاف على نبيه العجب . قال : فدعا ربه أن يرشده إلى العالم . قال : فجمع الله بينه وبين الخضر عليهما السلام ، فخرق السفينة فلم يحتمل ذلك موسى . وقتل الغلام فلم يحتمله ، وأقام الجدار ، فلم يحتمل ذلك ، وأما المؤمن فنبيُّنا محمد رسول الله ﷺ أخذ بيدي يوم الغدير فقال ﷺ : «من كنت مولاه فعلي مولاه» . فهل رأيت المؤمنين احتملوا ذلك إلا من عصم الله

(١) بحار الأنوار: للمجلسي ، ج ٩ ص ٦٤٥ - ٦٤٦ .

(٢) سورة البقرة : آية ٣٠ .

منهم؟ ألا أبشروا ثم أبشروا فأبشروا، فإن الله قد خصكم بما لم يخص به الملائكة والنبيين والمؤمنين بما احتملت من أمر رسول الله^(١).

ومن المزايا التي امتاز بها عليّ على سائر الخلق اقتران حبه بحب الله ورسوله، واقتران بغضه ببغض الله ورسوله، فما معنى هذا الاقتران؟ وما دليله؟ وما مغزاه؟ وقد أكدّ نبيّ هذه الأمة ﷺ مراراً بقوله: يا عليّ من أحبّك فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبّ الله. يا عليّ من أبغضك فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله. فما هو السرّ في كون عليّ هو مفتاح الحب والبغض؟ الحقيقة أن حبّ الله وحب رسول الله لا يُجديان شيئاً بدون حبّ عليّ، وكذلك البغض على هذا المنوال. وكذلك الولاء العلوي، وإلاّ فما معنى الحديث القائل: «لو أنّ عابداً عبد الله بين الركن والمقام ألف عام وألف عام حتّى يكون كالشّن البالي، ولقي الله مبغضاً لآل محمّد أكبه الله على منحره في نار جهنم»^(٢).

وكذلك الحديث الذي رواه الخوارزمي عن النبي ﷺ قائلاً: يا عليّ لو أنّ عابداً عبد الله عزّ وجلّ مثل ما قام نوح في قومه، وكان له مثل جبل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله، وحجّ ألف عام على قدميه، ثم قُتل بين الصفا والمروة مظلوماً، ولم يواليك يا عليّ لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها. وكم ردّد النبي ﷺ وصرّح: حبّ عليّ إيمان، وبغضه نفاق. والله لا يحبّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق. حبّ عليّ إيمان، وبغضه كفر، إلى مثات الأحاديث الواردة في الحب والولاء.

ولقد قال الإمام ﷺ: لو ضربت خيشوم المؤمن على أن يبغضني ما فعل، ولو صببت الدنيا على المنافق على أن يحبّني ما فعل. وبذلك أخذ الله لي العهد في الأزل ولم يزل. ولذلك قال للرجل: فما رأيك في المحبّين فأين كنت؟ فعليه عُرِضَت الأرواح، وعليه تُعَرَضُ الأعمال في عالم الأجسام،

(١) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٢٣٢.

(٢) ينابيع المودة: للقندوزي، ج ٣ ص ١٦١.

وعليه تعرض عند الممات، ويعلم مقامها بعد الوفاة. فعليّ قسيم الجنة والنار، يقول: هذا لي فاتركيه، وهذا لك فخذيه.

فهذا القندوزي في ينابيعه ص ٨٥ يروي لنا هذا الحديث، قال: في عيون الأخبار عن أبي الصلت الهروي (قال): قال المأمون لعلي بن موسى الكاظم: أخبرني عن جدك أمير المؤمنين بأي وجه هو قسيم الجنة والنار؟ فقال له الرضا عليه السلام: ألم ترو عن آبائك عن عبد الله بن عباس أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «حبّ عليّ إيمان وبغضه كفر»^(١). فقال: بلى. فقال

(١) أما حديث علامة المؤمن والمنافق فله نصوص منها:

أ - عن أمير المؤمنين أنه قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إليّ: إنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق. أخرجه مسلم في صحيحه، والكفاية، والترمذي في جامعه، ج ٢ ص ٢٩٩، وأحمد في مسنده، ج ١ ص ٨٤، وابن ماجه في سننه، ج ١ ص ٥٥، والنسائي في سننه، ج ٨ ص ١١٧، وفي خصائصه، ص ٢٧، وأبو حاتم في مسنده، والخطيب في تاريخه، ص ٥٥، والبغوي في المصابيح، ج ٢ ص ١٩٩، ومحبّ الدين الطبري في رياضيه، ج ٢ ص ٢١٤، وابن عبد البر في الاستيعاب، ج ٣ ص ٣٧، وابن الأثير في جامع الأصول، وفي تلخيصه (تيسير الوصول)، ج ٣ ص ٢٧٢، وسبط ابن الجوزي في تذاكرته، ص ١٧، وابن طلحة في مطالب السؤل، ص ١٧، وابن كثير في تاريخه، ج ٧ ص ٣٥٤، والحموي في فرائده في الباب ٢٢، والجزري في أسنى المطالب، ص ٧ وصححه، وابن الصبّاغ المالكي في (الفصول)، ص ١٢٤، وابن حجر الهيثمي في الصّواعق، ص ٧٣، وابن حجر العسقلاني عن الحميدي، وأبونعيم في الحلية، وابن أبي عاصم في سننه، والشنقيطي في الكفاية.

ب - صورة أخرى عن أمير المؤمنين: لعهد النبي ﷺ إليّ: «لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق». بعشر أسانيد منهم: النسائي وأبونعيم والإمام أحمد، وابن عبد البر، وابن أبي الحديد، والحموي، والسيوطي وابن حجر.

ج - صور ثالثة: قال أمير المؤمنين: لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صبب الدنيا بجماتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني، وذلك أنه قضى فانقضى على لسان النبي الأمي ﷺ أنه قال: «يا علي لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق».

د - صورة رابعة في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام: قضاء قضاء الله عز وجل على لسان =

الرّضا عليه السلام : لَمَّا كَانَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُؤْمِنِ، وَالنَّارُ لِلْكَافِرِ، فَكُتِبَتْ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ - إِذَا كَانَتْ عَلَى حَبِّهِ وَبَغْضِهِ - فَهُوَ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ. فَقَالَ الْمَأْمُونُ: لَا أَبْقَانِي اللَّهُ بَعْدَكَ، إِنَّكَ وَارِثُ جَدِّكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. قَالَ أَبُو الصَّلْتِ الْهَرَوِيُّ: لَمَّا انْصَرَفَ الرّضا عليه السلام إِلَى مَنْزِلِهِ، قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، مَا أَحْسَنَ مَا أُجِبْتَ بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: يَا أَبَا الصَّلْتِ إِنَّمَا كَلَّمْتَهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبِي يَحْدُثُ عَنْ آبَائِهِ عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «يَا عَلِيُّ أَنْتَ قَسِيمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، تَقُولُ لِلنَّارِ: هَذَا لِي وَهَذَا لَكَ».

وروى أحمد في الفضائل عن المطّلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته: «أوصيكم بحبّ ذي قرنيها أخي وابن عمي علي بن أبي طالب، فإنه لا يحبّه إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا منافق». وفي رواية: «فمن أحبّه فقد أحبّني، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أحبّني أدخله الله الجنّة، ومن أبغضني أدخله الله النار»^(١).

وذكر الخوارزمي في «مناقبه» مرفوعاً إلى عبد الله بن عباس أن النّبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: «أَنْتَ سَيِّدُ فِي الدُّنْيَا وَسَيِّدُ فِي الْآخِرَةِ، مَنْ أَحَبَّكَ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَحَبِيبُكَ حَبِيبُ اللَّهِ، وَمَنْ أَبْغَضَكَ قَدْ أَبْغَضَنِي، وَبَغِضُكَ بَغِضَ اللَّهِ، وَالْوَيْلُ لِمَنْ أَبْغَضَكَ بَعْدِي»^(٢).

وإذا كان الإمام هو مفتاح الحبّ والبغض، فأهل السّماء يحبّون عليّاً أكثر بكثير من حبّ أهل الأرض له. فهذا الحافظ الشّافعي في كتابه (كفاية

= نبيكم النّبي الأميّ أن لا يحبّني إلّا مؤمن، ولا يبغضني إلّا منافق. وهذا الحديث ممّا احتج به أمير المؤمنين يوم الشورى.

(١) تذكرة سبط ابن الجوزي، ص ٣٢ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ، المطبعة العلمية - النّجف.

(٢) مناقب الخوارزمي، ص ٢٣٤ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية - النّجف، وفي ج ٩

من شرح النهج: لابن أبي الحديد، ص ١٧٢ يقول: أوصيكم بحبّ ذي قرباها.

الطالب) عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أُسري بي إلى السماء، وإذا أنا بملك جالس على منبر من نور، والملائكة تحديق به، فقلت: يا جبرئيل من هذا الملك؟ فقال: ادنُ منه وسلّم عليه، فدنوت منه وسلّمت عليه، فإذا أنا بأخي وابن عمي علي بن أبي طالب، فقلت: يا جبرئيل: سبقني علي بن أبي طالب إلى السماء الرابعة فقال: لا، يا محمد، ولكن الملائكة شكت حبّها لعلّي، فخلق الله هذا الملك من نوره على صورة علي بن أبي طالب عليه السلام، فالملائكة تزوره في كلّ ليلة جمعة ويوم جمعة سبعين ألف مرة يستبّحون الله تعالى، ويقدّسونه ويهدون ثوابه لمحّب علي عليه السلام. (ثم قال): قلت: هذا حديث حسن عالٍ^(١).

وصاحب الشريعة السماوية لشدة حبه لعلّي خاطبه الحقّ جل جلاله بلسان علي. فهذا الخوارزمي في (مناقبه) يعطر أنفاسنا بهذا الحديث عن ابن عمر، قال: سمعت رسول الله ﷺ وقد سئل بأيّ لغة خاطبك ربك ليلة المعراج؟ فقال: خاطبني بلغة علي بن أبي طالب عليه السلام، فألهمني أن قلت: يا ربّ خاطبتني أنت أم علي؟ فقال: يا أحمد، أنا شيء، لا كالأشياء، لا أقاس بالناس، ولا أوصف بالأشياء، خلقتك من نوري، وخلقت عليّاً من نورك، فاطلعت على سرائر قلبك فلم أجد إلى قلبك أحبّ من علي بن أبي طالب، فخاطبتك بلسانيه كي يطمئن قلبك^(٢).

وكيف لا يحبه؟ وأحاديثه ﷺ ملأى بالكتب توضّح ما لمحبي علي من الفوز والسعادة حتّى أنّ المطّلع على هذه الأحاديث يغبط نفسه إذا كان من محبيه. فمن هذه الأحاديث:

(١) مقام الإمام علي عند الخلفاء لنجم الدين العسكري، وإرشاد القلوب: للديلمى، ص ٢٧، وپرويه الخوارزمي الحنفي في مناقبه، ص ٤٧، وفي كتابه مقتل الحسين، ج ١ ص ٤٢.

(٢) كتاب المناقب، ص ٣٧ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدريّة، وفي كتابه مقتل الحسين، ج ١ ص ٤٢.

خرج الرسول ﷺ على الحجيج عشية عرفة، فقال لهم: إِنَّ اللَّهَ قَدْ
باهى بكم الملائكة عامة، وغفر لكم عامة، وباهى بعلي خاصة، وغفر له
خاصة. إني قائل لكم قولاً غير محابٍ فيه لقرايتي، إِنَّ السَّعِيدَ كُلَّ السَّعِيدِ حَقَّ
السَّعِيدِ مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ. ورواه ابن حنبل في كتاب
(فضائل علي) وفي المسند أيضاً^(١).

وفي كنز العمال ج ٦ ص ١٥٥ نقلاً عن المعجم الكبير للطبراني،
أخرج حديثاً بسنده عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «ألا
أرضيك يا علي أنت أخي ووزير تقضي ديني وتنجز مواعيدي وتبرئ ذمتي،
فمن أحببك في حياة مني فقد قضى نحبه، ومن أحببك في حياة منك بعدي
ختم الله له بالأمن والإيمان، ومن أحببك بعدي ولم يرك ختم الله له بالأمن
والإيمان وآمنه يوم الفزع، ومن مات وهو يبغضك يا علي، مات ميتة جاهلية
يحاسبه الله بما عمل في الإسلام».

ذكر هذا الحديث في حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني، وفي كنز
العمال، وعن المستدرک للصحيحين البخاري ومسلم^(٢).

وفي كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ١٨٤ خرج بسنده عن
شريح بن هانئ عن أبيه عن عائشة قالت: ما خلق الله خلقاً كان أحبَّ إلى
رسول الله ﷺ من علي بن أبي طالب. ثم قال: هذا حديث حسن، رواه
ابن جرير في مناقبه، وأخرجه ابن عساكر في ترجمته، وخرجه كثيرون من
علماء السنة^(٣).

وفي كفاية الطالب أيضاً ص ١٣٣ خرج بسنده عن عائشة قالت: قال
رسول الله ﷺ - وهو في بيتها لما حضرته الوفاة - ادعوا لي حبيبي، فدعوت

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٩ ص ١٦٩ ط ١٩٦٠ م، دار إحيار الكتب
العربية.

(٢) كتاب مقام الإمام أمير المؤمنين علي عند الخلفاء: للعسكري.

(٣) نفس المصدر: للعسكري.

له أبا بكر، فنظر إليه، ثم وضع رأسه، ثم قال: ادعوا لي حبيبي، فدعوت له عمر، فلما نظر إليه وضع رأسه، ثم قال: ادعوا لي حبيبي، فقلت: ويلكم ادعوا له علياً، فوالله ما يريد غيره، فلما رآه أخرج الثوب الذي كان عليه، ثم أدخله فيه، فلم يزل محتضنه حتى قبضَ ويده عليه (أي يد رسول الله ﷺ) على يد علي عليه السلام (١).

وأخرج ابن عساكر في تاريخه مسنداً عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ في حديث: «يا علي لو أن أمتي صاموا حتى يكونوا كالحنايا، وصلوا حتى يكونوا كالأوتار، ثم أبغضوك لأكبهم الله في النار»، وذكره الكنجي في (الكفاية) ص ١٧٩، وأخرجه الفقيه ابن المغازلي في (المناقب)، ونقله عن القرشي في (شمس الأخبار) ص ٣٣، ورواه شيخ الإسلام الحموي في (الفرائد) في الباب الأول (٢).

وعن بريدة قال: قال لي النبي ﷺ: «يا بريدة لا تبغض علياً، وإن كنت تحبه فازدّد له حباً». قال: فما كان أحدٌ من الأئمة أحب إلي من علي. أخرجه أحمد (٣).

وحديث الطير من الأدلة المتعددة التي تثبت أن علياً أحب مخلوق إلى الله عز وجل، فقد أخرجه الخطيب الموفق محمد بن أحمد الخوارزمي الحنفي في تاريخ مقتل الحسين يرفعه بسنده إلى أنس بن مالك. وذكر الخوارزمي بأن الحافظ بن مردويه أخرج هذا الحديث بمائة وعشرين إسناداً، وقال أبو عبد الله الحافظ: صحّ حديث الطير وإن لم يخرجاه (يعني البخاري ومسلم). وأخرجه الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب) ص ٩٢، ومنهم الحافظ محمد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤل ص ٢١، ومنهم العلامة الحموي الشافعي في (فرائد السمطين) ج ١ باب ٢٧، ومنهم أبو جابر

(١) نفس المصدر: لنجم الدين العسكري وكشف الغمة: للأربلي، ج ١ ص ١٠٢.

(٢) الغدير: للأميني، ج ٢.

(٣) ينابيع المودة: للقندوزي، ج ٢ ص ٣٦.

عبد الحميد الشافعي المعروف بابن أبي الحديد في شرحه للنهج ، ومنهم الحافظ أبو نعيم في (حلية الأولياء) ج ١ ص ٦٣ ، ومنهم السيد هاشم البحراني في (غاية المرام) ص ١٦ و ٦١٩ ، وذكره القندوزي في (ينابيع المودة) ضمن أربعة وعشرين حديثاً في فضائله^(١).

وهذا تفصيل حديث الطير: عن أنس بن مالك قال: كان عند النبي ﷺ طير، فقال: «اللهم آتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، فجاءه علي فأكل معه». وأخرج أبو عيسى الترمذي هذا الحديث في جامعه، وذكره النسائي في حديثه ص ١٠٥.

وهذا الخليفة العباسي المأمون عندما احتجّ على أربعين فقيهاً من فقهاء المسلمين في فضل علي، ناقشهم مناقشةً علميةً مفحمة، وبين لهم الحقّ لمن أراد الله فيه الخير. ومن هذه المناقشة حديث الطير. قال المأمون: يا إسحق أتروي الحديث؟ قلت: نعم، قال: فهل تعرف حديث الطير؟ قلت: نعم، قال: فحدّثني به، فحدّثته الحديث، فقال: يا إسحق، إني كنت أكلُك وأنا أظنُّك غير معاند للحقّ، فأما الآن فقد بان لي عنادُك أنّك توقن أنّ هذا الحديث صحيح، ثمّ زعم أن أحداً أفضل من علي - لا يخلو من إحدى ثلاثٍ - من أن تكون دعوة الرسول ﷺ عنده مردودةً عليه، أو أن يقول: عرف الفاضل من خلقه، وكان المفضل أحبّ إليه، أو أن يقول: إنّ الله تعالى لم يعرف الفاضل من المفضل! فأبي الثلاثة أحبّ إليك أن تقول؟ قال إسحق: فأطرقتُ، ثم قال: يا إسحق لا تقل منها شيئاً، فإن قلت منها شيئاً، استبتّك، وإن كان للحديث عندك تأويل غير هذه ثلاثة الأوجه فقله. قلت: لا أعلم، وإنّ لأبي بكر فضلاً، قال: أجل، لولا أنّ له فضلاً لما قيل: إنّ علياً أفضل منه، فما فضله الذي قصدت له الساعة؟ قلت: قوله تعالى: ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا﴾^(١)، فنسبته إلى

(١) علي والوصية: لنجم الدين العسكري.

(٢) سورة التوبة: آية ٤١.

صحبتہ . قال : يا إسحق ، أما إني لا أحملك على الوعر من طريقك . إني وجدتُ الله تعالى نسب إلى صحبتہ مَنْ رَضِيَهُ ورضي عنه كافرًا ، كقوله تعالى : ﴿فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾^(٢) قلتُ : إنَّ ذلكَ صاحبًا كان كافرًا ، وأبو بكر مؤمن . قال : فإذا جاز أن ينسب إلى صحبتہ نبيُّ مؤمنًا وليس بأفضل المؤمنين ، ولا الثاني ولا الثالث . قلتُ : يا أمير المؤمنين إنَّ قدر الآية عظيم ، إنَّ الله يقول : ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هَمَّا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ . قال : يا إسحق تأبى الآن إلا أن أخرجك إلى الاستقصاء عليك ! أخبرني عن حزن أبي بكر أكان رضا لله أم سخطًا؟ قلتُ : إنَّ أبا بكر إنما حزن من أجل رسول الله ﷺ خوفًا عليه وغمًا أن يصل إلى رسول الله ﷺ بشيء من المكروه ، قال : ليس هذا جوابي ، إنما كان جوابي أن تقول : رضا أم سخط؟ قلتُ : بل كان رضا لله . قال : فكان الله جلَّ ذكره بعث إلينا رسولاً ينهى عن رضا الله تعالى ، وعن طاعته؟ قلتُ : أعوذ بالله . قال : أو ليس قد زعمت أن حزن أبي بكر رضا لله؟ قلتُ : بلى ، قال : أو لم تجد أن القرآن يشهد أن رسول الله ﷺ قال : «لا تحزن» نهياً له عن الحزن ، قلتُ : أعوذ بالله ، قال : يا إسحق إن مذهبي الرفق بك لعلَّ الله يردُّك إلى الحق ويعدُّ بك عن الباطل ، فحدَّثني عن قوله : ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ مَنْ عَنِ ذَلِكَ؟ الرسول ﷺ أم أبا بكر؟ قلتُ : رسول الله ﷺ ، قال : صدقت .

قال : فحدَّثني عن قوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ ... إلى قوله : ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ، أتعلم من المؤمنين هنا؟ قلتُ : لا أدري . قال النَّاسُ جميعاً انهزموا يوم حُنَيْنٍ فلم يبق مع الرسول ﷺ إلا سبعة نفر من بني هاشم ، علي يضرب بسيفه بين يدي رسول الله ، والعبَّاس آخذ بلجام بغلة رسول الله ، والخمسة محدقون

(١) سورة الكهف : آية ٣٨ .

به خوفاً من أن يناله من جراح القوم شيء حتى أعطى الله لرسوله الظفر، فالمؤمنون في هذا الموضع علي خاصة، ثم من حضره من بني هاشم. قال: فمن أفضل من كان مع رسول الله ﷺ في ذلك الوقت؟ أم من انهزم عنه ولم يره الله موضعاً لينزلها عليه؟ قلت: بل من أنزلت عليه السكينة. قال: يا إسحق، من أفضل؟ من كان معه في الغار أم من نام على فراشه وقاه بنفسه حتى تم لرسول الله ﷺ ما أراد من الهجرة؟ إن الله تبارك وتعالى أمر رسوله بأن يأمر علياً بالنوم على فراشه، وأن يقي رسول الله ﷺ بنفسه، فأمره رسول الله ﷺ بذلك، فبكى علي رضي الله عنه. فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا علي؟ أجزعاً من الموت؟» قال: لا، والذي بعثك بالحق يا رسول الله، ولكن خوفاً عليك، أفتسلم يا رسول الله؟ قال: نعم، قال: سمعاً وطاعةً وطيبة نفسي بالغداء لك يا رسول الله. ثم أتى مضجعه واضطجع، وتسجى بثوبه، وجاء المشركون من قريش، فحفوا به لا يشكون أنه رسول الله ﷺ، وقد أجمعوا أن يضربه من كل بطن من بطون قريش رجل ضربة بالسيف لئلا يطلب الهاشميون من البطون بطناً بدمه، وعلي يسمع ما القوم فيه من إتلاف نفسه، ولم يدعه ذلك إلى الجزع، كما جزع صاحبه في الغار، ولم يزل علي صابراً محتسباً، فبعث الله ملائكته، فمنعته من مشركي قريش، حتى أصبح، فلما أصبح قام فنظر القوم إليه، فقالوا: أين محمد؟ قال: وما علمي بمحمد أين هو؟ قالوا: فما نراك إلا مغوراً بنفسك منذ ليلتنا، فلم يزل علي أفضل ما بدأ به يزيد ولا ينقص حتى قبضه الله إليه^(١).

ولشدة حب الله ورسوله لعلي فقد فرضا محبته على أهل السموات والأرض، وهذا شرف لا يضاهيه شرف وفخر لا يجاريه فخر، وخير من طبق هذا الحب العلوي من أهل الأرض كبار الزهاد من صحابة محمد ﷺ، فقد تфанوا في حب أبي تراب، وهم يشعرون بأنهم مقصرون، وهذه بعض الأدلة:

(١) العقد الفريد: لابن عبد ربه، ج ٣ ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ط ١ سنة ١٣٣١ هـ.

ففي كتاب (المناقب) للخوارزمي قال رجل لسلمان: ما أشدُّ حبُّكَ لعلِّي! قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من أحبَّ عليًّا فقد أحبَّني، ومن أبغض عليًّا فقد أبغضني»^(١).

وفي كتاب (المناقب) أيضاً عن معاوية بن ثعلبة، قال: جاء رجلٌ إلى أبي ذر، وهو جالس في المسجد، وعلي يصلي أمامه، فقال: يا أبا ذرٍ ألاَّ تحدِّثني بأحبِّ النَّاسِ إليك؟ فوالله لقد علمتُ أنَّ أحبَّهم إليك أحبَّهم إلى رسول الله ﷺ. قال: أجل، والذي نفسي بيده إنَّ أحبَّهم إلي أحبَّهم إلى رسول الله ﷺ، وهو ذلك الشيخ - وأشار بيده إلى علي عليه السلام^(٢).

وكثيراً ما كان المسلم يشاهد تقدير وإعظام الرُّسول ﷺ لعلِّي، فيسألونه عن مقدار حبه له. فهذا ابن عباس يروي لنا أنَّ عليًّا دخل على النبي ﷺ فقام إليه وعانقه، وقَبَّل ما بين عينيه، فقال له العباس: أتحبُّ هذا يا رسول الله؟ قال: «يا عمَّ، واللهِ الله أشدُّ حبًّا له منِّي». أخرجه القزويني^(٣).

هذا هو الإمام، فهو حبيبٌ لله ولرسوله وللمؤمنين، وهناك قاعدتان أساسيتان لا يشذَّ عنها أيُّ إنسان:

الأولى: كلٌّ من يدَّعي بأنَّه يحب الرُّسول ويكره عليًّا، فهو كذاب في حبه.

الثانية: كلٌّ من يبغض عليًّا فهو ابن زنى أو ابن حيضة أو منافق. وهذه بعض الأدلَّة:

روى صاحب كتاب (كشف الغمَّة) ما يلي: ومن أخبار ابن مهدي رواية أبي جعفر محمَّد بن الحسن بن علي الطُّوسي، عن عبد الله بن مسعود، قال:

(١) كشف الغمَّة للأربلي، ج ١ ص ١٠٣، والمناقب للخوارزمي، ص ٣٠ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية - النجف.

(٢) كشف الغمَّة أيضاً، ج ١ ص ٩٩.

(٣) ينابيع المودة للقندوزي، ج ٢ ص ٢٩.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من زعم أنه آمن بي وبما جئتُ به، وهو مبغضٌ عليًّا، فهو كاذبٌ ليس بمؤمن»^(١).

وروى صاحب كتاب (الرَّوضة) عن أحمد بن مظفر بحذف الأسانيد عن أنس بن مالك، قال: كنَّا عند رسول الله ﷺ، وعنده جماعة من أصحابه، قالوا: يا رسولَ الله، إنَّكَ لأحبُّ إلينا من أنفسنا، قال: فدخل علي ﷺ، فقال: «إلَيَّ يا أبا الحسن. لقد كذب من زعم أنه يحبُّني ويبغضُكَ».

ولو لم يكن هناك دليلٌ سوى ما مرَّ معنا من الأحاديثِ القائلة: «يا عليُّ: من أبغضَكَ فقد أبغضني»، لكفى دليلاً لصحة القاعدة الأولى.

أمَّا الأدلَّة على القاعدة الثانية فكثيرة منها: أخرج الحافظ الطبري في كتاب (الولاية) بإسناده عن علي ﷺ أنه قال: لا يحبُّني ثلاثة: ولد زني، ومناقب، ورجلٌ حملت به أمُّه في بعض حيضها^(٢).

وعن ابن عباس قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: رأيتُ النَّبي ﷺ عند الصُّفا، وهو مقبِلٌ على شخص في صورة الفيل، وهو يلعنه، فقلت: ومن هذا الذي يلعنه رسول الله؟ قال: هذا الشيطان الرَّجيم. فقلت: والله يا عدوَّ الله لأقتلَنَّك ولأريحَنَّ الأُمَّة منك. قال: والله ما هذا جزائي منك، قلتُ: وما جزاؤك مِنِّي يا عدو الله؟ قال: والله ما أبغضَكَ أحدٌ إلَّا شرَكَتُ أباه في رحم أمِّه. أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص ٢٩٠، والكنجي في الكفاية ص ٢١ عن أربعٍ من مشايخه. وأخرجه الخوارزمي في (مناقبه) ص ٢٣٢ ط ١٩٦٥ المطبعة الحيدريَّة بالنجف^(٣).

وروى الترميذي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: كنَّا نعرف المنافقين - نحن الأنصار - ببغضهم عليًّا. وممَّا ورد عن طريق الثَّقَات أن عليًّا لا يبغضه

(١) كشف الغمَّة: للأربلي، ج ٢ ص ٢٢.

(٢) الغدير: للشيخ الأميني، ج ٤ ص ٣٢٢.

(٣) نفس المصدر: ج ٤ ص ٣٢٤.

أحد قط إلا وقد شارك إبليس في رحم أمه^(١).

وأخرج الحافظ ابن مردويه، عن أحمد بن محمد النيسابوري عن عبد الله بن أحمد بن حنبل، عن أحمد، قال: سمعت الشافعي يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: قال أنس بن مالك: ما كنا نعرف الرجل لغير أبيه إلا ببغض علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٢).

وأخرج الحافظ الجزري عن عبادة الصّامت قال: كنا نبور (نجرب) ونختبر أولادنا بحب علي بن أبي طالب. فإذا رأينا أحدهم لا يحب علياً علمنا أنه ليس منا، وأنه لغير رشدة. ثم قال الحافظ: وهذا مشهور من قديم، وإلى اليوم أنه ما يبغض علياً رضي الله عنه إلا ولد زنى^(٣).

وأخرج ابن مردويه عن أنس في حديث: كان الرجل من بعد يوم خبير، يحمل ولده على عاتقه، ثم يقف على طريق علي رضي الله عنه، فإذا نظر إليه أوماً بإصبعه: يا بني أتحب هذا الرجل؟ فإن قال: نعم، قبله، وإن قال: لا، خرق به الأرض، وقال له: إلحق بأمك^(٤).

وفي (كشف اليقين) للعلامة قدس الله سره، كان لأبي دلف ولد، فتحدث أصحابه في حب علي وبغضه، فروى بعضهم عن النبي ﷺ أنه قال: «يا علي لا يحبك إلا مؤمن تقي، ولا يبغضك إلا ولد زنية أو حيضة»، فقال ولد أبي دلف: ما تقولون في الأمير؟ هل يؤتى في أهله؟ فقالوا: لا، قال: واللّه إنني لأشدُّ الناس بغضاً لعلي بن أبي طالب. فخرج أبوه وهم في التّشاجر، فقال: «واللّه إن هذا الخبر لحق». واللّه إنه لولد زنية وحيضة معاً.

(١) الرياض النضرة، ج ٢ ص ١٨٩، والغدير، ج ٣ ص ٢٦.

(٢) الغدير: للشيخ الأميني، ج ٤ ص ٣٢٢.

(٣) أسنى المطالب، ص ٨، والغدير، ج ٣ ص ٢٦، ونهاية ابن الأثير، ج ١ ص ١١٨،

والغريبين للهروي، ولسان العرب، ج ٥ ص ١٥٤، وتاج العروس، ج ٣ ص ٦١.

(٤) الغدير: للأميني، ج ٤ ص ٣٢٢.

إني كنت مريضاً في دار أخي في حمى ثلاث، فدخلت على جارية لقضاء حاجة فدعتني نفسي إليها، فأبت وقالت: إني حائض، فكأبرتها على نفسها، فوطئتها، فحملت بهذا الولد، فهو لزنية وحيضة معاً^(١).

ويحدثنا صاحب (بحار الأنوار) أيضاً هذا الحديث التالي: يقول: وحكى والدي رضي الله عنه قال: اجتزت يوماً في بعض دروب بغداد مع أصحابي، فأصابني عطش، فقلت لبعض أصحابي: أطلب ماءً من بعض الدروب، فمضى يطلب الماء، ووقفت أنا وباقي أصحابي ننتظر الماء، وصبيان يلعبان، أحدهما يقول: الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، والآخر يقول: إنه أبو بكر. فقلت: صدق النبي ﷺ، يا علي، ما يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا ولد حيضة. فخرجت المرأة بالماء، فقالت: بالله عليك يا سيدي اسمعني ما قلت: فقلت: حديث رويته عن النبي ﷺ لا حاجة لذكره، فكررت السؤال، فرويته لها. فقالت: والله يا سيدي إنه لخبر صدق، إن هذين ولداي. فالذي يحب علياً ولد طهر، والذي يبغضه حملته في الحيض، جاء والده إلي، فكأبر على نفسي وأنا حائض، فنال مني، فحملت بهذا الذي يبغض علياً^(٢).

يقول الصاحب بن عباد:

حبّ علي بن أبي طالب فرض على الشاهد والغائب
وأُم من نابذه عاهر تُبذل للنازل والراكب

ولقد أحسن من أشار إلى هذا المقام فقال:

أمير المؤمنين أراك لمّا ذكرتكَ عند ذي ثقة صغى لي
وإن كررت ذكركَ عند نفل تكدر سرّه وبغى قتالي
فصرت إذا شككت بأصل مر ذكرتكَ بالجميل من الخصال

(١) الغدير: للأميني، ج ٤ ص ٣٢٤.

(٢) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٤١٠.

فها أنا قد خبرتُ بك البرايا فأنت محك أولادِ الحلالِ
وليس يطيق حمل ثنأك إلا كريم الأصل، محمود الفِعالِ

وبهذا المعنى يقول بعضهم:

وإما رأيتَ عَدُوًّا له ففي أصله نسبٌ مستعارُ
فلا تعذلوهُ على بغضِهِ فحيطان دار أبيه قِصارُ

فالسَّعيد السَّعيد من أنعم الله عليه بحبِّ علي، والإقرار بفضلِهِ، ووجد
حبَّهُ متغلغلاً في عروقه، ووجد صدره منشِراً عند استماع فضائلِهِ، ولم يجد
الشكوك تنازعه، ولا يد الإنكار تمانعه، فقد طاب مولدُهُ وعنصره، وزكا منبته،
وإلا فنسبه فاسد ومنبته سيءٌ.

هذا هو علي بن أبي طالب الَّذي حُبُّه عنوان صحيفة كلِّ مؤمن، فهل
هناك في الأُمَّة الإسلامية والعالم قاطبة رجل له هذه المزايا والفضائل؟ بل هل
هناك ما هو أسمى وأعظم؟ فإذا تحلَّى آدم بالعلم لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ
الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(١). وإذا امتاز نوح بالتقوى، وإبراهيم بالحلم، وموسى
بالبهية، وعيسى بالعبادة، فعليُّ جمع كلِّ هذه الصِّفات، علاوةً عن الصِّفات
الأخرى التي هي فخر وعزٌّ للإنسانية.

ففي الفصول المهمَّة لابن الصَّبَّاح المالكي يقول: روى البيهقي في
كتابه الَّذي صنَّفه في فضائل الصُّحابة، يرفعه بسننِهِ إلى رسول الله ﷺ أَنَّهُ
قال: «من أراد أن ينظرَ إلى آدم في علمه، وإلى نوحٍ في تقواه، وإلى إبراهيم
في حلمه، وإلى موسى في هيئته، وإلى عيسى في عبادتِهِ، فلينظر إلى
علي بن أبي طالب»^(٢).

وهذا تنبيهٌ على أنَّ عليّاً هو المثل الأعلى، وكيف لا يكون ذلك؟ والنظر

(١) سورة البقرة: آية ٣١.

(٢) الفصول المهمَّة، ص ١٠٦ - ١٠٧ ط ٢ عام ١٩٦٢ م.

إليه عبادة، والوقوف معه عبادة، والموت على حبه شهادة، وموالاته سعادة. ولقد نوه ابن أبي الحديد المعتزلي في قصيدته العينية بهذه العظمة الرائعة قائلاً:

والله لولا حيدرُ ما كانت الدُّنيا ولا جَمَعَ البرية مُجْتَمِعٌ
وإليه في يوم المعاد حسابُنَا وهو الملاذ لنا غدا والمفرغُ

ولكثرة الخصال الجليلة والأعمال العظيمة والمزايا الفريدة التي امتاز بها عليٌّ على غيره من الناس خاف النبي الأعظم ﷺ من الغلو به، فاقصر عن أن يصفه بما يستحق، فقال ﷺ: «لولا أنني أشفقتُ أن تقول فيكَ طوائف ما قالت النصارى في عيسى لقلت فيكَ اليوم مقالاً لا تمرُّ بملاً منهم إلا أخذوا التراب من تحت قدميك تبرُّكاً».

ولكن صاحب الشريعة الغراء عرفه فضله وكرامته عند الله. فقد روى الصدوق بإسناده إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح، فلما سلم قال: أين ابن عمي وقاضي ديني ومنجز وعدي؟ أين علي بن أبي طالب؟ فأجابه بالتلبية لبَّيك لبَّيك يا رسول الله. قال: يا علي، أتريد أن أعرفَكَ فضلك من الله تعالى؟ قال: نعم، يا حبيبي، قال: يا علي، اخرج إلى صحن المسجد فإذا طلعت الشمس فسلم عليها. قال: فخرج علي عليه السلام إلى صحن المسجد، فلما طلعت الشمس، قال لها: السلام عليك أيتها الشمس! فقالت: وعليك السلام يا أول يا آخر يا باطن يا ظاهر، يا من هو بكل شيء عليم. قال: فضجَّت الصحابة، قالوا: يا رسول الله، بالأمس تقول لنا: الأول والآخر صفاتُ الله!! قال: «نعم، تلك صفاتُ الله عزَّ وجلَّ وهو الله وحده لا شريك له يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير». قالوا: فما بالنا نسمع الشمس تقول لعلي هذا؟ أفصار علي رباً يعبد؟؟ فقال النبي ﷺ: «استغفروا الله، ثم توبوا إليه». أمّا قولها: يا أول، فهو أول من آمن بي وصدقني، وأمّا قولها:

يا آخِر، فهو آخر من يكسر الأصنام، وأما قولها: يا ظاهر، فهو والله أظهر دين الله بالسيف، وأما قولها: يا باطن، فهو باطن بطينة علمي. وأما قولها: يا مَنْ هو بكل شيءٍ عليم. فوعزّة ربّي ما علّمني ربّي شيئاً إلا علّمته علياً، وأنه بطرق السّماء أعرف بها من طرق الأرض^(١).

وحدّث تسليم الشّمس لعليّ عليه السلام رواه علماء السنّة والشيعة على السّواء، ففي مناقب الخوارزمي ص ٦٣ - ٦٤ قال: أخبرني شهردار إجازة، أخبرني عبدوس هذا كتابة، حدّثني الشيخ أبو الفرج^(٢) محمّد بن سهل، حدّثني أبو العبّاس أحمد بن إبراهيم بن تركان، حدّثني زكريّا بن عثمان أبو القاسم ببغداد، حدّثنا محمّد بن زكريّا الغلابي^(٣)، حدّثني الحسن بن موسى بن محمّد بن عبّاد الجزّار، حدّثني عبد الرّحمن بن القاسم الهمداني، حدّثني أبو حاتم محمّد بن محمّد الطّالقاني أبو مسلم، عن الخالص الحسن العسكري، عن النّاصح علي الهادي، عن أبيه، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب، عن المصطفى محمّد الأمين سيّد الأوّلين والآخرين صلّى الله عليهم أجمعين، أنّه قال لعليّ بن أبي طالب عليهما السّلام: كَلِمَ الشّمس فإنّها تكلمُكَ. قال عليّ عليه السلام: السّلامُ عليك أيّتها العبد الصّالح المطيعة لله^(٤)، فقالت الشّمس: وعليك السّلام يا أمير المؤمنين وإمام المتّقين وقائد الغر المحجلّين، يا عليّ أنت وشيعتُك في الجنّة. يا عليّ أوّل من تنشقّ عنه الأرض محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، ثم أنت، وأوّل من يحيا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، ثم أنت، وأوّل من يُكسّا محمّد، ثم أنت، قال: فانكبّ عليّ عليه السلام ساجداً وعيناهُ تذرفان بالدموع. فانكبّ عليه النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وقال: «يا أخي وحبّبي ارفع

(١) الأنوار النعمانية: لنعمة الله الموسوي، ج ٤ ص ٧٢-٧٣، وذكره صاحب كتاب الرّوضة في كتابه مع اختلاف طفيف في اللفظ.

(٢) في مقتل الخوارزمي، ج ١ ص ٤٩، أبو الفرج أحمد بن سهل.

(٣) في المقتل، ج ١ ص ٤٩ زكريّا الغلابي.

(٤) أيها العبد الصالح المطيع لله (خ ل).

رأسك، فقد باهى الله بك أهل سبع سموات»^(١).

وعلق نجم الدين العسكري على ذلك، فقال: أخرج الحديث الخوارزمي في كتابه «مقتل الحسين» عليه السلام ج ١ ص ٤٩ - ٥٠ مع اختلاف في سند الحديث ومنتنه، هذا وقد ذكر الحديث في (ينابيع المودة) نقلاً عن (فرائد السمطين)، وموفق بن أحمد الخوارزمي، مع اختلاف في المتن والسند. وقد أخرج السيد هاشم البحراني في (غاية المرام) ص ٦٣٢ هذا الحديث في الباب ٩٣، ونقل من كتب السنة ثلاثة أحاديث من الخوارزمي وفرائد السمطين ومناقب شهر آشوب. وقد رواه ابن شهر آشوب من طرق أهل السنة بأسانيدهم عن سلمان وأبي ذر وابن عباس وعلي بن أبي طالب عليه السلام، مع اختلاف في المتن وفي الموضوع. وقد أخرج السيد ستة أحاديث من كتب الإمامية في تكلم أمير المؤمنين عليه السلام مع الشمس، وجوابها له، وتكلمها معه عليه السلام. وفي الحديث السادس المروي عن جابر عليه الرحمة، أن الشمس تكلمت مع علي أمير المؤمنين عليه السلام سبع مرات. ومن جملة الأحاديث الستة حديث نقله عن (كشف الغمّة) للأربلي عليه الرحمة، أخرجه بسنده عن أبي الحسن الثالث عليه السلام عن آبائه عن النبي ﷺ ولفظه ولفظ الخوارزمي^(٢).

ومن خاطبته الشمس وكلمته بلسان عربي فصيح فإنها تطيعه إذا أمرها بالرجوع لأجل الصلاة وقتال المنافقين. فحديث رد الشمس لعلي بن أبي طالب رواه الفريقان: علماء السنة وعلماء الإمامية على السواء. وإن أنكره البعض، أو نسب هذه المعجزة إلى الرسول ﷺ فقد ردت له كما ردت ليوشع بن نون من قبله، وهو وصي موسى بن عمران. فقد أجمع اليهود والمسيحيون والمسلمون على اختلاف نزعاتهم وأهوائهم على أن يوشع ردت له الشمس، فإذا كان محمد ﷺ أفضل من سليمان، ووصيه علي أفضل من

(١) (علي، الشيعة) لنجم الدين العسكري، ص ٢٦ - ٢٧، والمناقب، ص ٦٣ - ٦٤ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية - النجف.

(٢) (علي، الشيعة): للعسكري، ص ٢٧ - ٢٨.

وصي سليمان يوشع، فلا غرو أن يثبت ردّ الشمس لعلّي. وهذا نموذج من الأحاديث المتعلقة بردود الشمس لعلّي بن أبي طالب.

روى ابن أبي الحديد المعتزلي من شرحه للنهج ص ١٦٨ ط ١٩٠٩ ما يلي: قال نصر بن مزاحم في كتاب (صفين) قال: حدّثني عمر بن عبد الله بن علي بن مرّة الثّقفي، عن أبيه، عن عبد خير، قال: كنتُ في أرض بابل، قال: وحضرت الصّلاة صلاة العصر. قال: فجعلنا لا نأتي مكاناً إلّا رأيناها أفيح من الآخر، قال: حتّى أتينا على مكان أحسن ما رأينا، وقد كادت الشمس أن تغيب. قال: فنزل علي فنزلتُ معه. قال: فدعا الله، فرجعت الشمس كمقدارها من صلاة العصر. قال: فصلّيت العصر، ثم غابت الشمس، ثم خرج حتّى أتى دير كعب، ثم خرج منه، فبات بساباط، فأتاه دهاقينها يعرضون عليه النزول والطعام. فقال: لا، ليس ذلك لنا عليكم.

وفي كتاب (إسعاف الراغبين) للشيخ محمّد الصّبّان^(١) يذكر بأنّ الشمس رُدّت عليه لما كان رأس النّبي ﷺ في حجره، والوحي ينزل عليه، وعلي لم يصلّ العصر، فما سرّى عنه إلّا وقد غربت الشمس، فقال ﷺ: «اللهم إنّهُ كان في طاعتك وطاعة رسولك فأردد عليه الشمس، فطلعت بعدما غربت».

وعن ابن عبّاس قال: لم تسردّ الشمس إلّا ليوشع وصي موسى بن عمران، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وصي خاتم النّبيّين.

وروى ابن المغازلي الفقيه والشّافعي بسنده إلى أسماء بنت عميس، قالت: كان رسول الله ﷺ يوحى إليه، ورأسه في حجر علي، فلم يصلّ العصر حتّى غربت الشمس. فقال رسول الله ﷺ: «إنّ عليّاً كان في طاعتك وطاعة رسولك، فأردد عليه الشمس، فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعدما غربت».

(١) على هامش صحيفة ١٦٢ من كتاب (نور الأبصار): للشبلنجي، ط ٥ عام ١٩٥١ م.

ورواه المغازلي عن أبي رافع، قال: رقد رسول الله ﷺ على فخذ علي، وحضرت صلاة العصر، ولم يكن عليّ صلياً، وكَرِهَ أن يوقظ النبي حتى غابت الشمس، فلما استيقظ قال: ما صليت يا أبا الحسن العصر؟ قال: لا يا رسول الله، فدعا النبي ﷺ، فردت الشمس عليه بعدما غابت، حتى رجعت، فصلى صلاة على الوقت، فقام علي فصلاها العصر، فلما قضاها غابت الشمس، فإذا النجوم مشتبكة^(١).

ورواه صوفى بن أحمد من فضلاء أهل السنة، عندما احتجّ علي على أهل الشورى، فقال لهم: أمنكم أحد ردّت عليه الشمس بعد غروبها حتى صلي صلاة العصر غيري؟ قالوا: لا.

ورواه إبراهيم بن محمد الحموي من علماء السنة من أسماء بنت عميس، أنّ رأس رسول الله ﷺ كان في حجر علي، فكبره أن يحركه حتى غابت الشمس، ولم يصل العصر، فدعا رسول الله ﷺ أن يردّ عليه الشمس، فأقبلت الشمس لها خوار حتى ارتفعت على قدر ما كان في وقت العصر، فصلى ثم رجعت.

وذكر ابن حجر التميمي المشهور بتحامله وتعصّبه ضدّ الشيعة في كتابه (الصواعق) قال: إنّ الشمس ردّت على أمير المؤمنين علي لما كان رأس الرسول في حجره، والوحي ينزل عليه، وعلي لم يصل العصر، فما سرّي عنه ﷺ إلا وقد غربت الشمس، فقال: «اللهم إنّ كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس، فطلعت بعدما غربت».

وروى علماء الشيعة حديث ردّ الشمس لعلي سبعة عشر طريقاً مذكوراً في (غاية المرام) للسيد هاشم البحراني.

فمما كرم الله به علياً رجوع الشمس له مرتين: مرة في حياة النبي ﷺ

(١) أعيان الشيعة.

ومرّة بعد وفاته . وكان من حديث رجوعها عليه في المرة الأولى ما روته أسماء بنت عميس ، وأم سلمة زوجة النبي ﷺ كان ذات يومٍ في منزله ، وعلي ﷺ بين يديه ، إذ جاءه جبرئيل ﷺ يناجيه عن الله سبحانه ، فلما تغشاه الوحي توسّد فخذ أمير المؤمنين ﷺ ، فلم يرفع رأسه عنه حتّى غربت الشمس ، فاضطرّ أمير المؤمنين ﷺ لذلك إلى صلاة العصر ، فصلّى أمير المؤمنين ﷺ جالساً يومئذ بركوعه وسجوده إيماءً ، فلما أفاق من غشيته ، قال لأمر المؤمنين ﷺ : أفاتك صلاة العصر؟ قال : لم أستطع أن أصليها قائماً لمكانك يا رسول الله والحال التي كنت عليها في استماع الوحي ، فقال له : ادع الله حتّى يردّ عليك الشمس لتصلّيها قائماً في وقتك كما فاتتكَ ، فإن الله تعالى يجيبك لطاعتك لله ولرسوله . فسأل أمير المؤمنين ﷺ الله في ردّ الشمس ، فردّت عليه حتّى صارت في موضعها من السماء وقت صلاة العصر ، فصلّى أمير المؤمنين ﷺ صلاة العصر في وقتها ، ثمّ غربت . فقالت أسماء وأم سلمة : والله لقد سمعنا لها عند غروبها صريراً كصير المنشار في الخشب .

وكان رجوعها عليه بعد النبي ﷺ أنه لما أراد أن يعبر الفرات ببابل ، اشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابهم ورجالهم ، وصلى ﷺ بنفسه في طائفة معه العصر ، فلم يفرغ الناس من عبورهم حتّى غربت الشمس ، ففاتت الصلاة كثيراً منهم ، وفات الجمهور فضل الاجتماع معه ، فتكلّموا في ذلك ، فلما سمع كلامهم فيه ، سأل الله ردّ الشمس عليه ، ليجتمع كافة أصحابه على صلاة العصر في وقتها ، فأجابه الله تعالى في ردّها عليه ، وكانت في الأفق على الحال التي تكون عليه وقت العصر ، فلما سلّم القوم غابت الشمس ، فسَمِعَ لها وجيبٌ شديد ، هال الناس ذلك ، فأكثروا من التسييح والتهليل والاستغفار^(١) .

(١) الصّواعق المحرقة ، ص ١٢٦ ، وكذلك الغدير : للشيخ الأميني ، ج ٣ ص ١٢٣ و ص ٣٩٣ ، وإرشاد المفيد ، ص ١٤٣ - ١٤٤ ، وكشف الغمّة : للأربلي ، ص ٢٨٢ .

وهذا حسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ يقول في شعره:

يا قوم مَنْ مثل عليّ وقد رُدَّتْ عليه الشَّمْسُ من غائب
أخو رسولِ الله بل صهرُهُ والأخ لا يعدُّ بالصَّاحب

والشَّاعرُ المعتزليّ ابن أبي الحديد يقول في قصيدته العينية:

يا له من لو رُدَّتْ ذكاء ولم يفز بنظيرها من قبلُ إلا يوشعُ

وكذلك أبو تمام الشَّاعر المشهور يقول:

فَرُدَّتْ عليه الشَّمْسُ واللَّيلُ راغِمٍ بشمسٍ بدت من جانب الحذر تطلع
فوالله ما أدري أحلامٌ نائمٍ أَلَمْتُ بنا أم كان في الركب يوشع؟

وكذلك السيّد الحميري في قصيدته المذهبة يقول:

رُدَّتْ عليه الشمس لمّا فاته وقت الصّلاة وقد دنت للمغرب
حتّى تبلّج نورها في وقتها للعصر ثم هوت هويّ الكوكب
وعليه قد رُدَّتْ ببابل مرّة أخرى وما رُدَّتْ لخلقٍ معرب
إلا ليوشع أوله من بعده ولرّدها تأويل أمرٍ معجب

وفي وقوف الشمس يقول الصَّاحب كافي الكفاة:

مَنْ كمولايّ عليّ؟ والوغى تحمي لظاها
من يصيد الصَّيد فيها؟ بالظُّبي حين انتضاها
من له في كلّ يومٍ وقفات لا تضاهي
كم وكم حربٍ ضرّوسٍ سدّ بالمرهف فاها

إلى قوله:

أعلى حبّ عليّ لآمني القوم سفاها
أولّ النَّاسِ صلاةً جعل التّقوى جلاها
رُدَّتْ الشَّمْسُ عليه بعدما غاب سناها

وذكر بعض شعراء الإماميّة فضائله، ومنها ردّ الشمس قائلاً:

إذا كنتم ممن يروم لحاقه
وكيف فررتم يوم أخذ وخبير
ألم تشهدوا يوم الإخاء وبيعة
فكيف غدا صنوا النفيلى ويحه
وكيف علا من لا يطا ثوب أحمد
إمام هدى ردت له الشمس جهرة
ومن قبله أفنى سليمان خيله
يجل عن الأفهام كنه صفاته
فليس بيان القول عنه بكاشف
فلولاك لم ينج ابن متى ولا خبا
ولا فلق البحر ابن عمران بالعصا
ولا قبلت من عابد صلواته
ولم يغل فيك المسلمون جهالة

فهلاً برزتم نحو عمرو ومرحب
ويوم حنين مهرباً بعد مهرب
الغدير، وكل حضر غير غيب
أميراً على صنو النبي المرجب
على من علا من أحمد فوق منكب
فصلى أداء عصره بعد مغرب
رجاء فلم يبلغ بها نيل مطلب
ويرجع عنها الذهن رجعة أخيب
غطاء ولا فصل الخطاب بمعرب
سعيراً لإبراهيم بعد تلهب
ولا فرت الأحزاب عن أهل يثرب
ولا غفر الرحمن ذلة مذنب
ولكن لسرفي علاك مغيب

وهذا السيد عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي ذكر في «معاهد
التنصيص» ج ٢ ص ١٩٠ من مقصورة ابن حازم:

فيا لها من آية مبصرة
واعتورته شبهة فضل عن
فظن أن الشمس قد عادت له
والشمس ما ردت لغير يوشع

أبصرها طرف الرقيق فافتري
تحقيق ما أبصرها وما اهتدى
فانجاب جنح الليل عنها وانجلى
لما غزا ولعلي إذ غفا

وأخرج الخوارزمي في (المناقب) ص ٢٣٦ عن مجاهد عن ابن
عباس، قال: قيل له: ما تقول في علي بن أبي طالب؟ فقال: ذكرت والله
أحد الثقلين، سبق بالشهادتين، وصلى القبلتين، وباع البيعتين، وأعطى
السبطين، وهو أبو السبطين: الحسن والحسين وردت عليه الشمس مرتين،
بعدهما غابت عن الثقلين، وجرد السيف تارتين، وهو صاحب الكرّتين، فمثله

في الأمة مثل ذي القرنين ذاك مولاي علي بن أبي طالب عليه السلام (١)

وهذا صاحب كتاب (عيون المعجزات) وهو من علماء القرن الخامس الهجري يحدثنا بهذه الكرامة لعلّي: قال: حدث أبو الحسين أحمد بن الحسين العطار، قال: حدثني أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني صاحب كتاب (الكافي) قال: حدثني علي بن إبراهيم بن هاشم، عن الحسن بن محبوب، عن الحسن بن رزين القلّاد، عن الفضيل بن يسار عن الباقر عن أبيه عن جدّه الحسين بن علي عليه السلام قال: لما رجع أمير المؤمنين عليه السلام من قتال أهل النهروان، أخذ على النهروانات وأعمال العراق، ولم يكن يومئذ قد بنيت بغداد، فلما وافى ناحية براثا صلى بالناس الظهر، ورحلوا ودخلوا في أرض بابل، وقد وجبت صلاة العصر، فصاح المسلمون: يا أمير المؤمنين هذا وقت العصر قد دخل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هذه أرض مخسوف بها، وقد خسف الله بها ثلاثاً، وعليه تمام الرابعة، ولا تحلّ لوصيّ أن يصلي فيها، ومن أراد منكم أن يصلي فليصل. فقال المنافقون: نعم هو لا يصلي، ويقتل من يصلي، يعنون أهل النهروان. قال جويرية بن مسهر العبدي: فتبعته في مائة فارس، وقلت: والله لا أصلي أو يصلي هو، ولأقلدنه صلاتي اليوم، قال: وسار أمير المؤمنين عليه السلام إلى أن قطع أرض بابل، وتدلّت الشمس للغروب، ثم غابت واحمرّ الأفق. قال: فالتفت إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا جويرية هات الماء، قال: فقدمتُ إليه إناءً فتوضأ، ثم قال: أذن يا جويرية. فقلت: يا أمير المؤمنين، ما وجبت العشاء بعد، فقال عليه السلام: أذن للعصر، فقلت في نفسي: أذن للعصر وقد غربت الشمس! ولكن عليّ الطاعة، فأذنت، فقال: أقم ففعلت، وإذا أنا في الإقامة إذ تحركت شفتاه بكلام كأنه منطق الخطاطيف، لم أفهم ما هو، فرجعت الشمس بصريّ عظيم حتى وقفت في مركزها من العصر، فقام عليه السلام وكبر وصلى، وصلينا وراءه، فلما فرغ من صلاته وقعت كأنها سراج في طست، وغابت واشتبكت النجوم، فالتفت إليّ

(١) المناقب: للخوارزمي، ص ٢٣٦ ط ١٩٦٥ م، المطبعة الحيدرية - النجف.

وقال: أَذُنُ آذَانَ الْعِشَاءِ يَا ضَعِيفَ الْيَقِينِ^(١).

رواة حديث رد الشمس:

- ١ - أبو بكر الورّاق، له كتاب (من روى رد الشمس) ذكره له ابن شهر آشوب في (المناقب) ص ٤٥٨.
- ٢ - أبو الحسن شاذان الفضلي، له رسالة في طرق الحديث، ذكر شرطاً منها الحافظ السيوطي في اللآلئ المصنوعة ج ٢ ص ١٧٥، وقال: أورد طرقه بأسانيد كثيرة، وصحّحه بما لا مزيد عليه.
- ٣ - الحافظ محمد بن الحسين الأزدي الموصلي، له كتاب مفرد فيه، ذكره له الحافظ الكنجي في (الكفاية).
- ٤ - أبو القاسم الحاكم بن الحدّاد الحسكاني النيسابوري الحنفي، له رسالة في الحديث أسماها (مسألة في تصحيح رد الشمس، وتزعيم النواصب الشمس)، ذكر شرطاً منها ابن كثير في البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٨، وذكره له الذهبي في تذكرته ج ٣ ص ٣٦٨.
- ٥ - أبو عبدالله الجعل الحسين بن علي البصري ثمّ البغدادي، له كتاب (جواز رد الشمس) ذكره له ابن شهر آشوب.
- ٦ - أخطب خوارزم أبو المؤيد موفق بن أحمد، له كتاب (رد الشمس) لأمر المؤمنين ذكره له معاصرة ابن شهر آشوب.
- ٧ - أبو علي الشريف محمد بن أسعد بن علي بن المعمّر الحسيني النقيب النسابة، له جزء في جمع طرق رد الشمس لعلي، أورد فيه أحاديث مستغربة (لسان الميزان) ج ٥ ص ٧٦.
- ٨ - أبو عبدالله محمد بن يوسف، تلميذ ابن الجوزي، له جزء (مزيل

(١) عيون المعجزات، ص ٧ - ٨ وهو للشيخ حسين بن عبد الوهاب .

اللبس عن حديث ردّ الشمس) ذكره له برهان الدّين الكوراني في كتابه (الأمم لايقاظ الهمم) ص ٦٣ .

٩ - الحافظ جلال الدّين السيوطي ، له رسالة في الحرب أسماها (كشف اللبس عن حديث ردّ الشمس). ولا يسعنا ذكر تلك المتون ، لأنها تحتاج إلى مؤلف ضخم يختصّ به .

هؤلاء التسعة وآخرون غيرهم أفردوا هذه المآثر النبويّة والمكرمة العلويّة الثّابتة بالتأليف ، وجمعوا فيه طرقها وأسانيدها . وهذه نماذج ممّن أخرجهم من الحفاظ والأعلام منهم : أبو الحسن عثمان بن أبي شيبة العبسي الكوفي ، رواه في سنّيه ، وشيخ البخاري في صحيحه ، ومحمّد بن الحسين الأزدي ، ذكره في كتابه في مناقب علي رضي الله عنه ، وصحّحه . ومحمّد بن أحمد الدّولابي ، أخرج في كتابه (الذريّة الطّاهرة) . وابن محمّد الطّحاوي في (مشكل الآثار) ج ٢ ص ١١ . ومحمّد بن عمرو العقيلي ، وأبو القاسم الطّبراني ، رواه في معجمه الكبير ، فقال : إنّه حسن . والحاكم أبو حفص عمر الشّهير بابن شاهين ، ذكره في مسنده الكبير ، وأبو عبد الله النّيسابوري ، رواه في تاريخ نيسابور . والحافظ ابن مردويه الأصبهاني ، أخرج في المناقب بإسناده عن أبي هريرة ، وأبو إسحق الثّعلبي ، رواه في تفسيره ، وقصص الأنبياء الموسوم بالعرائس ص ١٣٩ . والماوردي في كتابه (أعلام النبوة) ص ٧٩ . والبيهقي رواه في (الدلائل) كما في (فيض الخاطر) للمناوي ج ٥ ص ٤٤٠ . والخطيب البغدادي ذكره في (تلخيص المتشابه) و (الأربعين) وابن منده ، أخرج في كتابه (المعرفة) . والخوارزمي رواه في (المناقب) ص ٢١٧ ط ١٩٦٥ المطبعة الحيدرية - النّجف . وأبو الفتح النّطنزي رواه في (الخصائص العلويّة) . وأبو المظفر يوسف الملقّب بسبط أبي الفرج عبد الرّحمن بن الجوزي من ص ٥٥ - ٥٩ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ المطبعة العلمية - النّجف . وعلي الحنفي رواه في (التّذكرة) ص ٣٠ ، والحافظ الكنجي الشّافعي جعل في كتابه (كفاية الطّالب) ص ٢٣٧ - ٢٤٤ فصلاً في

حديث ردّ الشمس، وتكلّم فيه من حيث الإمكان تارة، ومن حيث صحّة النقل أخرى، وشيخ الإسلام الحمويني في (فرائد السّمطين) وابن حجر العسقلاني ذكره في (فتح الباري) ج ٦ ص ١٦٨، والحافظ ولي الدّين أبوزرعة العراقي، أخرجه في (طرح التّريب) ج ٦ ص ٢٤٧ من طريق الطّبراني في معجم الكبير، وقال: حسن. والحافظ السيوطي رواه في (جمع الجوامع) كما في ترتيبه ج ٥ ص ٢٧٧. والحافظ أبو العباس العسقلاني، ذكره في (المواهب اللّديّة) ج ١ ص ٣٥٨. والسّيد عبد الرّحيم بن عبد الرحمن العبّاسي ذكر في (معاهد التنصيص) ج ٢ ص ١٩٠ من مقصورة ابن حازم كما مرّ معنا. وابن حجر الهيتمي عدّه في (الصّواعق) ص ٧٦ كرامة باهرة لأمير المؤمنين عليه السلام. ونور الدّين الحلبي الشّافعي في السّيرة النّبويّة ج ١ ص ٤١٣.

والخلاصة أنّ علماء السّنة والشيعة متّفقون على رواية حديث ردّ الشمس على علي. وابن حزم لا يستطيع أن يسمع مثل هذه الرواية عن علي.

فهل كان عليّ أقلّ شأنًا عند الله من آصف بن برخيا الذي جاء بعرش بلقيس إليه، قبل أن يرتدّ إليه طرفه؟ أم هل كان سليمان ووزيره أكرم على الله من محمّد ووزيره؟

وحديث عمر عن سارية الجبل، وحديث الملائكة والخضر لعمر بن عبد العزيز هذا صحيحٌ عنده ولا غبار عليه! ولكن ردّ الشمس لعلي هذا محال، ولا يمكن قبوله. هذا ما يراه ابن حزم.

ولكن شاء ابن حزم أم أبى، فعليّ قد فضّله الله على سائر خلقه بعد رسوله الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم، فمن الفضائل التي خصّه الله بها وانفرد بها مع الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم سدّ أبواب المسجد إلّا بابه عليه السلام. فجري ردّ فعل في نفوس البعض من المسلمين. إذ كيف يسدّ أبوابهم، ولا يسدّ باب عليّ؟ وكيف أباح لنفسه صلّى الله عليه وآله وسلّم ولعليّ أن يدخل المسجد وهما جنبان؟ بينما هذا محظور للمسلمين كبيرهم وصغيرهم، أميرهم وفقيرهم، ذكرهم وأنثاهم. هذا الموقف

يشبه موقف موسى وهارون من بني إسرائيل أمراً عن الله عز وجل. ولكن الحق في نفوس البعض ضد علي أوجد الخوخات في الأحاديث الموضوعة. وهذه بعض الأحاديث الواردة في سد الأبواب من كتب أهل السنة ليتضح أن سد الأبواب إلا باب علي، فضيلة فضله الله بها على سائر خلقه.

ففي (المناقب) عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه، قال: إن النبي ﷺ قام خطيباً فقال: إن رجالاً لا يجدون في أنفسهم شيئاً، إن أسكنت علياً في المسجد أخرجتهم. والله ما أخرجتهم وأسكنته، بل الله أخرجهم وأسكنه. إن الله عز وجل أوحى إلى موسى وأخيه أن تبؤا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة، وأقيموا الصلاة. ثم أمر موسى أن لا يسكن مسجده، ولا ينكح فيه، ولا يدخله جنب إلا هارون وذريته، وإن علياً مني بمنزلة هارون من موسى، وهو أخي، ولا يحل لأحد أن ينكح فيه النساء إلا علي وذريته، فمن ساءه فها هنا، وأشار بيده نحو الشام. أخرجه أيضاً صاحب المناقب عن أبي رافع مولى النبي ﷺ (١).

وفي (كنوز الدقائق) للمناوي المصري: لا ينبغي لأحد أن يجنب في المسجد إلا أنا وعلي. للبخاري ومسلم (٢).

وفي سنن الترمذي عن ابن عباس قال: إن رسول الله ﷺ أمر بسد الأبواب إلا باب علي (٣).

وفي الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: يا علي لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك. هذا حديث حسن غريب. وفي المشكاة: هذان الحديثان مسطوران.

ورواه أيضاً أحمد في مسنده عن زيد بن أرقم، وكذلك أخرجه

(١) ينابيع المودة: للقندوزي الحنفي، ج ١ ص ٨٥، مطبعة العرفان - صيدا.

(٢) ينابيع المودة: للقندوزي الحنفي، ج ١ ص ٨٤، مطبعة العرفان - صيدا.

(٣) ينابيع المودة للقندوزي، ج ١ ص ٨٤، نفس المطبعة - صيدا.

الخوارزمي في مناقبه عن زيسد بن أرقم ص ٢٣٥ ط ١٩٦٥ ، المطبعة الحيدريّة . وفي المناقب عن أسماء بنت عميس ، وأخرجه ابن المغازلي والحموي ، وكذلك الطبري في ذخائر العقبى وغيرهم .

ومن فضائله ما رواه صاحب كتاب (الروضة) وصاحب كتاب (الفضائل) أيضاً يروي عن جماعة ثقات أنه لما وردت حرّة بن حليلة السعدية على الحجاج بن يوسف الثقفي ، ولما مثلت بين يديه قال لها : يا حرّة بنت حليلة السعدية ، قالت له : فراسة من غير مؤمن ! فقال لها : الله جاء بك ، وقد قيل لي عنك : أنك تفضلين علياً على أبي بكر وعمر وعثمان ، قالت : لقد كذب الذي قال : إنني أفضله على هؤلاء خاصّة ، قال : وعلى غير هؤلاء ؟ قالت : أفضله على آدم ونوح وإبراهيم وموسى وداوود وسليمان وعيسى بن مريم . فقال لها : ويلك ! أقول لك : إنك تفضلينه على الصحابة ، وتزيدين عليهم سبعة من الأنبياء من أولي العزم من الرسل ، وإذا لم تأت ببيّنات ما قلت لأضربن عنقك ، قالت : ما أنا فضلتُه على هؤلاء الأنبياء ، بل الله عزّ وجلّ فضله بقوله تعالى في القرآن في حقّ آدم ، ﴿فعصى آدم ربه فغوى﴾^(١) . وقال في حقّ علي ، ﴿وكان سعيكم مشكوراً﴾^(٢) . قال : أحسنت يا حرّة . فبم تفضلينه على نوح ولوط ؟ قالت الله عزّ وجلّ فضله بقوله تعالى : ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾^(٣) . وعليّ عليه السلام زوجته فاطمة بنت محمّد المصطفى التي يرضى الله لرضاها ويسخط لسخطها . قال الحجاج : أحسنت يا حرّة . فبم تفضلينه على أبي الأنبياء خليل الله ؟ قالت : الله عزّ وجلّ فضله بقوله : ﴿ربّ أرني كيف تحيي الموتى ؟ قال : أولم تؤمن قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾^(٤) ، وعليّ قال قولاً لا

(١) سورة طه : آية ١٢١ .

(٢) سورة الدهر : آية ٢٢ .

(٣) سورة التحريم : آية ١٠ .

(٤) سورة البقرة : آية ٢٦٠ .

يختلف فيه أحد من المسلمين: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً» فهذه كلمة ما قالها أحد قبله ولا بعده. قال: أحسنت يا حرّة، فبِمَ تفضّلينه على موسى كليم الله؟ قال: بقول الله عز وجل: ﴿وَأَن أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تهتزّ كأنّها جانٌّ ولّى مدبراً ولم يعقب﴾^(١)، وقيل: قالت: أفضّله بقوله تعالى: ﴿وخرج منها خائفاً يترقب قال ربّ نجّني من القوم الظّالمين﴾^(٢) وعليّ بات على فراش رسول الله ﷺ يقيه بنفسه حتّى أنزل الله في حقّه: ﴿ومن النّاس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾^(٣). قال: أحسنت يا حرّة. فبِمَ تفضّلينه على داوود؟ قالت: الله فضّله بقوله تعالى: ﴿يا داوود إِنّا جعلناك خليفةً في الأرض فاحكم بين النّاس بالحقّ ولا تتبّع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾^(٤). قال لها: في أيّ شيء كانت حكومته؟ قالت في رجلين: واحد له غنم، والآخر له كرم، فبعث الغنم في الكرم فرعته، فاحتكما إلى داوود، فقال: تباع الغنم وينفق ثمنها على الكرم حتّى يعود إلى ما كان عليه. فقال له سليمان: لا، يا أبت، بل يؤخذ لبنها وصوفها، وقال الله عز وجل: ﴿ففهمناها سليمان﴾^(٥). ومولانا علي عليه السلام قال: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عمّا تحت العرش وعمّا فوقه، وأنه دخل يوماً على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ للحاضرين: «أفضلكم وأعلمكم وأقضاكم علي». فقال لها: أحسنت يا حرّة. فبِمَ تفضّلينه على سليمان؟ فقالت: الله فضّله عليه بقوله تعالى: ﴿ربّ هب لي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي إنك أنت الوهاب﴾^(٦). ومولانا علي قال: يا دنيا طلقك ثلاثاً لا رجعة لي منك. فعند ذلك أنزل الله في حقّه على رسوله: ﴿تلك الدّار الآخرة نجعلها للذين لا

(١) سورة القصص: آية ٣١.

(٢) سورة القصص: آية ٢١.

(٣) سورة البقرة: آية ٢٠٧.

(٤) سورة القصص: آية ٢٦.

(٥) سورة الأنبياء: آية ٧٩.

(٦) سورة ص: آية ٣٥.

يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين»^(١). قال: أحسنت يا حرّة. فبم تفضّلينه على عيسى بن مريم؟ قالت: أفضّله بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ: سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ . مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٢). فأخبر الحكومة إلى يوم القيامة. وعلي عليه السلام لما ادّعى فيه الحرورية ما ادّعوا وهم أهل النهر وان قاتلهم ولم يؤخر حكومتهم. فهذه كانت فضائله لا تعدّ بفضائل غيره. قال: أحسنت يا حرّة، خرجت من جوابك، ولولا ذلك لكان حتفك. ثم أجازها وأعطاهما وسرّحها سراحاً حسناً^(٣).

وإن ننس فلا ننسى حديث (البساط) فهو من الفضائل التي خصّه الله بها دون غيره. فقد روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: دخل أبو بكر وعثمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله، ما بالك تفضل علينا في كلّ حال؟ فقال: «ما أنا فضّلته، بل الله تعالى فضّله». فقالوا: وما الدليل؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «إذا لم تقبلوا مني، فليس من الموت عندكم أصدق من أهل الكهف، وأنا أبعثكم وعلياً، وأجعل سلمان شاهداً عليكم إلى أصحاب الكهف حتى تسلموا عليهم، فمن أحياهم الله له وأجابوه، كان الأفضل». قالوا: رضينا. فأمر فبسط له بساط، ودعا بعلي عليه السلام، فأجلسه في وسط البساط، وأجلس كلّ واحد منهم على قرنة من البساط، وأجلس سلمان على القرنة الرابعة، ثم قال: «يا ريح احمليهم إلى أصحاب الكهف، وردّهم إليّ». قال سلمان: فدخلت الريح تحت البساط، وسارت بنا، وإذا نحن

(١) سورة القصص: آية ٨٣.

(٢) سورة المائدة: آية ١١٦ و ١١٧.

(٣) كتاب (الفضائل): للقمي، ص ١٣٦ - ١٣٨، منشورات مكتبة العرفان.

بكهفٍ عظيم، فحططنا، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يا سلمان، هذا الكهف والرقيم، فقل للقوم يتقدمون أو نتقدم؟ فقالوا: نحن نتقدم. فقام كل واحد منهم وصلى ودعا، وقال: السّلام عليكم يا أصحاب الكهف، فلم يجبههم أحد. فقام أمير المؤمنين عليه السلام بعدهم، فصلّى ركعتين ودعا ونادى يا أصحاب الكهف. فصاح الكهف، وصام القوم من داخله بالتلبية، فقال أمير المؤمنين: السّلام عليكم أيّها الفتية الذين آمنوا برّبهم فزدّناهم هدى. فقالوا: وعليك السّلام يا أخا رسول الله ووصيه وأmir المؤمنين. لقد أخذ الله علينا العهد بعد إيماننا بالله ورسوله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم لك يا أمير المؤمنين بالولاء إلى يوم القيامة يوم الدين. فسقط القوم على وجوههم، وقالوا لسلمان: يا أبا عبد الله ردّنا، فقال: ما ذلك لي! فقالوا: يا أبا الحسن ردّنا. فقال عليه السلام : يا ربح ردّنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فحملتنا، فإذا نحن بين يديه، فقصّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل ما جرى، وقال: هذا حبيبي جبرئيل عليه السلام أخبرني به، فقالوا: الآن علمنا فضل عليّ علينا من عند الله عزّ وجلّ لا منك^(١).

ومن كراماته استجابة دعائه، فكان كالسّهم القاطع، وهذا نموذج من هذه الكرامات.

روى الطّبري: قال: وكان عليّ قال للزّبير: أتطلب مني دم عثمان وأنت قتلتَه؟ سلّط الله أشدّنا عليه اليوم ما يكره، وقد استجاب الله دعاء عليّ، فسلّط الله على الزّبير عمرو بن جرموز، فقتله في ذلك اليوم^(٢). ودعا عليّ عليه السلام على بسر بن أرطاة، فقال: اللهمّ إنّ بسراً باع دينه بالدنيا، وانتَهك محارمَكَ، وكانت طاعة مخلوقٍ فاجرٍ أثر عنده ممّا عندكَ. اللهمّ فلا تمته حتّى تسلبه عقله، ولا توجب له رحمتَكَ ولا ساعة من نهار. اللهمّ العنّ بسراً وعمراً ومعاويةَ، وليحلّ عليهم غضبُكَ، ولتنزل بهم نِقمتَكَ وليُصيبهم بأسك ورجزك الذي لا تردّه عن القوم المجرمين.

(١) إرشاد القلوب: للدّيلمي، ص ٦١ - ٦٢، منشورات مكتبة العرفان.

(٢) راجع ج ٣ من تاريخ الأمم والملوك، ص ٢٥٠.

فلم يلبث بسر بعد ذلك إلا يسيراً حتى وسوس، وذهب عقله، فكان يهذي بالسيف، ويقول: أعطوني سيفاً أقتل به، ولا يزال يردد ذلك حتى اتخذ له سيفاً من خشب، وكانوا يدنون من المرفقة، فلا يزال يضربها حتى يغشى عليه، فلبث كذلك إلى أن مات^(١).

فبُسرُ أرسله معاوية إلى الحجاز واليمن لينتقم من شيعة علي، فبعث معه ثلاثة آلاف، فقتل الكثيرين، وسفك الدماء، فدعا عليه عليُّ كما تقدّم معنا.

وروى أبو إسرائيل عن الحكم عن أبي سليمان المؤذن أن علياً نشد الناس مَنْ سمع رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه». فشهد له قوم، وأمسك زيد بن أرقم، فلم يشهد - وكان يعلمها - فدعا عليه علي ﷺ بذهاب البصر، فعمي، فكان يحدث الناس بالحديث بعدما كفّ بصره.

وكذلك من المشهور أن علياً ﷺ ناشد الناس الله في الرُّحبة بالكوفة فقال: أنشدكم الله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول لي وهو منصرف من حجة الوداع: «مَنْ كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» فقام رجال، فشهدوا بذلك. فقال أنس بن مالك: لقد حضرتهَا، فما بآلك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كُبرت سني، وصار ما أنساه أكثر مما أذكره. فقال له: إن كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لا توارىها العمامة. فما مات حتى أصابه البرص^(٢).

وقد ذكر ابن قتيبة حديث البرص، والدعوة التي دعا بها أمير المؤمنين ﷺ على أنس بن مالك في كتاب (المعارف) في باب (البرص) من أعيان الرجال، فليراجع.

ومن ذلك ما رواه عبد القاهر بن عبد الملك بن عطاء الأشجعي عن الوليد بن عمران البجلي، عن جميع بن عمير، قال: أتهم علي ﷺ رجلاً

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٢ ص ١٨.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٩ ص ٢١٧ ط ١٩٦١ م، دار إحياء الكتب.

يقال له (الغيزار) يرفع أخباره إلى معاوية، فأنكر ذلك وجحدَهُ. فقال له أمير المؤمنين: أتحلف بالله أنك ما فعلت؟ قال: نعم، وبَدَرَ فحلف، فقال له أمير المؤمنين: إن كنتَ كاذباً أعمى الله بصركَ. فما دارت الجمعة حتى أُخرج أعمى يقاد، وقد أذهب الله بصره^(١).

وذكر الصَّاحِبُ في رسالة «الغُرَّاء» عن أبي العيْناء، أَنَّهُ لَقِيَ جَدَّ أَبِي العيْناء الأكبر لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَسَاءَ مَخَاطَبَتَهُ، فَدَعَا عَلَيْهِ وَعَلَى أَوْلَادِهِ بِالْعَمَى. فَكَلَّ مِنْ عَمِي مِنْ أَوْلَادِهِ فَهُوَ صَحِيحُ النَّسَبِ^(٢).

وَإِذَا أُرِدَتْ أَيُّهَا الْقَارِئُ مَزِيداً مِنَ الدَّعَوَاتِ الَّتِي دَعَاها الْإِمَامُ عليه السلام فَاسْتَمِعْ إِلَى صَاحِبِ بَحَارِ الْأَنْوَارِ يَنْقُلُ إِلَيْنَا هَذِهِ الْأَحَادِيثَ التَّالِيَةَ:

رَوَى عَنْ عِيسَى الْهَرَوِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ فُلَاناً وَفُلَاناً وَابْنَ عَوْفٍ أَتَوْا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لِيُعِيبُوهُ، فَقَالَ الْأَوَّلُ: اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، فَمَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ وَقَالَ الثَّانِي: كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً، فَمَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ وَقَالَ ابْنُ عَوْفٍ: عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَحْيَى الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ، فَمَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ لِلأَوَّلِ: اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَاتَّخَذَنِي حَبِيباً. وَقَالَ لِلثَّانِي: كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَقَدْ رَأَيْتُ عَرْشَ رَبِّي وَكَلَّمَنِي. وَقَالَ لِلثَّالِثِ: عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَحْيَى الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ، وَأَنَا إِنْ شِئْتُمْ أَحْيَيْتُ لَكُمْ مَوْتَكُمْ. قَالُوا: قَدْ شِئْنَا، وَعَلَى ذَلِكَ دَارُوا، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى عَلِيِّ عليه السلام فَدَعَاهُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: أَقْدَمَهُمْ عَلَى الْقُبُورِ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: اتَّبِعُوهُ، فَلَمَّا تَوَسَّطَ الْجَبَّانَةَ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ، فَاضْطَرَبَتْ وَارْتَجَّتْ قُلُوبُهُمْ، وَدَخَلَهُمْ مِنَ الدُّعْرِ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَامْتَقَعَتْ أَلْوَانُهُمْ، وَلَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ قُلُوبُهُمْ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْحَسَنِ، أَقْلُنَا عَثْرَاتِنَا، قَالَ: إِنَّمَا رَدَدْتُمْ عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ إِلَى عَلِيِّ عليه السلام فَدَعَاهُ.

(١) إرشاد المفيد، ص ١٤٤.

(٢) بحار الأنوار: للمجلسي، ج ٩ ص ٥٥٨.

ولكن صاحب بحار الأنوار يروي عن السيد المرتضى في عيون المعجزات، عن أحمد بن زيد، عن أحمد بن محمد بن أيوب، بإسناده مثله، وفيه قالوا: حَسْبُكَ يا أبا الحسن، أَقْلُنَا أَقَالَكَ اللهُ، فَأَمْسَكَ عَنْ اسْتِثْمَامِ كَلَامِهِ وَدَعَائِهِ، وَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا لَهُ: أَقْلُنَا، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّمَا رَدَدْتُمْ إِلَى اللهِ، لَا أَقَالَكُمْ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١).

ونختم بحثنا بهذه الكرامة للإمام كرم الله وجهه رواية القشيري الشافعي في أحسن الكبائر، قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام على سطح بيت يأكل الرطب، وهو إذ ذاك ابن سبع وعشرين، وسلمان رضي الله عنه قاعد في صحن الدار يرقع خرقة له، فرماه علي عليه السلام بنواة من رطب. فقال سلمان: تمازحني يا علي، وأنا شيخ كبير، وأنت شاب حدث السن؟ فقال علي: يا سلمان حسبت نفسك كبيراً ورأيتني صغيراً! أنسيت «رشت أرثرن» ومن خلصك هناك من الأسد؟ قال: فلما سمع سلمان ذلك فزع، وقال: أخبرني كيف ذلك؟ فقال علي: إنك كنت واقفاً في وسط الماء تفزع من الأسد. فعند ذلك، رفعت يديك بالدعاء، وسألت الله عز وجل أن ينجيك منه، فاستجبت دعوتك، وقد كنت أنا إذ ذاك أمر في تلك الصحراء، فأنا ذلك الفارس الذي كان درعه على كتفيه، والسيف بيده، فجردت السيف وضربت الأسد فقسمته نصفين، وخلصتك منه. فقال سلمان: إن لذلك علامة أخرى، قال: فمدَّ أمير المؤمنين يده وأخرج من كمه طاقة ورد طري، وقال: هذه هديتك التي أهديتها لذلك الفارس في ذلك المكان. قال: فلما رأى سلمان ذلك ازداد تحيراً، وإذا بهاتف يناديه: يا شيخ امض إلى رسول الله ﷺ، واقصص عليه قصتك. قال: فمضى سلمان رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ وجعل يقص عليه قصته، ويقول: يا رسول الله، إنني قرأت نعتك في الإنجيل، ورسخ حبك في قلبي، وتركت جميع الأديان غير دينك، وكنت أخفي ذلك من أبي، ولما وقف على ذلك مني أراد قتلي. لكن منعه عن ذلك إشفاقه على أمي، وكان يدبر

(١) بحار الأنوار: للمجلسي: ج ٩ ص ٥٥٤ - ٥٥٥.

الحيلة في قتلي . فكان يكلفني الأعمال الصعبة ويأمرني بها . ففررتُ منه لذلك إلى أن وقعتُ في بادية «أرثرنه» فتمتُ بها ساعةً، وعرض لي احتلامٌ، ولما انتبهتُ سرتُ إلى عينٍ هناك، ونزعتُ ثيابي، ودخلتُ الماء لأغتسل عن الجنابة، وإذا بأسدٍ قد طلع من ناحيةٍ، وجاء حتى وقف على ثيابي، ولما رأيتُ ذلك فزعتُ منه، وجعلتُ أدعو وأتضرع، وأسألُ الله النجاة من الأسد، وإذا أنا بفارس قد طلع، فضربَ الأسد بسيفه، فقتله نصفين، فخرجتُ أنا من الماء، وانكببتُ على ركابه أقبلةً، وكان الفصل فصل الربيع، والصَّحراء مشتملةً على الورد والرياحين، فعمدتُ إلى طاقةٍ وردٍ، وأهديتها له . ولما أخذها مني غابَ عني، فلم أرَ منه بعد ذلك عيناً ولا أثراً، وقد جاءت على هذه الواقعة بضع وثلاثمائة سنةً، ولم أقصصها على أحد، وقد أخبرني الآن بذلك ابن عمك علي بن أبي طالب عليه السلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا سلمان إنه ليس بعجبٍ من أخي، فإنِّي قدر رأيتُ منه أعجب من ذلك، يا سلمان لما أُسري بي إلى السماء، وبلغتُ سدرة المنتهى تخلفَ عني جبرئيل، فعرجتُ إلى عرش ربي، فبينما يناجيني الله تعالى، وأنا أناجيه، وإذا أنا بأسد واقفٍ قدامي، فنظرتُ وإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام ، ولما رجعتُ إلى الأرض دخل عليَّ عليه السلام ، وسلَّمَ عليَّ وهنَّائي بمواهب ربي وعناياته لي، ثم جعل يخبرني بجميع ما جرى بيني وبين ربي من الكلام . اعلم يا سلمان أنه ما ابتليَ أحدٌ من الأنبياء والأولياء منذ عهد آدم إلى الآن ببلاءٍ إلا كان علي هو الذي نجاه من ذلك» .

وإلى هذا أشار الشيخ كاظم الأوزي رحمه الله في قصيدته الهائية حيث قال :

واسألِ الأنبياء تنبُّك عنه إنه سرّها الذي نبّأها
وهو علامة الملائك فاسألُ روح جبريل عنه كيف هداها^(١)

(١) الباب الثاني من كتاب القطرة: للعلامة أحمد رضي الدين الموسوي التبريزي، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

وخلاصة القول: إنّ خير ما قيل في فضائل الإمام قول الرسول
المعظم صلوات الله عليه وآله: «لو كانت البحار مداداً، والغياض أقلاماً،
والسّموات صُحفاً، والجن والأنس كتاباً لنفذ المداد وكَلَّتِ الثّقَلانِ أن يكتبوا
معشار عشر فضائلِ إمام يومِ الغدير». وكان القصد من ذكر بعضها للتمنّ
والبركة.

الفصل الحادي عشر

زهده وعدله عليه السلام

لو تصفحنا حياة الزُّهَّاد، ودرسنا زهدهم ومواقفهم لوجدنا بأنَّ علي بن أبي طالب هو سيّد الزُّهاد، وأفضلُ العباد بعد رسول ربِّ العباد صلوات الله وسلامه عليه وآله، فقد كان قدوتهم في أعماله وأقواله ولباسه وطعامه. فقد كان يلبس الخشن، ويأكل الجشَب، وكان نعلاه من ليف، ويرقع قميصه بجلد تارةً وبليف أخرى، وقد طلق الدنيا ثلاثاً. وقد ذكر صاحب كتاب (الكشكول) محمّد بن بهاء الدّين العاملي ثلاثة أبيات نُسبوا إلى علي زين العابدين عليه السلام:

عتبتُ على الدُّنيا فقلتُ إلى متى	أكابدُ همّاً يؤسه ليس ينجلي
أكل شريفٍ من عليّ نجاره	حرامٌ عليه العيش غير مجلّل
فقلت: نعم، يا بن الحسين رميتكم	بسهمي عناداً منذ طلقني علي

هذا علي بن أبي طالب، يصوّر لنا الدُّنيا، ويجلوها على حقيقتها حتّى لا ينخدع بها عاقل، ويصوّر لنا الزُّهاد الذين ينبع الزُّهد من قلوبهم، ويصوّر لنا الرّاغبين في الدُّنيا، الزّاهدين في الآخرة، وقد عرضهم على المسرح، فجعلنا نخجل من أنفسنا، لأنّه يصوّر واقعنا تصويراً بديعاً، ويعلّنه للملأ بأسلوبٍ جزل، وفصاحةٍ قويّة، حتّى أنّ المصلّحين فينا والزّاهدين منّا عندما يقرؤون هذا الوصف يجدون أنفسهم بعيدةً عمّا يريده الإمام للمصلّحين

والزاهدين، ويجعلهم يحاولون أن يتداركوا هذا النقص لينهجوا نهج الإمام، ويصبحوا من خريجي مدرسته المثالية في هذا العالم المادي الصارخ بالصراع العنيف على المادة التي لا تغني ولا تثمن في اليوم الآخر، اسمعه يقول:

وأحذركم الدنيا فإنها منزل قُلعة، وليست بدار نُجعة. قَدْ تَزَيَّنتُ
بغورها، وغرَّتْ بزيتها، هانت على ربها، فخلط حلالها بحرامها، وخيرها
بشرها، وحياتها بموتها، وحلّوها بِمرّها، لم يُصِفها الله تعالى لأوليائه، ولم
يُضِنَّ بها على أعدائه، خيرها زهيد، وشرّها عتيد، وجمعها ينفد، وملكها
يُسلب، وعامرها يخرّب، فما خيرُ دارٍ تُنقُضُ نقضُ البناء، وعُمُرُ يغنى فيها
فناء الزّاد، ومُدّة تنقطع انقطاع السّير؟ اجعلوا ما افترض الله عليكم من
طلبكم، واسألوه من أداء حقّه ما سألكم، واسمعوا دعوة الموت آذانكم قبل
أن يدعى بكم. إنّ الزّاهدين في الدنيا تبكي قلوبهم وإن ضحكوا، ويشتدّ
حُزنهم وإن فرحوا، ويكثر مقتهم أنفسهم وإن اغتبطوا بما رزقوا، قد غابَ
عن قلوبكم ذكر الآجال، وحضرتكم كواذب الآمال، فصارت الدنيا أملك
بكم من الآخرة، والعاجلة أذهبُ بكم من الآجلة، وإنما أنتم إخوان على
دين الله. ما فرّق بينكم إلّا خبثُ السّرائر، وسوء الضّمائر، فلا تَوَازرون ولا
تَنَاصُحُون، ولا تَبَادِلُون، ولا تَوَادُّون!! ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا
تملكونه، ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تُحرّمونه، ويقلّكم اليسير من الدنيا
يفوتكم حتّى يتبيّن ذلك في وجوهكم وقلة صبركم عمّا زوّي منها عنكم؟؟!
كأنّها دار مقامكم، وكأنّ متاعها باقٍ عليكم!! وما يمنع أحدكم أن يستقبلَ
أخاه بما يخاف من عيبه إلّا مخافة أن يستقبله بمثله، لقد تصافيتم على
رفض الآجل، وحب العاجل وصار دينُ أحدكم لعقّة على لسانه، صنيع مَنْ
قد فرَغَ عن علمه، وأحرز رضا سيّده^(١).

(١) نهج البلاغة: شرح محمد عبده، ج ١ ص ٢٢١، مطبعة الاستقامة.

وابن أبي طالب الذي ضرب الرّقم القياسي في الزّهد قد تخلّص من
حبائل الدُّنيا وانتصرَ عليها، وهزأ بها ورسم خطّةً له فيها جعلته في نظر
الزُّهاد قبلتهم وقدوتهم. اسمعه يقول:

إليك عني يا دنيا، فحبلك على غاربك، قد انسلتُ من مخالبك،
وأفلتُ من حبائلك، واجتنبْتُ الذُّهابَ في مداحيضك. أين القوم الذين
غررتهم بمداعبتك؟ أين الأمم الذين فتنتهم بزخارفك؟ ها هم رهائن القبور،
ومضامين اللّهود؟ واللّه لو كنت شخصاً مرثياً، وقالياً حسيّاً، لأقمت عليك
حدود اللّه في عباد غررتهم بالأمانى، وأمم القيتهم في المهاوي، وملوك
أسلمتهم إلى التّلف، وأوردتهم موارد البلاء، إذ لا ورْد ولا صدر. هيهات
مَنْ وطىء دحْضك زلق، ومن ركب لججك غرق، ومَنْ ازورَّ عن حبالك
وُفق، والسّالم منك لا ييالي إن ضاق به مُناخه، والدُّنيا عنده كيومٍ حان
انسلاخه.

أُغربي عني، فواللّه لا أزلُ لك فتستدّيني، ولا أسلسُ لك فتقوديني.
وأيمُ اللّه - يميناً أسْتثني فيها بمشيئة الله - لأروضنّ نفسي رياضةً تهشّ معها
إلى القرص إذا قَدَرْتُ عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً، ولأدعنّ مقلتي
كعين ماءٍ نضبَ مَعيْنُها، مستفرغة دموعها. أتمتلي السّائمة من رعيها فتبرّك؟
وتشبع الرّبيضة من عشبها فتربّض؟ ويأكلُ عليّ من زاده فيهجع، قرّت إذا
عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسّائمة المرعية!

طوى لنفسٍ أدّت إلى ربّها فرضها، وعركت بجنبها بؤسها، وهجرت
في اللّيل غمضها، حتّى إذا غلب الكرى عليها افترشت أرضها، وتوسّدت
كفّها، في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجاغت عن مضاجعهم
جنوبهم، وهممت بذكر ربّهم شفاههم، وتقصّعت بطول استغفارهم ذنوبهم
﴿أولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون﴾^(١).

(١) سورة المجادلة: آية ٢٣. التّهج: شرح محمد عبده، ج ٣ ص ٨٢-٨٣.

ومهما طال الزَّمنُ وَبَعُدَتِ المسافةُ الزَّمنيةُ بيننا وبينَ علي بن أبي طالب، فلا الزَّمانُ بقادرٍ أن يخلقَ صوته في آذاننا، ولا المكانُ بُمَاحِ صوره في أذهاننا. وأيَّ عَظَةِ أبلغُ من هذه العِظَاتِ؟ وأيَّ معلِّمٍ أعظمُ من هذا المعلمِ القائلِ:

انظروا إلى الدُّنيا نظرَ الزَّاهدين فيها، الصَّادقين عنها، فإنَّها واللَّهِ عَمَّا قليلٍ تُزيلُ الثَّاوي السَّاكن، وتَفْجَعُ المترفَ الآمن، لا يرجع ما تولَّى منها فادبر، ولا يُدْرِي ما هو آتٍ منها فينتظر، سرورها مشوبٌ بالحزن، وجَلَدُ الرِّجالِ فيها إلى الضَّعْفِ والوَهْن، فلا يغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها لقلَّة ما يَصْحَبكم منها.

رَحِمَ الله امرأً تفكَّرَ فاعتبر، واعتبر فأبصر، فكأنَّ ما هو كائن من الدنيا عن قليلٍ لم يكن، وكأنَّ ما هو كائن من الآخرة عَمَّا قليلٍ لم يزل، وكلَّ معدودٍ منقُضٍ، وكلَّ متوقَّعٍ آتٍ، وكلَّ آتٍ قريبٍ دان^(١).

ومهما تفنَّنَ الكتابُ وبرعوا في وصفِ الدُّنيا فهم تلاميذ ابن أبي طالب. فمن نبعه ينهلون، ومن جودة تعبيره الدَّقِيق يسكرون. اسمعه يقول:

أما بعد: فإنِّي أحذركم الدُّنيا، فإنَّها حلوة خضرة، حُفَّت بالشهوات، وتحبَّت بالعاجلة، وراقت بالقليل، وتحلَّت بالأمال، وتزيَّنت بالغُرور، لا تدوم حَبْرَتُها، ولا تؤمَّنُ فجَعَتُها، غرَّارة ضرَّارة، حائلة زائلة، نافذة بائدة، أكالة غوالة، لا تعدو إذا تناهت إلى أُمْنِيَةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فيها والرِّضَاءِ بها، أن تكون كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾^(٢) لم يكن امرؤ منها في حَبْرَةٍ إِلَّا أعقبَتْها عبرة... إلى قوله: كم مِنْ واثقٍ بها فجَعته، وذو طمأنينةٍ قد صرَعته، وذو أبْهَةٍ قد جعلته حقيراً، وذو نخوةٍ قد

(١) نهج البلاغة: شرح محمَّد عبده، ج ١ ص ٢١٦ وما بعده.

(٢) سورة الكهف: آية ٤٥.

رُدَّتْهُ ذَلِيلًا، سُلْطَانُهَا دُولٌ، وَعَيْشُهَا رَنَقٌ، وَعَذْبُهَا أَجَاجٌ، وَحُلُوهَا صَبِيرٌ،
وَعِذَاؤُهَا سِمَامٌ، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ، حَيْثُهَا بَعْرُضٌ مَوْتٌ، وَصَحِيحُهَا بَعْرُضٌ
سُقْمٌ، مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ، وَمَوْفُورُهَا مَنَكُوبٌ، وَجَارُهَا
مَحْرُوبٌ، أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِينٍ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطُولُ أَعْمَارًا، وَأَبْقَى آثَارًا،
وَأَبْعَدُ آمَالًا، وَأَعَدَّ عَدِيدًا، وَأَكْثَفَ جُنُودًا، تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، وَآثَرُوهَا
أَيَّ إِثَارٍ، ثُمَّ ظَنُّوا عَنْهَا بَغِيرَ زَادٍ مَبْلَغٍ، وَلَا ظَهَرَ قَاطِعٍ؟! فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ
الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْسًا بَفْدِيَّةٍ، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْ أَحْسَنْتْ لَهُمْ صُحْبَةً؟
بَلْ أَرَهَقَتْهُمْ بِالْفَوَادِحِ، وَأَوْهَنْتَهُمْ بِالْقَوَارِعِ، وَضَعُضَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ، وَعَفَّرَتْهُمْ
لِلْمَنَاخِرِ، وَوَطَّئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ، وَأَعَانَتْ عَلَيْهِمْ رِيبَ الْمَنُونِ... إِلَى قَوْلِهِ:
فَاعْلَمُوا - وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ - بِأَنْكُمْ تَارِكُوهَا، وَظَاعِنُونَ عَنْهَا، وَاتَّعَظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ
قَالُوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مَنَا قُوَّةً﴾ حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ، فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا، وَأَنْزِلُوا
الْأَجْدَاثَ فَلَا يُدْعَوْنَ ضَيْفَانًا إِلَى آخِرِهِ^(١).

هَذَا هُوَ الْوَاعِظُ الْبَلِیْغُ، الْوَاعِظُ الَّذِي لَمْ يَعْظُ أَحَدًا إِلَّا بِمَا اتَّعَظَ بِهِ،
فَكَثِيرٌ مِنَ الْوَاعِظِ يَقْفُونَ عَلَى الْمَنَابِرِ، أَوْ يَجْلِسُونَ فِي الْمَحَاضِرِ، وَيَعْظُونَ
النَّاسَ بِأَشْيَاءَ لَمْ يَتَّعَظُوا بِهَا، وَيَنْهَوْنَهُمْ عَنْ أَشْيَاءَ لَمْ يَنْتَهَوْا عَنْهَا، وَيَحْرَمُونَ
عَلَيْهِمْ أَشْيَاءَ لَمْ يَحْرَمُوهَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ. وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لَا يَعْظُ
الْآخَرِينَ، وَلَا يَدْعُو إِلَى طَاعَةٍ، وَلَا يَنْهَى عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَطْبُقَ ذَلِكَ
عَمَلِيًّا. اسْمَعِهِ يَقُولُ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَحْكُمُ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا أَسْبِقُكُمْ
إِلَيْهَا، وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا أَتْنَاهُ قَبْلَكُمْ عَنْهَا»^(٢).

فَإِذَا أَرَادَ الْقَارِئُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَى وَصْفِ الْإِمَامِ مِنْ قَبْلِ مَنْ عَاشَرُوهُ
وَعَاشُوا مَعَهُ وَدَرَسُوا حَيَاتِهِ لَوْجِدَ فِي وَصْفِ ضَرَارِ الضَّبَائِي لَهُ مَا يَعْبُرُ عَنْ
شَخْصِيَّةٍ نَادِرَةٍ وَرَجُلٍ مَنْقَطَعِ النَّظِيرِ فِي هَذَا الْعَالَمِ الْمَادِّي، فَاسْمَعْ ضَرَارًا
يَصِفُ عَلِيًّا فَقَالَ:

(١) نهج البلاغة: شرح محمد عبده، ج ١ ص ١٩٧، مطبعة الاستقامة.

(٢) نهج البلاغة: شرح محمد عبده، ج ٢ ص ١٠٩، مطبعة الاستقامة.

كان عليٌّ بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزينتها، ويأنس إلى الليل ووحديته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، وكان كأحدنا يجيبنا إذا سألناه، ويُنَبِّئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا، وقربه منا لا نكاد نكلّمه هيبَةً له، وهو يعظّم أهل الدين، ويقرب المسكين، ولا يطمع القويُّ في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهدُ بالله لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، قابضاً على لحيته، يتململُ تملل السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا يا دنيا غري غيري. أبي تعرّضت؟ أم إليّ تشوّقت؟ هيهات هيهات! قد طَلّقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيها، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخسرانك كثير، وحظك قليل، وأهلك ذليل، آه آه من قِلّة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق. وقال ضرار: حزني عليه حزن امرأةٍ ذبح ولدها في حجرها^(١).

لقد تأسى عليٌّ بمحمّد وموسى وعيسى، لأنّه من هذا البيت، بيت الرّحمة، ومن هذه الشجرة شجرة النبوة. أمّا أبناء الدنيا فقد ساروا سيرة ابن العاص الذي باع دينه بولاية مصر، وخارجها لمن بايع وتابع وشايع السلطان.

وقال الأستاذ العقّاد في (عبقريّة الإمام): أمّا معيشة عليّ في بيته بين زوجاته وأبنائه، فمعيشة الزهد والكفاف، وأوجز ما يقال فيها: أنّه كان يتفق له أن يطحن لنفسه، وأن يأكل الخبز اليابس الذي يكسره على ركبتيه، وأن يلبس الرداء الذي يرعد فيه، مع أنّ أحداً من رعاياه لم يمت عن نصيبٍ أقلّ من النصيب الذي مات عنه، وهو خليفة المسلمين.

(١) أخرجه الدُّولابي في الذّرية الطّاهرة، وأبو عمر، وصاحب الصّفوة، ينايع المودّة: للشيخ القندوزي، ج-٢ ص ٤١-٤٢ ط ٢، مكتبة العرفان - صيدا.

ومن (مناقب الخوارزمي) قال عمر بن عبد العزيز: ما علمنا أن أحداً كان في هذه الأمة بعد النبي ﷺ أزهد من علي بن أبي طالب. قال: حدثنا أبو النجيب سعد بن عبد الله الهمداني المعروف بالمروزي، قال: حدثنا بهذا الحديث الإمام الحافظ سليمان بن إبراهيم الأصفهاني، ورواه سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرته وزاد عليه: ما وضع لبنه على لبنه، ولا قصبة على قصبة. ص ١١٧ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ المطبعة العلمية في النجف^(١).

ومنه عن سويد بن غفلة قال: دخلتُ على علي بن أبي طالب القصر، فوجدته جالساً وبين يديه إناء فيه لبن أجدر ریح حموضته، وفي يده رغيفٌ أرى قشار الشعير في وجهه، وهو يكسره بيده، ويطرحه فيه، فقال: أدن وأصب من طعامنا. فقلت: إني صائم، فقال ﷺ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من منعه الصيام من طعامٍ يشتهيهِ كان حقاً على الله تعالى أن يطعمه من طعام الجنة، ويسقيه من شرابها. قال: فقلتُ لفضة وهي بقربٍ منه قائمة: ويحك يا فضة ألا تتقين الله في هذا الشيخ؟ ألا تنخلين هذا الطعام من النخالة التي فيه؟ قالت: قد تقدّم إلينا ألا ننخل له طعاماً. قال: ما قلت لها؟ فأخبرته، فقال ﷺ: بأبي وأمي من لم ينخل له طعام، ولم يشبع من خبز البر ثلاثة أيامٍ حتى قبضه الله تعالى (المقصود به الرسول ﷺ) (٢).

هذا هو الإنسان المثالي، الإنسان الكامل، خليفة المسلمين وأمير المؤمنين، لم يتأثر ببهرجة الدنيا وزخرفها ونعيمها، ولم يتأثر إلا بما توحى له الشريعة السمحة وصاحبها المعصوم ﷺ.

روي عن عدي بن ثابت، قال: أوتي أمير المؤمنين ﷺ بفالودج فأبى أن يأكل منه، فقال: شيءٌ لم يأكل منه رسول الله ﷺ لا أحبُّ أن أكلَ منه. وكان ﷺ يجعل جريش الشعير في وعاء ويختم عليه، فقبل له في ذلك:

(١) كشف الغمّة: للأربلي، ج ١ ص ١٦٣.

(٢) إرشاد القلوب: للديلمى والغدير وشرح النهج.

فقال عليه السلام : أخاف هذين الولدين أن يجعلاً فيه شيئاً من زيت أو سمن^(١) .

وروى يوسف بن يعقوب، عن صالح بياع الأكسية، أن جدته لقيت علياً عليه السلام بالكوفة، ومعه تمرٌ يحمله، فسلمت عليه وقالت له : أعطني يا أمير المؤمنين هذا التمر أحمله عنك إلى بيتك، فقال : أبو العيال أحقّ بحمله . قالت : ثم قال لي : ألا تأكلين منه؟ فقلت : لا أريد، قالت : فانطلق به إلى منزله، ثم رجع مرتدياً بتلك الشملة، وفيها قشور التمر، فصلّى بالناس فيها الجمعة^(٢) .

هذا هو عليٌّ لا يسمح لأي رجل كان أن يحمل عن الآخر أحماله حتى ولو كان عبداً أو امرأة . إنّ علياً رمز العدالة الاجتماعية، فلا استغلال ولا استعباد ولا استئثار ولا استرقاق، وهو يطبق العدالة الاجتماعية بسلوكه، وبأعماله وفي معاملته لنفسه وللآخرين .

وعن جعفر الصادق عليه السلام كان أمير المؤمنين عليه السلام يجلس جلسة العبد، ويأكل أكلة العبد، ويطعم الناس خبز البرّ واللحم، ويرجع إلى أهله فيأكل خبز الشعير بالزيت أو بالخلّ، ويشترى القميص من الكرايس السنبلاقي، ويعطي خيرها لغلامه قنبر، فيلبس رديها، فإذا جاوز أصابعه وكعبه قطعه . وما ورد عليه أمران قط كلاهما رضا لله إلا أخذ بأشدهما على بدنه، ولا نزلت برسول الله ﷺ شديدة قطّ إلا وجّهه فيها ثقة به . ولقد وليّ قرب خمس سنين، فما وضع آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا أورث بيضاء ولا صفراء إلا سبعمائة درهم فضلت عن عطاياه أراد أن يتاع لأهله بها خادماً، ولقد كان يعمل عمل رجلٍ كأنه ينظر إلى الجنة والنار، ولقد أعتق ألف مملوك من ماله الذي مجلت فيه يداؤه، ويعرق فيه جبينه التماس وجه الله عزّ وجلّ ورضائه^(٣) .

(١) إرشاد القلوب : للدلمي، ج ٢ ص ٩ .

(٢) شرح النهج : لابن أبي الحديد، ج ٢ ص ٢٠٢ .

(٣) ينابيع المودة، ج ١ ص ١٤٥ للقندوزي .

هذا علي بن أبي طالب، وقد تولّى الخلافة قبله ثلاثة خلفاء، ففي عهد الخليفة الثالث أطلق للطبقة الممتازة من العرب العنان، فجرّت عليه الوبال. وأوّل مشكلة اعترضته قتل الهرمزان من قبل عبيدالله بن عمر، فاكسب رضا آل الخطّاب، وأهل القضية الدّينيّة، وخالف عمر في إطلاق كبار الصّحابة والذهاب إلى أيّ مكان يشاؤون بعكس عمر، حيث حبسهم في المدينة طيلة عهده، واستعمل العزل والتّولية، فقرب وولّى أقرباءه وعزل الآخرين، وأطلق لعمّاله العنان في الضّرب والتّفي والحبس، وهو نفسه نهج هذا النهج في رجلين من أعلام أصحاب النّبي ﷺ، ضرب عمّار بن ياسر حتّى أصابه الفتق، وأمر من أخرج عبدالله بن مسعود من مسجد النّبي ﷺ حتّى كسر بعض أضلاعه، ولم يسمح لهما بالدّفاع عن أنفسهما، بل يقبل قول عمّاله على علّاته^(١).

علاوة عن تقرّبه آل أبي العاص، ولقد صحت فيه فراسة عمر يوم عهده بالشّورى لعثمان، وكأني بك وقد قلّدتك قريش هذا الأمر، فحملت بني أميّة وبني أبي معيط على رقاب النّاس، وآثرتهم بالغنّى، فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب، فذبحوك على فراشك ذبحاً. واللّه لئن فعلها لتفعلن، وإن فعلت ليفعلن، ثمّ أخذ بناصية عثمان فقال: «إذا كان ذلك فاذكر قولي فإنّه كائن».

فأوطأ بني أميّة رقاب النّاس، وأولاهم الولايات، وأقطعهم القطائع. ولمّا فتحت أرمينيا أخذ الخمس فوهبه لمروان. وأعاد الحكم بن أبي العاص بعد أن سيّره رسول الله ﷺ، ثمّ لم يرده أبوبكر وعمر، وأعطى مروان فداً، وحمى المراعي حول المدينة كلّها عن مواشي المسلمين كلّهم، إلّا عن بني أميّة، وأعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بمائة ألف من بيت المال. وكذلك قصة زيد بن أرقم صاحب

(١) راجع كتاب «الفتنة الكبرى» للدكتور طه حسين تجد الأحداث مفصلة بشكل واسع.

بيت المال، وقصة مقتل محمد بن أبي بكر وجماعة من المؤمنين بأمره بما هو مشهور ومعروف.

كان هذا عهد الخليفة الثالث، حيث انتشرت الأثرة والأنانية والاحتكار، وضرب بمبدأ المساواة والتوحيد عرض الحائط، وظهر الإقطاع والضيوع في عهده. فهذا المسعودي يحدثنا أنه في أيام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال. فكان لعثمان - يوم قُتل - عند خازنيه خمسون ومائة ألف دينار، وألف ألف درهم، وقيمة ضياعه في وادي القرى وحنين وغيرها مائة ألف دينار، وخلف إبلاً وخيلاً كثيرة. وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين ألف دينار، وخلف ألف فرس، وألف أمة. وكانت غلة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم، ومن ناحية السراة أكثر من ذلك. وكان على مرتبط عبد الرحمن بن عوف ألف فرس، وله ألف بعير، وعشرة آلاف من الغنم، وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته أربعة وثمانين ألفاً، وخلف زيد بن ثابت من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس غير ما خلف من الأموال والضياع، وبنى الزبير داره بالبصرة، وبنى أيضاً بمصر والكوفة والإسكندرية إلى غير ذلك.

أي وصل الوضع في عهد عثمان إلى ما وصل إليه الآن من جشع وأنانية واحتكار، فاستلم الحكم علي بن أبي طالب، ولكن ما استلمه حتى فسد وفسدت النفوس، فأراد أن يعود به إلى ما كان عليه في عهد النبي ﷺ، ولكن النفوس لم تعد مهياًة إلى هذا الحكم، وعلي لم يقبل بغير هذا الحكم، لذلك تمثل عنصر الشر في أصحاب الجمل ومعاوية. وبدأ الصراع المرير بين علي ومعاوية، وانضم إلى معاوية كل أناني ومادي ومحتكر، وبدأت المؤامرات تحاك ضد علي، وبات الأموال تغري مرضى النفوس، وعلي يقاوم ويناضل، والكثير من أصحابه يطلبون منه أن يداري ويراعي شعور الولاة، فيأنف، ولا يبالي بمن يتركه وينضم إلى صفوف معاوية، ما دام لم يُعص الله طرفة عين، وهو الذي قاتل وناضل من أجل ترسيخ هذا الدين في النفوس، وتحقيق

المساواة التي أتى بها هذا الدين، فهو لم يذهب في خلافته مذهب الملوك الذين يصانعون بالأموال، ويصرفونها في مصالح ملكهم وملاذ أنفسهم، وأنه لم يكن من أهل الدنيا، وإنما كان رجلاً متألهاً صاحب حق، لا يريد بالله ورسوله بدلاً.

روى علي بن أبي سيف المدائني أن طائفة من أصحاب علي عليه السلام مشوا إليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال، وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم، واستمل من تخاف خلافه من الناس وفراره، وإنما قالوا له ذلك: لما كان معاوية يصنع في المال، فقال لهم: أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور، لا والله لا أفعل ذلك ما طلعت شمس، وما لاح نجم. والله لو كان المال لي لواسيت بينهم، فكيف وإنما هي أموالهم؟ ثم سكت طويلاً واجماً، ثم قال؛ الأمر أسرع من ذلك. قالها ثلاثاً^(١).

وروى أبو إسحق الهمداني أن امرأتين أتتا علياً عليه السلام، إحداهما من العرب والأخرى من الموالي، فسألنّه، فدفع إليهما دراهم وطعاماً بالسوء، فقالت إحداهما: إني امرأة من العرب، وهذه من العجم، فقال: إني والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحق^(٢).

وروى علي بن محمد بن أبي يوسف المدائني عن فضل بن الجعد، قال: أكد الأسباب في تقاعد العرب عن أمير المؤمنين عليه السلام أمر المال، فإنه لم يكن يفضل شريفاً على مشروف، ولا عربياً على عجمي، ولم يصانع الرؤساء وأمراء القبائل كما يصنع الملوك، ولا يستميل أحداً على نفسه، وكان معاوية بخلاف ذلك، فترك الناس علياً، والتحقوا بمعاوية. فشكا علي إلى الأشرار تخاذل أصحابه، وفرار بعضهم إلى معاوية، فقال الأشرار: يا أمير

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٢ ص ٢٠٣ ط ١٩٥٩ م.

(٢) نفس المصدر، ج ٢ ص ٢٠٠ - ٢٠١ ط ١٩٥٩ م.

المؤمنين : إِنَّا قَاتَلْنَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ بِأَهْلِ الْبَصْرَةِ وَأَهْلَ الْكُوفَةِ، ورَأَى النَّاسُ واحداً، وقد اختلفوا بعد، وَتَعَادُوا وَضَعُفَتِ النِّيَّةُ، وَقَلَّ الْعَدَدُ، وَأَنْتَ تَأْخُذُهُمْ بِالْعَدْلِ، وَتَعْمَلُ فِيهِمْ بِالْحَقِّ، وَتَنْصِفُ الْوَضِيعَ مِنَ الشَّرِيفِ، فَلَيْسَ لِلشَّرِيفِ عِنْدَكَ فَضْلٌ مَنْزِلَةٌ عَلَى الْوَضِيعِ، فَضَجَّتْ طَائِفَةٌ مِمَّنْ مَعَكَ مِنَ الْحَقِّ إِذْ عُمُوا بِهِ، وَاعْتَمُوا مِنَ الْعَدْلِ إِذْ صَارُوا فِيهِ، وَرَأَوْا صَنَائِعَ مَعَاوِيَةَ عِنْدَ أَهْلِ الْغَنَاءِ وَالشَّرَفِ، فَتَأَقَّتْ أَنْفُسُ النَّاسِ إِلَى الدُّنْيَا، وَقَلَّ مِنْ لَيْسَ لِلدُّنْيَا بِصَاحِبٍ، وَأَكْثَرُهُمْ يَجْتَوِي الْحَقَّ وَيَشْتَرِي الْبَاطِلَ، وَيُؤْثِرُ الدُّنْيَا، فَإِنْ تَبَذَلَ الْمَالُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَمَلَّ إِلَيْكَ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ، وَتَصِفُّ نَصِيحَتُهُمْ لَكَ، وَتَسْتَخْلَصُ وَدَّهْمَ، صَنَعَ اللَّهُ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! وَكَبَتْ أَعْدَاءُكَ، وَفَضَّ جَمْعُهُمْ، وَأَوْهَنَ كَيْدُهُمْ، وَشَتَّتْ أُمُورُهُمْ، إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. فَقَالَ عَلِيٌّ عليه السلام : أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَمَلِنَا وَسِيرَتِنَا بِالْعَدْلِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلِيلًا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(١). وَأَنَا مِنْ أَنْ أَكُونَ مَقْصُورًا فِيمَا ذَكَرْتَ أَخُوفٌ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَنَّ الْحَقَّ ثَقُلَ عَلَيْهِمْ فَفَارَقُونَا لَذَلِكَ، فَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُمْ لَمْ يَفَارَقُونَا مِنْ جَوْرٍ، وَلَا لَجَؤُوا إِذَا فَارَقُونَا إِلَى عَدْلِ، وَلَمْ يَلْتَمِسُوا إِلَّا دُنْيَا زَائِلَةً عَنْهُمْ كَأَنْ قَدْ فَارَقُوهَا، وَلَيْسَ أَلَنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَلِلدُّنْيَا أَرَادُوا أَمْ لِلَّهِ عَمَلُوا؟

أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ بَذْلِ الْأَمْوَالِ وَاصْطِنَاعِ الرِّجَالِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْعُنَا أَنْ نُوْتِيَ أَمْرًا مِنَ الْفِيءِ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ : ﴿وَكَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢). وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ، فَكَثَّرَهُ بَعْدَ الْقَلَّةِ، وَأَعَزَّ فِئَتَهُ بَعْدَ الذَّلَّةِ، وَإِنْ يَرِدُ اللَّهُ أَنْ يُولِينَا هَذَا الْأَمْرَ يَذَلُّ لَنَا صَعْبُهُ وَيَسْهَلُ لَنَا حَزَنُهُ، وَأَنَا قَابِلٌ مِنْ

(١) سورة فصلت: آية ٤٦ .

(٢) سورة البقرة: آية ٢٤٩ .

رأيتك ما كان الله عز وجل رضا، وأنت من آمن الناس عندي، وأنصحهم لي، وأوثقهم في نفسي إن شاء الله^(١).

لذلك لا يقاس عليّ ^{بالتف} بأحد من الناس إلا بالرسول ^ﷺ . ومن مثل علي؟ ومن يستطيع أن يحقق ما يحققه؟ وهو القائل:

والله لأن أبيت على حسك السعدان مُسَهِّدًا، وأجر في الأغلال مصفِّدًا، أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالمًا لبعض العباد، وغاصبًا لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفسي يُسرِع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها؟

والله لقد رأيت عَقِيلًا وقد أَمَلَقَ حتَّى استماحني من بُرْكُمْ صاعًا، ورأيت صَبِيَانَهُ شُعْتَ الشُّعُورِ، غُبَرَ الألوان من فقرهم، كأنما سُودَت وجوههم بالعِظْلِمِ، وعَاودني مؤكِّدًا، وكرَّر عليّ القولَ مردِّدًا، فأصغيتُ إليه سمعي، فظنَّ أَني أبيعُه، وأتَّبِعَ قيادَه مفارقًا طريقي، فأحميتُ له حديدة، ثم أدنيتها من جسمه ليعتبرَ بها، فضجَّ ضجيج ذي دَنَفٍ من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسمها. فقلتُ له: ثكلتك الثواكل يا عقيل، أتئنُّ من حديدة أحماها إنسانها لِّلعبه، وتجُرُّني إلى نار سجرها جبارها لغضبه؟ أتئنُّ من الأذى ولا أئنُّ من لظى؟! وأعجبُ من ذلك طارقُ طرقنا بملفوفةٍ في وعائها ومعجونة شئتُها، كأنما عُجِنَتْ بريق حية أو قيئها، فقلتُ: أصلة أم زكاة، أم صدقة؟ فذلك محرَّم علينا أهل البيت، فقال: لا ذا ولا ذاك، ولكنها هديَّة، فقلتُ: هبِّلتك الهُبُول، أعن دين الله أتيتني لتخدعني؟ أمختبَطُ أم ذو جنة، أم تهجر؟ والله لو أُعْطِيتُ الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت. وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تَقْضُمُها، ما لعلي ولنعيم يفنى، ولذَّة لا تبقى. نعوذ بالله من سُبَاتِ العقل وقُبْحِ الزَّلَل، وبه نستعين^(٢).

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٢ ص ١٩٨ ط ١٩٥٩ م.

(٢) نهج البلاغة: شرح محمد عبده، ج ٢ ص ٢٤٣ وما بعد، مطبعة الاستقامة.

فمن كانت هذه مواقفهِ وأفعاله فهل يجوز أن يقارنَ بغيره من الملوك والخلفاء والحكام والرؤساء؟ هذا هو الخطأ الذي وقع به الكثير ممّن كتبوا عن علي عليه السلام ، لأنّهم عاجزون عن تطبيق ذلك، مهما اجتهدوا وسهروا. وكيف يستطيعون؟ وعلي جمَعَ الصّفات المتضادّة كما يقول صفّي الدين الحلّي في شعره:

جُمِعَتْ في صفاتِكَ الأضدادُ	فلهذا عزّت لك الأندادُ
زاهدٌ حاكمٌ حليمٌ شجاعٌ	ناسكٌ فاتكٌ فقيرٌ جوادٌ
شيمٌ ما جمعن في مبشرٍ قطّ	ولا حاز مثلهنّ العبادُ
خلُقَ يخجل النّسيم من اللّطفِ	وبأسٌ يذوب منه الجمادُ
جلّ معنأك أن يحيط به الشعر	ويحصي صفاتهُ النّقادُ

فهو صاحب الفضائل المتناقضة التي انفرد بها من المشاركة فيها، فإنّه كان يصوم النهار ويقوم الليل، ويفطر على السير من جريش الشّعير بغير أدام، كما مرّ معنا. ومن يكن بهذه الحالة يكن ضعيف القوّة. وأمير المؤمنين عليه السلام كان مع ذلك أشدّ الناس قوّة، وأنّه قلع باب خيبر، فقد عجز عن حمله سبعون نفرًا من المسلمين، ورمى به أذرعاً كثيرة، ثمّ أعاده إلى مكانه بعد أن وضعه جسراً على الخندق. وكان أكثر الوقت في الحروب مباشراً قتلى النفوس، ومن هذه حاله يكون شديد اللقاء، عبوس الوجه، وأمير المؤمنين عليه السلام كان مع ذلك رحيماً رقيق القلب، حسن الأخلاق، طلق الوجه، حتّى نسبته بعض المنافقين إلى الدّعابة لشرف أخلاقه عليه السلام .

ذكر الشعبي قال: دخلتُ الرّحبة بالكوفة - وأنا غلام - في غلمان، فإذا أنا بعلي عليه السلام قائماً في صبرتين (ما جمع به الطعام بلا كيل ولا وزن) من ذهبٍ وفضّة، ومعه مخفّقة. وهو يطرد الناس بمخفّقتِهِ، ثم يرجع إلى المال فيقسمه بين الناس، حتّى لم يبقَ منه شيء، ثم انصرف، ولم يحمل إلى بيته قليلاً ولا كثيراً. فرجعتُ إلى أبي فقلتُ له: لقد رأيتُ خير الناس أو أحقّ الناس. قال: من هو يا بني؟ قلت: علي بن أبي طالب أمير المؤمنين! رأيته

يصنعُ كذا. فقَصَصْتُ عليه، فبكى، وقال: يا بني، بل رأيت خير الناس^(١).

هذا هو الإمام الذي اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعامه بقرصيه، خليفة المسلمين في العراق وفارس والحجاز واليمن ومصر، يبيع سيفه ليشتري إزاراً بدرهمين!! عليّ والدُّنيا في يده يتصرفُ فيها كيف شاء ومتى شاء، يكتفي منها بطمرين وقرصين.

لقد أشفق قبر عليّ مولا، فحدّث ما أدهش قبر. روى محمد بن فضيل عن هارون بن عنترة عن زاذان، قال: انطلقتُ مع قبر غلام عليّ عليه السلام فإذا هو يقول: قم يا أمير المؤمنين فقد خبأتُ لك خبيئاً. قال: وما هو؟ ويحك! قال: قم معي، فقامَ فانطلقَ به إلى بيته، وإذا بغرارة مملوءة من جاماتٍ ذهباً وفضّة، فقال: يا أمير المؤمنين، رأيتُك لا تترك شيئاً إلا قسمته، فادّخرتُ لك هذا من بيت المال. فقال عليّ عليه السلام: ويحك يا قبر! لقد أحببتُ أن تدخل بيتي ناراً عظيمةً، ثم سلّ سيفه وضربه ضرباتٍ كثيرةً، فانتشرت من بين إناء مقطوع نصفه، وآخر ثلثه، ونحو ذلك، ثم دعا بالناس، فقال: أقسموه بالحصص، ثم قامَ إلى بيت المال، فقسّم ما وجد فيه، ثم رأى في البيت إبراً ومسال، فقال: ولتقسموا هذا، فقالوا: لا حاجة لنا فيه. وقد كان عليّ عليه السلام يأخذ من كلّ عاملٍ ممّا يعمل. فضحك، وقال: ليؤخذنَّ شرّه مع خير^(٢).

وروى عبد الرحمن بن عجلان، قال: كان عليّ عليه السلام يقسم بين الناس الأبزار والحرف والكمّون، وكذا وكذا.

وروى التميمي قال: كان عليّ عليه السلام يكنس بيت المال كلّ جمعة، ويصلّي فيه ركعتين، ويقول: ليشهد لي يوم القيامة^(٣).

واستمع أيّها الطّالب إلى هذا التّعليل الذي يعلّله حاكم المسلمين في

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٢ ص ١٩٨ ط ١٩٥٩ م.

(٢) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٢ ص ١٩٩.

(٣) نفس المصدر، ج ٢ ص ١٩٩.

امتناعه عن تناول الطعام الفاخر، وأين حكام الأرض من ذلك؟

عن الأحنف بن قيس، قال: دخلتُ على علي كرم الله وجهه وقت إفطاره إذا دعا بجراب مختوم فيه سوق الشعير، قلت له: يا أمير المؤمنين خفت أن يؤخذ منه فختمته فيه؟

قال: لا، ولكنني خفت أن يلين الحسن أو الحسين بسمن أو زيت. قلت: هما حرام عليك؟ قال: لا، ولكن يجب على الأئمة أن يغتذوا بغذاء ضعفاء الناس وأفقرهم كيلا يشكو الفقير من فقره، ولا يطغي الغني لغناه^(١).

وفي كتاب (ذخيرة الملوك) للسيد علي الهمداني قدس الله سره، ووهب لنا بركاته وفتوحاته، أن علياً كرم الله وجهه كان معتكفاً في مسجد الكوفة، جاء أعرابي وقت إفطاره، فأخرج علي من جراب سوق الشعير، فأعطاه منه شيئاً فلم يأكله الأعرابي، فعقده في طرف عمامته، فجاء إلى دار الحسين رضي الله عنهما، فأكل معهما، فقال لهما: رأيتُ شيخاً غريباً في المسجد لا يجد غير هذا السوق، فترحمتُ عليه، فأحمل من هذا الطعام إليه ليأكله، فبكيا وقالوا: إنه أبونا أمير المؤمنين علي يجاهد نفسه بهذه الرياضة^(٢).

فطعام أمير المؤمنين لم يقبله الأعرابي، فكيف يرضى بذلك الرؤساء من أبناء الدنيا؟ كمن قال: واللّه ما قاتلتكم لأجل الصلاة والصيام، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم.

وهذا عدي بن حاتم الطائي يروي لنا قائلاً: رأيتُ علياً كرم الله وجهه، وبين يديه ماء قراح وكسيرات خبز شعير وملح، فقلت: يا أمير المؤمنين، لتظل في النهار طاوياً مجاهداً، وفي الليل ساهراً مكابداً، ثم هذا فطورك؟ قال: أذهب علل النفس بالقنوع وإلا طلبت فوق ما يكفيها^(٣).

(١) ينابيع المودة: للقندوزي، ج ١ ص ١٤٦.

(٢) نفس المصدر، ص ١٤٧.

(٣) نفس المصدر، ج ١ ص ١٤٦.

هذا طعامه الذي كان يقتات منه، لأنه ما شبع من طعام قط. أما لباسه فلم يكن بأحسن حالاً من طعامه، فقد كان ثوبه مرقوعاً بجلدة تارة، وبليفة أخرى، وكان نعلاه من ليف، ويلبس الكرباس الغليظ، فإذا وجد كمّه طويلاً قطعه. وفي نهج البلاغة من خطبة له عليه السلام قال: «والله لقد رقت مدرعتي هذه حتى استحيت من راقعها». ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها؟ فقلت: اعذب عني (عند الصباح يحمد القوم السرى).

وروي عن سويد بن غفلة، قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بعدما بويح بالخلافة، وهو جالس على حصير صغير ليس في البيت غيره، فقلت: يا أمير المؤمنين، بيدك بيت المال، ولست أرى في بيتك شيئاً مما يحتاج إليه البيت، فقال عليه السلام: يابن غفلة، إن البيت لا يتأث في دار النقلة، ولنا دار أمن قد نقلنا إليها خير متاعنا، وإننا عن قليل إليها صائرون. وكان عليه السلام إذا أراد أن يكتسي دخل السوق، فيشتري الثوبين، فيخير قنبر أجودهما، ويلبس الآخر، ثم يأتي النجار، فيمد له إحدى كمّيه، ويقول له: خذهُ بقدمك ويقول: هذه تخرج في مصلحة أخرى، ويبقى الكمّ الأخرى بحالها ويقول: هذه نأخذ فيها من السوق للحسن والحسين^(١).

وخرج عليه السلام يوماً وعليه إزاء مرقوع، فعوتب عليه، فقال: يخشع القلب بلبسه، ويقتدي به المؤمن إذا رآه علي^(٢).

وخرج يوماً إلى السوق ومعه سيفه لبيعه، فقال: من يشتري مني هذا السيف؟ فوالذي فلق الحبة لطالماً كشفت به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولو كان عندي ثمن إزار لما بعته.

وانظر أيها الطالب إلى حرصه الدقيق لمصلحة المسلمين، وكيف

(١) الأنوار النعمانية: للموسوي، ج ١ باب ١ ص ٥٠.

(٢) كشف الغمة: للأربلي، ج ١ ص ١٧٥.

يحاسبُ نفسه على كلِّ صغيرةٍ حساباً عسيراً، ولا يسمَحُ لأحد أن يفرط في حقِّهم مهما كان تافهاً.

ومن ذلك أنه أتى بزقاقٍ فيها عسلٌ من اليمن، ونزلَ بالحسن عليه السلام ضيفاً، فاشترى خبزاً، وطلقَ من قبر أدمأ ففتحَ زقاً وأعطاه منه رطلاً، فلما قعد عليه السلام ليقسمها، قال: يا قبر، قد حَدَثَ في الزَّق حدث؟ قال: صدقت يا أمير المؤمنين، وأخبره فغضب، وقال: عَلَيَّ به، فلما حضرهم بضربه، فأقسم عليه بعمه جعفر، وكان عليه السلام إذا أقسمَ به عليه سكن، فقال: ما حملك على أن أخذتَ قبل القسمة؟ قال: إن لنا فيه حقاً، فإذا أعطيتنا رددناه. قال: لا يجوز أن تنتفع بحقك قبل انتفاع الناس، لولا أنني رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقبلُ ثنيك لأوجعتك ضرباً. ثم دفع إلى قبر درهماً وقال: اشتر به من أجود عسلٍ يوجد. قال الراوي: فكأنني أنظر إلى يد علي على فم الزَّق، وقبر يقلب العسل فيه، ثم شدَّه بيده، وهو يبكي ويقول: اللهم اغفر للحسن فإنه لم يعلم^(١).

وذكر سبط ابن الجوزي في (تذكرته) مرفوعاً بالأسانيد إلى عمرو بن يحيى عن أبيه، قال: أهديَ لعلي عليه السلام زقاقٌ من عسل وسمن، فرآها قد نقصت، فسأل عنها، ف قيل له: بعثت أم كلثوم فأخذت منه في قعب، فبعث إليها بعد أن قوَّم العسل بخمسة دراهم، فأخذها منها، وقال: هذا للمسلمين^(٢).

فأعجب بهذه المكارم والأفعال والقضايا التي هي غررٌ في جبهات الأيام، والزَّهادة التي فاق بها جميع الأنام، والورع الذي حمّله على ترك الحلال فضلاً عن الحرام، والعبادة التي أوصلته إلى مقام وقف دون كلِّ الأقوام.

(١) وفي تذكرة سبط ابن الجوزي بهذا المعنى، ص ١٢٢ - ١٢٣ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ.

(٢) تذكرة سبط ابن الجوزي، ص ١٢٢ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ.

فصاحبُ هذه الأفعال هو رمز العدالة الاجتماعية، ومهما بلغت الدول في التقدم والرقي في القرن العشرين فإنها لم تصل إلى ما خطَّطه عظيم العظماء ذو العقل الجبار علي بن أبي طالب، فهو نسخة مفردة ليس لها مثيل في الشرق ولا في الغرب، لا قديماً ولا حديثاً. وكثيراً ما أعلن للملأ قائلاً: «ما جاع فقير إلا بما مُتَّع به غني». «وما رأيتُ نعمة موفورة إلا وإلى جانبها حقٌ مضيع»! إنها حقيقة نادى بها المصلحون الاجتماعيون والمفكرون دون أن يطبقوها. فالوحيد الذي طبَّقها عملياً هو علي بن أبي طالب، وبعده ضُربَ بها عرض الحائط، وإلى الآن والصراع مستمر، دون أن يظفروا بتطبيقها الكامل، حقيقة ظهرت للوجود على يدي هذا البطل، ووضع قانوناً للإنسانية جمعاء، وكان هو النموذج المنشود، والمثل الأعلى للإنسان، ولم يزل إلى الأبد.

هذا عليّ العادل الزاهد المنقطع النّظير، فهل عرفتَ أيُّها الطَّالِب من الخلق عظيمًا يلتقي مع المفكرين بسمو تفكيرهم، ومع الخيرين بحبهم العميق للخير، ومع العلماء بعلمهم، ومع الباحثين تثقيفهم، ومع ذوي المودة بموداتهم، ومع الزهاد بزهدهم، ومع المصلحين بإصلاحهم، ومع المتألمين بآلامهم، ومع المظلومين بمشاعرهم وتمردهم، ومع الأدباء بأدبهم، ومع الأبطال ببطولاتهم، ومع الشهداء بشهادتهم، ومع كلِّ إنسانية بما يشرفها ويرفع من شأنها، ثم إنَّ له في كلِّ ذلك فضل القول الناتج عن العمل، والتَّضحية المتَّصلة بالتَّضحية، والسَّابقة في الزَّمان .

هذا هو عليّ الذي قال له رسول الله ﷺ : «يا عليُّ إنَّ اللهَ زينك بزينةٍ لم يزين الخلائق بزينةٍ هي أحبُّ إليه منها، الزَّهد في الدُّنيا، وجعلك لا تنال من الدُّنيا، ولا تنال منك شيئاً، وهبَ لك حبَّ المساكين، فرضوا بك إماماً، ورضيتَ بهم أتباعاً»^(١).

هذا هو عليّ الذي قال به عدوه الألدُّ معاوية بن أبي سفيان: لو ملك بيتاً

(١) رواه صاحب الفردوس، وينايع المودة: للقندوزي، ج ٢ ص ٥٦.

من تبر، وبيتاً من تبين لأنفذ تبره قبل تبته، وكان يكنس بيت المال ويصلي فيه ويقول: يا صفراء ويا بيضاء غري غيري، ولم يخلف ميراثاً، والدنيا كلها كانت بيده إلا الشام.

وإذا أردت أيها الطالب أن تطلع على التّضحية الكبرى التي يقوم بها الإمام تجاه البائسين والمحتاجين من أبناء الأمة الإسلامية، فاستمع إلى ما يرويه لنا صاحب كتاب (إرشاد القلوب) في الجزء الثاني ص ١٤ - ١٥ ما يلي:

رُوي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام دخل مكة، وهو في بعض حوائحه، فوجد أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة، وهو يقول: يا مَنْ لا يحويه مكان، ولا يخلو منه مكان، ولا يكتنه مكان، أرزق الأعرابي بأربعة آلاف درهم. قال: فتقدم إليه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: ما تقول يا أعرابي؟ فقال الأعرابي: من أنت؟ فقال: أنا علي بن أبي طالب. قال: أنت والله حاجتي، قال عليه السلام: سل يا أعرابي، قال: أريد ألف درهم للصدّاق، وألف درهم أقضي بها ديني، وألف درهم أشتري بها داراً، وألف درهم أتعيش بها. قال عليه السلام: أنصفت يا أعرابي إذا خرجت من مكة فسل عن داري بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم. فأقام الأعرابي أسبوعاً بمكة. وخرج في طلب أمير المؤمنين إلى المدينة، ونادى من يدلّني على دار أمير المؤمنين؟ فلقبه الحسين عليه السلام، فقال: أنا أدلك على دار أمير المؤمنين. فقال الأعرابي: قال: مَنْ أبوك؟ قال: أمير المؤمنين عليه السلام. قال: من أمك؟ قال: فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين، قال: من جدك؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال: من جدتك؟ قال: خديجة بنت خويلد. قال: من أخوك؟ قال: حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام. قال: لقد أخذت الدنيا بطرفيها، امش إلى أمير المؤمنين عليه السلام. وقل له: إنّ الأعرابي صاحب الضّمان بمكة على الباب، فدخل الحسين عليه السلام وقال: يا أبت أعرابي بالباب يزعم أنّه صاحب ضمان بمكة، قال: فخرج إليه عليه السلام وطلب سلمان الفارسي رضي الله عنه وقال له: يا سلمان

اعرض الحديقة التي أغرسها لي رسول الله ﷺ على التجار، فدخل سلمان إلى السوق، وعرض الحديقة، فباعها باثني عشر ألف درهم، وأحضر المال، وأحضر الأعرابي، فأعطاه أربعة آلاف درهم، وأربعين درهماً لنفقته، فرفع الخبر إلى فقراء المدينة، فاجتمعوا إليه، والدراهم مصبوبة بين يديه، فجعل ﷺ يقبض قبضة، ويعطي رجلاً رجلاً حتى لم يبق له درهم واحد منها، ودخل منزله، فقالت فاطمة ﷺ : يا بن عمّ بعت الحديقة التي غرسها رسول الله ﷺ والذي؟ فقال: نعم، بخير منها عاجلاً وآجلاً. (قالت) له: جزاك الله في ممشاك، ثم قالت: أنا جائعة، وابنائي جائعان، ولا شك أنك مثلنا، فخرج ﷺ ليقترض شيئاً ليخرجه عن عياله، فجاء رسول الله ﷺ وقال: «يا فاطمة، أين ابن عمّي؟» فقالت له: خرج يا رسول الله، فقال ﷺ : «هاك هذه الدراهم، فإذا جاء ابن عمّي فقول له: يبتاع لكم بها طعاماً»، وخرج رسول الله ﷺ ، فجاء علي ﷺ وقال: جاء ابن عمّي، فأني أجد رائحة طيبة، قالت: نعم، وناولته الدراهم، وكانت سبعة دراهم سود هجرية، وذكرت له ما قاله ﷺ : فقال: «قم يا حسن معي»، فأتيا السوق، وإذا هما برجل واقف، وهو يقول: من يقترض الله الوفي الملي؟ فقال: يا بني نعطيه الدراهم؟ قال: إي والله يا أبت، فأعطاه ﷺ الدراهم، ومضى إلى باب رجل ليقترض منه شيئاً، فلقاه أعرابي ومعه ناقة، فقال: اشترمني هذه الناقة، قال: ليس معي ثمنها. قال: فأني أنظرك به، قال: بكم يا أعرابي؟ قال: بمائة درهم. قال ﷺ : خذها يا حسن، ومضى ﷺ ، فلقاه أعرابي آخر، فقال: يا علي، أتبيع الناقة؟ قال له ﷺ : وما تصنع بها؟ قال: أغزو عليها أول غزوة يغزوها ابن عمك ﷺ . قال ﷺ : إن قبلها فهي لك بلا ثمن. قال: معي ثمنها، فبكم اشتريتها؟ قال: بمائة درهم. فقال الأعرابي: فلك سبعون ومائة درهم. فقال ﷺ : خذها يا حسن وسلم الناقة إليه، والمائة للأعرابي الذي باعنا الناقة، والسبعون لنا نأخذ بها شيئاً. فأخذ الحسن ﷺ الدراهم وسلم الناقة. قال ﷺ : فمضيتُ أطلب الأعرابي الذي ابتعت منه الناقة لأعطيه الثمن، فرأيت رسول الله ﷺ في مكان لم أره فيه

قبل ذلك على قارعة الطريق، فلما نظر إليّ رسول الله ﷺ تبسّم وقال: يا أبا الحسن، أطلب الأعرابي الذي باعك الناقة لتوفيه ثمنها؟ فقلت: إي والله فذاك أبي وأمي! فقال: يا أبا الحسن، الذي باعك الناقة جبرئيل عليه السلام، والذي اشتراها منك ميكائيل، والناقة من نوق الجنة، والدراهم من عند رب العالمين الملي الوفي.

وذكر سبط ابن الجوزي في (تذكرته) مرفوعاً بالأسانيد إلى أبي أراكه، قال: جاء سائل إلى علي عليه السلام فقال لبعض ولده: اذهب إلى أمك وقل لها: هات ذاك الدرهم الذي عندك، فمضى، ثم عاد وقال: قد قالت: خبأناه للدقيق، فقال: اذهب وأتني به، فذهب وعاد وهو معه، ودفعه إلى السائل، وقال: لا يصدق إيمان عبد حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يديه. فبينما هو يتحدث إذ مرّ به رجل يبيع جملاً، فاشتراه منه بمائة درهم، ثم باعه بمائتين، فدفع المائة إلى ولده وقال: اذهب بها إلى أمك وقل لها: هذا ما وعدنا الله على لسان نبيه ﷺ إخباراً عن ربه سبحانه: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾^(١).

هذا هو علي العادل الزاهد القائل: «والله لندياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجزوم». والقائل: فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وفسق آخرون، كأنهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾^(٢) بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها. أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة

(١) تذكرة سبط ابن الجوزي، ص ١٢٦ ط ٢ عام ١٣٦٩ هـ، المطبعة العلمية في النجف.

(٢) سورة القصص: آية ٨٣.

ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيتُ حبلاً على غاربها، ولسقيتُ آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفة عنز.

فعليُّ ضرب أروع الأمثالِ في البطولاتِ المتنوعة بتنوع ضروب الحياة. فقد كان بطلاً في صفاء بصيرته، وطهارة وجدانه، وسحر بيانه، وعمق إنسانيته، وحرارة إيمانه، وسمو روعته، ونصرتة للمحروم والمظلوم من الحارم والظالم، وتعبده للحق أينما تجلّى له الحق. وهذه البطولات مهما تقادم بها العهد لا تزال مصدراً غنياً نعود إليه اليوم وفي كل يوم، كلما اشتد بنا الوجد إلى بناء حياة صالحة فاضلة، وإنشاء جيلٍ سامٍ في تفكيره وفي خلقه، وفي شرفه وقيمه.

وكان عليّ يراقب عمّاله مراقبةً دقيقةً فلا يسمح لأي فردٍ منهم أن يسيء أو يظلم، فإن بدرت من أحدهم بادرة ظلمٍ عزلته واستبد به آخر عادلاً، بعد أن يستبرئ من ظلمه.

دخلت سودة بنت عمّار الهمدانية على معاوية بعد موت علي، فجعل يؤنبها على تحريضها عليه أيام صفين، وآل امرأة إلى أن قال: ما حاجتك؟ قالت: إن الله مائلك عن أمرنا، وما افترض عليك من حقنا، ولا يزال يقدم علينا من قبلك، من يسمو بمكانك، ويبطش بقوة سلطانك، فيحصدنا حصيد السنبُل، ويدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف، هذا بسر بن أرطاة قدم علينا، فقتل رجالنا، وأخذ أموالنا، ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومنعة، فإن عزلته عنا شكرناك، وإلا كفرناك. فقال معاوية: إياي تهديدن بقومك يا سودة! لقد هممتُ أن أحملك على قتب أشرس فأردك إليه، فينفذ فيك حكمه، فأطرت سودة ساعةً ثم قالت:

صلى الإله على روح تضمّنها قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً فصار بالحق والإيمان مقرونا

فقال معاوية: من هذا يا سودة؟ قالت: هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والله لقد جئتته في رجل كان قد ولّاه صدقاتنا، فجار علينا، فصادفته قائماً يصلي، فلما رأني انفتل من صلاته، ثم أقبل عليّ برحمة

ورفق ورأفةً وتعطفٍ، وقال: ألك حاجة؟ قلت: نعم، فأخبرته الخبر، ثم قال: اللهم أنت الشاهد عليّ وعليهم، وإنني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حَقِّكَ، ثم أخرج قطعة جلد، فكتبَ فيها: بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿قد جاءكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين﴾^(١) فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام. ثم دفع الرقعة إليّ، فوالله ما ختمها بطين، ولا خذمها، فجئت بالرقعة إلى صاحبه، فانصرف عنا معزولاً. فقال معاوية: اكتبوا لها كما تريد، واصرفوها إلى بلدها غير شاكية^(٢).

وكان شديد الحرص على حقوق المسلمين، فكان يصل إليهم حقهم، ولو كان حبة خردل. روي عن عاصم بن كليب، عن أبيه قال: قدم مالٌ من أصبهان، فقسمه سبعة أسباع، ووجد فيه رغيماً، فقسمه سبعاً، وجعل على كل جزء كسرة، ثم أقرع بينهم أيهم يعطى أولاً^(٣).

وعن أبي صالح قال: دخلتُ على أم كلثوم بنت علي، فإذا هي تمتشط في سترٍ بينها وبينني، فجاء الحسن والحسين، فقالت لهما: ألا تطعمون أبا صالح شيئاً؟ فأخرجوا لي قصعة فيها ماء حبوب. فقلت: تطعمون هذا وأنتم أمراء؟ فقالت أم كلثوم: يا أبا صالح إنَّ أبي أمير المؤمنين قد أتى بأترج، فأخذ حسين أخي منها أترجةً، فنزعها من يده، فقسمها بين الناس^(٤).

وكذلك قصّة أم كلثوم وأخذها العقد من خازن بيت المسلمين في يوم

(١) سورة الأعراف: آية ٨٥.

(٢) كشف الغمة: للأربلي، ج ١ ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٣) أخرجه أحمد في المناقب وكذلك أخرجه القليعي، وينايع المودة: للقندوزي، ج ٢ ص ٤٤.

(٤) كذلك نفس المصدر، ج ٢ ص ٢٤.

عيد، ولو لم يكن عاريةً مردودةً لقطع يدها ، ووبَّخ الخازن لهذا التصرف الشاذ، وأعاد العقد فوراً ممّا جعل القضاة والحكّام يحنون رؤوسهم إعظاماً وإجلالاً لهذا الرجل الإلهي .

وهل هناك وصيّة أعظم من الوصيّة التي كان يزود بها من يستعمله للصدقات، ليطبّق تعاليمه القيّمة وأوامره العادلة، في صغير الأمور وكبيرها، ودقيقها وجليلها . فاقراً هذه الوصيّة :

انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروّعن مسلماً، ولا تجتازن عليه كارهاً، ولا تأخذنّ منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدّمت على الحيّ فانزل بمائهم، من غير أن تخالط أبياتهم، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم، ولا تُخدج بالتحية لهم، ثم تقول: عباد الله، أرسلني إليكم وليّ الله وخليفته لأخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليّه؟ فإن قال قائل: لا، فلا تراجع، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تُخيفه وتوعده أو تُعسّفه، فخذ ما أعطاك من ذهبٍ أو فضةٍ، فإن كان له ماشيةٌ أو إبلٌ فلا تدخلها إلا بإذنه، فإن أكثرها له، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلّطٍ عليه ولا عنيفٍ به، ولا تنفرن بهيمةً ولا تُفرعنّها ولا تسوئن صاحبها فيها، واصدع المال صدعين، ثم خيره فإذا اختار فلا تعرّضنّ لما اختاره، ثم اصدع الباقي صدعين، ثم خيره، فإذا اختار فلا تعرّضنّ لما اختاره، فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاءً لحقّ الله في ماله، فاقبض حقّ الله منه، فإن استقالك فأقله، ثم اخلطهما، ثم اصنع مثل الذي صنعت أولاً حتى تأخذ حق الله في ماله . ولا تأخذنّ عوداً ولا هرمةً، ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عوارٍ، ولا تأمننّ عليها إلا من تثق بدينه رافعاً بمال المسلمين حتى يوصّله إلى وليهم فيقسمه بينهم، ولا توكل بها إلا ناصحاً شفيقاً وأميناً حفيظاً، غير معتّف، ولا مُجحفٍ ولا مُلغِبٍ ولا مُتعبٍ، ثم احذر إلينا ما اجتمع عندك، نصيره حيث أمر الله، فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه ألاّ يحول بين ناقة وبين

فصيلها، ولا يُمَصَّر لبنها فيَضُرُّ ذلك بولدها، ولا يجهدنَّها ركوباً، ولْيُعَدِلْ بين صواحباتها في ذلك وبينها، ولْيُرَفَّهْ على اللَّأْغِبِ، ولْيُسْتَأْنِ بالنَّقَبِ وَالظَّالِعِ، ولْيُرَوِّحْها في السَّاعاتِ، ولْيُمَهِّلْها عند النَّطَافِ والأَعْشَابِ، حتَّى تأتينا بإذن الله، بُدْنًا مُنْقِيَّاتٍ، غير مُتْعَبَاتٍ ولا مجهودات لنَقْسِمَها على كتاب الله وسنة نبيِّه ﷺ، فَإِنَّ ذلك أعظم لأجرِكَ، وأقرب لِرُشْدِكَ، إن شاء الله (١).

هذا موقفه ممَّن يتولَّى الصَّدقات فهو يعلمه كيف يقوم بذلك، وإذا سمع بأحدٍ من ولاتِه أَنَّهُ يستضيف بعض الرِّعَاة يوجَّهه الوجهة التي يراها مناسبة له.

فهذا عثمان بن حنيف عامله على البصرة، سمع عنه أَنه دُعِيَ إلى وليمة فلبَّى الدَّعوة، فكتب له، أمَّا بعد: يا بن حُنيف: فقد بلغني أَنَّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاكَ إلى مأدبة فأسرعتَ إليها، تُسْتَطَابُ لك الألوان، وتُنْقَلُ إليك الجِفَانُ! وما ظننتُ أَنَّكَ تجيب إلى طعام قومٍ عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقضُّمُهُ من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالْفِظْهُ، وما أيقنت وجوهه فنلَّ منه.

ألا وإنَّ لكلَّ مأمومٍ إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإنَّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بِطَمَريه، ومن طُعمه بِقُرْصِيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورعٍ واجتهاد، وعِفَّةٍ وسَدَادٍ، فوالله ما كنزتُ من دنياكم تبراً، ولا ادَّخَرْتُ من غنائمها وَفْراً، ولا أعددتُ لبالي ثوبي طِمراً. ولا جُرْتُ من أرضها شبراً، ولا أخذتُ منه إلَّا كَقَوْتِ أَتَانٍ دَبْرَةٍ، ولهي في عيني أوهى وأهونُ من عَفْصَةِ مُقَرَّةٍ، بلى، كانت في أيدينا فَذُكُّ من كلِّ ما أظلمته السَّمَاءُ، فشَحَّتْ عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قومٍ آخرين. ونعم الحَكَمُ اللهُ! وما أصنع بِفَذُكِ وغير فذكِ، والنَّفسُ مظانُّها في غَدٍ جَدَثٌ، تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها، وحُفْرَةٌ لو زيد في

(١) نهج البلاغة: شرح الشيخ محمد عبده، ج ٣ ص ٢٧ - ٢٨ - ٢٩، مطبعة الاستقامة.

فُسِّحَتْهَا، وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا لِأَضْفَتْهَا الْحَجَرُ وَالْمَدْرُ، وَسَدَّ فُرْجَهَا التُّرَابُ
الْمُتْرَاكِمْ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرَوَّضُهَا بِالتَّقْوَى لَتَأْتِيَ آمَنَةً يَوْمَ الْخَوْفِ الْأَكْبَرِ،
وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ الْمَزَلَقِ، وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفِّي هَذَا
الْعَسَلِ وَلِبَابِ هَذَا الْقَمَحِ، وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَزِّ، وَلَكِنْ هِيَ هَاتِ أَنْ يَغْلِبَنِي
هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشْعِي إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعَمَةِ، وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مِنْ لَا
طَمَعٍ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّبَعِ، أَوْ أَبِي مِطَانًا وَحَوْلِي بِطُونُ
غَرْنِي، وَأَكْبَادُ حَرَى!! أَوْ أَكُونُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَبِيتَ بِبَطْنَةٍ وَحَوْلَكَ أَكْبَادُ تَجَنُّ إِلَى الْقَدِّ

أَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أَشَارَكَهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ؟
أَوْ أَكُونُ أَسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ، فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ
كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمَّهَا عَلْفُهَا، أَوْ الْمَرْسَلَةِ شِغْلُهَا تَقْمُّمُهَا، تَكْثُرُشُ مِنْ
أَعْلَافِهَا، وَتَلْهَوْ عَمَّا يَرَادُ بِهَا، أَوْ أَتْرِكَ سُدَى وَأَهْمَلَ عَابِثًا، أَوْ أُجَرَّ حَبْلَ
الضَّلَالَةِ، أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ. وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ هَذَا
قَوْتَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الْأَقْرَانِ، وَمِنَازِلَةِ
الشُّجْعَانِ». أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِيَّةَ أَصْلَبَ عَوْدًا، وَالرَّوَائِعُ الْخَضِرَةَ أَرْقَ
جُلُودًا، وَالنَّبَاتَاتِ الْبَدْوِيَّةَ أَقْوَى وَقُودًا وَأَبْطَأَ خَمُودًا! وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ كَالصُّنُ
مِنَ الصُّنُ، وَالذَّرَاعُ مِنَ الْعُضْدِ. وَاللَّهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَّا
وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمَكَّنْتَ الْفَرَسُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا. وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ
أُطَهِّرَ الْأَرْضَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ، وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ حَتَّى تَخْرُجَ
الْمُودَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ^(١)،

وَكَانَ يَسْتَنْجِدُ بِهِ بَعْضُ أَقْرَبَائِهِ لِيَمُدَّهُمْ بِبَعْضِ الْمَالِ، فَلَمْ يَظْفَرُوا مِنْهُ
بِغَيْرِ الْفَشْلِ، لِأَنَّهُ لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا حَقَّهُمْ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَعْجَمِي يَأْتِيهِ
مِنْ أَقْصَى الْبَلَدِ.

(١) نهج البلاغة: شرح محمد عبده، ج ٣ ص ٧٨ - ٨٢.

روى هارون بن سعيد، قال: قال عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام: يا أمير المؤمنين، لو أمرت لي بمعونة أو نفقة! فوالله مالي نفقة إلا أن أبيع دابتي، فقال: لا والله ما أجد لك شيئاً إلا أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك^(١).

وروى بكر بن عيسى، قال: كان علي عليه السلام يقول: يا أهل الكوفة، إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي، ورحلي وغلامي فلان، فأنا خائن. فكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة بينبع، وكان يطعم الناس منها الخبز واللحم، ويأكل هو الثريد بالزيت^(٢).

وكانت خطته خطة الرسول صلى الله عليه وسلم، بل عدالة الرسول وزهده عدالة علي وزهده. روى النضر بن منصور، عن عقبة بن علقم، قال: دخلت على علي عليه السلام، فإذا بين يديه لبن حامض، آذنتي حموضته وكسرت يابسة، فقلت: يا أمير المؤمنين، أأأكل مثل هذا، فقال لي: يا أبا الجنوب، كان رسول الله يأكل أبيض من هذا، ويلبس أخشن من هذا، وأشار إلى ثيابه، فإن أنا لم آخذ به خفت ألا الحق به^(٣).

وروى محمد بن فضيل بن غزوان، قال: قيل لعلي عليه السلام: كم تتصدق؟ كم تخرج مالك! ألا تمسك! قال: إني والله لو أعلم أن الله تعالى قبل مني فرضاً واحداً لأمسكت، ولكني والله ما أدري: أقبل مني سبحانه شيئاً أم لا؟^(٤).

وكان عماله أحياناً يجدونه ينشد المستحيل في معاملة الناس أثناء جباية الأموال منهم. ففي أسد الغابة بسنده عن رجل من ثقيف، قال:

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٢ ص ٢٠٠.

(٢) نفس المصدر، ج ٢ ص ٢٠٠.

(٣) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٢ ص ٢٠٢.

(٤) شرح النهج: لابن أبي الحديد، ج ٢ ص ٢٠٢.

استعملني علي بن أبي طالب على مدرج سابور فقال: لا تضربن رجلاً سوطاً في جباية درهم، ولا تبيعن له رزقاً ولا كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابة يعتملون عليها، ولا تقيمن رجلاً قائماً في طلب درهم. قلت: يا أمير المؤمنين إذن أرجع إليك كما ذهبت من عندك. قال: وإن رجعت، ويحك إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو يعني الفضل^(١).

هذا هو علي الصريح في مواقفه، العادل في أمته، فإذا بلغه أن عاملاً يأكل ما تحت يديه من أموال العامة بعث إليه على عجل يقول: «فاتق الله واردد إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنك إن لم تفعل، ثم أمكنني الله منك لأعذرني إلى الله فيك. والله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت، ما كانت لهما عندي هوادة، ولا ظفرا مني بإرادة، حتى آخذ الحق منهما، وأزيل الباطل عن مظلمتهما».

هذا هو علي الذي يصرح بأن الأرض ملك لمن يعمل فيها، وأنها لا يخربها إلا عوز أهلها، ولا يعمرها إلا المفيدون منها، فعمارة الأرض والمكافأة العادلة على العمل هما الأساس السليم الذي ارتأى الإمام علي أن يبنى عليه مجتمعاً سليماً. وكان أبغض شيء عليه السخرة بأي شكل من الأشكال، فلا إجبار ولا إكراه، وكذلك منع الاحتكار والاستغلال والغصب. فالإمام يرى أن المال والأرض والخيرات الناجمة عنها، ليس لأحد فيها نصيب أكثر من سواه إلاً بجهد وحاجة. ومن أبي هذه الحقيقة فقد خان الشعب، وهذه أعظم خيانة.

وكفل عليّ اليتيم والعاجز وهو ما نسميه الآن بالضمان الاجتماعي، وهذا حق للفرد على الجماعة، لا مئة ولا عطف! ولا بر ولا إحسان.

هذا هو علي الذي لا يستطيع أن يقرأ كتابه (النهج) حاكم أو رئيس، لأن خطته تناقض خطة علي، ومنهجيه يخالف منهج علي، ومأكله لا يتلاءم

(١) أعيان الشيعة، ج ٣ القسم الأول، ص ٧٢.

مع مأكّل علي، وملبسه لا يُقَارَنُ بملبس علي... إلى ما هنالك من المتناقضات إذا قارنًا بين الشخصيات الكبرى وشخصية علي.

هذا هو علي الذي سُئِلَ عن الخير ما هو؟ فقال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكنّ الخير أن يكثر علمك، وأن يعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربّك، فإن أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا إلّا لرجلين: رجلٍ أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة، ورجلٍ يسارع في الخيرات.

وهذا نموذج كختم لهذا البحث، ليعرف الحكّام والرؤساء مخطّط علي المرسوم ليطبقه الولاة على الرعية، وأيّ حاكمٍ أو رئيسٍ ينهج هذا النهج، أو يسلك هذا السلوك؟!،

عَهْدُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْأَشْتَرِ حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ وَأَعْمَالَهَا :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما أمر به عبدُ الله أميرُ المؤمنين مالِكُ بن الحارث الأشتر في عهده إليه، حين ولّاه مصر، جباية خراجها، وجهاد عدوّها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها.

أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه: من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحدٌ إلّا باتباعها، ولا يشقى إلّا مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه، ويده ولسانه، فإنّه جل اسمه، قد تكفل بنصر من نصره، وإعزاز من أعزّه. وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات، ويزعها عند الجمحات، فإنّ النفس أمّارة بالسوء إلّا ما رجم الله.

ثم اعلم يا مالِكُ أنّي قد وجّهتك إلى بلادٍ قد جرت عليها دولٌ قبلك من عدلٍ وجور، وأنّ الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنّما يستدلّ على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحبّ الذخائر إليك ذخيرة العمل

الصَّالِحُ، فامْلِكْ هَوَاكَ وشَحِّ بنفسك عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ
 الْإِنصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ، وَاشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ
 لَهُمْ وَاللَّطْفَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ،
 فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، تَفَرِّطُ مِنْهُمْ
 الدَّلِيلَ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلَ، وَيُؤْتِي عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا، فَأَعْطِهِمْ
 مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ،
 وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ بِمَا عَرَّفَكَ مِنْ كِتَابِهِ، وَبَصْرَكَ
 مِنْ سُنَنِ نَبِيِّهِ ﷺ عَلَيْكَ بِمَا كَتَبْنَا لَكَ فِي عَهْدِنَا هَذَا، لَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ
 لِحَرْبِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدِّي لَكَ بِنَقْمَتِهِ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ. فَلَا
 تَسْأَلَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ عَنْهَا
 مَنُودِحَةً، وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ
 لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْفِتَنِ، فَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ. وَإِذَا أَعْجَبَكَ مَا أَنْتَ
 فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ، فَحَدَّثْتَ لَكَ بِهِ أَثْبَةً أَوْ مَخِيلَةً، فَانْظُرْ إِلَى عَظَمِ مَلِكِ اللَّهِ
 فَوْقَكَ وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَطَامِنٌ إِلَيْكَ مِنْ
 طِمَاحِكَ، وَيَكْفِي عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ، وَيُفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ مِنْ عَقْلِكَ، وَإِيَّاكَ
 وَمَسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ، أَوْ التَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبْرُوتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ،
 وَيَهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ.

أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّتِكَ وَمِنْ أَهْلِكَ، وَمَنْ
 لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمُ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ
 خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمِنْ خَاصَمَةِ اللَّهِ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ اللَّهُ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ
 وَيَتُوبَ. وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةٍ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ
 دَعْوَةَ الْمَظْلُومِينَ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِمِرْصَادٍ، وَمَنْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَهُوَ رَهِينُ هَلَاكِ فِي
 الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَلْيَكُنْ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعْمُهَا فِي الْعَدْلِ،
 وَأَجْمَعُهَا لِلرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سَخَطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بَرَضًا الْخَاصَّةَ، وَإِنَّ سَخَطَ الْخَاصَّةِ

يُغْتَفَرُ مع رضا العامة، وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرضاء، وأقل له معونة في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقل شكراً عند الإعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند مُلِمَّاتِ الأمور من الخاصة، وإنما عمود الدين وجماع المسلمين، والعُدَّةُ للأعداء أهل العامة من الأمة، فليكن لهم صفوك، واعمد لأعم الأمور منفعة، وخيرها عاقبة، ولا قوة إلا بالله.

وليكن أبعد رعيَّتِكَ منك وأشناهم عندك أطلبهم لعيوبِ الناس، فإن في الناس عيوباً الوالي أحقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فلا تكشفَنَّ ما غابَ منك، واستر العورة ما استطعتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ، ما تحبَّ سَتَرَهُ من رعيَّتِكَ، وأطلق عن الناس كلَّ حَقْدٍ، واقطع عنك سَبَبَ كلِّ وتر، واقبل العذر، وادراً الحدود بالشبهات، وتغاب عن كل ما لا يَضِيحُ لك، ولا تعجلَنَّ إلى تصديق ساعٍ، فإن الساعي غاش، وإن تشبه بالناصحين.

لا تُدْخِلَنَّ في مشورتك بخيلاً يخذلك عن الفضل، ويَعِدُّكَ الفقر، ولا جباناً يُضْعِفُ عليك الأمور، ولا حريصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ، فإنَّ البخل والجور والحرص غرائز شتى يجمعهما سوء الظن بالله كمونها في الأشرار. أيقن أن شرَّ وزرائِكَ من كان للأشرار وزيراً، ومن شَرِكَهُمْ في الآثام وقام بأمورهم في عبادِ الله، فلا يكونَنَّ لَكَ بِطانة تشركهم في أمانتِكَ كما شركوا في سلطان غيرِكَ فارادوهم وأوردوهم مصارع السوء، ولا يعجبَنَّ شاهد ما يحضرونكَ بِهِ، فإنَّهم أعوان الأئمة، وإخوان الظلِّمة، وعباب كل طمع ودغل، وأنت واجد منهم خير الخلف ممَّن له مثل أدبهم ونفاذهم، ممَّن قد تصفَّح الأمور، فعرف مساويها بما جرى عليه منها، فأولئك أخفَّ عليك مؤونةً، وأحسنُ لك معونةً، وأحنى عليك عَظْفاً، وأقلَّ لغيرِكَ إلفاً، لم يعاون ظالماً على ظلمه، ولا آثماً على إثمه، ولم يكن مع غيرِكَ له سيرة أجحفت بالمسلمين والمعاهدين، فاتَّخِذْ أولئك خاصَّةً لخلوتِكَ ومَلِئِكَ، ثم ليكنَّ آثرهم عندك أقولهم بمُرِّ الحقِّ، وأحوطهم على الضَّعفاءِ بالإنصاف، وأقلِّهم لك مناظرة فيما يكون منك ممَّا كره الله لأوليائه وإقِعاً ذلك من هواك حيث وقع،

فإنهم يقفونك على الحق، ويبصرونك على ما يعود عليك نفعه، وألصق بأهل الورع والصدق وذوي العقول والأحساب، ثم رُضُّهُمْ على أن لا يطروك ولا يبححوك بباطل لم تفعله، فإن كثرة الإطراء تُحدثُ الزهو وتدني من الغيرة، والإقرار بذلك يوجب المقت من الله.

لا يكوننَّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواءٍ، فإن ذلك تزييد لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريب لأهل الإساءة على الإساءة، فالزم كلاً منهم ما ألزم نفسه أدباً منك ينفعك الله به وتنفع به أعوانك.

ثم اعلم أنه ليس شيء أدعى لحسن ظنِّ والٍ برعيته من إحسانه إليهم، وتخفيفه المؤونات عليهم، وقلة استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم، فليكن في ذلك أمرٌ يجتمع لك به حسنُ ظنِّك برعيّتك، فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً، وإن من حسن ظنِّك به لمن حسن بلاؤك عنده، وأحق من ساء ظنِّك به لمن ساء بلاؤك عنده. فأعرف هذه المنزلة لك وعليك لتزدك بصيرةً في حسن الصنع، واستكثارِ حسن البلاء عند العامة مع ما يوجب الله بها لك في المعاد.

ولا تنقض سنةً صالحةً عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعت بها الألفة، وصلحت عليها الرعية، ولا تُحدثن سنةً تضر بشيء مما مضى من تلك السنن، فيكون الأجر لمن سنّها والوزر عليك بما نقضت منها.

وأكثر مدارس العلماء، ومنافثة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أهل بلادك، وإقامة ما استقام به الناس من قبلك، فإن ذلك يحق الحق ويدفع الباطل ويكتفي به دليلاً ومثالاً، لأن السنن الصالحة هي السبيل إلى طاعة الله.

ثم اعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومُسْلِمَةُ النَّاسِ، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجات والمسكنة، وكل قد سمى الله سهمه، ووضع على حد فريضته في

كتابه أو سنة نبيه ﷺ ، وعهد عندنا محفوظ .

فالجند بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاية، وعز الدين وسبيل الأمن والخفض، وليس تقوم الرعية إلا بهم، ثم لا قوام للجند إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يصلون به إلى جهاد عدوهم ويعتمدون عليه، ويكون من وراء حاجاتهم، ثم لا بقاء لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب، لما يحكمون من الأمور، ويظهرون من الإنصاف، ويجمعون من المنافع، ويؤمنون عليه من خواص الأمور وعوامها، ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجمعون من مرافقهم، ويقيمون من أسواقهم، ويكفونهم من الترفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدُهُم، وفي فيء الله لكل سعة، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحُه. وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحق، والصبر فيما خف عليه وثقل. فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيئاً، وأفضلهم حِلماً، وأجمعهم علماً وسياسةً، ممن يبطل عن الغضب، ويسرع إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، وينبذ على الأقوياء، ممن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف، ثم ألصق بذوي الأحساب وأهل البيوت الصالحة والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنهم جماع من الكرم، وشعب من العرف، يهدون إلى حسن الظن بالله والإيمان بقدره. ثم تفقد أمورهم بما يتفقد الوالد من ولده، ولا يتفاقم في نفسك شيء قويته به، ولا تحقرن لطفاً تعاهدتم به وإن قل، فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة وحسن الظن بك، فلا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها، فإن للسير من لطفك موضعاً ينتفعون به، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه.

وليكن أثر رؤوس جنودك من واساهم في معونته، وأفضل عليهم في بذله، ممن يسعهم ويسع من وراءهم من الخلو من أهلهم حتى يكون همهم همّاً واحداً في جهاد العدو، ثم أثر إعلامهم ذات نفسك في إثارة

والتَّكْرَمَةُ لَهُمْ، وَالْإِرْصَادُ بِالتَّوَسُّعَةِ. وَحَقَّقْ ذَلِكَ بِحَسَنِ الْفِعَالِ وَالْأَثَرِ وَالْعَطْفِ، فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ، وَإِنْ أَفْضَلَ قَرَّةَ الْعَيُونِ لِلْوَلَاةِ اسْتِفَاضَةَ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ، وَظُهُورَ مَوَدَّةِ الرِّعْيَةِ، لِأَنَّهُ لَا يَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا سَلَامَةُ صُدُورِهِمْ، وَلَا تَصَحَّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحُوطَتِهِمْ عَلَى وِلَاةِ أُمُورِهِمْ، وَقَلَّةِ اسْتِثْقَالِ دَوْلَتِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ، ثُمَّ لَا تَكُنْ جُنُودَكَ إِلَى مَغْنَمٍ وَزَعْتِهِ بَيْنَهُمْ، بَلْ أَحْدِثْ لَهُمْ مَعَ كُلِّ مَغْنَمٍ بَدَلًا مِمَّا سِوَاهُ، مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، تَسْتَنْصِرُ بِهِمْ وَيَكُونُ دَاعِيَةً لَهُمْ إِلَى الْعُودَةِ لِنَصْرِ اللَّهِ وَلِدِينِهِ، وَأَخْصِصْ أَهْلَ النُّجْدَةِ فِي أَمْلِهِمْ إِلَى مَنْتَهَى غَايَةِ آمَالِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ بِالْبَذْلِ، وَحُسْنِ الشَّاءِ عَلَيْهِمْ، وَلَطِيفِ التَّعْهَدِ لَهُمْ رَجُلًا رَجُلًا، وَمَا أَبْلَى فِي كُلِّ مَشْهَدٍ، فَإِنْ كَثُرَ الذِّكْرُ مِنْكَ لِحَسَنِ فِعَالِهِمْ تَهَزَّ الشُّجَاعُ، وَتَحَرَّضَ النَّاكِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. ثُمَّ لَا تَدَّعُ أَنْ يَكُونَ لَكَ عَلَيْهِمْ عَيُونٌ مِنْ أَهْلِ الْأَمَانَةِ وَالْقَوْلِ بِالْحَقِّ عِنْدَ النَّاسِ، فَيُثَبِّتُونَ بَلَاءَ كُلِّ ذِي بَلَاءٍ مِنْهُمْ لِيُثِقَ أَوْلِيَاكَ بِعِلْمِكَ بِبَلَائِهِمْ، ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى، وَلَا تُضَيِّفَنَّ بَلَاءَ أَمْرٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا تَقْصِرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ، وَكَافٍ كُلُّ مَنْهُمْ بِمَا كَانَ مِنْهُ، وَاخْصُصْهُ مِنْكَ بِهِزِهِ، وَلَا يَدْعُونَكَ شَرَفَ أَمْرٍ إِلَى أَنْ تَعْظُمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا، وَلَا ضَعْفَ أَمْرٍ عَلَى أَنْ تُصَغَّرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيمًا، وَلَا يَفْسِدَنَّ أَمْرٌ عِنْدَكَ عِلَّةً، إِنْ عَرَضَتْ لَهُ، وَلَا بِنُورِ حَدِيثٍ لَهُ، قَدْ كَانَ لَهُ فِيهَا حَسَنُ بَلَاءٍ، فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ يُوْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

وَإِنْ اسْتَشْهَدَ أَحَدٌ مِنْ جُنُودِكَ وَأَهْلَ النِّكَايَةِ فِي عَدُوِّكَ فَأَخْلَفَهُ فِي عِيَالِهِ بِمَا يَخْلَفُ بِهِ الْوَصِيُّ الشَّفِيقُ الْمَوْثِقُ بِهِ، حَتَّى لَا يَرَى عَلَيْهِمْ أَثَرَ فَقْدِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَعْطِفُ عَلَيْكَ قُلُوبَ شِيعَتِكَ، وَيَسْتَشْعِرُونَ بِه طَاعَتِكَ، وَيَسْلُسِلُونَ لِرُكُوبِ مَعَارِضِ التَّلَفِ الشَّدِيدِ فِي وَلَايَتِكَ.

وَقَدْ كَانَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سُنَنٌ فِي الْمَشْرُكِينَ، وَمِمَّا بَعْدَهُ سُنَنٌ، قَدْ جَرَتْ بِنَا سُنَنٍ، وَأَمْثَالُ فِي الظَّالِمِينَ، وَمِنْ تَوَجُّعِ قَلْبِنَا وَتَسْمِيِ بَدِينِنَا. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادِهِمْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ

تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً^(١) . وقال : : ﴿ولو ردّوه
إلى الرّسول وإلى أولي الأمر منهم ، لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل
الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشّيطان إلا قليلاً^(٢) .

فالردّ إلى الله الأخذ بمحكم كتابه ، والردّ إلى الرّسول الأخذ بسنّته
الجامعة غير المتفرقة ، ونحن أهل رسول الله الذين نستنبط المحكم من كتابه ،
ونميّز المتشابه منه ، ونعرف النّاسخ ممّا نسخ الله ووضع إصره .

فيسرّ في عدوك بمثل ما شهدت منّا في مثلهم من الأعداء ، وواتر إلينا
الكتب بالإخبار بكلّ حدث يأتيك منّا أمرٌ عام والله المستعان .

ثمّ انظر في أمر الأحكام بين النّاس بنيّة صالحة ، فإنّ الحكم في
إنصاف المظلوم من الظالم ، والأخذ للضعيف من القوي ، وإقامة حدود الله
على سنّتها ومنهاجها ممّا يصلح عباد الله وبلاده . فاختر للحكم بين النّاس
أفضل رعيتك في نفسك وأنفسهم للعلم والحلم والورع والسّخاء ممّن لا
تضيق به الأمور ، ولا تمحكه الخصوم ، ولا يتمادى في إثبات الذلّة ، ولا
يحصر من الفياء إلى الحق إذا عرفه ، ولا تشرف نفسه على طمع ، ولا يكتفي
بأدنى فهمٍ دون أقصاه ، وأوقعهم في الشّبهات ، وآخذهم بالحجج ، وأقلّمهم
تبرّماً بمراجعة الخصوم ، وأصبرهم على تكشّف الأمور ، وأصرمهم عند اتّضاع
الحكم ، ممّن لا يزدهيه إطراء ، ولا يستميله إغراق ، ولا يصغى للتّبليغ ، فولّ
قضاءك من كان كذلك ، وهم قليل ، ثمّ أكثّر تعاهد قضائيه ، وافتح له في البذل
ما يريح علّته ، ويستعين به ، وتقلّ معه حاجته إلى النّاس ، وأعطه من المنزلة
لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك ، ليأمن بذلك اغتيال الرّجال إيّاه
عندك ، وأحسن توقيره في صحبتك ، وقربه في مجلسك وأمض قضاءه ، وأنفذ
حكمه ، واشدّ عضده ، واجعل أعوانه خيار من ترضى من نظرائه من الفقهاء

(١) سورة النّساء : آية ٦٢ .

(٢) سورة النّساء : آية ٨٥ .

وأهل الورع والنصيحة لله ولعباد الله، ليناظرهم فيما شُبه عليه ويلطف عليهم لعلم ما غاب عنه، ويكونون شهداء على قضائهم بين الناس إن شاء الله. ثم حملة الأخبار لأطرافك قضيةً تجتهد فيهم نفسه، لا يختلفون ولا يتدابرون في حكم الله وسنة رسول الله ﷺ، فإن الاختلاف في الحكم إضاعة العدل، وغرة في الدين، وسبب من الفرقة، وقد بين الله ما يأتون وما ينفقون، وأمر برد ما لا يعلمون إلى من استودعه الله علم كتابه، واستحفظه الحكم فيه، فإنما اختلاف القضية في دخول البغي بينهم، واكتفاء كل امرئ منهم برأيه دون من فرض الله ولأيته، ليس يصلح الدين ولا أهل الدين على ذلك. ولكن على الحاكم أن يحكم بما عنده من الأثر والسنة، فإذا أعياه ذلك رد الحكم إلى أهله، فإن غاب أهله عنه، ناظر غيره من فقهاء المسلمين، ليس له ترك ذلك إلى غيره، وليس لقاضيين من أهل الملة أن يقيما على اختلاف في الحكم دون ما رفع ذلك إلى ولي الأمر فيكم، فيكون هو الحاكم بما علمه الله، ثم يجتمعان على حكمه فيما وافقهما أو خالفهما، فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإن هذا الدين قد كان أسيراً بأيدي الأشرار، يعمل فيه بالهوى، وتطلب به الدنيا. واكتب إلى قضية بلدانك، فليرفعوا إليك كل حكم يختلفوا فيه على حقوقه. ثم تصفح تلك الأحكام، فما وافق كتاب الله وسنة نبيه، والأثر من إمامك أمضيه واحملهم عليه. وما اشتبه عليك، فاجمع له الفقهاء بحضرتك، فناظرهم فيه، ثم امض ما يجتمع عليه أقاويل الفقهاء بحضرتك من المسلمين، فإن كل أمر يختلف فيه الرعية مردود إلى حكم الإمام، وعلى الإمام الاستعانة بالله والاجتهاد في إقامة الحدود، وجبر الرعية على أمره، ولا قوة إلا بالله.

ثم انظر إلى أمور عمالك، واستعملهم اختصاراً، ولا تولهم أمورك محابة وأثرة، فإن المحابة والأثرة جراح الجور والخيانة، وإدخال الضرورة على الناس، وليست تصلح الأمور بالإدغال، فاصطف لولاية أعمالك أهل الورع والعلم والسياسة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام، فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع

إشرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً من غيرهم، فليكونوا أعوانك على ما تقلدت، ثم أسبغ عليهم في العمالات، ووسّع عليهم في الأرزاق، فإن في ذلك قوّة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى عن تناول ما تحت أيديهم، وحجّة عليهم إن خالفوا أمرك، أو ثلموا أمانتك، ثم تفقد أعمالهم، وابعث العيون عليهم من أهل الصدق والوفاء، فإن تعهدك في السر أمورهم حدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية وتحفظ من الأعوان، فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة، ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة.

وتفقد ما يصلح أهل الخراج، فإن في إصلاحهم وصلاحيهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، فليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، فإن الجلب لا يدرّك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد، ولم يستقيم له أمره إلا قليلاً، فاجمع إليك أهل الخراج من كل بلدانك، ومرهم فليعلموك حال بلادهم وما فيه صلاحهم ورخاء جبايتهم، ثم سل عما يرفع إليك أهل العلم به من غيرهم، فإن كانوا شكوا ثقلاً أو علة من انقطاع شرب أو إحالة أرض اغتمرها غرق، أو أجحف بها العطش، أو آفة خففت عنهم ما ترجوا أن يصلح الله به أمرهم. وإن سألوا معونة على إصلاح ما يقدرون عليه بأموالهم، فأكفهم مؤنته، فإن في عاقبة كفايتك إياهم صلاحاً، فلا يثقلن عليك شيء خففت به عنهم المؤنات، فإنه ذخّر يعودون به عليك لعمارة بلادك، وتزيين ولايتك، مع اقتنائك مودتهم وحسن نيّاتهم واستفاضة الخير، وما يسهل الله به من جلبهم، فإن الخراج لا يستخرج بالكّد والأتعاب، مع أنها عقد تعتمد عليها إن حدث حادث كنت عليهم معتمداً لفضل قوتهم، بما ذخرت عنهم من الحمام، والثقة منهم بما عودتهم من عدلك ورفقك، ومعرفتهم فيما حدث من الأمر الذي أتكلت به عليهم، فاحتملوه بطيب أنفسهم، فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما يؤتي خراب الأرض لإعواز

أهلها، وإنما يُعوذ أهلها لإسراف الولاية، وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالصبر. فاعمل فيما وليت عمل من يحب أن يدخر حسن الثناء من الرعية والمثوبة من الله، والرضا من الإمام ولا قوة إلا بالله.

ثم انظر في حال كتابك، فاعرف حال كل امرئ منهم فيما يحتاج إليه منهم، فاجعل لهم منازل ورتباً، فول على أمورك خيرهم، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائلك وأسراك بأجمعهم، لوجوه صالح الأدب فيما يصلح للمناظرة في جلائل الأمور من ذوي الرأي والنصيحة والذهن، أطواهم عنك لمكنون الأسرار كشحاً ممن لا تبطره الكرامة، ولا تمحق به الدلالة، فيجترى بها عليك في خلاء، أو يلتمس إظهارها في بلاء، ولا تقصر به الغفلة عن إيراد كتب الأطراف عليك، وإصدار جواباتك على الصواب عنك، وفيما يأخذ ويعطي منك، ولا يضعف عقداً اعتقده لك، ولا يعجز عن إطلاق ما عُقد عليك، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور، فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل، وول ما دون ذلك من رسائلك وجماعات كتب خرجك ودواوين جنودك قوماً تجتهد نفسك في اختيارهم، فإنها رؤوس أمرك أجمعها لنفعك، وأعمها لنفع رعيتك، ثم لا يكن اختيارك إيّاهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن بهم، فإن الرجال يعرفون فراسات الولاية بتضرعهم وخدمتهم، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة. ولكن اخترهم بما وُلوا للصالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً، وأعرفهم فيها بالنبل والأمانة، فإن ذلك دليل على نصيحتك لله وللمن وليت أمره. ثم مرهم بحسن الولاية ولين الكلمة، واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم، لا يقهره كبيرها، ولا يتشت عليه كثيرها، ثم تفقد ما غاب عنك من حالاتهم وأمور من يرد عليك رسله وذوي الحاجة، وكيف ولايتهم وقبولهم وليهم وحجتهم، فإن التبرم والعز والنخوة من كثير من الكتاب إلا من عصم الله، وليس للناس بد من طلب حاجاتهم، ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه الزمته، أو فضل نسب إليك مع مالك عند الله في ذلك من حسن الثواب.

ثم التجار وذوي الصناعات، فاستوص وأوص بهم خيراً: المقيم منهم

والمضطرب بماله، والمترقق بيده، فإنهم موادٌ للمنافع وجلالُها في البلاد في بركٍ وبحركٍ وسهلك وجبلِك، وحيث لا يلتئمُ الناس لمواضعها، ولا يجترئون عليها من بلاد أعدائك من أهل الصناعات التي أجرى الله الرِّفق منها على أيديهم، فاحفظ حرمتهم، وآمن سلبهم، وخُذْ لهم بحقوقهم، فإنهم سِلْمٌ لا تخاف بائقته، وصلاح لا تحذر غائلته، أحبُّ الأمور إليهم أجمعها للأمن، وأجمعها للسلطان، فتفقّد أمورهم بحضرتك، وفي حواشي بلادك، واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً، وشحاً قبيحاً، واحتكاراً للنافع، وتحكماً في البياعات، وذلك بابٌ مضرٌّ للعامة، وعيبٌ على الولاية، فامنع الاحتكار، فإن رسول الله ﷺ نهى عنه، وليكن البيع والشراء بيعاً سمحاً بموازين عدل، وأسعارٍ لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارب حكرة بعد نهيك فينكّل وعاقب في غير إسراف، فإن رسول الله ﷺ فعل ذلك.

ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، والمساكين والمحتاجين وذوي البؤس والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتزلاً، فاحفظ الله ما استحفظك من حقه فيها، واجعل لهم قسماً من غلات صوافي الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى. وكلٌ قد استرعت حقه، فلا يشغلنك عنهم نظر، فإنك لا تعذر بتضييع الصغير لأحكامك الكثير المهم. فلا تُشخص همك عنهم، ولا تُصعّر خدك لهم، وتواضع لله يرفعك الله، وانخفض جناحك للضعفاء، واربهم إلى ذلك منك حاجة، وتفقد من أمورهم ما لا يصل إليك منهم ممّن تقتحمه العيون، وتحقره الرجال ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه، فإن هؤلاء أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكلُّ فاعلٍ إلى الله في تأدية حقه إليه، وتعهد أهل اليتم والزمانة والرقّة في السن ممّن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، فأجر لهم أرزاقاً، فإنهم عباد الله، فتقرب إلى الله بتخلّصهم ووضعهم مواضعهم في أقواتهم وحقوقهم، فإن الأعمال تخلص بصدق النيات، ثم إنه لا تسكن نفوس الناس أو بعضهم إلى أنك قد قضيت حقوقهم بظهر الغيب دون مشافهتك بالحاجات، وذلك على

الولاء ثقيلٌ، والحقّ كلّهُ ثقيلٌ، وقد يخففه الله على أقوامٍ طلبوا العاقبة، فصبروا نفوسهم، ووثقوا بصدق موعود الله لمن صبر واحتسب، فكنّ منهم واستعين بالله، واجعلْ لذوي الحاجات منك قسماً، تفرّغ لهم فيه شخصك وذهنك من كلّ شغل، ثم تأذن لهم عليك، وتجلس لهم مجلساً تتواضع فيه لله الذي رفعك، وتقعّد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشُرطك تخفض لهم في مجلسك ذلك جناحين، وتلين لهم كنفك في مراجعتك ووجهك حتى يكلمك متكلّمهم غير متعّ، فإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول في غير موطن: «لن تُقدّس أمةٌ لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القويّ غير متعّ». ثمّ احتمل الخرق منهم والعِيّ، ونح عنك الضيق والأنف، يسط الله عليك أكناف رحمته، ويوجب لك ثواب أهل طاعته، فأعط ما أعطيت هنيئاً، وامنع في إجمال وإعذار، وتواضع هناك، فإنّ الله يحبّ المتواضعين، وليكنّ أكرم أعوانك عليك أليّنهم جانباً وأحسنهم مراجعة، وألطفهم بالضعفاء إن شاء الله.

ثمّ إنّ أموراً من أمورك لا بُدّ لك من مباشرتها، منها إجابة عمّالك ما يعي عنه كتابك، ومنه إصدار حاجات الناس في قصصهم، ومنها معرفة ما يصل إلى الكتاب والخزان ممّا تحت أيديهم، فلا تتوان فيما هنالك، ولا تغتم تأخيرهُ، واجعلْ لكلّ أمرٍ منها من يناظر فيه ولاته بتفريغ لقلبك وهمك، فكلّما أمضيتَ أمراً فأمضيه بعد التّروية ومراجعة نفسك، ومشاورة وليّ ذلك، بغير احتشام ولا رأي يكسب به عليك نقيضه، ثمّ أمضِ لكلّ يومٍ عمله، فإنّ لكلّ يوم ما فيه، واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت، وأجزل تلك الأقسام، وإن كانت كلّها لله إذا صحّحت فيه النية، وسليمت منها الرّعية، وليكنّ في خاص ما تخلص الله به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصّة، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ما يجب، فإنّ الله قد جعل النافلة لنبه خاصّة دون خلقه فقال: ﴿ومن الليل فتعجّد به نافلةً لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾^(١). فذلك أمرٌ اختصّ الله به نبيه وأكرمه به، ليس

(١) سورة الإسراء: آية ٨١.

لأحدٍ سواه، وهو لمن سواه تطوُّع، فإنه يقول: ﴿ومن تطوَّع خيراً فإنَّ الله شاكر عليم﴾^(١). فوقَّوما تقرَّبْتَ به إلى الله وكرمه، وأدَّ فرائضه إلى الله كاملاً غير مثلوبٍ ولا منقوص، بالغاً ذلك من بدنك ما بلغ، فإذا قمتَ في صلاتك بالناس فلا تطوِّلَنَّ، ولا تكونَنَّ منقراً ولا مضيقاً، فإنَّ في الناس من به العلة وله الحاجة، وقد سألتُ رسولَ الله ﷺ حين وجَّهني إلى اليمن كيف نصلي بهم؟ فقال: صلَّ بهم كصلاة أضعفهم، وكن بالمؤمنين رحيماً.

وبعد هذا، فلا تطوِّلَنَّ احتجاجك عن رعيتك، فإنَّ احتجاج الولاة عن الرعيَّة شُبَّعةٌ من الضيق، وقلةٌ علم بالأمور، والاحتجاج يقطع عنهم علم ما احتجوا دونه فيصغُر عندهم الكبير، ويعظم الصَّغير، ويقبُح الحسَن، ويحسُن القبيح، ويشابُ الحقُّ بالباطل، وإنَّما الوالي بشرٌ لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليستْ على القولِ سماتٌ يُعرفُ بها الصِّدق من الكذب، فتحصَّن من الإدخال في الحقوقِ بلبينِ الحجاب، فإنَّما أنتَ أحدُ رجلين: إمَّا امرؤٌ سخت نفسك بالبذلِ في الحقِّ، فقيم احتجاجك؟ من واجبِ حقِّ تعطيه؟ أو خلقتُ كريم تسديه؟ وإمَّا مبتلى بالمنع، فما أسرعَ كفَّ الناس عن مسألتك، إذا أيسوا من بذلك، مع أنَّ أكثر حاجات الناس إليك ما لا مؤونة عليك فيه من شكايَةٍ مَظْلَمَةٍ أو طلبِ إنصاف. فانتفع بما وصفتُ لك، واقتصر فيه على خطك ورشدك إن شاء الله.

ثمَّ إنَّ للمملوك خاصَّةً وبطانةً فيهم استشار، وتطاوُل، وقلةٌ إنصاف في معاملةٍ فاحسِمُ مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأشياء، ولا تقطعنَّ لأحدٍ من حشمك، ولا حامتك قطيعةً، ولا تعتمدنَّ في اعتقاد عقدةٍ تضرُّ بمن يليها من الناس في شربٍ أو عملٍ مشتركٍ يحملون مؤونتهم على غيرهم فيكون مهناً ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدُّنيا والآخرة، عليك بالعدل في حكمك إذا انتهت الأمور إليك، وألزمِ الحقَّ من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك

(١) سورة البقرة: آية ١٥٣.

صابراً محتسباً، وافعل ذلك بقربتك حيث وقع، وابتغ عاقبتَهُ بما يثقل عليه منه، فإن مغبة ذلك محمودة.

وإن ظننت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرِكَ، واعدلْ عنك ظنونهم بإصهارِكَ، فإن تلك رياضة منك لنفسك، ورفق منك برعيتك، وإعذارٌ تبلغ فيه حاجتك من تقويمهم على الحق في خفض وإجمال.

لا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك فيه رضا، فإن في الصلح دعةً لجنودِكَ، وراحةً من همومِكَ، وأمناً لبلاكِكَ. ولكن الحذر كل الحذر من مقاربة عدوك في طلب الصلح، فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم، وتحصن كل مخوف تؤتى منه. وبالله الثقة في جميع الأمور، وإن لجأت بينك وبين عدوك قضية عقدت له بها صلحاً، أو أكسبته منك ذمةً، فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنةً دونه، فإنه ليس شيء من فرائض الله جل وعز الناس أشد عليه اجتماعاً في تفريق أهوائهم، وتشيت أديانهم من تعظيم الوفاء بالعهود. وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبثوا من الغدر والختر، فلا تغرن بذمتك، ولا تخفر بعهدك، ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجترى على الله إلا جاهل شقي. وقد جعل الله عهده وذمته، أمناً أفضاه بين العباد برحمته، وحريماً يسكنون إلى منعتِهِ، ويستفيضون به إلى جواره، فلا خداع ولا مدالسة ولا إدغال فيه.

فلا يدعونك ضيق أمرٍ لزمك فيه عهدُ الله على طلب انفساخِهِ فإن صبرَكَ على ضيقٍ ترجو انفراجَهُ، وفضل عاقبتِهِ خير من عذرٍ تخاف تبعتَهُ، وأن تحيط بك من الله طلبة، ولا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك.

وإياك والدماء وسفكها بغير حلّها، فإنه ليس شيء أدعى لنقمة، ولا أعظم لتبعة، ولا أخرى لزوال نعمة وانقطاع مدّة في سفك الدماء بغير الحق، والله مبتدئ بالحكم بين العباد فيما يتسافكون من الدماء، فلا تصونن سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك يُخلقه ويُزيله، وإياك والتعرض لسخط الله، فإن الله قد جعل لولي من قتل مظلوماً سلطاناً، قال الله: ﴿ومن قتل مظلوماً

فقد جعلنا لوليّه سُلطاناً فلا يسرف في القتل إنّه كان منصوراً ﴿١﴾ .

ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأنّ فيه قوَدَ البدن، فإن ابْتُلِيَتْ بخطأٍ وفرطٍ عليه سوطُك أو يدُك لعقوبة، فإنّ في الوكزِ فما فوقها مَقْتَلَةٌ، فلا تطمحنّ بك نخوة سلطانك على أن تؤدي إلى أهلِ المقتول حقّهم دية مسلّمة يتقرّب بها إلى الله زلفى .

إيّاك والإعجابَ بنفسك والثقة بما يعجبُك منها، وحبّ الإطراء فإنّ ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسن .

إيّاك والمنّ على رعيّتك بإحسانك، أو التّزيد فيما كان منّ فعلك، أو تعدّهم، فتتبع بموعدك بخلفك، أو التسرّع إلى الرّعية بلسانك، فإنّ المنّ يُبطل الإحسان، والخلف يوجبُ المقت، وقد قال الله جلّ ثناؤه: ﴿كَبُرَ مُقْتَاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُوا﴾ ﴿٢﴾ .

إيّاك والعجلة بالأمر قبل أوانها، والتساقط فيها عند زمانها، واللّجاجة فيها إذا تنكّرت، والوهن فيها إذا أوضحت، فضع كلّ أمرٍ موضِعَهُ، وأوقِعْ كلّ عملٍ موقعه .

إيّاك والاستثثار بما للناس فيه الأسوة، والاعتراض فيما يعينك، والتّغابي عمّا يُعْنَى به ممّا قد وضح لعيون النّاظرين، فإنّه مأخوذٌ منك لغيرك . وعمّا قليل تكشف عنك أغطيّة الأمور، ويبرز الجبار بعظمته، فينتصف المظلومون من الظّالمين . ثمّ أمّلك حميّة أنفك، وسورة حدّتك، وسطوة يدك، وغرب لسانك، واحترس كلّ ذلك بكفّ البادرة، وتأخير السّطوة، وارفع بصرك إلى السّماء عندما يحضرك منه حتّى يسكن غضبك، فتملك الاختيار، ولن تحكم ذلك من نفسك حتّى تُكثّر همومك بذكر المعادِ إلى ربّك .

ثمّ اعلم أنّه قد جمع ما في هذا العهد من صنوف ما لم آلك فيه رشداً،

(١) سورة الصف: آية ٤ .

(٢) سورة الصّف: آية ٤ .

إن أحبَّ الله إرشادَكَ وتوفيقَكَ، أن تتذكَّر ما كان من كلِّ ما شهدت مِنَّا فتكون ولايتُكَ هذه من حكومةٍ عادلةٍ أو سُنَّةٍ فاضلةٍ، أو أثرٍ عن نبيِّكَ ﷺ، أو فريضةٍ في كتاب الله، فتغتدي بما شاهدتَ ممَّا عَمِلْنَا به منها، وتجتهد نفسك في اتباع ما عهدتُ إليك في عهدي، واستوثقتُ من الحجَّةِ لنفسِي لكيلا تكون لكَّ علةٌ عند تسرُّع نفسك إلى هواها، فليس يعصم من السَّوء ولا يوفق للخير إلاَّ اللهَ جلَّ ثناؤه. وقد كان ممَّا عهد إليَّ رسول الله ﷺ في وصايته تخصيصاً على الصَّلاة والزَّكاة وما ملكتُ أيما نكم. فبذلك أختمُ لك ما عهدتُ ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العلي العظيم.

وأنا أسأل الله سعةَ رحمته، وعظيم مواهبه وقدرته على إعطاء كلِّ رغبة أن يوفِّقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه، مع حُسْن الثَّناء في العباد. وحسن الأثر في البلاد، وتمام النِّعمة وتضعيف الكرامة، وأن يَخْتِمَ لي ولك بالسَّعادة والشَّهادة، وإنَّا إليه راغبون، والسَّلام على رسول الله وعلى آله الطَّيِّبين الطَّاهرين وسلِّم كثيراً^(١).

وخلاصة القول: إنَّ الإمام كَرَّمَ الله وجهه ضرب أروع الأمثال في تطبيقه للقيَم الإنسانيَّة، ومنها الزَّهد والعدل. فبزهديه علَّم الزُّهاد كيف يزهدون، ولقد طلق الدنيا ثلاثاً، وتخلَّص من حبايلها، وانتصر عليها، ووصفها ووصف خبير بها، عارفٍ بحقيقتيها، وطبق عملياً كلَّ شروط الزَّهد حتَّى أصبح مضرب الأمثال.

وكذلك كان في عدله منقطع النظير، فهو لا يُجارى ولا يُبارى! وكيف لا يكون ذلك؟ وهو القائل:

«والله لأنَّ أبيتَ على حَسَكِ السَّعدانِ مسهَّداً، وأخبرَ في الأغلالِ

(١) تحف العقول عن آل الرسول: للشيخ الثقة أبو محمَّد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرَّاني، ط ١٣٧٦ هـ من ص ١٢٦ حتَّى ص ١٤٩. وهي موجودة في النهج مع بعض اختلاف وذلك من ص ٩٢ حتَّى ص ١٢٢ من الجزء الثالث من النهج شرح محمَّد عبده.

مصفاً، أحبُّ إليَّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد،
وغاصباً لشيءٍ من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفسٍ يُسرَّع إلى البلى قفولها،
ويطول في الثرى حلولها؟!»^(١).

فعليٌّ عليه السلام هو المثل الأعلى للإنسانية في جميع المثل والقيم
والفضائل، وهو رمز العدالة الاجتماعية في جميع العصور والأزمنة القديمة
والحديثة. وكيف لا يكون ذلك؟! وهو القائل:

«والله لو أُعْطِيتُ الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أُعْصِيَ الله
في نملةٍ أُسْلِبُها جَلْبَ شعيرةٍ ما فعلتُ، وإنَّ دنيائكم عندي لأهون من ورقةٍ في
فم جرادةٍ تقضمها. ما لعلِّي ولنعيمٍ يفنى، ولذَّةٍ لا تبقى»^(٢).

لذلك فإنَّ الكتاب الذين يقارنون علياً بغيره من الخلفاء والملوك
والرؤساء فإنَّهم لم يعثروا على واحدٍ منهم يسلك سلوكه، وينهج نهجه، فعليٌّ
لا يُجَارَى ولا يبارى. فهو رمز العدالة الاجتماعية والمثل العليا للإنسان.
ومهما تطوَّر الإنسان وارتقى في معارفه، فإنَّه لم يزل مفتقراً إلى ما خطَّطه
عظيم الإنسانية ومثلها الأعلى، وهو القائل:

«وإنَّ الله سبحانه فرضَ في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقيرٌ
إلا بما مُتَّع به غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك»^(٣).

هذا القول ينادي به المصلحون الاجتماعيون والفلاسفة وكبار المفكرين
دون أن يصلوا إلى التطبيق العملي كما طبَّقه الإمام عليه السلام. فهو القدوة المثلى
والرمز الإنساني الخالد قديماً وحديثاً وإلى الأبد.

تمَّ الكتاب بحمد الله

يونس رمضان

(١) النهج: شرح محمد عبده، ج ٢ ص ٢٤٣.

(٢) نفس المصدر، ج ٢ ص ٢٤٥.

(٣) النهج: شرح محمد عبده، ج ٣ ص ٢٣١.

مصادر الكتاب

للإمام علي	القرآن الكريم
لابن أبي الحديد	نهج البلاغة
	شرح نهج البلاغة
	مرآة الزمان
لليافعي	مرآة الجنان
ابن عماد الحنبلي	شذرات الذهب
الأميني	الغدير
الديلمى	إرشاد القلوب
العلامة الحلي	كشف اليقين
الجزائري	الأنوار النعمانية ٤ / ١
المجلسي	بحار الأنوار
الخوارزمي	المناقب
القندوزي	ينابيع المودة
رجب البرسي	مشارك أنوار اليقين
الخنيزي	أبو طالب مؤمن قریش
سبط ابن الجوزي	تذكرة الخواص
عبد الفتاح عبد المقصود	الإمام علي بن أبي طالب

التعلبي	تفسير التعلبي
البغدادي	خزانة الأدب
أبو الفداء	تاريخ أبي الفداء
ابن حجر	فتح الباري
ابن حجر	الإصابة
الحلبي	السيرة الحلبيّة
ابن هشام	السيرة النبوية
البخاري	التاريخ الصغير
القسطلاني	المواهب اللدنية
الديار بكري	تاريخ الخميس
الأربلي	كشف الغمة
شكري الألوسي	بلوغ الأرب
الهاللي	سليم بن قيس
السيوطي	تاريخ الخلفاء
المنقري	كتاب صفين
الطبري	تاريخ الطبري
الطريحي	المنتخب
ابن عساكر	تاريخ ابن عساكر
القزويني	تظلم الزهراء
الصفدي	تمام المتون
المبرد	الكامل
أسد حيدر	الإمام الصادق والمذاهب الأربعة
محمود مهدي	ما الفوارق بين السنة والشيعة
ابن حجر	الصواعق المحرقة
ابن الصباغ المالكي	الفصول المهمة
الشبلنجي	نور الأبصار
الصدوق	عيون أخبار الرضا

الخطيب البغدادي	تاريخ بغداد
الأردوبادي	علي وليد الكعبة
نجم الدين العسكري	علي والوصية
البحراني	غاية المرام
شاذان القمي	الفضائل
الزرقاني	شرح المواهب
لابن دريد	المجتبى
الواحدي	أسباب النزول
التستري	قضاء أمير المؤمنين
السيوطي	الدر المنثور
نجم الدين العسكري	علي والخلفاء
الشيخ المفيد	الإرشاد
الطبري	ذخائر العقبى
الصدوق	من لا يحضره الفقيه
محمد الصبان	إسعاف الراغبين
الكاظمي	بشائر الأنام
الخوارزمي	مقتل الحسين
حسين عبد الوهاب	عيون المعجزات
محسن الأمين	أعيان الشيعة

الفهرس

الإهداء	٥
المقدمة	٧

الفصل الأول

ولادته وإيمان أبيه	١٩
--------------------------	----

الفصل الثاني

الجو الرهيب الذي تمت فيه المؤامرة ضد علي وأهل بيته (ع)	٤٨
رفع السب عن علي في عهد عمر بن عبد العزيز	٦٣
قصيدة الشريف الرضي في عمر بن عبد العزيز	٦٤
أرجوزة العلامة الشافعي في عمر بن عبد العزيز	٧٢

الفصل الثالث

خلافته واستخلافه	٧٧
الأدلة على استخلاف الرسول بعده	٨٤
حديث الإنذار	٨٥
حديث المنزلة	٨٧

الفصل الرابع

- ولاية علي بن أبي طالب (ع) ١١٧
حديث الغدير ١١٨
الآيات النازلة في يوم الغدير ١٢٤
كتب السنة في يوم الغدير ١٢٧
حديث الثقلين ١٣٠
الأحاديث الواردة في ولاية الإمام علي (ع) ١٣٤

الفصل الخامس

- الابتلاء والغدر ١٦٣
حديث يوم السقيفة ١٦٦
لماذا قعد الإمام عن المطالبة بحقه ١٧٥
الأحاديث التي تبين أن علياً هو الهادي إلى الصراط المستقيم ١٨٨
حديث الكتابة والدواة ١٩٦
حديث حذيفة اليماني عن أسماء بنت عميس ١٩٩
كتاب الإمام علي إلى حذيفة ٢١٤
قول سلمان الفارسي بعد إسناد الأمر إلى أبي بكر ٢٣٧
كلام أبي ذر الغفاري والمقداد بن الأسود ٢٣٨
كلام بريدة الأسلمة وعمار بن ياسر ٢٣٩
كلام أبي بن كعب وخزيمة بن ثابت والهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف .. ٢٤٠
كلام عثمان بن حنيف وأبي أيوب الأنصاري ٢٤١

الفصل السادس

- أحاديث حول شجاعة الإمام ٢٤٢
فضائل مبيته على فراش الرسول (ص) ٢٤٣
وقعة بدر ٢٤٥
تكبير النبي (ص) بقتل الإمام نوفل بن خويلد في بدر ٢٤٥

٢٤٧	انتقام هند من أسد الله الحمزة
٢٤٨	الأحزاب أو الخندق
٢٤٩	رعب المسلمين ومقتل ابن وُدّ
٢٥١	فضل ضربة علي (ع) يوم الخندق
٢٥١	وقعة خيبر
٢٥١	فشل أبي بكر وعمر ونجاح الإمام في فتح حصن ناعم
٢٥٢	خلع الباب وجعله ترساً
٢٥٣	الرَّمْد والتَّفل والفتح
٢٥٣	وقعة حُنين
٢٥٤	قتل جروول بسيف علي (ع) والنَّصر بسيفه من جهة، والملائكة من جهةٍ ..
٢٥٥	سرية ذات السَّلاسِل
٢٥٥	استقبال الإمام وأخذ التُّراب من تحت قدميه تبركاً
٢٥٦	قتال النَّاكِثين والقاسطين والمارقين أمر من الله ورسوله
٢٥٧	أيتكُنَّ تنبُّحها كلاب الحوَّاب
٢٥٨	آراء كبار الصَّحابة في قتال النَّاكِثين والقاسطين والمارقين
٢٦٢	قول الرُّسول (ص): أنا أُقاتِل على تنزيل القرآن، وعلي يقاتِل على تأويله ..
٢٦٥	حَرْبُ علي حرب الرُّسول، وحرب الرُّسول حربُ الله
٢٦٧	وقعة الجمل
٢٦٨	حديث العرني والجمل
٢٦٩	آراء كبار الصَّحابة في عائشة
٢٧١	تذكير أم سلمة لعائشة
٢٧٥	معرفة عائشة لحقِّ علي كانت في وقعة الجمل
٢٧٥	خطر وقعة الجمل على الأُمَّة الإسلامية
٢٧٦	وقعة صِفِّين
٢٧٧	حيلة عمرو بن العاص برفع المصاحف
٢٧٨	وقعة النهروان

المقارنة بين حرب علي وحرب الرسول (ص) ٢٧٨

الفصل السابع

علمه عليه السلام

- علي صاحب الأذن الواعية، والإمام المبين ٢٨١
- أُعْطِيَ عَلِيٌّ (ع) ٩ أعشار العلم ٢٨٥
- علي (ع) باب مدينة العلم ٢٨٢
- علي (ع) والعتره أمان من الضلال لمن تمسك بهما ٢٨٦
- أم سلمة وأبو ثابت ٢٨٨
- سئل ابن عباس عن علمه قال: هو من علم علي (ع) ٢٩٠
- استنتاج مغنيّة من حديث «علي مع القرآن والقرآن مع علي» ٢٩١
- علي (ع) هو النّقطة التي تحت الباء ٢٩٣
- لعلي حق التعلّم لجبرئيل ٢٩٤
- علي عَلِمَ منطق الطّير ٢٩٥
- تحليل الكنجي الشافعي لعلم علي إجمالاً وتفصيلاً ٢٩٦
- الخصال السبع لعلي ٢٩٨
- تحذير الدهقان من سفر الإمام للقتال بسبب تناحس النجوم الطوالع ٣٠٠
- التوسّل بلحية أبي بكر يشفي العميان ٣٠٤
- سؤال اليهودي لأبي بكر وعجزه ٣٠٤
- تهديد ذعلب لأmir المؤمنين ودهشته ٣٠٥
- سؤال الأشعث لأmir المؤمنين عن أخذ الجزية من المجوس ٣٠٦
- العمل الذي ينجي صاحبه من النار ٣٠٧
- قول عمر للحجر الأسود إنه حجر لا يضر ولا ينفع ٣٠٨
- الشباب التسع وغلوهم بعلي من أجل أختهم ٣٠٩
- الجارية والألف فارس ومعرفة ما في بطنها ٣٠٩
- الطبيب الرازي والعلة ٣١٢
- الشاب اليهودي وسؤال الإمام عن ثلاث وثلاث وواحدة ٣١٤

٣١٥	الكلب ووطؤه الشاة والأعرابي
٣١٦	اليهوديَّان والبحث عن خليفة رسول الله
٣١٨	السائل المتهور وإعجابه من أجوبة علي
٣٢٠	قول رجلٍ لعلِّي: إنِّي أحبُّك في الله
٣٢٣	سؤال عن «وجنة عرضها السَّموات والأرض» وقول عمر: لا أدري
٣٢٤	أسرار القرآن في الحفظ من الحرق والغرق وغيره

الفصل الثامن

قضاؤه عليه السلام

٣٣٠	رواية الأصفهاني في إرسال علي (ع) لليمن
٣٣٠	علي هو صاحب الأذن الواعية
٣٣١	أمر الخليفة عمر بضرب غلامٍ خاصم أمّه
٣٣٢	اليتيمة البريئة
٣٣٢	الأرغفة الخمسة
٣٣٥	وديعة رجلين لامرأةٍ من قريش مائة دينار
٣٣٦	أبا حسن، لا أبقاني الله لشدة لست لها
٣٣٧	قضاؤه (ع) في أربعة وقعوا في زبية أسد
٣٣٨	بكاء الشاب الحدث في مسجد رسول الله (ص) لفقد أبيه
٣٣٩	أصبحت أكره الحق، وأحبُّ الفتنة، وأشهد بما لم أره
٣٤٠	الرجل المذبوح وهو بزّي النساء
٣٤٦	قضية الشاب المقدسي من عجائب القضاء
٣٥٠	توريث رجلٍ محروم مال أبيه
٣٥١	قتل العبد لمولاه لفعل القبيح معه
٣٥٢	قضية الحجر الأسود وجهل عمر
٣٥٢	في جواب مسائل ابن الأصفر
٣٥٥	مراجعة عثمان للإمام (ع) في جمجمة إنسان ميت
٣٥٥	حكمه (ع) في الأعرابي الذي أنكر على النبي (ص) حقّه وكذّبه

٣٥٦	في جواب الجاثليق ومائة من أصحابه
٣٥٦	عجز أبي بكر عن جواب الحبر اليهودي
٣٥٧	مراجعة عمر إلى أمير المؤمنين (ع) في رجلين اختصما معه
٣٥٨	صراع الابن والعبد والقضاء بينهما
٣٥٩	الرَّجل ذو الرأسين والفمين والأنفين . . الخ
٣٦١	قضاء أمير المؤمنين - مهما اختلفت الظروف - واحد
٣٦١	صراع امرأة ورجلٍ على جملٍ ، وكان الشَّاهدُ الجمل

الفصل التاسع

إخباره بالأمور الغيبية

٣٦٤	صاحب السُّخل الذي يقتل ابن رسول الله (ص) والبراء بن عازب
٣٦٥	خالد بن عرفطة والرجل العبسي وصرعه
٣٦٦	السُّلقلقية وعمرو بن حريث
٣٦٦	خراب العراق وفلج الرجل المكذِّب
٣٦٨	كسر الوسادة وتناقض الرجلين
٣٦٩	البينة والشَّاهد
٣٧٠	نجفة ذي قار، والإثني عشر ألفاً ورجلاً واحداً
٣٧١	ها هنا موضع رحالهم - ها هنا مراق دمائهم
٣٧٢	سلوا من عنده علم المنيا - سلوني عن كتاب الله آية آية
٣٧٢	لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما يكون
٣٧٤	لو لم أكن فيكم ما قُوتل أصحاب الجمل والنهروان
٣٧٤	أعشى باهلة وحديث خرافة
٣٧٥	الحجاج وقتل قنبر
٣٧٥	رأس عمرو بن الحمق المقتول
٣٧٦	الحجَّاج ومقتل كميل بن زياد
٣٧٦	زياد ومقتل جويرية بن مسهر
٣٧٧	عبيد الله بن زياد ومقتل ميثم التمار

٣٨٠	زياد ومقتل رشيد الهجري
٣٨٠	مقتل زرعة مولى علي وصلبه
٣٨٠	مالك بن ضمرة الرّواصي ودعوته
٣٨١	الأشعث وأنف قبر
٣٨٢	إمرة مروان كلعقة الكلب أنفه
٣٨٣	الخطبة التطنجية
٣٨٣	الشَّجّة في قرن ابنها وهو زوجها
٣٨٤	الشك في عبور النّهر، وتوبة الشاك
٣٨٥	لا يقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم إلّا أقلّ من عشرة
٣٨٦	ذو الثديّة والأربعة آلاف قتيلاً
٣٨٧	عائشة ولعنة ابن العاص
٣٨٧	قطع الأيدي وسمل العيون وابن الحمقاء
٣٨٧	ابن عبّاس والستّة آلاف والخمسمائة والستون
٣٨٨	إيه أبا وذحة
٣٨٩	نعيه نفسه وعلمه بقتله
٣٩١	اليهودي والكنوز المدفونة
٣٩١	قتال النّاكثين والقاسطين والمارقين
٣٩٢	عمرو بن حريث ومبايعة الضّب
٣٩٣	حيلة معاوية لمعرفة حكومته
٣٩٥	معرفة عدد النمل
٣٩٥	الرّاهب والصّخرة والماء
٣٩٨	الشكوى من زيادة الفرات
٤٠٠	المحبّة الصّادقة والمحبّة الكاذبة
٤٠٠	إحصاء النمل
٤٠٠	سويد الهلالي وخطبة أمير المؤمنين
٤٠٣	حجر المرادي واللّعن

٤٠٤	صعصعة وخروج الدجال
٤٠٥	جلند بن كركر والمخاض
٤٠٦	أين جبرئيل هذا الوقت ؟
٤٠٧	الخطبة المشهورة
٤٠٩	يا كميل لا تخذعَنَّك طنطنته
٤١٠	إخبار قومه بنتائج مخالفتهم له عند رفع المصاحف
٤١٠	الشكوى من طول دولة الجور
٤١١	تفل بعضكم في وجوه بعض
٤١٢	الزمان الذي يخفي فيه الحق ويظهر الباطل
٤١٢	الهروب من حرب الحسين خوف النار
٤١٣	تقسيم مال بيت المسلمين كما قال
٤١٣	تبرّع رجل بقتل علي وإخباره بما يريد أن يفعل
٤١٤	إضمار رجل أخذ المال ليهرب إلى الشام ، وفضحه
٤١٥	رؤيا أم الحنفية لابنتها وزواجها

الفصل العاشر

في فضائله وكراماته عليه السلام

٤٢٢	اختصام الملائكة لفتح الباب لعلي (ع)
٤٢٤	تهنئة الرب عزّ عزّه لعلي عند شربه الماء
٤٢٥	تبرك الملائكة بالماء الذي يغسل به الإمام يديه
٤٢٥	الخير والامام
٤٢٦	تحويل الحجر إلى ذهب
٤٢٦	معرفة علي (ع) تمام المعرفة مستحيلة كالله ورسوله
٤٢٧	التجارة الربّاحة هي النظر إلى وجه علي (ع)
٤٢٩	خير الله رسوله بالقتال معه بين الملائكة وعلي ، فاختر علياً
٤٢٩	نصيب الملائكة من الغنائم لعلي
٤٣٠	كان الإمام يحمي محبيه من الأسود

٤٣٠	كانت الحمى تخافه
	قصيدة الأقساسي واستنكاره موقف الخليفة العباسي من مسير الإمام من
٤٣١	المدينة إلى المدائن في ليلة واحدة
٤٣٢	قصة مالك بن القاسم
٤٣٣	ترويح أمير المؤمنين سلمان الفارسي للتخفيف من حزنه
٤٣٥	وصف الإمام وعترته في سورة الدهر
٤٣٩	مسح أربع وعشرين طائفة نتيجة نكرانهم لولاية علي (ع)
٤٤١	المحبان: الكاذب والصادق
٤٤٢	تصاغر الجنّي الذي حاول إغراق سفينة نوح عند رؤيته عليّاً
٤٤٢	استغاثة الجنّي الذي تمرّد على سليمان بالنبي لما رأى عليّاً
٤٤٣	خطبة أمير المؤمنين لسلمان وجندب وكشف بعض الأسرار
٤٤٥	كلام أمير المؤمنين صعب مستصعب
٤٤٧	علي هو مفتاح الحب والبغض
٤٤٧	حبّ أهل السماء لعلّي أكبر من حب أهل الأرض له
٤٤٩	حبيب رسول الله علي
٤٥٣	حديث الطير
٤٥٣	احتجاج المأمون على أربعين فقيهاً
٤٥٨	كنّا نبور أولادنا بحبّ علي
٤٥٩	الأبيات الشعرية بأنّ عليّاً هو المحك
٤٦١	تكلم الشمس لعلّي
٤٦٧	الأبيات الشعرية حول ردّ الشمس لعلّي
٤٧٠	رواية حديث ردّ الشمس
٤٧٢	سدّ أبواب المسجد إلّا باب علي
٤٧٤	حرّة بنت حلّمة السّعدية ومناقشتها الحجاج
٤٧٦	حديث البساط

الفصل الحادي عشر في زهده وعدله عليه السلام

- ٤٨٣ علي سيّد الزُّهَّاد بعد رسول الله (ص)
- ٤٨٤ وصف الإمام للدُّنيا منقطع النّظير
- ٤٨٥ لو كانت الدُّنيا شخصاً لأقام عليها حدود الله
- ٤٨٦ مهما تفنّن الكتاب في وصف الدُّنيا فهم من تلامذة الإمام
- ٤٨٧ ما وعظ الإمام أحداً لم يتعظ به هو
- ٤٨٧ وصف ضرار الضّبائي له
- ٤٨٨ رأي العقاد في عبقرية الإمام
- ٤٨٩ قول عمر بن عبد العزيز في زهد علي
- سويد بن غفلة وفضّة في طعام الإمام
- مساويء عثمان وتقريب أقربائه وعزل الآخرين علاوة عن الضّرب والنّفي والحبس
- ٤٨٩ انتشار الأثرة والأنانية والاحتكار في عهد عثمان
- ٤٩٠ تولّى علي الخلافة بعد أن فسدت النفوس
- ٤٩١ الحروب وانضمام الماديين إلى حزب معاوية
- ٤٩٢ نصّح أصحاب الإمام له في مصافقة الرؤساء وأمراء القبائل، ورفضه
- ٤٩٣ القاطع لذلك
- ٤٩٥ قصة عقيل والحديدة المحماة
- ٤٩٦ شعر الحلّي في وصف الإمام
- ٤٩٧ قصّة قنبر مع الإمام ودهشته
- ٤٩٨ سبب امتناع الإمام عن تناول الطعام الفاخر
- ٤٩٩ لباس الإمام
- ٥٠٠ ضيف الحسن وزق العسل
- ٥٠٢ طلب الأعرابي / ٤٠٠٠ / درهماً ووعد الإمام له
- ٥٠٣ شراء الإمام النّاقة من جبرئيل وبيعها لميكائيل

٥٠٥	مقارنة سودة الهمدانية لموقف الإمام وموقف معاوية
٥٠٦	قصة أم كلثوم والعقد
٥٠٧	وصيته لمن كان يستعمله للصدقات
٥٠٨	وصيته لعثمان بن حنيف عندما دُعي إلى وليمة
٥١٠	وصيته لجباة الأموال
		وصيته للأشتر حين ولّاه مصر وأعمالها ، وهي من خيرة الوصايا
٥١٢	للحكّام والرؤساء والولاة في كل عصرٍ وزمان
٥٣١	مصادر الكتاب
٥٣٤	الفهرس



Gifted to the University of the Arabian Peninsula Library (UAPAL)
Dammam - Saudi Arabia

